المجلد ٦ — الجزء ١

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) كانون الثاني سنة ١٩٢٦م الموافق جمادى الآخرة ورجب سنة ١٣٤٤هـ — ٢١

المجمع العلمي العربي

« في سنة ١٩٢٥ »

الرئيس : السيد محمد كرد علي

« الاعضاء العاملون والمؤازرون »

	السادة :	محل الاقامة
١	اسعد الحكيم	دمشق
٢	الياس القدسي	«
٣	انيس سلوم (عامل)	«
٤	بهجة البيطار	«
٥	خليل مردم بك	«
٦	رشيد بقدونس	«
٧	سليم البخاري	«
٨	سليم الجندي	«
٩	سليم عنحوري	«
١٠	عارف النكدي	«
١١	عبد القادر المبارك	«
١٢	عبد القادر المغربي (عامل)	«
١٣	عبد الله رعد	دمشق
١٤	فارس الخوري	«
١٥	مرشد خاطر	«
١٦	مسعود الكواكبي	«

« الاعضاء المراسلون »

	السادة :	محل الاقامة
١٧	امين الريحاني	بيروت
١٨	بولس الخولي	«
١٩	جبر ضومط	«
٢٠	شكيب رسلان	«
٢١	عبد الباسط فتح الله	«
٢٢	عبد الرحمن سلام	«
٢٣	عبد الله البستاني	«

« الاعضاء المراسلون »

		محل الاقامة
٢٤	فيليب حتي	بيروت
٢٥	فيليب طرازي	〃
٢٦	لويس شيخو	〃
٢٧	عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٢٨	احمد رضا	النبطية
٢٩	جرجي يني	طرابلس الشام
٣٠	سليمان احمد	اللاذقية
٣١	ادوارد مرقص	〃
٣٢	محمد زين العابدين	انطاكية
٣٣	بدر الدين النعساني	حلب
٣٤	جرجس شلحت	〃
٣٥	جرجس منش	〃
٣٦	راغب الطباخ	〃
٣٧	عبد الحميد الجابري	〃
٣٨	عبد الحميد الكيالي	〃
٣٩	قسطاكي الحمصي	〃
٤٠	كامل الغزي	〃
٤١	ميخائيل الصقال	〃
٤٢	اسعاف النشاشيبي	القدس
٤٣	سعيد الكرمي	طول كرم
٤٤	رضا الشبيبي	النجف الاشرف
٤٥	امين المعلوف	بغداد
٤٦	انستاس الكرملي	〃
٤٧	جميل صدقي الزهاوي	〃
٤٨	عز الدين علم الدين	〃
٤٩	كاظم الدجيلي	〃
٥٠	معروف الرصافي	〃
٥١	احمد الاسكندري	القاهرة
٥٢	احمد تيمور	〃
٥٣	احمد زكي	〃
٥٤	احمد عيسى	〃
٥٥	اسعد خليل داغر	〃
٥٦	رشيد رضا	〃
٥٧	يعقوب صروف	〃
٥٨	زكي مغامز	الاستانة
٥٩	حسن حسني عبدالوهاب	تونس
٦٠	محمد بن ابي شنب	الجزائر
٦١	محمد اجمل خان	الهند

☆ ☆ ☆

	« الاعضاء المراسلون »		محل الاقامة
٦٢	مارسيه	Marçais	تونس
٦٣	ماسه	Massé	الجزائر
٦٤	كي	Guy	ازمير
٦٥	ميشو بلير	Michaux-Bellaire	طنجة
٦٦	هوار	Huart	باريز
٦٧	فرّان	Ferrand	〃
٦٨	دوسو	Dussaud	〃
٦٩	ماسينيون	Massignon	〃
٧٠	بوفا	Bouvat	〃
٧١	جويدي	Guidi	ايطاليا
٧٢	نالينو	Nallino	〃
٧٣	آسين	Asin	اسبانيا
٧٤	لوبس	Lopès	البرتقال
٧٥	مونته	Montet	سويسرا
٧٦	هيس	Hess	〃
٧٧	سنوك هورغرن	Snouck-Hurgronje	هولانده
٧٨	هوتسما	Houtsma	〃
٧٩	ارندونك	Arendonk	〃
٨٠	مرجليوث	Margoliouth	انكلترا
٨١	بفن	Bevan	〃
٨٢	هومل	Hommel	المانيا
٨٣	ساخاو	Sachau	〃
٨٤	بروكلمن	Brockelmann	〃
٨٥	هوروفيتز	Horovitz	〃

	« الاعضاء المراسلون »	محل الاقامة
٨٦ هرزفلد	Herzfeld	المانيا
٨٧ هارتمان	Hartmann	〃
٨٨ ميتفوخ	Mittwoch	〃
٨٩ سترستن	Zettersteen	السويد
٩٠ اوستروب	Œustrup	الدانيمارك
٩١ بول	Buhl	〃
٩٢ بدرسن	Pedersen	〃
٩٣ موجيك	Mzik	النمسا
٩٤ ماهلر	Mahler	المجر
٩٥ كوفالسكي	Kowalski	بولونيا
٩٦ كراجكوفسكي	Kratchkovsky	روسيا
٩٧ موزل	Musil	تشيكوسلوفانيا
٩٨ مكدونالد	Macdonald	اميركا
٩٩ كارسيكو	Karsikko	فنلاندا [1]

---

(١) والاعضاء الذين فقدهم المجمع هم المرحومون : الشيخ طاهر الجزائري في دمشق . والسيد نخله زريق في القدس . والسيد اغناطيوس غولدصهير في المجر . والسيد مرتين هارتمان في برلين . والسيد رينه باسه في الجزائر . واحمد كمال باشا والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي في القاهرة . والسيد محمود شكري الالوسي في بغداد . والسيد غريفيني والسيد رفيق العظم في القاهرة . والسيد حسن بيهم في بيروت . والدكتور صالح قنباز في حماة . والسيد مالنجو في دمشق . والسيد براون في كمبريج . أجزل الله ثوابهم .

آثار الشهباء والفيحاء (١)

« ومدرسة ضيفة خانون »

تنقسم مصانع الشام الى قسمين مدني وديني ، فالمدني القلاع والحصون والابراج والمناور والمراصد والقصور والجسور والسكور والافنية والموانئ والطرق والقبور والمستشفيات ودور الزمنى والضيافة ، والديني المعابد والبيع والاديار والكنائس والجوامع والمساجد والمدارس والرُبُط والخانقاهات والملاجئ وما شاكلها · والكلام على كل مادة من هذه المواد يحتاج الى محاضرة بل محاضرات ولذلك نقصر حديثنا الآن على المدارس ونقابل بين ماقام من نوعها في هذه المدينة الطيبة وبين مافي دمشق الفيحاء منها ·

انشأ العرب الاحكموا الشام مصانع كثيرة وكان بنو غسان يتبارون في البيع وزينها أقاموا منها كثيراً كما عمروا الاديار والصروح والقناطر ، وكذلك فعل النبط والتنوخيون ، وكلهم عرب ايضاً · والغالب ان هندستهم كانت ابنة الهندسة الرومانية · واليونانية تختلف عنها قليلاً في بعض الرسوم والتفاصيل · ولما فتح العرب المسلمون هذا القطر لم يكن لهم هندسة خاصة ·

وكان الأمويون اذا أرادوا إقامة بناء عظيم تقدم مملكة بيزنطية الصناع والرسوم التي يراد النقل عنها ، فقد جمع الوليد لما أراد بناء الجامع الأموي لبنائه حذاق فارس والهند والمغرب والروم فجاء البناء من صنع بنائين مختلفين اجمل مافي الهند وفارس وآثينة وروميه من طرز البناء وأخذ ربع أعطيات اهل دمشق تسع سنين وكانوا خمسة وازبعين الفاً ليستعين بها على عمارة الجامع وأنفق فيه خراج الشام سنتين وفي رواية اربعمائة صندوق كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار وكان خراج الشام على عهد بني أمية الف الف دينار ومائتي الف دينار ·

قال المقدسي : والجامع جامع دمشق أحسن شيء للمسلمين اليوم (في القرن الرابع) ولا يعلم لهم مال مجتمع اكثر منه وأعجب شيء فيه تأليف الرخام الجزع كل شامة الى اختها ،

(١) من محاضرة للسيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي ألقاها في المدرسة الفاروقية بحلب في ربيع ١٣٤١ هـ (١٩٢٣) م ·

ولوان رجلاً من اهل الحكمة اختلف اليه سنة لأفاد كل يوم صنعة . وقال ايضاً : رأى الوليد الشام بلد النصارى ورأى لهم فيها بيعاً حسنة قد أفتن زخارفها وانتشر ذكرها، كالقيامة وبيعة لدّ والرّها، فاتخذ للمسلمين مسجداً في دمشق شغلهم به عنهن وجعله احدى عجائب الدنيا، او كما قال الخليفة المأمون بني على غير مثال شوهد .

قال الثعالبي : كان الأغلب على الوليد بن عبد الملك حب البناء واتخاذ المصانع واعتقاد الضياع وكان الناس في ايامه يخوضون في وصف الابنية ويحرصون على التشييد والتأسيس ويولعون بالضياع والعمارات . وقال آخر : كان الوليد عند اهل الشام محبوباً لانه صاحب عمارة وبناء، عمر الضياع ووضع المنار في الطرقات واعطى المجذّمين وافردهم وقال لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً .

فالعرب اذاً أخذوا اولاً الهندسة عن الفرس والبيزنطيين وغيرهم من الامم التي كانت لها حضارة جميلة وجودوها وزادوا عليها . قال ستنيوبوس : لم يكن للعرب كما للرومان صناعات وطنية خاصة بهم، فكانوا اذا احتاجوا الى قصور او جوامع يعمرونها اولاً على الطرز الفارسي او البيزنطي مثل جامع دمشق، ولكن ما لبثت الصناعات الفارسية والبيزنطية ان اختلطت ونشأ منها صناعة جديدة هي الصناعة العربية وأجمل هذه الصناعات الجوامع والقصور .

وليس لدينا من مصانع الامويين في الشام غير هندسة الجامع الاموي وبعض محال من المسجد الاقصى على كثرة ما شادوا من الجوامع والقصور والحصون والمدن لان العباسيين لما استولوا على هذه الديار نقضوا آثار الامويين كلها ولم يبقوا على غير جامع دمشق وجامع القدس، قال الجاحظ من شأن الملوك ان يطمسوا على آثار من قبلهم وان يميتوا ذكر اعدائهم فقد هدموا بذلك السبب المدن وأكثر الحصون كذلك كانوا ايام العجم وايام الجاهلية وعلى ذلك هم في الاسلام كما هدم عثمان صومعة غُمدان وكما هدم الآطام (الحصون) التي كانت بالمدينة وكما هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر وكما هدم أصحابنا اي العباسيون بناء مدن الشامات (اي الشام) .

تجلت الهندسة العربية في هذه الديار في القرن الرابع فما بعده على الاغلب ونشأ لها مهندسون سوريون عرب انتهت الينا بعض اسمائهم وبعض نموذجات من أبنيتهم ولا سيما

المدارس ولم تكن المدارس معروفة في هذه الديار قبل نور الدين محمود بن زنكي بقليل فانه شاد منها جملة صالحة وهو اول من أسس دور الحديث والقرآن والفقه وأول من بنى دار العدل في دمشق لكشف الظلامات وبنى الخوانق والرُبط وقد مشى على اثره في هذا الطريق المحمود صلاح الدين يوسف بن ايوب وآل بيته الكرام وما من عين من أعيانهم الا وله في دمشق وحلب وحماة والقدس وغزة وبعلبك ومنبج والمعرة مدارس أبقت الايام على بعضها نموذجاً من حسن الهندسة وارتقائها في تلك العصور ومثالاً ينم عن ارادة الخير والتدين الحقيقي ·

ذكروا ان البلاد قبل نور الدين كانت خالية من العلم واهله فصارت في ايامه مقر العلماء والفقهاء والصوفية لصرف همته الى المدارس والربط وترتيبه امورهم وقصده العلماء من خراسان وغيره وكان يكرم الصوفية والفقهاء والعلماء ·

ولم تسعد هذه الديار بعد عهد قليل من خلفاء الامويين والعباسيين سعادة حقيقية مثل سعادتها على عهد الدولتين النورية والصلاحية فمعظم مانراه من المصانع هو من صنعهم وصنع أمرائهم بل خدامهم وعتقائهم · ولما انقضت الدولة الايوبية تراجع عمران هذه الديار تراجعاً محسوساً وعاشت قرنين وثلاثة بفضل تلك الحسنات وبقوة التسلسل المنبعثة من ذاك الفضل الشامل والعقل الكامل ·

* * *

زرتُ بالامس في جملة مازرته من مدارس الشهباء القديمة مدرسة أخذطرز بنائها بمجامع النفس وذكّرها ماضياً باهراً لهذه الامة ، والماضي قد يفرح ويحزن· نفرح به اذا كان جليلاً وننقبض اذا ناظرت بينه وبين الحاضر ، خصوصاً اذا كان هذا ضئيلا · رأيت مايدهش من مدرسة الفردوس التي أنشأتها الملكة ضيفة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين ابي بكر محمد بن ايوب وكانت جعلتها تربة ومدرسة ورباطاً ورتبت فيها خلقاً من القراء والفقهاء والصوفية · وضيفة خاتون ولدتها امها في غير دار ابيها حيث كانت امها ضيفة فسماها ابوها ضيفة ، توفيت سنة ٦٤٠ هـ ودفنت بقلعة حلب وولدها مدفون بها ايضاً ، مات ابنها فتولت زمام الحكم في حلب وتصرفت فيها تصرف

السلاطين ست سنين فأبانت عن ذكاء وجودة رأي ، وان النساء اذا تعلمن لا يصعب عليهن ان يبلغن مبلغ الرجال ، وقل ان حدث في تاريخ هذه البلاد ان تولت امرأة امور الدولة وأحسنت السياسة ، ولا نذكر الآن في مصر غير شجرة الدر المشهورة التي ساست الملك فأحسنت سياسته في الجملة . واما ملكة حلب صاحبة هذا الاثر النفيس فكانت متينة في سياستها أثنى عليها معاصروها ، ويرجع الفضل في ذلك الى من كانوا المشاورين لها من فضلاء اهل حلب اذ ذاك ، ولا عجب فقد قامت في هذه المدينة غير مرة مشيخة من اهلها اي جمهورية في القرون الوسطى لاحوال اقتضت ذلك من تخالف بين اهل السلطان اولموت ملكها او اميرها فكانت الامور تسير بالشورى على سداد . ومن ذلك ان دولة بني مرداس بحلب لما انقضت عادت رياستها شورى في مشيختها وطاعتهم لمسلم بن قريش صاحب الموصل وكان ذلك سنة ٤٧٢ فأدار شؤونها الداخلية رجال منهم فأحسنوا السياسة وأمنت قواعد العدل واستقر الامن في نصابه .

قرأت في حائط مدرسة الفردوس هذا : (بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أنشأته ذات الستر الرفيع والحجاب المنيع عصمة الدنيا والدين ضيفة خاتون بنت السلطان الملك العادل والدة السلطان الملك العزيز بن الملك الظاهر في ايام مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب ناصر امير المؤمنين خلد الله ملكه) . وقد كتب على محرابها البديع (عمل حسان بن عفان) والغالب ان مهندس البناء شخص آخر عمره مثالاً جميلاً من عمل صنع الايدي وهو يشبه بعض المدارس الكبرى في عهد الدولة الايوبية في دمشق كالمدرسة العادلية التي جعلت اليوم دار المجمع العلمي العربي وفيها متحفه وهي مثال الهندسة العربية بواجهتها ، بناها العادل ابو بكر بن ايوب هذا البناء المحكم الذي لا نظير له في بنيان المدارس كما في الروضتين . ومدرسة الفردوس على ما يحيفها من الخراب ، وما أدخل فيها وبجانبها من البناء الذي عور به البناء الاصلي البديع ، تحتاج لقليل من العناية حتى تعود الى ما كانت عليه تذكرنا بعهد الاجداد وفضلهم علينا ، بما خلفوه لنا ولم نحسن استعماله والاحتفاظ به . وهي كما تعلمون في باب المقام ، وهناك مدارس وربط وترب دفن فيها أعاظم علماء الامة من المحدثين والفقهاء والمؤرخين والادباء في بسيط من الارض اذا تعهد يصبح حديقة غناء

وبقربها مدفن آل الشحنة مؤرخي حلب وفقهائها ، وهي الأسرة التي تسلسل فيها العلم عدة بطون كما تسلسل في القرن السادس والسابع العلم والقضاء في بيت بني العديم الحلبيين خمسة بطون ونعمت البيوت . قال ياقوت : ولاهل حلب عناية باصلاح أنفسهم وتثمير الاموال فقلما ترى من ناشئتها من لم يتقيل أخلاق آبائه في ذلك ، فلذلك كان فيها بيوتات قديمة معروفة بالثروة يتوارثونها و يحافظون على قديمهم بخلاف سائر البلدان . قال هذا اوائل القرن السابع ولا يزال الى اليوم أثره ظاهراً ولو على ضعف .

بنيت اول مدرسة في حلب سنة ٥١٧ ﻫ وهي المدرسة الزجاجية أنشأها بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار صاحب حلب ولما أراد بناءها لم يمكنه الحلبيون من ذلك اذ كان الغالب عليهم التشيع فكان جماعته يبنون في النهار والشيعة تنقض ما بنوه في الليل . وكان التشيع مستحكماً في الحلبيين فقضى عليه صلاح الدين وأسرته قضاءه عليه في مصر بقرض الدولة الفاطمية او العبيدية . وقد ذكر المؤرخون ان الدولة الفاطمية أهلكت نحو اربعة آلاف عالم من علماء المالكية مدة قرنين وقد اصاب الشام بالطبع ان صحت الرواية قسطها من هؤلاء المقتولين لتشددهم في التسنن . قال ابن خلكان ان حلب كانت قبل ان يتصل ابن شداد بخدمة الملك الظاهر قليلة المدارس وليس بها من العلماء الا النفر يسير ، فأعنى بترتيب امورها وجمع الفقهاء بها وعمرت في ايامه المدارس الكثيرة . والزجاجية هذه تولت مشيختها ومشيخة العادلية فاطمة بنت قريمزان المتوفاة سنة ٩٦٦ ﻫ انتهت اليها رياسة اهل زمانها بحلب أخذت العلم عن زوجها وهي أشبه بعائشة الباعونية في هذا القرن ايضاً بدمشق التي زينت الشام بل جملت اهل الاسلام بعلمها وأدبها .

ومن مدارس حلب النورية والعصرونية والصاحبية والظاهرية المعروفة بالسلطانية والاسدية والشعيبية والشرفية والرواحية والبدرية والزبدية والقواميسة والشادبختيه أنشأها الامير جمال الدين شادبخت نائب نورالدين محمود بحلب وولي تدريسها كمال الدين بن العديم سنة ٦١٦ وكانت حلب يومئذ أعمر ما كانت بالعلماء والمشايخ والفضلاء الرواسخ كما قال ابن شداد . وقد كانوا في القرن الذي قبله احصوا فقهاء دمشق فكانوا ستمائة فقيه ، وكان صلاح الدين رحمه الله يطلق لعلماء دولته في السنة ثلاثمائة الف دينار عدا الهبات والعطايا والاقطاعات .

ومن مدارس حلب الهروية والبلدقية والقيمرية والحلاوية والاتابكيـة والحدادية والجردكية والمقدمية والجاولية والطومانية والحسامية والخسروية والعثمانية والقليجيـة والقطيسية والجدية والكتاوية والالجائيـة والكينوشية او الكهنبوشية والكاملية واليشبكية والورمشية والسفاحية والدلغادرية والصهيبية وهذه كانت وراء باب انطاكية مباشرة قامت على انقاض اقدم جامع في حلب بناه ابو عبيدة قال سوبرنهيم الاثري ان النقوش الكثيرة والهندسة القديمة والكتابات الكوفية الموجودة في هذا الباب تجعله في الدرجة الاولى من المكانة ومنه يدرس التحول التام المجهول سره حتى الآن الذي تم على عهد نور الدين في أُسلوب الهندسة وفي صور الكتابة والطرز السياسي في الكتابات ٠

ومن مدارس حلب الاسعردية ومدرسة النقيب والدقاقية والجمالية والعلائيـة والكمالية العديمية والاتابكية والسيفية ٠ هذا ما كان فيها من مدارس الشافعيـة والحنفية وذلك عدا مدارس المالكية والحنابلة وهي قليلة وليس في تاريخ حلب ما يدل على انه كان فيها كما في دمشق دور للقرآن والحديث خاصة بل فيها دار القرآن الحبشية فقط ٠ وذكر الرحالة ابن جبير في المئة السادسة انه كان يتصل من الجانب الغربي من جامع حلب مدرسة للحنفية تناسب الجامع حسناً واتقان صنعة فهما في الحسن روضة تجاور أخرى ٠ قال وهذه المدرسة من أحفل ما شاهدناه من المدارس بناء وغرابة صنعة ، وقال ان للبلدة سوى هذه المدرسة نحواً من اربع مدارس او خمس ٠

قال السابق ابو اليمن المعري

حلب معهد الصبا والتصابي فسقاها الوسمي ثم الوليُّ
موطني بعد موطني فكأني لغرامي بحبهـا البحتريّ

الى ان قال في مدارسها

فلديهـا كل الفنون وفيها ما اشتهاه الشرعي والفلسفي
غير اني ارى الاطايب شزرا وحليف الافلاس عنها قصيّ

وفي تقويم سنة ١٣٣٣ ان عدد مدارس الشهباء كان ثنتين وثلاثين مدرسة وما نظن العامر منهـا الآن بعض الشيء يتجاوز العشرين مدرسة خربت في اوقات مختلفة ولاسيما في فتنة تيمورلنك سنة ٨٠٣ ثم في القرون التالية بالفتن وتغير الدول

والحكام وتوالي الزلازل وغفلة القائمين على اوقافها وعسى ان يعود الى هذه الدور البديعة رونقها القديم بعناية ادارة الاوقاف التي تعنى الآن باحياء الآثار وتكثير مغل الوقف ، وان هذه المدارس بل كبرياتها اذا رممت وعولجت بالاصلاح ونفذت ارادة واقفيها يصبح مجموعها أعظم جامعة اسلامية كما هو الشأن في جامعتي اكسفورد وكمبردج في بلاد الانكليز من أعظم جامعات المذهب الانجيلي وكانت من قبل مدارس من مثل هذه مفرقة بنيت في عصور مختلفة فأصبحت الآن جامعات يفاخر بها وفيها يتخرج رجال الانكليز في العلوم المختلفة .

* * *

حلب اخت دمشق في جميع أدوار تاريخنا ، وهما متشابهتان من وجوه كثيرة في مرافقها ومدارسها وعمرانها ، والمدارس كانت في دمشق على حصة موفورة لانها كانت عاصمة الدولتين النورية والصلاحية ، وقد كانت في القرن السادس على رواية ابن جبير اكثر مدن الارض سكاناً وكانت في القرن الثامن كما قال ابن تغري بردي أجمل مدينة في العالم بل اغنى مدينة ، أحرق تيمورلنك بعض مدارسها وجوامعها وغرّمها عشرة ملايين دينار وحمل معه المهندسين والبنائين والنقاشين في جملة من حمل من ارباب الصنائع الى سمرقند كما فعل السلطان سليم العثماني في مصر لما فتحها في الربع الاول من القرن العاشر فحمل الى القسطنطينية كل صاحب صنعة وعمل نافع وجدها من بدائعها وصناعاتها النفيسة .

كان في دمشق في القرن التاسع مئة حمام وحمام والف مسجد وجامع في المدينة والضاحية وقد ذكر النعيمي في كتاب الدارس من المدارس انه كان فيها سنة ٩٢٧ هـ — ٣٢٠ مدرسة للشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ودار قرآن وحديث ورباط وخانقاه ومستشفى واربع مدارس للطب ومدرسة هندسة أنشأها نجم الدين اللبودي من اهل القرن السادس ولكل مدرسة خزانة كتبها ومدرسوها في الفنون المختلفة وكانت الطبيعيات والرياضيات والفلك والادب تدرس في حُجَرها من غير نكير . دام هذا الى القرن العاشر فأخذت بالانحطاط ولم يبق منها في اوائل هذا القرن سوى بضع مدارس تلحقها

بالعامرات من باب التجوز صبرت كما قال عبداللطيف البغدادي في الاهرام على مر الازمان بل على مرها صبر الزمان فانك اذا تجرتها وجدت الاذهان الشريفة قد استهلكت فيها والعقول الصافية قد أفرغت عليها مجهودها ، والانفس المنيرة قد أفاضت عليها أشرف ما عندها لها ، والملكات الهندسية قد أخرجتها الى الفعل مثلاً هي غاية امكانها ، حتى انها تكاد تحدث عن قومها وتخبر بحالهم وتنطق عن علومهم واذهانهم وتترجم عن سيرهم واخبارهم ٠

صبرت هذه المدارس على نوائب الدهر لانها كالقلاع بضخامة بنيانها صرفت عليها الاموال الطائلة اكثر مما نتصور بكثير ٠

لا جرم ان بلاد الشام كانت عامرة في القرنين السادس والسابع اكثر من كل قرن على ما كان ناشباً من الحرب الطاحنة بين سكان البلاد والصليبيين ٠ وكثير من آثار العمران ظهرت اذذاك على غير مثال ، ولا غرو بعد هذا ان قال في دمشق ابو الفضل ابن منقذ الكناني يوم كان لها القدح المعلى في العمائر :

واذا مررت على المنازل معرضاً عنها قضى لك حسنها ان تقبلا
ان كنت لا تسطيع ان تتمثل الفـ ردوس فانظرها تكن متمثلا
واذا عنان اللحظ اطلقه الفتى لم يلق الا جنة او جدولا
او روضـة او غيضة او قبـة او بركة او ربوة او هيكلا
او وادياً او نادياً او ملعبـاً او منتزهاً او مجدلا او موئلا
او شـارعاً يزهو بربع قد غدا فيـه الرخام مجزعاً ومفصلا

ولقد وصف شيخ الربوة من القرن الثامن حلب فقال انها كانت على عهد العباسيين تضاهي بعظمتها بغداد والموصل وانه استولى عليها الخراب بايدي التتار وان اهلها يتنافسون في الملابس والهيئات والمراكب والمنازل وقال غيره ان حلب بلد تليق بالخلافة ٠

ولقد برع مهندسو العرب في هذه الديار في علم عقود الابنية وهي ما يتعرف منه احوال اوضاع الابنية وكيفية شق الانهار وتنقية القني وسد البثوق وتنضيد المساكن ولو لم يبرعوا في كيفية ايجاد الآلات الثقيلة لنقل الثقل العظيم بالقوة اليسيرة لما تمكنوا

من عمارة المدن والقلاع والمنازل والجوامع والمدارس هذا التمكن الذي تبهرنا بقاياه الضئيلة ولو كان مؤلفو التراجم يعنون باخبار المهندسين والفلكيين والرياضيين مثلاً عنايتهم بالتقاط اخبار الشعراء والمتأدبين والمتزهدين لجاءتنا منهم سلسلة طويلة ولعلمنا من اساليب تفننهم وعلومهم الشيء الكثير . ولم نطلع من هذا القبيل على اكثر من عشرة مهندسين مسلمين في قرون العمران في حلب ودمشق وضاعت تراجم الاكثر ومنهم من ظفرنا باسمائهم مزبورة على بعض المدارس في هذه الحاضرة وغيرها من مدن الشام .

ان الارتقاء الذي بلغه المهندسون في الاسلام عندنا يدهش كل مفكر وقديماً كان السوريون على عهد الفراعنة والحثيين يعتقدون ان بعض مدن ساحل الشام بناء الارباب والآلهة ثم اصبحوا يعتقدون اذا رأوا بناء عجيباً جهلوا بانيه انه من بناء سليمان او اضافوه الى الجن وقد قال البحتري في ايوان كسرى :

ليس يدرى اصنع انس لجن   سكنوه ام صنع جن لانس

وقال شيخنا ابو العلاء المعري :

وقد كان ارباب الفصاحة كلما   رأوا حسناً عدوه من صنعة الجن

اما نحن فنضيف كل بناء الى صانعه وهو مثلنا وبطولنا وحجمنا وعقلنا لكنه رزق حظاً من العلم وشدا شيئاً من ادب النفس وانفق صاحبه على بنائه عن سعة فجاء مثال الحسن والابداع .

من تأمل مدارس ارباب الخير من المسلمين في الشهباء والفيحاء وقرأ ما كتب عليها بتأمل وزارها المرة بعد المرة على تغير في معالمها ، وتشويه طرأ على محاسنها ، وفساد عرا اذواق الابناء والاحفاد اذا قيس الى مجد الاجداد ، وجعل نسبة بين عدد ما عمر منها وما بقي في البلدتين الشقيقتين ، يؤكد معنا ان الفساد استحوذ عليها في دمشق اكثر من حلب وان من تجردوا من الوجدان فاستحلوا استصفاء تلك المدارس كانوا في الفيحاء اكثر من امثالهم في الشهباء ، ولذلك كان عدد الباقي هنا اكثر واجود من حيث الكمية والكيفية من المدارس هناك .

ولا ينكر ان مادة البناء قد تختلف في بلد عن آخر وقد كان الاعتماد في تلك القرون على الحجر الصلد ، وفي دمشق عدة مقالع جميلة منوعة منه كما في حلب ، ولم يكثر الآجر والطوب والخشب الا في القرون الحديثة ولذلك لم تخرب المدارس الدمشقية لعدم متانة في بنائها فان الامثلة الظاهرة منها الى اليوم لا تجعلها تختلف في شيء عن مدارس حلب ، ولكن القائمين على هذه المدارس في هذه المدينة كانوا يعتدلون في العبث بها ومتانة الاخلاق من جملة ما امتاز به الحلبيون لجودة هوائهم يضاف اليها حب الاحتفاظ بتراث الاجداد على صورة كانت ظاهرة في قرون الارتقاء ، كامنة في عصور الشقاء والرجوع الى الوراء .

والناظر الى مدارس دمشق وحلب وهي لا تقل عن اربعمائة مدرسة منهما زهاء ثلاثمائة في دمشق يدرك انها من عمل السلاطين والعمال وقليل من التجار واهل الخير ، وكان منهم من يتوخى منها ان تكون توليتها لبنيه من بعده ليعيشوا منها اذا صودرت املاكهم . بنى قليل من التجار المدارس لان الشعب كان يفنى في اغلب العصور في كبرائه ، فلم يكن شأن في مظاهر النعمة والغبطة مدة قرون لغير باب الدولة او من كان يعد في جملتهم ، وكان سائر الناس يحاذرون ان تنشأ لهم شهرة في الثروة ، والثروة تتجلى في الدار والفرش والدابة واللباس وبذل المال لاقامة دور العلم وايواء اليتامى والمحاويج فكانوا يتظاهرون بالفقر لينجوا من مخالب العمال ولا سيما في عهد المماليك فمن بعدهم . وكانت مصادرة اموال الناس أسهل شيء على الحكومات وقتل من يريدون استصفاء ارضهم وعقارهم وعروضهم من المباحات في نظرهم . ولذلك كان ذو الغنى كثيراً ما يدفن امواله في مكان مجهول من داره ودكانه . وربما خاف من زوجه وولده فكتم عنهم ما يملك ، وقد يموت وتبقى دفينته مجهولة حتى يجيء بعد دهر طويل من ينبش الارض او الجدار ويعثر بالعرض على ما جمعه ذاك الغني المحروم .

وقلّ ان رأينا جماعة اتفقوا على إقامة عمل من هذا القبيل يفتخر به اللهم الا قليل من المساجد ، ولو فعلوا لامنت اعمال الجماعات من اعتداء المعتدين اكثر من عمل الافراد ، ولما استصفيت واستحل هدمها او تغيير خططها ومعالمها من لا يخافون الله ولا عباده ، ولجاءت ممثلة للعظمة الحقيقية في الامة ، على نحو ما قامت البيع والاديار والمدارس في القرون

الوسطى بالغرب ، بارشاد رجال الدين من كرادلة واساقفة وقساوسة ، فكانوا يجمعون قليلاً من صدقات الملوك والاغنياء والفرسان والشعب ، فيجيء مجموعها عظيماً يدار بايدي هيئة منظمة على كل حال ، ويخططون خطة لا يخرج عنها الخلف الا قليلاً ٠ وقد بدأ المسلمون في هذا القطر بانشاء مدارسهم في القرن السادس وانتهوا في القرن التاسع فجاء بعدهم من ينسفها واحدة تلو الاخرى فتداعت واكلوا اوقافها فأخرجوها عن الغاية الشريفة التي وضعت لها ٠

مدارس آيات خلت من تلاوة   ومنزل وحي مقفر العرصات

نعم عمروها في ثلاثة قرون فعجز المخربون عن تخريبها في اربعة ، ولولم تكن اكثرها من مال محلل مشروع قصد بها وجه الله وجلب الخير المحض للامة ، ولو لم تكن بلغت الغاية في إحكام الهندسة ومتانة العمارة ، ولو لم يزبروا على الحجر في الاكثر ما وقفوه عليها من الاوقاف الكثيرة ويدونوه في سجلات مخلدة يتعذر تبديلها ، لما طال عمرها كل هذه المدة وقد تعاورت عليها المصائب السماوية والارضية والمصائب الارضية أدهى وأمرّ ٠

فإذا كان هذا حظ المدارس والجوامع فما بالك بغيرها من المصانع ٠ وكم ادركنا وادرك آباؤنا واجدادنا في هذه الديار من أثر بديع سطت عليه يد خرقاء لنسل حجارته ٠ وكم من كتابة تاريخية عفي اثرها وقطعت ووضعت في اساس الميضآت جهلاً وغباوة او عن قصد وعمد ٠ ولطالما ذكرنا والمعاول تهدم في العمائر المدهشة في قطرنا المحبوب ما قاله القاضي ابو يعلى المعري وقد اجتاز ببلدة شيات ظاهر معرة النعمان والناس ينقضون بنيانها ليعمروا بها موضعاً آخر فقال :

مررت برسم في شياتَ فراعني   به زجل الاحجار تحت المعاول
تناولها عبل الذراع كأنما   رمى الدهر فيما بينهم حرب وائل
اتتلفها شلت يمينك خلها   لمعتبر او زائر او مسائل
منازل قوم حدثتنا حديثهم   ولم ار احلى من حديث المنازل

للاثر القديم من الوقع في النفس ما ليس للاثر الحديث ، فإن الاول يذكر بامور

كثيرة . يذكر بمجد السلف واياديهم البيضاء وارادتهم الصحيحة ، يذكرنا بان فلاناً الذي تحترمه الامة بنى ذاك المصنع وتلك الدار ، وان فلاناً العالم درس هنـاك او كان يألف المكان الفلاني . وكم من أثر تاريخي او مصنع من مصانعنا نمر به دون ان نحفل بما فيه من عبر ولو كنا على شيء من مدنية أجدادنا مازهدنا هذا الزهد البشع في تراثهم، ولواقتبسنا المدنية الحديثة بمحاسنها ومساويها لرأيتنا أسرع الى التقـاط آثار الجدود والاحتفاظ بها من الماء الى الحدور . لا تستطيع امة ان تقطع الصلة بينها وبين ماضيها خصوصاً اذا كانت ذات غابر عظيم كغابر الامة العربية قام على أساس متين ، وتقاليد جميلة ، ومقدسات متسلسلة ، اما ونحن لا نرقى بدون القديم والاخذ من نافع الحديث ، فواجب العقلاء ان يفكروا في أقرب الطرق الى بلوغ هذه الغاية وهذا لا يتم بغير احياء دور العلم ومعاهد الفضل ، واحياؤها موقوف على قليل من العناية .

ليس للمدرسة الحديثة التي ننشئها اليوم تلك النضارة ، ولا تتجلى فيها معاني الحسن والاحسان التي نشعر بها ونكاد نلمسها في المعاهد القديمة ، مثل مدرسة ضيفة خاتون رحمها الله فانك اذا رأيتها تمثلت أمامك صفحة من صفحات تاريخ هذه الامة المجيد . تمثلت بيت بني أيوب وأفضالهم على ربوع الشام ، وكفى بهم وبصلاح الدين من حسنة عقم الدهر ان يلد مثلها . كثير من المصانع بناها الملوك بالسخرة وارهاق الرعية ، وإعنات الاسرى والمعتقلين ، ولم نقرأ في تاريخ ان احداً من آل البيت الصلاحي عمَّر مدرسة او جامعاً او مستشفى او رباطاً من مال مشبوه ، اوسخرة ممقوتة ، فأكرم وانعم بكل فرد أصيلاً كان في هذا البيت الشريف او دخيلاً عليه .

أيها السادة : ان بلاد الشام من عريشها الى فراتها ومن جبال طوروس اوالدروب الى البادية مملوءة بآثار مختلفـة وعاديات مدهشة بقيت من عهد الحثيين والكنعانيين والسريان والرومان واليونان والعرب والفرس وغيرهم من الامم العظيمة ، منها ما هو تحت الارض ومنها ما هو فوق الارض ، اذا حافظ كل واحد منا على ما تطول اليه يده، وعُنيت الحكومة بالاشراف عليها إشرافاً حقيقياً ، كما فعلت مصر وتونس مثلاً ، يستفيد القطر الشامي بعد مدة زيادة على استفادته المعنوية من هذه العاديات استفادة مادية . تصبح بلادنا بلاشك متحفاً كبيراً يؤمه السياح لرؤية آثارها ومصانعها . وليست آثارنا عبارة

عن المشهور منها فقط أي البتراء او وادي موسي وجرش وبعلبك وتدمر وغيرها . ان آثارنا مبعثرة في كل مدينة ، ماثلة في كل قرية ، اذا أحسنا تعهدها وأصلحنا ماتداعى منها ، استفدنا منها فاستخدمناها فيما أُنشئت له وضممنا بها شملنا ، وحافظنا بها على مقدساتنا ، وكانت مجلبة الغريب الى ديارنا للربح . قال سوبرنهيم : ان عدداً عظيماً من مصانع حلب يرد الى زمن المماليك والعثمانيين وماعدا الجوامع الكثيرة مثل جامع الاطروش والطونبغا والطواشي ومناراتها المختلفة الهندسة — وبفضلها تذكّر حلب بصورة القاهرة في هذا المعنى — فان حلب قد احتفظت بالمستشفى الجميل الذي بناه ارغون سنة ٧٥٥ وبكثير من المخازن والخانات والحمامات والدور والسلسبيلات وفي هذا المستشفى افاريز ونقوش من أجمل مانقش النقاشون تزينه فتجعله بهجة للناظرين ، ومدينة حلب غنية بمصانعها الجيدة الهندسة ومنها العسكري والديني والمدني وكلها مما زبر عليها من الكتابات مادة واسعة لمن يريد ان يتصور اصول الهندسة لا في حلب فقط بل في شمالي سورية . وذكر الاثريون ان منارة جامع حلب من أفضل آثار الهندسة الاسلامية .

عمر أهل الخيرات من سلف هذه الامة هذا القدر العظيم الذي نعجب به من معاهد التعليم الديني دع المساجد والجوامع ، ولو كتب البقاء لبعضها لاغنت القوم بمعارفها ونشرت النور بينهم . وكانت المدارس والجوامع في تلك القرون المظلمة في الغرب وهي مستنيرة في هذا الشرق والمتكفلة بتعليم الناس واخراجهم من الاميّة ، وكان لمعظم المدارس والجوامع كتاتيب مرتبطة بها وخارجة عنها لتعليم الاطفال تؤهلهم لتلقي دروس المدارس والجوامع ، ولا نغالي اذا قلنا ان عدد الأميين كان في تلك العصور أقلّ مما هو الآن في هذه الديار ، ولو اطرد العمل اطراده في مدارس الغرب مثلاً لاصبحنا في هذا القرن والأميون أقل مما هم في بلاد المدنية الحديثة .

ولكن الجهل قضي على تلك المدارس واكل المتولون أوقافها فخربت وتغيرت معالمها . وكم من وقف اليوم يستمتع به النظار عليه ويصرفون ما وقف على الخير على شهواتهم بدون محاسب من ذممهم ولا رقيب من أصحاب السلطان ، لو كتب لهم ان يأكلوا منها بالمعروف ويصرفوا حقوق تلك المعاهد او بعض مغلها على رمّها واجراء الرزق على ساكنيها والدارسين فيها لأتت بثمرات جنية ، ولما اكلوا في بطونهم النار

وركبوا متن العار والشنار . وكم من بيت كان موسوماً في القديم بالعلم والتقى خلف من بعد السلف خلف عبثوا بالحرمات : استحلوا أموال المدارس والمعابد ، فدثر البيت وانقرضت الأسرة،وذهبوا وما يملكون جملة ، لم يُرحموا لانهم لم يَرحموا . ضبطت الحكومة السابقة اكثر اوقاف الملوك والسلاطين وكان ريعها كثيراً جداً في هذه البلاد فلم تصرفها فيما خصصت له ، ولم تنجح في الغاية التي توختها منها، واستقل بعض ارباب النفوذ بالاوقاف التي اؤتمنوا عليها او انتهت اليهم بحكم الوراثة فأساؤا الاستعمال الا من عصم الله . فالسبب اذاً في خراب مدارسنا الجميلة سوء ادارة الحكومات السالفة وعبث المتولين عليها ، واخراجها عما وضعت له من عمل الخير بصنع اولئك الذين يعدون انفسهم في جملة حماة هذا المجتمع وهم اعدى عداته .

أخبار الحمقى والمغفلين

لابي الفرج بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ زهاء مئة مصنف في القرآن والفقه والحديث والطب والتاريخ والسير والتراجم والجغرافية والوعظ والتصوف واللغـة . ومن جملة تآليفه كتاب الاذكياء المطبوع وكتاب أخبار الحمقى والمغفلين المخطوط . ومن هذا السفر الاخير فيما نعلم ثلاث نسخ مخطوطة الاولى في خزانة كتب المدينة المنورة والثانية في باريز والثالثة في برلين وهذه النسخة الرابعة دخلت المجمع العلمي في جملة ما أهدي اليه من المخطوطات . ونسختنا هذه من قطع الربع وقعت في ١٠٤ ورقات جميلة الخط يغلب التحريف عليها ولم يعلم زمن نسخها والغالب انه كان في القرن الحادي عشر بدليل انه كتب على طرتها (صار في حيز المفتقر لفضل فيض ربه .. عمر بن عبد الرحمن القاري في سنة ١١٢٧) وهي كاملة من الاول والآخر الا ان الكاتب سها في الورقة الخامسة والخمسين فلم يكمل الكلام في صفحة القفا وانتقل الى الورقة السادسة والخمسين ثم انتبه وكتب بخطه في الصفحة التي تركها بيضاء (البياض سهو) .

بدأ المؤلف كتابه بقوله بعد البسملة : « قال الشيخ الامام جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي محمد بن علي الجوزي الحمد لله الذي أعطى الانام جزيلا ، وقبل من الشكر قليلا ، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا ، وصلى الله على سيدنا محمد الذي لم يجعل له من جنسه عديلا ، وعلى آله وصحبه بكرة وأصيلا . وبعد فاني لما شرعت في جمع أخبار الاذكياء وذكرت بعض المنقول عنهم ليكون مثالاً يحتذى ، لان أخبار الشجعان تعلم الشجاعة ، آثرت ان أجمع أخبار الحمقى والمغفلين لثلاثة اشياء ، الاول ان العاقل اذا سمع أخبارهم عرف قدر ما وهب له مما حرموه فحثه ذلك على الشكر .... الى ان قال . والثاني ان ذكر المغفلين يحث المستيقظ على اتقاء أسباب الغفلة ، اذا كان داخلاً تحت الكسب ، وعامله فيه بالرياضة ، واما اذا كانت الغفلة مجبولة في الطباع فانها لا تكاد تقبل التغيير . والثالث ان يروح الانسان قلبه بالنظر في سير هؤلاء المبخوسين حظوظهم يوم القسمة ، فان النفس قد تمل من الدؤوب في

الجد ، وترتاح الى بعض المباح من اللهو ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحنظلة ساعةً وساعة ...»

وأخذ في الفصل الاول بنقل عبارات لبعض الحكماء والصحابة في جواز الاحماض، نقلها على عادة المحدثين بالرواية المتسلسلة مما قد يورث الكلام بذلك شيئاً من التطويل منها قول الخليفة الرابع ان هذه القلوب تملّ كما تمل الأبدان فالتمسوا لها من الحكمة طرفا . وقال أسامة بن زيد : روّحوا القلوب تعي الذكر . وقال الحسن : ان هذه القلوب تحيى وتموت فاذا حييت فاحملوها على النافلة ، واذا ماتت فاحملوها على الفريضة . وقال ابو الدرداء : اني لاستجم نفسي ببعض الباطل كراهية ان احمل عليها من الحق ما يُملّها . وكان ابن عباس اذا جلس مع أصحابه حدثهم ساعة ثم قال : حمضونا فيأخذ في أحاديث العرب ثم يعود يفعل ذلك مراراً . وكان رجل يقول لاصحابه : هاتوا من أشعاركم هاتوا من حديثكم ، فان الاذن مجة والقلب حمض . وكان الزهري يحدث ثم يقول : هاتوا من ظرفكم هاتوا من أشعاركم أفيضوا في بعض مايخف عليكم ، وتأنس به طباعكم ، فان الاذن مجاجة والقلب ذو تقلب .

قال المؤلف : وما زال العلماء والافاضل يعجبهم الملح و يهشون لها : لانها تجمّ النفس ، وتريح القلب من كد الفكر ، وقد كان شعبة يحدث فاذا رأى المريد النحوي قال انه ابو زيد :

استعجمت دار نعم ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات اخبار

وقد روينا عن ابن عائشة احاديث ملاحاً في بعضها رَفث ، وان رجلاً قال له : يأتي من مثلك هذا فقال له : ويحك اما ترى أسانيدها ما احد ممن رويت عنه الا هو افضل من جميع اهل زماننا ، ولكنكم ممن قبح باطنه فرأى ظاهره ، وان باطن القوم فوق ظاهرهم . ووصف رجل من النساك عند عبد الله بن عائشة فقالوا : هو جدٌ كله فقال : لقد أضاق على نفسه المرعى ، وقصر لها طول النهى ، ولو فكهها من الانتقال من حال الى حال لنفس عنها ضيق العقدة ، وراجع الجد بنشاط وجده . وروى قول الرشيد : النوادر تشحذ الاذهان ، وتفتق الآذان .

ثم قال : فقد بان ممن ذكرنا ان نفوس العلماء تسرح في منهاج اللهو الذي يكسبها نشاطاً للجد ، فكأنها من الجد لم تزل قال ابو فراس :

أروّح القلب ببعض الهزل تجاهلاً مني بغير جهل
امزح فيه مزح اهل الفضل والمزح أحياناً جلاء العقل

وقد قسم كتابه اربعة وعشرين باباً وهذه تراجمها : الباب الاول في ذكر الحماقة ومعناها . الباب الثاني في بيان ان الحمق غريزة . الباب الثالث في ذكر اختلاف الناس في الحمق . الباب الرابع في ذكر اسماء الاحمق . الباب الخامس في ذكر صفات الاحمق . الباب السادس في التحذير من صحبة الاحمق . الباب السابع في ضرب العرب المثل بمن عرف حمقه . الباب الثامن في ذكر اخبار من ضرب المثل بحمقه وتغفيله . الباب التاسع في ذكر جماعة من العقلاء صدر عنهم فعل الحمقى . الباب العاشر في ذكر المغفلين من القراء . الباب الحادي عشر في المغفلين من رواة الحديث وتصحيفه . الباب الثاني عشر في ذكر المغفلين من القضاة . الباب الثالث عشر في ذكر المغفلين من الامراء والولاة . الباب الرابع عشر في ذكر المغفلين من الكتاب والحجاب . الباب الخامس عشر في المغفلين من المؤذنين . الباب السادس عشر في المغفلين من الائمة . الباب السابع عشر في المغفلين من الأعراب . الباب الثامن عشر في من قصد الفصاحة والاعراب من المغفلين . الباب التاسع عشر في من قال شعراً من المغفلين . الباب العشرون في المغفلين من القصاص . الباب الحادي والعشرون في المغفلين المتزهدين . الباب الثاني والعشرون في ذكر المغفلين من المعلمين . الباب الثالث والعشرون في المغفلين من الحاكة . الباب الرابع والعشرون في المغفلين على الاطلاق .

وقد أورد في اكثر الابواب ملحاً ونوادر تتعلق بالباب وتناسبه تروّح الروح ، وتضحك العبوس ، وكلهم مجمعون على ان داء الحماقة متعذر علاجه وانه غريزة . قال ابو يوسف القاضي : ثلاث صدّق باثنتين ولا تصدق بواحدة ان قيل لك ان رجلاً كان معك فتوارى خلف حائط فمات فصدق ، وان قيل لك ان رجلاً فقيراً خرج الى بلد فاستفاد مالاً فصدق ، وان قيل لك ان أحمق خرج الى بلد فاستفاد عقلاً

فلا تصدق . قال الاوزاعي : بلغني انه قيل لعيسى بن مريم عليه السلام يا روح الله انك تحيي الموتى قال : نعم باذن الله قيل وتبرئ الاكمه قال : نعم باذن الله قيل فما دواء الحمق قال : هذا الذي أعياني . وقال جعفر بن محمد : الادب عند الاحمق كالماء في اصول الحنظل كلما ازداد ريّا زاد مرارة .

ومما رواه في صفات الاحمق ما قاله بعض الحكماء : الحمق مماد اللحية فمن طالت لحيته كثر حمقه . ورأى بعض الناس رجلاً لحيته طويلة فقال : والله لو خرجت هذه من نهر لبيس . وقال الاحنف بن قيس : اذا رأيت الرجل عظيم الهامة طويل اللحية فاحكموا عليه بالرقاعة ولو كان أمية بن عبد شمس . وقال معاوية لرجل عتب عليه : كفانا في الشهادة عليك في حماقتك ، وسخافة عقلك ، ما نراه من طول لحيتك . وقال عبد الملك بن مروان : من طالت لحيته فهو كوسج في عقله ، وقال غيره : من قصرت قامته ، وصغرت هامته ، وطالت لحيته ، لحقيقاً على المسلمين ان يعزوه في عقله . وقال زياد بن ابيه : ما زادت لحية رجل على قبضة الا كان ما زاد فيها نقصاً من عقله . قال بعض الشعراء :

اذا عرضت للفتى لحيته وطالت فصارت الى سرته
فنقصان عقل الفتى عندنا بمقدار ما زاد في لحيته

وانشدوا : اتق الاحمق ان تصحبه انما الاحمق كالثوب الخَلَق
كلما رقعت منه جانباً خرقته الريح وهنا فانخرق
او كصدع في زجاج فاحش هل ترى صدع زجاج يرتتق
كحمار السوء ان أقضمته رمح الناس وان جاع نهق
او غلام السوء ان أشبعته سرق الناس وان يشبع فسق
واذا عاتبته كي يرعوي أفسد المجلس منه بالخرق

وذكر المؤلف اسماء كثير من الحمقى والمغفلين ، ومما قاله : ان جحى (الذي يقول بعضهم انه « نصري خوجه » دفين آقشهر في الاناضول وليس به بالنظر لبعد عصرهما) وجحى كان عربياً في بلاد العرب قال : ان جحى يكنى ابو الغصن وقد روي عنه ما يدل على فطنةٍ وذكاء ، الا ان الغالب عليه التغفل ، وقد قيل ان بعض

من كان يعادية وضع له حكايات · والله أعلم · قال سمعت بكر بن محمد الصوفي يقول : سمعت عبد الصمد بن الفضل البلخي يقول: سمعت مكي بن ابراهيم يقول: رأيت جحى رجلاً كيساً ظريفاً ، وهذا الذي يقال عنه مكذوب عليه ، وكان له جيران مخنثون يمازحهم ويمازحونه فوضعوا عليه · أخبرنا صهيب بن عباد قال حدثنا ابو بكر الكلبي قال : خرجت من البصرة فلما قدمت الكوفة اذا انا بشيخ جالس في الشمس فقلت : يا شيخ منزل الحكم فقال لي وراك ، فرجعت الى خلفي فقال يا سبحان الله اقول لك وراك وترجع الى خلفك ·

وذكر له بعض قصص منها ما هو شائع في نوادر جحى على ما نذكر وقال : وجمهور ما يروي عن جحى تغفيل نذكره كما سمعناه ، ومما رواه له ان المهدي أحضر جحى ليمزح معه فدعا بالنطع والسيف فلما أُقعد في النطع قال للسياف : انظر لا تصب محاجمي فاني قد احتجمت · وقال له رجل : أتحسن الحساب باصابعك قال نعم : قال خذ جريبين حنطة فعقد الخنصر والبنصر فقال له : خذ جريبين شعير فعقد السبابة والابهام وأقام الوسطى فقال الرجل: لمَ أقمت الوسطى قال: لئلا يختلط الحنطة بالشعير ·

ومنهم « مزيد » قيل له ان فلاناً الحفار قد مات فقال ابعده الله من حفر حفرة سوء وقع فيها · وقال مزيد لرجل : أيسرّك ان تعطى الف درهم وتسقط من فوق البيت قال : لا ، قال : مزيد وددت انها لي وأسقط من فوق الثريا · فقال له الرجل : ويلك فاذا سقطت مت ، قال : وما يدريك لعلي سقطت في التبانين او على فرش زبيدة ·

ومنهم « أزهر الحمار » قدم على الامير عمرو رسول من عند السلطان فأحضر مائدته فقال لازهر جملنا بسكوتك اليوم فسكت طويلاً ثم لم يصبر فقال : بنيت في القرية برجاً ارتفاعه الف خطوة فأومأ اليه حاجبه ان اسكت ، فقال له الرسول : في عرض كم قال : في عرض خطوة · فقال له الرسول : ما كان ارتفاعه الف خطوة لايكفي عرضه خطوة · قال : أردت ان أزيد فيه فمنعني هذا الواقف · وقدم رسول آخر فقيل لازهر : لا تتكلم اليوم فسكت ساعة فعطس الرسول فأراد ازهر ان يشمّته فيقول : يرحمك الله فقال صبحك الله فقال الامير : أليس قد تقدمت اليك ان

لا تتكلم فقال : اردت ان لا يرجع الرسول الى بغداد فيقول : ان هؤلاء لا يعرفون العربية ·

ومنهم « ابومحمد جامع الصيدلاني » مضى الى السوق ليشتري لابنه نعلاً فقيل له : كم سنه · فقال : لا أدري ولكنه ولد اول ما جاء العنب الداراني · ومحمد ابني استودعه الله اكبر منه بشهرين ونصف سنة · وكانت له ابنة فقيل له : كم سنها فقال : ما أدري الا انها ولدت ايام البراغيث ·

ومنهم « ابو عبد بن الحصاص » دخل يوماً على ابن الفرات الوزير الخاقاني وفي يده بطيخة كافور فأراد ان يعطيها الوزير ويبصق في دجلة فبصق في وجه الوزير ورمى بالبطيخة في دجلة فارتاع الوزير وانزعج ابن الحصاص وتحير وقال : والله العظيم لقد أخطأت وغلطت أردت ان ابصق في وجهك وارمي بالبطيخة في دجلة فقال له الوزير : كذلك فعلت يا جاهل · فغلط في الاعتذار وأخطأ في الفعل · ونظر في المرآة فقال : اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وسودها يوم تسود وجوه · وكسر يوماً لوزاً فطارت لوزة فقال : لا اله الا الله كل شيء يهرب من الموت حتى البهائم · وكان ابن الحصاص يسبح كل يوم فيقول : نعوذ بالله من نعمه ونتوب اليه من احسانه ونستقيله من عافيته ونسأله عوائق الامور حسبي الله وأنبياؤه والملائكة الكرام اللهم أدخلنا من دعائه في بركة القصور على قبورهم والبيع والثغور والكنائس سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله · وذكر محمد بن احمد الترمذي قال : كنت عند الزجاج اعزيه بامه وعنده الخلق من الرؤساء والكتاب اذ أقبل ابن الحصاص فدخل ضاحكاً وهو يقول : الحمد لله قد سرني والله يا ابا اسحق ، فدهش الزجاج ومن حضر ، وقيل له : يا هذا كيف سرّك ما غمه وغمنا فقال : ويحك بلغني انه هو الذي مات فلما صح عندي انها هي التي ماتت سرني فضحك الناس جميعاً · وكتب ابن الحصاص الى وكيل له يحمل اليه مائة مناً قطناً فلما حلجها خرج منها ربع الوزن فكتب الى الوكيل لم يحصل من هذا القطن الا خمسة وعشرون مناً فلا تزرع بعد هذا الا قطناً محلوجاً وشيئاً من الصوف ايضاً ·

ولكن ابن الحصاص كان يتعمد البلاهة وليست به ، وكان من كبار الاغنياء

وار باب النعمة ، حدث المؤلف عن محمد بن عبد الباقي عن علي بن ابي علي التنوخي عن ابيه قال : اجتمعت ببغداد سنة ست وخمسين وثلاثمائة مع ابي علي بن ابي عبدالله ابن الجصاص فرأيته شيئاً حسناً طيب المحاضرة فسألته عن الحكايات التي تنسب الى ابيه مثل قوله خلف الامام حين قرأ ولا الضالين فقال : إي لعمري بدلاً عن آمين ومثل قوله : اراد ان يقبل رأس الوزير فقال : أفيه دهن فقال : لو كان في رأس الوزير خ · لقبلته ومثل قوله : وقد وصف مصحفاً بالعتق فقال : كسروي فقال : اما لعمري ، ونحو هذا فكذب ، وما كان فيه سلامة يخرجه الى هذا ، وما كان الا من ادهى الناس ، ولكنه مطلق يحضره الوزراء قريباً ؟ ومما يحكى عنه لسلامة طبع كان فيه ولانه كان يحب تصوير نفسه عندهم بصورة الأبله ليأمنه الوزراء لكثرة خلواته بالخلفاء ، فيسلم عليهم وأنا أحدثك عنه حديثاً حدثنا به تعلم معه انه كان في غاية العزم فانه حدثني قال : ان ابالحسن بن الفرات لما ولي قصدني قصداً قبيحاً فأنفذ العمال الى ضياعي وامر بقبض معاملاتي وبسط لسانه بثلبي وتنقصني في مجلسه فدخلت عليه يوماً داره فسمعت حاجبه يقول : وقد رأيت : اي بيت مال يمشي على وجه الارض ليس من يأخذه فقلت : ان هذا من كلام صاحبه واني مسلوب ، وكان عندي في ذلك الوقت سبعة آلاف الف دينار وجوهر ، سوى ما يحتوي عليه ملكي · فسهرت ليلتي أفكر في امري معه ، فوقع لي الرأي في الثلث الاخير فركبت الى داره في الحال فوجدت الابواب مغلقة فطرقتها فقال : البوابون من هذا فقلت : أبن الجصاص فقالوا : ليس هذا وقت وصول والوزير نائم فقلت : عرفوا الحجاب اني حضرت في مهم فعرفوهم فخرج اليّ احدهم فقال : انه الى الساعة ينتبه فيجلس فقلت : الامر اهمُّ من ذلك فأنبهه وعرفه عني هذا ، فدخل وأبطأ ساعة ثم خرج وادخلني الى دار حتى انتهيت الى مرقده وهو جالس على سرير له وحواليه نحو خمسين فراشاً وغلمان كأنهم حفظة وهو مرتاع ، قد ظن انحادثة حدثت واني جئته برسالة الخليفة وهو متوقع لما اورده فرفعني وقال : ما الذي جاء بك في هذا الوقت ، هل حدثت حادثة او معك من الخليفة رسالة قلت : خير ما حدثت حادثة ولا معي رسالة ولا جئت الا في امر يخصني ويخص الوزير ولم تصلح مفاوضته فيه الا على خلوة فسكن

وقال : لمن حوله انصرفوا فمضوا وقال : هات قلت : ايها الوزير انك قصدتني اقبح قصد ، وشرعت في هلاكي ، وازالة نعمتي ، وخروج نفسي ، وليس عن النفس عوض ، ولعمري اني اسأت في خدمتك وقد كان في هذا التقويم بلاغ وجلّ عندي وقد اجتهدت في اصلاحك بكل ما اقدر عليه وابيت الا الاقامة عليّ ، اذاً وليس شيءٌ اضعف في الدنيا من السنور ، واذا عوينت في دكان البقال وظفر صاحبها بها ولزّها الى زاوية ليخنقها ، وثبت عليه فخدشت وجهه وبدنه ، ومزقت ثيابه ، وطلبت الحياة بكل ما يمكنها ، وقد وجدت نفسي معك في هذه الصورة ، ولست اضعف من السنور بطشاً ، وقد جعلت هذا الكلام عذراً بيناً فان نزلت تحت حكمي في الصلح والا عليّ وعليّ . وحلفت ايماناً مغلظة لاقصدن الخليفة الساعة ولاحولن اليه من جوانبي الفي الف دينار عيناً وورقاً ولا اصبح الا وهي عنده وانت تعلم قدرتي عليها واقول : خذ هذا المال وسلم ابن الفرات الى فلان واستوزره واذكر له اقرب من يقع في نفسي انه يجيب الى تقليده ممن له وجه مقبول ، ولسان عذب ، وحظ حسن ، ولا اعتمد الا على بعض كتابك فانه لا يفرق بينك وبينهم اذا رأى المال حاضراً ، فيسلمك في الحال ويراني المتقلد بعين من اخذه وهو صغير ، فجعله وزير وغرّم عليه لهذا المال الكثير فيخدمني ويتدبر برأيي وأُسلمك اليه ويفرغ عليك العذاب حتى يأخذ الالفي الف دينار منك باسرها ، وان تعلم ان حالك بي بهذا ، ولكنك تفتقر بعدها ويرجع المال اليّ ، ولا يذهب مني شيءٌ واكون قد اهلكت عدوي ، وشفيت غيظي ، واسترجعت مالي ، وصفت نعمتي ، وزاد محلي ، بصيرني وزيراً ، وبتقليدي وزيراً .

فلما سمع هذا الكلام سقط في يده وقال : يا عدو الله اوتستحل هذا قلت : لست عدو الله بل عدو الله من استحل مني هذا الذي أُخرجني الى الفكر في مثل هذا ، ولم لا استحل مكروه من اراد هلاكي ، وزوال نعمتي ، فقال : او ايش ، فقلت : وتحلف الساعة بما استحلفك به من الايمان المغلظة انك تكون لي لا عليّ في صغير امري وكبيره ولا تنقص لي رسماً ولا تغير لي معاملة ، ولا تدسس عليّ الكاره ، ولا تشر لي في سوءٍ ابداً ظاهراً ولا باطناً فقال : وتحلف انت ايضاً لي بمثل هذا اليمين ، على جميل النية ، وحسن الطاعة والمؤازرة ، فقلت : افعل فقال : لعنك الله ما انت الا ابليس

والله لقد سحرتني واستدعى دواة وعملنا نسخة بمين فأحلفني اولاً بها ثم حلفت له ، فلما اردت القيام قال : يا ابا عبد الله لقد عظمت في نفسي ، وخففت ثقلاً عني ، والله ما كان المقتدر يفرق بين كفايتي ، وبين أخس كتابي ، مع المال الحاضر ، فليكن ما حضر مطوياً فقلت : سبحان الله فقال اذا كان غداً فصر الى المجلس لتر ما أعاملك به ، فنهضت فقال يا غلمان بأسركم بين يدي ابي عبدالله فخرج بين يدي نحو مائتي غلام وعدت الى داري ولما طلع الفجر واسترحت وجئته في المجلس فعرفني الذين كانوا بحضرته ما جرى من التفريط التام ، وعاملني بما شاهده الحاضرون وامر بانشاء الكتب الى عمال النواحي باعزازي واعزاز وكلائي وعمالي ، وصيانة اسبابي وضياعي ، فشكرت الله وقمت فقال : يا غلمان بين يديه فخرج الحجاب يجردون سيوفهم بين يدي ، والناس يتعجبون : ولم يعلم احد سبب ذلك ، فما حدثت بذلك الا بعد القبض عليه . قال لي ابو علي هل هذا فعل من يحكى عنه تلك الحكايات قلت : لا . وقد حكى التنوخي ان ابن الحصاص صودر في ايام المقتدر فارتفعت مصادرته سوى ما بقي له من الظاهر وكانت ستة آلاف الف دينار اه .

هذه جمل جميلة من اخبار الحمقى والمغفلين وانت ترى ان منهم من كانوا يتحامقون او يتباهلون لنكتة او خشية نكبة وأخبارهم مهمة لان منها ما يفيد في وصف الحالة الاجتماعية والادبية في عصرهم وسنعود في طريد هذه المجلة الى اقتطاف شيء من اخبارهم نقصد منها حكمة وقد تقع الحكمة للابله والاحمق كما تقع للمجنون وقديماً ألف في عقلاء المجانين الحسن بن حبيب النيسابوري وابن ابي الدنيا وابن لقمان وسهل بن علي البغدادي (راجع م ٢ من مجلة المقتبس ص٣٦) فان ألف ابو الفرج بن الجوزي كتاب الحمقى والمغفلين فقد ألف كتاب الاذكياء وذلك حتى لا تضيع اخبار الناس على اختلاف طبقاتهم ويكون من كتبهم عظات بالغات واحماض مستملح .

محمد كرد علي

تصحيح نهاية الارب

(نهاية الارب في فنون الادب) — لشهاب الدين احمد بن عبدالوهاب النويري من أنفس كتب الادب العربي · وأغزرها مادة · وأجزلها عائدة · وهو لعمري جدير بان يسمى (دائرة معارف الآداب العربية) لانه اخذ بنواصيها · وأحاط بنواحيها · وتتبع مسائلها الى أقاصيها · وكان كل من عرف بخبر هذا الكتاب من عشاق الكتب العربية القديمة تمنى لو يُكشف عن معدنه · ويستخرج من مكنه · حتى قيض الله له (إدارة مطبعة الكتب المصرية) فتوفرت على العناية بطبعه ونشره فاستحقت بصنيعها الشكر والأجر ·

ولقد طبعت منه الى اليوم خمسة اجزاء · فجاءت متينة الورق · حسنة الحرف · مضبوطة بالشكل في كثير من كلماتها ·

أتيح لي مطالعة الاجزاء الاربعة من هذا الكتاب وقد مر بي في الجزء الاول منها بعض أغلاط فكنت أبادر الى تصليحها على هامش نسختي ثم انتبهت الى ان شأن هذا الكتاب ليس كشأن كتب الادب الأخرى · التي تنشرها المطابع نثرا · بل ان له منزلة خاصة تستدعي العناية بتصحيحه · وإماطة الرغوة عن صريحه · فرأيت ان اخدم قرّاءه ومن اقتنى نسخة منه وهم كثيرون — بتتبع اغلاطه · وان اجمعها على حدة مرتبة بحسب الصفحات والاسطر ثم اعمل على نشرها في مجلة المجمع · وهكذا اتممت الجزء الاول والثاني · واحصيتُ ما فطنت له من أغلاطها فكانت نحو الستين في كلا الجزئين · والذي يظهر ان معظم الاغلاط ثابت في اصل النسخة المخطوطة فلم ينتبه المصحح اليه · وبعضها ما يسمى (غلطاً مطبعياً) · وليس هذا بالامر المهم في جنب كثرة الصواب والصحة فإن وجود ثلاثين هفوة في نحو (٤٠٠) صفحة مما لا يمكن التحرّز منه · ولا يلام مصحح الكتاب على الذهول عنه ·

اما الجزآن الثالث والرابع فان الحال فيهما قد اختلف عن الجزئين الاولين كل الاختلاف اذ كانت آثار الاهمال بادية في معظم صفحاتهما حتى تجاوزت في الجزء الثالث نحو (١٥٠) وفي الرابع نحو (٨٠) ولم أطالع الجزء الخامس بعدُ لأرى منزلته بالنسبة الى إخوته ·

وها انا ذا انشر في هذا الجزء من المجلة اغلاط الجزء الاول ثم انشر في الاجزاء التالية

اغلاط الاجزاء الاخرى . وهناك جمل وعبارات غامضة المعنى وقع في خلدي ان فيها تحريفاً او تصحيفاً لكنني لم اهتد الى وجه الصواب فيها فأهملتُ التعرض لها في تصحيحاتي هذه . بيد اني جمعت او أشرت الى طائفة منها على ظهر نسختي مستأنياً فيها أخاً من الفضلاء يُعينني على كشف عمّاها . وحلّ معماها . فأكون له من الشاكرين .

* * *

جاء في ص ٢٧ س ٩ (والمياه وامدادها) صوابه وأعدادها جمع (عِدّ) بالكسر وهو الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع . هذا هو الصواب والا تكرر مع ما بعده ومثله في ص ٢١٢ س ١٣ (كثير الأمداد والثلوج) صوابه الأعداد .

وفي ص ٣٤ س ٦ (شمال ومُرزم) قال مصحح الكتاب المرزم (وضبطه كمكرم) الثابت القائم على الارض اه . وصوابه مِرزم كمنبر اسم لنوء بارد فالشاعر يقول ان ازرار اثواب تلك الظلمة انواع الرياح : ما بين شمأل ومرزم .

وفي ص ٤٦ سطر ١٩ (صرت صقلّيا) صوابه صقلبيا ليقابل (زنجيا) قبله ويكون فيه اشارة الى قول ابن سينا في مقصورته :

(في الزنج حرٌّ غيّر الأجسادا   حتى كسا جلودها سوادا)

(والصقلب اكتسبت البياضا   حتى غدت جلودها بضاضا)

وفي ص ٨٠ سطر ٧ (ايدي الحبائب والصَبا) صوابه الجنائب جمع جنوب وهي ريح تقابل ريح الشمال ويكون معها الخير والتلقيح .

وفي ص ٩٢ س ١١ (اذ قلب يُحِبّ) صوابه (يجب) مضارع وَجبَ القلب خفق ورجف . فهو يشبّه برق السحابة بالقلب الخافق لا المحبّ الوامق .

وفي ص ١٣٥ سطر ٦

(ليلٌ كما شاءت فان لم تزر   طال وان زارت فليل قصير)

صوابه (ليلي كما شاءت ..... فليلي قصير) انما يصف الشاعر ليله لا ايّ ليل كان . وكذا البيت الذي بعده س ٩ (ليلي .... لا ليل) .

وفي ص ١٥١ س ٢ (ان يوم الشر لا كان عتيدا) صوابه عتيد بالرفع خبر . و (لا كان) جملة معترضة دعائية . فالشاعر يقول اذا سنح يوم يصلح للهو لا تضيعه لأن

يوم الشر حاضر بالمرصاد . ثم دعا عليه ان لا يكون . على أن نصب (عتيد) ان جاز فعلى استكراه وتكلف .

وفي ١٧٥ س٣ (واجتُثت رواحله) صوابه (واحتثت) بالحاء المهملة من حثّ الدابة ساقها بعنف . ولا معنى للاجتثاث هنا .

وفي ص١٧٨ س١٧ (مدخور الكسب) صوابه (مذخور) بالذال المعجمة من ذخره خبأه لوقت الحاجة اما (دخر) بالدال المهملة فلازم ومعناه ذلّ . وذالُ (ذخر) قد تقلب دالاً مهملة . ولكن هذا في باب الافتعال فيقال (مدّخر) لا في الثلاثي .

وفي ص٢٠٢ س١ (فهي بَوْر) ضبطها المصحح بفتح الباء و صوابه بضمها فانها هي الارض التي لم تهيأ للزراعة اما (بَوْر) بفتح البـاء فهو مصدر بارت الارض بوراً لم تزرع حتى أصبحت بُوراً .

وفي ص ٢٢١ قال المؤلف ان من اسماء الجبال (الأرعن) وقال المصحح انه من تحريف النساخ وصوابه (الرعن) وهو أنف الجبل المتقدم او الجبل الطويل . وماقاله المصحح غير صحيح لان الارعن هو الجبل ذو الرعان اي الانوف المتقدمة . قال في الأساس (جبل أرعن ذو رعان طوال) . وفي ص٢٢٧ قول ابن خفاجة الاندلسي :

(وأرعن طماح الذوآبة باذخ يطاول اعنـاق السماء بغارب)

وفي ص٢٢٨ س٢ (تمنطق بالجوزاء ليلاً ، له خصر) هكذا بعلامة (،) بعد قوله (ليلاً) وهذا يوهم ان (له خصر) مبتدأ وخبر . وليس كذلك بل ان قوله (خصر) فاعل تمنطق و (له) صفة له فالصواب حذف هذه العلامة (،) .

وفي ص٢٣٤ و ٢٣٩ و ٢٤٩ وَرَدت كلمة (أُطمة) مراداً بها بركان النار وجمعها على (آطام) والصواب (أطيمة): بيان ذلك ان الاطمة كأكمة الحصن . ومثله الأُطم كعُنق وجمعهما آطام . واما أَطيمة كسفينة فهي موقد النار واتون الحمام ايضاً . وتجمع أطيمة هذه على أطايم قال الافوه الاودي :

(في موطنٍ ذرب الشبا فكأنما فيه الرجال على الأطايم واللظى)

فما في نهاية الارب والمسعودي (جزء ١ ص١٧٦) من تسمية بركان النار (أُطمة) على وزن أكمة وجمعها على آطام كآكام — خطأ والصواب (أطيمة) وجمعها (أطايم)

اذ لا معنى لتسمية بركان النار باسم الحصن . وانما المناسب ان يسمى باسم الموقد والأتون بجامع التوقّد والتلظّي والرمي بالشرر في كل منهما . وهذا ما كان يريده كتاب العرب الاقدمون مذ سموا البركان (أطيمة) حتى جاء نساخ كتبهم فحرفوا قولهم .

وفي ص ٢٥٣ س ١ — مدينة انلو (كثيرة المقات والنخل) هكذا بالتاء وصوابه (المقاثي) بالمثلثة جمع مقثأة وهي الارض تزرع قثاء .

وفي ص ٢٥٧ س ١٥ في صفة سفن البحر (جامحات بلا غرام جماح) صوابه (عُرام) وهو الشدة والحدة والشراسة اي ان اشتداد جماحها لم يكن عن قصد منها وإرادة لانها جماد لا شعور فيه . وهو المناسب لقوله قبله (ساكنات بلا خضوع سكون) اي انها اذا سكنت لم يكن ذلك منها عن ارادة واختيار .

وفي ص ٢٥٨ س ١٢ يصف الكاتب شانياً وهو ضرب من السفن فقال (حذراً على ألواحه من الأنخاع) صوابه الانخلاع اي الانتزاع والتفكك من مواضعها .

وفي ص ٢٥٩ س ٨ يصف الكاتب البحر فيقول (وراحة الريح تصافح عُبابه مصافحة الخِل . وتطوي جناحه طي السجل) صوابه (وتطوي حبابه) والحباب معظم الماء اوسطحه بما يعلوه من النفاخات واليعاليل . ومثله قول طرفة بن العبد في معلقته (يشق حباب الماء حيزومها بها) ولا معنى لكون راحة الريح تطوي جناح البحر كما لا يخفى . ثم قال (وتجول من لجبه ابراداً . وتصوغ من حبكه ازراداً) وصوابه تحوك بالكاف وهو ظاهر .

وفي ص ٢٨٢ س ١٨

(كبساط وشيٍ جرّدت ايدي القيان عليه نصلا)

يصف روضاً . والصواب القيون مكان القيان لان القيان جمع قينة وليس من شأنها تجريد النصل وهو السيف . وانما هو من شأن (القين) وهو الحداد وجمعه قيون .

وفي ص ٢٨٣ س ٥

(وترى الرياح اذا مسحن غديره وصفينـه ونقين كل قذاة)

صوابه (صفّينه) من دون واو وجواب (اذا) وهو بتشديد الفاء من التصفية والمعنى ان الرياح تصفّي ماء الغدير اي تجعله صافياً . وكذلك (نقين) صوابه (نفين) بالفاء

الموحدة اي انّ الرياح تنفي وتطرد القذى عن وجه الغدير ولا معنى لها بالقاف لانه لم يرد نقاه ثلاثياً بمعنى نقّاه المشدّد ·

وفي ص ٢٨٣ سطر ١١

(والنهر مكسوّ غلالة فضة فاذا جرى سيل فثوب نضار)

جعل النهر من فضة حتى اذا جرى السيل احمرماؤه فلبس ثوب نضار · وهذا مفروض في ان السيل يحمل طيناً وتراباً احمر فيلوّن ماء النهر · وليس هذا مما يقوله فحول الشعراء · وانما البيت محرف وصوابه (فاذا جرت أُصل فثوب نضار) والأُصل جمع اصيل وهذا على حد قول ابن خفاجة ·

(والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء)

وفي ص ٣٠٤ سطر ١٩ (وأُنطعه « اي البيت الحرام » بعظمتي · واحوزه بحرماتي) وقد فسّر (انطعه) في هامش الاصل بانه من النطع وهو بساط من جلد قال المصحح وفي بعض النسخ وانطفه بالفاء اه · اقول وكلاهما خطأ · وصوابه (أُنطّقه) بالقاف المثناة وتشديد الطاء من نطقه جعل له نطاقا · والمعنى انه تعالى جعل لبيته المكرم نطاقاً من عظمته اي انه حاطه بعظمته فكان عظيماً جليلاً في الامم والشعوب · وكذلك قوله (وأُحوزه) بالحاء المهملة خطأ وصوابه (أُعوذه) بالعين المهملة والواو المشددة والذال المعجمة اي انه تعالى جعله حرماً آمناً فكان ذلك بمثابة عوذة له تقيه وتحميه ·

وفي صفحة ٣٤٧ سطر ١٠ — جاء في الآثار في صفة ارض مصر (ارض حافظة مطبقة رحيمة) صوابه (خاضعة مطيعة) فان وصفها بالخضوع والطاعة مناسب لوصفها بالرحمة ·

وفي صفحة ٣٦٣ سطر ٧ يصف المأمون (تراب النقل) وهو الطين الذي يتنقل به اي يؤكل و يسمى في بلاد حلب (بيلون) وفي دمشق التربة الحلبية :

(ذاك الذي يُحسب في مثله أحجار كافور عليها عبير)

صوابه يحسب في شكله ·

وفي صفحة ٣٦٧ سطر ١٧ (وتَدَبَّتْ من بلاد الترك خاصيةً) كذا · ثم ذكر تلك الخاصية التي لتلك البلاد · اقول وصوابه (وللتبّت من بلاد الترك خاصيةٌ الخ) برفع (خاصية) وتبّت بلاد مشهورة هي تعتبر اليوم قسماً من بلاد الصين لكنها في الحقيقة من

بلاد الترك لان سكانها من اصل مغولي . وهي مشدّدة الباء عند جغرافيي العرب اما جغرافيو الافرنج فيخففونها .

وفي صفحة ٣٦٩ سطر ٨ سرد المؤلف خصائص البلاد وذكر منها (بجاديّ بلخ) وصوابه (بخاتي بلخ) وهي ضرب من النياق اشتهرت بها بلاد بلخ . والمصحح نفسه أشار الى هذا في ذيل الصفحة ٣٦٤ .

وفي صفحة ٣٧٣ سطر ١ — ضربَ جبريل برج بابل (بخافقة جناحه) صوابه بخافية جناحه اي احدى خوافي جناحه . وهي الريشات الصغيرة تخفى حينما يطوي الطائر جناحه وتكون تحت القوادم . ولو كان المراد (بالخافقة) من الخفق لقال (بخافق جناحه) لان الجناح مذكر .

وفي صفحة ٣٧٦ سطر ١٣ في صفة سد يأجوج ومأجوج (وفوقه شُرّافات حديد في طرف كل شُرّافة قرنان الخ) هكذا بتشديد الراء وزيادة الف بعدها وهو خطأ وصوابه (شُرْفة) على وزن غرفة وجمعها (شُرُفات) كغرفات . اما (شُرّافة) بالضم والتشديد فمن كلام العوام .

وفي صفحة ٣٨٥ سطر ١٢ الخطأ هنا من مصنف الكتاب نفسه رحمه الله فانه تكلم على حصن السموأل المشهور المسمى (الأبلق الفرد) وقال انه يضرب به المثل وفيه يقول الشاعر:

(طلب الأبلق العقوق فلما ... لم ينله فرام بيض الأنوق)

ولعل صواب هذا البيت ايضاً (أراد بيض الأنوق) مكان (فرام) لأن الفاء لا تقع في جواب (لما) . و (الأبلق العقوق) هو الفحل الذي يحمل اي يلقح . وهذا بالطبع غير موجود فهو كبيض الأنوق يضرب بهما المثل في الندرة أو عدم الوجود . ولا معنى للتمثل به هنا كما لا يخفى . وكأن المصنف ذهل فتمثل بهذا البيت وهو يريد بيت السموأل في قصيدته المشهورة .

(هو الابلق الفرد الذي شاع ذكره ... يعزّ على من رامه و يطول)

وفي صفحة ٤٠٤ سطر ٥

(نصبتُ له في الارض بيت حديقة ... تمدّ لها في الجو كفاً ومعصما)

الضمير في (له) يرجع الى الحصن الذي يصف هدمه بالمنجنيق ثم وصف المنجنيق

وسماه (بيت حديقة) لكنه أعاد الضمائر على (بيت الحديقة) مؤنثة مذ قال (تمدّ لها) ثم قال (لها أخوات للمنايا كوامن الخ) ولا معنى لان يكون لها (اي لبيت الحديقة) اخوات فالكلمة محرفة ولعلّ الصواب (بنت الحديقة) والحديقة البستان . ولانعرف لماذا كني عن المنجنيق ببنت الحديقة وربما كان في الكلام تحريف آخر .

وفي صفحة ٤١٦ سطر ٤ .

(يثير ضباباً بالبخار مجدّلا بدورَ زُجاج في سماءِ قباب)

يصف الحمام . والتجديل ضفر الشعر وان تلقي آخر على الجدالة وهي الارض . ولا معني لجعل هذا من صفة البخار . وانما الصواب (مجلّلا) على صيغة اسم الفاعل و (بدور زجاج) مفعوله . والمعني ان البخار لما تصاعدِ جلل وغشى الزجاجات التي تتراءى في سماء قبة الحمام كأنها بدور .

هذا ماانتبهنا اليه من اغلاط هذا الجزء وقد يكون هناك أخوات لها لم ننتبه اليها . لكنها قليلة في غالب الظن . وسننشر في الجزء الثاني من هذه المجلة الاغلاط التي وقعنا عليها في الجزء الثاني من (نهاية الأرب) .

المغربي

مطبوعات حديثة

كتاب الدرة الفاخرة

« في كشف علوم الآخرة »

للامام الغزالي طبع في ليبسيك (المانيا) سنة ١٩٢٥ في (١١٠) صفحات

كان هذا الكتاب طبع في (جنيف) سنة ١٨٧٨ م ثم في السنة الماضية اي سنة ١٩٢٥ أعاد طبعه في ليبسيك المستشرق الفاضل الاستاذ (لوسيان غوتيه) بعد ان قابله على عدة نسخ في مكاتب ليبسيك و برلين و باريس واكسفورد . وقد ألحق به ترجمته باللغة الافرنسية في نحو (٩٠) صفحة وعلق عليه هوامش وشروحاً مسهبة توضح اختلافات النسخ . وبالجملة فان ناشر الكتاب لم يأل جهداً في تحرير هذه النسخة وتقريب الفائدة منها . فجزاه الله عن هذه الخدمة الشريفة خيراً . ولا بد هنا من ذكر كلمة قد تكشف شيئاً من الريبة والاشكال ذلك ان من دأب علماء الاسلام التدقيق في نقل الاحاديث التي تتعلق بالحدود والقصاصات والانكحة وغير ذلك من ضروب المعاملات المدنية وينبني عليه حكم الحاكم أما ماليس كذلك من الآثار مما فيه حض العامة على فعل الخير والارتداع عن الشر فانهم يتساهلون في النقل والرواية غاية التساهل . وهكذا كان شأن الامام الغزالي في كتابه هذا . وشأن ابن قيم الجوزية في كتابه (حادي الأرواح الى دار الأفراح) فلا يتعجبن متعجب من مثل هذين النحريرين المدققين النقادين كيف رويا في كتابيهما المذكورين طائفة من الاحاديث والآثار الضعيفة !! ذلك لما قلناه من توخيهم حمل العامة والدهماء على الفضائل وردعهم عن الرذائل بأية طريقة كانت .

« المغربي »

عم متولي

« وقصص أخرى »

محمود بك تيمور نجل العلامة احمد باشا من شبان مصر العاملين بنشاط في الاصلاح الاجتماعي ، وقد اختار لنفسه من طرق هذا الاصلاح طريقة كانت من اكبر عوامل

التهذيب في نهضة اوربا الحديثة وهي الطريقة القصصية اي بث المواضيع الاجتماعية اوالعلم الاجتماعي بين الجمهور من طريق القصص وابتكار الروايات ،وهناك فرع من هذا الفن اوناشطة من هذا الطريق سلكها المؤلف وهي القصص القصار التي تلذ مطالعتها جمهور القراء على نمط القصص التي عني بها الكاتب الافرنسي (موباسان) واشتهر بها ايما اشتهار ·

وقد أصدر الفاضل المومااليه في العام الماضي الحلقة الاولى من سلسلة هذه القصص القصار ودعاها (الشيخ جمعة وقصص أخرى) فصادفت رواجاً بين القراء وكان لها موقع في نفوس الكتاب والمتأدبين فقرظوها وأثنوا على مؤلفها أحسن ثناء وقد عاد اليوم فأصدر الحلقة الثانية من تلك القصص ودعاها (عمّ متولي وقصص أخرى) وهي تبلغ (٢٢٣) صفحة مفتتحة برسم (العم متولي) وبمقدمة من قلم المؤلف ومختتمة بأقوال الكتاب وأرباب المجلات والصحف وهي تشهد للمؤلف بحسن الابتكار والاجادة في هذا الموضوع الذي فرغ له · ويظهر لنا ان حداثة هذا الفن صادفت حداثة من سن هذا الفتى النبيل فائتلفا وتحابا وسيكون من هاتين الحداثتين الغضيتين دوحة عظمى يتفيأ ابناء لغة الضاد ظلها الوارف ويجنون ثمرها الناضج · له

اعلام المقتطف

« اصدرته مطبعة المقتطف والمقطم بمصر في (٣٢٠) صفحة »

المراد باعلام المقتطف العلماء الاعلام الذين وردت ترجماتهم في مجلدات المقتطف السابقة من الذين اشتغلوا بالعلم والفلسفة اوكان لهم شأن في ترقيتهما · وهذا الجزء هو القسم الاول من أجزاء عدة ستظهر على التوالي وتضمن بقية التراجم ممن لم يذكر اسمه في هذا الجزء · ومن تصفح هذا الجزء ووزن الفائدة التي تنال من دراسته وعلم ان هذا الجزء انما هو بعض من كل — أدرك ما للمقتطف ومجلداته الخمسين — من الاثر البيّن في نهضتنا العلمية والفكرية ·

نُفضت مجلدات المقتطف فانتثر منها هذا الجزء في بعض التراجم فما ظنك لو نفضت هذه المجلدات المرة بعد المرة فكم من مصنَّف جليل في المواضيع المختلفة ينتثر من خلال صفحاتها · وتضاعيف أبحاثها ؟؟ حقّاً ان مجلدات المقتطف دائرة معارف كبرى

تنافس مكتبتنا العربية بها سائر مكاتب العالم المتمدن . وقد افتتحت تلك التراجم بترجمة خمسة من فلاسفة اليونان ثم تلاها ترجمة ثمانين من علماء العالم المتمدن يتخللهم سبعة من علماء الشرق : هم شفيق بك منصور وعلي باشا مبارك وسالم باشا سالم واحمد كمال باشا من المصريين . والاستاذ بطرس البستاني والدكتور ورتبات والدكتور شميل من السوريين ومعظم أصحاب التراجم نشرت صورهم في جانبهم . فكان الكتاب سفراً نفيساً يحرص عليه اللبيب ، ولا ينبغي ان تخلو منه مكتبة أديب .

له

كتاب الادب لابن المعتز

ابن المعتز هذا هو عبد الله بن المعتز الخليفة وواضع فن البديع وكتابه هذا ليس هو في فن الأدب الاصطلاحي اي أدب الدرس . وانما هو في أدب النفس وتهذيب الاخلاق فهو مجموعة مواعظ وحكم اقتطف اكثرها من كلام المتقدمين وفيها نوادر من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه . قال ابن المعتز في مقدمة هذا الكتاب : «وقد ألفته سنة ٢٧٤ واول من نسخه مني علي بن هرون المنجم» . وفصول الكتاب في الوعظ بعضها قصار وبعضها طوال ، وقد ظفر بنسخة من هذا الكتاب المستشرق الروسي الكبير الاستاذ (كراجكوفسكي) أحد اعضاء مجمعنا العلمي فنشره في كراس وجعله ملحقاً بمجلة (العالم الشرقي) وحرر ألفاظه غب مقابلتها على نسخ مختلفة وقدم له مقدمة باللغة الافرنسية استغرقت ست عشرة صفحة حقق فيها من امر هذا الكتاب ما يهم الاطلاع عليه كل كاتب أديب . والكتاب لطيف الحجم لا تتجاوز صفحاته خمسين صفحة ملئت أدباً وحكماً وأخلاقاً عالية . وقد طبع في (ابسالا) احدى حواضر اسوج . ولما كان كثير من هذه الحكم غير مشهور بين الادباء والكتاب أحببنا ان نقتبس منها الى مجلة المجمع ما فيه فائدة :

النمام جسر الشر . انما أهل الدنيا كصُوَر في صحيفة كلما نشر بعضها طوي بعضها . لا ينبغي للعاقل ان يطلب طاعة غيره وطاعةُ نفسه عليه ممتنعة . ما أدرى ايما أَمرُّ : موت الغني او حياة الفقير ؟ . كما لا يُنبت المطر الكثير الصخر كذلك لا ينفع البليد التعليم . العالم يعرف الجاهل لانه قد كان جاهلاً والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن

عالماً . لا تسرع الى ارفع موضع في المجلس : فالموضع الذي تُرفع اليه خير من الموضع الذي تحط منه . الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سيره نحوك . لم يكتسب مالاً من لا يصلحه . كثرة مال الميت يعزّي ورثته عنه . الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت بها . علم الانسان ولدُه المخلَّد . لا تقطع أخاك الا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه ولا تتبعه بعد القطيعة وقيعة (طعناً) فيه فتسد طريقه عن الرجوع اليك ولعل التجارب أن ترده اليك وتصلحه لك . من أحسَّ بضعف حيلته عن الاكتساب بخل . الميت يقلّ الحسد له و يكثر الكذب عليه . كأن الحاسد خُلِق ليغتاظ . طلاق الدنيا مهر الآخرة . التواضع سلّم الشرف . يستحق الانسانية من حسن خلُقه . يكاد السيئ الخلق يُعدّ من السباع . لما عرف أهل النقص حالهم عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظّم كبرهم صغيراً و يرفع حقيراً وليس بفاعل . لا فرق بين جاهل يتبلّد و بهيمة تقاد . خير الاختلاف ما اجتنب معه التمادي في الباطل واهتدى فيه بالصبر الى الحق . من ترَك العقوبة أغْرى بالذنب . اذا ترعرع الولد تزعزع الوالد . الاسخياء يعبدهم المال والبخلاء يعبدونه . الحكمة شجرة : تنبت في القلب وتثمر في اللسان . الشرير لا يظن بالناس خيراً لانه يراهم بعين طبعه . العتاب حياة المودة . كما ان جلاء السيف أهون من صنعه كذلك استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره . ما مات من أحيا علماً . من عدّد نعمه محَق كرمه . من يتمنى العمر فليدّرع صبراً على فقد أحبابه . من يعمّر يلق في نفسه ما يتمناه لاعدائه . له

الذكرى

اسم لمجموعة شعرية بليغة تتضمن قصائد نظمها شاعر العرش الانكليزي (الفرد تنسون) تذكاراً لحياة صديقه (ارثر هلَم) وقد كانت وفاة هذا الشاعر سنة(١٨٩٢)م وأول ديوان نشره من شعره سنة ١٨٣٠ كما ان آخر ديوان نشره هو ديوانه (الذكرى) هذا فقد نشره سنة (١٨٥٠) . اما صديقه الذي جعل هذا التذكار باسمه فهو شاب من أترابه عرَفه في جامعة (كمبريدج) واستحكمت بينهما عرى الالفة والصداقة وقد أحب الشاعر ان تبقى ذكراها خالدة فأحياها بنشر هذا الديوان من شعره الخالد

الذي قال فيه (ستدمان) « ان في شعر (تنسون) ما يمثّل لنا أرقى معاني الفن الجميل » . وقد عمد الى هذا الديوان أديب كبير من أدباء العرب في سورية وهو السيد أنيس الخوري استاذ الآداب العربية في جامعة بيروت الاميركية فنقله الى لغتنا العربية شعراً وقد قدم له مقدمات في التعريف بناظم الديوان . ومنزلته بين الشعراء الاوربيين ثم (الذكرى) ما هي وكيف نظمت ، ثم كلمة في المقارنة بين الشعر الحديث والشعر القديم . ثم سرد النشائد دوراً فدوراً حتى بلغت (١٣١) نشيداً . وكل نشيد او دور يتألف من بضعة مقاطيع وقلما جاوز الدور العشرة منها . وقد افتتح كل دور بجمل تتضمن وصف العواطف التي ثارت في نفس الشاعر فحملته على نظم النشيد والتغني به . فمن كل ما تقدم يتضح للقارئ الاديب مبلغ جمال هذه الاناشيد وفائدتها لمحبي الادب والشعر لا سيما المولعين بالمقارنة بين الادب العربي والادب الافرنجي . والكتاب مطبوع طبعاً متقناً في المطبعة الاميركانية في بيروت . فنشكر للمترجم البارع ، ونستميل أنظار أبناء العربية الى هذا الأثر النفيس . له

هدية كتب للمجمع

أهدى الى مكتبة المجمع العلمي السيد عيسى البابي الحلبي الكتبي الشهير بمصر كتباً اربعة مما طبع في مطبعته (مطبعة دار إحياء الكتب العربية) :

(١) كتاب (تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك) ولا يخفى ان الموطأ وشروحه طبعت مراراً ولكن هذا الشرح للسيوطي لم يطبع حتى انبرى له السيد عيسى المومأ اليه فطبعه على طريقة حديثة : ذلك انه وضع المتن في اعلا الصفحات مفصولاً عن الشرح بجدول والمتن مضبوط بالشكل الكامل على ورق صقيل وحرف حسن . ولاجل زيادة الفائدة ألحق به كتاب (إسعاف المبطأ برجال الموطأ) للعلامة السيوطي نفسه . ولا غرو ان يقبل علماء الاسلام لا سيما المتخصصين في علم الحديث منهم على اقتناء هذا الكتاب . وهو يتألف من ثلاثة أجزاء مجموع صفحاتها ٨٣٥ صفحة بالقطع المتوسط .

(٢) الجزء الاول من (معراج البيان) اختيار وتصنيف الاستاذ الفاضل الشيخ

(علام سلامه) احد مدرسي (دار العلوم) بمصر . وقد قال في مقدمته (اصطفيت لشُداة الطلاب وعشاق الآداب نخبة صافية من اجود الكلام المأثور من بين منظوم ومنثور غير متقيد بعصر من العصور) . فالكتاب كتاب مطالعة لطلاب المدارس يستظهرون منه فتقوى ملكاتهم في اللغة العربية وآدابها ، فنلفت اليه انظار الاساتذة والمعلمين .

(٣) (عقود الفرائد في علم العقائد) تأليف العلامة الشيخ محمد بن علي بن حسين المالكي المكي والكتاب في فن العقائد الاسلامية المسمى بعلم الكلام ايضاً . ويظهر ان المؤلف متوطن في بلاد الجاوه . فقد قال في آخر كتابه انه تم في (ذي الحجة عام ١٣٤٣ وكمل تحريره في سومطره) وهو يبلغ مئة صفحة على ورق نباتي وله فهرس مطول .

(٤) (فتح المنفكرين) هو كتاب ديني ايضاً ألفه الشيخ (عثمان بن شهاب الدين) ويظهر انه من علماء جاوه ايضاً لان الكتاب مكتوب بلغة غير عربية ولعلها الجاوية . وربما كان الكتاب شرحاً لرسالة السيد زيني دحلان المشهور . وهذه الكتب الاربعة كلها طبعت في مطبعة السيد البابي فنشكر له هديته .

هدية لطيفة

اهدى المسيو جان مليا Mélia للمجمع العلمي اربعة كتب من تأليفه باللغة الافرنسية وهي المدينة البيضاء ، الجزائر وعمالتها (La Ville Blanche Alger et son département) وبول ديشانيل (Paul Deschanel) ولاغوات او الدور المحاطة بحدائق (Laghouat ou les maison entourées de jardins) ومدام سانت جنيفياف (Madame Sainte Geneviève) والمؤلف من الكتاب الذين عنوا بالاشتغال في الشؤون الاسلامية كثيراً ولا سيما حالة مسلمي افريقية فنشكره باسم المجمع على هديته .

كلمة في اللغة العربية

الاستاذ إسعاف النشاشيبي عضو مجمعنا العلمي — بالنسبة الى اللغة العربية — مزايا اربع تحققت فيه · واشتهر بها : فهو راسخ القدم في آدابها · حريص على الاشادة بذكرها · شديد السخط على من يناوئها · متوفر على خدمة من يخدمها — مزايا اربع لم نعهدها اجتمعت في احد من أناسيّ هذا الزمان اللهم الا رجلاً لا نعرفه · ان هذه المزايا هي الدين الذي انقطع الاستاذ اسعاف لمارسته · انقطاع الناسك لعبادته · والراهب في صومعته · وهي التي جعلته يلقب بحق ٍ (اديب فلسطين الكبير) وكما استأثر السيد اسعاف بهذه المزايا الاربع تفرّد أيضاً بامرٍ خامسٍ ناظرٍ الى اللغة العربية ايضاً · ذلك استفراده باسلوبٍ في الانشاء العربي عُرف به كما عُرف الجاحظ بطريقته بين المنشئين المتقدمين · وكما عُرف احمد فارس بنمطه في الكتّاب المتأخرين · وكذلك شأن أديبنا إسعاف في المعاصرين ·

اذا عُرض عليك عدة قطع من منثور الكلام لكتّاب مختلفين قد يصعب عليك أن تميز بينها · وتعزو كل قطعة الى صاحبها · اما اذا كان بينها قطعة من انشاء الاستاذ اسعاف فانك من اول وهلة تتبين حالها · وتتنسم روحه من خلالها ·

يمتاز ما يكتبه الاستاذ اسعاف بما تضمنه من الكلمات والتعابير اللغوية المختارة التي اصبحت بالنسبة الى كثير من أدباء زماننا كأنها من « غريب اللغة » · هذا من جهة المفردات · أما من جهة السبك والتركيب فان الاستاذ اسعاف يسلك من ابواب «الفصل والوصل» و«الايجاز» و«الإطناب» و« الاعتراض » و«الاستطراد » و « الغلوّ » و «التهويل » و «التفخيم» طرائق خاصة لم نعتد سماعها في كتابة غيره من بلغاء الكتّاب · ولذلك كان قارئ كتاباته مضطراً ان يبقى على انتباه ويقظة لما يمر تحت نظره · والا أضاع السياق · ثم أعجزه اللحاق ·

وأقرب الشواهد على ما قلنا من مزايا الاستاذ اسعاف التي منها تفانيه في لغته العربية — كتابه الذي نشره حديثاً وأسماه (كلمة في اللغة العربية) البالغ مئة صفحة · وكان الذي بعثه على وضع هذا الكتاب انه زار القاهرة في السنة الماضية فاحتفى به فضلاؤها

أيّما احتفاء . وكلفته (جمعية الرابطة الشرقية) ان يلقي في دارها محاضرة . فألقى تلك الكلمة في مزايا اللغة . ووجوب التعصب لها . لتحيي الامة بحياتها . وقد جمعت كلمته هذه من بلاغة القول . ونصاعة البيان . والتفنن في أساليب الافصاح عن مناقب اللغة العربية — ما حمل كبار الكتاب والصحافيين في مصر على تقريظها والتنويه بصاحبها .

ولما عاد الاستاذ الى وطنه (القدس) اعاد نظره في تلك الكلمة فأضاف اليها (جزءاً آخر) على نمطها وأسلوبها . ثم علّق على الجميع في ذيل الصفحات شروحاً وهوامش غاية في الإمتاع والفائدة . كما ألحق في آخرها طائفةً مما قاله الكتّاب والفضلاء فيها .

وان الناظر في تلك الكلمة أصبح لا يدري ايّ الامرين اجزل نفعا . واحسن شكلاً ووضعا . أتلك الكلمة البليغة نفسها بما أودعته من افانين القول . ام ما عُلّق عليها من الشروح ذات الفائدة والطول ؟

وقد احسن الاستاذ صنعًا في طبعها على عينه في مطابع القدس : فانه بذلك جوّد ضبطها وتصحيحها . كما جوّد ورقها وحرفها وترتيبها . فكانت بذلك كله طرفة من طرف الأدب . وعقداً ثمينًا في جيد لغة العرب .

وانا لنرجو للاستاذ صاحب هذه الكلمة ان يُتبعها من فيض علمه بكلمات . فانه « سبّاق غايات . وصاحب آيات » .

« المغربي »

نشر رسالة مخطوطة

في إصلاح أغلاط كلام الناس

كنت أرى بين مخطوطات مكتبتي رسالةً لطيفة الحجم اسمها (التنبيه على غلط العوام والنبيه) وهي تشتمل على إصلاح نحو مئة وخمسين غلطةً مما تزلُّ به ألسنة الناس في عصر المؤلف . ولم يُذكر على الرسالة اسم مؤلفها . ولا في أي عصر كتبت . وكانت — عدا قبح خطها — كثيرة التصحيف والتحريف . وهـذا ما ثبط عزيمتي عن نشرها في مجلة المجمع . مع ان موضوعها من أخص أبحاثه . ثم وقع لي اخيراً نسخة من هذه الرسالة لدى بعض باعة الكتب في دمشق حسنة الخط . لكنها ايضاً كثيرة الغلط والتحريف . وقد كُتب في آخرها أن مؤلفهـا هو ابن كمال باشا العالم التركي المشهور (المتوفى سنة ٩٤٠ هـ) . عندها تجددت الرغبة في تصحيح نسختي على هذه النسخة ونشرها في مجلة المجمع . فاجتهـدت اولاً في تحقيق أمر الرسالة . ونقصّي خبرها . والكشف عن غامض سرها . فوجدت أن اسمها الحقيقي (التنبيه على غلط الجاهل والنبيه) لا (غلط العوام والنبيه) كما هو في نسختي ولا (غلطات العوام) و (اغلاط العوام) و (سقطات العوام) كما سماها بعضهم .

اما (غلطات العوام) فانها اسم رسالة أُخرى جمعها (المولى مصطفى بن محمد المعروف بخسرو زاده المتوفى سنة ٩٩٨ هـ) كما في كشف الظنون . وفي بعض نسخ رسالة ابن كمال باشا أن اسمها (التنبيه على غلط الخـامل والنبيه) وقد صوّب هذه التسمية صديقنا الاستاذ تيمور باشا قال : لأن الخامل يقابل النبيه . ويظهر انه لما شاع بين العلماء خبر هذه الرسالة في إصلاح الاغلاط لابن كمال باشا جعلوا يطلقون عليها اختصاراً اسم (غلطات اواغلاط اوسقطات العوام) يريدون ان هذا هو موضوع الرسالة لا اسمها الحقيقي .

هذا من جهة اسم الرسالة اما مؤلفها فهو على الراجح (ابن كمال باشا) المذكور . وانما قلنا (على الراجح) ولم نقل على القطع واليقين: لان كثيراً من نسخها لم يذكر فيه اسم مؤلفها قط حتى ان صـاحب كشف الظنون اغفل ذكره : فهو اما انه لم يعرفه او انه

تردّد بين ان يكون ابن كمال باشا او يكون الشيخ البركوي العالم التركي المشهور ايضاً والمتوفي سنة (٩٨١هـ) او غيرهما . ومن ثمه أهمل صاحب كشف الظنون ذكر المؤلف . وقد راجعت عن هذه الرسالة فهرست مكتبة برلين الخاص بالمخطوطات العربية وهو عشرة مجلدات ضخـام موجودة في مكتبة المجمع فوجدته يكرر ذكر هذه الرسالة في غير ما موضعٍ منه . و يظهر ان في مكتبة برلين نحو ثمان نسخ منها : ففي ثلاث منهـا أهمل ذكر المؤلف وفي اربع منها نسبت الى ابن كمال باشـا : تارة باسمها الحقيقي . وتارة باسم (سقطات العوام) و (اغلاط العوام) لكن هذه التسميـة للموضوع لا للرسالة كما ذكرنا آنفاً . وفي نسخة واحدة من تلك النسخ نسبت للبرجلي (اي البركوي) . وقد قال المستشرق منظّم الفهرست تعليقاً على بعض نسخ هذه الرسالة ما ترجمته (مؤلف هذه النسخة غير مكتوب اسمه عليها . والمؤلف إما محمد بيرعلي البرجلي (البركوي) وإما ابن كمال باشا . ومن الممكن ان يكون الاصح هو الاخير) اهـ .

وكتب لي الاستاذ تيمور باشا يقول : إنها لابن كمال باشا وان لديه ثلاث نسخ منها وكلها معزوّة اليه . ثم قال انه لا شبهة في ذلك . اما انا فأقول ان لديّ بعض الشبهة لما ذكرت آنفاً من إغفال صاحب كشف الظنون لاسم مؤلفها ولأن منظم الفهرست الالماني قد شك وتردّد في المؤلف . ولابد ان يكون تردده ناشئاً عن كثرة ما لديه من نسخ تلك الرسالة وعدم اتفاقها على نسبتها الى ابن كمال باشا .

وكانت هذه الرسالة طبعت منذ بضع واربعين سنة في ليدن طبعها الاستاذ الفاضل (الشيخ عمر السويدي[1]) في جملة رسائل وقد عزا (رسالة التنبيه) الى ابن كمال باشا وقال انه طبعها بعد ان عارضها بنسخة محفوظة في مكتبة مونيخ عاصمة بفاريا ثم قال (ان نسخته والنسخة المونيخية على جانب من التحريف والتصحيف لا يُدرك المعنى منه) . وقد تفضل

(١) ذكر الاستاذ تيمور باشا في كتابه الينا : ان الشيخ عمر السويدي هذا ناشر رسالة ابن كمال باشا — هو فيما يقال الكونت لندبرج المستشرق المشهور المتوفى في ٢٠ حزيران سنة ١٩٢٤م يعني وليس هو من علماء الاسلام في بغداد كما يتبادر الى الذهن . ولعل احد المستشرقين من اعضاء مجمعنا العلمي يحقق لنا ذلك .

الاستاذ تيمور باشا فأرسل الينا هذه النسخة المطبوعة لنعارضها بنسختنا قبل نشرها في المجلة · فعارضناها وصححنا نسختنا عليها تصحيحاً استوفينا فيه الضبط الكامل اللهم الا بعض جمل بقي لنافيها شيء من شبهة وسنشير اليها في محلها من الرسالة · وقد علقت على الرسالة في ذيل الصفحات شروحاً · تزيد بعض الابحاث انكشافاً ووضوحاً ·

هذا وان طبع هذه الرسالة في اوربا منذ اكثر من اربعين سنة — لا يقلل من قيمة نشرها في مجلتنا الآن لان النسخ القليلة المطبوعة في اوربا نفدت واصبحت نادرة الوجود · فيكون في نشرها الآن فائدة نرجو ان تقع من القرا · موضع الرضا ·

محقق الرسالة وناشرها

المغربي

وهذه هي الرسالة :

(التنبيه على غلط الجاهل والنبيه)

« لابن كمال باشا »

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي جعلنا من زمرة من تكلم · ولم يجعلنا من الذين يحرّفون الكلم · نحمده على ما شرّف ألسنتنا [1] باللّسن والفصاحة · وعصمها عن الاتيان بما يوجب الفضاحة · ونصلي على سيدنا محمد الذي أفحم ببيانه [2] البديع كل خطيب · وعلى آله وصحبه ما ناح الحمام وغرّد [3] العندليب · (اما بعد) فإن اول ما يجب ان يعلم · وأولى ما تبذل فيه الهمم · إقامة اللسان · وصونه عن الهذيان · اذ من الالفاظ تستفاد المعاني · وبها تظهر أسرار السبع المثاني · بل كل علم مفتقر اليها · وكل فن معوّل عليها · وقد شاع بين أصحابنا من السّقطات · إما لعدم الالتفات · او لميل النفوس الى العادات · اولقلة الإلف باللغات — ما هو أجدر بالوأد من البنات · وأولى بالستر من السيئات · ولولا حدبي على الاخوان · وميلي الى الخلّان · لضربت عن ذكره صفحا · وطويت عن نشره كشحا · أنفةً [4] من التعرض للألفاظ السخيفة ·

(١) في نسخة ألسنتنا (٢) في نسخة ببيانه (٣) في نسخة عزّف اي صوّت (٤) في نسخة انقاء ·

وحذراً من التحكك بالعقول الضعيفة . اذ نحن في زمن أدبر فيه الانصاف . وأقبل الاعتساف . وغار[١] العلم وغاض . وفار الجهل وفاض . ووُضع فيه الرفيع . ورُفع فيه الوضيع . عُدّ الفضل فيه من المعايب . والعلم من المصائب . والعناد طباعا . والهوى مطاعا . وكم نادٍ وقع فيه الجدال . وارتفع فيه[٢] القيل والقال . فقلتُ : أيُّ خطب ادهى وافظع . وامرّ واوجع . من شيوع الاغاليط . ووقوع التخاليط . في اللسان العربي المبين . مِرقاة مراتب علوم الدين . بين المدّعين في العلوم شمولا . وأن لهم فيها يداً طولى . فقالوا بعدما أطالوا : ان الغلط المشهور أفصح . فقلت حجبتم عن الحال[٣] في صورة الحال بل هو افضح . لان الغلط الفصيح ان صح ان يكون . فلا اقل من ان يستعمله المولدون . واما الذي استعمله الجهّال فيما بينهم . فإنما زادوا به شينهم . وما أحسن ما قاله صاحب الإقليد . وهو اجدر بالقبول والتقليد : لو كان جَرْيُ العادة باستعمال هذا النحو[٤] نسخة له حجة صحيحة للزم ان يصحّ كل ما استعمله العوامّ : من نحو القصر في التسر . و بالجملة فاللحنُ كلالُ الكلام . ودليل القصور في الهِمم والأفهام . ألا ترى الى ابي الاسود الدئلي كيف يفتخر بصحة الكلام . والارتفاع عن طبقة العوام حيث يقول :

(ولا اقول لقدر القوم قد غليت . ولا اقول لباب الدار مغلوق)

أوما ترى الى عبد الملك بن مروان كيف يقول مخاطباً لخالد بن يزيد : (أفي عبد[٥] الله تكلمني وقد دخل عليّ فما أقام لسانه لحنا) يعني انه جدير بالاحتقار . خليق بالاستصغار لاجل لحنه . (واما) قول الفزاري :

(منطقٌ رائعٌ وتلحن أحيا ناً وخير الحديث ما كان لحنا)

فليس مما نحن فيه : لانه من لحن له اي قال له قولاً بفهمه ويخفى على غيره .

---

(١) في نسخة وغاب (٢) في نسخة خيام القيل والقال (٣) في نسخة «عن الحال في صورة الحال» . وهذا من المواضع التي غمض علينا معناها وقد وعدنا بالاشارة اليها . (٤) قوله باستعمال الخ هو ايضاً من الجمل التي غمض علينا معناها . والنسخ سواء فيها . (٥) عبد الله هذا هو اخو خالد وقد دخل خالد على عبد الملك يعاتبه على ماصدر من ابنه الوليد بشأن اخيه عبد الله المذكور فقال له عبد الملك أفي عبد الله الخ راجع تتمة القصة في ترجمة خالد ابن يزيد في الجزء الاول من ابن خلكان .

ثم اني لما رأيتهم لا يحومون حول الرشاد · ولا يدرون ماهم عليه من العناد · ووجدت للطعن فيهم مجالا · فقلت بديهة وارتجالا ·

(الى الله اشكو التابعين بجهلهم فنون المعاني بالدعاوي الكواذب)
(بتحريك رأس بعد لُبس عِمامة وغمزٍ بعينٍ ثم رمز بحاجب)

ثم شمرتُ عن ساق الاجتهاد · وكحلت ناظري بكحل السهاد · فتتبعت ما شاع بينهم وذاع · وقلبته كما يقلّب السماسرة المتاع · فجمعت الاغلاط المتداولة الا مالم يصل الى السمع · اوغاب عن الخاطر وقت الجمع · وحين ابى قلبي الا تحقيقه · ويدي الا تنميقه · رأيت ان لا اقتصر على حلها[1] · بل آتي بالاوهام كلها · اذ ما من لفظ منها الا و يخفى على بعضٍ وان كان على بعض جليًّا · و يحتاج الى حله واحد وان كان الآخر عنه غنيًّا · فأوردتُ الكل تعليماً للمبتدي · وتذكيراً للمنتهي · فحصل لي ما أربى على مئة لفظٍ من السقَط · بعضها للخاصة وبعضها للعامة فقط · وذكرت مراعيًا ترتيبًا للحروف الاصلية في الاول والثاني · دون الآخر الذي هو أساس المباني · اذ لو اعتُبر لزادت عدة الفصول والابواب · على حجم هذا الكتاب · وسميتها (التنبيه على غلط العوام[2] والنبيه) · وهاانا أشرع في المرام · مستفيضاً من الله الملك العلام · فنقول : مما يجب ان يُعلم ان ماينبغي ان يُجتنب من الالفاظ اقسام · قسم جوّزه بعض اهل اللسان مطلقًا او في حال من الاحوال · وقسم لم يجوّزه احد منهم ولكن شاع بين اهل التصنيف استعماله · وقسم لم يجوّزه احد ولم يستعمله الا من لا خبرة له بالكلام · (أما) الاول فكالضفدع بفتح الدال والجنازة بفتح الجيم والحلقة بفتح اللام والتخمة بسكون الخاء : فأما الضفدع فالصحيح فيه كسر الدال · قال في الصحاح : وناس يقولونه بفتح الدال وانكره الخليل · وقال في القاموس ضفدع كدرهم قليل او مردود · واما الجنازة فاختار صاحب الصحاح فيها كسر الجيم حيث يقول : الجنازة واحدة الجنائز · والعامة تفتحها · وجوّز صاحب القاموس الفتح حيث قال : الجنازة الميت و يفتح او بالكسر الميت وبالفتح السرير · اوعكسه او بالكسر السرير مع الميت اه · واما الحلقة بفتح اللام فحكاه

(١) كذا في النسخ ولعل الأصوب جلها اي معظمها بدليل قوله بعده كلها ·

(٢) صوابه (غلط الجاهل والنبيه) كما مر في كلمتنا التي حققنا بها اسم الكتاب في المقدمة ·

يونس عن ابي عمرو بن العلاء . وقال ثعلب كلهم يجيزه على ضعف . وقال ابو عمرو الشيباني : ليس في الكلام حلقة بالتحريك الا في قولهم هؤلاء قوم حلَقَة للذين يحلقون الشعر . ذكر الكل في الصحاح . وقال في القاموس: قد تفتح لامها وتكسر(اللام وقيل الحاء . واما التخمة بسكون الخاء فقد قال في الصحاح هي بفتح الخاء والعامة تسكنها وقد جاءت في الشعر ساكنة الخاء وقال في القاموس: هي كهُمَزَة وتسكَّن خاؤها في الشعر . والمفهوم من الكلامين أن التخمة يجوز إسكان خائها في ضرورة الشعر .

واما القسم الثاني فكالإيذاء والتكفير بمعنى الإكفار . اما الايذاء فقد أشار صاحب الصحاح الى نفيه(1) بطيّ ذكره حيث يقول: اذى يؤذي(2) أذىً وأذاةً وأذيةً لان السكوت عن الشيء في موضع البيان نفيٌ له . وصرح صاحب القاموس بنفيه حيث قال بعد عدّ المصادر المذكورة: ولا تقل ايذاء . واما التكفير فلم يصح من الكفر بل من الكفارة . واما النسبة الى الكُفر فهي الإكفار قال في الصحاح أكفرَه دعاه كافراً يقال لا تُكفر أحداً من اهل قبلتك اي لا تنسبه الى الكفر. وتكفير اليمين فعل ما يجب بالحنث فيها والاسم الكفارة . وقال في القاموس التكفير في المعاصي كالإحباط في الثواب . واكفره دعاه كافراً . لكن شاع بين المصنّفين استعمالُ هذين اللفظين بلا نكير .

اذا تقرر هذا فنقول : لا نُخطيء الاصحاب في القسمين الاولين بل نعذرهم وانما نخطئهم في القسم الثالث اذ لا اصل له ولا مستند بل يتفوهون به اما اختراعاً محضاً او تحريفاً كما سنقف عليه ان شاء الله تعالى . (للرسالة صلة)

(1) لكن الذي رأيناه في الصحاح ص ٤٤٠ جزء ٢ طبعة مصر سنة (١٢٨٢) ه مانصه: آذاه يؤذيه إيذاء الخ وهذا دليل على ان صاحب الصحاح لم ينف (الايذاء) ضمناً وانما هو يثبته صراحة اللهم الا اذا كانت هناك نسخ مختلفة . (2) هكذا (يؤذي) في النسخ الثلاث التي ظفرت بها فيكون ماضيه آذى بالمد فهو من باب اكرم لا أذيَ كعلم . وعليه فالذي نفاه كل من صاحبي الصحاح والقاموس انما هو مصدره وحده اعني (الايذاء) لا ماضيه ومضارعه . وقد خالف الجمهور صاحب القاموس وانكروا عليه تصريحه بنفي (الايذاء) واثبتوا وجوده مع فعله فيقال : آذى يؤذي ايذاء . حتى ان ابا السعود العمادي المفسر كان يقول « قولوا الايذاء إيذاء لصاحب القاموس .

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) شباط سنة ١٩٢٦ م الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٤٤ هـ ٦٢

تصحيح نهاية الارب

« اغلاط الجزء الثاني »

في ص٦ س ٦ (فقيل أُنَيْس) ضبطه مصغراً من دون تشديد وصوابه أُنَيِّس بالتشديد لان الكلام انما هو في (أُناس) لا (أُنس). وما كان ثالثه حرف علة شُددت فيه ياء التصغير فيقال في غراب غُرَيِّب وفي زَبيب زُبَيِّب وهكذا .

وفي ص٧ س٩ — قوله (وفي تصغير ليلة لييلة) نعم هذا هو تصغيرها القياسي وليس الكلام فيه وانما الكلام في التصغير غير القياسي فالصواب ان يقال (وفي تصغير ليلة لييلية) اي بزيادة ياء بعد اللام الثانية كذا ورد تصغيرها . ومن ثَم قال بعضهم ان أصل (ليلة) (ليلاة) ولذلك صغرت على (لييلية) لان التصغير يرد الاشياء الى أُصولها .

وفي ص١٢ س٩ — قوله (فصل في ظهور الشيب وعمومه): من تصفح هذا الفصل المركب من اربع صفحات ظهر له ان مضامينه ملفقة تلفيقاً : فانه افتُتح بذكر الشيب . وبعد أسطر قطع الكلام في الشيب وقال : (وقيل ما السرور؟) فكتب سطراً واحداً ثم قال : (واما النفس الغضبية) فكتب سطراً واحداً عنها ثم قال : (وقيل لحصين ابن المنذر ما السرور الخ) . ثم بعده (وقيل لفلان ولفلان ما السرور الخ) . ثم رجع وقال : (واما النفس البهيمية) وبعدما كتب عنها نحو نصف صفحة قال (وقيل لامرئ القيس ما السرور) فأجاب كذا وكذا وقيل لفلان وقيل لفلان

وهكذا الى آخر الفصل · وظاهر ان تقسيم النفس الى غضبية وبهيمية لا علاقة له بالشيب وكذلك اختلاف الناس فيما هو السرور · مع ان المؤلف عاد فعقد للشيب في ص ٢١ فصلاً خاصاً أسهب فيه القول ايّما إسهاب · ويا ليت المصحح الفاضل نبّه الى ما ذكرنا من حدوث خلل في هذا الفصل ·

وفي ص ١٨ س ١١ — قوله في صفة الشعر المسترسل (حتى تناهى الى مواطنه) كذا بالنون وصوابه (مواطئه) بالهمزة اي مواطئ اقدام المحبوب بدليل قوله في الشطر الثاني بعده (يلثم من كل موطئ عفَره) ·

وفي صفحة ٢٥ سطر ١٦ — قوله في صفة الشيب :

(هو الزور يُجفى والمعاشر يُجتوى   وذو الإلف يُقلى والجديد يُرقّع)

(الزور) ضُبطت بضم الزاي خطأ وصوابه (الزَور) بفتحها وهو الزائر فالشاعر يتعجب من كون الناس يعاملون الشيب بالجفاء وانما هو زائر ومن حق الزائر ان يُكرم ·

وفي صفحة ٥٢ سطر ١٤ — ذكر المصنف من امراض العين (السَجَا) وقال هو «ان يعسر على الانسان فتح عينيه اذا انتبه من النوم» فقال المصحح «لعل الصواب (الجسأة) بتقديم الجيم على السين كما في فقه اللغة» لكن الذي في كتب اللغة انه يقال (امرأة ساجية الطرف) اذا كانت ساكنته وفي الاساس فاترته · ومثله سجواء الطرف · وسجا الليل سكن ودام · ومنه قوله تعالى : (والليل اذا سجا) اي سكن أهله وركد ظلامه · اما (الجسأة) بتقديم الجيم فالصلابة واليبس» · فأنت ترى ان مادة (السجو) أقرب الى المعنى الذي أراده المصنف في مرض العين · وقد راجعت فقه اللغة في فصل محاسن العين ومعايبها فلم أجده ذكر الجسأة ولا السجا ·

وفي صفحة ٦٤ سطر ١٣ — قوله (تداءب ريح المسك فيه) اي في الربع الذي غيّره البلى · و(تداءب) كذا بالدال المهملة من باب التفاعل · وصوابه (تذأّب) بالذال المعجمة من التفعّل يقال (تذأبت الريح) اذا جاءت مرة كذا ومرة كذا كما يفعل الذئب · فالتذؤب مأخوذ من مادة (الذئب) وانما ذكّر الفعل مع ان الريح مؤنثة لان تأنيثها مجازيّ ومثله يجوز تذكير فعله وتأنيثه ·

وفي صفحة ٧٠ سطر ١٢ — قال ذو الرمة :

(حديث كوقع القطر في المَحْل ُيشتهى   به من جوىً في داخل القلب لاطف)

لم أجد في كتب اللغة (داء أوجوى لاطف) وانما وجدت الأساس يقول (داء ملاطف) اي مداخل ونبعه التاج في استدراكه على صاحب القاموس . فهل قول ذي الرمة (داء لاطف) صحيح وتكون عبارة الاساس محرفة ؟ او ان الصواب (داء ملاطف) كما قال صاحب الاساس ويكون بيت ذي الرمة محرفاً ويكون اصله مثلاً هكذا :

(حديث كوقع القطر في المحل ُيشتهى   به من جوىً ذاكي الضرام ملاطف)

وفي صفحة ٨٧ سطر ١٦ — قوله (لقينا دونها امنع سدّ ... واقدح ردّ) اقدح بالقاف خطأ وصوابه (أفدح) بالفاء من فدح الأمر بهظ وصعب وكان ثقيلا لايحتمل (كذا فليجلّ الخطب وليفدح الامر) .

وفي صفحة ٨٨ سطر ١٤ — قوله (وفُلّ سيفك . وحطّ رمحك) حطّ اي وضع . ووضع الرمح ليس مما يلتئم مع فلّ السيف . فلعل صوابه و (حطم رمحك) اذ يقال (صعدة حطيم) اذا تحطمت بجميع أجزائها .

وفي صفحة ١٣٦ سطر ١٨ — قوله (فتى من أحسن الناس وجهاً . وأثراهم ثوباً) كذا (أثراهم) بالثاء المثلثة وصوابه (اسراهم) بالسين المهملة اي اجودهم ثوباً . والسريّ الجيد من كل شيء . ويقال جاء المسافر في ثَقَلٍ سَريٍّ . اي متاع حسن . ومنه ماجاء في هذا الكتاب . صفحة ١٧٣ سطر ٣ — (واشترى داراً سريّة واسعة الصحن) فقوله سرية اي جيدة حسنة . اما (أثرى) فعلى فرض صحة ان تكون افعل تفضيل من الثروة فانما يوصف بها الناس لا الثياب .

وفي صفحة ١٤٩ سطر ١٣ — قوله (فأنشد ريّان قول أُبيّ) ضبطه بضم الهمزة وياء مشددة مصغراً فأوهم ان (ابيّ) اسم الرجل الذي قال الشعر . والصواب (قول أبي) اي اب مضاف الى ياء المتكلم فان في سياق القصة مايشعر بهذا مذ قال له رفيقه (ياابن الكرام دَمُ ابيك في اثوابها الخ) .

وفي صفحة ١٧٩ سطر ١٩ — قوله (والموت خير من فراق خِلّتي) ضبطه بكسر

الخاء والصواب بضمها بمعنى الخليلة وبمعنى الصديق بلفظ واحد مع الجميع تقول (هو وهي وهنّ خُلّتي) اما الخِلة بالكسر فلها معانٍ لا تناسب هنا ٠

وفي صفحة ١٨٠ سطر٦ — قوله (شيخ يحامي دون بيض الخدر) ضبط (بيض) بكسر الباء جمع بيضاء فبيض الخدر هن النساء ولعل الصواب ان تضبط بفتح الباء جمع بيضة وكلمة (بيضة) هي التي تستعمل مع كلمة الخدر في كلامهم وبها يصفون الجارية المكنونة في خدرها فيقولون (بَيْضَة خدْر) وقلما يقولون (بيضاء خدر) ٠

وفي صفحة ١٩٥ سطر ٥ — قوله (هذه دجلة قد جاءت بمدٍّ عظيم يُرغب مثله) صوابه (يرهب مثله) لانه انما يحذره من التمادي في نزهتهما على دجلة وهي على هذه الحال من طغيان المد ٠ واعتلاج الأمواج ٠ على ان فعل (رغب) انما يتعدى بفي فيقال يُرغبُ في مثله ٠

وفي صفحة ٢١٢ سطر ١٩ — قوله (ومذلّلٍ اما القضيب فقدُّه) صوابه (ومدلل) بالدال المهملة من التدليل وهو الترفيه ٠ فالمدلل المرفّه الذي يتقلب في النعمة وبلهنية العيش ٠ ولا معنى للمذلل هنا ٠

وفي صفحة ٢١٧ سطر ١٠ — قوله :

(يا قمراً اقبل يسعى على دعصٍ من الاغصان مهزوز)

(الدعص) كثيب الرمل المجتمع وتشبه به الأرداف عادةً ٠ فعلى هذا لا يصح ان يكون قوله من الأغصان بياناً له : فصوابه (على غصنٍ من الأغصان مهزوز) او (على دعصٍ من الارداف مهزوز) وبوصف الردف بالاهتزاز والارتجاج كما في قول الشاعر صفحة ٢٢١ سطر ١٧

(مرتجّة في تهاديه أسافله مهتزّة في تثنّيه أعاليه)

وفي صفحة ٢١٩ سطر ٨ — قوله (وواضح النبت يحكي مزاجه الزنجبيل) صوابه وواضح الثغر ٠ اما النبت فلا معنى له هنا ٠ او لعل النبت محرف عن (الشُنُب) جمع شنيب ٠ وسكنت نونه لضرورة الشعر ٠ والثغر الشنيب ما كان في اسنانه رقة وعذوبة وبرد ٠ ولا يخلو من تكلف ٠ فالأولى ان يكون صوابه (وواضح الثغر) كما قلنا ٠

وفي صفحة ٢٢٥ سطر ١٢ — قوله في قصيدة ابن منير الطرابلسي التي مطلعها (من ركَّب البدر في صدر الرديني) الى ان قال (والساحر الساحر الغرّار بينهم) كذا بحائين مهملتين وصوابه (والساحر الساخر) الأُولى بالمهملة من السحر والثانية بالمعجمة من السخرية اي انه يسخر من عاشقيه فيعدهم ولا يفي ·

وفي صفحة ٢٢٨ سطر ١٤ — قوله (غيدٌ لسفك دم المحب تظافرت منها الظفائر) كذا بالظاء في الكلمتين وصوابه بالضاد فيهما والضفيرة الخصلة من الشعر جمعها ضفائر · ومعنى تضافرت تعاونت : الا ان يُدّعى بان فعل (تضافر) مما جاء بالظاء ايضاً كما قاله ابن مالك · ولكن هل تصح هذه الدعوى في الضفيرة ايضاً ؟ ·

وفي صفحة ٢٣٢ سطر ٢ — قوله

(كواعباً من الدُمى لواعبا مشبهة الثغور لا القلائد)

صوابه (مشبهة الثغور بالقلائد) اي ان اسنان ثغورهن تشبه في حسن الانتساق والانتظام قلائدهن التي في اعناقهن · ولا معنى لقوله (مشبهة الثغور لا القلائد) ·

وفي صفحة ٢٣٥ سطر ٦ — قوله (واحذر ضراماً بالعيون الخ) صوابه (واحذر مداماً بالعيون) اي سكراً وخمراً كما اعتاد الشعراء وصف العيون به و بامثاله كالذبول والفتور والنعاس · وليس من عادتهم ان يصفوها بالنار ولا بالضرام الذي معناه الاشتعال ·

وفي صفحة ٢٣٨ سطر ١٦ — قوله

(فتعجبتُ من سُراها فقالت غير مستطرف سُرى الاقمار)

غير مستطرف بمعنى غير مستظرف وغير مستحسن · ولا معنى له هنا وانما المناسب ان يقال (غير مستغرب سُرى الاقمار) فمستطرف محرّفة عن (مستغرب) ·

وفي صفحة ٢٥٤ سطر ٨ — قوله

(لم اطو بحر نداك مع قربي قِلىً الا مخافة موجه المتراكب)

لا معنى لقوله (لم اطو بحر نداك) فصوابه لم (أَجْوَ) من جَوِيَ الشيءَ اذا كرهه ومثله اجتوى البلد كره المقام به وان تيسرت له فيه اسباب النعمة · وهذا عين

ما أراده الشاعر في قوله (لم اجو بحر نداك الخ) اي انني لم اكره نداك والإقامة في ظل جدواك بغضاً ونفرةً منه وانما انا كرهته مخافة ان اغرق في موجه الطامي ·

وفي صفحة ٢٥٤ سطر ١١ — قوله

(ثلاثة منعتها عن زيارتنا وقد طوى الليل جفن الكاشح الحنق)

الظاهر من قوله (طوى الليل جفن الكاشح) ان الكاشح يعني الرقيب كان نائماً لكن لا معنى لقوله بعدُ معدداً الثلاثة المانعة للزيارة ·

(نور الجبين ووسواس الحليّ وما يمسُّ اردانها من عنبر عبق)

فان هذه الاشياء لا تعود مانعة للزيارة ما دام الرقيب نائماً · اما اذا كان يقظان فان النور والصوت والطيب تنبهه وتجعله يشعر بالزيارة · فصواب الشطر هكذا (وقد دجى الليل خوف الكاشح الحنق) و (خوف) منصوب لكونه مفعولاً لاجله · والمعنى حينئذ : انها انما امتنعت عن الزيارة في هذه الحالات الثلاث خشية انتباه الكاشح وتفطنه للامر ·

وفي صفحة ٢٦٦ سطر ١ — قوله

(قالت فان الليث عالٍ به قلت فسيفي مرهف باتر)

(عالٍ به) اي بالقصر وتعني بالليث حماتها من ابيها واخوتها · وعلى هذا فلا معنى لكلمة (عالٍ) فالصواب (عادٍ) من عدا عليه الاسد وثب عليه وافترسه · ومن اسماء الاسد العادي ·

وفي صفحة ٢٧١ سطر ٣ هنا بيت ساقط من القصيدة أُشير اليه بصفّ من النقط وقد قال المصحح ان البيت ساقط من الاصل ولم يعثر عليه وقبله ·

(تلك لحاظُ اعين ام أُسد غيلٍ وثبتْ)

وقد خطر لي ان البيت الساقط هو بهذا المعنى :

(صحّ هواك في فوآ دِ عاشقيك وثبتْ)

ودلني عليه قوله قبله في صفحة ٢٧٠ سطر ٨

(يا من لحَظاته أُسودٌ وثبتْ قد صحّ هواك في فوآدي وثبتْ)

المغربي

اخبار الحمقى والمغفلين

افضنا في الجزء الماضي في وصف كتاب العلامة الكبير ابي الفرج بن الجوزي في اخبار الحمقى والمغفلين ونقلنا شذرات من اوله تقف بالقارىء على روح العصور التي سلفت حتى عهد المؤلف وتمثل أسلوبهم في الكلام وها نحن اولاء ننقل نبذة أخرى منه تجمع بين الأدب والفكاهة والحكمة ·

ذكر المؤلف في الباب التاسع من كتابه اخبار جماعة من العقلاء صدرت عنهم افعال الحمقى واصروا عليها فصاروا بذلك الاصرار حمقى ومغفلين ، قال من جملته : وقد جرى من خلق كثير من العقلاء ما يشبه التغفيل الا انهم لم يقصدوا ذلك فذكرت منهم طرفاً لشبهه بالتغفيل ، فمن ذلك ما حكي عن بعض المغنين قال : حضرت عند امير لاغنيه فجرى حديث بعض الوزراء فذكرت من محاسنه وكرمه شيئاً لا حركه به ليفعل مثله ثم غنيته :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

فقال لي : قبحك الله ما هذه المعاشرة فاستيقظت وحلفت اني ما قصدته ·

ومثل هذا جرى لعبد الله وحسن بن حسين فانه كان يساير السفاح وينظر الى مدينته التي بناها ظاهر مدينة الانبار فأنشده :

الم تر مالكاً اضحى يبني بيوتاً نفعها لبني بقيله
أيرجّي ان يعمر عمر نوح وامر الله يأتي كل ليله

فغضب فاعتذر اليه ·

وبينا عيسى بن موسى يساير ابامسلم يوم ادخاله على المنصور تمثل عيسى فقال :

سيأتيك ما افنى القرون التي مضت وما حلّ في اكباد عاد وجُرْهُمُ

فقال ابو مسلم : هذا مع الامان الذي أعطيت ، فقال عيسى : اعتقت ما أَمْلِك ان كان هذا شيئاً أضمرته ·

ولما حوصر الامين قال لجاريته : غنني فغنت :

كليب لعمري كان اكثر ناصراً وايسر جرماً منك ضرج بالدم

فاشتد ذلك عليه ثم قال : غنني فغنت غيره :

شكت فراقهمُ عيني فأرّقها ان التفرق للاحباب بكاء

فقال : لعنك الله اما تعرفين غير هذا فغنت :

ما اختلف الليل والنهار وما دارت نجوم السماء في الفلك

الا لنقل السلطان من ملك غاب تحت الثرى الى ملك

فقال : قومي فقامت فعثرت بقدح بلور فكسرته فاذا قائل يقول : قضي الامر الذي فيه تستفتيان · فلما دخل المأمون على زبيدة ليعزيها في الامين قالت : تسليني في غدائك اليوم عندي فتغدى · واخرجت اليه من جواري الامين من تغنيه فغنت :

همُ قتلوه كي يكونوا مكانه كما فعلت يوماً بكسرى مرازبه

فوثب مغضباً · فقالت له : يا امير المؤمنين حرمني الله اجره ان كنت علمت او دَسَستُ اليها · فصدقها ·

ولما فرغ المعتصم من بناء قصره دخل الناس عليه فاستأذنه اسحق بن ابراهيم ان ينشده فأنشد شعراً في صفته وصفة المجلس الا ان اوله :

يا دار غيّرك البلى ومحاك يا ليت شعري ماالذي ابلاك

فتطير المعتصم وعجب الناس كيف فعل هذا اسحق مع فهمه فقاموا وخرب القصر وما اجتمع فيه بعد ذلك اثنان ·

وانشد الصاحب بن عباد عضد الدولة مديحة له فيه :

ضممت على ابناء تغلب تاءها فتغلب ما كر الجديدان تغلب

فتطير عضد الدولة من قوله تغلب وقال : نعوذ بالله فتيقظ الصاحب من قوله وتغير لونه ·

وقال اسحق المهلبي : دخلت على الواثق فقال : غنني صوتاً عربيًا فقلت :

(يادار ان كان البلا محاك) قال : فتبينت الكراهية في وجهه وندمت ·

ودخل ابو النجم العجلي على هشام بن عبدالملك فأنشده ابياتاً حتى بلغ فيها ذكر الشمس فقال : « وهي على الافق كعين الاحول » فأمر ان يوجأ في عنقه وأخرج ·

ودخل أرطاة على عبد الملك بن مروان وكان شيخاً كبيراً فاستنشده ما قاله في طول عمره فأنشده

رأيت المرء تأكله الليالي كأكل الارض ساقطة الحديد
وما تبغي المنية حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد
فاعلم انها ستكر حتى توفي نذرها بابي الوليد

فارتاع عبد الملك وظن انه عناه وعلم ارطاة انه زل فقال : يا امير المؤمنين اني اكنى بابي الوليد وصدّقه الحاضرون ·

ودخل ذو الرمة على عبد الملك فأنشده :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كُلى مفرية سرب

واتفق ان عيني عبد الملك كانا يسيلان فظن انه عرّض به فغضب وقطع انشاده وأُخرج · ودخل شاعر على عبد الله فأنشده :

شبّ بالليل من عزيزة نار اوقدتها واين منك القرار

وكان اسم والدة عبدالله بن طاهر عزيزة فتغامز الحاضرون واعلموه بهفوته فأمسك ·

ودخل رجل على عقبة بن مسلم الازدي فأنشده :

يا ابنة الازدي قلبي كئيبُ مستهام عندكم ما يؤوبُ
ولقد لاموا فقلت دعوني ان من تلحون فيه حبيب

فتغير وجه عقبة فتطير الشاعر فقطع ·

ودخل الرئيس ابو علي العلوي يوماً على بعض الرؤساء فتحادثا فجاء غلام لذلك الرجل فقال : يا سيدي اي الخيل نسرج اليوم فقال تسرج العلوي فقال له ابوعلي : احسن اللفظ يا سيدي ، فاستحيا وقال : هفوة ·

واجتاز المرتضي ابو القاسم نقيب العلويين يوم جمعة على باب جامع المنصور عند المكان الذي يباع فيه الغنم فسمع المنادي يقول : تبيع هذا التيس العلوي بدينار فظن انه قصده بذلك فعاد متألماً من المنادي فكشف عن الحال فوجد ان التيس اذا كان في رقبته حلمتان سمي علوياً نسبة لشعرتي العلوي المسبلتين على رقبته · ونحو هذا جرى لابي الفرج العلوي فانه كان اعرج احول فسمع منادياً ينادي على تيس كم عليكم في هذا التيس العلوي الاعرج الاحول ? فلم يشك انه عناه فراغ عليه ضرباً الى ان تبين ان التيس احول اعرج فضحك الحاضرون مما اتفق ·

وقال ابو الحسن ابن الصابي : دخل بعض اصدقائنا الى رجل قد ابتاع داراً في جواره فسلم عليه واظهر الانس بقربه وقال : هذه الدار كانت لصديقنا واخينا الا انك بحمدالله اوفى منه كرماً واوسع نفساً وصدراً والحمدلله الذي بدلنا من هو خير منه وانشده

(بدل بالبازي غراب ابقع)

فضحك منه الرجل حتى استلقى وخجل وصارت نادرة يولع الرجل بها ٠

وهنا ننقل من ابن الجوزي بعض نكات المغفلين من القراء والمصحّفين : ان رجلاً قدم ابناً له الى القاضي فقال : اصلح الله القاضي ان هذا ابني يشرب الخمر ولا يصلي فقال له القاضي : ماتقول ياغلام فيما حكاه ابوك عنك قال : يقول غير الصحيح اني اصلي ولا اشرب الخمر فقال ابوه : أصلح الله القاضي أ تكون صلاة بلاقراءة فقال القاضي ياغلام تقرأ شيئاً من القرآن قال : نعم وأجيد القراءة فقال بسم الله الرحمن الرحيم

علق القلب ربابا بعدما شابت وشابا
ان دين الله حق لا ارى فيه ارتيابا

فقال ابوه والله أيها القاضي ما تعلّم هاتين الآيتين الاالبارحة لانه سرق مصحفاً من بعض جيراننا ٠ فقال القاضي قبحكم الله احدكم يقرأ كتاب الله ولا يعمل به ٠

وكان رجل كثير المخاصمة لامرأته وله جار يعاتبه على ذلك فلما كان في بعض الليالي خاصمها خصومة شديدة وضربها فاطلع عليه جاره فقال : يا هذا اعمل معها كما قال الله تعالى اما إمساك ايش اسمه او تسريح مادري ايش ، يريد الآية الكريمة (إمساك بمعروف او تسريح بإحسان) ٠

ومما رواه في اخبار المغفلين من رواة الحديث : كان حيان بن بشر قد تولى قضاء بغداد وقضاء اصبهان وكان من جملة رواة الحديث فروى يوماً ان عرفجة قطع انفه يوم الكلاب وكان مستمليه رجلاً من اهل كجة فقال : ايها القاضي انما هو الكُلاب فأمر بحبسه فدخل الناس اليه فقالوا : ما دهاك فقال : قطع انف عرفجة في الجاهلية وابتليت انا به في الاسلام ٠

ومما رواه من اخبار المغفلين من الامراء والولاة : جاء رجل من اشراف الناس الى بغداد فأراد ان يكتب الى ابيه كتاباً يخبره فلم يجد احداً يعرفه فانحدر بالكتاب

الى ابيهٔ وقال : كرهت ان يبطئ عليك خبري ولم اجد احداً يجيء بالكتاب فجئت انا به ودفعه اليه . قال ابو عثمان الجاحظ : كان فرارة صاحب مظالم البصرة وكان أطول خلق الله لحية وأقلهم عقلاً وهو الذي قال فيه الشاعر :

ومن المظالم ان تكو ن على المظالم يا فراره

واخذ يوماً من شعره فدعا بمرآة فنظر فيها فقال للحجام : اما شعر رأسي فقد جودت اخذه ولكنك والله يا ابن الخبيثة سحجت على شاربي ووضع يده عليه . وسمع فراره يوماً صياحاً فقال : ما هذا الصياح فقال قوم : يتكلمون في القرآن فقال : اللهم أرحنا من القرآن . قال المؤلف : وبلغنا ان يزيد بن المهلب ولى اعرابياً على بعض كور خراسان فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر وقال : الحمد لله ثم ارتفع عليه وقال : أيها الناس اياكم والدنيا فانكم لم تجدوها الا كما قال الله تعالى وما الدنيا بباقية لحي وما حي على الدنيا بباقي

فقال كاتبه : أصلح الله الامير ، هذا شعر قال : فالدنيا باقية على احد قال : لا قال : فيبقى عليها احد قال : لا قال : فما كلفتك اذن . وبلغنا ان بعض العرب خطب في عمل وليه فقال في خطبتـه : ان الله خلق السموات والارض في ستة اشهر فقيل له في ستة ايام فقال : والله اردت ان اقولها ولكن استقللتها . قال : حدثنا ابو بكر النقاش قال : كتب كاتب منصور بن النعمان اليه من البصرة انه أصاب لصاً فكره الاقدام على قطعه دون الاستطلاع على امره وانه خياط فكتب إقطع رجله ودع يده فقال : ان الله امر بغير ذلك فكتب اليه أنفذ ما أمرتك به فان الشاهد يرى مالا يرى الغائب . واتى منصوراً نخاس ببغل فقال : هذا شراؤه اربعون ديناراً فقال : لا تربح عليّ شيئاً هذه المرة ، يا غلام اعطه الفاً وخمسمائة دينار . ودخل على المأمون فقال : يا امير المؤمنين الموت فاش بالكوفة ولكنه سليم . ودخل على احمـد بن ابي حاتم وهو يتغدى برؤوس فقال له احمد هلم ياابا سهل فانها رؤوس الرضّع فقال هنيئاً أطعمنا الله واياك من رؤوس اهل الجنة . وقال له المأمون يامنصور قد مدت دجلة فأشر علينا فقال تكري مائة سقاء يستقون ذا الماء يرشون الطريق فقالـــ له المأمون حرت فيك . كتب حيان عامل مصر الى عمر بن عبد العزيز ان الناس قد أسلموا فليس من جزية فكتب اليه عمر ابعد الله الجزية ان الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً للجزية .

حدثنا ابوعلي محمدبن الحسن الكاتب قال كنت اكتب لابي الفضل بن غلاب وهو بأرّجان يتقلدها فقيل له قد قدم ابو المنذر النعمان بن عبدالله يريد فارس والوجه ان تلقاه في غد وكان ابن الفضل يحمّ حمّى الربع فقال كيف اعمل وغداً يوم حمّاي ولا اتمكن من الرجل ولكن الوجه ان أُحمّ الساعة حتى اقدر عليه غداً ياغلام هات الدواح حتى أُحم الساعة فاذا عنده انه اذا اراد ان يقدم نوبة الحمى ويصح غداً تأخرت عنه الحمى . ودخل شجاع بن القاسم على المستعين مرة وطرف ثيابه مخرق فسأله عن سبب ذلك فقال اجتزت في الدرب وكان فيه كلب فوطئت قفاه فخرق دني فما تمالك المستعين ان ضحك .

وروى ابوالحسن محمدبن هلال الصابي قال خرج قوم من الديلم الى اقطاعهم فظفروا باللص المعروف بالعراقي فحملوه الى الوزير ابي عبدالله المهلبي فتقدم باحضار ابي الحسين احمد بن محمد القزويني الكاتب فكان ينظر في شرطة بغداد فقال المهلبي: هذا اللص العيار العراقي الذي عجزتم عن اخذه فخذه واكتب خطك بتسليمه فقال السمع والطاعة الى مايأمر به الوزير ولكنك تقول ثلاثة وهذا واحد فكيف اكتب خطي بتسليم ثلاثة فقال ياهذا ، هذا العدد صفة لهذا الواحد . فكتب يقول احمدبن محمدالقزويني الكاتب تسلمت من حضرة الوزير اللص العيار العراقي وهو رجل واحد وكتب بخطه في التاريخ فضحك الوزير وقال لنصراني هناك قد صحح القزويني مذهبكم في تسليم هذا اللص .

وحضر بعض حكماء الهند مع وزير ملكهم وكان الوزير ركيكاً فقال للحكيم ما العلم الاكبر قال : الطب قال : اني اعرف من الطب اكثره قال : فما دواء المبرسم ايها الوزير قال دواؤه الموت حتى تقل حرارة صدره ثم يعالج بالادوية الباردة ليعود حياً قال ومن يحييه بعد الموت ؟ قال هذا علم آخر وجد في كتاب النجوم ولم انظر في شيء منه الا في باب الحياة واني وجدت في كتاب النجوم ان الحياة للانسان خير من الموت فقال الحكيم أيها الوزير الموت على كل حال خير للجاهل من الحياة . وانشد عبد الله بن فضلويه عامل قرمسين في مجلسه والمجلس غاص باهله هذا البيت :

يوم القيامة يوم لا دواء له الا الطلاء والا اللهو والطرب

فقال بعض الحاضرين انما هو يوم الحجامة فقال اعذروني اني لا أُحسن النحو .

وذكر ابن الجوزي في اخبار المغفلين من القضاة حدث عبد الرحمن بن مسهر قال ولاني

القاضي ابو يوسف القضاء بجُبّل وبلغني ان الرشيد منحدر الى البصرة فسألت اهل جبّل ان يثنوا عليّ فوعدوني ان يفعلوا ذلك ونفرقوا فلما آيسوني من انفسهم سرحت لحيتي وخرجت فوقفت له فوافى وابو يوسف في الحراقة فقلت ياامير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبّل قد عدل فينا وفعل وصنع وجعلت أُثني فرآني ابو يوسف فطأطأ رأسه وضحك فقال له هرون مم تضحك فقال ان المثني على نفسه هو القاضي فضحك هرون حتى فحص برجليه وقال هذا شيخ سخيف سفلة فاعزله فعزلني .

حدثنا الحسين بن جعفر الكوكبي قال حدثنا ابوالفضل الربعي قال حدثنا ابي قال سأل المأمون من أهل حمص عن قضاتهم قال ياامير المؤمنين ان قاضينا لا يفهم واذا فهم وهم قال ويحك وكيف هذا قال قدم اليه رجل رجلاً فادعى عليه اربعة وعشرين درهماً فأقر له الآخر فقال له: اعطه قال اصلح الله القاضي ان لي حماراً اكتسب عليه كل يوم اربعة دراهم أنفق على الحمار درهماً وعليّ درهماً وادفع له درهمين حتى اذا اجتمع ماله غاب عني فلم أره فانفقها وما اعرف الا ان يحبسه القاضي اثني عشر يوماً حتى أجمع له اياها فحبس صاحب الحق حتى جمع ماله واعطاه فضحك المأمون وعزله .

حدثنا ابوبكر النقاش قال انبأنا ابو حاتم قال حكى ابو الخير الخياط عن بعض أصحابه قال دخلت تاهورت فاذا فيها قاضي من اهله وقد اتى رجل جنى جناية ليس لها في كتاب الله حد منصوص ولا في السنة فأحضر الفقهاء فقال ان هذا الرجل جنى جناية وليس لها في كتاب الله حكم معروف فما ترون فقالوا باجمعهم : الامر لك قال فاني رأيت ان اضرب المصحف بعضه ببعض ثلاث مرات ثم افتحه فما خرج من شيء عملتُ به قال له وفقت ففعل بالمصحف ما ذكر ثم فتح فخرج قوله تعالى (سنسمه على الخرطوم) فقطع انف الرجل وخلى سبيله .

وذكر في باب المغفلين من الكتاب والحجاب : نابت الحجاج في صديق له مصيبة ورسول عبد الملك شامي عنده فقال الحجاج ليت انساناً يعزيني بابيات فقال الشامي اقول قال قل فقال : وكل خليل سوف يفارق خليله بموت او بصلب او يقع من فوق البيت او يقع البيت عليه او يقع في بئر او يكون شيئاً لا نعرفه فقال الحجاج قد سليتني عن مصيبتي باعظم منها في امير المؤمنين اذ وجّه مثلك رسولاً .

كتب رجل من البصرة الى ابيه كتبت اليك ياابي ونحن كما يسرك والله بحوله وقوته لم يحدث علينا بعدك الا كل خير الا ان حائطاً لنا وقع على امي واخي الصغير واختي والجارية والحمار والديك والشاة ولم يفلت غيري ·

وذكر في اخبار المغفلين من المؤذنين · كان سعيد بن سنان ابو مهدي مؤذناً بجامع حمص وكان شيخاً صالحاً يسحّر الناس في رمضان فيقول في تسحيره يا اهل حمص استحثوا قُدُيرانكم عجلوا في اكلكم قبل ان أُأذن فيسخم الله وجوهكم · ومن اخبار المغفلين من الائمة : مر رجل بامام يصلي بقوم فقرأ آلم غلبت الترك فلما فرغ قلت يا هذا انما هو غلبت الروم فقال كلهم أعداء لا نبالي من ذكر منهم · قال الجاحظ اخبرني ابو العنبس قال كان رجل طويل اللحية احمق جارنا وكان أقام بمسجد المحلة يعمره و يؤذن فيه و يصلي وكان يعتمد السور الطوال و يصلي بها فصلى ليلة بهم العشاء فطوّل فضجوا منه وقالوا اعتزل مسجدنا حتى نقيم غيرك فانك تطول في صلاتك وخلفك الضعيف وذو الحاجة فقال لا اطول بعد ذلك فتركوه فلما كان من الغد أقام وتقدم فكبر وقرأ الحمد ثم افكر طويلاً وصاح بهم ايش تقولون في عبس فلم يكلمه احد الا شيخ أطول لحية منه وأقل عقلاً فانه قال كيسة مرّ فيها ·

ومن اخبار المغفلين من الاعراب قدم اعرابي على بعض اقاربه بالبصرة فدفعوا اليه ثوباً ليقطع منه قميصاً فدفع الثوب الى الخياط فقدّر عليه ثم خرق منه قال لم خرقت من ثوبي قال لا يجوز خياطته الا بتخريقه وكان مع الاعرابي هراوة من ارز فشج بها الخياط فرمى بالثوب وهرب فتبعه الأعرابي فأنشد يقول :

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله   فيما مضى من سالف الاحقاب
من فعل علج جئته ليخيط لي   ثوباً فمزقه كفعل مصاب
فعلوته بهراوة كانت معي   فسعى وأدبر هارباً للباب
أيشق ثوبي ثم يقعد آمناً   كلا ومنزل سورة الأحزاب

خرج قوم من قريش الى ارضهم وخرج معهم رجل من بني غفار فأصابهم ريح عاصف يئسوا معها من الحياة ثم سلموا فأعتق كل رجل منهم مملوكاً فقال ذلك الاعرابي اللهم لا مملوك لي أعتقه ولكن امرأتي طالق لوجهك ثلاثاً ·

كان رجل من الاعراب يعمل في معمل الذهب فلم يصب شيئًا فأنشأ يقول :

يا رب قدّر لي في هماس وفي طلابي الرزق بالتماس
صفراء تجلو كسل النعاس

فضربته عقرب صفراء اسهرته طول ليله وجعل يقول : يا رب الذنب لي اذ لم أبين لك ما أريد اللهم لك الحمد ولك الشكر فقيل له : ما تصنع اما سمعت انه يقول : « ولئن شكرتم لأزيدنكم » فوثب جزعًا وقال لا اشكر الا شكراً (؟) قال بعض الاعراب : لنا تمر تضع التمرة في فيك فتبلغ حلاوتها الى كعبك . قرأ امام في صلاته إنا أرسلنا نوحًا الى قومه فأرتج اليه وكان خلفه اعرابي وقال : لم يذهب نوح فأرسل غيره وأرحنا . كان اعرابي يقول : اللهم اغفر لي وحدي فقيل له : لو عممت بدعائك فان الله واسع المغفرة فقال اكره ان اثقل على ربي . كان لبعض المغفلين حمار فمرض الحمار فنذر ان عوفي حماره صام عشرة ايام فعوفي الحمار فصام فلما تمت مات الحمار فقال يا ربي كأنك تلهيت بي ولكن رمضان الى هنا يجيء والله لاخذن من نقاوته عشرة ايام لا اصومها . كان اعرابي يصلي فأخذ قوم يمدحونه ويصفونه بالصلاح فقطع صلاته وقال مع هذا اني صائم . قال بعض الاعراب اللهم أمتني ميتة ابي قالوا وكيف مات ابوك قال اكل بلحاً وشرب عسلاً ونام في الشمس فلقي الله وهو شبعان ريان دفيان .

وصف بعض مدن الشام

« قبل تسعمائة عام »

« سافر ناصر خسرو القبادياني المروزي من أدباء فارس من بلاده سنة ٤٣٧ هـ (١٠٣٥ م) ووصف البلاد التي مرّ بها في سورية وفلسطين ومصر وبلاد العرب وبلاد الفرس حتى عاد الى وطنه سنة ٤٤٤ هـ (١٠٤٢ م) وقد علق ما رآه بالفارسية في اوراق دعاها كتاب السفر او الرحلة (سفرنامه) ورسم بقلمه بعض الاماكن المقدسة التي رآها كالحرمين الشريفين والحرم القدسي فترجم رحلته بالافرنسية العلامة شيفر (Charles Scheffer) من علماء المشرقيات الفرنسيس ونشرها سنة ١٨٨١ على نفقة مدرسة اللغات الشرقية في باريز مشفوعة برسوم المؤلف الفارسي التي رسمها بقلمه فآثرنا ترجمة الفصل المتعلق ببلاد الشام التي اجتاز بها ليعلم من وصفه الفرق بين حالها امس وحالها اليوم » .

محمد كرد علي

« سروج ومنبج »

وصلنا يوم السبت الثاني من شهر رجب ٤٢٨ (٢ شباط ١٠٤٧) الى مدينة سروج واجتزنا بعد يومين الفرات فوصلنا الى منبج اول مدينة من ارض الشام وكنا في اليوم الثاني من شهر بهمان والهواء جيد وليس من بناء حول هذه المدينة .

« حلب وقنسرين وسرمين »

وارتحلنا من منبج الى حلب وبينها وبين ميافارقين مئة فرسخ (فرسنك) وحلب على مارأيت بلدة طيبة يحيط بها سور متين قدّرت علوه بخمسة وعشرين ارشاً وقد بنيت قلعتها العظيمة بأسرها على الصخر ، وعندي ان حلب في عظمها كمدينة بلخ وهي عامرة جداً ودورها متصلة ويتقاضون فيها رسماً على البضائع المحمولة من سورية وبلاد الروم ودياربكر ومصر والعراق . وفي حلب تجار وباعة من هذه الاقطار المختلفة . ولها اربعة ابواب : باب اليهود و باب الله و باب الجنان و باب انطاكية . ورطلها المستعمل هو الرطل الظاهري و يساوي وزنه اربعمائة وثمانين درهماً .

واذا اتجه المرء من حلب صوب الجنوب يصل الى مدينة حماة على عشرين فرسخاً

وبعدها حمص ومن حلب الى دمشق خمسون فرسخاً ومن حلب الى انطاكية اثنا عشر فرسخاً ومثل ذلك من حلب الى طرابلس (؟) ويقال ان المسافة الى القسطنطينية هي مائتا فرسخ . وفي اليوم الثالث عشر من شهر رجب (١١ شباط) سافرنا من حلب وبعد ان قطعنا ثلاثة فراسخ بلغنا قرية جند قنسرين ومن الغد قطعنا ستة فراسخ فبلغنا سرمين وهي مدينة لا سور لها .

« معرة النعمان »

وبعد ستة فراسخ (عن سرمين) نقول لك معرة النعمان هاءنذه وهي مدينة آهلة بالسكان كثيراً ويحيط بها سور من حجر وشاهدت بالقرب من باب هذه المدينة سارية من الحجر زبرت عليها كتابة بحروف ليست بعربية فسألت احدهم عن ذلك فأجابني ان هذا طلسم يحول دون العقارب ودخول المدينة والبقاء فيها . فاذا جيء بعقرب من الخارج وأطلق يفرّ و يبتعد . وقدرت ان هذه السارية كان علوها عشرة آرش .

وأسواق المعرة طافحة بالارزاق والخيرات . وجامعها الاعظم مبني على أكمة قامت وسط المدينة ومن اي جهة اتجهت الى هذا الجامع كان عليك ان ترتقي سلماً ذا ثلاث عشرة درجة . ولا يزرع في هذه الجهات الا الحنطة . وتغل غلة حسنة و يكثر في قراها اشجار الزيتون والتين والفستق واللوز والكرمة . ومياه المعرة تجمع من المطر او تمتاح من الآبار .

وحاكم (؟) هذه المدينة رجل اعمى اسمه ابو العلاء المعري كان من ارباب الثراء وله عدد عظيم من العبيد والخدم والظاهر ان جميع سكان المدينة خدمته اما هو فقد تزهد ولبس ثياباً من الصوف الخشن وانقطع في داره فلا يخرج منه بتاتاً وخصص لطعامه اليومي نصف منّ من خبز الشعير لا يأكل سواه . وبلغني ان باب منزله مفتح على الدوام وان نوابه ورجاله يقضون مصالح الناس ولا يرجعون اليه الا في مهات المسائل وهو يجود بالاحسان من ماله على كل من قصده و يصوم الدهر و يسهر الليل ولا يهتم لامور الدنيا . وقد بلغ هذا الرجل العظيم في الشعر والادب درجة من الكمال أجمع اهل الادب في الشام والمغرب والعراق على الاعتراف بها وانه لم يبلغ احد في هذا العصر ما بلغه من المكانة في هذا الشأن .

ألف ابو العلاء كتاباً سماه الفصول والغايات أدخل فيه جملاً معماة وكنايات نمقها بانشاء بليغ غريب بحيث لا يتأتى الان يفهم بعضها والواجب ان يقرأ كتابه عليه حتى يشرحه . وقد انتقد عليه في هذا الكتاب بانه حاول انتقاد القرآن . ويحيط بهذا الرجل مائتا طالب جاؤا من البلدان المختلفة وانقطعوا اليه يدرسون تحت نظره الادب والشعر . ونمي الي بانه نظم اكثر من مئة الف رباعية (Distique بيتان من الشعر) قال له بعضهم ان الله تبارك وتعالى قد اغناك ورزقك رزقاً عظيماً فلما ذا توزعه على الناس ولا تتمتع به . فأجابه انا لا املك الا ما اكلت . ولما وصلت المعرة كان ابو العلاء حياً يرزق .

« كويمات وحماة »

ووصلنا يوم ١٥ رجب ٤٣٨ هـ (١٥ شباط ١٠٥٧ م) الى كويمات ثم الى حماة وهي مدينة جميلة آهلة كثيراً بالسكان بنيت على شاطيء نهر العاصي وسمي هذا النهر بالعاصي لانه يجري الى بلاد الروم ويخرج من بلاد الاسلام ويدخل في بلاد غير المؤمنين فهو بذلك عاص . وقد أقيمت على ضفافه نواعير كثيرة .

ومن حماة طريقان يذهب الواحد الى الشاطيء الغربي من الشام ويتجه الآخر جهة الجنوب فيصل دمشق وسرنا نحن في الطريق الاول وقد رأينا في الجبل عيناً اكد لنا بعضهم انها تجري كل سنة ثلاثة ايام بعد اليوم الخامس عشر من شعبان ثم لا يفيض ماؤها الى السنة المقبلة ويزورها عدد عظيم من الزوار يتقربون الى الله بعبادتهم وقد أقيمت في ذلك المكان أبنية عظيمة وحفرت آبار .

« طرابلس الشام »

وبعد ان ابتعدنا عن هذا المكان دخلنا في سهل مغشى على طوله بالنرجس الابيض وقد اضطرتنا كثرته الى السفر فبلغنا عرقة وعلى فرسخين منها وصلنا الى البحر فاتجهنا الى الجنوب وسرنا خمسة فراسخ الى طرابلس . والطريق من حلب الى طرابلس خمسون فرسخاً . وكان وصولنا الى طرابلس في ٥ شعبان سنة ٤٣٨ . وضواحي طرابلس مغشاة بالحقول المزروعة والبساتين والحدائق . وكان يرى فيها قصب السكر والبرتقال والليمون والموز والنخيل وكان يوم وصولنا موسم عصير قصب السكر . يحيط

البحر بالمدينة من ثلاثة اطرافها وتصل اليها امواجه حال هياجه حتى تبلغ اعلا الاسوار · ويحيط بالقسم الذي يمتد الى اليابسة سور وخندق عظيم · والى جهة الشرق يفتح باب من الحديد صلب للغاية · والجدران وما يتبعها من الاسوار كلها من الحجر النحيت وهناك وضعت المجنيقات على اعلا الاسوار وكان اهل طرابلس يخشون غارات الروم في سفنهم · ومساحة المدينة الف آرش · وبيوت المدينة ذات اربع وخمس واحياناً ست طبقات · والاسواق والطرق جميلة ونظيفة للغاية · اذا رأيتها ظننتك أمام قصر مزين أجمل زينة · ورأيت في طرابلس جميع اصناف القوت والأثمار وجميع المآكل التي رأيتها في فارس · ولكنها كانت وافرة مئة ضعف ·

والمسجد الاعظم قائم في وسط المدينة وهو جميل للغاية مزدان باحسن زينة ومبني على غاية القوة والمتانة · وفي صحنه قبة عظيمة تعلو حوضاً من المرمر في وسطه فوارة يخرج ماؤها من منقار نحاس اصفر · وفي السوق نبع يخرج ماؤه غزيراً من خمسة انابيب يستقي منها جميع السكان · وما فاض يجري على الرمل ثم يصب في البحر · ويقدر عدد الذكور في طرابلس على ما روي لي بعشرين الف نفس · وفي اعمال طرابلس كثير من القرى ويصنع فيها كاغد جيد يشبه ورق سمرقند الا انه احسن صنعاً · ويتولى امر طرابلس سلطان مصر وقد قيل لي ان ذلك يرد الى العهد الذي جاء فيه الروم من بيزنطية وحاولوا الهجوم على هذا الحصن فدفعهم المسلمون المصريون وردوهم وهزموهم شر هزيمة · وقد ابطل سلطان مصر الضرائب الموضوعة على المدينة ولا يزال ينفق على الحامية التي فيها · وللحامية قائد وُكل اليه امر رد الاعداء عنها · وطرابلس الشام مستودع تجاري ترد اليه السفن من بلاد اليونان والافرنج والاندلس والمغرب · ومن حقوق السلطان جباية العشور التي ينفق منها على الجنود · وللسلطان في طرابلس سفن تذهب الى اليونان وصقلية والمغرب · وسكان طرابلس شيعيون وقد أنشأ الشيعة في كل البلاد جوامع جميلة · ولهم في طرابلس ابنية تشبه الرُبُط ولكنها غير مسكونة · ويسمونها المشاهد · ولا يوجد خارج طرابلس سوى اثنين او ثلاثة من هذه المشاهد ·

* * *

« القلمون وترابزن وجبيل »

ثم سافرنا من طرابلس جنوباً على شاطيء البحر فوصلنا على مسافة فرسخ الى حصن اسمه القلمون في داخله نبع ماء ووصلنا الى ترابزن (لعلها البترون) وهي على خمسة فراسخ من طرابلس ومنها الى جبيل وقد بنيت على شكل زاوية قاعدتها ساحل البحر . و يحيط بها سور عالٍ متين للغاية وقامت حواليها النخيل وغيره من اشجار البلاد الحارة ورأيت ولداً يحمل بيده وردة بيضاء وأخري حمراء قد تفتحت وكان الوقت في اليوم الخامس من شهر شباط من سنة ٤١٥ للتاريخ الفارسي .

« بيروت »

وسرنا من جبيل الى بيروت وقد رأيت فيها قوساً من حجر والطريق تحته وقدرت ان علوه خمسون كزاً وسمكه بحيث لا يستطيع رجلان ان يحيطا به الا بصعوبة وقد بُني على هذه الدعائم حنايا من الصخر الضخم لا تلتحم اجزاؤها بملاط ولا بجبس وقد قام القوس الاعظم في الوسط و يزيد علوه على الحنايا خمسين ارشاً . وقدرت ان علو كل حجر من الحجارة التي يتألف منها سبعة ارشات في عرض اربعة ووزنه نحو سبعة آلاف منٍّ وقد نقشت جميع هذه الاحجار وزينت بنقوش بديعة قلما يشاهد لها مثيل حتى في الصور على الخشب ولم يبق من بناء في جوار هذا المصنع . وقد سألت عن ذلك فأُجبت بان هذا البناء كان باب حديقة فرعون وان تاريخه قديم للغاية . وجميع السهل المجاور له تغشاه عمد وسوارٍ وتيجان منقوشة من الرخام النحيت ومنه المدور والمربع والمسدس والمثمن . والحجر من الصلابة بحيث لا يعمل فيه الحديد وليس في الجوار من جبل حتى يقال انه استخرج هذا الحجر منه . وهناك حجر آخر يظهر انه صنعي والحديد لا يفله ايضاً . وفي ولايات الشام اكثر من خمسمائة الف عمود وتاج وقاعدة وما من يعلم فيم كان استخدامها ولا من اين جلبت .

« صيدا »

ورحلنا من بيروت الى صيدا وهي مدينة على ساحل البحر تحيط بها حدائق واسعة مغروسة بقصب السكر و يحميها سور من الصخر فيه ثلاثة ابواب وجامعها الاعظم جميل وله رواق خاص وارضه مغطاة كلها بالحصر المزينة بالصور المختلفة . والسوق جميل

ومزدان ألطف زينة بحيث ظننت لما رأيته انه زين لقدوم ملك او لوصول نبإ سار . وسألت عن علة هذه الزينة فقيل لي ان هذه عادة المدينة وانها على الدهر متجملة على هذه الصورة .

ويظهر ان الحدائق والبساتين قد قام بغرسها ملك رغبةً منه وفي وسط كل واحد منها بيت وكانت معظم الاشجار ملأى بالاثمار .

« صور »

ومن صيدا بلغنا صور بعد ان اجتزنا المسافة بينهما في خمسة فراسخ ومدينة صور على شاطئ البحر بنيت على صخر يمتد في الماء بحيث ان الجزء المحصن من السور القائم على اليابسة لا يكون اكثر من مئة كوز (Guez) وسائر السور غائص في الماء معمول من الحجر النحيت ملئت من القطران لتحول دون نفوذ الماء . وأرى ان مساحة بقعة صور الفا ارش مربع والبيوت ذوات خمس او ست طبقات يتصل بعضها ببعض ويرى في اكثرها فوارات والاسواق جميلة وفيها حاجيات الحياة بكثرة واشتهرت صور من بين جميع مدن الساحل الشامي بغناها ونعمتها . ومعظم سكانها شيعة والقاضي رجل غني وذو اخلاق رضية واسمه ابن ابي عقيل وكان سنياً . وفي خارج المدينة مشهد حوى كثيراً من الطنافس والباري والمصابيح والثريات المعمولة من الذهب والفضة . وقدقامت مدينة صور على اكمة ويجري اليها نهر من ينابيع في الجبل أنشئت له قناة من الحجر في البرية ليسيل فيها . وفي اعلاه قناة تفتح السبيل أمام الماء وأمام صور في الجبال التي ذكرتها يفتح وادٍ اذا سار فيه المرء متجهاً صوب الشرق يبلغ دمشق وهي بعيدة عن صور سبعة عشر فرسخاً .

« عكا »

غادرنا صور وسرنا سبعة فراسخ فبلغنا عكا واسمها في الكتابة الرسمية مدينة عكا . بنيت على اكمة قسم منها وعر والآخر معبّد . وجميع مدن السواحل الشامية مبنية على اماكن مرتفعة لان القوم يخشون ان تداهمها المياه او تضربها امواج البحر التي تتكسر على ضفافه . والمسجد الاعظم وسط المدينة وفي اعلا قمة من المدينة . وقدجعلت السواري التي يقوم عليها من الرخام وفي خارجه على يمين المتجه الى القبلة قام ضريح النبي

صالح عليه السلام وبعض صحن الجامع مبلط والآخر قد ستره العشب · و يزعمون ان هذا الجزء قد حرثه آدم عليه الصلاة والسلام · وقد ذرعت سطح المدينة فكان طولها الفي آرش وعرضها خمسمائة و يحيط بعكا سور متين للغاية و يحيط بها البحر من الغرب والجنوب والميناء في جنوبها ولمعظم مدن ساحل الشام موانٍ و يطلق اسم ميناء على كل خليج بني لتكون فيه السفن بمأمن · و يشبه هذا الجون اصطبلاً يستند حائطه الداخلي الى المدينة وحائطاه الآخران يمتدان في البحر وقد فتح في طرفه مدخل عرضه خمسون كوزاً وله سلسلة مربوطة من احد الحائطين بالآخر · ومتى أريد ادخال سفينة الى الميناء يخفضون السلسلة حتى تنزل الى الماء فتجتاز السفينة عليها ثم يرسلونها ثانية حتى لا تنالها مراكب العدو بسوءٍ اذا دهمتها من البحر ·

وعلى مقربة من الباب الشرقي الى اليمين نبع ماء ينزل اليه في ست وعشرين درجة واسمه عين البقر و يزعمون ان آدم عليه السلام اكتشفها وانه كان يسقي منها بقرته ولذلك سميت عين البقر ·

واذا خرجت من عكا واتجهت نحو الشرق تلقى جبلاً دفن فيه الانبياء عليهم السلام وهو يرتفع عن طرف الطريق الذي يسيرون عليه اذا أراد المرء الذهاب الى الرملة · وقدعزمت ان اذهب اليه لزيارة هذه القبور وأغنم البركات التي خصها الباري تعالى بها · وقد ذكروا لي في عكا ان في تلك الطريق اشقياء يسيئون معاملة الغرباء و يسلبونهم مامعهم فخبأت ما كان معي من الدراهم في جامع عكا وخرجت من المدينة يوم ٢٣ شعبان سنة ٤٢٨ هـ (٨ آذار ١٠٤٦ م) فزرت في اليوم الاول قبر عك باني مدينة عكا وكان رجلاً صالحاً باراً · ولم استصحب معي دليلاً يهديني الى الطريق فحرت في تعيين الطريق التي يجب سلوكها فقضت حكمة الله تقدس اسمه ان ألقى في ذاك اليوم رجلاً فارسياً اصله من اذربيجان كان زار هذه القبور المباركة وجاء مرة ثانية للتبرك بزيارتها وصليت ركعتين لاشكره تعالى على نعمته التي تفضل بها وسجدت اعترافاً بجميله على ان وفقني الى اتمام القصد ·

وصلت الى قرية اسمها بروة فزرت فيها قبري اليسع وشمعون عليهما السلام ثم سرت الى قرية دمون فرأيت فيها مغارة صغيرة اكد لي القوم انها مغارة ذي الكفل وبعد ذلك قصدت الى قرية عبلين حيث دفن هود وقد قامت عليه شجرة خرنوب وزرت ايضاً قبر

العزير ثم اتجهت صوب الجنوب فوصلت قرية حاضرة وفي غربها واد صغير تنبع منه من الصخر عين صافية وقد بني مقابل هذه العين في الصخر مسجد في داخله غرفتان من الحجر و باب المسجد من الضيق بحيث ان الرجل يدخل اليه بصعوبة وفيه قبران متناوحان احدهما الى جانب الآخر وفي الاول شعيب وفي الثاني ابنته التي كانت امرأة موسى · و يُعنى سكان القرية بهذا المسجد و بهذه القبور كل العناية و يجعلون فيها مصابيح وفرشاً ·

وبعد ذلك اتجهت جهة أربل (او أربد) وفي جهة القبلة جبل قام في سفحه اربعة قبور وهي قبور اربعة من اولاد يعقوب اخوة يوسف · ولما انتقلنا من هذا المكان رأينا أكمة قامت في سفحها مغارة فيها قبر ام موسى وفيها صليت وتعبدت · وتوغلت في واد رأيت في أقصاه بحيرة قامت مدينة طبرية على شاطئها وطول هذه البحيرة نحو ستة فراسخ وعرضها ثلاثة والمدينة على الشاطئ الغربي منها و يصب في البحيرة ماء الحمامات وما فاض من استعمال السكان · ومن البحيرة يستقي اهل طبرية ماء الشفة وكذلك السكان النازلون في جوار البحيرة · وسمعت ان اميراً كان جاء طبرية قديماً فأمر ان تغلق جميع المجاري التي تحمل القاذورات والمياه المالحة الى البحيرة فأنتن الماء حتى لم يعد احد يستطيع شربه · وعندئذ اسال جميع الاقنية فعاد الى ماء البحيرة طعمه اللذيذ الذي كان له سالفاً ·

و يحيط بطبرية سور متين يمتد من شاطئ البحيرة ولا سور للقسم المتصل بالماء من المدينة · ووسط البحيرة صخور وقد بنيت وسط المياه أبنية عديدة وهي عبارة عن قباب للنزهة تقوم على عمد من المرمر غمست في المياه و يكثر السمك في بحيرة طبرية من وراء الغاية · وقد قام المسجد الاعظم وسط المدينة وعلى مقربة منه عين ماء بني عليها حمام وماؤها حار بحيث لا يستطيع المرء ان يصبها على بدنه الا اذا مزجها بماء بارد و يقال ان هذا الحمام من عمل سليمان بن داود عليهما السلام وقد دخلت هذا الحمام · وفي الجزء الغربي من المدينة مسجد اسمه مسجد الياسمين وهو بناء لطيف وفي وسط صحنه سطح عال بنيت فيه محاريب وحوالي هذا السطح غرسوا ياسمين وسمي المسجد باسمه ·

وفي رواق غير مسور من جهة الشرق قبر يوشع بن نون وعلى السطح قبور اثنين وسبعين نبياً قتلهم ابناء اسرائيل · وفي جنوبي طبرية اوجنوبي البحيرة تجري بحيرة لوط وماؤها مر جداً واليها يجري النهر الذي يخرج من بحيرة طبرية وكانت مدينة لوط على

شاطيء تلك البحيرة ولم يبق لها اثر . وبلغني انه يستخرج من قعر بحيرة طبرية مادة في شكل البيضة لونها اسود وتشبه الحجر ولكن ليس لها صلابته فتستخرج وتكسر وتحمل الى المدن والولايات . و يزعمون ان هذه المادة اذا جعلت قطعة منها في جذع شجرة تسلم من الديدان بدون ان تتأثر جذوعها . وبذلك لا تسطو على الغراس الديدان ولا الحشرات التي تعيش تحت الارض . واني لادع تبعة هذه الرواية على ناقلها . وقد ذكر لي راوي هذه القصة ان الصيادلة يبتاعون هذه المادة و يدخلونها في العقاقير لتنجو من دودة اسمها النقرة .

وفي طبرية تعمل حصر تستعمل للصلاة تساوي الواحدة منها خمسة دنانير مغربية . وعلى غربي المدينة قصر من الحجر النحيت على قمة جبل وفيه كتابة بحروف عبرانية وفيه انه حفر يوم كان برج الثريا في آخر برج الحمل . وقبر ابي هريرة خارج المدينة صوب القبلة ولا تمكن زيارته لان سكان هذه المقاطعة شيعة واذا قصد واحد للصلاة يصخب الاولاد عليه و يناكدونه و يهينونه و يرشقونه بالاحجار . فعدلت عن هذه الزيارة وذهبت الى قرية اسمها كفركنة وفي جنوبها تمتد اكمة قام في اعلاها دير جميل له باب متين جداً وفيه قبر يونس وفي خارج الدير بئر لذيذ المذاق من وراء الغاية وبعد ان صليت في هذا المشهد عدت الى عكا البعيدة عن ذلك المكان اربعة فراسخ وقضيت يوماً في عكا ثم سرنا منها الى قرية حيفا وكانت الطريق التي سلكناها مغشاة بطبقة كثيفة من رمل يستخدمه الصاغة في فارس و يطلقون عليه اسم رمل عكا .

قامت حيفا على شاطئ البحر وفيها النخيل واشجار أُخرى كثيرة وشاهدت فيها عملة كثيرين متوفرين على انشاء مراكب وتسمي هذه الابنية الخاصة بالملاحة البحرية بالجودي وعلى فرسخ منها قرية الكُنَيسة وهناك يبتعد الطريق عن البحر و يتجه نحو الشرق جهة الجبل و يجتاز ارضاً مستوية محجرة تسمى وادي التماسيح وبعد فرسخين يصير الطريق على الشاطئ حيث رأينا عظام بعض الحيوانات البحرية اختلطت بالطين وضربتها الامواج زمناً فأصبحت صورتها كالحجر .

وصلنا الى قيسارية وبينها وبين عكا سبعة فراسخ وقيسارية مدينة جميلة تشقها المياه الجارية وفيها النخيل والليمون الحلو والمر و يحيط بها سور متين فيه باب من حديد

وفي هذه المدينة كثير من العيون وجامعها الاعظم من اجمل الابنية اذا جلست في صحنه تبصر البحر وما فيه من المناظر وفي الصحن إجانة (دورق) من المرمر يشبه اناءً من عمل الصين وهو من الضخامة بحيث يسع مئة منٍّ من الماء ٠

غادرنا قيسارية يوم السبت آخر يوم من شعبان (١٠ آذار) وسرنا مدة فرسخ على الرمل الذي هو أشبه برمل مكة ثم شاهدنا في الطريق الذي كان تارة في السهل وأخرى في الجبل عدداً كبيراً من اشجار التين والزيتون ٠ وبعد بضعة فراسخ بلغنا مدينة اسمها كفر سابا او كفر سلام وهي على ثلاثة فراسخ من الرملة والاشجار على جانبي الطريق محيطة به كما قدمنا ٠

انتهى بنا أمد السير يوم الاحد اول يوم من شهر رمضان (١١ آذار) الى الرملة وبينها وبين قيسارية ثمانية فراسخ ٠ والرملة مدينة عظمى يحيط بها سور عالٍ متين عمل من الحجر والملاط وهي على ثلاثة فراسخ من البحر وشرب اهلها من مياه الامطار يجمعونه في كل موسم في حوض وعندهم منه مايحتاجونه على الدوام وفي وسط الجامع الكبير صهاريج واسعة اذا ملئت يستطيع الانسان ان يستقي منها بحسب حاجته ٠ ومساحة الجامع الاعظم ثلاثمائة قدم في مائتين ٠ وقد نقش في اعلا الصفة بان الارض زلزلت زلزالاً عظيماً يوم ١٥ المحرم ٤٢٥ (١١ كانون الاول ١٠٣٣) فهدمت عدة أبنية ولم يجرح احد من السكان ٠

والرخام كثير جداً في الرملة وجدران معظم الابنية والدور مغشاة بصفائح من الرخام مرصعة بالنقاش ومغشاة بنقوش ورسوم ويقطع الرخام بمنشار لا أسنان له وبرمل تلك البلاد وبالمنشار تقطع قطع من الرخام بقدر طول السواري والعمد كما تقطع الدفوف من شجرة الا من حيث العرض ٠ ولقد رأيت في الرملة رخاماً من كل جنس ومنه المجزع (المبقع) والاخضر والاحمر والاسود والابيض وبالجملة من مختلف الالوان ٠

وفي الرملة يخرج نوع من التين اللذيذ ولا يوجد مثله في بلد آخر ومنها تحمل الى سائر البلدان وتعرف هذه المدينة في الشام والمغرب باسم فلسطين (كذا) انتهى بنا نفس السير في اليوم الثالث من شهر رمضان (١٤ آذار) بعد ان غادرنا الرملة الى قرية

خاطون (لعلها اللاطرون او النطرون) ثم الى قرية العنب وقد لاحظنا في الطريق كثيراً من شجر البطم ينبت نباتاً طبيعياً في السهل والجبل . وشاهدنا في قرية العنب عيناً تنبع من صخر وكان ماؤها عذباً طيباً وقد وضعت هناك أجران لسقاية ابناء السبيل وأقيمت مساكن لنزولهم عمرها اهل الخير طلب الثواب .

وبعد قرية العنب يبدأ الطريق بالارتفاع تدريجاً حتى خُيل لنا بعد ان صعدنا الجبل ونزلنا الى الجهة المقابلة اننا وصلنا الى المدينة ولكن بعد ان صعدنا زمناً بلغنا سهلاً عظيماً مستوياً ومعظمه حجري على حين تبدو الارض في الاماكن الاخرى عريانة مجردة وفي اعلا نقطة من هذا النجد قامت مدينة بيت المقدس . وهي على ستة وخمسين فرسخاً من طرابلس على ساحل الشام وعلى خمسمائة وستة وسبعين فرسخاً من بلخ وكان وصولنا القدس في اليوم الخامس من رمضان ٤٣٨ (١٦ آذار ١٠٤٦) وقد مضت سنة شمسية منذ غادرنا مسقط رأسنا وظفنا المعالم زمناً دون ان نقف في مكان ودون ان ننال الراحة التامة في موضع . ويطلق سكان سورية وفلسطين على مدينة بيت المقدس اسم القدس وكل من يعجز من سكان هذه الارجاء عن الرحلة الى مكة يذهبون الى القدس في موسم الحج ويقيمون فيها خلال الموقف قائمين باعمال الحج محتفلين بعيد الاضاحي . ويجتمع في بعض السنين في الايام الاولى من ذي القعدة اكثر من عشرين الف رجل في هذه المدينة ويأتون معهم باولادهم ليختنوهم . وينزل القدس النصارى واليهود زرافات زرافات من ولايات مملكة الروم والاقطار الاخرى ليزوروا الكنيسة والمعبد . وستجد وصف الكنيسة العظمى في محله .

وتحيط ببيت المقدس جبال تنبت فيها الحبوب وفيها اشجار الزيتون والتين وغيرها وجميع الاراضي خالية من المياه ومع ذلك فان المأكولات كثيرة رخيصة . ومن رؤساء البيوت من لا تقل وارداتهم من زيت الزيتون عن خمسة آلاف منّ ويجعل هذا الزيت في آبار وأحواض وينقل الى اطراف المعمور . ويقال ان المجاعة لم تشتد قط في بلاد الشام . وذكر لي الثقة ان احد الاولياء رأى النبي عليه الصلاة والسلام في المنام فقال له : يا رسول الله أعني على العيش فأجابه الرسول (انا أضمن رزقك من خبز الشام وزيتها) .

وهاءنذا أصف لك مدينة القدس فهي قائمة على مرتفع وليس فيها غير ماء المطر ولئن كان في بعض القرى المجاورة عيون فليس لها اثر داخل المدينة و يحيط بها سور وثيق البنيان عمل من الحجر والملاط وابوابه من الحديد · واذ كانت المدينة مبنية على الصخر فليس في جوارها مباشرة شجر · وبيت المقدس بلدة عظيمة وكان فيها عندما زرتها عشرون الف رجل واسواقها جميلة وبيوتها عالية وتربتها ممزوجة بالحجارة وقد نحتت الطرق وعبّدت بحيث ان الامطار تنظفها وتغسلها وارباب الصنائع فيها كثار ولكل اهل صنعة في السوق مكان خاص بهم ·

والمسجد الاعظم حيث تقام صلاة الجمعة هو الى الشرق من جهة السوق واسوار المدينة عبارة عن حيطانه ومتى خرج المرء من المسجد يرى أمامه سهلاً عظيماً منبسطاً اسمه ساهرة وفي هذا السهل على ما يزعمون تقوم القيامة وتحشر الاجساد و ينصب الميزان وبفضل هذا المعتقد يأتي من جميع اقطار العالم الى القدس جمهور كبير من البشر ينزلونها ليموتوا فيها وليكونوا على مقربة من المكان الذي عينه المولى تعالى وتحقق فيه ارادته · اللهم يا باريء النسم احفظ عبيدك واغفرلهم خطاياهم آمين يا رب العالمين اهـ ·

القائد مالنجو

فقد المجمع العلمي في اليوم الثلاثين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٦ احد اعضائه القائد مالنجو (Comd. Malinjoud) وكان من العاملين المخلصين المحبين للعرب والمسلمين الواقفين على كثير من شؤونهم الاجتماعية . قال سعادة الجنرال اندريا قائد جيش دمشق على قبره يوم الاحتفال بدفنه في هذه المدينة : « انه ولد في مدينة الجزائر سنة ١٨٧٣ م وصرف معظم ايام حياته في المستعمرات الفرنسية في افريقية ثم في بلاد الشام فخدم في تونس والجزائر وبلاد الصحراء ودخل في سنة ١٩١١ في دائرة الشؤون الاهلية في الغرب الاقصى فقام باعظم الخدم لاضطلاعه بمعرفة اللغة العربية ، وكان من الرجال الذين أثروا بنفوذهم الشخصي وعملهم الثابت القائم على سمو المدارك — في توطيد دعائم الامن والاخلاص في بلاد مراكش مدة الحرب العظمى ، وجاء الى الشام (سورية) مع أوائل مجيء الجيش الافرنسي فتولى وظيفة مندوب اداري في الاسكندرونة وقام باعبائها على صعوبتها أحسن قيام .

وفي سنة ١٩٢١ عهدت اليه ادارة فرع الترجمة في المدرسة الحربية السورية ، ثم إدارة المدرسة العالية للغة العربية في دمشق فتخرج به كثير من الضباط على ممارسة اللغة العربية . وله كثير من الرسائل والمصنفات في الشعوب الاسلامية وفي الشام الذي كان يحبه ، عدّ بها في الدرجة الاولى بين المستعربين من الافرنسيين . وكان يجتهد ان ينشر بين تلاميذه واصدقائه الكثيرين في الشام معرفة فرنسا وحبها .

وقد داهمه الموت غير راحم له في أشد ما يكون من عمله فطفئ وهو يعمل ويجد تاركاً وراءه اسفاً عظيماً في قلوب كل من عرفوه وقدروا أعماله قدرها . واني لانحني معكم أيها السادة أمام هذا القبر لأُحيي افرنسياً صالحاً وصديقاً عظيماً للمسلمين » .

هذا ما قاله قائد الجيش الافرنسي وفيه ترجمة حياة الاستاذ مالنجو السيفية ، اما حياته القلمية فقائمة باحسان الترجمة من اللغتين العربية الى الافرنسية وتسهيل طريقة تعلم الافرنسية على العرب وتعلم العربية على الفرنسيس فأخذ عنه هاتين اللغتين عشرات من ابناء الامتين في مدة وجيزة . وكان له غرام باللغة العربية العامية كالهغرام باللغة

الفصحى وقد نشر لتعلم العامية كتاباً سماه «الدليل» في مجلدين لطيفين وله عدة مقالات في الصحف والمجلات تدل على اجتهاد متواصل وكان ممن يقول بان المدنيتين العربية والافرنسية يمكن اجتماعهما من طريق العلم ، والاجتماع من هذا الطريق اجمل اجتماع وأعوده بالفائدة على الامتين ، وكان يتلطف في بث ما يريد بثه بين تلاميذه من الافكار التي يعتقد صحتها وغناءها دون ان يجرح عاطفة احد وله حرص على تعليم الناشئة الاسلامية اشتهر عنه وعُرف به . وما المدرسة العليا للغة العربية في حاضرة الأمو بين الأثر اجتهاده وجلادته . وكانت له صلات مستديمة مع كبار علماء المشرقيات في فرنسا والجزائر ولذلك يعد المجمع العلمي فقده خسارة عليه وعلى الادب العربي .

وقد انتدب المجمع العلمي احد اعضائه الاستاذ السيد انيس سلوم لتأبينه في المقبرة ساعة دفنه فذكر من صفاته الحسنة وبلائه في خدمة العلم والآداب ونشر اللغتين الجميلتين — اموراً كثيرة . ومما قاله ان الفقيد العزيز كان متحلياً باجمل الصفات ، فكان متواضعاً لطيفاً كثير الجلد والدأب والنشاط وكان يحترم الآخرين ولاسيما العلماء ويبذل جهده في توثيق عرى الاتحاد بين الامتين الافرنسية والسورية من طريق العلم ولطالما آزر المجمع العلمي بقلمه وعلمه وغيرته فدل على نفس كريمة تحب الخير وتتناغى بالفضائل . فلا غرو ان عدت وفاته خسارة عظيمة على المجمع العلمي كما حسب فقده خسارة على آله وصحبه واصدقائه الكثيرين .

وقد خطب على قبره الاساتذة السادة نزيه الزعبي وابو الخير القواص والدكتور جود ومما قاله هذا مخاطباً الفقيد وكان رفيق صباه منذ عشرين سنة : لقد سعيت بجد وراء التوفيق وتحقيق الاتحاد في هذا الشرق المضطرب حيث يسود عدم التفاهم فنصحت للجميع ان لا يتسرعوا في امورهم وان لا يبنوا احكامهم على الظواهر حاثاً اياهم على درس المسائل فيما بينهم درساً دقيقاً بكل روية وامعان . أليس اذا درس الافرنسي اللغة العربية والسوري الافرنسية يصبح بامكانهما ان يتعارفا ومتى حصل التعارف يقتربان ويتصاحبان لان الجهل هو آفة الآفات ومصدر البغضاء والحروب » .

فالمجمع يشارك أصدقاءه وتلاميذه في الاسف عليه رحمه الله . م . ك

آراء اناتول فرانس(١)

— ١ —

« من أعمال البشر كلها احد عاملين : الجوع والحب · لقد علّم الجوع المتوحشين ان يقتلوا وان يخوضوا غمار الحروب والغارات · اما الشعوب المتمدنة فهي ككلاب الصيد : تهيجهم غريزة فاسدة الى الهدم بلا سبب اوجدوى · وبدعى جنون الحروب الحديثة مصلحة ملكية · اومبدأ قوميات · اوتوازناً اوربياً · اوشرفاً · ولعل هذا العامل الاخير أبعدها عن المعقول ، اذ ما من أمة الا احتملت كل المهانات التي قدر لجماعة من الناس ان تنزل بساحتهم وعلى كل ان كانت لا تزال عند الشعوب بقية شرف فأعجب الوسائل الى صيانتها إشعال نار الحرب : اي ارتكاب كل الجرائم التي تعرّي الفرد من شرفه : الحرق والنهب والقتل وهتك الاعراض · اما الاعمال التي يوحي بها الحب فهي عنيفة جنونية فظيعة بقدر الاعمال التي يوحي بها الجوع حتى يحق القول ان الانسان وحش شرّير ·

— ٢ —

لا اعتقد ان البشر أخيار بالفطرة · وأرى انهم على الضد من ذلك ، لايخرجون من وحشيتهم الاولى الا ببطء وجهد ، لينظموا نظامي عدلٍ غير اكيد وخير غير دائم ، ولا يزال بعيداً الزمن الذي يصبحون فيه وادعين يعطف بعضهم على بعض · ولا تقاتل أمة منهم أمة بل تخبأ الصور التي تمثل الحروب لانها منافية للأخلاق الحسنة يخجل منظرها الناظرين · وأرى ان ملكوت العنف سيدوم طويلاً · وان الشعوب لن يكف احدها عن تمزيق الآخر لأسباب تافهة · وان ابناء الشعب الواحد سيسلب بعضهم بعضاً القوت الضروري بدلاً من ان يتقاسموه قسمة عادلة · ولكني على يقين من ان البشر أقل وحشية وفظاظة اذا كانوا أقل بؤساً وشقاء ، وان ترقي الصناعة سيؤدي في النهاية الى تلطيف الطباع · لقد قال لي عالم نباتي ان شجر البوت اذا نقل من ارض جرداء الى ارض خصبة تبدل بشوكه زهراً ·

---

(١) منتخبات من كتيّب وقع في ١٤٣ صفحة صغيرة ترجمة السيد عمر الفاخوري مصدرة بمقدمة للاستاذ السيد أمين الريحاني قدمته مجلة منيرفا هدية الى مشتركيها ·

— ٣ —

ليس موضوع الفن الحقيقة . ينبغي ان تُطلب الحقيقة في العلوم لان موضوعها الحقيقة ولا ينبغي ان تطلبها في الأدب الذي لا يصح ان يكون موضوعه شيئاً غير الجمال .

— ٤ —

ليست الحقائق العلمية محبّبة الى قلوب العامة . فان الشعوب تحي بالميثولوجيا وتتناول من الاساطير كل مبادي العرفان التي تحتاج اليها . وقليلة ما هي : ان بضع اكاذيب كافية لاسعاد ملايين من الناس وبالجملة ليس للحقيقة سلطان على البشر ولو كان لها سلطان لكان هذا مدعاة أسف لان الحقيقة مضادة لطبيعتهم بقدر ما هي مضادة لمصالحهم .

— ٥ —

اكثر ما يتنازع الناس على ألفاظ . ومن اجل ألفاظ يقتلون ويُقتلون بطيب خاطر .

— ٦ —

يثور المرء اذا غُلِب . اما الغالبون فلا يكونون عصاة ثائرين .

— ٧ —

كل ذي حياة غذاء لمن يجيء بعده . والعربي الذي يبني كوخه برخام هيكل تدمر أعقل من كل حفَظَة المتاحف في لندن وباريس ومونيخ .

— ٨ —

هل يوجد تاريخ منصف ؟ بل ما التاريخ ؟ هو تمثيل الحوادث الماضية بالكتابة . ولكن ما الحادث ؟ أهو ايّ حادث كان ؟ كلا بل هو حادث جدير بان يذكر . كيف يحكم المؤرخ على الحادث بانه جدير ام غير جدير بالذكر ؟ يحكم المؤرخ اعتباطاً بفعل ذائقته وطبعه ورأيه اي بصفته فناناً . ذلك ان الحوادث ليست بطبيعتها على نوعين : الحوادث التاريخية والحوادث غير التاريخية . ثم ان الحادث شيء عويص مركب فهل ينقل المؤرخ الحوادث كما هي في تركيبها ؟ هذا مستحيل فانه يعرضها مجردة من كل الخصائص التي تقوم بها ناقصة مشوهة مختلفة عن حقيقتها اما علاقات الحوادث فيما بينها فالأفضل ان لا نذكر عنها شيئاً : اذا كان الحادث الذي يسمى حادثاً تاريخياً

ناشئًا — وهو الاقرب الى التصديق — عن حادث او عن بضعة حوادث غير تاريخية ، اذاً مجهولة ، فكيف يستطيع المؤرخ ان يعيّن الصلة بين هذه الحوادث في تسلسلها ؟ واني لأفترض فيما أقوله الآن ان المؤرخ ينظر في شهادات صحيحة ثابتة على حين انه بالحقيقة مخدوع في اكثر الأحوال ، وانه لا يثق بهذا الشاهد او بذاك الا لدواعٍ عاطفية . ليس التاريخ بعلم بل هو فن ولا ينجح فيه الا صاحب المخيلة .

— ٩ —

ينسخ المؤرخون بعضهم عن بعض فيكفون انفسهم العناء ولا يُتّهمون بالغرور . اقتدِ بهم ولا تكن مبتكراً : فان المؤرخ المبتكر موضع ريبة واحتقار واشمئزاز عند الناس كافة .

— ١٠ —

لا تدوم الممالك بحكمة بعض الوزراء ورجاحة عقولهم بل بحاجة الملايين من الناس الذين يحترفون لكسب معاشهم ضروب الحرف الدنيئة كالصناعة والتجارة والزراعة والجندية والملاحة . فان هذه الصغائر هي التي تؤلف ما يسمونه : عظمة الشعوب ، وليس فيها للأمير ووزرائه ادنى نصيب .

— ١١ —

الحقيقة هي ان الحرب من لوازم الطبيعة الانسانية وانه يتعذر تصور شعوب لا يحارب بعضها بعضاً أعني لا يكونون قتلة نهّابين محرقي القرى كذلك يتعذر تصور ملك او امير ليس بمغتصب وان قليلاً ، لئلا يُزدرى ويلام على زهده في المجد أشد اللوم . الحرب اذاً ضرورية للانسان بل هي ألزم لطبعه من السلم الذي لا يكون الا فترة او هدنة . لذلك كنا نرى الملوك والامراء يقذفون جيوشها بعضها ببعض لشر العلل وأتفه الاعذار فيتوسلون الى الحرب بشرفهم ، ويا لله ما أدقه وأسرع انفعاله : يكفي نفخة ضعيفة لإحداث لطخة لا تغسل الا بدم عشرة او عشرين او ثلاثين او مئة الف رجل ، على نسبة عدد السكان . ومهما أطلنا الروية فلن نفهم كيف يُغسل شرف الامير بدم هؤلاء المساكين ، ولكننا نعلم ان هذه الالفاظ خلو

من المعنى ، وان الناس يقدمون على الموت ، غير وجلين من أجل ألفاظ . وثمه ما هو أعجب فان الامير يصيب فخراً عظيماً من سرقة ولاية . واذا كان التعدي الذي يأتيه فرد جريء جزاؤه الموت فهو امر ممـدوح اذا قام به الملك بمعونة جنوده المرتزقة مظهرين فظاعة لا مثيل لها .

— ١٢ —

ما التاريخ مجموعة أقاصيص اخلاقيـة او مزيج من الحوادث والخطب البليغة حسبما يكون المؤرخ فيلسوفاً او واعظاً . قد توجد فيه قطع بيانيـة جميلة ولكن لا ينبغي ان نلتمس فيه الحقيقة ، لان الحقيقة هي في اظهار مابين الاشياء من نسب لازمة ، ولا سبيل الى اثبات هذه النسب لان المؤرخ عاجز عن اتبـاع سلسلة العلل والمعلولات . انظر : كلما كانت علة الحادث التاريخي من حادث غير تاريخي فان علم التاريخ لا يراها . ولما كان بين الحوادث التاريخية والحوادث اللاتاريخية صلة مكينة نتج عن هذا ان الحوادث لا تتسلسل في التواريخ تسلسلاً طبيعياً بل ترتبط بروابط بيانيـة صنعية ليس الا . كذلك لا يعزب عن فكرك ان المؤرخين يميزون بين الحوادث التي تدخل في التـاريخ والحوادث التي لا تدخل فيه الا اعتباطا . ليس التاريخ اذاً بعلم لانه مقضي عليه بعيب في طبيعته ان يلزمه غموض الكذب وان يعوزه السياق والاتصال اللذان لا معرفة حقيقية بدونهما . كذلك لا يمكن ان تستخرج من اخبار الامم وسيرها اقل دلالة يرجم بها عن مستقبلها . ولما كانت خاصة العلوم التنبؤ والاخبار عن الحوادث الآتية كما هو مشاهد في الالواح التي تعين فيهـا بالحساب الاهلة ومد البحر وجزره والكسوفات قبل وقوعهـا ، فقد أثبتنا ان التاريخ ليس بعلم لان الثورات والحروب لا تضبط بحساب .

— ١٣ —

على مَ تؤلف تاريخاً ؟ اذ ليس عليك الا ان تنسخ من اشهر كتب التاريخ كما هي العادة . ان كان عندك فكر جديد ورأي خاص ، او كنت تظهر الناس والاشياء من وجهة غير مألوفة ؟ فانك اذاً تباغت القـارئ ، والقارئ لايحب ان يُباغَت .

هو لايلتمس في التواريخ الا الحماقات التي يعرفها · فاذا اجتهدت بتعليمه كانت ثمرة جهدك انك حقرته في عين نفسه فأغضبته · لاتحاول إنارة فكره والا صرخ قائلا : انك تسفه عقائده ·

— ١٤ —

التغيير شرط جوهري في الحياة · والمدن كالناس تبقى مازالت متغيرة متطورة ·

— ١٥ —

ان الحرب اليوم هي عار الانسانية وكانت من قبل فخرها · لقد اوجبتها الضرورة على الممالك فكانت مربية النوع البشري الكبرى · فيها مارس ابناء آدم الفضائل التي تشاد عليها الحضارات وتدعم بها قواعدها : علمتهم الصبر والحزم والاستهانة بالمخاطر ومجد التضحية · ويوم دحرج الرعيان قطع الحجارة الضخمة ليبنوا منها سوراً يحامون وراءه عن نسائهم وثيرانهم — أنشيء اول مجتمع انساني وضمن ترقي الصناعات · وهذا الخير العظيم الذي نتنعم به اعني الوطن او المدنية او ذلك الشيء الجليل الذي عبده الرومان ورفعوه فوق الآلهة انما هو ابن الحرب ·

— ١٦ —

ينعم المرء اذ يعيش بمخيلته في الماضي نعيم الشعراء ولكن فلنعلم ان سحر الماضي ليس الا من أحلامنا وان العصور الغابرة التي ننشق عرفها بلذة كان لها في جدتها ما لكل الاشياء التي تجري فيوسطها الحياة الانسانية : من طعم عادي داع الى الحزن ·

— ١٧ —

كبار الشعراء هم لكل النـاس · اما صغارهم فأحق بالغبطة ايضاً لان شعرهم لذة للمترفين الذين لا يقنعون بما يقنع به العامة ·

— ١٨ —

لا يستطيع احد ان يجزم بان المذهب الذي تبدو في النتائج الاولى اضراره ومساويه لن يكون في الغد نافعاً كثير الخيرات · فكل الافكار التي يقوم المجتمع عليها اليوم كانت ضارة متلفة قبل ان تصبح واقية محسنة · وباسم المصالح الاجتماعية

التي يتوسل بها (المسيو برونتيار) حوربت في الماضي مبادئ التساهل والانسانية زمناً طويلاً ٠

— ١٩ —

متى يشتبك البيض بالصفر او بالسود يجدوا أنفسهم مكرهين على إبادتهم اذ لا يُغلب المتوحشون الا بتوحش بالغ الاتقان ٠ وهذا هو الحد الذي تنتهي عنده المشاريع الاستعمارية كلها ٠

— ٢٠ —

لا مراء في انه ستقع ايضاً حروب كثيرة فان الغرائز الوحشية والاطماع الفطرية والكبرياء والجوع التي أقلقت العالم خلال عصور متطاولة ستستمر على إقلاقه ايضاً ٠ وهذه الكتل البشرية الكبرى الآخذة اليوم في التألف لم تجد بعد قاعدتها ولم توفق الى توازنها ٠ كذلك فان تداخل الشعوب بعضها في بعض لم ينتظم الانتظام الكافي لضمان الرفه العام بحرية المبادلات و يسرها كما ان الانسان لم يصبح بعد محترماً في نظر الانسان ولم تتساو أجزاء البشرية في دنوها من روح الاشتراك والتعاون لتكون جميعاً كالحجيرات والاعضاء في الجسد الواحد ٠ وليس بمقدر حتى لأحدثنا سناً ان يشهد ختام عهد السلاح ٠ بيد ان تلك الايام السعيدة التي لم نعرفها نحن نحس بمجيئها ٠ فاذا مددنا الى عالم الغيب هذا الخط الذي نرى بدايته كان في وسعنا ان نرى مواصلات اوفر واكمل بين الامم والشعوب ، وشعوراً اعم واقوى بالتضامن الانساني ، وتنظيماً افضل للعمل ، وبالنهاية قيام « الدول المتحدة » في العالم باسره ٠ وستحقق السلم العام ذات يوم لا لأن البشر يصبحون خيراً مما كانوا (هذا لم يؤذن لنا ان نرجوه) بل لان نظاماً شديداً للاشياء ، وعلماً جديداً وضرورات اقتصادية جديدة ستلزمهم بحالة السلام كما كانت ضرورات الحياة في الماضي ترميهم في حالة الحرب وتبقيهم فيها ٠

— ٢١ —

يلوح لي ان الانسان انما يشقى لافراطه في اجلال نفسه وفي الثقة بالناس ٠ فلو كان رأيه في الطبيعة البشرية اصح واقرب للتواضع لاصبح في احكامه على نفسه وعلى الناس ارق واحلم ٠

— ٣٢ —

سآمة الشعراء سآمة مذهبة فلا تفرطوا في الرثاء لهم : ان الذين يغنون قادرون على ان يسحروا بأسهم . ولا سحر اقوى من سحر الكلام . والشعراء كالاطفال يعزّون انفسهم بالصور .

— ٣٣ —

العمل يجعل الحياة سعيدة أحياناً ، ومحتملة دائماً .

مطبوعات حديثة

اصلاح الفاسد من لغة الجرائد

(لغة الجرائد) : عنوان مقالات كان ينشرها العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي في مجلة الضيا ينتقد فيها كلمات للكتاب والمنشئين وأساليب لهم غير منطبقة على أصول اللغة وقواعدها . وقد أجاد رحمه الله في ما كتب وأفاد . ثم ان تلك المقالات جمعت بشكل كتاب وسمي (كتاب لغة الجرائد) . واتفق في المدة الاخيرة ان وقعت نسخة من هذا الكتاب بيد الاستاذ اللغوي المشهور السيد محمد سليم الجندي فكان وهو يتصفحه يرى فيه بعض ما يصح مؤاخذة العلامة اليازجي به فرأى ان يكتب مقالات ينتقد فيها ما لاح له من أغلاط لغة الجرائد . فكتبها ونشرها في جريدة (الفيحاء) التي تصدر بدمشق . وقد كبر الامر على احد عشاق اليازجي وهم كثيرون ونحن منهم فتصدى للرد على الاستاذ الجندي . ولا يخفى ان الاستاذ الجندي عضو في مجمعنا العلمي كما أن الذي رد عليه عضو في المجمع ايضاً (وهو السيد قسطاكي الحمصي) الاديب الحلبي المشهور .

ولا يُستغرب ان يخطئ العلامة اليازجي فيما كتبه في لغة الجرائد كما لا يستغرب ان يتصدى الاستاذ الجندي لنقده ثم لا يستغرب ايضاً ان يخطئ الجندي في نقده هذا كما لا يستغرب ان ينتبه السيد قسطاكي الى بعض خطأ الجندي فيتصدى للرد عليه — كل ذلك غير مستغرب . ولا هو بموضوع عجب . وانما الغريب ان يبدر من السيد

قسطاكي بك — وهو مؤلف كتاب في النقد مشهور — كلمات تشعر بانكار أن يقوم مثل الجندي فيخطّئ مثل اليازجي — لا جرم ان رصيفنا السيد قسطاكي لم يصب في انكاره هذا بل ان اليازجي نفسه لو كان حيّاً لما وسعه الا ان يكون معنا في تخطئة السيد قسطاكي . وهذا هو المعهود من أخلاق اليازجي ولين جانبه وفرط تواضعه رحمه الله . أما رصيفنا الآخر السيد الجندي فانه لم يطق صبراً على دعوى رصيفه السيد قسطاكي . ولم يتسع صدره لما بدر منه من الانكار عليه فكتب مقالات متسلسلة في مناقشة السيد قسطاكي فيما انتصر به للمرحوم اليازجي . وقد نشر مقالاته في إحدى جرائد دمشق . ثم عاد فجمعها في شكل كتاب بلغ نحو (١٥٠) صفحة . وسماه (اصلاح الفاسد من لغة الجرائد) . وقد ادرك القارئ مبلغ الفائدة التي تضمنها هذا الكتاب في علم اللغة والأدب . كيف وابطال البحث فيه هم من خيرة علماء عصرنا الذين أخصوا في آداب لغتنا العربية لولا بعض كلمات اوهنات . تخللت تلك المناقشات . كنا نود لو تنزهت عنها . وموضوعات البحث بلغت ثلاثين موضوعاً ونيفاً . من ذلك كلمة (ضوضاء) أمؤنثة هي ام مذكرة ؟ وكلمة غيْر هل يصح دخول (أل) عليها او لا ؟ و(مشهور) هل يصح جمعه على مشاهير ؟ و (خصْم) هل يجمع على اخصام ؟ وهل يقال امرهامّ اوهمّ ؟ وتعرف الى فلان او بفلان ؟ وهل ورد في فصح اللغة أغاظه وأشغله وأرعبه من الرباعي او لم يرد ؟ في نظير ذلك من المباحث التي يحرص على مثلها عشاق اللغة . والمولعون بآدابها . فنشكر للرصيف الجندي هديته . ونقدر له عنايته بخدمة لغتنا الشريفة . كما لا نبخس رصيفنا الآخر السيد قسطاكي حقه من الثناء والتقريظ فان الرصيفين المتناظرين فرسا رهان . وفي خدمة اللغة العربية أخوان . رضيعا لبان .

المغربي

قصر آل العظم في دمشق

هي رسالة في ٢٤ صفحة نشرها رصيفنا الاستاذ السيد عيسى اسكندر المعلوف في مجلة المشرق اولاً ثم أخرجها كراسة برأسها . وقد صدرها بمقدمة في آل العظم ورجح عروبة هذه الأسرة استناداً على ما قاله الشيخ عبد الرحمن الفاسي المغربي في

تاريخه المخطوط في مصر بعد سنة ١١٠٠ هـ وقد ذكر وفاة احدهم فقال : « ان هذا اللقب من الدولة وانما اصلهم عربان من بادية الشام » . وقد اقتبس صديقنا ما قاله ابن بدير الحلاق في يومياته عن قصر اسعد باشا العظم في دمشق وكيف عُمّر ، وما قاله احد احفاد البستاني خليل بك العظم في وصفه من رسالة الى غير ذلك من الفوائد التي اعتاد الاستاذ الباحث ان يتحف بها عالم الادب والتاريخ . م . ك

فتح مصر الحديث
— او —
« نابوليون بونابرت في مصر »

(تأليف احمد حافظ بك عوض صاحب جريدة كوكب الشرق طبع في مطبعة)
(مصر سنة ١٩٢٥ ص ٤٣٨)

مؤلف هذا الكتاب من رجال النهضة المصرية الحديثة معروف بآثاره النافعة عند قراء العربية بما نشره من بنات افكاره وعرّبه عن اللغات الافرنجية خلال حياته الصحافية المملوءة بالفوائد الممتعة . وكتابه هذا في موضوع طريف كتبه على أسلوب النقد التاريخي باسهاب ملذ خالف فيه سنة اكثر مؤرخي العرب وتابع فيه طريقة المؤرخين من الافرنج معتمداً فيه على مصادر افرنجية مهمة ومصادر عربية للمؤرخين العربيين المعاصرين لتلك الحوادث وهما عبدالرحمن الجبرتي ونقولا الترك ونقد بعض ما روياه ورواه المؤرخون من الافرنج في حملة نابوليون على مصر وما وقع من الحوادث المؤلمة في فتحه وما ادخله من الانظمة والقوانين والاصلاحات العمرانية الجديدة وما جدّ من الاحوال في حملة نابوليون على الشام والسبب في إخفاقه فيها على عكا وماعملته الدولةالعثمانية وانكلترا وغيرهما من الاعمال لوضع حدّ لهذه الحملةالافرنسية . ومن اجمل فصول الكتاب فصل اسمه « سياسةالانشاء للبقاء » ذكر فيه ماعمله نابوليون لانشاء المجمع العلمي المصري الذي لا يزال الى اليوم سائراً في الخطة التي اختطها له هذا الفاتح العظيم من خدمة العلم والآثار والتاريخ قال المؤرخ في خاتمته « ... ان العمل العلمي الذي قام به رجال البعثة العلمية من بحث وفحص وتأليف وتصوير . قد

غطى على تلك العيوب وابقى الى اليوم اثراً علمياً فاخراً باهراً ، ان لم يكن قد افادنا من وجهة مباشرة فائدةً مادية علمية وحتى وان لم تستفد منه فرنسا ماامّلته الاان ذلك لايمنع من الاعتراف بانه عمل تطأطي أمامه الرؤوس إجلالاً واكباراً ٠٠ » فنثني على همة صديقنا في معالجة كل موضوع ينفع مصر ، ونعجب بتبريزه في فهم روحها ونفسيتها فهماً يغبط عليه ، ونرجو ان تدوم له هذه الهمة الشماء في خدمتها فان خدمتها خدمة لجميع بلاد العرب على الاطلاق ٠

م٠ك

نظرة تاريخية

« في حدوث المذاهب الاربعة وانتشارها »

هذه الرسالة لمؤلفها العلامة المحقق الاستاذ احمد تيمور باشا كان كتبها مقالات متفرقة في مجلة (الزهراء) ثم جمعت على حدة بشكل رسالة لطيفة الحجم بلغت صفحاتها (٤٥) صفحة وطبعت في المطبعة السلفية ٠ وهذا البحث يهم كل مؤرخ وكاتب اجتماعي يلذ له الوقوف على اصول التشريع الاسلامي وتطوره وكثرة أئمته والمقارنة بينهم ثم كيف كان الظهور والغلبة لارباب هذه المذاهب الاربعة وحدها وهم الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وتقصي الاسباب التي جعلت هذه المذاهب تنتشر وتحيا بينا المذاهب الاخرى تموت وتخفى ٠ ومن فوائد هذه الرسالة ان مؤلفها ذكر إحصاءً تقريبياً لاتباع هذه الاربعة المذاهب في مختلف أقطار العالم الاسلامي معتمداً في ذلك على أصح المصادر الافرنجية ٠ كما كان اعتماده في الكلام على المذاهب — على أهم الكتب المطبوعة والمخطوطة في هذا الشأن ٠ وعلى الجملة فان البحث ممتع مفيد قل من يجيد فيه إجادة مؤلفه فالشكر له على مساعيه الجمة ٠ في خدمة العلم والامة ٠ *

هدية

أهدى الاديب السيد حسام الدين الكزبري الى المجمع العلمي تسع رسائل خطية منها : (١) شرح غرامي صحيح للاشبيلي تأليف يحيى بن عبد الرحمن الاصفهاني المعروف بالقرافي من علماء القرن العاشر · (٢) إجازة للشيخ عبد الرحمن بن محمد الكزبري في الطريقة الشاذلية من السيد محمد تقي الدين كتبت سنة ١٢٠٧ · (٣) رسالة في الفروع مأخوذة من صحيح البخاري للشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني بخط محمد بن عبد القادر المجذوب سنة ١٢٩٨ · (٤) براءة من السلطان محمود الى الشيخ محمد مسلم الصمادي الادهمي بتوليه القضاء بدمشق سنة ١١٦٧ · (٥) براءة من السلطان سليمان الى الشيخ محمد الكزبري بتدريس ثلاثة اشهر رجب وشعبان ورمضان في جامع بني أمية بدمشق سنة ١١١١ احدى عشرة ومائة والف · (٦) صورة وقفية آمنة خانم بنت المرحوم الحاج سليمان باشا على مدرس مدرسة والدها مع بيان اقلام الوقف كتبت سنة ١١٨٢ · (٧) كتاب من مصطفى عبد الله اغا سردار الى الشيخ سعيد الكزبري كتبت سنة ١٢٣٣ يعلم منه حالة الانشاء والخط في ذلك العصر · (٨) براءة ايضاً من السلطان محمود الاول الى صفية خانم بنت نصوح باشا كتبت سنة ١١٤٤ · (٩) إجازة من الشيخ احمد البقري من علماء الازهر بالقراآت السبع من طريق الشاطبية الى الزين علي بن احمد الدمشقي الشهير بابن كزبر كتبت سنة ١٢١١ تضمنت سلسلة شيوخ القراء وبعض مسائل تتعلق بفن القراآت · فالمجمع العلمي يشكر للمهدي هذه الاريحية على هديته · ☆

التذمر من الدهر

(الوزير المغربي) هو وأسرته من رجال الدولة الفاطمية ثم لما قتل الحاكم اباه واخوته خرج من مصر وجعل يكيد للحاكم ثم تولى الوزارة لآل بويه حتى توفي سنة ٤١٨ هـ . ولما خرج من مصر وضرب في البلاد كان معه غلام يخدمه اسمه داهر فقال متذمراً من غربته وفراق أحبته ومعاشرة هذا الغلام . الكثير الكلام .

(كفى حزناً أني مقيم ببلدة يعللني بعد الأحبة داهر)
(يحدثني مما يجمع عقله أحاديث : منها مستقيم وجائر)

وقد حذا حذوه في هذا التذمر والشكوى (ابو المجد المعري) وهو ابن اخي ابي العلاء حكيم المعرة . وقد كان ابو المجد قاضياً فيها الى ان دخلها الصليبيون سنة (٤٩٢) هـ فنزح عنها وأقام بشيزر ضيفاً على أمرائها آل منقذ ثم لجأ الى حماه الى ان مات سنة (٥٢٣) عن ثلاث وثمانين سنة قال الامير (أسامة بن منقذ) : لما فارق ابو المجد اهله بالمعرة بقي منفرداً في غربته لا مؤنس له سوى غلام اسمه (شعيا) فقال نادباً سوء حظه وما يلقاه من معاشرة (شعيا) غلامه .

(زمان غاض اهل الفضل فيه فسقياً للحمام به ورعيا)
(أسارى بين أتراك وروم وفقد أحبة ورفاق شعيا)

اما أسامة بن منقذ صاحب قلعة شيزر الذي روى لنا خبر (ابي المجد المعري) فانه نزل به ايضاً من الغربة ومفارقة الأهل والوطن ما نزل برفيقيه فانه لما جلا عن بلده شيزر نزل دمشق ثم فارقها الى مصر حتى ملك السلطان صلاح الدين فاستدعاه الى دمشق وهو شيخ قد جاوز الثمانين . قال العماد الكاتب : وكنت أتمنى ابداً لقياه . واشيم على البعد حياه . حتى لقيته في صفر سنة ٥٧١ هـ ثم مات سنة ٥٨٤ هـ ودفن شرقي جبل قاسيون قال ودخلت تربته وهي على جانب نهر يزيد الشمالي وقرأت عنده شيئاً من القرآن وترحمت عليه . حكى أسامة عن نفسه قال : « ولما بليتُ انا بفرقة الأهل كتبت الى اخي استطرد بغلامَي ابي المجد والوزير المغربي اللذين ذكراهما في شعر يهما فقلت :

(أصبحت بعدك ياشقيق النفس في بحرٍ من الهم المبرّح زاخر)
(منفرداً بالهمّ مَنْ لي ساعة برفاق (شعيا) او علالة (داهر)

التنبيه
على غلط الجاهل والنبيه
— ٣ —

﴿ فصل الهمزة ﴾

فاعلم ان من جملة ما يلحنون فيه (فيما فاؤه همزة) لفظ (الإباء) يزيدون فيه ياء فيقولون (إيباء) وكأنهم يظنونه من الإفعال . وقد نظمت في هذا ما يدلهم على الصواب . ويعيّن بابه من بين الأبواب . فقلت :

(أخو الجهل الموفّر لا يبالي أينطق بالخطا ام بالصواب)
(وأما من له عقل سليم أبى يأبى إباءً فهو آبي)

ومنها لفظ (الإباق) يزيد فيه اكثر الناس تاء فيقولون (الإباقة) زعماً منهم ان اللفظ من باب الإفعال . وقد غيره الإعلال كالإفاقة مثلاً . لكنه من الثلاثي والهمزة أصلية . قال في الصحاح أَبَق العبد يأبِقُ (بكسر الباء وضمها) اي هرب .

ومنها لفظ (ابي ايوب) هو كنية خالد بن زيد الانصاري الخزرجي المشهور رضي الله تعالى عنه والعوام يقولون (أيوب) زعماً منهم انه اسمٌ له .

ومنها قولهم بالآخر على وزن فاعل وقول بعضهم (بالأَخرة) بفتح الخاء في موضع (بأَخِرَة) على وزن حَمِئة . ففيها لحنان : تحريف لفظ (أَخِرة) وادخال اللام عليه . والصحيح حذف اللام لانها في موضع الحال تقول جاءني فلان أَخِرةً وبأَخِرةٍ وعرفته بأَخِرةٍ اي أخيراً وحق الحال ان تكون نكرة [1] .

ومنها لفظ (امغيلان) يلحنون فيه ويقولون (مغيلان) فان زعموا انه صح بكثرة

---

(١) قصر المؤلف كلامه على تصحيح (أَخِرة) كحمئة وكان عليه ان يتم تصحيح (الآخر) على وزن فاعل فصوابه (آخراً) من دون أل يقال جاء آخراً اي اخيراً . والظاهر ان إعراب هذه الكلمات على الظرفية لا الحال كما قال المؤلف وان كانت في قوة الحال في المعنى اي متأخراً .

الاستعمال وصار كأنه من الالفاظ الأعجمية — قلنا قد عرفت ان كثرة استعمال الغلط لا يخرجه من الغلطية · وان سلّم فلا اقلّ من معرفة الأصل وعروض التحريف · وان ادّعوا ان سبب استعماله خفته على اللسان قلنا فلِمَ يقولون في المقياس أُم القياس مع انه [١] أخف وأصح · وبالجملة لا يُعْذر اهل العلم في هذا · و (أُمّ غَيْلان) شجرة السَمُر التي تكثر في بوادي الحجاز ·

ومنها لفظ (الإِناث) هو ككتاب جمع الانثى ذكره في القاموس · والبعض يضم [٢] همزته وهو وهم صريح ·

ومنها (الأَنانية [٣]) هي اختراع محض لا أصل لها ·

ومنها لفظ (الأوان) هو كزمان لفظاً ومعنى وبعض الناس يمد همزته · فقلت في هذا :

(أُنكرُ لحنَ أبناء الزمان ووهْمَ الناس في لفظ الأوان)

(ولو حاولت للأوهام عداً اذاً ضاقت عن البعض الأواني)

ومنها لفظ (الإِيوان) هو والإِوَان بكسر اولها الصُفّة العظيمة كذا في الصحاح والقاموس · والناس يفتحون همزته وهو لحن اذ هو لفظ [٤] عربي كالديوان ولكن يجوز الفتح [٥] في الديوان حكاه في القاموس · وتكسير الإِيوان أواوين كديوان ودواوين لان أصله إِوّان أُبدلت من احدى الواوين ياء كما ذكر في الصحاح · ويمكن الاعتذار بان أهل بلادنا تلقفوا [٦] هذه الكلمة من أبناء العجم وهو مفتوح الهمزة في لغاتهم [٧] ·

﴿ فصل الباء ﴾

ومنها (في فصل الباء) (البرّية) بتشديد الراء الصحراء والجمع براري وتخفيف الناس راءها غلط اذ هي بالتخفيف فعيلة من بَرَأَ الله الخلق اي خلقهم والجمع البرايا [٨] والهمزة مليّنة ·

---

(١) اي مع ان لفظ المقياس · (٢) اما المضموم الهمزة فهو أُناس بالسين بمعنى الناس (٣) تصحيح الانانية ساقط من بعض النسخ (٤) صوابه غير عربي وفي التاج نقلاً عن المحكم وهو أعجمي (٥) اي فتح الدال (٦) وفي نسخة تلقّوا · (٧) وفي نسخة في لسانهم · (٨) وفي نسخة (والجمع البرايا والبريات) ·

ومنها (البُزاق) مع اخويه البُساق والبُصاق بالتخفيف . والتشديدُ خطأ والمعنى معروف .

ومنها (البشارة) هي بالفتح بمعنى الجمال [١] . والاسم من البُشرى البُشارة بكسر الباء وضمها لا غير . والناس يفتحون الباء في الاسم من البُشرى وهماً منهم ولحناً [٢] .

ومنها (البقّم [٣]) وهو بالتشديد نص عليه في القاموس . فالتخفيف خطأ . ولا ينقص عجبي من هؤلاء القوم : يشدّدون المخفّف ويخفّفون المشدّد كأنهم جبلوا معكوسين .

ومنها (الباكرة) وهي من مخترعات العوام وليست من كلام العرب والصحيح البِكْر .

ومنها (البلّور) هو على وزن التنُّور والسنَّور وبالتخفيف كَسِبَطْر [٤] جوهر معروف كذا في القاموس . فكسر الباء مع ضم اللام على ما هو المشهور خطأ .

ومنها لفظ (الابن) يقطعون [٥] ماقبل الابن الواقع بين العَلَمين عنه ويكسرون باءه مبتدئين بها ويسكنون آخره فيقولون أحمد بنْ محمد مثلاً . وقد شاع هذا بين الناس حتى كاد لا يتحاشى عنه الخاصة ايضاً لاعتياد الألسن له . والوجه الوصل اذ لولاه لما سقطت الهمزة . وانما ذكرتُ (الابن) في هذا الفصل [٦] لان اصله بَنْوٌ او بَنْيٌ .

ومنها (المبتني) الصحيح فيه ان يقال الامر مبتَنى على كذا مبنيّاً للمفعول بمعنى المبنيّ لان ارباب اللغة مطبقون على ان بنى الدار وابتناها بمعنىً واحد . والناس يخطئون فيه ويقولون الأمر مبتَنِي على كذا . زعماً منهم انه لازم .

ومنها (بنيامين) كاسرائيل [٧] اخو يوسف عليه السلام ولا تقل ابن يامين كذا في القاموس . وقد شاع بين الناس ابن يامين ظناً منهم انه لفظ عربي وليس كذلك بل هو اعجمي . واما (ابن يامن) الذي ذكره طَرَفة بن العبد البكري في معلقته حيث

(١) والحسن وفلان أبشر من فلان اذا كان أحسن منه وأجمل وأسمن .
(٢) وفي نسخة وخطأ . (٣) البقم خشب شجر أحمر يصبغ بطبيخه . (٤) السِبَطْر على وزن هزبر الرجل الماضي الشهم . (٥) اي يسكنون آخر اللفظ الذي قبل ابن ثم يبتدأون بالباء مكسورة مع ان الواجب تحريكه ووصله بباء ابن مع حذف همزته التي هي همزة وصل . (٦) اي فصل الكلمات التي أولها باء . (٧) وفي نسخة كإسرافيل .

يقول : (عَدَوْليّة أو من سفين ابن يامن [١]) فهو رجل من اهل حجر [٢] او تاجر بالبحرين وليس من اخوته عليه السلام ومعنى ابن يامن ابن رجل مسمى بيامن · و يامن [٣] من الاسماء المشهورة فكيف يصح ان يقال لابن يعقوب عليه السلام ابن يامين [٤] ·

﴿ فصل التاء ﴾

ومنها (في فصل التاء) (التوأمان) هذا اللفظ تثنية توأم على وزن فوعل يقال اتأمت المرأة اذا وضعت اثنين في بطن واحد فهي متئم · وذكر في القاموس ان التوأم من جميع الحيوانات المولود مع غيره في بطن ذكراً كان أو أنثى · ويقال توأم للذكر وتوأمة للانثى فاذا جُمعا [٥] فهما توأمان · وغَلِطَ الناس فيه انهم يستعملونه [٦] بمعنى التوأم · يقولون فلان توأمان فلان بالاضافة ظناً منهم انها كلمة واحدة [٧] كالزعفران والصحيح هو توأم فلان · وهما توأمان · وانما ذكرته في اول الفصل [٨] مع ان ثانيه واو لأن الواو زائدة والثاني هو الهمزة في الحقيقة وهكذا ذكره اصحاب اللغة ·

ومنها (الترجمة) بفتح الجيم مصدر على وزن (فعللة) من ترجم يقال ترجمه وترجم عنه اي فسّره · وماشاع [٩] بين الناس من ضم الجيم خطأ · وقد سمعت هذه اللفظة من بعض الأماثل فشدّدتُ النكير عليه ففكر طويلاً ثم أدى رأيه الا انها بوزن التفعلة كالتبصرة فاستحييت [١٠] ووددت اني لم اسأله عنها ·

ومنها (الترجمان) يقولونه بفتح التاء وضم الجيم ولم يقل به احد من اصحاب اللغة ·

---

(١) تمته (يجور بها الملاّح طوراً و يهتدي) · (٢) بالفتح مدينة اليمامة وأم قراها ولعل صوابه هجر بالهاء لانها هي قاعدة البحرين · وفي نسخة من اهل الحجاز · (٣) وفي نسخة و يامن و ياسر · (٤) وفي نسخة ابن يامن · (٥) وفي نسخة (واذا اجتمعا فهما توأمان) · (٦) اي يستعملون (التوأمان) · (٧) اي مفردة لاتثنية · (٨) اي فصل التاء · على ان توأم اصلها (ووأم) من الوئام فهو مما أوله واو فكان الانسب ان يذكره في فصلها · (٩) كأنه سرى لهم ذلك من ضم جيم ترجُمان الشائعة على الالسنة · (١٠) اذ الفرق بين الترجمة والتبصرة ان الترجمة مصدر الرباعي المجرد كالدحرجة · اما التبصرة فمصدر الثلاثي المزيد عيناً من جنس عين فعله وهو باب فرّح اذ له مصدران التفعيل والتفعلة ·

قال في القاموس الترجمان كعُنْفُوان وزَعْفَران وز برقان [1] هو المفسر للسان ·

ومنها (المتروك) يستعملونه استعمالاً شائعاً مكان التارك فيقولون مثلاً (فلان متروك) اذا ترك العلم او غيره · ولا يجوز ان يكون هذا مفعولاً بمعنى الفاعل كقوله تعالى (انه كان وعده مأتيا) وكقوله تعالى (حجاباً مستوراً) — لانه لا يجري فيه القياس بل هو مقصور على السماع · على أن صاحب الكشاف قال في قوله تعالى (مأتيا) مفعول بمعنى الفاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم يأتونها · وحكى في قوله تعالى (حجاباً مستوراً) أقوالاً : منها انه حجاب لا يُرى فهو مستور · ومنها انه يجوز ان يراد به حجاباً من دونه حجاب · فهو مستور بغيره ·

ويمكن ان يُستخرج للمتروك [2] وجه وان كان بعيداً وهو انهم نسبوا الترك الى العلم تأدباً ثم شاع هذا الاستعمال حتى قيل لمن ترك شيئًا من الصنعة [3] متروك ايضاً ·

واما (المشغول) فهو صحيح بلا نزاع لأن من يعكف على الشيء يشتغل به عن غيره فيصح ان يقال فلان مشغول بكذا اي مصروف به عن غيره · قال في الصحاح يقال شُغِلت عنك بكذا : على ما لم يُسَمَّ فاعله ·

فصل الثاء

ومنها (في فصل الثاء) (الثِقَل) كعِنَب ضدُّ الخفة و يستعمله البعض في هذا المعنى بسكون القاف · وهو خطأ لانه [4] اسم للثقيل قال في الصحاح الثِقْل واحد الاثقال كحِمْل واحمال ·

ومنها (الثيِّب) يزيدون في هذه اللفظة هاء [5] و يقولون ثيِّبة وهو خطأ لانها

---

(١) قوله ز برقان بكسر الزاي والراء · لكن الذي رأيناه في نسخة مخطوطة لدينا من القاموس وفي التاج مكان ز برقان (ريهقان) بفتح الراء وضم الهاء بمعنى الزعفران فعلى هذا يقال ترجمان بفتح التاء وضم الجيم ولا غلط في كلام العامة · (٢) اي في قولهم : فلان متروك اذا ترك العلم · (٣) وفي نسخة : حتى قيل لمن ترك صنعته وفي أخرى لمن ترك ضيعته · (٤) اي لأن (ثقل) بالسكون · (٥) وفي نسخة تاء

وردت مجردة عن التاء بلا خلاف بينهم[1] قال في القاموس : الثيب المرأة فارقت زوجها اودُخل بها . والرجل دُخل به . او لا يقال للرجل الا في قولك (ولد الثيِّبَيْن) يعني انه لا يطلق على الرجل الا تغليباً . وفي تحرير[2] هذه الكلمة اختلافات تتضمن فوائد لا بأس بذكرها :

فاعلم انه قال العلامة في المفصل : للبصريين في نحو حائض وحامل[3] وطالق مذهبان : فعند الخليل انه على معنى النسب : كلابن وتامر : كأنه قال : ذات حيض وذات حمل , وذات طلاق . وعند سيبويه انه متأوّل بانسان او بشيء حائض . كقولهم غلام رَبْعة ويَفَعَة[4] على تأويل النفس . وانما يكون ذلك في الصفة الثابتة . واما الحادثة فلا بد لها من علامة التأنيث فتقول : حائضة وطالقة الآن او غداً .

أقول قد أوضح في الكشاف الفرق بين الصفة الثابتة والحادثة في تفسير قوله تعالى (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) — بان (المرضع) هي التي من شأنها الإرضاع وان لم تكن ثابتة[5] الإرضاع في حال وصفها به . و (المرضعة) هي التي في حالة الإرضاع ملقمة[6] ثديها الصبي . وذكر انه هو سبب اختيار (المرضعة) على (المرضع) لان المراد تعظيم[7] شأن الزلزلة وهي أدخل فيها[8] .

ثم قال في المفصل : فمذهب الكوفيين يبطله جريُ (الضامر) على الناقة والجمل و (العاشق) على المرأة والرجل . على أن مذهب الكوفيين هو أن حذف التاء من نحو حائض للاستغناء عنها . وهذا يوجب اثبات التاء في محل الالتباس كضامر وعاشق وايّم وثيّب وعانس وغيرها[9] على الذكور والاناث . وهذا[10] الاعتراض متين لكن

(١) وفي نسخة على خلاف بينهم . (٢) وفي نسخة تجريد هذه الكلمة . (٣) وفي نسخة و(طامث) بدل وحامل . (٤) رَبْعَة اي وسيط القامة وغلام يفعة شب ولم يبلغ . (٥) وفي نسخة وان لم تكن تباشر الإرضاع . (٦) وفي نسخة تلقم . (٧) وفي نسخة تفظيع . (٨) كذا في النسخ ولعل صوابه فيه اي في تعظيم شأن الزلزلة والمعنى ان إلقام الثدي والإرضاع بالفعل أدخل في تعظيم شأن الزلزلة وأشد تصويراً لاحضار هولها في أذهان المخاطبين . (٩) متعلق بمحذوف اي مما يصح اطلاقه على الذكور الخ . (١٠) وفي نسخة لان الاعتراض الخ .

الاعتراض باثبات التاء في الاوصاف المختصة بالاناث كامرأة مُصْبِيَة وكلبة مُجْرِيَة على ماذكره في الصحاح[1] ليس بسديد : لأن ماذكروه مجوّز لا موجب : لانهم يقولون: الاتيان بالتاء في صورة الاستغناء جَرَى على الاصل كحاملة في المرأة . قال في الصحاح : يقال امرأة حامل وحاملة : اذا كانت حُبلى : فمن قال حامل قال هذا نعت لا يكون الا للإناث . ومن قال حاملة بناها[2] على حَمَلَتْ فهي حاملة . وأنشد[3] :

(تمخضت المنون له بيوم أَنَى[4] ولكل حاملة تمام)

فاذا حملت المرأة شيئاً على ظهرها او على رأسها فهي حاملة لا غير لان الهاء انما تلحق للفرق فيما لا يكون[5] للمذكر لا حاجة له فيه الى علامة التأنيث فان أُتي بهما فانما هو على الاصل هذا قول اهل الكوفة انتهى . وانما أطنبتُ الكلام في هذا المقام تكثيراً للفوائد . (للكلام صلة)

---

(١) وفي نسخة على ما ذكره في الاوصاف . (٢) وفي نسخة بناه . (٣) وفي نسخة (وأنشد للشيباني عمرو بن حسان) . (٤) وفي نسخة (أنى) اي دنا وقرب وحضر . (٥) قوله فيما لا يكون الخ وفي نسخة (فأما ما لا يكون للمذكر فقد استغنى فيه عن علامة التأنيث فان اتي بها الخ) ورجعنا الى عبارة الصحاح فاذا هي هكذا (فما لا يكون للمذكر لا حاجة فيه الى علامة التأنيث فان أتى بها الخ) ولعل صواب العبارة هكذا : (انما تلحق للفرق فيما لا يكون للمذكر حاجة الى علامة التأنيث الخ) .

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) آذار سنة ١٩٣٦ م الموافق شعبان ورمضان سنة ١٣٤٤ هـ

٦٣

نموذج من معجمنا (١)

« في العاميّة المصرية »

أَلدِوان

بفتح فسكون فكسر والأتراك يضمّون داله ولهم فيه لغات وهو عندهم بمعنى لباس اليد والعامة تستعمله في ذلك ولم تغير في لفظه الا الضم في الدال — بالكسر · وقد قلّ استعمال هذا اللفظ الآن بعدما فشت العجمة الافرنجية بينهم واستعاضوا عنه (بالجِوَنْتي) وصفة هذا اللباس انه شبه خريطة تعمل على مثال اليد باصابعها فتلبس للوقاية من البرد او للزينة ويخصّ الابيض منه بالزينة في المواكب فيلبس مع حلة التشريف · والعرب تقول له القُفَّاز بضم القاف وتشديد الفاء وكانت تتخذه من الجلود واللبود ومنه ما كان يجعل له بطانة وظهارة ويحشى بالقطن وتكون له أزرار تزرّر على الساعدين من البرد ومنه ما كان طويلاً يصل الى كعوب المرفقين · وتدل النصوص اللغوية على انه كان خاصاً بالنساء عند العرب · وهو من خير الألفاظ المرادفة للالدوان ·

---

(١) عُني العلامة الاستاذ احمد تيمور باشا احد اعضاء مجمعنا منذ سنين بوضع معجم في العامية المصرية فأتمه وهو على عزم طبعه عما قريب وقد رجوناه ان يتفضل ويكتب لنا نموذجاً منه فتكرم على عادته واقتطف من كل حرف من حروف المعجم لفظة وها نحن ننشر مبحثه مع الشكر ليرى العلماء والادباء مبلغ تحقيق العلامة المشار اليه وينتفع طلاب هذا الشأن بثمرة علم الاستاذ ·

ومن القفافيز نوع كان يلبسه حاملو البزاة في خروجهم الى الصيد ويسمونه بالدستبان وهو لفظ فارسي معناه حافظ اليد وفي قصد السبيل للمحبي انه معرّب ولم نره في كلام عربي فالظاهر انه مولد التعريب · ولابي نواس من طردية في وصف البازي وكان دستبانه من فرو ·

لما رأيت الليل قد تشزّرا عني وعن معروف صبح أسفرا
كسوت كفي دستباناً مُشْمَرا فروة سنجاب لؤاماً أو برا
نقي بنان الكف ان لا تخصرا وغمزة البازي اذا ما ظفرا

وقال ابو الفرج الاصبهاني في وصف الخمر من قصيدة :

وسلاف كالتبر أذكى من المسـ ـك واصفى صبغاً من الزعفران
وكأن اليد التي تحتويها من صبيب العقيان في دستبان

ومثله قول الخبّاز البلدي :

قهوة لو أنها نطقت ذكرت قحطان في العرب
وهي تكسو كف شاربها دستبانات من الذهب

اي كأن شعاع الخمر على يد حامل الكأس كساها دستباناً من عقيق اوذهب · وهو كثير الورود في شعر المولدين ولا سيما في الطرديات عند ذكر البزاة والصقور · والعرب تقول للدستبانات الختاع بكسر الاول ككتاب على ما هو وارد في النصوص اللغوية قال عاصم في ترجمة القاموس وعلى هذا فهو جمع «واحدته ختاعة» قلنا ولا يخفى ان الجمع الذي بينه وبين واحده التاء نادر في غير المخلوق فان ثبت هذا فهو من المسموع كما سمع في جمع سفينة سفين وفي لَبِنة لبن ·

وربما اطلقوا الدستبان على ما يلبس للزينة كما يعلم من قول ابن بطوطة في وصفه لهدية سلطان الهند لملك الصين «وعشر خلع من ثياب السلطان مزركشة وعشر شواشٍ [1] من لباسه احداها مرصعة بالجوهر وعشرة تراكش [2] مزركشة

---

(١) الشواشي كلمة مولّدة يريدون بها جمع شاشيّة بمعنى القلنسوة التي تلف عليها العامة نسبة الى النسيج المعروف عندهم بالشاش وهو الذي تتخذ منه العمائم عادة ·

(٢) التراكش جمع تركش وهي كلمة مولّدة فارسية الاصل يريدون بها كنانة السهام ·

احدها مرصع وعشرة من السيوف احدها مرصع الغمد بالجوهر والدستبانات وهو قفاز مرصع بالجوهر » • والظاهر انه كان مرصع الازرار او كان الترصيع فيما يلي منه رسغ اليـد في موضع السوار ولا يبعد انه كان مرصع الظهر في موضع خطوط الحرير التي توشّى بها بعض القفافيز اليوم •

باغة

الباغة مادة تعمل منها الامشاط والاسورة ونحوها والمحافظ للفائف الدخان وقد تعمل منها العصيّ الثمينة وبعض الطُرَف • وهي دخيلة في العامّيّة من التركية وتطلق في هـذه اللغة على انواع السلاحف والضفادع و يراد بها ايضاً ظهر السلحفاة البحرية الذي تعمل منه هذه الاشياء وهو المراد بهذه اللفظة عند العامة • وفي الدرر المنتخبات المنثورة للحفيد انها دخيلة في التركية ومحرفة عن (باخة) بمعنى السلحفاة في الفارسية و يظن الاستاذ بدروس العكس في معجمه الاشتقاقي للالفاظ التركية المؤلف بالفرنسية •

وقد تقلّد الباغة بالهلام وبمواد أُخرى وقد تطلقها العامة توسعاً على مواد تتخذ منها هذه الطرف وان لم تشبه الباغة • و يرادف الباغة من الفصيح الذبل بفتح فسكون وهو ظهر السلحفاة البرية او البحرية الذي تتخذ منه الاسورة والامشاط وقيل عظام ظهر دابة من دواب البحر قال جرير يصف راعية :

ترى العَبَس الحوليّ جوناً بكوعها لها مَسَكاً من غير عاج ولا ذبل[1]

وفي تصحيح التصحيف وتحرير التحريف للصفدي : « و يقولون ذِبْل والصواب ذَبل بفتح الذال قال ابوعمرو أُخبرني ثعلب عن ابن الاعرابي ان الذبل ظهر سلحفاة يعمل منه المشط » • وقال علي بن حمزة البصري في التنبيهات في كلامه على أغلاط الكامل للمبرّد « وقال ابو العبـاس : الذبل شيء يتخذ من القرون كالأسورة وهذا غلط انما الذبل قشر ظهر دابة من دواب البحر معروف او صدف له وقد قيل ان الذبل جلود سلاحف البر حكاه ابن دريد وغيره » • وقد استعمله المولّدون فيما استعملته فيه العرب وورد بذلك في كثير من كتب الأدب والتاريخ كقول مسلم بن الوليد •

---

(١) العبس بالتحريك الوسخ والمسك بالتحريك ايضاً الأسورة والخلاخيل •

معتّقــة لا تشتكي وطأ عاصر حرورية في جوفها دمها يغلي
أغارت على كفّ المدير بلونها فصاغت له منها أنامل كالذبل

قال شارحه قوله فصاغت اي عملت له منها أنامل كالذبل في لونها والذبل عظام صفر كعظام الفيل و يقال انه من سلحفاة البحر وانما يريد ان الخمر يخرج لها شعاع من ظاهر الزجاجة تصفر منه أنامله انتهى . وفي سلسلة التواريخ « ويحمل اليهم العاج واللبان وسبائك النحـاس والذبل من البحر وهي جلود السلاحف » . وفي المسالك والممالك لابن خرداذبة [١] في الكلام على البحر الشرقي الكبير « وفيه سلاحف استدارة السلحفاة عشرون ذراعاً وفي بطنها مقدار الف بيضة وظهورها الذبل الجيد » . وفي نخبة الدهر لشيخ الربوة في وصف بحر اليمن ومافيه « وحيوان يسمى البسّة [٢] طوله نحو عشرين ذراعاً وظهره عظيم [٣] اسود موشّى باصفر حسن التوشية رقيق وهو سطح جلده وهو الذبل الذي يصنع منه الناس أمشاطاً ونُصُب السكاكين والخواتيم وغيرها » .

تُلّ

التُّل بضم التاء وتشديد اللام نسيج من القطن او الحرير ذو عيون يشفّ عما وراءه تعمل منه الكلل المسماة عندهم بالناموسيات لاتقاء البعوض وقت النوم ويعملونها عادةً من الابيض القطني منه . وتتخذ نساء الريف من اسوده خُمُراً يسمي الواحد منها (باليمنية) و يسمى في الصعيد (بالتلية) نسبة الى التل ولكن بكسر الاول . ولفظه دخيل في العامية من الفرنسية واصله (Tulle) سمي باسم المدينة التي بنيت له اول

---

(١) المعروف انه بالباء الموحدة وفي مادة (روم) من شرح القاموس للزبيدي انه بضم الخاء وسكون الراء وفتح الدال بعدها الف وكسر الذال المعجمة وسكون الياء التحتية وآخره هاء . (٢) كذا بالنسخة وترجمت في آخر الكتاب بكلمة (La tortue) اي السلحفاة ولم نعثر عليها في معاجم اللغة والحيوان ولعلها مولّدة او تكون محرّفة عن الحمسة بفتحتين وهي دابة بحرية اوالسلحفاة كما في القاموس . وفي شرح السيرافيّ على كتاب سيبويه « والغيلم ذكره سيبويه في الاسماء وهو دابة في البحر يقال لها السلحفاة . قال ابوسعيد رأيت بعض العرب المجاورين للبحر يسمونها الحمسة » . (٣) لعل الصواب عظم .

مناسج بهـا وهي مدينة (Tulle) قصبة كورة كوريز (Corrèze) بفرنسة والاتراك يقولون (تول) بتخفيف اللام .

و يرادفه من الفصيح السَكْب بفتح فسكون وقد عرّفه اللغويون بانه ضرب من الثياب رقيق كأنه غبار او سكب ماء من رقته ثم اردفوا هـذا التعريف بقولهم « والسَكْبة مشتقة من ذلك وهي الخرقة التي تقوّر للرأس كالشبكة تسميهـا الفرس الشستقة » فـدلوا بذلك على ان السكبة تعمل من نسيج ذي عيون كالشبكة اي شبه التي تسمى عند العامة الآن (بالطاقية الشبيكة) وان اختلف فيها نوع النسيج . والتلّ كما لا يخفى نسيج على هيئة الشبكة رقيق كأنه غبار .

و يجوز لنا تسميته (بالمعيّن) بتشديدالياء اسممفعول منعيّن والاصل فيه ما كان منقوشاً بشبه العيون قال في القاموس : « والمعيّن كمعظّم ثوب في وشيه ترابيع صغار كعيون الوحش » وقد ورد بهذا المعنى نظماً ونثراً في كثير من كتب الادب فلا مانع من اطلاقه ايضاً على هذا النوع من الثياب ذي العيون اي الثقوب .

جكّته

بالجيم الأعجمية المفتوحة وامالة الكاف وتشديد التاء او جاكتّة بالالف وبعضهم يقلب الجيم زاياً فيقول زكتّة . وكان الصواب ان ترسم بالزاي الأعجمية المنقوطـة بثلاث المصطلح عليها في تصوير هذه الجيم ولكنا جارينا كتّاب العامة فيرسمها . و يراد بها رداء قصير يستر النصف الأعلا من الجسم وهي دخيلة في العامية من الايطالية (Giacchètta) ويقالـــ لها بالفرنسية (Jaquette) . وقد وضع لها المجمع العلمي العربي بدمشق (الرداء) ولا بأس به اذا اصطلح عليـه لان الحلّة عند العرب رداء وازار فالرداء ما ستر النصف الاعلا والازار ماستر الأسفل . واذا اعترض بان ذلك كان في غير المخيط يجاب بان العرب أبقت على كثير من اسماء ملابسها لما لبست المخيط وحسبنا ان الحلّة أُطلقت على اللباس الكامل المشتمل على سروال وجبة وغيرهما اي على ما نسميه اليوم (بالبدلة) وكانت في الاصل للرداء والازار .

و يرادف الجكتّة ايضاً الجُمّازة بتشديد الميم وحقق ابن الاثير انها بضم الاول

وهي على ما في المخصص « درّاعة قصيرة من صوف » وقد فسر صاحب اللسان الدراعة بانها جبة مشقوقة المقدّم ولا يخفى ان الجكتة ما هي الاّ جبة قصيرة مشقوقة المقدّم ·

وورد لفظ النصفية في عبارات المولّدين لنوع من الثياب والظاهر ان المراد بها شبه جبّة قصيرة تستر نصف القامة ولهذا نسبوها الى النصف · ففي الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر في ترجمة علي بن احمد الأسديّ الملقب بزين الدين العابر « واهدى اليه بعض اصحابه نصفية فسرقت » الخ · وأنشد ابن حجة في خزانة الأدب لجمال الدين بن نباتة وقد أنعم عليه بنصفية :

سُوَرَ الذكر سهّلت لي نصفية علت
فبياسين عوّذت وبحاميم فصلت

وتلطف بكتابته الى من أنعم عليه بالنصفية بقوله :

يا سيدي نصفيتي قـد فصلت وعجزت لما غبت عن تبطينها
ما حلت فيها عن ندا نعمى يديـ ـك ولا اتخذت بطانة من دونها

وأنشد الأدفويّ في الطالع السعيد لحسن بن هبة الله وكان حاضراً درس الفقيه شمس الدين القوصيّ وحضر العسقلاني فوقع على نصفيته حبر :

جاء البهاء الى العلوم مبادراً مع ما حوى من اجره وثوابه
ملئت صحائفه بياضاً ساطعاً غار السواد فشنّ في أثوابه

وأنشد النواجيّ في حلبة الكميت لابي الحسين الجزّار :

لي نصفية تعدّ من العمـ ـر سنيناً غسلتها الف غسلة
لا تسلني عن مشتراها ففيها منذ فصلتها نشاءٌ بجملة
نشف الريح صدرها والارازبـ[1] فباتت تشكو هواءً ونزلة
كل يوم يحوطها العصر والدقّ مراراً وما تقرّ بعملة

وتدل ابيات الجزار على ان نصفيته كانت من نسيج أبيض تغسل وتدقّ وتسقى بالنشاء وله ايضاً :

(١) جمع ارزبّة لعصيّة من حديد والمراد هنا التي تتخذ لدقّ الثياب ولعل الدق كان يقوم مقام الكيّ الآن ·

أشكر مولاي ونصفيتي تشكره اكثر من شكري
أراحها جدواه من كل ما تشكوه من دقٍّ ومن عصر
كم مرة كادت مع الماء اذ يغسلها غسالها تجري
تموت في الماجور لولا الشتا يبعثها في ساعة النشر

واللفظ صحيح وان كان مولّد الوضع وعدم وضوح المراد منه وضوحاً شافياً غير مانع من اطلاقه على الجكتة اذا اردناه او اطلاقه على (القميص الافرنجي) لانه يستر النصف و يُغسل و يُسقى بالنشاء ويكوى كنصفية الجزار فنستغني بكلمة عن كلمتين كما استغنينا بالشعار عن قولنا القميص الداخلي اوالقميص الذي يلي الجسد عندارادة تمييزه . والعبرة بالتواضع بعد ان يكون اللفظ صحيحاً مناسباً للمعنى .

(تتمة) قال ياقوت في معجم البلدان : « وحزّة ايضاً بليدة قرب اربل من ارض الموصل تنسب اليها النصافي الحزّية وهي ثياب قطن رديئة » والظاهر ان لا علاقة بينها وبين النصفية المتقدم ذكرها ولا يبعد ان تكون سميت بذلك لان شقة كل ثوب منها كانت على النصف من شقق الثياب الاخرى .

حطّب

التحطيب لعب يتكافحون فيه بالعصيّ يشبه المثاقفة بالسيوف اشتقوه من الحطب اي العصيّ وهو اشهر اسمائه و يسمى في الصعيد لعب (القلاّوي) وفي جهات الفيوم خاصة (الملاقفة) وفي بعض جهات الريف (المحاجفة) ولعلها مقلوب المجاحفة من قولهم تجاحفوا اذا تناول بعضهم بعضاً بالعصيّ والسيوف على ما في كتب اللغة .

واكثر مايفعلونه في الأعياد والمواسم ومواكب الأعراس ولا سيما أعراس القرى فيقفون بالموكب وقفات في الطريق يتكافح فيها اللاعبان . وصفة هذه المكافحة ان يتبارز فتيان بيد كل منهما هراوة يسمونها (بالنبوت) يضرب بها ويتلقى الضربات فتكون سلاحه وترسه فاذا شرعا في اللعب كان همّ كل واحد ان يصيب ولا يصاب فلا يزالان يتكافحان حتى يجد احدهما غرّة من صاحبه فيصيبه اصابة خفيفة يسمونها الكشف ويقولون قد كشفه فيجتهد المصاب ان يقابل هذه الضربة بأُخرى اقوى منها

يسمونها (الغَطا) اي الغطاء فاذا اصابه استوت اللعبة ولم يغلب احدهما الآخر والاّ عُدَّ المكشوف مغلوباً · وللتحطيب رسوم يلتزمونها عند البدء فيه وعند الاشتباك وأنواعٌ تختلف باختلاف الجهات لا فائدة من ذكرها ·

وقد سميت هذه اللعبة في بعض العصور (باللبخة) وهي لفظة مولّدة لم نعثر عليها في المعاجم ولكن لها اصلاً في اللغة ففي اللسان « اللبخ الاحتيال للاخذ واللبخ الضرب والقتل » الى ان قال « واللباخ اللطام والضراب » · وعدّها السخاوي في الضوء اللامع من انواع الفروسية فقال في ترجمة محمد بن مهنّى بن طرنطاي العلائي « وكان فاضلاً خياراً درس بالازهر وغيره وانتفع به الفضلاء كل ذلك مع براعته في رمي النشاب والبندق والرمح واللبخة والدبوس وغيرها من انواع الفروسية » · وقال الشيخ الشعراني في طبقاته الكبرى المعروفة بلواقح الانوار في ترجمة الشيخ عثمان الحطاب المتوفى سنة نيّف وثماني مئة مانصه : « وكان شجاعاً يلعب اللبخة فيخرج له عشرة من الشطار ويهجمون عليه بالضرب فيمسك عصاه من وسطها ويردّ ضرب الجميع فلا تصيبه واحدة هكذا أخبر عن نفسه في صباه » · ومنه يعلم انها المسماة الآن بالتحطيب او قريبة منه ·

ولعل المكافحة من اصلح الالفاظ لهذه اللعبة وهي في اللغة المضاربة والمدافعة تلقاء الوجه ويقال كفحه بالعصا اذا ضربه مواجهة ·

كتاب الاوراق للصولي

من الاسفار التي حوتها دار الكتب المصرية جزء من كتاب الاوراق للصولي من اهل القرن الرابع . وقد استنسخه لخزانته العلامة احمد تيمور باشا ونظر في النسخة المنسوخة ، وجعل لها فهرساً على عادته في معظم ما اقتناه وضمه الى جملة كتبه المعتبرة . والصولي هو ابوبكر محمد بن يحيى بن العباس ترجم له ابن النديم في الفهرست بانه من الادباء والظرفاء والجماعين للكتب ، نادم الراضي وكان اولاً يعلمه ونادم المكتفي ثم المقتدر دفعة واحدة ، وكان من ألعب اهل زمانه بالشطرنج حسن المروءة ، وعاش الى سنة ثلاثين وثلاثمائة (او سنة خمس وقيل ست وثلاثين وثلاثمائة) وتوفي مستتراً بالبصرة لانه روى خبراً في علي عليه السلام فطلبته الخاصة والعامة لتقتله . وله من الكتب كتاب الاوراق في اخبار الخلفاء والشعراء ولم يتمه ، والذي خرج منه اخبار الخلفاء باسرها ، واشعار اولاد الخلفاء وايامهم ، من السفاح الى ايام ابن المعتز ، اشعار من بقي من بني العباس ممن ليس بخليفة ولا ابن خليفة لصلبه ، واول ذلك شعر عبد الله بن علي وآخره شعر ابي احمد محمد بن احمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن عيسى بن المنصور ، و يتلو ذلك اشعار الطالبين ولد الحسن والحسين وولد العباس بن علي وولد عمر بن علي وولد جعفر بن ابي طالب ثم تلي ذلك اشعار ولد الحارث بن عبد المطلب ، وبعده اخبار ابن هرمة ومختار شعره واخبار السيد الحميري ومختار شعره ، قال ابن النديم وهذا الكتاب عوّل عند تأليفه على كتاب المريدي في الشعر والشعراء بل نقله نقلاً وانتحله وقد رأينا دستور الرجل في خزانة الصولي فافتضح به .

وذكر ابن النديم من كتبه كتاب الوزراء ، كتاب العبادة ، كتاب ادب الكاتب على الحقيقة (طبع حديثاً) ، كتاب تفصيل السنان ، كتاب الانواع ولم يتمه ، كتاب سؤال وجواب رمضان لابي النجم ، كتاب رمضان ، كتاب الشامل في علم القرآن ولم يتمه ، كتاب مناقب علي بن الفرات ، كتاب اخبار ابي تمام ، كتاب اخبار الجبائي ابي سعيد ، كتاب العباس بن الاحنف ومختار شعره ، كتاب اخبار ابي عمرو بن العلاء كتاب الغرر . ومما صنفه ابوبكر من اشعار المحدثين على حروف المعجم : ابن الرومي ،

ابوتمام ، البحتري ، ابو نؤاس ، العباس بن الاحنف ، علي بن الجهم ، ابن طباطبا ، ابراهيم بن العباس ، ابن عيينة ، ابن شراعة ، الصولي ، ابن الرومي . وكان اغلب فنون الصولي « اخبار الناس وله رواية واسعة ومحفوظات كثيرة ، وكان حسن الاعتقاد جميل الطريقة مقبول القول » . والصُولي (بضم الصاد) نسبة الى صُول وصول رجل من الاتراك كان خود واخوه فيروز ملكي جرجان تمجسا وتشبها بالفرس .

والجزء الذي أمامنا من كتاب الاوراق يبدأ بترجمة أبان عبد الحميد اللاحقي ناقصة من اولها واخبار ابان مع الرشيد ومع جماعة من الشعراء ، وماروي في صحة دينه وغزله ومختار من شعره في المدح وغيره ، ومختار شعره في قصائده المزدوجات . وفيه ترجمة ابنه حمد بن ابان وشعره ، وترجمة ابان بن حمدان بن ابان ، وعبد الله بن عبد الحميد اللاحقي ، واسماعيل بن بشر بن المفضل اللاحقي ، واشجع السُلمي ومختار شعره في المديح وغزله ومراثيه ، وترجمة احمد بن عمرو اخو اشجع ، وأسرة احمد بن يوسف الكاتب وزير المأمون ، واحد كتاب الدنيا ، وهم ابوالقاسم يوسف بن القاسم ، والقاسم بن يوسف ، واحمد بن يوسف وزير المأمون ، وعبدالله بن احمد بن يوسف ، ومحمد بن عبدالله بن احمد بن يوسف ، واحمد بن ابي سلمة الكاتب ، وهو ابن اخت احمد بن يوسف وزير المأمون .

هذه ابواب هذا الجزء من كتاب الاوراق ويدخل في النسخة التيمورية في ٣٨٥ صفحة ويغلب التحريف كثيراً على نسخة الاصل . وكيف كان فان فيه فوائد في الشعر والاخبار قلما توجد في غيره ، ولاسيما اخبار احمد بن يوسف الكاتب وشعره ونثره وشعر آل بيته وحبذا لو عُني احد الوراقين بطبعه ، فانه من المواد المتممة لاخبار الادباء والشعراء ، ويقرأوه الناس بلذة ويتداولونه مغتبطين ، لانه عنوان الادب في القرن الثالث ونموذج من حالة امتنا الاجتماعية في تلك العصور البعيدة .

وهاكم الآن نموذجات من كتاب الاوراق قال أبان ابيات يعث بها مع الفضل وأمر له بعشرين الف درهم وهي :

نشدت بحق الله من كان مسلماً … اعم به ما قلته والعجم العرب
اعم نبي الله اقرب زلفةً … اليه ام ابن العم في رتبة النسب

وايهما اولى به وبعهده ومن ذا له حق التراث بماوجب
فان كان عباس احق بتلكم وكان عليٌّ بعد ذاك على سبب
فابناء عباس هم يرثونه كالعم لابن العم في الارث قد حجب
وفي حسن اذ قلتم فيه حجة فقد باعها لا ينكر الناس اووهب
فان كان ذا حق فعمداً أضاعه وان ذا دعوى فكفوا عن الشغب
وهبه كما قلتم وليس كذاكم امازادكم عنها المطالب فاعتصب
فاهملتموها لم تروا حيلة لها الى ان اراد الله اتمام ما احب
يخط بنو مروان منها وحظكم مع الغيظ والحرمان والعيلة الحرب
نقام بها من لم يكلها اليكم ومن هو اولى بالذي بزَّ واستلب
امام بني العباس حين سما لها وبالله فيما رام ادرك ما طلب
فشرد اهلوها وأدى وصية بحبس ابن مروان فسلموا احتسب
فان كانت القربى فهم اهل حقه وهم اهلها ان كان حق لمن غلب

قال الصولي : حدثنا محمد بن علي الماوردي قال حدثنا الجاحظ قال قيل لأَبان قل في الغزل كما يقول فيه ابو نواس قال : ابو نواس لم ينقل الكتب بشعر كما نقلت وانما اعمل الشعر فيما ينفعني وقال أبان :

حرمتك بعد وصالها وسئمت طول مقامها
ورمت فلم تخطئ فؤا دك مرشقات نبالها
لما رأت كلفي بها منعت قليل نوالها
ولهان ما ارضى به وأراه من اجمالها
انس الحديث وقبلة اشفي الصدا بزلالها
فاذا أردت عتابها ألجمت من إجلالها
فكر الفؤاد بها وهمّ النــ ــفس من بلبالها
اما النهار فلا تجف العــ ــين من تهمالها
وأبيت منتجي الهمو م اخوض في اهوالها
وكأن ناظر مقلتي وقف على تمثالها

وتبيت فارغة الهوى ما ان خطرت ببالهـا
لو خيرت من خلقهـا لم تعـدُ فضل كمالهـا
ماءُ الشباب بخدّها والحسن في سربالها
فالموت ان هي أدبرت والعيش في إقبالهـا

وقال أبان في قصيدته التي نقل بها كليلة ودمنة :

هذا كتاب كذب ومحنـه وهوالذي يدعى كليلة دمنه
فيـه دلالات وفيـه رشد وهو كتاب وضعته الهند
فوصفوا آداب كل عالم حكاية عن السن البهائم
فالحكماء يعرفون فضله والسخفاء يشتهون هزله
وهو على ذاك يسير الحفظ لذّ على اللسان عنـد اللفظ
يا نفس لا تشاركي الجهّالا في حب مذموم كأن قدزالا
يا نفس لا تشقي ولا تعنّي في طلب الدنيـا ولا تمني
ما لم ينـله احد الا ندم اذا تولى ذاك عنـه وسدم
دنياك بالاحباب والاخوان كثيرة الآلام والاحزان
وهي وان نيل بها السرور آفاتهـا وغمهـا كثير
يانفس لايحملك حب اهلك ولا أدانيك على ان تهلكي

ومنها : ومثل الدنيا كبرق الخلب من يغترر منه بسقي يكذب
وهو قياساً مثل نوم النـائم يفرحه أضغاث حلم الحـالم
حتى اذا استيقظ صار همّاً ما كان في النوم به ألمّا
فكيف بالصبر على ايام عما قليل هن لانصرام
وكيف والدنيا بلاءٌ كلهـا لا يأمن الآفات فيها اهلها

وقال من باب الاسد والثور :

وان من كان دنيّ النفس يرضى من الارفع بالاخس
كمثل الكلب الشقي البائس يفرح بالعظم العتيق اليابس

وان اهل الفضل لا يرضيهم شيءٌ اذا ما كان لا يعنيهم

* * *

وتلك اخلاق اللئيم الفاجر الكافر المغرور غير الشاكر
ما إن يزال ناصحًا نفاعا حتى يرى من حاله ارتفاعا

* * *

وربما كان هلاك الشجر في حسن الغصن وطيب الثمر
وذنب الطاوس فهو زَيْنَه كذاك احياناً وفيه حَيْنه
وباذل النصح لمن لم يشكره كطارح في سبخ ما يبذره

* * *

الرجل العاقل من لا يسكره كأس سمو واقتدار ينظره
فالجبل الثابت في اصوله لا يقدر الريح على تحويله
والناقص العقل الذي لارأي له يطغى اذا ما نال ادنى منزله
مثل الحشيش انما ريح جرت مالت به فأقبلت وأدبرت

* * *

الرجل العاقل فيما يسدي مغتبط لكسبه للحمد
لانه باع قليلاً فانيا واعتاض من ذاك كثيراً باقيا
فأغبط الناس الكثير نائله ومدرك النجح لدين سائله
فلا تعدن ذا غنىً غنيا حتى يكون ماجداً سريا
واعلم بان الملك المشاورا ذا العقل فيما به (؟) المؤازرا
فانه يعضد بالتأييد يغنى به عن كثرة الجنود
والتابع الحازم امر الحزَمَة النصحاء غير اهل التهمة
يزداد حزماً بهم ورشدا زيادة البحر اذا ما مدا
بما يصب فيه من انهاره حتى يهيج الموج من تياره
والموت من مات كريمًا صابرا خيراً من العيش ذليلاً صاغرا

قال الصولي والاحسان في هذه القصيدة قليل . ولما عمل ابان كتاب كليلة ودمنة شعراً في قصيدته المزدوجة اعطاه البرامكة على ذلك مالاً عظيماً ، فقيل له بعد ذلك اتعمل شعراً في الزهد فعمل قصيدة مزدوجة في الصيام والزكاة يوائم بها تلك وقد وجدت هذه القصيدة وترجمتها :

قصيدة الصيام والزكاة نقل أبان من فم الرواة

ومما اختاره الصولي من قصيدة حمدان بن ابان بن عبد الحميد بن ابان في وصف الحب واهله وهي طويلة :

مابال اهل الادب منا واهل الكتب قد وصفوا الآدابا وأتعبوا الكتابا

لكل فن دفتر منقط محبر ففرقت أجناسا وعلموها الناسا

بالحيل الرقيقة والفطن الدقيقة فأرشدوا الضلالا وعلموا الجهالا

سوى المحبين فلم يرعوا لهم حق الذمم في علم ما قد جهلوا وما به قد ابتلوا

قد غلقت رهونهم واستعبرت عيونهم وحالفوا السهادا وخالفوا الرقادا

وهي طويلة وكلها حكم ولطائف بديعة . وقد أورد المؤلف نكتاً واخباراً ومجوناً وضروباً من شعر من ترجم لهم في هذا السفر كلها مما يبعث على التسلية ويحمل في طياته فوائد اثيرة . وقد استغرقت اشعار اشجع السلمي نحو ربع هذا الجزء .

قال (ص ١٠٥) ابوبكر محمد يحيى الصولي : قد صرت من كتاب الخلفاء وهو كتاب الاوراق الى ذكر الشعراء الذين اول اسمائهم الف فذكرت منهم جماعة ، ثم رأيت بعض الاجلاء يحب ان اقدم له ذكر احمد بن يوسف الكاتب وآله جميعاً ، ومن قال الشعر من آبائه وولده ، فآثرت مراده واتبعت محبته ، وانا اذكر من ذلك ما سهل عليّ طلبه ، وقرب مني وجوده ، وتارك في اخبار كل واحد واشعاره بياضاً لما تمجه السماع ، وينتجعه من الاصول ان شاء الله . وهنا اخذ يتنقل المؤلف من اخبار آل احمد بن يوسف بين نثر ونظم ماهو سلوى النفوس ، وادب الرئيس والمرؤوس ، فمما آثره من النثر شذرات ورسائل نأتي بنموذجات منها ، ومن ذلك ماقاله محمد بن انس للقاسم بن صبيح : « ما زلنا في سامر نصل فصوله بتشوقك ، فيذهب ذكرك ملل السامر ، ونعسة الساهر ، فقال القاسم : مثلك من ذكر صديقه فأطراه ، وحركه الشوق اليه واغراه ، ولو ادنيتموني

باجتماعكم ، لكنت مسرعاً كأحدكم ، مسروراً بماسررتم ، مفيضاً بما فيه افضتم » . دخل القاسم الى صديق له عليل وقد ابلّ من علته فقال له : جئتك وانا مثقل من الهم ، فلما رأيتك تجلت ظلل الغم ، لاقبال العافية اليك ، وظهور تباشيرها اليك » .

كتب يوسف بن القاسم الى ابي العباس السفاح عن عبدالله بن علي يعزيه عن ابن له توفي : « اما بعد فان احق الناس بالرضا والتسليم لامر الله جل وعزّ ، من كان اماماً لخلق الله وخليفةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتعزّ امير المؤمنين بفهمك ، وارجع في وعد الله جل وعز من الصابرين الى علمك » .

حدث احمد بن يوسف عن ابيه قال : لما قدم ابي بغداد قصده اخوانه وداعوه فلزم الشراب معهم والسماع فقالت له امه ، يابني قد ترى كثرتنا ، وما يلزمك من نفقتنا ، وان ادمت الشراب اضعفنا وافقرتنا ، مع سيئة لك في دنياك ، وتزويده لك الوزر الى أخراك ، فقال : حسبك والله لا وَلَج لي رأس ابداً . فما شرب حتى مات » .

وكان يوسف بن القاسم مع عبدالله بن علي وكان يبره كثيراً ويوجه بره مبتدئاً في رأس كل شهر ، فغفل عنه شهرين ، فكتب اليه ابياتاً يذكره بمعاودته ، فوقع في رقعته : « لم يكن تأخير برّنا عنك لبخل وضن ، ولا إهمال وتناس ، لكنها غفلة من موجب لحقك ، عارف شغله عنك ما يقسم قلبه ، متكلاً على معرفتك به ، وبسط عذرك له ، على اني ظننت انما كنت عليه اولاً قد زال فيما بيننا وبينك ، اذ كنا قد احللناك على محمل الشريك ، وخالطناك بانفسنا خلط النسيب ، لتنفق من نفقتنا ، وتقرن امرك بامرنا ، وقد امرت لك بالفي درهم رزقك لشهرين ، فاقبضها ولا تنظرن لي امراً بعدهما في مثلها عند وجوبها ، وامرت لك بالفي درهم تصلح بها حالك ، وقد اطلقت بعد هذا يدك في المال لتأخذ منه كفايتك ، وفضلاً يكون عدة لك لما لا يؤمن من عثرات الدهور ، وحوادث الامور ، فانك لم تصحبنا الا بقلب وامق ، وودّ صادق ، وانا لنحب ان يتبين عليك لنا اثر محمود ، تغتبط به ونغتبط عليه ، فاعمل على ذلك ان شاء الله » .

وكتب يوسف بن القاسم الى محمد بن زياد : حفظك الله وحاطك ، رأيتك اكرمك الله في خرجتك هذه رغبت عن مواصلتنا بكتبك ، وابلاغنا خبرك ، وقطعتنا قطع ذي السلوة او اخي الملة ، حتى كأنك كنت الى مفارقتنا مشتاقاً ، اوالى البعد منا توّاقاً ،

فوقع بعدك بحيث تحب من جهتين ، احديها حلاوة الولاية ، والاخرى لذة الراحة منا ، فان يكن ذلك كما رحبناه (؟) قاطعناك مجملين ، اولبسناك على يقين ، وان لم يكن إدلالاً بهدية اعددتها لنا من ناحية عملك ، فليس قدر الهدايا وان كثرت ، ولا الفرائد وان جلت ، احتمال لوم الاخوان ، اذ كانت الهدايا انما تراد لهم ، والفرائد انما تنال بهم ، والمباهاة باعراض الدنيا تراد لخلطهم ، وما ادري ما اقول في اختيارك ترك الكتب المحدثة ، عن العتب بالاسرار المفهومة ، حتى كأنها محاثة (؟) الحضور ، على تنائي الدور ، والقلوب بها مشاهدة ، وان كانت الابدان متباعدة ، ولئن كذب فيك الرجاء لقديما (؟) عن الوفاء وقد اصبتك من مرارة العتاب ، بما لا نقيم بعده على قطيعة ولا جفاء . . ولا يتوهمن اني اردت إعناتك باعتابي ، ولا ازراءً عليك بكتابي ، فان وصلت فمشكور ، وان قطعت فمعذور والسلام » .

زوج يوسف بن القاسم ابنه احمد بابنة الحسن بن سليمان و يعرف بالشيعي ، وكان من كتاب البرامكة ، فكتب اليه يحيى بن خالد : عرضت حاجة فكرهت ان اعدل بها عن الوزير فأبخسه مع معرفتي بمحبته ، لربيب نعمته ، والزيادة في صنيعته ، حظاً ولزمني حق لا يمكن دفعه ولا تأخيره ، وهو نقد مهر عن احمد الى ابنة الحسن بن سليمان ، فان رأى الوزير ان يوقع مع ما استحققته من ارزاقي لشهرين سلف لشهرين فعل ، فاني ارجو ان ابلغ بذلك لعبده احمد محبته ، وانال بغيته ان شاء الله .

فوقع يحيى اليه : هذه فضيلة من اوليائنا ، وحقوق في ضيافنا ، فنحن بالقيام منها دونك حريون ، و بحط ثقلها عن مالك جديرون ، وقد امرت لاحمد بقدر ما سألت من المال بمسألتك فيه ، وزيادة الضعف استظهاراً مني له ومؤكداً ، وامرت باستحقاقك لشهرين من مال السلطان اعزه الله ، ومثله صلة من مالي ، وانفذت اليك بذلك كله رقاعاً بخطي الى من يقبض ذلك منه ، فاما السلف من مال السلطان فلا سبيل اليه ولا اعرف جعفراً بتارك احمد اليك ، ولا الينا ، كما لم يترك الفضل قاسماً ان شاء الله »

وفي اسفل الرقعة من شعر يحيى :

عندي لمثلك احسان وتكرمة فثق بذلك مني وابسط الاملا
اعمل على ثقة اني انا رجل لا امنع المرء موجوداً اذا سألا

وان عندي لك الحسنى ونافلة ... بنصح عينك اذ لم تبغ لي بدلا

فكتب اليه يوسف بن القاسم :

فهمت ما قلت في بري ومنزلتي ... ونصح عيني و بسطي نحوك الاملا
ولم ازل فيك من امري على ثقة ... لا ابتغي بك ممن قد ترى بدلا
بصدق وعدك اذ اسلفت عارفة ... وحسن عفوك عمن زاغ او جهلا
فبي و بابني وسم في محبتكم ... كما لعرفت من نيرانها الابلا
فقد بسطتم لنا جاهاً بجاهكم ... وقد كفيتم ببذل العرف من بخلا
لولا كم كان جود الناس مشتبهاً ... لكن برعتم فأضحى جودكم مثلا

قال معاوية بن صالح فلقيني من الغد القاسم منصرفاً من عند الفضل بن يحيى ، فأعلمته ما كان بين يحيى وبين ابيه ، فقال : قد امر لي الفضل لما بلغه خبر ابي واحمد اخي — بثلاثين الف درهم . قلت : فما عزمك ان تعمل فيها وانا اقدّر ان نقول اشتري بها ضيعة فقال : ارفد بها اخي احمد في عرسه . قلت : فان اخذها كلها (؟) قال — وان فلا بأس .

للكلام صلة

محمد كرد علي

تصحيح نهاية الارب

اغلاط الجزء الثالث

في ص٣ سطر ٨ قوله (ان انقيد انقاد) فعل (انقاد) لازم فلا يُبنى للمجهول وصوابه (اقتيد) يقال اقتاده فانقاد له .

وفي ص٥ سطر١٧ — قوله (ماالخمر صرفاً باذهب للعقول من الطبع) صوابه الطمع بالميم . اما الطبع بالباء فله معان لا تناسب هنا .

وفي ص٨ سطر١٧ — قوله (لمأر كاليوم أطيب خمراً لولا ان حُبْلته نبتت على قبر) (حُبْلته) ضبطها بضم الحاء وسكون الباء . وصوابه (حَبَلته) بالتحريك لان المراد بها الكرمة التي منها يكون الخمر . ومنه الحديث (نهي عن حَبَل الحَبَلة) . اما (الحُبْلة) بضم فسكون فهو ثمر العِضاه ومنه (ولقد رأيتنا مع رسول الله وما لنا طعام الا الحُبْلة وورق السَمُر) .

وفي ص١٧ سطر١٥ — قوله (انك أبل من مالك) صوابه آبل بمد الهمزة لانه أفعل تفضيل من فِعل (أَبِل) اذا حَذَق مصلحة الابل والقيام عليها . وكان مالك بن سعد مناة كذلك فضُرب به المثل .

وفي ص٣٦ سطر٧ — قوله (يرعي لاهله إبلاً ضخمة) لا معنى لوصف الابل بالضخمة على انها لو وصفت بها لقيل بعير ضخم وناقة ضخمة مثلاً فصوابه هنا (إبلاً هجمة) والهجمة على وزن ضخمة ما بين الاربعين والمائة من الإبل كأنه يقول : إنه كان يرعى إبلاً تقدّر بهذا المقدار .

وفي ص٣٦ سطر٨ — قوله (وكان أفجح الرجلين) كذا بتقديم الجيم على الحاء . وصوابه العكس اي بتقديم الحاء على الجيم ومصدره الفَحَج وهو تداني صدور القدمين وتباعد العقبين يقال : رجل أفحج وامرأة فحجاء .

وفي ص٤٢ سطر١٩ —قوله (غرّني بُرْدَاكَ من خدافلي) كذا بفتح كاف الخطاب . وصوابه بكسرها لانه خطاب رجل لإمرأة كما هو واضح من شرح المثل والامثال لا تغيَّر .

وفي ص ٥١ سطر ١٨ — قوله (فاغتاله زميل فقتله) ضُبط (زَميل) على وزان عظيم مكبراً وصوابه التصغير هكذا ضبطه في التاج وهو اسم رجل له قصة مشهورة ٠

وفي ص ٦٤ سطر ١٩ — قوله (تُهْدَي الامور باهل الرأي ما صلَحت) كذا (تُهدى) بضم اوله والف مقصورة مرسومة بالياء في آخره فأوهم بذلك انه من الهداية ٠ ولا معنى لقولنا ان اهل الرأي يهدون الأمور اي يرشدونها فصوابه (تَهْدا) بتاء مفتوحة في اوله والف مقصورة ترسم الفاً في آخره ٠ وهو مضارع معلوم من (هدأ) المهموز اذا سكن واستقر وهمزة هذا الفعل تبدل أحياناً الفاً ويتصرف الفعل تصرف الناقص كقول الشاعر:

(ان السباع لَتَهْدا عن فرائسها والناس ليس بهادٍ شرهم أبدا)

أراد (لَتَهْدأ) و (بهادئ) ومثله قول الآخر :

(تلقَى الأمان على حياض محمد ثولاءُ مخرفةٍ وذئب أطلسُ)

(لاذي تخاف ولالهذا جُرأة : تَهْدا الرعيّة مااستقام الرئّس)

والهمزة اذا قلبت الفاً تكتب الفاً لا ياءً كالموما اليه اصلها المومأ ٠ ومعنى (تهدأ الامور باهل الرأي) أنها تسكن وتستقر بعد اضطرابها وبعد ان ضاق المأفونون بها ذرعاً ٠

وفي ص ٦٦ سطر ٦ — قوله (ولقد غنَوا الخ) بفتح نون (غنوا) وهو خطأ وصوابه ضمها لانه من باب رَضي ٠

وفي ص ٦٨ سطر ١٧ — قوله(عوّدْتَ كَندةالخ) «كِندة» بكسر الكاف لا بفتحها ٠

وفي ص ٨٦ سطر ٥ — وقوله (ورب امرئ قد لام وهو مَليم) بفتح ميم (مليم) والصواب ضمهـا من (ألام) الرجل فعل ما يستحق عليـه اللوم ومنه المثل (ربَّ لائم مُليم) وقد ضبطه التاج بضم الميم ٠

وفي ص ٩٤ سطر ٢ — قوله (سُرَّ من عاش مالُه فاذا حا سبه الله سرَّه الإعدام) (سَرَّ) معلوم لا مجهول وفاعله (ماله) ومفعوله (من) ٠

وفي ص ٩٥ سطر ٢ — قول ابي تمام :

(ما أبَّ من أبَّ لم يظفر بحاجته ولم يُعَب طالب للنجح لم يُجِب)

صواب (أبّ من أبّ) (آب من آب) من الأوبة ٠ وصواب (لم يُعَب) لم (يغِب) من الغيبة ٠ وصواب (لم يُجِب) لم (يخب) من الخيبة ٠ والمعنى : ان الآيب

الخائب كأنه ما آب · والآيب الناجح كأنه ما غاب · وهذا البيت في ديوان ابي تمام المطبوع كما صححناه ·

وفي ص١٠٠ سطر ١٢ — قوله (كأحلِّئت عن ماء برد طريدةٌ) صوابه عن (ماء ورد) اي الماء الذي يورد وهو المنهل · ولو فرض انه من البرودة لكان صفة للماء وللزم اذ ذاك تنوينه واذا نُوّن كسر الشعر ·

وفي ص١٠٣ سطر ١٨ — قوله :

(وزمانٍ مثل ابنة الكرم حسنًا عاد عند العيون مثل الداذي)

كذا (العيون) بالنون وهو (بفتح العين) الشديد الإصابة بالعين · ولا معنى له هنا فصوابه (العَيوف) بالفاء · وهو الذي يشم الشراب فيعافه فيدعه وقد يكون عطشان ·

وفي ص١٠٦ سطر ٥ — قوله (ما خاب الا لانه جاهدُ) كذا بضم الدال وصوابه سكونها والبيت من قصيدة للمتنبي ساكنة القافية ومطلعها (أزائرٌ ياخيالُ ام عائدْ) ·

وفي ص١٠٧ سطر ٣ (ذكرُ الفتى عمره الثاني وحاجته ما فاته وفضول العيش اشغال) كذا (فاته) بالفاء ولا معنى له وصوابه (قاته) بالقاف واذ ذاك يتجلى المعنى ·

وفي ص ١١٢ سطر ٤ — قوله (الافوال) صوابه (الأموال) ·

وفي ص ١١٢ سطر ١٧ — قوله (من يُشف من ذا بآخر مثله) صوابه (من داء) وبذلك يصح المعنى و يستقيم وزن الشعر ·

وفي ص ١١٥ سطر ٢ — قوله (اذا مرّ بي يومًا ولم أتخذ يدًا الخ) صوابه يومٌ بالرفع لانه الفاعل

وفي ص ١٢١ سطر ١٤ — قوله (اذا بلغت إبله مائة عمد الى البعير الذي أمات به) صوابه (أمأتْ) بالهمز اي صارت ابله مائة بذلك البعير : يقال أمأى فلان القوم تممهم مئة وأمأى القومُ صاروا مئة ·

وفي ص ١٢٤ سطر ٣ — قوله (وغول العُقر) للعُقر معانٍ ولا واحد منها يناسب ان ينسب اليه (الغول) كما نسب الشيطان للحماطة والجان للعُشَرة · والجاحظ في كتابه (الحيوان) ذكر امثال هذه الاضافات : ضب الكُدى · جان العُشَرة · شيطان الحماطة · ظباء الرمل · الى ان قال (وغول القَفْرة) اي بالقاف والفاء فهو اذن الصواب هنا ·

وفي ص١٢٦ سطر ١٨ — قوله (فرُفع لي بيت جريد) بالجيم وصوابه (حريد) بالمهملة اي

معتزل متنح . وقد ذكرت كتب اللغة هذا الحديث عن صعصعة بلفظ (حريد) بالمهملة كما قلنا .

وفي ص١٢٧ سطر٥ — قول صعصعة (على ان تبلغني الحمل واياها) صوابه الحي او الحمى يعني ان صعصعة قبل ان يعطي ناقتيه وجمله للذي كان يئد ابنته فكاكا لها من الوائد بشرط ان يوصله واياها الى الحي .

وفي ص١٢٨ سطر١٥ — قوله (فلما أصبح كسرى) صوابه فلما أصبح وأخبر كسرى لأن الضمير يرجع الى المحدّث عنه وهو الموبذان الذي رأى الرؤيا .

وفي ص١٢٩ سطر٣ — قوله (يسكن مشارق الشام) صوابه (مشارف) بالفاء وهي قرى من ارض العرب تدنو من ريف الشام واليها تنسب السيوف المشرفية .

وفي ص ١٢٩ سطر ١٨ — قوله (وغاصت بحيرة ساوة وخمُدت نار فارس) صوابه (غاضت) بالضاد المعجمة . وخمدت بفتح الميم او كسرها لا بضمها .

وفي ص ١٣١ سطر٢ — قوله (فاتبعه لاتحتالك الاوثان) كذا بالحاء المهملة وصوابه لا تجتالك بالجيم يقال (اجتاله) اذا حوّله عن قصده . ومنه (اجتالتهم الشياطين) اي صرفتهم عن الهدى الى الضلالة .

وفي ص١٣٦ سطر١و٣ — قوله (فشخ غرابٌ على رأس الشريف) صوابه فشَحَج بحاء مهملة ثم معجمة والشحيج صوت الغراب اوالغليظ من صوته اوصوت مسانّ الغربان .

وفي ص١٣٧ سطر٢٠ — قوله (ورجِع سالمًا) صوابه بفتح الجيم من باب ضرب لا بكسرها من باب علم .

وفي ص١٤٠ سطر١٢ — قوله (أحد يابُنَيّ فأحداه) كذا بالدالين المهملتين . وصوابه بالمعجمتين من (أحذاه) اذا أعطاه . وفي الحديث : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحذي النساء والصبيان من المغنم) .

وفي ص١٤١ سطر٧ — قوله (تيمّمت لَهبًا الخ) صوابه بكسر لام (لِهب) لابفتحها (كذا ضبطه في حاشية الخضري على ابن عقيل في شرحه بيت (خبير بنوا لهب الخ) .

وفي ص ١٤١ سطر ٨ — قوله (فيممت شيخًا منهمُ ذا مَخالةٍ) صوابه (بجالة) بموحدة فجيم من بجُل بَجالة ساد وشرُف . والبَجال الرجل الشيخ السيد .

وفي ص ١٤٣ سطر ١٨ — قوله (ايّ شيء تجاّه) صوابه (تحله) اي تعطيه ؟ قال دجاجة بفرار يجها .

وفي ص١٤٨ سطر١٥ — قوله (السلطان مسعود السلجقلي) صوابه السلجوقي أحد ملوك السلاجقة المشهورين . ويحتمل ان يكون أراد بالسلجقلي النسبة التركية لكنها نسبة غير مأنوسة الاستعمال في ألقاب هؤلاء الملوك .

وفي ص ١٥٠ سطر ٩ — قوله (فحلّ الهَمَيان) كذا بالتحريك . وصوابه الهِمْيان بكسر فسكون .

وفي صفحة ١٥٣ سطر١٨ — قوله (فان اعراق السوء تزرع اولادها) لا معنى للزرع هنا وصوابه تنزع . قال في الاساس (يقال للمرء اذا أشبه أخواله او أعمامه نزعهم ونزعوه ونزعه اليهم عرق . قال الفرزدق :

(أشبهتَ أُمك يا جرير فانها نزعتك والأُم اللئيمة تنزع)

وجاء في الحديث : (العرق نزّاع) .

وفي صفحة ١٥٤ سطر ٧ — قوله (المجامعة والمرافعة والمباضعة) صوابه (والمواقعة) بدل (والمرافعة) فانه الملائم لما قبله وما بعده .

وفي صفحة ١٥٦ سطر ٧ — قوله (ذهبت تقبُل امرأة نُفَساء) صوابه تقبَل بفتح بائها من باب علم لا بضمها . ومصدره القبالة .

وفي صفحة١٥٦ سطر١٣ — قوله (ليسقَى الإبل) بفتح القاف خطأ وصوابه ليسقى بكسرها من باب ضرب .

وفي صفحة ١٥٩ سطر ١٤ — قوله (كنّى عن اكبار الصيام) صوابه عن إكثار الصيام بالمثلثة .

وفي صفحة ١٦٠ سطر ١١ — قوله (فأجد على بابك جَرْواً) صوابه (خرءاً) بدليل بيت الشعر الذي بعده .

وفي صفحة ١٦٠ سطر١٣— قوله (ويخرى) صواب كتابته (ويخرا) بالالف لان اصلها همزة كالمومأ اليه أصلها المومأ . فتكتب بالالف لا بالياء .

وفي صفحة ١٦٠ سطر ١٥ — قوله (ولو وُطِئت) مجهول وصوابه (وَطِئت) مبنياً للفاعل اي داست بأرجلها بدليل قوله بعده (على تُرب الخ) ·

وفي صفحة ١٦٨ سطر ٢ — قوله ملغزاً في الثديين :

(وما أَخوَان مشتبهان جداً كماشتبه الغرابة والغَرابُ)

ضبط الغَرابة بفتح عينها ولا معنى لها هنا · وصوابه (الغُرابة) بضم الغين والمعنى كما تشابه الغُرابان ومنه المثل المشهور (أشبه من الغُراب بالغراب) · ولكن هل يقال لانثى الغُراب غُرابة بالتاء ؟ ·

وفي صفحة ١٧٠ سطر ١٤ قوله (فلا يُكلها) بضم ياء (يُكلم) وهو خطأ صوابه فتحها لانه لم يجيء من الاكلام وانما جاء من الكلم والتكليم بمعنى الجرح ·

وفي صفحة ١٧٠ سطر ١٥ — قوله (وما راقَ وما سفَك) صوابه (وما أراق) اي دماً ولا يقال راق دماً ·

وفي صفحة ١٧٤ سطر ١٥ — قوله (دع ذا وعُدَّ القول في هَرِم) جعل (عُدَّ) من العدّ اي اعدُد وصوابه (عَدِّ) بفتح العين من التعدية · عدّى الشيء جعله يتعدّى ويتجاوز والمعنى اجعل قولك وشعرك في مدح هَرِم يتغلغل في القبائل ويتعدّى من واحدة الى أخرى و يسير فيها مسير الأمثال ·

وفي صفحة ١٧٥ سطر ٢ — قالت عائشة (وابوها يَغْمُض) ببناء الفعل للمعلوم وصوابه (يُغْمَضُ) مجهولاً · يقال : (أغْمَضوا الميت) اذا أغلقوا عينيه حين الموت لئلا تظلاّ مفتوحتين ·

وفي صفحة ١٧٥ سطر ١٣ — قال متمم بن نويرة يصف اخاه (كان أخي يحبس المزاد ····· فيُصبِح ضاحكاً) صوابه فيصبح بالباء الموحدة اي انه بعد كل تلك الاتعاب لا يكلح ولا يضجر بل يصبح ضاحكاً مستبشراً ·

وفي صفحة ١٧٧ سطر ٣ — قوله (لقد قابلتهم فماأجبتهم · وسألتهم فماأبخلتهم) صوابه (فما أجبنتهم) اي ما وجدتهم جبناء كما لم أجدهم بخلاء ·

وفي صفحة ١٧٧ سطر ٧ — قوله (ودخل على النعمان الخ) صوابه (ودخل النابغة على النعمان) لانه هو الذي دخل عليه وقال هذا القول المأثور عنه فسقوط اسمه مع عدم تقدم ذكره سهو ·

وفي صفحة ١٧٧ سطر ١١ — من قول النابغة للنعمان (لَقَفاك أحسن من وجهه · ولظنك أصدق من يقينه ····· ولنفسك أمنع من جنده) صوابه و (لنَفَشُك) بالشين المعجمة والتحريك · والنَفَش الإبل والغنم ترعى ليلاً بلا راعٍ · والمعنى ان ابل الملك المهملة ذاتُ مناعةٍ وحفاظ أشدّ من مناعة جند عدوه · اما كون نفس النعمان أمنع من جند عدوه فليس بكبير مدح · بل هو لعمري عين القدح ·

وفي صفحة ١٧٧ سطر ١٣ — قوله (اخلاق مجدك جُلّت مالها خطر) صوابه جَلَّتْ بالبناء للفاعل · وقوله مالها خطر اي ما لها عديل ولا مماثل ·

وفي صفحة ١٧٧ سطر ١٧ — وكسا النعمان النابغة أثواب الرضى (وكانت حبابٌ أطواقها الذهب) صوابه وكانت (جِباباً) بالجيم مع النصب اي ان النعمان كان يكسو من يريد اكرامهم جِباباً هذه صفتها وتسمى (أثواب الرضا) وقد كسا النابغة منها : فهي أشبه بكسوة الرتب والتشريفات العلية في هذه الأعصار · وقد وصفها في صفحه ٢٦٢ سطر ١٩ بانها (حبرات خُضُر مطوّقة بالجوهر) ·

وفي صفحة ١٧٩ سطر ٧ — قوله (يا أمير المؤمنين بارك الله لنا في مَقْدَمك ··· وشكرك على رعيّتك) كذا بتشديد الياء وصوابه (رِعْيَتك) بكسر الراء وتخفيف الياء وهي اسم بمعنى الرِعاية يقال رعى الأمير رعيَّته رعيةً اذا ساسها وأحسن القيام عليها فهو يدعو له على ما كان من حسن رعايته وسياسته لرعيّته · ولا معنى لكونه تعالى يشكره على رعيته نفسها ·

وفي صفحة ١٧٩ سطر ١٣ — قوله (حتى تمنى البُراء انهم الخ) صوابه البِراء بكسر الباء وهو جمع بريءٍ ككِرام في جمع كريم · ويقال في جمعه بُراء كفقهاء ايضاً · اما بُراء كغُراب فلم يُسمع في جموعه ·

وفي صفحة ١٨٠ سطر ٩ قوله (فأما الاسد الخادر فأشبهُ منه مضاؤه) كذا بالرفع وصوابه (فأشبه) فعل ماض مبني الفتح و (مضاءه) بالنصب مفعوله · وكذا قوله بعده (فأشبه منه جوده وعطاءه ··· وضياءه ··· وبهاءه — كلها أفعال ومفاعيل لا مبتدآت وأخبار ·

وفي صفحة ١٨٠ سطر ١٨ — قوله (ما رأيت وجهاً اسمح . ولا حلماً أرجح . ولا سجية اسمح) تكررت (اسمح) فصواب الاخيرة (اسجح) من السجاحة وهي السهولة واللين يقال (في عقله رجاحة . وفي خلقه سجاحة) ومنه (اذا ملكت فأسجح) اي كن ليّن الملكة . حسن العفو .

وفي صفحة ١٨١ سطر ١٦ — قوله (وأنجبه المنصور . فجرى على سَنَنه . وأدب فأخذه بسُنَنه) صوابه وأدّبه .

وفي صفحة ١٩٠ سطر ٩ — قوله (وهذي بنات المدح فاجرر ذيولها) صوابه (ثياب المدح)

وفي صفحة ١٩٣ سطر ١٠ — قوله :

(اذا أظلم الدهر أعْدَوْا عليه وان أظلم الخطب يوماً أضاؤوا)

(أظلم) الثانية من الظَلام بدليل (أضاؤا) اما الاولى فصوابها (ظَلَمَ) من دون همزة من الظُلم بدليل (أعْدَوْا عليه) الذي معناه أعانوه ونصروه عليه .

وفي صفحة ١٩٧ سطر ٨ — قوله :

(وإن راسل الاعداء فالجودُ رُسله اليهم وأطراف العوالي الرسائل)

صوابه (فالجُرْد) بالراء جمع أجرد وهو الفَرَس : فكما أن الرماح رسائله الى أعدائه كذلك خيوله هي رسله اليهم . ولا معنى لكون (الجود) رسله اليهم . لا سيما ان الجود مفرد والرُسُل جمع .

وفي صفحه ٢٠٠ سطر ١٩ — قول عمرو بن كلثوم :

(ونحن الحاكمون اذا أُطعنا ونحن العائفون اذا عُصينا)

ليس في وصف قومه بانهم يحكمون المطيع كبير أمر وأما قوله (العائفون) للعصاة فلا معنى له فصواب البيت :

(ونحن العاصمون اذا أُطعنا ونحن العارمون اذا عُصينا)

المعنى نحن (العاصمون) اي الحامون المدافعون عن حوزة المطيع كما اننا (العارمون) اي أصحاب العُرام والشر والاذى لمن يعصينا .

المغربي

اخبار الحمقى والمغفلين

ذكر ابن الجوزي في انباء من قصد الفصاحة من المغفلين عن ابي عمر عن مسلمة قال : كان عند المهدي مؤدب يؤدب الرشيد فدعاه يوماً المهدي وهو يستاك فقال كيف تأمر من السواك قال : استك يا امير المؤمنين فقال المهدي : انا لله ثم قال : التمسوا من هو افهم من هذا قالوا : رجل يقال له علي بن حمزة الكسائي من اهل الكوفة قدم من البادية قريباً فلما قدم على الرشيد قال له : يا علي قال : لبيك يا امير المؤمنين قال : كيف تأمر من السواك قال : سك يا امير المؤمنين قال : احسنت واصبت فأمر له بعشرة آلاف درهم ·

وقال رجل لابن اخ له : مافعل ابوك قال : مات قال : وما كانت علته قال دميت قدميه قال : قل قدماه قال قدماه فارتفع الورم الى ركبتاه قال قل ركبتيه فقال : دعني يا عم فما موت ابي باشدّ عليَّ من نحوك هذا ·

لقي رجل رجلاً من اهل الادب وأراد ان يسأله عن اخيه وخاف ان يلحن فقال : اخاك اخوك اخيك هاهنا فقال الرجل لالي لو ماهو حاضر · وكان شيخنا ابو بكر محمد بن عبد الباقي البزار يقول : قال رجل لرجل : قد عرفت النحو الا انني لا اعرف هذا الذي يقولون ابو فلان وابا فلان وابي فلان فقال له : هذا اسهل الاشياء في النحو انما يقولون ابا فلان لمن عظم قدره وابو فلان للمتوسطين وابي فلان للرذلة ·

حدثنا الاصمعي عن عيسى بن عمر قال : كان عندنا رجل لحان فلقي رجلاً مثله فقال : من اين جئت قال من عند اهلونا فتعجب منه وحسده وقال اعلم من اين اخذت اهلونا قال : اخذتها من قوله تعالى شغلتنا اموالنا واهلونا ·

حدثنا ابو القاسم الحسن قال : كتب بعض الناس من طيس يريد طوس فقيل له في ذلك فقال لان من تخفض مابعدها فقيل انما تخفض حرفاً واحداً لا بلداً له خمسمائة قرية ·

قال : (فصل) وقد تكلم قوم من النحويين بالاعراب مع العوام فكان ذلك من جنس التغفيل وان كان صواباً لانه لا ينبغي ان يكلم كل قوم بما لا يفهمونه · قال ابن عقيل كان شيخنا ابو القاسم بن برهان الاسدي يقول لاصحابه : اياكم والنحو بين العامة فانه كاللحن بين الخاصة قال ابن عقيل : وتعليل هذا ان التحقيق من المحرفين ضايع وتضييع العلم لا يحل

ولهذا روي (حدثوا الناس بمايعقلون أتحبون ان يكذب الله ورسوله) . وقد قال صلى الله عليه وسلم (ياابا عمير مافعل النغير) ولعب مع الحسن والحسين . وانما ناسب المعلمون للحماقة لمعاملتهم الصبيان بالتحقيق .

وذكر في اخبار المغفلين من الشعراء : حدثنا عبد الوهاب بن قاسم قال قال الجاحظ انشدني بعض الحمقى :

ان داء الحب سقم ليس يهنيه القرار
ونجا من كان لا يعـ ـشق من تلك المخازي

فقلت : ان القافية الاولى راء والثانية زاي فقال : لا تنقط شيئاً فقلت : ان الاولى مرفوعة والثانية مكسورة فقال : انا اقول لا تنقط وهو يشكل . وحكى بعضهم قال : اجتمعنا ثلاثة نفر من الشعراء في قرية تسمى طهياثا فشربنا يومنا ثم قلنا : ليقل كل واحد بيت شعر في وصف يومنا فقلت : نلنا لذيذ العيش في طهياثا

فقال الثاني : لما احتثثنا القدح احتثاثا

فارتج على الثالث فقال : امرأته طالق ثلاثا . ثم قعد يبكي على امرأته ونحن نضحك عليه .

قال اخبرني ابو الحسن علي بن منصور الحلبي قال : كنت احضر مجلس سيف الدولة فحضرته وقد انصرف من غزو عدو له ظفر به فدخل الشعراء ليهنئوه فدخل رجل وانشد :

وكانوا كفار وسوسوا خلف حائط وكنت كسنّور عليهم تسلقا

فامر سيف الدولة باخراجه فقام على الباب يبكي فأُخبر سيف الدولة ببكائه وامر برده فقال : مالك تبكي فقال : قصدت مولانا بكل ما اقدر عليه فلما خاب املي وقابلتني بالهوان ذلت نفسي فبكيت فقال له سيف الدولة : ويلك من يكن له مثل هذا النثر يكن له ذلك النظم فكم امّلت . قال خمسمائة درهم . فامر له بالف درهم .

واورد في باب المغفلين من القصاص حكايات منها : جاء رجل الى قاص وهو يقرأ يتجرعه ولا يكاد يسيغه فقال اللهم اجعلنا ممن يتجرعه و يسيغه . وسرق باب دار ابي سالم القاص فجاء الى باب المسجد وقلعه قالوا ما تصنع قال اقلع هذا الباب فان صاحبه يعلم من قلع بابي .

واتى في باب المغفلين من المتزهدين بحكايات منها : قال بعض معارفنا انه حضر

في بعض البلاد عند متزهد وحضر جماعة يتبركون به منهم قاضي البلد فجرى ذكر لوط عليه السلام فقال المتزهد كلمة قبيحة فقيل له ويحك هذا نبي قال : علمت ثم التفت الى القاضي فقال خذ عليّ التوبة بما قلت فتاب . ثم افاضوا في الحديث فجرى ذكر فرعون فقالوا له ما تقول فيه فقال انا الآن تبت فلا ادخل بين الانبياء .

ونقل في باب المغفلين من المعلمين ما نصه : وهذا شيء قلّ ان يحصى ونراه مطرداً ولا نظن السبب في ذلك الا معاشرة الصبيان . ولقد بلغني ان بعض المؤدبين للمأمون اساء ادبه على المأمون وكان صغيراً فقال : ما ظنك بمن يجلو عقولنا بأدبه ويصدئ عقله بجهلنا ويشحذ اذهاننا بفوائده ويكل ذهنه تعباً فلا يزال يعارض بعلمه جهلنا وبيقظته غفلتنا وبكماله نقصنا حتى نستغرق محمود خصاله ويستغرق مذموم خصالنا فاذا برعنا في الاستفادة برع هو في البلادة واذا تحلينا باوفر الآداب تعطل من جميع الاسباب فنحن الدهر ننزع منه آدابه المكتسبة فنستفيدها دونه ونبث فيه اخلاقنا الغريزة فينفرد بها دوننا فهو طول عمره يكسبنا ويكتسب منا جهلاً فهو كذبالة السراج ودود القز .

حدثنا الجاحظ كان ابن شبرمة لا يقبل شهادة المعلمين وكان بعض الفقهاء يقول النساء أعدل شهادة من معلم . حدثنا محمد بن خلف قال قال بعض المجان مررت ببعض دور الملك فاذا انا بمعلم خلف ستر قائم على اربعه ينبح نبح الكلاب فنظرت اليه فاذا صبي قد خرج من خلف الستر فقبض عليه فقلت للمعلم عرفني خبرك قال نعم ان هذا صبي يبغض التأديب ويفر فيدخل الى الداخل ولا يخرج فاذا طلبته بكى وله كلب يلعب به فأنبح له فيظن اني كلبه فيخرج اليّ فآخذه قال الجاحظ : وقلت لمعلم تضرب غلمانك من غير جرم قال جرمهم اعظم الاجرام يدعون لي ان احج وان حججت تفرقوا في المكاتب فمتى احج انا مجنون؟

قال غلام للصبيان : هل لكم ان يفلتنا الشيخ اليوم قالوا نعم قال تعالوا لنشهد عليه انه مريض فجاء واحد منهم فقال : أراك ضعيفاً جداً وأظنك ستحم فلو مضيت الى منزلك واسترحت فقال لاحدهم يا فلان يزعم فلان اني عليل فقال صدق والله وهل يخفى هذا على جميع الغلمان ان سألتهم اخبروك فسألهم فشهدوا فقال لهم انصرفوا اليوم وتعالوا غداً .

ضرب معلم غلاماً فقيل لم تضربه؟ فقال انما اضربه قبل ان يذنب لئلا يذنب . قال الجاحظ ومررت بمعلم صبيان وهو جالس وحده فقلت له ما فعل صبيانك قال ذهبوا يتصافعون

فقلت اذهب ولننظر اليهم فقال ان كان ولا بد فغط رأسك لئلا يحسبوك انا فيصفعوك ٠ قال الجاحظ ومن اعظم مارأيت معلماً بالكوفة وهو شيخ جالس ناحية من الصبيان يبكي : فقلت له ياعم مم تبكي؟ قال سرق الصبيان حبري ٠ قال بعضهم مررت بمعلم والصبيان يضربونه وينتفون ذقنه فتقدمت لاخلصه فمنعني وقال دعهم بيني وبينهم شرط ان سبقتهم الى الكتاب ضربتهم وان سبقوني ضربوني واليوم غلبني النوم ولكن وحياتك لابكرن غداً من نصف الليل وتنظر فعلي بهم فالتفت اليه صبي وقال انا ابات الليلة ها هنا حتى تجيء واصفعك ٠

وقال في اخبار المغفلين على الاطلاق : زلبا المغفل وكان جاراً للجاحظ فقيل له ماتسميه فقال عمر بن عبد العزيز وهنؤه به فقال انا سومن الله ومنكم ٠ قال الجاحظ حدثنا اسماعيل ابن زياد قال نشزت على الاعمش امرأته وكان يأتيه رجل يقال له ابو بلاد فصيح يتكلم بالعربية يطلب منه الحديث فقال له يا ابا البلاد ان امرأتي قد نشزت علي وغمتني فادخل عليها واخبرها بمكاني بين الناس وموضعي عندهم فدخل عليها فقال : ان الله قد أحسن قسمك هذا شيخنا وسيدنا وعنه نأخذ اصل ديننا وحلالنا وحرامنا لا يغرك عموشة عينيه وحموشة ساقيه ٠ فغضب الاعمش عليه وقال اعمى الله قلبك قد اخبرتها بعيوبي كلها اخرج من بيتي فأخرجه ٠

قال حدثنا محمد بن سلام قال قال الشعبي : كان شاب يجلس الى الاحنف فأعجبه مارأى من صورته الى ان قال له ذات يوم اود ان تكون على شرف هذا المسجد وان لك مائة الف درهم فقال له يا ابن اخي والله ان المائة الف درهم لحروص عليها ولكني قد كبرت وما اقدر على القيام على هذه الشرفة وقام الفتى فلما ولى قال الاحنف :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

حدثنا علي بن المحسن التنوخي عن ابيه قال : تقدم الي في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وانا أتقلد القضاء بالاهواز في مجلسي رجلان ادعى احدهما على الآخر دعوى فسألته عنها فأنكرها فطالبت المدعي ببينة فعدمها وطلب استحلاف الخصم فقلت له احلف له فقال ليس له علي شيء كيف احلف ولو كان له علي شيء لحلفت له واكرمته ٠

قال واخبرني بعض اصحابنا قال تزوج رجل امرأة صغيرة فقيرة فقيل له في ذلك فقال انما المرأة شر وكلما اقللت من الشر كان خيراً · حدثنا ابوعلي النصري أخبرت ان رجلاً ورث مالاً جزيلاً فعمل فيه كل ما اشتهى فقال أريد ان تفتحوا عليّ صناعة لا يعود عليّ منها شيء فأتلف بها هذا المال فقال له احدجلسائه : اشتر التمر من الموصل واحمله الى البصرة وقال له آخر اشتر من ابر الخياطة التي ثلاثة بدرهم فاذا جمعت عشرة اسبكها نقرة تبيعها بدرهمين وقال آخر اشتر ما شئت واخرج الى الاعراب فبعه عليهم وخذ سفاتجهم الى الاكراد وبع على الاكراد وخذ سفاتجهم الى الاعراب فكان يفعل ذلك حتى فني ماله ·

قال سمعت ابي يقول قال المأمون لقاسم : اختر لي اسمًا اسمي به جاريتي هذه قال سمها مسجددمشق فانه احسن شيء · دُعي بعض المغفلين الى دعوة فاشتغل الناس بالاكل وجعل هو ينظر الى الستور المعلقة وكانت الحيطان كلها قدستيرت فقيل له : مالك لا تأكل فقال والله لقد طال تعجبي من هذه الستور الطوال كيف دخلت من هذا الباب القصير ·

حدثنا ابوالفضل احمدالهمداني قال : جاءت امرأة الى القاضي وذكرت ان زوجها طلقها فقال القاضي لك بينة؟ فقالت نعم جارنا قال فأحضرته فقال القاضي أسمعت طلاق هذه المرأة فقال ياسيدي خرجت الى السوق فاشتريت لحمًا وخبزاً ودبسًا وزعفراناً فقال له القاضي ماسألتك عن هذا هل سمعت طلاق هذه المرأة قال ثم تركته في البيت وعدت فاشتريت حطبًا وخلاً · فقال دع هذا عنك فقال ما احسن الحديث الا الحديث من اوله ثم قال جلت في الدار جولة فسمعت زعقاتهم وسمعت الطلاق الثلاث فمادري أهي طلقته ام هو طلقها ·

قال حدثني جماعة من اهل سابور فيهم كتاب وتجار وغير ذلك انه كان عندهم في سنة نيف واربعين وثلاثمائة شاب من كتاب البلد وهو ابن ابي الطيب العسلاني الكاتب فخرج الى بعض شأنه في الرستاق فأخذه الاكراد وعذبوه فطلبوا منه ان يشتري نفسه منهم فلم يفعل فكتب الى اهله اهدوا اليّ اربعة دراهم افيون واعلموا انه هو دواء اشربه فتلحقني سكتة فلا يشك الاكراد اني ميت فيحملوني اليكم فاذاجعلت عنكم فأدخلوني الحمام وأضربوني ليحمى بدني وشوكوني بالابر فاني افيق وكان الصبي متخلفًا (اي احمق) وقدسمع

انه من شرب أفيوناً أسكت فاذا دخل الحمام وضرب كما ذكر برأ . ولم يدر مقدار ما يشرب به من ذلك فشرب اربعة دراهم فلم يشك الاكراد في موته فلفوه وانفذوه الى اهله فلما حصل عندهم ادخلوه الحمام وضربوه وشكوه فما تحرك واقام في الحمام اياماً فرآه الاطباء فقالوا هذا قد تلف كم شرب من الافيون قالوا اربعة دراهم فقالوا هذا لو شوي في جهنم ما عاش انما يجوز ان يفعل هذا بمن شرب اربعة دوانيق او وزن درهم فاما هذا فقد مات فلم يقبل اهلوه وتركوه في الحمام حتى تغير فدفنوه وانعكست حيلته على نفسه .

قال بعضهم رأيت رجلاً محموماً مصدوعاً يأكل التمر ويجمع النوى فقلت ويحك انت بهذه الحال وتأكل التمر فقال يامولاي عندي شاة ترضع وما لها نوى فانا آكل هذا التمر مع كراهيتي له لأُطعمها النوى فقلت اطعمها التمر والنوى قال ويجوز ذلك قلت نعم قال والله لقد فرجت عني لا اله الا الله ما احسن العلم .

قال ابو العباس سألت رجلاً طويل اللحية فقلت : ايش اليوم قال والله ما ادري فاني لست من اهل هذا البلد انا من دير العاقول . قال الجاحظ دخلت الكوفة فبينا انا أطوف في طرقاتها رأيت شيخاً ذا هيئة جالساً على باب داره ومن جانب الديار صياح فقلت له يا عم ماهذا الصياح فقال هذا رجل افتصد فبلغ موضع شادروانه فمات يريد شريانه . قال ابو العبيس صحبني رجل في السفينة فقلت له ممن الرجل فقال من اولاد الشام ممن كان جدي من اصدقاء المنصور على يد ابي سالم شاعر الانبار الانباري وكان من الذين بايعوا تحت الشجرة مع ابي سالم بن يسار في وقت الفاروق ايام قتل الحجاج ابن يونس النهرواني على شاطئ الفرات . قال العبيس : لم ادر على اي شيء احسده على معرفته بالانساب ام على بصره بايام الناس ام حفظه للسير ! .

حكي ان جماعة من اهل حمص تذاكروا في حديث الاعضاء ومنافعها فقالوا الانف للشم والفم للاكل واللسان للكلام فما فائدة الاذنين فلم يتوجه لهم في ذلك شيء فأجمعوا على قصد بعض القضاة ليسألوه فمضوا فوجدوه في شغل فجلسوا على باب داره واذا هناك خياط فتل الخياط خيوطا ووضعها على اذنه فقالوا : قد اتانا الله بما احببنا ان نسأل القاضي عنه . وانما خلقت الآذان للخيوط وانصرفوا مسرورين بما استفادوه . قال بعضهم رأيت رجلاً ألحى قائماً في حلقة قاص يقص مقتل عثمان فلما فرغ قال الالحي أعيذك بالله ما احسن ما تروي كلام منصور بن عمار .

اثر جديد من الفسيفساء

في دمشق

ترامى الى ادارة دار الآثار العربية انه بينا كان احدهم يحفر أساساً في داره على مقربة من الجامع الأُموي بين زقاق السلطان صلاح الدين والجامع الأموي الى الشمال الغربي ظهر على عمق اربعة امتار قطع مكعبات من الفسيفساء. فذهبتُ الى المحل المذكور للتحقيق فلم يكن هناك لحسن الطالع بناء يعوق سير العمل والتنقيب، وبعد رفع التراب ظهرت قطعة ارض مرصوفةً بالفسيفساء الملونة، مزينة بصور الطيور والحيوانات، متقنة الصنع، محكمة الوضع، حسنة الترتيب، فحددت اطرافها الثلاثة الشمالية بجملتها وقسماً من الشرق والغرب بطول ٣،٢٥ متر مكعب وعرض ٠،٧٥ سنتيمتراً وبسبب حفر اساس في القديم أُلمت القطعة الجنوبية فيها او ربما كان فصل بينها وبين البقية المتممة التي تمتد الى الجنوب وشوه قسم منها وقد قسمها الصانع الى ثلاثة اقسام ففي الزاوية الشرقية الشمالية مربع فيه صورة طير حجل مشوه رأسه جعل في دائرة وفي الزاوية الغربية الشمالية مربع فيه صورة عنقاء مشوه رأسها في دائرة شبيهة بالاولى وبينهما القسم الثالث وهو أهمها واكبرها حجماً وهو سالم غير مشوه مستطيل الشكل فيه صورة غزالين او ثعلبين متقابلين وخلف كل منهما طير، وفي الوسط شكل نباتي ويضم جميع ذلك بعضه الى بعض من الاطراف الثلاثة نطاق بشكل مجدول.

من الصعب البتّ في تاريخ هذا الاثر لانه مغفل من كل كتابة او تاريخ يرجع اليه، وكل ما يمكن استنتاجه من الصور والرموز بانها ليست من المسيحية على شيء. ولو امكن التوسع في الحفر وظهر البناء او القسم المتمم لقطعة الفسيفساء لعثرنا على ما ينير سبيلنا ويسهل علينا بحثنا ويجوز بان يكون البناء في بعض الاحيان اقدم من زخارفه اما لكونها زينة حادثة بعد البناء او لما طرأ عليها من تغير وتبديل حين الترميم في القديم وهكذا وقع لقطعتنا هذه كما وقع لكثير من امثالها التي ظهرت في امكنة مختلفة.

ويرى المتأمل في هذه القطعة بعض الاختلاف في نوع المادة المركبة منها وحجم مكعباتها تختلف بين صورة وأُخرى، وهذا ظاهر في بعض اقسامها وخصوصاً في

صورة الغزالين او الثعلبين فالذي في جهة اليمين تختلف الوانه عن الذي في جهة اليسار . فترى في الاول الواناً كثيرة من ابيض واسود واحمر واخضر وازرق ومذهب وقطع مكعباته اصغر حجماً من البقية . اما الثاني فهو بسيط اختصر فيه على الألوان الثلاثة الابيض والاسود والاحمر وقطع مكعباته بحجم بقية القطعة . وما اظن هذا التباين هو مقصود من الاصل بل ذلك حادث حين الترميم الذي وقع بعد ذلك .

وانه اصعب علينا والحالة هذه معرفة تاريخ انشاء هذه القطعة ولكن من السهل التمييز بين القديم والحديث منها . فالقسم القديم الباقي هو القسم الاكبر ، مكعباته حجرية و بحجم واحد والوانه طبيعية وقد دام استعمال هذا النوع طويلاً حتى في عهد تطور هذه الصناعة ورقيها . واما القسم المحدث منها فقد استعيض عن الاحجار الطبيعية بمكعبات صناعية زجاجية بألوان خضراء وزرقاء ومذهب وهذا النوع وخصوصاً لون المذهب لم يشع استعماله الا في آخر العهد البيزنطي . نعم ان النوع القديم البسيط قد استعمل في كل ادوار الفسيفساء ولو كانت جميع صورها على شكل الصور الملونة لما ترددت بانها من العهد البيزنطي المتأخر . اما وفيها صورة بسيطة فهي تدعو الى الاعتقاد بان الزجاج الملون أضيف حين الترميم في ازمنة متفاوتة . ولا عجب بذلك لان الفسيفساء سريعة العطب وتحتاج لحفظها من التلف الى إصلاحات موضعية من وقت الى آخر او تجديدها برمتها .

ومن الحكمة ان لا نتسرع بالحكم على عهدها ، وعلينا ان نتربص ريثما ينتهي رفع التراب والردم المتراكم على هذا المكان . فعسى ان نجد من الادلة ما نطمئن اليه ونعتمد عليه وان لم نجد الى الآن ما يدل على نوع هذا البناء ، غير انني عثرت على ارتفاع متر من سطح ارض البناء على جزء حوض ماء من الفخار قعره مرصوف بالفسيفساء الحجرية البيضاء ومكعباته هي اكبر حجماً من مكعبات ارض الغرفة باضعاف ، وكذلك وجدت قطع قساطل من الفخار وآثار مجرى ماء . فأظن ان الجميع من عهد واحد وان لم أعثر على ما يؤيد ذلك ولا يبعد ان يكون هذا البناء حماماً لصغر مساحته . والاقدمون كانوا في ذلك العهد يعتنون بحماماتهم العامة والخاصة و يرصفون ارضها و يزينون جدرانها بانواع الفسيفساء والرسوم والنقوش .

وهذه القطعة هي اول فسيفساء ظهرت في دمشق من ذالك العهد فعسى ان تكون هذه الصادفة فاتحة لغيرها من الاكتشافات المفيدة النافعة ·

مدير دار الآثار العربية

جعفر الحسني

الأستاذ المرحوم ادوارد كرنول برون

أُصيب اهل الشرق ومستشرقو الغرب بمصيبة عامة بانتقال الاستاذ برون مدرس العربية في كلية كمبرج في انكلترا الى رحمة ربه قبل بلوغه حد السبعين من عمر قضى اكثره في خدمة العلم وتمهيد حسن التفاهم بين الغربيين والشرقيين ، ولما كان هو من اعضاء مجمعنا العلمي فقد كلفني رئيسه ان أصف لقراء مجلته بعض سيرته فلبيت تلك الدعوة قاضياً لحقوق منها حق الصداقة وحق عضوية المجمع وحرمة الادب ·

ولد الاستاذ المرحوم في الـ ٧ من فبراير (شباط) ١٨٦١ (الـ ٧ من شعبان ١٢٧٨) في قرية اسمها اولى من قرى مديرية كلسترشر في انكلترا · وهو اكبر اولاد المرحوم سر بنيامين جبن برون من كبار المهندسين وامه ايضاً بنت مهندس وعرفت كلتا العائلتين بميلها الى حب الموسيقي · ومن آثار ذلك الحب ما اختص به الاستاذ من دقة السمع التي كان يستند اليها في تعلم اللغات دون الدروس النحوية واللغوية · ومن اجداده رجال من مشاهير الانكليز اصحاب وظائف جليلة وسياح ومصلحون · أُدخل المرحوم صبياً في مكتب ايتن المشهور ، مدرسة اولاد الاغنياء ، ولم يسعد هنالك وقد قال ان اشقى نهار حياتي ماعدا نهار خروجي من كلية كمبرج كان نهار دخلت في المكتب وكأني قاسيت فيه من الشقاوة واليأس غاية ما يمكن مقاساته او كدت أقاسيه ثم خرج منه وهو مناهز الست عشرة من سنه ، وكان مراد ابويه ان يصير مهندساً ، وكانت الحرب التي نشبت حينئذ بين الترك والروس اول امر لفت نظره الى الشرق وأُشرب محبة الاتراك بحيث لم تكن له رغبة الا في الانتظام في جيشهم ملازماً ، فحملته الغيرة على الاجتهاد في تحصيل لغتهم وكره له والده العسكرية معيشةً وعرض عليه الطب عوضاً عن الهندسة

فآثره هو ايضاً . وفي اكتوبر (تشرين الاول) من سنة ١٨٧٩ (شوال من ١٢٩٦) دخل في بمبروك كلج من كلية كمبرج وكان دخوله مبدأ عمر حديث سعيد وأخذ يقرأ العربية على الاستاذ بالمر المترجم في السنين الأخيرة من مجلة الهلال حصل منها في فصل واحد على اكثر مما كان تعلم من اللاتينية واليونانية في مدة خمسة اعوام ثم في الاجازة الطولى من سنة ١٨٨٠ (١٢٩٧) طفق يدرس الفارسية وبعد سنتين اخذ رتبته في العلوم الطبيعية فأجاز له والده اقامة شهرين في الاستانة وبعد رجوعه قضى عامين في كمبرج دارساً اللغات الشرقية فحصل على الدرجة الاولى في الامتحان ثم رجع الى الطب فأقام ثلاثة أعوام في مستشفى القديس برتلمي في لندرا تلميذاً لسر نرمن مور . وكان يرجو ان يفوز بوظيفة في الخدمة القنصلية لتقدمه في اللغات الاسلامية فخاب امله ثم في الـ ٣٠ من مايو (ايار) سنة ١٨٨٧ (١١ من رمضان ١٣٠٤) بشر بانه قد انتخب شريكاً [1] في بمبروك كلج فسافر الى ايران واقام هنالك سنة كاملة وعند رجوعه الى الوطن عين مدرساً اول للغة الفارسية في كلية كمبرج ثم في سنة ١٩٠٢ (١٣٢٠) بعد وفاة الاستاذ ريو صاحب الفهارس المشهورة عين مدرساً للغة العربية ولم يزل قاضياً لحقوق تلك الوظيفة خادماً خدماً مشكورة متمتعاً بالصيت والشهرة الى انتقاله في سنة ١٩٢٥ ، وكانت العلة التي عجلت عليه وفاة قرينة حياته التي احتضرت قبله باشهر .

لم يشتغل قط بتعهد المرضى مع حصوله على الشروط اللازمة للمتطببين ، ولا فارق الطب فراق المعرض عنه ، فانه اشترك غير مرة في مجلات طبية وألقى على جمعية الاطباء الملكية خطباً موضوعها تاريخ الطب عند العرب جمع منها كتاباً استحسنه اهل الفن غاية الاستحسان . وقد كان اجتمع في ايران ببعض البهائيين فحملوه على التبحر في مذهبهم فصار يجمع مؤلفات تلك الطائفة ونشر سلسلة من كتب ورسائل اوضح فيها مبادئها وما حال اليه امرها وسير مشاهير رجالها ومقاصد دعاتها حتى أصبح معولاً عليه في هذا الموضوع دون غيره من علماء الغرب . وكان تعرف ايضاً باصحاب السياسة

(١) اصطلاح مدرسي كل مدرسة من مدارس الكلية يديرها لجنة من شركاء اصحاب مشاهرات .

في ايران ومصلحيها ولما ظهرت الدولة الدستورية هنالك كان مؤسسو الدستور الايراني يشاورونه و يعتبرون آراءه في امورهم ونشر في انكلترا كتباً وصف فيها صدور الحركات الدستورية والاشخاص الذين كان لهم الحظ الاوفر في تغيير الاحوال وكان يكاتب الجرائد السياسية في انكلترا يدافع عن حقوق الفرس وأهم تأليف ألفه تاريخ الآداب الفارسية ظهر اول مجلد منه سنة ١٩٠٢ وخاتمته سنة ١٩٢٤ وهو كتاب مستوعب لموضوعه لم يُسبق الى مثله ، وقلما يوجد في تواريخ الادب كتاب يضاهيه في الاستقصاء والاحاطة ، وجمال الاسلوب وسلامة الذوق ، وفيه ما يدل على سعة العلم وبذل الجهد مع المفاداة بالاموال في تحصيل خطوط وكتب مطبوعة وجرائد نادرة الوجود يسد بها خروقاً و يرتق بها ما فتق مقتفياً آثار التصنيف الفارسي من ابتدائه الى ايامنا هذه وصار كتاباً سيخلد ، ان شاء القادر ، ذكره ويفتخر به وطنه .

ومن مناقبه في اصلاح اسلوب التعليم في كليتنا استناده الى مساعدين دعاهم من الاستانة ومصر وايران وهم قادرون على تعويد الطلبة استعمال لغاتهم آلات يعبرون بها عن افكارهم فخرج تلامذة عدة خدموا اللغات الاسلامية خدماً لا تنكر . ومن مناقبه ايضاً ما اشار به على ابوي المرحوم (جيمز كب) صاحب تاريخ الشعر العثماني من تأسيس (تذكار كب) وهو عبارة عن مبلغ ضخم من المال ينفق فائضه في ترقية العلوم الاسلامية فوضت ادارته الى لجنة انتخبها هو بصفته رئيسها فحل به مشكلاً كان قد منع طلبة العلم من الاقدام على الاستشراق ، وهو استحالة وجدان ناشر يتكلف طبع كتب متعلقة بالشرق لكساد سوقها الا عند اهل الفن ، وعددهم قليل لا ترجى له زيادة ، وهذه خدمة لو كان الاستاذ اقتصر عليها ولم يصنع سواها لاستحق بها ثناءً لا مزيد عليه وشكراً لا ينفد .

وزد على ما ذكرنا ماقاسى الاستاذ من التعب في تأليف فهارس الخطوط الاسلامية الموجودة في مكاتب كمبرج ونشر تآليف عربية وفارسية مع ترجمتها ، ثم انتخاب كتب فوض نشرها الى تلامذته واصدقائه من اهل العلم ، ومقالات اهداها الى مجلة الجمعية الاسيوية وغيرها من المجلات الفنية نتعجب من عمر متوسط الطول كيف وسع جميع تلك الاشغال .

لم يعدم الاستاذ المرحوم شهادات شهدت بان معاصريه قدروا اعماله قدرها ومنها شيء كثير عند الالمان وهو نادر عندنا غاية الندور بحيث اضطررنا الى استعارة عبارة نمساوية (فستشرفت) ومعناها ان الاديب عند بلوغه كذا وكذا من سني عمره او وظيفته يجتمع زملاؤه وتلامذته ويؤلفون مقالات علمية يجعلونها مجلداً يقدمونه اليه معنوناً باسمه وقد اهدى الى الاستاذ برون كتاب تلك صفته عند بلوغه سن الستين اشترك في تأليفه رجال من احدى عشرة امة وأضيفت اليه جملة قصائد قرضها شعراء ايرانيون ، ثم لما أسست الاكادميا البرطنية انتخب عضواً من اعضائها ثم انتخبه عضو شرف المجمع العلمي الشامي الذي أخاطبه متمثلاً بكلام الثعالبي في وصف اعضائه الكرام :

نتنافى اللغات والدين والاخـ ـلاق منهم والزيّ والاسماء
ألّفتهم مع التباعد نعما ؤك حتى كأنهم خلطاء

اكسفورد : مرجليوث

التنبيه
على غلط الجاهل والنبيه
— ٣ —

﴿ فصل الجيم ﴾

ومنها (في فصل الجيم) (جمادى الأولى والأخرى) هي فعالى كحبارى . ودالها مهملة . والعوام يستعملونه بالمعجمة المكسورة . و يصفونها بالاول . فيكون فيها ثلاثة تحريفات : قلب المهملة معجمة . والفتحة كسرة . والتأنيث تذكيراً . وكذا جمادى الأخرى: يقولون جماذِي الآخِر بلاتاء . والصحيح الآخرة بالتاء . اوالأخرى . وهما معرفتان من اسماء الشهور . فإدخال اللام في وصفيهما صحيح . وكذا ربيع الاول وربيع الآخر في الشهور . اما ربيع الازمنة فالربيع الاول باللام [1] .

﴿ فصل الحاء ﴾

ومنها (في فصل الحاء) (الحباب) يستعمله الاكثر في النفّاخات التي تطفو على وجه الماء بضم الحاء المهملة . وهو خطأ : فانه بضم الحاء المحبة . فالصحيح فتح الحاء . قال في القاموس حَباب الماء كسحاب فقاقيعه التي تطفو كأنها القوارير .

ومنها (المحبة) بفتح الميم مصدر بمعنى الحب فضم الميم كما يفعله البعض خطأ .

ومنها (كعب الاحبار) وهو بالحاء المهملة . واشتهر بين العوام بالمعجمة لكثرة ما يرو به من الاخبار . وهو وهم . قال في الصحاح كعب الحبر منسوب الى الحِبر الذي يُكتب به . لانه كان صاحب كتب . وقال في القاموس (كعب الحبر معروف [2]) فلفظة الاحبار فيها كلام ايضاً : اذ ما وصفه الثقات الا بالحِبْر . ولا يسمع كعب الأحبار الا في الروايات .

(١) اي بادخال ال على ربيع الذي هو احد فصول السنة لانه ليس معرفة كربيع الشهور

(٢) هذه عبارة القاموس في مادة كعب . اما في مادة حبر فقد قال (و كعب الحَبر و يكسر ولا تقل الاحبار) .

ومنها (المستحكِم) هو بكسر الكاف بمعنى المحكَم . يقال أحكمه فاستحكم اي صار مُحكَماً . لكن اشتهر بين الناس فتح كافه وهو خطأ اذ هو لازم .

ومنها (الحانث) وهو من الحنث بكسر الحاء بمعنى الحلف[1] في اليمين . وقد حنث كعلم . والمشهور بين الناس الحنيث[2] وهو لحن .

ومنها لفظ (الحيدر) بالحاء المهملة من أسماء الأسد . والجافون[3] يستعملونه بالمعجمة لعدم زوال الكزازة عنهم بتحصيل طرفٍ من العلم . بل ربما يسمعون الحق فلا ينتبهون . لان ترك المألوف صعب . او لزعمهم إياه بالمعجمة في الحقيقة .

ومنها (الحَيَوان) هو بالتحريك جنس الحيّ . واصله الحَيَيان . ذكره في القاموس . فإسكان الياء فيه كما يفعله العامة لحن .

﴿ فصل الخاء ﴾

ومنها (في فصل الخاء) لفظ (التخجل) هو ككَتِف المتحيّر المدهوش من الحياء . وقد خجل من باب طرب . فالخجيل بزيادة الياء مما يوجب الخجلة . وكذا (التخجالة[4]) على ما يستعملها البعض .

ومنها (الخشن) هو ايضاً على وزن كتِف . وقد خشُن الشيءُ من باب سهُل فهو خشِن (فالخشين) بالياء انما هو من خشونة الطبع .

ومنها (الخيزران) هو بفتح الخاء وسكون الياء وكسر[5] الزاي شجر هندي وهو عروق ممتدة في الارض . وهي عروق القنا . فتحريف بعض الناس إياه وقولهم فيه

---

(١) لعل صوابه الخلف بالخاء المعجمة : لأنه أخلف بها ولم يقم بموجبها . (٢) اي انهم يستعملون حنيث مكان حانث . (٣) الجافون جمع جافي الغليظ وفلان جافي الخلق اي كزّ غليظ العشرة والكزازة اليبوسة والانقباض وفي نسخة (واللاحنون) مكان (والجافون) . (٤) أراد بقوله : وكذا التخجالة الى آخره أن التخجالة من أغلاطهم التي يحسن التنبيه اليها ايضاً لانها ليست من مصادر خجل . ويمكن ان يقال ايضاً ان قول مؤلفنا (مما يوجب التخجلة) هو مما يوجب التخجل لان (التخجلة) ليست من مصادر خجل كان التخجالة كذلك . (٥) صوابه وضم الزاي كما في القاموس والصحاح .

(خزيران وهزاران[١]) تصرّف عامي ·

فصل الدال

ومنها (في فصل الدال) لفظ (الدأب) هو بسكون الهمزة العادة والشأن وقد تحرك · فاستعمال الناس اياه بمعني الأدب خطأ محض ·

ومنها (الدعاوى) هو كصحارى جمع الدعوى · وبكسر الواو كما يفعله البعض[٢] خطأ ·

ومنها (الديانة) هي معروفة يلحن بعض العوام فيها بتقديم النون على الياء · فقولُهم (دناية) · عن الجهل كناية · وعلى اللفظ جناية ·

ومنها (الأدوية والأدعية) على وزن أفعلة من جموع القلة · ولا تلتفت الى تشديد العوام ·

فصل الذال

ومنها (في فصل الذال) (الإذعان) : الغلط فيه من حيث انهم يستعملونه بمعنى الإدراك فيقولون أذعنت فلاناً بمعنى فهمت · والصحيح أذعنت له · ومعناه الخضوع والذل والانقياد · واذعان النفس للشيء قبولها اياه وانقيادها له · ومن أدرك المعنى حق الادراك ينقاد له طبعه ويقبله حق القبول · ومنها[٣] وقع الناس في الغلط ·

ومنها لفظ (الاذناب) وقع في بعض مختصرات الصرف: (الزاجر عن الاذناب) فزعموا انها(أَذناب) على وزن أفعال جمع ذْنب بمعنى الاثم · وهو عجيب لان الاذناب جمع ذَنَب بفتح النون لا جمع ذنْب بسكونها · فإن جمعه ذنوب · قال في القاموس (الذنب

---

(١) وفي نسخة هزران بالهاء من دون الف بعد الزاي ولعل الصواب خزاران بالخاء المعجمة ولكن الناسخ التركي كتبها بالهاء كما ينطقها · (٢) لكن الصحيح انه يقال دعاوِي ودعاوَى وصحاري وصحارى وفتاوي وفتاوى والكسر أفصح وتحقيق ذلك في المصباح فراجعه في مادة (دعا) · (٣) قوله ومنها اي ومن هذه الجهة وقع الناس الخ اي ان الناس انما غلطوا في جعلهم أذعن بمعنى فهم لكونهم لاحظوا ان من فهم شيئًا وادركه انقاد له طبعه وخضع فصار بين الادراك والاذعان علاقة ونسبة روّجت إطلاق الاذعان على الفهم والإدراك ·

الإثم والجمع الذنوب وجمع الجمع ذنوبات . وبالتحريك واحد الأذناب) وقد ذُكر في الصرف أن (فَعْلا) بسكون العين لا يجمع في غير الأجوف على أفعال الا في[١] أفعال معدودة : كشكل واشكال وسمع واسماع وسجع واسجاع وفرخ وافراخ . وقد قالوا في فرخ انه محمول على طير[٢] فالعبارة[٣] بكسر الهمزة مصدر (أذنب) وهو الملائم للزجر: اذ الممنوع عنه كسب الذنب لا الذنب نفسه . ألا ترى ان معنى النهي عن الذنب نهي عن الاتيان به . وعن القرب منه . فعلم ان العبارة بالكسر أصابت[٤] الحز . وطبّقت المفصل[٥] .

فصل الراء

ومنها (في فصل الراء) (المرتبط) : قولُ الناس (فلان مرتبط بكذا) على البناء للفاعل خطأ . والصحيح مرتبط بكذا على بناء المجهول[٦] لان (ارتبط) متعد كربط . كما اتفقت عليه أئمة اللغة .

ومنها (المرثية) هي بالتخفيف مصدر كمحمدة قال في الصحاح : رثيت الميت من باب رمى[٧] ومرثية ايضاً اذا بكيته . وعددت محاسنه . وكذا اذا نظمت فيه شعراً انتهى .

---

(١) لعل صوابه الا في كلمات معدودة او الفاظ معدودة . (٢) اي ان لفظ (طير) لكونه اجوف يجمع على افعال فيقال اطيار . فحملوا عليه (فرخ) مذ قالوا في جمعه (أفراخ) . وانما حملوه عليه لما بينهما من العلاقة وهي ان الفرخ صغير الطير . (٣) قوله فالعبارة اي العبارة السابقة وهي قولهم (الزاجر عن الاذناب) . (٤) خلاصة ما أراده المصنف هو انه يجب في قولهم (الزاجر عن الاذناب) ان يلفظ بكسر همزة (الإذناب) بناء على كونه مصدراً لفعل (أذنب) قال : وهذا هو الصواب لأن الزجر والنهي انما يكون عن ارتكاب الذنب لا عن الذنب نفسه . (٥) تطبيق المفصل كناية عن إصابة الحجة والحق . واصل استعماله في السيف يقال طبّق السيف المفصل اذا اصابه فأبان العضو كقول الشاعر في صفة سيف (يصمم أحياناً وحيناً يطبّق) . (٦) وفي نسخة على بناء المفعول وهي اصوب . (٧) قوله ومرثية معطوف على محذوف لان التقدير (من باب رمى الذي جاء مصدره رثياً ومرثية ايضاً) وفي نسخة هكذا (رثيت الميت من باب رمى مرثية ورثوته ايضاً اذا بكيته الخ) .

فتشديد الناس ياءها[١] لحن محض . وهذا المصدر يضاف تارة الى فاعله فيقال مرثية فلان الشاعر . وأخرى الى مفعوله فيقال مرثية[٢] الشاعر المرحوم . واما القصيدة فهي مرثيٌّ بها .

ومنها (الرفاهية) هي بالتخفيف مصدر كطواعية يقال فلان في رفاهية من العيش ورفاهة منه اي في سعة وخصب ولين والناس يلحنون فيها[٣] بتشديد الياء .

ومنها (الرِق) هو بالكسر مصدر بمعنى العبودية فقول الناس الرقّيّة خطأ فاحش .

فصل الزاي

ومنها (في فصل الزاي) (الزعيم) هو بمعنى الكفيل قال سبحانه وتعالى حكايةً (ولمن جاء به حملُ بعير وانا به زعيم) اي كفيل . وفي الحديث (الزعيم غارم) . وبمعنى السيد والرئيس كما ذكر في كتب اللغة . فاستعمال الناس اياه بمعنى الزاعم من الزعم الذي هو الحسبان مبنيّ على الزعم الفاسد .

ومنها (الزَّعامة) هي بفتح الزاي بمعنى الكفالة والسيادة . فكسر بعض الناس زايها غلط[٤] .

ومنها (المزيد) هو لفظ اخترعه الناس واستعملوه وقالوا[٥] فلان مزيد للبلغم بمعنى الزائد في البلغم . ولا اصل له في كلام العرب اصلاً : لانهم ما استعملوا الإفعال من زاد ولا حاجة اليه لأن زاد مشترك بين اللازم والمتعدي يقال زاد الشيءُ وزاد غيره .

فصل السين

ومنها (في فصل السين) لفظ (السبق) هو مصدر سبق من باب ضرب والناس يزيدون فيه تاء فيقولون السبقة زاعمين انها مصدر سبق فهو منهم لحن . نعم يمكن ان يقال يجوز ان تكون التاء للمرة كضربة مثلاً ويكون المعنى سبقاً واحداً . لكن من تتبع مواضع استعمالاتهم يعرف انهم لا يقصدون بها المرة ولا يخطر ببالهم معنى المرة اصلاً بل يستعملونها

(١) اي ياء كلمة مرثية . (٢) الاظهر ان يقول مرثية فلان المرحوم اي فلان الذي قيلت فيه المرثية ولا معنى للتمثيل بالشاعر . ثم ظفرت به في بعض النسخ . (٣) اي في كلمة الرفاهية (٤) لانها مصدر اما اذا أريد بها الوظيفة فتكسر كما تكسر اختاها : الإمارة والعِرافة

(٥) قوله فلان مزيد لعل صوابه ان يقال الشيءُ الفلاني من الاطعمة او العقاقير مثلاً مزيد للبلغم : لان كلمة فلان يكنى بها عن الشخص لا الشيء . ولعل الاتراك يكنون بفلان عن الشيء ايضاً .

بمعنى المصدر فقط فيقولون (هو من قبيل سبقة اللسان) ولا معنى لاعتبار المرة هنا ٠
ومنها (الحق السابقة) ٠ و (الاشتهار الكاذبة) ٠ و (الانعام العالية) مما تركه اولى من ذكره لولا الشريطة السابقة ٠ وسببه عدم الالتفات الى مايخرج من افواههم كأنهم غير مأخوذين [١] ٠ والافكيف يخفى على العاقل امثالها ٠ وبعضهم يستعملون السابقة بلا موصوف ٠ وهو قريب من الصواب اذ يمكن جعلها صفة لموصوف مؤنث كالحقوق مثلاً ٠ ويمكن ايضاً جعل التاء للنقل كأنهم جعلوها من عداد الاسماء ٠ لكن العرب ما استعملتها بالتاء ولا نقلتها من الوصفية الى الاسمية ٠

ومنها (السحور) هو بالفتح اسم لما يتسحّر به كالصبوح والغَبوق اسمان لما يشرب بالصباح والعشاء [٢] فضم السين كما يفعله البعض خطأ [٣] ٠

ومنها (السكّر) يزيد [٤] فيه بعض العوام ألفاً فيصير أمرّ من العلقم ٠ وهو لفظ معرب معناه معروف ٠

ومنها (السلس) هو على وزن كتِف ٠ تقول شيءٌ سلِس اي سهل ورجل سلِس اي ليّن منقاد ٠ وفلان سلِس البول : اذا كان لايستمسكه (فالسليس) بزيادة الياء على ما هو المشهور غير سلس بل هو لحن محض كالتجبل والخشين المارين من قبلُ ٠ وكذلك قولهم فلان (سلَس البول) بفتح اللام ٠ وقد عرفت آنفاً أنه بكسر اللام ٠

ومنها (التسلي) هو مصدر من تسلّي على وزن تفعّل ٠ وكسر اللام للياء [٥] وقولهم التسلّى بفتح اللام والتجلّى (في التجلّي بكسر اللام) لحنٌ محض ٠

---

(١) وفي نسخة غير موآخذين به ٠ وموضع الخطأ في هذه الثلاثة وصف المذكر بصفة المؤنث فصوابه ان يقال الحق السابق والاشتهار الكاذب والانعام العالي ٠
(٢) وفي نسخة والعشي ٠ (٣) ضم سين سحور يكون خطأ اذا أريد به نفس الطعام الذي يتسحر به ٠ اما اذا أريد به المصدر اي أكل ذلك الطعام فلا يكون خطأ ٠ وكذا يقال في الصبوح والغبوق ٠ (٤) لعلهم يزيدون الألف بعد الكاف فيقولون السكار ٠ (٥) اي وانما كسرت لام التسلي الذي هو مصدر — لمناسبة الياء والا فاللام في الاصل مضمومة لان مصدر تكلم التكلم بضم لامه ٠

ومنها لفظ (مسيلمة) هو بكسر اللام تصغير مسلمة واسم للكذاب المشهور فمن يقولها بفتح اللام ويدعي الصحة أكذب منه ·

ومنها (السهل) هو ضد الجبل وارض[1] سهلة وقد شاع بين الناس (ساحل) يقولون للموضع اذا مشي[2] هو ساحل سواء كان قريباً من البحر او لا وهو[3] خطأ اذ الساحل هو شاطئ البحر · والأرض القريبة من البحر معدودة من الساحل ايضاً · ومعنى الساحل المسحول لان الماء سحله اي نحته وقشره فهو[4] مقلوب · أومعناه[5] ذو ساحل من الماء : اذا ارتفع المدّ ثم جزر فجرف ما عليه ذكره في الصحاح[6] وفي القاموس ·

﴿ فصل الشين ﴾

ومنها (في فصل الشين) (الشباهة[7]) هي لفظة مستعملة بين الناس لكن لا صحة لها والصحيح الشَبَه بفتحتين تقول بينهما شبه والجمع أشباه على القياس ومشابه على غير القياس · واذا أردت استعمال الفعل تقول أشبه يُشبه شبهاً · ولا يستعمل الثلاثي من الشبه كما لا يستعمل[8] المصدر من أشبه ·

---

(١) وفي نسخة والارض سهلة · (٢) لعله يريد اذا مشي فيه كثيراً حتى أصبح مهاداً سهلاً غير حزن · وهذا التعبير غير جيد فلعل كلمة مشي محرفة عن مهّد مثلاً ·
(٣) وخلاصة الخطأ في كلمة (ساحل) انهم يستعملونها في مقام (سهل) فيقولون : موضعٌ ساحل اي سهل مشى فيه الناس ووطئته أقدامهم حتى صار سهلاً ممهداً : فاطلاق كلمة ساحل عليه وهو بعيد عن البحر خطأ لان الساحل هو شاطئ البحر والارض القريبة منه واذا كانت بعيدة لا تسمى ساحلاً · (٤) اي انه اسم فاعل قلب معناه الى معنى اسم المفعول اي مسحول كعيشةٍ راضية اي مرضية · (٥) يعني ان (ساحل) على هذا ليس هو بمعنى مسحول بل هو على تقدير مكان ذو ساحل ويكون المراد بالساحل الماء الذي يسحل تراب الشاطئ كلما أقبل وأدبر بسبب المد والجزر والاقرب ان يقول بسبب الريح والهواء ·
(٦) وفي نسخة اقتصر على القاموس وهو الصواب · (٧) وفي نسخة الشباهية ·
(٨) اي ان فعل اشبه اكتفوا فيه بماضي الرباعي ومضارعه وبمصدر الثلاثي · وذلك كأحبه يُحبه حباً ولا يقال إحباباً ·

ومنها (نقيب الاشراف) يلحن فيه البعض بحذف [1] الالف ٠

ومنها (الشكل) يلحن فيه البعض بزيادة الالف فيقولون (الشاكل) وأظن ان هذه الالف مسروقة من الأشراف ٠ فليتهم [2] نقلوا هـذه الالف الى موضعها فاستراحوا من اللحنين وأراحوا ٠

﴿ فصل الصاد ﴾

ومنها (في فصل الصاد) (المصرف) هو بكسر الراء ٠ وفتحُ الناس راءها لحن لأن ماضيه صرف من باب [3] ضرب ٠

ومنها (الصلوحية [4]) بتشديد الياء اخترعها أصحابنا واستعملوها ولكنها من الألفاظ المهملة كالرِّقِّيَّة المذكورة ٠ والمصدر هو الصلوح والصلاح ٠

﴿ فصل الظاء ﴾

ومنها (في فصل الظاء) (المظلِمة) هي بكسر اللام على وزن المحمدة مصدر ظلم قال في الصحاح ظلمه يظلمه (بالكسر) ظلماً ومظلِمة بكسر اللام اه والناس يفتحون لامها فيقولون مثلاً (ضربُ اليتيم مظلَمة) بفتح اللام اي ظُلم وهو خطأ : اذ هي بفتح اللام ماتطلبه من الظالم وهو اسم لما أخذه منك كالظلامة ٠ على ان صاحب القاموس لم يذكر فيها [5] الا الكسر ٠ ومما يجب ان ينبه عليه أن المصدر الحقيقي لظلم هو الظَلم بفتح الظاء ذكره في القاموس ٠ ويفهم منه ان الظُلم بالضم هو في الاصل اسم منه وان شاع استعماله موضع المصدر ٠

ومنهـا (الظلام) هو كسحاب اول الليل او ذهاب [6] النور ٠ فضم الظاء على ما يسمع من البعض من ظلمة الجهل ٠ (البقية للآتي)

---

(١) كأنهم يقولون نقيب الاشرف ٠ (٢) وفي نسخة ولوأنهم ٠٠٠ لاستراحوا ٠٠٠

(٣) فيكون مصدره الميمي مفعِل بكسر العين كما هو القياس ٠ (٤) اي بالواو بعد اللام اما بالالف بعد اللام اي الصلاحية بدون تشديد فمصدر ايضاً وان لم يذكره المؤلف وفي نسخة (ومنها الصلاحيّة) اي بالف بعد اللام وتشديد الياء ٠ ولعل هذه النسخة أصح ٠

(٥) وفي نسخة (لم يذكر فيها ايضاً الا الكسر) ٠ (٦) وفي نسخة (وذهاب النور) بالواو لا بأو ٠

آراء وافكار

« تاريخ بن أعثم الكوفي »

ذكر لنا ياقوت الحموي في معجم أدبائه [١] ان لابي محمد احمد بن اعثم الكوفي الشيعي كتاباً في الفتوح ذكر فيه الى ايام الرشيد وآخر في التاريخ الى آخر ايام المقتدر ابتدأة بأيام المأمون ويوشك ان يكون ذيلاً على الاول قال : ورأيت الكتابين ووصف ابن اعثم بكونه اخبارياً مؤرخاً ·

ولم تصل الينا تواليف ابن اعثم التي تنحصر في هذين التاريخين وكتاب آخر اسمه المألوف ·

الا انا اطلعنا اخيراً على ترجمة فارسية لكتاب الفتوح المذكور مطبوعة على الحجر في مدينة بومباي بالهند سنة ١٣٠٠ هـ ١٨٨٢ م ·

وقد جاء في اول الكتاب « ألفه احمد بن محمد بن علي المعروف بأعثم الكوفي » وفي مقدمته : « ترجمه محمد بن احمد المستوفي الهروي » ويكتب المترجم هذه العبارة :

« كتاب الفتوح ألفه احمد بن اعثم الكوفي سنة ٢٠٤ هجرية وفي سنة ٥٩٦ هـ أستخدم المترجم في مدرسة معمورة تاباد وبعد ايام معدودة امره بترجمة الكتاب المذكور عن الاصل العربي الى الفارسية الصدر الاجل الكريم العادل المؤيد المظفر المنصور مؤيد الملك قوام الدولة والدين تاج الاسلام والمسلمين احياء (؟) الملوك والسلاطين ضياء الملة بهاء الامة اكفى الكفاة بالشرق والصين صاحب السيف والقلم صدر صدور المجد والكرم حاتم الزمان افتخار اكابر خوارزم وخراسان ضاعف الله قدره واعز نصره » ·

وقد استفدنا من هذه المقدمة تاريخ تأليف الكتاب وانه كان في سنة ٢٠٤ هـ ٨١٩ م وان كنا أضعنا اسم الصدر الأجل الذي امر بترجمته في سنة ٥٩٦ هـ ١١٩٩ م بين تلك النعوت والألقاب الطويلة العريضة الا ان يكون مؤيد الملك بالقياس الى مصطلحات الايرانيين اليوم في تسميه وزرائهم ·

---

(١) ارشاد الأريب الى معرفة الأديب ج ١ ص ٣٧٩ ·

اما تاباباد التي أصلها في الفارسية تايب آباد فقد ذكرها ياقوت في معجم بلدانه [1] باسم تايَاباذ بالذال المعجمة وهي من قرى بوشنج من اعمال هراة وقد كانت من القرى الكبيرة الآهلة .

فلعلّ في خزائن كتب العراق وفارس نسخة من اصل هذا الكتاب الممتع لنضيفها الى تراث العرب الخالد ومعينهم الذي لا ينضب . حيفا : عبد الله مخلص

العرب والعربية في العالم الجديد

لا يقلّ عدد الشاميين في بلاد الارجنتين التي تسمونها الجمهورية الفضية عن ١٤٠ الفاً وكذلك في البراز يل وربما زاد عددهم في الولايات المتحدة على مجموع ذلك . وفي جمهوريات الشيلي والبيرو والمكسيك والاوراغواي وغيرها يقدرون من ٥ الى ١٠ آلاف سوري . ويصح لنا ان نقول ان في اميركا وحدها من ابناء العرب ٦٠٠ الف مهاجر على أقل تعديل . والسوري عامل عظيم الآن في كل شيء فهو تاجر زارع صاحب معامل مساهم في الشركات طبيب محام أديب كاتب سياسي قاض، يرجح وجوده في الانتخابات النيابية ، ويميل كفة الميزان مع من يريده في كل شيء . وترى الشامي في اميركا الجنوبية التي يسمونها اميركا اللاتينية مكرماً معززاً صاحب كلمة لا يستهان بها ، تكتب الجرائد المحلية عنه الفصول الطويلة ، تذكر تاريخه وتاريخ بلاده باعجاب وحب ، لان شعوبها قريبة الشبه بالسوري او العربي .

نعم تتشابه الشعوب الاميركية في أخلاقها وعاداتها ومجتمعاتها بالسوري لذلك تميل اليه اكثر من الانكليزي والالماني والروسي والسلافي . في سهول اميركا الجنوبية يتشابه الفاوتشو الاميركي بالبدوي العربي والقبائل البدوية في بلاد العرب تشبه قبائل الهنود في جنوب الارجنتين كل الشبه . تحققت ذلك بنفسي وبعض ألفاظهم عربية لم تأت من طريق اسبانيا بل من طريق وصلته العرب قبل كولومب بمئات السنين على ما يرجح المرجحون . ويبحث اليوم بعض العلماء في هذه

(١) معجم البلدان طبع ليبسك ج ١ ص ٨١٦ طبع مصر ج ٢ ص ٣٥٩ .

المباحث ذاهبين الى ان العرب افتتحوا اميركا قبل الاوربيين وستكثر هذه الابحاث بعد مدة فترددها صحف العالم أجمع ·

لا يتميز الشاب السوري وهو في سهول هذه البلاد عن الهنود والمارتشو· يختلط بهم ويتمازج خلافاً للشعوب الاوربية حتى اللاتينية · لهذا أرى ان مستقبل السوريين في اميركا عظيم جداً من حيث المالية والاجتماع والاخلاق والعلم والدين والسياسة · ولا يخفى ان في اميركا الآن ثلاث او اربع ابرشيات انطاكية مرتبطة دينياً بالكرسي الانطاكي الارثوذكسي رأساً وهناك جمعيات وأحزاب ورسالات رهبنات لبنانية تعلم اللغة العربية وأندية أدبية واجتماعية · وأعرف اكثر من ثلاثين شخصاً من اكبر أدباء هذه الديار ومنهم أعضاء في مجلس الشيوخ ومجلس النواب وأطباء وكتاب ومؤلفون ومحامون طلبوا مرات تأسيس رابطة قلمية عربية نسميها « نادي المعري » او « نادي الخيام » او غير ذلك لنشر آداب اللغة العربية · ألم تعلموا ان في جامعة كردبا (قرطبة) استاذاً يدرس العلوم العربية · واني لأعتقد ان الارتباط بمجمعكم العلمي العربي من أقدس الواجبات الوطنية ومن أعظم دعائم النهضة العربية حتى اذا تكلمتم أنتم في دمشق يسمع الصدى في نيو يورك وسان باولو وبونس ايرس ، وترتبط قلوب قادة النهضة الاخلاقية في وادي العاصي ووادي النيل ووادي الفرات بوادي الميسيسبي ووادي الامازون ووادي البلاتا · ثلاثة في الشرق أسسوا مدنية العالم وثلاثة في الغرب اليوم ينظر اليهم العالم أجمع : الانكلوسكسون والاميركان والاميركان اللاتين
(انتهى من رسالة للمجمع العلمي من صاحب الامضاء) ·

بونس ايرس (الارجنتين) : فؤاد حداد

الجزء ٤ — المجلد ٦

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) نيسان سنة ١٩٢٦ م — الموافق رمضان وشوال سنة ١٣٤٤ هـ

نموذج من معجمنا

« في العامية المصرية »

— ٣ —

خاص

العيش الخاص يريدون به الخبز المتخذ من لباب الدقيق وفي بعض البلاد المصرية يقولون له الكماج وقد ذكرناه في الكاف فان كان هذا النوع من الخبز الافرنجي يقولون له (رفينو) وذكرناه في الفاء . وسموه بالخاص لانه خاص بالعظماء والاغنياء وليس هذا الاستعمال بحديث في العامية ، ففي اخبار الدول للقرماني في كلامه على الملك الناصر محمد بن قايتباي « وفي سنة اربع وتسعمائة استمر السلطان محصوراً وليس له من الامر شيءٌ وفي هذه السنة بيع بدمشق حمل الانجاص العثماني بسبعة دراهم والحمل التفاح الفاطمي مثله والنبطي الحمل بدرهمين والخبز الخاص الكماجة الرطل بدرهمين الا ربعاً » . وعبّر عنه الجوبري في (المختار في كشف الأسرار) عن الطعام والخبز فقال : « وقال يافلانة هاتي ماعندك ولاتتكلفي للضيف بل حسب العادة فأحضرت مائدة عليها اربع زبادي طعام خاص وخبز خاص ونقل » .

والعرب تقول (الحُوَّارَى) بالضم وتشديد الواو وفتح الراء للدقيق الابيض وهو لباب الدقيق وأجوده وأخلصه ويقال له المحوّر . وفي النهاية لابن الاثير ان الخبز الحوّارى وهو الذي نخل مرة بعد مرة أصله من التحوير اي التبييض . وفي معنى

الجزء ٤ — المجلد ٦

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) نيسان سنة ١٩٢٦ م — الموافق رمضان وشوال سنة ١٣٤٤ هـ — ٤ج

نموذج من معجمنا

« في العامية المصرية »

— ٣ —

خاص

العيش الخاص يريدون به الخبز المتخذ من لباب الدقيق وفي بعض البلاد المصرية يقولون له الكماج وقد ذكرناه في الكاف فان كان هذا النوع من الخبز الافرنجي يقولون له (رفينو) وذكرناه في الفاء . وسموه بالخاص لانه خاص بالعظماء والاغنياء وليس هذا الاستعمال بحديث في العامية ، ففي اخبار الدول للقرماني في كلامه على الملك الناصر محمد بن قايتباي « وفي سنة اربع وتسعمائة استمر السلطان محصوراً وليس له من الامر شيء وفي هذه السنة بيع بدمشق حمل الانجاص العثماني بسبعة دراهم والحمل التفاح الفاطمي مثله والنبطي الحمل بدرهمين والخبز الخاص الكماجة الرطل بدرهمين الا ربعاً » . وعبّر عنه الجوبري في (المختار في كشف الأسرار) عن الطعام والخبز فقال : « وقال يافلانة هاتي ماعندك ولا تتكلفي للضيف بل حسب العادة فأحضرت مائدة عليها اربع زبادي طعام خاص وخبز خاص ونقل » .

والعرب تقول (الحُوَّارَى) بالضم وتشديد الواو وفتح الراء للدقيق الابيض وهو لباب الدقيق وأجوده وأخلصه ويقال له المحوّر . وفي النهاية لابن الاثير ان الخبز الحوّارى وهو الذي نخل مرة بعد مرة أصله من التحوير اي التبييض . وفي معنى

شيئاً » • وفي درر الفوائد المنظمة للجزيري « ولقد حكى لي ان مراتبه في منازله في كل يوم الدقيق الحوّاري لعمل الخبز القرصة خمس عشرة من البُطط [1] » •

(تتمة) من كنى الخبز الحوّاري عند المولّدين ابونعيم ذكره المحبي في ما يعوّل عليه وذكره الحريري في المقامة التاسعة عشرة فقال : « فاستدع يا جامع فانه بشرى كل جائع وأردفه بابي نُعَيم الصابر على كل ضيم » وجاء في الحواشي التي بالنسخة البولاقية تفسير ابي جامع بالخوان وابي نعيم بالخبز الحوّارى المصنوع من خالص الدقيق • وفي شرح الشريشي : « كنى الحوّارى وهو الدرمك ابانعيم لان خبزه أنعم الاخباز وأصفاها » • وذكر ابن الجوزي في كتاب التطفيل ان هذه الكنية من وضع بنان الطفيلي وأورد له عدة كنى وضعها للطعام وآلته منها ابو نعيم للخبز الحوّارى وابو جابر للخشكار وابو اليسر وابو الملك للسميد •

دَفَّة

الدفة بفتح الدال وتشديد الفاء يريدون بها خشبة تكون بمؤخر السفينة يعدّل بها سيرها وقد تكون من حديد كالتي في البواخر الكبيرة • والظاهر انها من الدفة بمعنى جنب الشيء وصفحته ومنه دفّتا السرج للوحين اللذين بجانبيه • واستعملها ابن بطوطة بمعنى مصراع الباب او ما يشبهه فقال في وصفه للمسجد النبوي « وفي وسط المسجد الكريم دفّة مطبقة على وجه الارض مقفلة على سرداب له درج يفضي الى دار ابي بكر رضي الله عنه » ولعلها استعملت في بعض العصور عند المولّدين لمصراع الباب ثم سميت بها خشبة السفينة على التشبيه والعامة تستعملها الآن للمصراع ولكن بتخفيف الفاء وزيادة راء فتقول فيها (دَرْفة) •

ويرادف الدفّة من الفصيح السُّكّان والخيزرانة والكوثل والخَيْسَفُوجة •

---

(١) البطط بضم ففتح جمع بطّة عندهم والقياس بطاط بالكسر وهي اناء معروف وظرف للبزر والزيت يقال له ايضاً الدبة بفتح الاول وتشديد الموحدة والمراد به هنا مكيال للدقيق •

اما السكان بضم اوله وتشديد الكاف فقد عرّفه اللغويون بانه ذنب السفينة الذي به تعدّل قال طرفة :

وأتلع نهّاض اذا صعّدت به كسكّان بوصيّ بدجلة مُصْعِد

وفي أحسن التقاسيم في اختلاف لغات البلاد ان السكان يقال له في بعضها الرجل وهو الذي رأينا ابن منكلي يعبر به في كتابه الاحكام الملوكية في فن القتال بالبحر كقوله في موضع منه « واذا أنس العدوّ انكم قد اقتربتم عليهم وقت الرماية فارموا حينئذٍ كلكم جملة واحدة اما على القذّافين وهو الأولى او على ماسك الرجل او على مقدّم رماتهم » يريد ممسك السكان . وقال ابن جبير في رحلته : « وفي اثناء هذه المحاولة جنح (١) المركب بكلكله على البرّ والتقاه بسكّانيه وهما رجلاه اللتان يصرّف بها وقامت الصيحة الهائلة في المركب » الخ الى ان قال : « وتعاورت الريح والأمواج صفع المركب حتى تكسرت رجله الواحدة » (٢) .

وفسروا الخيزرانة والخيزران بسكان السفينة وهو الكوثل وأنشدوا قول النابغة يصف الفرات وقت مدّه .

يظلُّ من خوفه الملاّح معتصماً بالخيزرانة بعد الأين والنَّجَد

وقيل الخيزران لجام السفينة الذي به يقوّم السكان ولعل المراد يد السكان والذي عليه سائر النصوص انه السكان نفسه . وممن استعمله من المولّدين ابو نواس في قوله يصف سفينة :

وكأنها والماء ينطح صدرها والخيزرانة في يد الملاّح

جون من الغربان يبتدر الدجى يهوي بصوت واصطفاق جناح

وفسروا الكوثل بفتح فسكون بانه مؤخر السفينة وفيه يكون الملاّحون ومتاعهم وقيل الكوثل السكان وهو الخيزرانة وأنشدوا عليه : « من الخوف كوثلها يلتزم » وفسروا الخيسفوجة بسكان السفينة .

---

(١) في نسخة سنح . (٢) جاء في تفسير ألفاظ هذه الرحلة الملحق بالطبعة الليدنية ان هذه السفينة كانت من السفن ذوات السكّانين في الجانبين لكل جانب منهما سكّان منوط به .

رُومِس

الرومس بضم الراء و كسر الميم وبعضهم يسميه بالراموس جرار من المسماة عندهم بالبلاليص تكبُّ على أفواهها ويضم بعضها الى بعض بحبال تشد في عراها ثم تلقى في النيل فتعوم و يسافر عليها . يفعلون ذلك عند نقل هذه البلاليص من مكان صنعها بالصعيد الى الريف (١) فيغنيهم عن نقلها بالسفن والانفاق عليها ويقوم لهم مقام السفن في السفر عليه بقضهم وقضيضهم حتى الحمير والمعز . ولهذا اللفظ اصل في الفصيح حرّف عنه وهو الرَّمَث بالتحريك و يراد به خشبات يضم بعضها الى بعض وتركب في البحر سمي بذلك من رمثت الشيء اذا لممته وأصلحته فهو فَعَل بمعنى مفعول و يجمع على أرماث وله ذكر في الحديث الشريف وأشعار العرب ومنه قول ابي صخر الهذلي :

تمنيت من حبي عُليّة أننا على رمث في الشرم ليس لنا وَفْر (٢)

ولما كانت هذه الجرار المضمومة تقوم مقام الخشبات في عمل هذا المركب سمتها العامة بما تسمى به الخشبات عند العرب فأحسنت في التسمية ولكنها أساءت في تحريف اللفظ .

والعرب تسمي الرمث بالطَّوْف ايضاً بفتح فسكون قال في اللسان : « الطوف قِرَب ينفخ فيها و يشد بعضها ببعض فتجعل كهيئة سطح فوق الماء يحمل عليها الميرة والناس و يعبر عليها و يركب عليها في الماء و يحمل عليها وهو الرمث قال وربما كان من خشب . والطوف خشب يشد و يركب عليه في البحر والجمع أطواف وصاحبه طوّاف قال ابو منصور الطوف التي يعبر عليها في الانهار الكبار تسوى من القصب والعيدان يشد بعضها فوق بعض ثم تقمّط بالقُمُط حتى يؤمن انحلالها ثم تركب و يعبر عليها وربما حمل عليها الجمل على قدر قوّته وثخانته وتسمى العامة بتخفيف الميم » انتهى . وزاد في المصباح في تعريف الطوف « و يجعل عليها خشب » بعد قوله قرب ينفخ فيها و يشد بعضها الى بعض .

---

(١) كانوا قديماً يخصون الوجه البحري بمصر باسم الريف كاختصاص الوجه القبلي باسم الصعيد فجاريناهم في ذلك وفصلنا الكلام عليه في موضعه من المعجم . (٢) الشرم موضع في البحر والبيت في اللسان بهذه الرواية ورواه علم الدين السخاوي في سفر السعادة (من حبي بثينة) ونسبه لجميل والذي في اللسان مرجح لذكره ابيات ابي صخر التي منها هذا البيت .

ومن أسماء الطوف عند العرب العامة بتخفيف الميم قال في اللسان « العامة المِعْبر الصغير [1] يكون في الانهار وجمعه عامات قال ابن سيده والعامة هنة تتخذ من أغصان الشجر ونحوه يعبر عليها النهر وهي تموج فوق الماء والجمع عام وعوم · الجوهري العامة الطوف الذي يركب في الماء » · قلنا يفهم من هذا التعريف ان العامة الطوف الصغير الذي يعبر عليه فيحسن تخصيصها لما كان صغيراً من هذا النوع · وذكر صاحب القاموس ايضاً العامة وفسرها بقوله : « عيدان مشدودة تركب في البحر و يعبر عليها في النهر كالعامّة او الصواب العامة مخففة » وقال شارحه ان المخفّفة هي الصحيحة ·

(تتمة) استعمل الشنان في بعض العصور لخشب يشد بعضه ببعض و يعبر عليه النهر وهو فارسي معرّب وعربيه الارماث كما في شفاء الغليل وقصد السبيل · قلنا هو بكسر اوله ولا ندري ان كانت النون التي بآخره من تحريف الناسخ ام من تعريب المعرّب وهو من شِنا في الفارسية بمعنى العوم و يقال فيه عندهم شناب وشنار وشناو بالباء والراء والواو في آخره ويقال للسابح شناور وشناور بفتح الباء والواو وقد يختصر فيقال شنار وشناو والمقصود كل جرم يطفو على الماء ولا يغوص · وقد توقف فيه مؤلف كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة فنقل عبارة شفاء الغليل ثم قال انه لم يجده في المعاجم الفارسية ولعله من السريانية ·

زَلُّومة

الزلّومة بفتح الزاي وضم اللام المشدّدة يريدون بها خرطوم الفيل وهم في الغالب اذا ذكروه كنّوه بها للتأكيد فقالوا الفيل ابو زلّومة - وقال الزبيدي في المستدرك على زلم من شرح القاموس : « الزلومة اللحمة المتدلية العامية » ولم يخصها بالتي للفيل والعامة بمصر الآن تخصها بها بل وقبل الآن ايضاً كما سيأتي فلعلها كانت معروفة بهذا الاطلاق في عامية بلده زبيد فتكون محرفة عن الزلمة بالتحريك وهي احدى الهنتين المتدليتين في حلوق بعض العنز وتسميها عامة مصر بالبلحتين لانها تشبهان تمرتين معلقتين ثم أطلقها بعضهم على التي للفيل غير مراعٍ التفاوت في الحجم ·

(١) المعبر بكسر فسكون ما يعبر به النهر وهو المسمى عند العامة بالمعدّية ·

والأظهر في زلومة الفيل ان تكون محرفة عن الزلقوم بضم فسكون وهو خرطوم الفيل على ما في كتب اللغة فأبدلت العامة القاف لاماً ثم أدغمت وفتحت اوله وألحقت التاء بآخره . و يقال للزلقوم ايضاً الخرطوم بضم فسكون قال في اللسان : « الخرطوم للفيل وهو انفه ويقوم له مقام يده ومقام عنقه قال والخروق التي فيه لا تنفذ وانما هو وعاء اذ ملأه الفيل من طعام او ماء اولجه في فيه لانه قصير العنق لاينال ماء ولامرعى » انتهى . ويقال لزلقوم الفيل ايضاً القُرطوسة بضم الاول و لقرطيسة بالكسر والملمة بضم الاول وفتح اللامين . وانشد ابو الفرج في الأغاني لعلي بن الجهم من ارجوزة يصف فيها فتحاً وقع مدة المتوكل ويذكر القتال :

ومنجنيق مثل حلق الفيل ترفض من خرطومه الطويل
صواعق من حجر الجبيل تترك كيد القوم في تضليل

سموا فم المنجنيق لطوله بذلك على التشبيه بخرطوم الفيل كما فعلت العامة الآن فاستعملت الخرطوم لشبه انبوب طويل من المطاط او النسيج الجافي تسق به البساتين وهو استعمال لا بأس به على التشبيه الا انها تفتح اوله والصواب ضمه .

وليست الزلومة بمحدثة الاستعمال في العامية فقد ذكرها ابن طولون الصالحي في رسالة له في الفيل وهو من القرن العاشر فقال : « واهل الهند تعظم الفيل لما اشتمل عليه من الخصال المحمودة ومن علو سمكه وعظم صورته وبديع منظره وطول خرطومه ولذلك يقال له ابو زلومة » . بل قد استعملها قبل ذلك في القرن الثامن محمد بن منكلي نقيب الجيش بمصر مدة الأشرف شعبان فقال في باب صيد الفيل من كتابه « انس الملا بوحش الفلا » « وانه اذا مدَّ زلومته امكنه ضربه فاذا قطع من طرفها شيئاً فقلَّ ان يعيش لورمها من الجراحة » .

القاهرة : احمد تيمور

تصحيح نهاية الارب

« تتمة أغلاط الجزء الثالث »

وفي صفحة ٢٠١ سطر١٢ — قوله (لعمري لئن بُيّعت في دار غربة بناتي الخ) صوابه بيّعتْ ببناء الفعل للمعلوم · ومعنى بيّع باع الثلاثي وقد وردت في شعر حسان بهذا المعنى

وفي صفحة ٢٠٢ سطر١ — قوله (وفيها فلة وحمول) صوابه وخمول بالمعجمة ·

وفي صفحة ٢٠٥ سطر١٥ — قول اكثم بن صيفي حكيم العرب (ولا تعتقدوا البخل تتعجلوا الفقر) اعتقاد البخل له معنى في الجملة ولكن الاشبه ببلغاء العرب ان يقولوا (ولا تقتعدوا البخل) بتقديم القاف من اقتعد الشيء اتخذه مركباً كالقعود يبلغه حاجاته ويؤيد هذا المعنى قوله بعده (تتعجلوا الفقر) فان المستعجل يتوسل بوسائل التعجيل المختلفة كأن يركب على قعود يعجل به · لا أن يعتقد الشيء في نفسه ·

وفي صفحة ٢٠٥ سطر١٨ — قوله (وكتب رجل من البخلاء الى سخيّ يأمره بالانفاق على نفسه ويخوّفه الفقر) صوابه بالاشفاق على نفسه والرفق بها فلا يكلفها كثرة النفقة خشية الفقر ·

وفي صفحة ٢٠٨ سطر ٧ — قوله (فأوقدوا ناراً في بقاع من الارض ليهتدي الضالّ) صوابه (يَفاع من الارض) وهو المرتفع منها وضده الحضيض ·

وفي صفحة ٢٠٨ سطر١٨ — قوله (يتعاوون عَوْيَ الذئاب) مصدر عوَى العُواء والعيُّ كالطيّ وله مصادر أُخرى وليس (العَوْي) بفك الادغام منها فصوابه عيّ اوعواء ·

وفي صفحة ٢١٠ سطر١٦ — قوله (حين كبُر) اي شاخ لان السياق يقتضي هذا المعنى فصوابه كسر الباء لانه من باب علم لا ضمها من باب حسُن : فانها منه بمعنى عظم شأنه ومقامه ·

وفي صفحة ٢١١ سطر ٢٠ — قول معن (وخففت لحيتي وعارضي) كذا بالمعجمة ولعل صوابه (حففت) بالحاء المهملة من حفّ لحيته أخذ منها وحفّ رأسه وشاربه أحفاهما وبالغ في اخذ الشعر منهما · وهو بالخاء المعجمة له معنى · ولكن الاشبه بكلام العرب ان يكون بالحاء المهملة ·

وفي صفحة ٢١٤ سطر ١ قوله — (أعار الجَوْد نائلُه اذ ما ماؤُه نفدا)

(وان ليثاً شكا جبناً أعار فؤاده الاسدا) (الجَوْد) كما ضبطه المصحح بفتح الجيم وسكون الواو ومعناه المطر . والمطر لامال له فصوابه (اذا ماماؤه ندا) و(نائله) بالنصب مفعول ثانٍ لأعار لا بالرفع . وقوله (وان ليثاً) خطأ صوابه (ليث) بالرفع فاعل لفعل محذوف يفسره مابعده والتقدير (وان شكا ليث شكا الخ) .

وفي صفحة ٢١٧ سطر ١٧ — قوله (وانتَ قِرْم) بكسر القاف صوابه قَرْم بفتحها اي سيد عظيم .

وفي صفحة ٢٢٥ سطر ٨ — قوله (نأواعن المصرح الأدنى الخ) صوابه مافي ديوان ابي تمام (المصرخ) بالخاء المعجمة وضم الميم من أصرخه أغاثه وأعانه . والمعنى انهم لما لم يجدوا مُغيثاً مسعفاً قريباً منهم لجأوا الى سيوفهم فكانت نعم المغيث والعون لهم على أعدائهم .

وفي صفحة ٢٢٥ سطر ١٧ — (تسيل على حد الظباة الخ) كذا بالتاء المربوطة . وصوابه (الظبات) بالتاء المبسوطة لانها علامة جمع المؤنث السالم وظبات جمع (ظبة) حد السيف كعِدات في جمع عدة . وليس هو جمع تكسير كقضاة في جمع قاضي . ومثلها كلمة (ظبات) في الشطر الثاني من البيت وكذلك (ظبات) في صفحة ٢٢٩ سطر ٣ .

وفي صفحة ٢٢٦ سطر ١٤ — قول علي رضي الله عنه يحمّس جماعته في وقعة صفّين (طِيبوا على الحياة أنفسا) صوابه (عن الحياة) يقال (طاب عن الشيء نفساً) اذا تركه غير آسف على فقده .

وفي صفحة ٢٢٦ سطر ١٧ — (والله معكم . ولن نتركم اعمالكم) صوابه (ولن يترِكم اعمالكم) من فعل (وتره يتره ماله أو حقه) اذا نقصه إياه اي انه تعالى لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً .

وفي صفحة ٢٣٠ سطر ٦ — قوله (يُراد فيأتي او يزاد فيذهب) كذا بالزاي من الزيادة وصوابه (يذاد) بالذال من الذود وهو الطرد والدفع وسياق الكلام يقتضي هذا المعنى .

وفي صفحة ٢٣٤ سطر ٩ — قوله (رأيت العقل عقلان) صوابه عقلين مفعول ثان لرأيت

وفي صفحة ٢٣٨ سطر ١٩ — قوله (ما سِنّ فرسك قال عظُم ا بضم الظاء وصوابه سكونها وهو ظاهر .

وفي صفحة ٢٤٠ سطر ٢ — قوله (وسيظهر اليك هؤلاء القوم) صوابه وسيظهر

الله هؤلاء القوم اي انه تعالى سيجعل بني العباس ظاهرين وغالبين على الأمويين فانجُ يا عبد الحميد الكاتب بنفسك . فكلمة (الله) تحرفت الى (اليك) .

وفي صفحة ٢٤١ سطر ٨ — قوله (لامنجأ منه) بالالف فوقها همزة وصوابه لامنجى بالالف المقصورة لان فعله (نجا) واوي فمصدره الميمي واسم المكان منه منجى على وزن (مفعَل) بالالف المقصورة لكنها ترسم ياءً لانها وقعت رابعة كما هي القاعدة .

وفي صفحة ٢٤٢ سطر ١٣ — قوله (نائلة بنت القرافصة) بالقاف ثم فاء وصوابه بالفاء المضمومة ثم فاء أُخرى وهي زوج عثمان رضي الله عنه و(القرافصة) اسم للاسد الشديد الغليظ .

وفي صفحة ٢٤٧ سطر ١٦ — قوله (سالم بن وامضة) صوابه (وابصة) قال في التاج (وابصة بن معبد بن مالك الأسدي ابو سالم) .

وفي صفحة ٢٤٨ سطر ١٨ — قوله (من الطُول) بضم الطاء صوابه بفتحها . والمراد به الفضل والعطاء ولا معنى للطول الذي هو ضد العرض أو القِصر هنا .

وفي صفحة ٢٥٤ سطر ١٥ — قوله (أُشرّفك اليوم بالوعد وأَحبوك غداً بالانجاز) صوابه (أَسُرُّك بالوعد) و (التشريف) ليس مما يقع كثيراً في كلام البلغاء في ذلك العصر على ان وعده لطلاّب معروفه لا يشرّفهم به . وانما يَسُرُّهم به ثم هو ينجز لهم ما وعدهم فيزدادون سروراً .

وفي صفحة ٢٥٥ سطر ١٨ — قوله (وهنأ معروفه بترك الامتنان) قال مصحح الكتاب في تفسيرهنأ (هَنَأَه طلاه بالهناء وهو القطران) نعم هذا من معانيه . ولكن معناه هنا ان يكون المعروف غير مكدَّر بالمنّ فيتمتع به صاحبه هنيئًا مريئًا من دون منغِّص . فهَنَأَه المخفف مثل هنّأه المشدد . ومنه (التهنئة) وهي الدعاء لغيرك ان يكون مهنَّئًا مسروراً بالنعمة الطارئة عليه .

وفي صفحة ٢٥٧ سطر ٨ — قوله (يتخطى العداة عمداً الى البذل الخ) العداة بالتاء المربوطة خطأ صوابه (العِدات) بالتاء المبسوطة جمع عدة : لانه جمع مؤنث سالم كما مر في (ظبات) لا جمع تكسير كقضاة .

وفي صفحة ٢٥٩ سطر ١٠ — قوله (واجتنى الشرف من شجرة النذلة) صوابه النذالة بالالف فهي مصدر نذل ضد شرف .

وفي صفحة ٢٦٠ سطر ٦ — قوله (فان رأيتَ ان تعذبني فقد استعديتُ اليك) لا معنى للتعذيب هنا وصوابه (تُعْدِيَني) بالدال المهملة من باب (أَعْداه) اي أزال العدوان عنه ونصره واغاثه يدل عليه قوله بعده (استعديتُ) فان معناه استغثت واستنصرت ·

وفي صفحة ٢٦١ سطر ١ — وقّع جعفر البرمكي (في رقعةٍ معتذراً) صوابه (رقعة معتذرٍ) بالاضافة فان جعفراً لم يعتذر فيما كتبه في الرقعة وانما رجل آخر اعتذر اليه وكتب اعتذاره في رقعةٍ فكتب جعفر في ذيلها توقيعاً ·

وفي صفحة ٢٦١ سطر ١٧ — قوله (فزادهم لحاقُ النابغة بآل غسان حشمة) الحَشمة هنا بمعنى الغضب · والصواب (فزاده) مكان (فزادهم) وضميره للنعمان اي انه ازداد غضباً على النابغة من لحاقه باعدائه الغساسنة ·

وفي صفحة ٢٦٢ سطر ٩ — قول النابغة للنعمان (اكلفتني ذنب امرئ الخ) صوابه (وكلفتني) وهكذا ورد هذا البيت في صفحة ١٢٣ سطر ٦ ·

وفي صفحة ٢٦٢ — قوله في وصف خلع الجباب : (مطرّقا بالجوهر) بالراء وصوابه (مطوّقة) بالواو اي لها أطواق · كما مر في صفحة ١٧٧ سطر ١٧ ·

وفي صفحة ٢٦٣ سطر ٦ — قول البحتري (وأوليتني بعد شرٍّ قطوبا) لا معنى للشر هنا على ان القطوب ضرب من ضروب الشر فصوابه (بعد سُرّ) بضم السين مصدر سَرّه سُرًّا وسروراً ومسرّة اذا أفرحه ·

وفي صفحة ٢٦٨ سطر ٧ — قوله (وأعراضهم أعراض الذمّ) صوابه (أغراض الذم) بالغين المعجمة اي ان أعراضهم أصبحت أغراضاً وهدفاً لنبال الذم والهجو ·

وفي صفحة ٢٧٠ سطر ٢ — قوله (ولا أسجى فؤاده الخ) صوابه (أشجى) بالمعجمة اي لم يحزنه موت أحد ·

وفي صفحة ٢٧٥ سطر ٤ — قوله (وليثٌ حديدُ الناب عند الشدائد) صوابه (الثرائد جمع ثريد بل ثريدة · يصفه بالجبن الا عند الطعام فانه يكون شجاعاً ذا ناب حديدي ·

وفي صفحة ٢٧٨ سطر ٥ — قوله (وعصبةٍ لما توسطهم) صوابه (لما توسطتهم) بتاء المتكلم اي جلست وسطهم وبذلك يستقيم الوزن ·

وفي صفحة ٢٨١ سطر ٨ — قوله : (ياسوء عاقبة النفقـد عند تشبيه الامور)

صوابه (تسييب الامور) اي ان الامور اذا كانت مسيبة ثم جرى عليها البحث والتنقيب حتى عُلِم امر تسيبها وأُنزل العقاب الشديد بالمسيِّب : هذه العاقبة السيئة هي في القبح والشؤم مثل ذلك الرجل الذي يهجوه (ابن الحجاج) .

وفي صفحة ٢٨١ سطر ١٥ — قوله (غلظوا عليها بالذرور) صوابه (غلطوا) بالطاء المهملة يعني انهم لم يذرّوا على العين الذرور الذي وصفه الطبيب فتقرّح جفنها قرحة شنيعة تشبه ذلك الرجل الذي يهجوه ابن الحجاج .

وفي صفحة ٢٨٢ سطر ١١ — قوله (ياعيشةالكنّاس من شمّ الذرائر والعبير) صوابه (ياغمّةالكناس) اي انه يصاب بالغم والكرب من شمّ الطيب وهكذا هي (غمّة) في حكاية (ابي القاسم البغدادي) تأليف (ابي المطهر الازدي) المطبوع في اوربا .

وفي صفحة ٢٨٥ سطر ١٨ — قول المتنبيء (سوى وجع الحُسّاد داءٍ فانه الخ) صواب (داءٍ) (داوِ) فعل أمر من المداواة و (سوى) مفعوله مقدم عليه والمعنى داو كل علة سوى علة الحسد فانها لا دواء لها .

وفي صفحة ٢٨٧ سطر ١١ — قوله (سالف الأحوال) صوابه (الأجيال) .

وفي صفحة ٢٩١ سطر ٨ — قول قتيبة لمن يغتاب آخر (أمسك عليه أيها الرجل) صوابه (أَمسك عنه) اي اسكت عنه وكف عنه . ويعدّى أَمسك بعلى في مثل قولك (أَمسِكْ على فلان دابته) اي احبسها عليه حتى يأخذها .

وفي صفحة ٢٩٤ سطر ٥ — قوله (ينُمّ) : بضم النون من الباب الأول صوابه بكسرها من الباب الثاني .

وفي ص ٣٠٢ سطر ٣ — قوله (وكان أُحيحة اذا هبّت الصبا طلع أُطمة) صوابه أُطُمه او أُطُمَته بهاء الضمير اي حصنه المشهور الذي كان يأوي اليه في الشدائد .

وفي ص ٣٠٢ سطر ٥ — قوله (خمس ثمرات) بالثاء المثلثة صوابه (تمرات) بالتاء المثناة لأن الحديث في عجوة التمر .

وفي ص ٣٠٩ سطر ١ — قوله (وهو أَبلغ ما قاله مُحْدِث) كذا بكسر الدال وصوابه (مُحدَث) بفتحها . ويريدون به كل شاعر أتى بعد طبقة المتقدمين . وقد تكررت هذه الكلمة في الكتاب بكسر الدال خطأ وصوابها الفتح .

وفي ص ٣١٠ سطر ٧ — يصف رغيفاً لبخيل كان يحرص عليه كل الحرص :

(هو سيف سفرتين من أدم الطا ئف في سلتين من زنبيل)

صوابه (في زنبيل) اي ان الرغيف مخبوء في أوعية بعضها ضمن بعض ولا معنى لكون السلتين من جنس الزنبيل بل ربما كانتا من جنس غير جنسه في الشكل والقدر ونوع العيدان .

وفي ص ٣١٢ فسر المصحح (الإشفى) في ذيل الصفحة (بالإسكاف) وكأن كلمة (مخرز) او (مثقب) سقطت من بين أصابع المنضد فصوابه مخرز الاسكاف او مثقب الإسكاف .

وفي ص ٣٢٦ سطر ١٠ — قوله (إن تبرعني الى دار الأمير لأخزيته) بتاء المتكلم وصوابه (لأخزينه) بنون التوكيد الثقيلة .

وفي ص ٣٣٠ سطر ٧ — قوله (فشممت من قتر أباز ير قدور) صوابه (منه قتار الخ) وضمير (منه) راجع للموضع المتحدث عنه .

وفي ص ٣٣١ سطر ٣ — قوله (فاستبنيت حذقها) صوابه (فاستبنت) .

وفي ص ٣٣١ سطر ٥ — قوله (وفيه مكان الوم من نظري أثر) بفتح الهمزة وصوابه ضمها . وهو الأثر يبقى بعد اندمال الجرح .

وفي ص ٣٣٤ سطر ٤ — قوله (الجامع بين فضيلتي الطعان والطعام) سواء أريد (بالطعام) الأكل اومايؤكل لا يناسب ان يجعل من فضائل لنبي (صلى الله عليه وسلم) فصوابه (الإطعام) لاسيما ان السجعة التي قبله (الإقدام) واتي بعده (الإكرام) .

وفي ص ٣٣٦ سطر ٣ — وقوله (وذرفنت الابواب) صوابه (زرفنت) بالزاي لا بالذال من الزرفين وهو حلقة الباب .

وفي ص ٣٣٦ سطر ١٦ — قوله (ولا ترفع لمستجلّ وجهاً وجيهاً) كذا بتشديد اللام من (مستجلّ) من الاستجلال ولا معنى له هنا . وصوابه تخفيفها اسم فاعل من استجلى الشيء استكشفه وتبين حقيقته . والسياق يقتضيه .

وفي ص ٣٣٧ سطر ٣ — قوله (ومعاهد محالّ الوعاظ) صوابه و (تعاهد) فعل امر معطوف على فعل (تفقد) الذي قبله ومعناهما واحد .

وفي ص٣٣٧ سطر ٥ — قوله (وتارةً في سوق الثَّوْم) بفتح ثاء الثوم وصوابه ضمها وهو النبات المعروف . اللهم الا ان يكون أراد مزاوجتها بكلمة (يَوْم) الواردة في السجعة السابقة . ولكن هل له ان يفعل ذلك ؟ .

وفي ص٣٣٧ سطر ٧ — قوله (وأتقن الفنون من غنى ونجامة) صوابه (من غناء) بالمد لانه يعدُّد الفنون اللازمة للطفيلي ومنها (الغناء) اي التطريب . اما (الغنى) بالقصر فهو ضد الفقر وليس هو من الفنون التي يصحّ قرنها بالنجامة التي هي صناعة التنجيم ومعرفة الطوالع بل من اين للطفيلي أن يكون غنيًّا ؟

وفي ص ٣٤٣ سطر ١١ — قوله (كان يأكل في اليوم خمس أكلات آخرها جنبة بغل) بالغين وصوابه (جنبة بقل) بالقاف و (الجنْبة كل ماينفطّر من البقل في آخر ايام الصيف ويؤكل بعض أنواعه رطبًا غريضًا كما يؤكل الخس .

وفي ص ٣٤٧ سطر ١٠ — قوله (والجبان يفرّ من عُرسه) بضم العين وصوابه كسرها وعِرس الرجل حليلته .

وفي ص ٣٤٧ سطر ١٧ — قال علماء الفراسة (من كانت فزعته في رأسه فذاك الجبان) قوله فزعته بالفاء وصوابه (قَزَعتُه) بالقاف كالقُنزعة وهي خصلة من الشعر تترك في رأس الصبيّ . فاذا كبر وصار رجلاً وبقيت قزعته في رأسه لا جرم ان يستدل بها أهل الفراسة على جبنه وحماقته . وهذا ما عناه امرء القيس في أبيات له يصف الاحمق فقال في أولها :

(يا هند لا تنكحي بُوهةً عليه عقيقته أحْسَبَا)

فالبوهة الأحمق والعقيقة هي الشعر الذي يولد مع الطفل والأحسب هو الرجل الذي في شعره شقرة . فامرءالقيس يوصي هنداً بان لا تنكح أحمق كبر وشبّ وصار رجلاً وما زال شعره الذي ولد معه قائمًا على رأسه فان بقاء شعره على هذه الصورة يدل على انه لم يحلق شعره منذ ولد وهذه آية على حماقته وبلاهته .

وفي ص٣٥٢ سطر٣ — قوله (ضمَّالهم بعقاب يوم سرمد) السرمد الدائم ولا معنى له هنا وانما صوابه وروايته (بعقاب يوم مُرصَد) اي مهيء ومعدّ للانتقام وأخذ الثأر .

وفي ص ٣٥٢ سطر ١٨ — قوله (وتركتُهم نقض الرماح ظهورهم) صوابه (نقص) بتاء وقاف وصاد · اي تكسر الرماح وتدقّ ظهورهم مشتق من الوقص ·

وفي ص ٣٥٢ سطر ١٩ — قوله (وقُتلتُ دون رجالهم) صوابه دون رجالها اي رجال النساء فالضمير راجع اليهن لا الى الفوارس : اذ المعنى : ما فائدتي من دعاء النساء لي وثنائهن عليّ بعد ان اكون قد قُتلتُ دون رجالهن ·

وفي صفحه ٣٥٥ سطر ٩ — قوله (لأنا للعاقل المدبر أرجى شيء من الاحمق المقبل) صواب العبارة (لأنا للعاقل المدبر أرجى مني للاحمق المقبل) والمعنى انني أُرجّي الصديق العاقل الذي أدبر عني وأعرض اكثر مما أُرجّي الصديق الاحمق الذي يقبل عليّ ويهش اليّ ·

وفي صفحة ٣٥٨ سطر ١٨ — قوله (الجاهل ينال أغراضه · ويظفر بآرائه) لا معنى للظفر بالآراء فصوابه (بآرابه) جمع إِرب اي بحاجاته · وهو المناسب لقوله قبله (أغراضه) ·

وفي صفحة ٣٦٤ سطر ٩ — قوله (الغالب بالغدر مغلول) المغلول الذي يوضع في عنقه الغل · وليس المعنى عليه الا بتعسف فصوابه (مغلوب) والمعنى ان الرجل الذي يغلب خصمه بسبب غدره له لا يكون غالبًا وانما يكون مغلوباً مذ رضي لنفسه الغدر ·

وفي صفحة ٣٦٨ سطر ٤ — قوله (أذادكم عنه بضرب الخ) الذود بمعنى الطرد والدفع وفعله ثلاثي · ولم يسمع (أذاد) رباعيـًا فصوابه (لذادكمُ) واللام واقعة في جواب (لو) في البيت قبله · والمعنى : انكم غدرتم بمن لو كان في يده سلاح لذادكم ودفعكم عنه بضربٍ صائب كسهام المنايا ·

وفي صفحة ٣٦٨ سطر ١٣ — قوله (لما اطمأنوا وشاموا في سيوفهم ثرتم اليهم الخ) صوابه (لما اطمأنوا وقد شاموا سيوفهمُ) اي لما اطمأنوا الى وعدكم وقد شاموا اي أغمدوا سيوفهم غدرتم به · ولا معنى لقوله (شاموا في سيوفهم) ·

وفي صفحة ٣٧١ سطر ٥ — قوله (ازدشير بن بابك) هو احد ملوك فارس وصواب اسمه (أردشير) اي براء مهملة بعد الهمزة وتصحيفه بالزاي خطأ فشا بين كتبة العرب منذ أزمان

وفي صفحة ٣٧١ سطر ١٧ — قوله (فأرخى الفتى ردنيه وكفَّ مما كان يفعله) صوابه (فأرخى الفتى أُذنيه) اي ان ذلك الفتى الصلف المتكبر طأطأ رأسه واستخذى بعد ان سمع هذا التبكيت من مالك بن دينار . ويقال (جاء فلان ناشراً أُذنيه) اذا كان طامعاً . اما إرخاء الردين وهو تصغير الردن فلم تسمع الكناية به عن الاستكانة والخضوع . بل ان إرخاء الرُدن يدل على الخيلاء والعجب وهو لا يناسب السياق .

وفي صفحة ٣٧٧ سطر ١٠ — قوله (والقوت ان قنعت بالقوت يجزيها) صوابه (والنفس) وهو ظاهر .

وفي صفحة ٣٧٧ سطر ١٥ — قوله (وبعض رجاء المرء ماليس نائلاً — عناءً الخ) بنصب (عناءً) خطأ وصوابه الرفع خبر المبتدأ .

المغربي

كتاب الاوراق للصولي

— ٣ —

وقال يوماً يوسف بن القاسم ليحيى بن خالد في شيء كان بينه وبين جعفر بن محمد ابن الاشعث الخزاعي : أعز الله الوزير ان الأريب يتجرع الغصة ، حتى ينال الفرصة ، ويقر للصغار ، حتى يملك الانتصار ٠ ووقّع الى عامل : ان كنت منصفاً من نفسك ، فلم تظلم لغيرك ، وان ظلمت لغيرك ، فكيف تنصف من نفسك ٠ لما ولى الرشيد علي بن عيسى بن ماهان خراسان سأل الرشيدَ اشياء ثقلت عليه فقال ليوسف : عرفه مقدار ما فعلت به فاني اظنه يجهله فوقع اليه : قد كفيناك بما وليناك ، وخراسان تسعك ما وسعك عُمُر ٠ ووقّع الى بعض ولده : اذا لم يكن معروفك الا عند من يعرف لم يجز معروفك رواق بيتك ٠ ووقّع : من جور الدنيا انها لاتعطي احداً ما يستحق اما ان تزيده واما ان تنقصه ٠ ووقّع الى بعض ولده : اياك وصحبة فلان وان كان قريب النسب منك ، فانه بعيد الشبه بك ، فقد يفسد على الانسان بعض جسده فيقطعه ، وهو اولى به واقرب ٠ ووقّع : ان اساءة المحسن ان يكف عنك احسانه ، واحسان المسيء ان يكف عنك اساءته وأبعد مابينهما ٠ ووقّع الى رجل كذبه في شيء : لو صوّر الصدق لكان أسداً ، ولو صوّر الكذب لكان ثعلباً ، وماصاحباهما ببعيدين من هاتين الصورتين ٠

قال ابوبكر : حدثنا محمد بن الفضل بن الاسود قال : حدثنا علي بن محمد النوفلي قال : كان ليوسف ابي احمد بن يوسف غلام اسود متأدب نشأ في الاعراب فتولع بجارية لبعض اهلنا فشكاه اليه فضربه وحبسه ، وحلف ان لا يطلقه الا بعد شفاعة من شكاه فيه ، فترك ذكر الجارية فقيل له : ويحك أتحبك الجارية كما تحبها ؟ فقال :

كلانا سواءٌ في الهوى غير انها ... تجلد احياناً وما بي تجلد
تخاف وعيد الكاشحين وانما ... جنوني عليها حين أُنهى وأُبعد

فبلغ ابا القاسم يوسف شعره فقال : وان فيه لهذا الفضل ٠ فركب من وقته الى الرجل الذي شكاه وكان قرشياً فقال له : اسألك ان تبيعني الجارية باي ثمن شئت فقال : ما افعل حتى اعرف السبب في ذلك فعرّفه خبره وانشد البيتين فقال : اشهدك اني قد

وهبت الجارية له بشفاعتك وطلبتك ، وانا اعطي بالله عهداً الا اخذت لها ثمناً ابداً ، ووجه بالجارية معه .

وقال المؤلف في اخبار ابي محمد القاسم بن يوسف وشعره : وانما بدأت به لانه اسن من ابي جعفر احمد بن يوسف واكثر شعراً منه ، وأفصح في شعره ، وأشعر في فنه الذي أعجبه من مراثي البهائم من جميع المحدثين ، حتى انه لرأس فيه ، متقدم جميع من نحاه ، وما ينبغي ان يسقط شيء من شعره لانه كله مختار ، وللناس فيه فائدة ، ولا يوجد مجموعاً كما نورده وانا اذكره على القوافي وقال يرثي عنزاً له سوداء :

عين بكي لعنزنا السوداء ... كالعروس الادماء يوم الجلاء
ذات لون كالعنبر الورد قد عـ ... ـلّ بما فاض يوم الطلاء
ذات روقين أملسين رقيقين ... وضرعين كالدلاء الملاء
ذات جيد ومقلتين كوحشـ ... ـية قفر من جاريات الظباء

ومنها : فخمة عبلة مع العتق والرقـ ... ـة زينت ببهجة وبهاء
فاذا شئت قلت ربة بيت ... ذات طفلين من خيار النساء
واذا شئت قلت ربة خدن ... في حجور الحضان والرقباء
اين لا اين مثلها مصطفاة ... من صفايا الملوك والوزراء
اين لا اين مثلها مقتناة ... عند حالين شدة او رخاء
اين لا اين مثلها يجمع (؟) ... اغنياء في الناس او فقراء

ومنها : تحلب الدرة الغزيرة بالجـ ... ـدة مرى الاكف غير عناء
تملأ المحلبين طورين في اليو ... م صباحاً طوراً وجنح العشاء
وتخال الشخوب وقع الشآبيـ ... ـب اذ ما فرغن فغر الاناء
ولها مرة درور كما ر ... دّ سحاب بديمة هطلاء
كم صبوح وكم غبوق وقيل ... قد سقيناك السوداء ملء الاناء؟
كم شربنا محضاً لها وضياحا ... وشقينا مخمراً في السقاء
رب جبن منها وزبد طري ... قد جمعنا طرّه لسلاء

وهي طويلة من أجمل ما كتب في هذا الموضوع :

قال ابوبكر : حدثني ذكوان قال : ذكر شعر الكتاب بحضرة ابراهيم بن العباس فقال اشعرهم عندي الذي مزحه أفصح ، واحسن من جدالناس القاسم بن يوسف وكان جدي عبدالله بن العباس يقول : وبه تأدب ابراهيم وعنه اخذ ، وكان أسن منه بنحو عشرين سنة : اقتسم ابنا يوسف نثر الكلام ونظمه فنقدم الكتاب فيهما يعني احمد بن يوسف في النثر وأخاه القاسم في النظم .

وقال في الشيب والزهد :

ودع شبابك قد علاك مشيب ... وكذاك كل معمر سيشيب
جازت سنوك الاربعين فازعجت ... منك ؟ الشباب تجارب وخطوب
ودعاك داعٍ للرشاد أجبته ... وبما يراك الغيّ ليس يجيب
فابك الشباب وماخلا من عهده ... ايام انت الى الحسان طروب
يسبين لبك بالدلال و يستبي ... البابهن فسالب وسليب
طوراً يسامحن الهوى و يطعنه ... و يصبن قلبك بالجوى وتصيب
خلطن معصية بحسن إجابة ... فلهن عندك أنعم وذنوب
حتام توضع في البطالة والصبا ... عار بمثلك صبوة ومشيب
رحل الشباب وحل شيب بعده ... فمضت لذاذات وصد حبيب
لهفي على غدر الشباب فانه ... يكفيك اذ غصن الشباب رطيب
قد كان يجمع غدرة ولذاذة ... اذ ثوبه ضاف عليك قشيب
فرمته داهية الزمان بأسهم ... ونضت شروق لبسه وغروب
ما شئت فاحي بمدحه لابد من ... غم ونائبة عليك تنوب
مابعد شيبك غير يومك فاتخذ ... زاداً لنفسك فالرحيل قريب
ما هذه الدنيا بدار إقامة ... لا توطنن بها وانت غريب
خلت القرون فما يحس قريب ... منهم وقصر سبيلهم مركوب
ابن الاولى اهل السيادة والنهى ... والمطعمون وما تدرُّ حلوب
انحى الزمان عليهم بشفاره ... وسقتهم كأس المنون شعوب
وغدا جزاء سعادة او شقوة ... افلا ينيب الى الرشاد منيب

والمرء ... موفى سعيه مسك عليه بفعله مكتوب
طال العمى والجهل اذ غلب الهوى ان الهوى لذوي الحجى لغلوب
والموت يغتال النفوس ولم يزل للموت داعٍ للنفوس طلوب
ما نحن الا كالبهائم رتعاً حتى يتاح لها الردى المجلوب

وقد اورد له قصائد جميلة قالها في أغراض شتى تخالف أغراض معظم الشعراء ، منها قصيدة يشكو فيها البق والبراغيث والبرغش ، وأخرى في رثاء هرة ، وثالثة في الشكوى من النمل والفار وغير ذلك ، ورابعة في رثاء الشاه مرخ (الشاهمرد) ، وخامسة في رثاء القمري ، الى غير ذلك من جميل القريض في الغزل والتشبيب والرثاء والتشوق الى الديار .

وبعد ان استوفى الكلام على القاسم بن يوسف أفاض في اخبار اخيه ابي جعفر احمد ابن يوسف بن صبيح ، كاتب دولة بني العباس ، الذي وزر للمأمون بعد احمد بن ابي خالد ، وقال : انه معرق في الكتابة والشعر ، قال : حدثنا القاسم بن اسماعيل قال : حدثنا مقنب بن محرز الباهلي ، قال : كنا نقول لم يل الوزارة أشعر من احمد بن يوسف حتى ولي محمد بن عبد الملك فكان أشعر منه ، وذكر قصصاً لاحمد بن يوسف تدل على فضل ذكائه منها : تحدث احمد بن طيفور ان المأمون قال لاحمد بن يوسف اني أريد غسان بن عباد لامر جليل ، وكان يريده لولاية السند لانه أراد ان يعزل عنها بشر بن داود المهلبي لاشياء عظيمة عتب عليه فيها ، وكان المأمون يعلم سوء رأي احمد في غسان بن عباد فقال احمد : غسان رجل محاسنه اكثر من مساويه ، لا يضرب طبقة الا انتصف منها [1] مهما خيف عليه فانه لا يأتي امراً يعتذر منه ، لانه قسم زمانه بين ايام الفضل ،

(١) أورد ابو الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور في الجزء السادس من كتاب بغداد طبعة (كللير) في ليبسيك سنة ١٩٠٨ هذه القصة باختلاف قال : قال احمد بن ابي طاهر ، قال المأمون يوماً لاصحابه : أخبروني عن غسان بن عباد فاني أريده لامر جسيم ، وكان قد عزم ان يوليه السند فقال بشر بن داود بن يزيد قد خالف واستبد بالفيء والخراج ، فتكلم القوم وأطنبوا في مدحه ، فنظر المأمون الى احمد بن يوسف وهو ساكن فقال له ما تقول يا احمد : قال : يا امير المؤمنين ذاك رجل محاسنه اكثر من مساويه ،

فجعل لكل مكرمة وقتاً ، فقال له المأمون : لقد مدحته على سوء رأيك فيه . فقال اني لأمير المؤمنين كما قال الشاعر :

كفى ثمناً لما أسديت اني صدقتك في الصديق وفي عداتي

فأعجب المأمون كلامه قال ابوبكر : وهذا الخبر فانما هو لهشام بن عبدالملك وقد سأل اسد بن عبدالله القسري عن نصر بن سيار فأجاب فيه بهذا الجواب . فقال له هشام : مازعم ان المأمون اجابه به فقال بالشعر الا انه في اسد ابيات كثيرة ، رويناه باسانيد الثقات من غير وجه فنسبه ابن ابي طاهر الى المأمون ، واحمد بن يوسف بغير رواية ، لانه صحفي حاطب ليل يشرط في كتبه اختيار الشعر الجيد ، و يأتي بالردي ء ، و يزعم انه يقلل فيحسن ، فيكثر و يسيء ، ثم يحكي الكذب و يخطيء في التاريخ ، وفي نسب الشعر ، قال ابوبكر : وقد رأيته بالبصرة سنة سبع وسبعين ومائتين ، وقدمها الى احمد بن علي الماردانی و كتب عنه مجلسين او ثلاثة ، فلما رأيته صحفياً لم ار عنده ماارید ترکته ، و يعز عليّ ان اذكر احداً من اهل الأدب بسوء وان استحقه ، ولكن لا بد من ان نعطي العلم حقه ، ونضع الحق موضعه .

وذكر المؤلف انه كانت لاحمد بن يوسف مع ابي العتاهية اخبار . ومما أورده ان ابا العتاهية عتب عليه فكتب اليه :

ابا جعفر هلا اقتطعت مودتي فكنت مصيباً فيّ اجراً ومصنعا
فكم صاحب قد جلّ عن قدر صاحب فألقى له الاسباب فارتفعا معا

لا تصرف به طباقه (؟) الا انتصف منهم مما تخوفت عليه ، فانه لن يأتي امراً يعتذر منه ، لانه قسّم ايامه بين ايام الفضل ، فجعل لكل خلق نوبة ، اذا نظرت في امره لم تدر اي حالاته أعجب ، اماهداه اليه عقله ، ام ما اكتسبه من الادب ، قال : لقد مدحته على سوء رأيك فيه قال لانه فيما قلت كما قال الشاعر :

كفى ثمناً لما أسديت اني مدحتك في الصديق وفي عدائي
وانك حين تنصبني لأمر يكون هواك أغلب من هوائي

قال فأعجب المأمون كلامه ، واسترجح أدبه .

وحجبه يوماً فكتب اليه ايضاً :

اراك تُراع حين ترى خيالي ... فما هذا يروعك من خيالي
لعلك خائف مني سؤالا ... ألا فلك الأمان من السؤال
كفيتك ان حالك لم تمل بي ... لأطلب منك تبديلاً بحالي
وان العسر مثل اليسر عندي ... بايها مُنيتُ فلا أُبالي

فلما قرأه وصله واستكتبه ·

ومن شعر احمد بن يوسف الى صديق له :

تطاول باللقاء العهد منا ... وطول البعد يقدح في القلوب
اراك وان نأيت بغير قلبي ... كأنك نُصب عيني من قريب
فهل لي في الرواح الى حبيب ... يقر بعينه قرب الحبيب

قال ابوبكر : قلت انا بيته الثاني كأنه من قول الحكيم بن قنبر المازني البصري :

ان كنت لست معي فالذكر منك معي ... يراك قلبي وان غُيّبت عن بصري
والعين تفقد من تهوى وتبصره ... وباطن القلب لا يخلو من النظر

وكانت بين احمد بن يوسف وبين ابي دلف القاسم بن عيسى مودة وكانا يتهاديان و يتكاتبان ثم ولي ابو دلف الجبل كله فكتب اليه احمد بن يوسف :

ما على ذا كنا افترقنا بشيرا ... ز ولا هكذا عقدنا الاخاء
لم اكن أحسب الأمارة يزدا ... د بها ذو الوفاء الا صفاء

وقال ايضاً: نفسي على حسراتها موقوفة ... فوددت لوخرجت من الحسرات
لو في يديّ حساب ايامي اذاً ... الغيته متطلباً لوفاتي
لم ابك حباً للحياة وانما ... ابكي مخافة ان تطول حياتي

أهدى احمد بن يوسف هدية الى المأمون في عيد وكتب اليه هذا يوم جرت فيه العادة باهداء العبيد للسادة وقد اهديت لامير المؤمنين قليلاً من كثير عندي وقلت :

اهدى الى سيده العبد ... ما ناله الامكان والجهد
وانما اهدى له ماله ... سيدا بهذا ولذا رد (؟)

فقال المأمون عاقل اهدى حسناً :

وقال : زعمتْ قرينـة ان حبك بادا ... كذبت قرينة بل نمى وازدادا
اقرين ان توجدي وتشـوقي ... منعا الرقاد فما احسُّ رقادا
وهواي بالبلد الذي اوطنتـه ... لا ابتغي ابداً سواه بلادا
كم ذكرة لك هيجت لي حسرة ... وجرى لها ماء الشؤون وجادا
اقرين لو ابصرتني لرثيت لي ... بين الرفاق اسائل الورادا
اكني بغيرك والهوى بك مفصح ... عجباً لذاك تفـادياً وبعـادا
هلا رثيت لهائم يفني بكم ... ليل التمام تقلبـاً وسهادا
ان لم يكن وَرَد المنية هالكاً ... ألما ء ألمّ بوردها او كادا

ومما قاله من ابيات يهجو اسحق بن سعيد سالم :

فلقد تركتَ الارض ضيقة ... من بعد فسحتهـا على الفرد
وملأتهـا مقتـاً ومبغضة ... فاذا ذكرتك ضاق بي جلدي
فالله اسأل ان يعوضني ... من قرب ذكرك ابعد البعد

واورد له جملة من اهاجيه ثم اورد له شيئاً من الاماديح وفيهـا اعتدال كما في اهاجيه ومما اورده له :

ظهر الفراق فاظهري جزعا ... ودعي العتاب فاننـا سفر
ان المحب يصـد مقترباً ... فاذا تباعد شاقه الذكر
يتهاجران استر امرهما ... ولقد يدلـ عليهما الهجر

وقال وهو من ظريف شعره :

اصبحت مخموراً أحدث عن نفسي ... ومالي من علم بما كان بالامس
سقاني عبيد من يديه مدامة ... يصرفها لي ثم يلحى على الحبس
فيارب يوم قد حمدت مساءه ... تباكرني ذم له مطلع الشمس
فأصبحت قد حدثت نفسي بتوبة ... و يعتادني للهو عندي اذا أُمسي

وقال ايضاً عذب الفراق لنا قبيل وداعنا ... ثم اقتبلنـاه كسمٍّ ناقـع
وكأنمـا اثر الدموع بخـدها ... طلٌّ سقيطٌ فوق ورد يانع

قال ابو بكر هو اول من افصح عن هذا المعنى وتبعه الناس .

وقال في ببغا ماتت لصديق له وكان له اخ متخلف يقال له عبد الحميد :

انت تبقى ونحن طراً فداكا   احسن الله ذو الجلال عزاكا
فلقد جلّ خطب دهر أتانا   بمقادير اتلفت ببغاكا
عجباً للمنون كيف اتتها   وتخطت عبد الحميد اخاكا
كان عبد الحميد اصلح للمو   ت من الببغا واولى بذاكا
شملتنا المصيبتان جميعاً   فقدنا هذه ورؤية ذاكا

قال ابو بكر ومن هاهنا اخذ ابن بسام قوله لعبيدالله بن سليمان لما مات ابنه الحسن وبقي القاسم :

قل لابي القاسم المرزّى   قابلك الدهر بالعجائب
مات لك ابن وكان دينا   وعاش ذو النقص والمعايب
حياة هذا كموت هذا   فلست تخلو من المصائب

قال ابو بكر حدثنا احمد بن اسماعيل قال سمع احمد بن يوسف لاخيه عليّ شعراً قد كتب به الى هوى له :

ايا باذلاً وداً لمن لا يشاكله   يساعده في حبه ويواصله
عليك بمن يرضي لك الناس وده   اواخره محمودة واوائله

فكتب اليه اخوه احمد : وفقك الله يااخي للسداد ، وهداك للرشاد ، قرأت لك شعراً انفذه اليّ من تخطب مودته ، وتستدعي عشرته ، فسرني شغفك بالادب ، وساءني اضطرابك في الشعر ، وليس مثلك من اخرج من يديه شيئاً يعود بعيب عليه ، واعيذك بالله من ان تلج لجة الشعر بلا عوم ينجيك منها ، وسباحة تصدرك عنها ، فنسبت الى قبيح اسر هويت النسبة الى حسنه ، فاعرف الشعر قبل قوله ، واستعن على قوله باهله ، ثم قل منه ما احببت ، اذا عرفت ما اوردت واصدرت ، وهذه ابيات في وزن ابياتك نظمتها بمثل ما نثرته لك وهي :

ابا حسن عاب الروية قبل ما   تريغ من الشعر الذي انت قائله
ففي الشعر فضل ان وفيت بحقه   ونقص اذا لم توف يظهر باطله
وحسبك عجزاً بامرئ ذي توصل   اذا عيّ بالاشعار فيمن يواصله
يهون على معشوقه ما اعزه   فتنقلب الاحوال فيما تحاوله

فدونك نصحًا من خبير مجرب قضى آخراً افضت اليه اوائله
ومستأنف الايام منها كسالف فبالسالف الماضي فقس ماتزاوله

قال ابو بكر حدثني عون بن محمد قال : كتب احمد بن يوسف الى اسحق بن ابراهيم الموصلي وقد زاره ابراهيم بن المهدي : عندي من انا عنده ، وتجنبنا عليك اعلامنا لك ، والسلام . ومن غير طريق عون انه كتب تحت هذا :

عندي من تبهج القلوب له فان تخلفت كنت مغبونا

من توقيعات احمد بن يوسف : وقّع الى عامل ظالم : الحق طريق واضح لمن طلبه ، يهديه محجته ، ولا يخاف عثرته ، و يؤمن في الشر مغبته ، فلا تنقلن منه ، ولا تعدلن عنه ، فقد بالغت في مناصحتك ، فلا تحوجني الى معاودتك ، فليس بعد التقدمة اليك ، الا سطوة الانكار عليك .

ووقّع في كتاب : مستتم الصنيعة من صابرها فعدل زيغها ، وأقام اودها ، صيانة لمعروفه ، ونصرة لرأيه ، فان اول المعروف مستخف ، وآخره مستثقل ، فكاد اوائله تكون للهوى ، واواخره تكون للرأي ، ولذلك قيل رب الصنيعة اشد من ابتدائها .

ومن توقيعاته في عنايته بانسان الى بعض العمال : انا بفلان تام العناية ، وله شديد الرعاية ، وكنت احب ان يكون ما رعيته طرفك من امره في كتابي ، مستودعًا سمعك من خطابي ، فلا تعدلن بعنايتك الى غيره ، ولا تحرزن بفقدك سواه حتى تنيله ارادته ، وتجاوز به امنيته ، ان شاء الله . ومن كلامه : قال ابو بكر حدثنا القاسم بن اسماعيل قال : حدثنا ابراهيم بن العباس قال سمعت احمد بن يوسف يقول امرني المأمون ان اكتب الى النواحي في الاستكثار من القناديل في المساجد ، فبت لا ادري كيف افتتح الكلام ، ولا كيف اجتذبه ، فأتاني آت في منامي فقال قل : فان في ذلك انسًا للسابلة ، وامنًا للمتهجدة ، ونفيًا لمكامن الريب ، وتنزيهًا لبيوت الله عن وحشة الظلم ، فانتبهت وقد فتح لي ما أريد ، فابتدأت بهذا واتممت عليه .

حدثني محمد بن عبدالله بن احمد بن يوسف قال غنى مغن في مجلس احمد بن يوسف ولم يك محسنًا فلم ينصتوا اليه ، وتحدثوا مع غنائه ، فغضب فقال انت عافاك الله تحمل الآذان ثقلاً ، والقلوب مللاً ، والاعين قباحة ، والانف نتنًا ، ثم تقول اسمعوا مني ،

وانصتوا لي ، هذا اذا كانت افهامنا مقفلة ، وحواسنا مبهمة ، واذهاننا صدية ، رضيت بالعفو منا ، والا قمت مذموماً عنا . وحدثني محمد بن العباس ايضاً قال : حدثني محمد بن عبدالله قال : خاصم احمد رجلاً بين يدي المأمون فكان قلب المأمون على احمد فقال : وقد عرف ذلك امير المؤمنين انه يستملي من عينيك ما تلقاني به ، و يستبين بحركتك ماتجنه لي ، وبلوغ ارادتك احب الي من بلوغ املي ، ولذة اجابتك احب الي من لذة ظفري ، وقد تركت له مانازعني فيه ، وسلمت اليه ماطالبني به . فشكر المأمون ذلك له . ومن كلامه : لقد احلك الله من الشرف اعلا ذروته ، وبلغك من الفضل ابعد غايته ، فالآمال اليك مصروفة ، والاعناق اليك معطوفة ، عندك تنتهي الهم ، وعليك تقف الظنون الحسنة ، وبك تثنى الخناصر ، وتستفتح اغلاق المطالب ، ولا يستريب النجح من رجاك ، ولا تعلوه النوائب في ذراك .

ومن كلامه : لك جد بنجدة همتك ، وانعام نفوه به نعمتك ، وهي تحسر الناظر اليها ، وتحير الواقف عليها ، حتى كأنها تناجيه بحسن العقبى ، وتوحي اليه ببعد المدى ، ولله در نابغة بني ذبيان في قوله :

محلتهم ذات الاله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب

ومن كلامه : من اتسع في الافضال ، اتسعت به الاقوال ، من شاكر مثنٍ ومادح مطرٍ ، ولسنا نصفك بمايعن لنا ، و يذل (؟) على ألسنتنا ممايتقرب به ذوالرغبة ، و يفزع اليه ذوالرهبة ، لاستنزال مرغوب ، اواستيجاب مطلوب ، ولكننانطق عن سيرتك بافصاح ، ونبين عنها بايضاح ، فتكذب شعب الكائد ، وتطيل نفس الحاسد .

ومن كلامه يعتذر الى بعض الاخلاء :

لي ذنوب ان عددتها جلت ، وان ضممتها الى فضلك حسنت ، وقد راجعت انابتي ، وسلكت طريق استقامتي ، وعلمت ان نوبتي في حجتي ، واقراري ابلغ في معذرتي ، فهذا مقام التائب من حرمة المتضمن حسن الفيئة على نفسه ، فقد كان عقابك بالحلم عني ، ابلغ من امرك بالانتصاف مني ، فان رأيت ان تهب لي ما استحققته من العقوبة ، لما ترجوه من المثوبة ، فعلت ان شاء الله .

ومن كلامه : قد كان كتابي نفذ اليك بما كان غيره اولى بي والزم لي في

حق الحرية والكرمْ اللذين جعلالك ارثاً ، والشرف والفضل اللذين قسما لك حظاً ، ولكنني دفعت من اتصال الزلل ، والاخلال بالعمل ، الى ما اضطرني الى محادثتك ، ودعاني الى مخالفتك ، لاخلي عني حبوة الاتهام ، واصرف عنك عارض الملام ، وقد جرى لك المقدار بالسؤدد الذي خصّك الله بمزيته ، وافردك بفضيلته ، فليس يحاول احد استقصاء عليك الا عرض دونه حاجز من واجبك يضطره الى ذلة التنصل اليك ، ويجوز ذلك عن التعمد . قال ابو بكر ومكاتبة احمد بن يوسف كثيرة شهيرة معروفة مألوفة فأتيت بالقليل منها ليستدل بها على جميعها .

وفاة احمد بن يوسف : قال ابوبكر سمعت عون بن محمد الكندي يقول سمعت عبدالله بن احمد بن يوسف يقول مات ابي بضيق نفس اعتراه اياماً ، وذاك ان المعتصم وسعيد بن سالم الباهلي كانا يكيدانه عند المأمون ، ويقعان فيه ، فدخل يوماً الى المأمون وهو يتبخر فأخرج الجمر من تحته وقال اجعلوها تحت احمد ليكرمه بذلك ، فتبخر به فرفعا الى المأمون انه قال للآتي بالمجمر هات هذا المردود ، ولذا قال في البيت لغلامه ما هذا البخل على البخور ، ولو كان امر لي ببخور مستأنف كان اولى فحقدها عليه المأمون فقال أيقال لي هذا ، وانا اصل في يوم واحد رجلاً واحداً بستة آلاف الف دينار (؟) وانما اردت اكرامه ، فدخل يوماً احمد على المأمون وهو يتبخر فقال اجعلوا تحته في مجمر قطع عنبر وضموا عليه شيئاً يمنع البخور ان يخرج ، ففعلوا ذلك فصبروا ثم انصرف فمكث في بيته شهراً عليلاً من ضيق نفس حتى مات ، وكان موته في ست رمضان سنة ثلاث عشرة ومائتين وقد حكي غير هذا في كتاب الوزراء .

اما ابو محمد عبد الله بن احمد بن يوسف فكان ظريفاً كاتباً شاعراً الا انه قليل الشعر . وقد ألف كتباً صغاراً ورسائل الى اخوته والغالب عليه الهزل ، وربما نسب من لا يدري شعره الى محمد بن عبد الله لانه اكثر شعراً منه .

هذه نموذجات طيبة من كتاب الاوراق ولاسيما احمد بن يوسف وشعره ونثره واخبار ذويه نقلناها بدون تعمد ليستفيد بها الطالب ادباً والاديب حكمة .

قال المسعودي في كتاب الاوراق وكذلك سلك محمد بن يحيى الصولي في كتابه المترجم بكتاب الاوراق في اخبار خلفاء بني العباس ووزرائهم وشعرائهم فانه ذكر غرائب لم تقع

الى غيره واشياء تفرد بها لانه شاهدها بنفسه وكان محظوظاً من العلم مجدوداً من المعرفة مرزوقاً من التصنيف وحسن التأليف والله اعلم ٠

محمد كرد علي

جمع فعال المضموم ليس بنادر

قيّدنا سيبويه ومن جاء بعده بقيود لم يعرفها العرب !

العرب عاشوا في البوادي والفلوات لايحصرهم بناء ولا يقيدهم أدم ، فنشأت اخلاقهم حرة ، بعيدة عن كل ضيق اوجور اوأسر ، وعلى هذا المثال جاءت قواعد لغتهم فهي لاتعرف الضنك والضغط ، بخلاف الاعاجم ولاسيما الفرس منهم ، فانهم نشأوا في بيوت مبنية بالصخر والحجر ، وقد أذلهم ملوكهم منذ عهد عريق في القدم ، فألفوا القيد والتقييد منذ نعومة أظفارهم ، ولذا جاءت افكارهم ولغتهم ومفرداتهم مربوطة بهذه الرُبُط المعينة ٠

جاء سيبويه وفي نفسه هذه النزعات من حب الطوق والغل ، فقيد اللغة العربية بما كان قد نشأ عليه من ذلك الميل ، فوضع للغة الضادية تلك الضوابط التي حجر بها على اللغة من الانبساط والاتساع فحجّرها في مكانها وأخمد أنفاسها ٠

ولهذا يجدر بابناء العصر ان لا يعتمدوا على كل ما خطته يده من القواعد الا من بعد ان يتثبتوا صحة كلامه من مواطن اللغة المبينة ٠

ومن جملة مانطق به هذا الامام واندفع وراءه النحاة واللغويون قولهم لم يرد من الجموع على فعال (كغراب) الا ألفاظ ثمانية ذكرها الزبيدي في تاجه في مادة رخل ، اذ يقول :

ما سمعنا كَلِماً غير ثمانٍ ... هي جمع وهي في الوزن فُعال

فتؤام ودُرَاب وفُرَار ... وعُراق وعُرام ورُخال

وقد ذكر هذين البيتين في مادة (ظأر) وجعل في مكان دراب : وراب ٠ وكلاهما غير موجود في العربية بصورة الجمع ٠ والصواب رباب بباء في الأول ٠

ثم قال : وظؤار جمع ظئرٍ وبساط ... جمع بسط هكذا فيما يقال انتهى

وقال الازهري ومثل تؤام غنم رباب ، وابل ظؤار ٠ وهو من الجمع العزيز ٠

وعدّه ابو سحل بين النوادر . ولذا ذكره في نوادره . وكذا قال ابن الاثير في كلامه عن العُراق اذ يعده من نوادر الجمع . ونقل الجوهري عن ابن السكيت لم يجئ شيء من الجمع على فعال الا احرف منها توأم .... (وعدّ منها سبعةً) ثم قال ولا نظير لها .

وزاد الصاغاني على السبعة اربعة الفاظٍ فصار جماعها احد عشر . ثم جاء ابن خالويه ولم يزد عليها شيئًا ، الا ابن برّي أضاف عليها حرفين آخرين فصار الجملة اثني عشر ، وبعد هؤلاء الاعلام لم يذكر احد ما يزيد على هذا القدر من كلام العرب ، وظنوا انهم أحاطوا بجميع مانطقوا به من مدوّنٍ وغير مدوّن ، فاكتفى المتأخرون بنقل كلام الأولين وكتفوا أيديهم وآمنوا بما قيل لهم .

على اني تتبعتُ ما جاء على هذا الوزن فعثرت على اثنين وثلاثين لفظة ، وانا لا ادعي الوقوف على كل ما ورد من هذا الباب . فدونكها مرتبة على حروف المعجم :

أُناس ، بُراء ، بُساط ، تؤام ، ثُنـاء ، جُذاذ ، جُمـال ، دُناء ، رُباب ، رُجال ، رُخال ، رُذال ، رُعاء ، سُحاح ، شُهاد ، طُوال ، ظُبـاء ، ظُماء ، ظُؤار ، عُراق ، عُرام ، فُرار ، قُماء ، قُماش ، كُباب ، لُهاث ، مُلاء ، نُباء ، نُذال ، نُفاس ، نُكات ، هُمال .

ولا بد هناك غير ما سردناه ، الا اننـا أردنا ان نبين للقراء فساد قول سيبويه ومن ذهب مذهبه لكي لا يركنوا الى كل مانطقوا به ليقيدوا به اصول اللغة المُبينة ، وهو ولي التحقيق .

« محقق »

التنبيه

على غلط الجاهل والنبيه

﴿ فصل العين ﴾

ومنها (في فصل العين) (المعجب) شاع بين الناس المعجب[١] بكسر الجيم وهو خطأ قال في الصحاح : وأُعجب فلان بنفسه و برأيه على ما لم يُسمَّ فاعله : فهو معجَب بفتح الجيم . والاسم العُجب .

ومنها (المعدِن[٢]) بكسر الدال منبت الجواهر من ذهبٍ ونحوه : من عَدَنَ بالبلد يعدِن بالكسر اي أقام . ومنه : (جنّاتُ عدن) اي جنات إقامة قال في الصحاح : ومنه سُمّيَ المعدِن لان الناس يُقيمون فيه الصيف والشتاء قال ومركز كل شيء معدنه . أقول : الأقرب أنهم لاحظوا نسبة الإقامة اي القرار الى الجواهر[٣] لا الى الناس فقالوا معدن الذهب اي مركزه وموضعه كما سبق آنفاً من ان مركز كل شيء معدِنه . وهو[٤] المتبادر من إضافة المعدن الى الذهب والفضة حيث يقولون معدن الذهب والفضة ويقرب[٥] مما قلت قول صاحب القاموس بعدما قال : لإقامة اهله فيه — او لانبات[٦] الله اياه فيه .

ومنها (المُعْضِل) هو كمشكل لفظاً ومعنى : من أعضل الامر اي اشتدّ واستغلق . ففتح الضاد على ما يسمع من الناس فتحٌ لباب الجهل[٧] .

---

(١) في مثل قولهم فلان معجب بنفسه . (٢) قال المؤلف المعدِن بكسر الدال الخ لكنه لم يبين غلط الناس في هذه الكلمة من اي جهة . والظاهر انهم يغلطون بها فيقولون (معدَن) بفتح الدال . اما فتحها فهو كما قال في التاج ليس بثبت وان حكاه بعضهم . (٣) وفي نسخة النوابت . (٤) اي ما ذكر من ملاحظة نسبة الإقامة الى الجواهر لا الناس . (٥) وفي نسخة ويقرّب ما قلت . (٦) وفي نسخة اولاثبات الله . (٧) وفي نسخة لباب اللحن .

ومنها (الاعطاف) هي جمع عِطف بكسر العين بمعنى جانب الشيء والجانبان [١] العِطفان ومنه قول البحتري :

(لما مَشَيْنَ بذي الأَراك تشابهت أَعطاف قضبان به وقدود)

(في حُلَّتي حِبَر وروضٍ فالتقى وشيان : وشيُ رُبى ووشيُ برود)

والناس يحسبونها [٢] جمع العَطف بفتح العين بمعنى الاشفاق فيقولون : لا يبعد من ألطاف مولانا وأَعطافه ان يفعل كذا ·

ومنها لفظ (المُعاف) على وزن المثاب [٣] هو لفظ شائع بينهم بما فه من يسمعه يستعملونه بمعنى المعفو [٤] ولا أَدري أَهذا لفظ اخترعوه ام ارادوا بناء الافعال من عفا فوقعوا فيما وقعوا ·

ومنها قولهم (علانيا) هذا اللفظ شائع بينهم لكن الصحيح (العلانية) ·

ومنها (العامي) في قولهم : فلان عامي بتخفيف الميم · والصحيح بتشديد الميم · منسوب الى العامّة يقال فلان عامّيّ اي واحد من العامة ·

ومنها (العَمَى) بفتح الميم مصدر عَمِيَ من باب صَدِيَ وقد شاع بين العميان إسكان ميمه

ومنها (العِيان) هو بكسر العين مصدر من عاين الشيء عِياناً اي رآه بعينه · والناس يستعملونه بفتح العين · وهو خطأ لأن العَيان بفتح العين مصدر عان الماء والدمع يَعين اي سال ·

ومنها لفظ (العَيْش) هو بفتح العين الحيوة · وكسر العين على ما شاع خطأ : لانه اذا كسرت العين تلزم التاء : كعيشة راضية ·

﴿ فصل الغين ﴾

ومنها (في فصل الغين) (الغِذاء) هو بالذال المعجمة على وزن كِساء

---

(١) اي والجانبان من جسد الانسان يسميان عطفين · (٢) اي يحسبون الاعطاف · (٣) وفي نسخة المتاب بالتاء المثناة فتكون (المعاف) بفتح الميم لكن قول المصنف بعد ذلك (أرادوا بناء الافعال) يرجح نسختنا اعني ضم الميم من (معاف) وجعل المثاب بالثاء المثلثة لا بالتاء المثناة · فاذا كانوا بنوا الافعال من عفا يكون اسم مفعوله مُعفى لكنهم قلبوه اي قدموا لامه على عينه فقالوا (معاف) ولهذا نظائر في لغة العرب لكنه غير مقيس · (٤) وفي نسخة (بمعنى المفعول) ·

ما به نماء الجسم وقِوامه · هكذا فسّره في القاموس · وقال في الصحاح (الغِذاء) ما يُتغذّى به من طعـام وشراب · وقد شاع بين الناس بالدال المهملة اسمًا لمايؤكل فقط · ففيه غلطان [١] · واظنهم يظنونه [٢] من الغداء بالفتح والمد وهو ضد العَشاء بمعنى طعام الغدوّ كما ان العَشاء بالفتح والمد ايضاً طعام العِشاء [٣] ·

ومنها (التغوّط) هو واوي والمعنى معروف · فالتغيط بالياء اشنع منه · واظنهم يظنونه [٤] من الغائط على ماهو دأبهم من جعل الهمزة بعد الف الفاعل ياء [٥] وقد مرّ ·

ومنها (الغيبة) هي بالكسر اسم من الاغتيـاب · وهو ان يتكلم [٦] خلف انسان مستور بما يغمّه لوسمعه : فان كان صدقاً يسمى غيبة · وان كان كذباً يسمى بهتاناً · وفتح غينها على ما شاع بينهم فتح لباب الجهل اذ هو بفتح الغين مصدر بمعنى الغيبوبة ·

فصل الفاء

ومنها (في فصل الفاء) (الفراغة) هي لحن استعملوه من غير فكر [٧] لكن الصحيح (الفراغ) بلاتاء قال في القاموس: فَرَغ منه كمنع وسمع ونصر فروغًاوفراغًا · وذكر في الصحاح له هذين المصدرين ولم يسمع (الفراغة) الا من اصحابنا ·

ومنهـا (الفعل) هو بالفتح مصدر فعل · وقرأ بعضهم (وأوحينا [٨] اليهم فعل الخيرات) · والفِعل بالكسر الاسم · ولكن اشتهر بين العامة كسر الفاء في المصدر

---

(١) لعل الغلطين هما جعل الذال المعجمة دالاً مهملة ثم تخصيصه بالطعام دون الشراب · (٢) وفي نسخة نقلوه · (٣) وفي نسخة طعام العشي · (٤) وفي نسخة نقلوه · (٥) فيقولون قايل من القول وكايل من الكيل وعلى هذا يقولون غايط بالياء لجعلهم لها ياءً أوهمهم انها ياء حقيقة فقالوا تغيط مكان تغوط بناء على هذا التوهم · (٦) قوله وهو ان يتكلم الخ هذه العبارة في بعض النسخ هكذا (وهو ان يتكلم خلف انسان مستورٍ بكلامٍ صادقٍ لو سمعه لغمه : فان كان كذباً سمي بهتاناً · (٧) وفي نسخة من غير نكير · (٨) وفي نسخة ليدن عند هذه الآية الكريمة قد أشار ناشر النسخة وطابعها في ذيل الصفحة — الى انه يوجد نسخة هكذا (وأوصينا) بالصاد · فهذا يدل على أن ناشر نسخة ليدن هو المستشرق لندبرج لا عالم مسلم بغدادي راجع ذيل (ص ٤٤ ج ١) من هذه المجلة ·

ايضًا . فهذا الكسر كسرٌ لرأس الكلمة وشجٌّ لها .

ومنها (الأفعى) هو كأعمى حيّة خبيثة فكسر الناس عينها مع فتح اللام في الفعلى [١] غريب

ومنها (الفلاكة) هي من الألفاظ التي اخترعوها يستعملونها في ضيق الحال كأنهم اشتقوها من لفظ (الفلك) فقالوا المن به شدة (به فلاكة) وهو مفلوك اي اصابه الفلك بشدة .

ومنهـا (التفويض) يلحن فيه بعض الجهلة بتقديم الواو فيقولون توفيض مع انه من فوّض يفوّض .

فصل القاف

ومنها (في فصل القاف) (القوابل) يستعملونها في جمع قابل . وهي [٢] جمع (قابلة) لان فواعل في الصفة جمع فاعلة الا فوارس جمع فارس على ما عرف في موضعه . اللهم الا ان يقال انها [٣] جمعٌ لصفة موصوف مؤنث كمثل [٤] المادة القابلة لكنه بعيد خصوصًا من مواضع [٥] استعمالاتهم : يقولون هو قابل وهؤلاء قوابل .

ومنهـا (قابيل) وكذا (هابيل) ايضًا هما على وزن فاعيل ابناء آدم عليه السلام والناس يلحنون فيهما بحذف الياء .

ومنها (القرية) هي بسكون الراء وتخفيف الياء معروفة والعوامّ يلحنون فيها بكسر الراء وتشديد الياء .

ومنهـا (القزّاز) هو كشدّاد بائع القزّ وهو الابريسم [٦] لكن شاع بين العوام الغزّاز بالغين المعجمة .

---

(١) قوله في الفعلى اي ان وزن (فعلى) لامه مفتوحة في كلام العرب ولم تسمع مكسورة . وبعد كتابة هذه الهامشة رأينا في نسخة ليدن (في التسلي) مكان (في الفعلى) ونسخة ليدن الصواب لأن المصنف سبق وانتقد قولهم التسلّي بفتح اللام مع انها بالكسر راجع ذيل (ص١٣٩ ج٣) من هذه المجلة . (٢) قوله وهي جمع قابلة الخ وفي نسخة (وهي جمع قابلة كالفوارس في جمع فارس على ما عرف في موضعه) . (٣) قوله إنها اي إن كلمة قوابل (٤) اي وذلك الموصوف المؤنث محذوف وقد أُقيمت صفته مقامه فقولهم قوابل اي مواد قوابل مثلاً . (٥) وفي نسخة مواقع . (٦) الحرير او ضرب منه .

ومنها (المقصد) هو بكسر الصاد موضع القصد · وفتح الناس صاده خطأ اذ هو من باب ضرب · واما المغسل فانه وان كان من باب ضرب ايضاً الا انه جاء فيه الفتح ايضاً حكاه اهل اللغة حيث قالوا المغسِل بفتح السين وكسرها مغسل الموتى ·

ومنها (القضاة) على وزن فُعاة جمع مختص بالناقص كالغُزاة والعُصاة · فتشديد بعض الناقصين ضادها خطأ ·

ومنها (التقاضي) هو مصدر التفاعل من قضى واكثر العوام يفتحون ضادها كما يفتحون لام التسلّي وقد مرّ ·

ومنها (قولنج) الخطأ فيه انهم يستعملونه في وجع الظهر وليس كذلك بل هو مرض معدي[1] مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح · واما اللفظ فقد قال صاحب القاموس القولنج وقد تكسر لامه او هو مكسور اللام · وتفتح القاف وتضم ·

ومنها (القنديل) هو بكسر القاف معروف وزنه فعليل لا فَعليل[2] وفتح القاف لحن مشهور

❊ فصل الكاف ❊

ومنها (في فصل الكاف) (الكراهية) هي بالفتح والتخفيف من مصادر كرهه كسمعه · فتشديد الياء على ما يفعله البعض مما يكرهه السمع ويمجه الذوق ·

❊ فصل اللام ❊

ومنها (في فصل اللام) (اللكنة) هي بضم اللام عجمة في اللسان وعيّ · يقال رجل ألكن وقد لكِنَ من باب طرب · كما ذكر في اللغة ومازلنا نسمع من بعض العوام تحريف هذه الكلمة وقلب اللام[3] راءً · وأرى بعض الناس حيارى في أمثال هذه الاغلاط تارة يصيبون[4] ولا يدرون باصابتهم وتارة يخطئون ولا يدرون · وليت شعري لم لا يرجعون الى اللغة فيما اشكل عليهم حتى يخرجوا من ظلمة الشك الى نور اليقين ·

---

(١) لعل صوابه : مرض معوي كما في القاموس ثم رأيته في النسخة الليدنية ·
(٢) وفي نسخة لا فنعيل · (٣) كأنهم يقولون ركنة · (٤) وفي نسخة هكذا : تارة يصيبون وتارة يخطئون ولا يدرون ·

﴿ فصل الميم ﴾

ومنها (في فصل الميم) (المَعِدة) يلحنون فيها بزيادة الياء فيقولون (المعيدة) ·

﴿ فصل النون ﴾

ومنها (في فصل النون) (المنبر) هو بكسر الميم من الشهرة [١] بحيث يجعله اهل اللغة من الموازين لكنه شاع بين العوام بفتح ميمه · وكذا ضم ميم (المنارة) عند البعض وهي مفتوحة الميم · والنبرُ الرفع قال في القاموس : نَبَرَ الشيءَ رفعه · ومنه المِنبر بكسر الميم ·

ومنها (النُزُل) هو بضمتين و بالتسكين ايضاً مايهيأ للنزيل اي الضيف · والعوام يزيدون [٢] فيه واواً فيقولون النزول وليس النزول الا مصدراً بمعنى الهبوط والحلول · وتقول نزل من العلو اي هبط منه · ونزل بالمكان اي حلّ فيه ومنه المنزل ·

ومنها (النزلة) هي كالزكام يقال به نزلة والجمع نزلات والجافون يعبّرون [٣] على انها بالنازلة و يجمعونها على النوازل وهو خطأ اذ النازلة هي الشديدة [٤] من شدائد الدهر تنزل بالناس كما تفصح عنها كتب اللغة ·

ومنها (المنسوبات) هي جمع منسوبة او منسوب من غير ذوي العقول · لكن شاع بين الناس اطلاقها على الطائفة المنسوبين الى الاكابر يقال فلان من منسوبات فلان كأنهم يقصدون بذلك الحاقهم بالبهائم والجمادات · ولا أدري له وجه صحة الا ان يتكلف و يقال هي بمعنى الطوائف المنسوبات فهي على هذا جمع للطائفة

---

(١) وفي نسخة من النبر · (٢) وقد وقع مثل هذا الغلط في كلمة (المنزل) لمكان نزول الناس فيقولون في كثير من بلاد سورية منزول يريدون به مايراد بكلمة (قناق) التركية الشائعة في بعض بلاد سورية ايضاً والمنزول بزيادة الواو رأيت العلوي المتوفى سنة ٩٨١ قد استعملها في كتابه مختصر الدارس بمعنى مكان النزول ومن العجيب ان المصريين يطلقون المنزول اليوم على ضرب من المكيّفات : الحشيش اوغيره · (٣) لعل صوابه يعتبرونها بالنازلة اي يقيسونها عليها ثم ظفرت بها في نسخة هكذا (والجافون يعبرون عنها بالنازلة) وفي نسخة أخرى والجاهلون مكان (الجافون) وهي من الجفاء بمعني غلظ الطبع · (٤) وفي نسخة هي الشدة من شدائد الدهر ·

المنسوبة : تقول هذه الطائفة منسوبة الى كذا وهؤلاء الطوائف منسوبات الى كذا لكنْ يبطله قولهم زيد من منسوبات عمرو اذ لا يصلح [١] ان يقال زيد من الطوائف المنسوبة الى فلان لانه يستلزم ان يكون زيد طائفة: اذ واحدة [٢] الطوائف هي الطائفة . بل الصحيح ان يقال زيد من الطائفة المنسوبة الى عمرو .

ومنها (النقرس) داءٌ معروف وزيادة اليـاء على ما هو الشائع بين العوام خطأ لان النقريس الدليل الحاذق الخرّيت والطبيب الماهر الناظر [٣] المدقق على ماذكر في القاموس . ولا يجوز زيادة الياء في الداء [٤] لكن داء الجهل ليس له دواء .

ومنها (عرق النسا) النَسَا بالفتح والقصر عرق وذكر في الصحاح نقلاً عن الاصمعي انه قال : لاتقل عرق [٥] النسا وقال ابن السكيت هو عرق النسا وذكر في القاموس نقلاً عن الزجاج انه قال لا تقل عرق النسا لان الشيء لا يضاف الى نفسه انتهى والعوام يقولون (عرق النِساء) بالكسر والمد ولا نعرف له معنى اذ المعنى في بطن الشاعر .

ومنها (النكات) هي بكسر النون جمع نكتة واذا ضممت النون حذفت الالف فتقول نُكت . وكثير من الناس يضمون النون و يثبتون الالف اي يقولون (نُكات)

تم بعون الله المعبود [٦]

---

(١) وفي نسخة اذ لا يصح . (٢) وفي نسخة اذ واحد الطوائف . (٣) وفي نسخة القاموس المخطوطة التي عندي (النظار) وكذا في بعض نسخ هذا التـأليف . (٤) اي (داء النقرس) مذ يقولون (نقريس) . (٥) يعني بذكر كلمة عرق واضافتها الى كلمة النسا بل يقتصر على (النسا) وحدها لانها تفيد معني العرق نفسه . (٦) قال الاستاذ تيمور باشا في كتابه الينا « ان العلامة السيد محمد الكواكبي مفتي حلب المتوفى سنة ١٠٩٦ ه لخص رسالة (التنبيه) هذه وقد علق تلخيصها في كناشه المكتوب بخطه وان هذا الكناش محفوظ في المكتبة التيمورية » .

آراء وافكار

كتاب المسائل للقصراني

ترجم لنا جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦هـ ١٢٤٨ م في كتابه إخبار الحكماء باخبار الحكماء[1] القصراني المنجم بكلمات قليلة هذه هي

« القصراني »

نسبته أشهر من اسمه وقصران احدى قرى الريّ فيما قيل وهو منجم فاضل حكّام كان مقيماً بالري يصحب بها الملوك والامراء وله إصابات في الأحكام قد أخبر بهـا في كتاب المسائل له وهو كتاب جليل ملكته بخط الصهراني" الرازي" وهذا الكتاب يشتمل على مُلح هذه الصناعة على أنواع غريبة عجيبة اهـ .

وقد اقتنيت منذ سنتين كتاباً مخطوطاً في بيت المقدس كُتب باوله « كتاب ترجمهٔ قصرانى المسمى بجامع الاحكام في مسائل الخاص والعـام لعثمان القاسم باشالي رحمه الله » وهو باللغة التركية وعلمت من قراءته ان المترجم هو عثمان بن محمد القاسم باشاوي (نسبة الى محلة قاسم باشا من احياء القسطنطينية) الموقّت بجامع السلطان محمد أتم ترجمة الكتاب المذكور سنة ١٠٩٩ هـ ١٦٨٧ م والترجمة التي بايدينا منسوخة في القرن الثـاني عشر ومكتوبة بحبر أسود وأحمر وضفدعي وخطٍّ مشرقٍ جميل والصفحة الاولى منها مذهبة بماء الذهب واللازورد .

وفي أواخرها طوالع بعض العظماء وهم السلطان محمد الرابع والوزير المرزيفوني والوزير سنياوش باشا وآغا الانكشارية تكرطاغي مصطفى اغا والوزير سليمان البسنوي ويوسف اغا كتخدا الانكشارية واحمد اغا البسنوي محافظ قلعة بورين ومحمد افندي الانقروي من صدور الفتوى ومحمد باشـا سيدي زاده القبودان اي امير البحر وختمها

(١) تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبـات الملتقطات من كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء طبع ليبسك صفحة ٢٦٤ ونفس الكتاب المطبوع بمصر باسم اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٧٤ .

بطالع جلوس السلطان سليمان الثاني وقد تناول المترجم في سياق الكلام تراجم هؤلاء العظماء وأحوالهم وبعض الاحداث التاريخية ·

والذي يهمنا من كل هذا اننا عرفنا من خلال سطور الترجمة ان اسم المؤلف هو ابو يوسف يعقوب القصراني وان كتابه يسمى جامع الاحكام في مسائل الخواص والعوام وهما مما لم يشر اليه القفطي في ترجمته كأنه اكتفى بشهرته الطائرة وصيته البعيد ·

حيفا عبد الله مخلص

صحف منسية

بينا كنت أجيل الطرف في كتب الخزانة الخالدية في بيت المقدس [1] عثرت على كتاب يسمى درر الملتقط من كل بحر سقط تأليف محمد بن علي بن محمود الكاتب وقد جاء في أواخره هذه العبارة :

« أبيات درويش محمد افندي بن احمد الطالوي [2] المتوفى عن افتاء الديار الدمشقية سلخ رمضان ١٠١٤ أرسلتها وهو بالديار الرومية الى جناب الامير الكبير محمد بك المنجكي اليوسفي ضمن مكتوب مستقل مضمناً بيتي ابي الثناء الشهابي محمود الشاعر المشهور ومتشوقاً الى دمشق » ·

ومن كتاب ابن محمود الكاتب الدمشقي المتوفى سنة ٧٥٣ هـ ١٣٥٢ م نسخة في دار الكتب المصرية قال صاحب تاريخ آداب اللغة العربية (جزء ٣ صفحة ١٣٨) ان اسمها الدر الملتقط من كل بحر وسفط وسنفرد لوصف هذا الكتاب المؤلف في الادب مقالة خاصة ونكتفي الآن بدرج أبيات الطالوي التي أرسلها الى الامير

(١) وصفت هذه الخزانة وبعض نوادرها في المجلد الرابع والصفحات ٣٦٦ و٤٠٩ من هذه المجلة · (٢) للطالوي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ ١٦٠٦ م ترجمة حافلة في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (ج ٢ ص ١٤٩) وفيها انه دُفن بمقبرة باب الصغير بدمشق ومن آثاره الباقية كتاب « سانحات دمى القصر في مطارحات بني العصر » ويسمى السانحات الطالوية ومنه نسخ في دار الكتبة المصرية والكتبة الاهلية في باريس ومكتبة برلين ·

المنجكي(١) والتي ضمن بها بيتي ابي الثناء الشهابي(٢) لعلاقتها بدمشق من عدة وجوه فهي لشاعر دمشقي يتشوق الى اهله ودياره ضمن فيها بيتي شاعر دمشقي وبعث بها الى امير دمشقي وقد اختفت في زاوية كتاب منسوب الى دمشقي وستنشر في دمشق مبعث مجلتكم المشرقة وهذه هي الابيات :

على ساكني عليا دمشق تحية　　من المغرم المشتاق الواله الصب
تحية مضنىً فارق الدار والهوى　　وحسان ربع فيه حسانة الترب
اذا شام برق الشام هاجته لوعة　　ومن دونه طامي الغوارب كالشهب
رمته النوى وسط الجزيرة والهوى　　الى منزل بالشام في الجانب الغربي
هي الدار لا الجرعاء من جانب الحمى　　ولا أثلات القاع من ايمن الشعب
سقاها وحيّاها الاله معاهداً　　عهاد دنوّ العهد موصولة السحب (٣)
وخصّ بها دار الامير وما حوت　　معالمها من ذي لمىً خصرٍ عذب
امير المعالي المنجكي الذي له　　حياتي ونصحي في البعاد وفي القرب
أحبتنا بالشام والدار غربة　　وصرف النوى لا يُتّقى منه بالعضب
أقمتم وسرنا والفؤاد لديكم　　وما حال جسم في الهوى سار عن قلب

حيفا :　　عبد الله مخلص

---

(١) للامير محمد بن منجك الذي لم تحمد سيرته، ترجمته في خلاصة الاثر (ج٤ ص٢٢٩) وقد توفي بدمشق سنة ١٠٣٢ هـ ١٦٢٢ م ودفن في جامع جده الاعلى بالميدان وله القصر المعروف به في الوادي الاخضر والقاعة المشهورة في داره بين باب جيرون وبين السلسلة . (٢) هو شهاب الدين محمد بن سلمان بن فهد الحلبي الدمشقي المترجم له في فوات الوفيات (ج٢ ص٢٨٧) وفيه انه توفي سنة ٧٥٥ هـ ١٣٥٤ م وفي فهرس المكتبة الخديوية (ج ٤ ص ٢٢٧) انه توفي سنة ٧٧٥ هـ ١٣٧٣ م وهما غلط صوابه سنة ٧٢٥ هـ ١٣٢٤ م . (٣) جاء في الصفحة ١٥٢ من الجزء الثاني من خلاصة الاثر في ترجمته مثل هذا البيت في أبيات من قصيدة رائية قالها وهو بالروم يتشوق لوطنه وهو :

سقاها وحيّاها الاله معاهداً　　عهاد دنو العهد وافى به البشر

مطبوعات حديثة

مسالك الابصار
« في ممالك الامصار »

لاحمد بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ بتحقيق احمد زكي باشا ، طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤ م ص ٣٩٨

نشأ ابن فضل الله مؤلف هذا الكتاب في دمشق على عهد كثر في الشام النابغون في مثل علمه ، وعلمه الادب والتاريخ والجغرافية والاصطرلاب وحل التقاويم وصور الكواكب ، فكان من معاصريه او من سابقيه وتاليه في هذا القطر امثال علم الدين البرزالي والحافظ الذهبي والحافظ ابن كثير وصلاح الدين الصفدي وابو الفداء وشيخ الربوة وتقي الدين المقريزي وابن مفلح وابن الوردي والصلاح الكتبي والبارزي وغيرهم من الائمة الذين كان الشام مطلع شمسهم ، فمزجوا الادب بالتاريخ والجغرافيا بالفلك ، وخلدوا لنا من مصنفاتهم ما لا يبلى على الايام جديده .

لا جرم ان توفر العلامة احمد زكي باشا على احياء كتب امثال ابن فضل الله هو احياء للآداب العربية ، فبالامس اخرج لهذه الامة كتاب التاج للجاحظ والاصنام لابن الكلبي من الكتب المعتبرة بتحقيقه الممتع واليوم يجيء لنا هذه المعلمة او الموسوعة العربية آخذاً الجزء الاول منها من « كتاب مدشوت في الاضابير المبعثرة بين الاوراق المنتثرة في اسافل الخزانات بسراي طوپ قبو بالقسطنطينية » فكان كتاب مسالك الابصار الذي طالما حامت طيور الافكار على نشره خصوصاً وهو « اكبر ينبوع للقلقشندي في صبح الاعشى » — من احسن ما تخدم به هذه اللغة لانه مادة مهمة في الادب والتاريخ والصناعات والاثارات ، وأهم ما يُغتبط به ان المؤلف من كبار المحققين كتب ما كتب بذوق كامل وفهم غريب ، ولم يطبع من كتبه غير « التعريف بالمصطلح الشريف » وهو مادة واسعة في حضارة عصره على صغر حجمه .

والباب الاول من هذا الكتاب في مقدار الارض وحالها وكريتها والبرهان عليه

قال فيه ان المكوكب « فلك البروج » في رأي فلاسفة الاسلام هوالمعبر عنه عند الشريعة الشريفة بالكرسي ، والاطلس هوالمعبرعنه عندهم بالعرش (ص١٨) ونقل عن شيخه فريدالدهر (٣١) ابي الثناء محمود بن ابي القاسم الاصفهاني جملة هذا نصها : « لا امنع ان يكون ما انكشف عنه الماء في الارض من جهتنا منكشفاً من الجهة الاخرى ، واذا لم امنع ان يكون منكشفاً من تلك الجهة لا امنع ان يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ماعندنا او من انواع واجناس أخرى » فعلق الناشر على ذلك بقوله : « للاصفهاني (وهو بمصر) فضل السبق على كرستوف كولومبس (وهو بالاندلس) لانه قال بهذه النظرية قبله بقرن ونصف قرن . وللاصفهاني فضل اكبر على مكتشف امريكا : لانه تخيل وجودها بقوة الفطنة والاستدلال ، واما كولومب فتخيل فقط وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب . توفي ابوالثناء في سنة ٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م » . واما كولومب فقد اجتهد في اقناع فرديناند وايزابلا صاحبي الاندلس بصدق نظريته في سنة ١٤٩٢ ميلادية (الموافقة لسنة ٨٩٨ هـ) اهـ » .

وتكلم المؤلف بعد اشباع الكلام على الارض وصفاتها وتقويمها وطبيعتها في الارتباط بين الكائنات الحية وبين الارض فذكر الجبال واتصالاتها على ما كان يتخيله الناس في عصره وكذلك الانهار ، وقال المؤلف ان الامير ابا دبوس بن ابي العلى ابي دبوس ووالده آخر سلاطين برالعدوة من بني عبدالمؤمن وصل الى بحرة النيل الاعلى وان عالماً مغربياً أقام بالسودان ٣٥ سنة وأخبر المؤلف عن اصل النيل وتوغله لمعرفة منبعه اي ان المسلمين اكتشفوا منابعه قبل الافرنج . وأفاض في الآثار البينة في اقطار الارض فعد منها الكعبة والمسجد الحرام المحيط بها ، وما هناك من مقامات ومشاهد ، والمسجد النبوي ، والمسجد الاقصى ، وقبر الخليل ، ومسجد دمشق ، وبعض المزارات في عصره ، والبيوت المعظمة عند الامم ، والآثار المشهورة بالصين وتركستان وفارس والعراق والشام والحجاز واليمن ومصر وبلاد المغرب والاندلس ، والقصور المشهورة ، وختم هذا الجزء في وصف الديارات والحانات المستفيضة الشهرة . وهذا الفصل استغرق ١٤٠ صفحة او اكثر من ثلث المجلد وهو برأسه كتاب ادب واجتماع لطيف جداً يسلي الحزين ولا نذكر اننا اطلعنا في شيء من كتب الادب على وصف الحانات ، فان ذلك مما قد

يتبرم به اهل العصر على مابلغته الحرية في الغرب ، ولكن ابن فضل الله عدّه وعد ذكره من المألوف الذي لا يستنكر ، ولا يعاب صاحبه مهما بلغ من جلالة قدره .

والذي يزيد في فوائد مسالك الابصار ان مؤلفه ساح كثيراً ولاسيما في مصر والشام والحجاز ، وجل ما كتبه من تحقيقه الخاص والناشر اثابه الله لم يغفل عن التنبيه على مواطن الفائدة من كلامه فعنون لها بعنوانات تلفت النظر اليها مثل قوله في (وصف الحرم المقدسي ومزاراته الى سنة ٧٤٣ هـ تصنيف خاص به لاحمد بن امين الملك) (وصف فني عربي للبناء على الطراز العربي) (مشهد الحسين بن علي بن ابي طالب بعسقلان) « والمؤلف ينكر وجوده بالقاهرة ويقول ان الاغلب انه لم يتجاوز دمشق وان العباسيين حملوا أعظمه فيما بعد ودفنوها بالمدينة المنورة » عناوين أشبه بعناوين الصحف الراقية لعهدنا عند تدوين الحوادث اليومية الكبرى ! والمؤلف من كبار الكتاب في عصره برع في الوصف ، ولم يكن في الشعر أضعف من شعراء دهره ، وربما فاقهم في بديهته في الفنين كما يفوق كثيرين بعلمه واجتهاده ، ومما وصف به السموات المسطحة في مسجد قرطبة قوله : ضروب صنائع من الضروب المسدسة والمدرّب ، وهو صنعة الفص وصنعة الدوائر ، والمداهن ويشبه بعضها بعضاً ، بل كل سماء منها مكتف بما فيه من صنائع قد أحكم ترتيبها ، وأبدع تلوينها ، بالوان الحمرة الزنجفرية ، والبياض الاسفيداجي ، والزرقة اللازوردية ، والزرنوق البـاروتي ، والخضرة الزنجـارية ، والتكحيل النقسي .

ومن فوائده ماقاله في الفسيفساء وصنعها وهو مما لا يكاد يوجد له اشارة في شيء مما بايدينا من الكتب وهاك ماقال : « والفسيفساء مصنوع من زجاج يذهّب ثم يطبق عليه زجاج رقيق ، ومن هذا النوع المسحور (لعله المسجور) واما الملوّن فمعجون ، وقد عمل منه في هذا الزمان شيء كثير برسم الجامع الأموي وحصل منه عدة صناديق وفسدت في الحريق الواقع سنة اربعين وسبعمائة وعمل منه قِبَلي الجامع التنكزي ما على جهة المحراب ، غير انه لايجيء تماماً مثل المعمول القديم في صفاء اللون وبهجة المنظر ، والفرق بين الجديد والقديم ان القديم قطعة متناسقة على مقدار واحد ، والجديد قطعه مختلفة . وبهذا يعرف الجديد والقديم اه » .

وعلى الجملة فان هذا الجزء برمته مما يستفاد من كل صفحة من صفحاته والناشر حبب مطالعته الى القارئ باحلاه به في كل نكتة وكل فصل و باب من العناوين في الهامش والحواشي المفيدة في أسفل الصفحات وفي آخر الجزء . وقد قطع جمل المؤلف التي ابقاها بحالها ، وجعل بينها فواصل واشارات ونقطاً ليسهل متناولها . ولولم يكن في نشر امثال هذه الاسفار الاحياء فصح كثيرة من اللغة تعاد الى الاستعمال لكان اعظم بها من فائدة . من ذلك ان المؤلف استعمل الفاظ «شمعدانات» «درابزين» «شحم ولحم» لنوع من صناعة البناء « روحان في جسد » من مصطلحات البناء « عمودين شمعية» « البساتل ملبسة بالنحاس الاصفر » «ملفوفة» «مثعبنة» « لوح الرسم » وهو المعروف الآن بالخريطة الجغرافية «لوح الدائرة» فسرها الشارح بانها الخريطة الجامعة التي نسميها الآن مابوند تعريباً للفظة افرنسية (Mappemonde) نتقبل اي تُلزم . و « في ثخائن السور خزائن » اي المحال التي فيها سمك كثير ويجمع المؤلف ديراً على ديارات وديرة وديارة ونحن نجمعها على أديار . واستعمل لفظ العُمر «بضم العين» للدير الكبير والجمع اعمار ومن سجعات بدائع البدائه « تعاطينا العمل فيه على عادة الشعراء الذين قطعوا طريق الاعمار ، بطروق الاعمار ، وضيعوا العين والعَقار ، في تحصيل العين والعُقار » . « جرياً على عادة خلفاء البلغاء ، وظرفاء الادباء ، ومجان الشعراء ، الذين نبذوا الوقار بالعراء ، فقطعوا طريق الاعمار ، بطروق الاعمار » .

واُطلق ديراني وديرية على ساكن الدير وساكنته مثل مانقول راهب وراهبة وجمع لفظ صليب على صُلُب وعلى صلبان نادراً وجمع جماعة على «جمائع» (٣٦٦ و٣٦٩) واستعمل «الطنجير» لهذا القدر الذي يطبخ به والعامة يقولون « تنجرة » زعموا انها تركية الاصل واستعمل «شورباة» للحساء الذي نقول له «شوربه» عن الفارسية شورباج و «الدشيش» لهذا الصنف من العدس المجروش و «الاصلاص» (٣٨٠) جمع صلصة من (Salsa) الطليانية واللاتينية و (Sauce) الفرنسية . ولم يقصر الشارح في التعليق على الفاظ المدن والانهار والاشخاص وغيرها بما يقابلها من اللغات الافرنجية او يرجعها الى اصلها الاعجمي مثل «مرتيان» Marcianus «الخندروس» Alexandrus «الاشتاديو» Stade وهو يساوي ثمن الميل والميل ٤٠٠٠ ذراع «القنباص» Compas و«نهر أتيل»

(فولجا Volga أكبر انهار اوربا) « بحر الظلمة الجنوبي » هو نهر النيجر بحر الانقليشين تعريب لفظة English بصيغة الجمع العربي ومعناه بحر الانكليز وبلاد الهياطلة Les Huns « أطرابلس الغربية » Tripoli de Barbarie هيكل الزهرة Port - Vendres وادي آش Guadix واستعمل « المبازل » جمع مبزل وهو المثقب اي الآلة التي تثقب بها الدنان والبراميل ليسيل ما فيها و يسمى عند الفرنسيين (Canule, Canette. Cannelle) و يطلق على ما يطلق عليه المبضع عند الجراحية ·

وهنا أستميح عفو الاستاذ الناشر مأخوذين بحلمه وعلمه فنعرض عليه بعض هنات وقعت في الطبع في بعض الاعلام ببلاد الشام ، منها تشديده ياء « سَلَمِيَّة » المدينة المعروفة وقد وردت (٣٢٨ و٣٢٩) في شعر المتنبي بالتخفيف ونص البكري في معجم ما استعجم انها من جملة مايخفف من اسماء البلدان قال : سلمية بفتح اوله وثانيه و كسر الميم وتخفيف الياء من ثغور الشام معروفة قاله ابو حاتم ، قال وكذلك سُلُقية وروميه وأنطاكية مخففات الياء كاهن · وشدد السين من جبة «عسّال» الصواب تخفيفها وهي الى اليوم معروفة بعسال الورد في جبل قلمون وأعجم السين من « سرعين» (٢١٥) و «سميساط» (١٩٤) والدال من جدر فقال شرعين وشميشاط وجذر ونص الذهبي في المشتبه في اسماء الرجال على المدرسة السميساطية فقال : السُّمَيساطي الشيخ ابو القاسم علي بن محمد من اكابر الرؤساء بدمشق حدث عن عبد الوهابي الكلابي ووقف الخانقاه وبمعجمتين ولا ياء الشمشاطي ابو الربيع محمد بن زياد الشمشاطي روى عنه منصور بن عمار وطائفة من اهل شمشاط · ونص في مكان آخر ان السميساطي بمهملتين · وقال السيوطي في تحرير الانساب السميساطي بالضم وفتح الميم والمهملة بينهما تحتية ساكنة الى سُمَيْساط بلد بالشام · وتعرض السمعاني في الانساب للسمياطي ايضاً وقال ان هذه التسمية بضم السين المهملة بعدها ميم وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وبعدها سين أخرى مفتوحة ···· وأعجم الدال من بلودان (٣٥٨) وسدوم فقال بَلوذان وسذوم والاولى بدون اعجام وقال (٨٢) «حمة جدن» بالنون والصواب جدر بالراء وهي « ام قيس» المعروفة اليوم بمكيس احدى المدن العشر المعروفة في التوراة

وكانت عامرة على عهد المسيح وهي على ثلاث ساعات غربي إربد على رأس الجبل المشرف على وادي اليرموك وتحت هذه القرية على شاطئ اليرموك الايمن ارض الحَمّة التي فيها عدة ينابيع حارة (راجع قاموس الكتاب المقدس لبوست) وقد نص ان حمة ام قيس (جدر) من جملة ينابيع الأردن · وكانت جدر في الاسلام احدى كور الأردن قال ابو ذؤيب :

فما ان رحيق سبتها التجـا ر من أذرعات فوادي جدر

وقال شيخ الربوة : « ثم نهر يصب في بحيرة طبرية ويخرج من الحَمة التي لقرية يقال لها جدر » · وقال «جسر يعقوب» والصواب « جسر بنات يعقوب » و « جسر الصنّبرة » والصواب « جسر الصنبرة » بالكسر ثم بالفتح والتشديد ثم سكون الباء الموحدة وراء وهو موضع بالأردن مقابل لعقبة أفيق ويقال (فيق) بينه وبين طبرية ثلاثة اميال كان معاوية يشتو بها — قاله ياقوت في المعجم · وذكر « الفوّار والمدان » من الانهار التي تمد الأردن ، والأرجح «دان» وهي تل القاضي على مارجحه شراح التوراة ويسميه اهل تلك الجهات اليوم نهر اللدّان · وفي (ص ٨١) « ينزل العمقا الى انطاكية» والصواب «العَمْق» البحيرة المعروفة وقال في حواشيه «الانصارية والنصيرية» وليس على ذهننا اسم الانصارية في هذا الجبل وقال « ان شرقي بصرى قرية تعرف بدنبين » ونظن انها « ديبين » وهي قرية من عمل جبل الدروز اليوم شرقي حوران · وادعى الشارح في حواشيه (ص٦) او « تصويباته وتصحيحاته » ان نصيبين سماها الاتراك « نزيب » تمييزاً لها عن نصيبين التي بالعراق ، والحقيقة ان نزيب هي غير نصيبين وهي معروفة وبجوارها كانت ملحمة ابراهيم باشا المصري مع عسكر العثمانيين في القرن الماضي · وكذلك لم يصب شاكلة الصواب في دعواه ان الاتراك أطلقوا لفظ إربل باللام على «إربد» من بلاد عجلون اليوم المعروفة قديماً بجبل عوف تمييزاً لها عن اربل الشهيرة بارض الموصل فان لفظ اربد بالدال لم يتغير منذ الزمن الاطول وعبارة ياقوت فيها هكذا :

« أربد بالفتح ثم السكون والباء الموحدة قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين الطريق المغرب ، بها قبر ام موسى بن عمران (عم) وقبور اربعة من اولاد يعقوب (عم) وهم دان وايساجار وزبولون وكاد فيما زعموا » ونظن ان ياقوت وَهِم في اربد لجعلها بفتح

الالف وان كان تحريف العامة اليوم وقبل اليوم لا يعتدُّ به كثيراً ٠ وفي هذه القرية مات يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥ قال الطبري ومات بأربد من ارض البلقاء وصلى عليه ابنه الوليد الخ ٠ وهذه اربد من جبل عجلون بعينها وفي قاموس الكتاب المقدس : « بيت اربئيل (بيت دارالله اومكمن الله) (هو ١٠ : ١٤) اربله وهي اربد الحالية شرقي بحر طبرية » ٠ وقد أخطأ الاستاذ بول (Buhl) بقوله في المعلمة الاسلامية ان إربد او أربد هي ايضاً اربئيل القديمة وهي في البلقاء على ١٢ ميلاً غربيًّا من بيْسان وهي التي هلك فيها الخليفة يزيد الثاني ٠ فانه ليس في تلك الجهات بهذا الاسم الا اربد هذه ولعله تسرب اليه الوهم من قول الطبري انها في ارض البلقاء ٠ والبلقاء ليست محدودة على ما ينبغي فقد قال ابو الفدا في تقويم البلدان انها احدى كور الشراة وقاعدتها حُسبان والبلقاء عن اريحا على مرحلة واريحا عن البلقاء في جهة الغرب ٠ وقال ان جبل الشراة في جنوبي البلقاء وخلفه البرية ٠ ومن قبله قال ياقوت : البلقاء كورة من اعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عَمَّان ٠٠٠ ومن البلقاء قرية الجبارين ٠٠٠ وقال قوم و بالبلقاء مدينة الشراة شراة الشام ٠٠٠ و بالجملة فان دعوى ان اربد أطلق عليها الترك لفظ اربل ليميزوها عن مدينة اربل الموصلية لا سند لها في كتب التاريخ ولا الجغرافية وكذلك ابدالهم نصيبين بنزيب والله اعلم ٠

محمد كرد علي

الفاشيزم

« او النهضة الايطالية الحديثة »

تعريب السيد محمد محفوظ الكردي ٠ طبع بمطبعة النهضة العربية في حلب سنة ١٩٢٦ ص ١٤٣

يجب الترحيب بكل مايترجم للعربية مما ليس فيها لانه يزيد مادتها وينير الافكار خصوصاً اذا كان الموضوع جليلاً وعُرّب بأسلوب جميل يخرجه عن الاعجمية ٠ ولقد قلنا ولا نزال نقول ان النقل عن التركية ، والتركية تنقل عن الافرنسية ، مما يزيد المنقول تشويشاً يعبث بالملكات ولا يستفيد معه الناس منه شيئاً كثيراً ٠ وهذا الكتاب مثال

من ذلك فان المعرب نقله عن المؤرخ التركي علي رشاد بك وهذا نقله بالطبع عن لغة اجنبية والترجمة لا تخلو من اغلاط لغوية ونحوية وبيانية مما لا يتجوز به في هذا العصر الراقي . اما موضوع الكتاب فهو مهم في قيام الامم والاحزاب لان « الفاشيزم » وقى ايطاليا من السقوط في « البلشفة » اي الاشتراكية المتطرفة مع فرط استعداد الشعب لها ، وفيه حياة السنيور موسوليني الحاكم المطلق في تلك البلاد وكيف نشأ وكيف نجح وأثر في أمته بلسانه وقلمه فكان منه ان قادها الى ما أراد رغم شدة الاحزاب القديمة القوية . م . ك

كتب ورسائل منوعة

(١) « كتاب الهندسة » الجزء الثاني تعريب الاستاذ السيد احمد جودت الهاشمي استاذ الرياضيات في مدرسة التجهيز والمعلمين بدمشق طبع في مطبعة الترقي بدمشق (١٣٤٣ — ١٩٢٥ ص ١٩١) .

(٢) « الدروس الزراعية » الجزء الثاني والثالث تأليف الاستاذ السيد وصفي زكريا مدير المدارس الزراعيـة السابق في سورية وفلسطين طبع بمطبعة الترقي بدمشق (١٣٤٣ — ١٩٢٥) الجزء الثاني يقع في (١٤١ ص) . والثالث في (١٩٤ ص) مع الرسوم والاشكال .

(٣) (سليم سركيس) وهي رسالة فيما قيل في حفلة تأبينه جمعها السيد جرجي نقولا باز وطبعت بالمطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٢٠) .

❊ معاونة أدبية ❊

اعطى السيد (محمد حاجو قولي) من تجار حلب الى المجمع العلمي خمساً وعشرين ليرة سورية يصرفها فيما يراه نافعاً من خصوصياته فشكره المجمع على تلطفه وسماحه .

زيارة المفوض السامي

زار المفوض السامي مجمعنا العلمي فدخل اولاً المدرسة الظاهرية حيث مكتبة المجمع الكبرى ثم المدرسة العادلية فتفقد غرفة القراءة فغرف الآثار واحدة فواحدة ثم بهو المحاضرات وكان أثناء تجوله يتفرس في كل مايقع عليه نظره من التحف والآثار ويعجب به ويبدي رأيه احياناً فيه وزار دائرة المجمع ونظر في خزانة كتبه وسأل عن ميزانية المجمع وما ألحق به من دار الكتب ودار الآثار فلما علم بمقدارها استقله بالنسبة الى ماشاهده من حالة المجمع وارتقائه في هذه المدة القليلة ووعد ان يخصص للمجمع مبلغاً يكفي لشراء كتب قديمة وحديثة من مطبوعات اوربا تفيد في تاريخ الشرق والعرب وآدابهم وأوعز الى مستشار المعارف ان يكتب اليه بصفته (اي بصفة المفوض السامي) رئيساً لجمعية التعاون الدولي الادبية — بلزوم تعيين مبلغ مناسب من ميزانية المفوضية العليا يخصص راتباً لاحد المستشرقين الاوربيين من اي امة كان بشرط ان يكون متخصصاً بتاريخ الشرق وكتبه وآثاره فينضم الى هيأة المجمع ويعمل على تنظيم مكتبته بحسب آخر الطرائق التي وصل اليها هذا الفن في اوربا . وأجاب اقتراح رئيس المجمع من ارسال طالب سوري الى (مدرسة السجلات) في باريز ليدرس (فن تنظيم الكتب) وكيفية استخراج المخطوطات الاثرية في (مدرسة السجلات) المذكورة حتى اذا اتقن هذا الفن قام مقام المستشرق المذكور . ووعد انه سيفاوض طابعي الكتب في اوربا بشأن إهداء المجمع ماطبعوه من الآثار الحديثة . وسيبذل الجهد في نشر اخبار المجمع العربي الى البلدان الاوربية كافة وسائر رجالات العلم الذين يهمهم امر الشرق وتاريخه . كما وعد باخلاء بناية (مدرسة الملك الظاهر) التي يشغلها المكتب الابتدائي فتجعل المدرسة كلها دار كتب على النمط الحديث . ثم زار سعادة المسيو بيراليب المندوب السامي فوق العادة في دمشق وجبل الدروز — دار المجمع العلمي واعطى رئيسه خمسمائة ليرة سورية باسم فخامة المفوض السامي المشار اليه ليصرفه المجمع على اعماله النافعة فقدم الرئيس باسم رصفائه شكر المجمع العلمي على هذه الغيرة على الآداب والعطف على المعارف وسجلها للمحسن الكريم في سجلات المفضلين على المجمع .

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) مايس سنة ١٩٢٦ م الموافق شوال وذي القعدة سنة ١٣٤٤ هـ ص٦

نموذج من معجمنا

« في العامية المصرية »

— ٣ —

سنفر

سنفرة الخشب يريدون بها حكّ صفحته بشيء خشن بعد نحجه بالفأرة [١] مبالغة في تسويته وتنعيمه وكذلك سنفرة الحائط بعد تجصيصه لصقله وتنعيمه . ويستعملون لذلك ورقًا مرملاً يبري مايحكّ به لخشونته يسمونه ورق السنفرة بفتح فسكون وبعضهم يفخم السين او يجعلها صاداً خالصة . وسماه بعض العصريين بورق الزجاج وهو ترجمة (Papier de verre) ويقال له ايضاً (Papier sablé) اي الورق المرمّل . ولا حاجة الى التعبير بكلمتين عن هـذا الورق كما لا حاجة الى استعمال السنفرة بعدما عرف العرب هذا العمل وعبروا عنه بالسَفْن بفتح فسكون فقالوا سفنه سفناً بالتخفيف وسفّنه بالتشديد وهو في الاصل القَشْر واستعملوه في أنواع منه : منها هذا ومنها الحك بحجر او حديدة للتسوية وسموا ما يُحك به السَفَن بفتحتين . ولكنهم لما كانوا يجهلون

(١) الفأرة من كلام العامّة الا انهم يخففون همزتها وهو جائز ويريدون بها آلة ذات شفرة يقشر بها الخشب ويرادفها من الفصيح المسحج كمنبر . ولا نرى بأساً من استعمال الفأرة على التشبيه بفأرة الحيوان لانها على هيأتها في الجملة كما سمت العرب نافجة المسك بالفأرة لانها على هيئتها .

الورق المرمّل استعاضوا عنه بالجلد الخشن قال في اللسان « السَفَن جلد أخشن غليظ كجلود التماسيح يكون على قوائم السيوف وقيل هو حجر يُنحت به و يليّن وقد سفنه سفناً وسفّنه . وقال ابو حنيفة السَفَن قطعة خشناء من جلد ضبّ او جلد سمكة يسحج بها القِدْح حتى تذهب عنه آثار المبراة وقيل السفن جلد السمك الذي تحك به السياط والقِدْحان والسهام والصحاف و يكون على قائم السيف وقال عدّي بن زيد يصف قدحاً:

(رمّه الباري فسوّى درأه غمزُ كفيه وتحليقُ السَفَن)

انتهى . والمسنفر بصيغة اسم المفعول تطلقه العامّة ايضاً على الزجاج الذي أزيل شفوفه وقد وضع له الاستاذ اليازجي (الزجاج المعطّش) وقال انه « تعريب قولهم Dévitrifié وهو من التعريب بما يصح ان يقوم مقام اللفظة لا بما هو مرادف لها في الوضع » و يظهر وجه هذه التسمية لمن يراجع صفة عمل هذا الزجاج بالضياء (ج ٤ ص ٤٣٢) .

شكم

شكم الفرس بمعنى جذب عنانه جذبة قوية ليكبح جماحه واصل الشكم في اللغة وضع الشكيمة في فم الفرس وهي حديدة في اللجام معترضة في الفم ، ومنه شكمت الوالي اي رشوته كأنك سددت فمه بالشكيمة وليس في معنى الشكم لغةً ما يفيد الجذب . والشكيمة بمعنى هذه الحديدة مما أماتته العامة وأبقت على فعله ولكنها استعملته في جذب العنان لانه سبب في نشوب الشكيمة في فم الفرس اذا لم يكن دخيلاً في العامية من (چكمك) بالجيم الاعجمية بمعنى مطلق الجذب في اللغة التركية فجعلته العامة بالشين الخالصة وخصته بالعنان .

ومن المجاز عندهم استعمال الشكم بمعنى ارجاع المرء عن تماديه في قول اوفعل يقولون (شكمته في كلامه) اي أرجعته و (فلان شكم ابنه) اي أرجعه عن غيه . واستعمل ابن اياس النخع للشكم فقال في حوادث سنة ٨٩١ من تاريخه « فلما كان اليوم الثاني من انكسار الصاري ركب السلطان على فرس وسيّر في الحوش ثم ساق ونخع الفرس باللجام فشبّ به وانقلب على السلطان فسقط الى الارض وبقيت رجله تحت جنب الفرس » والنخع بهذا المعنى عاميّ ايضاً .

والعرب تقول في هذا كبح وأكبح وأكمح وأكفح وشجر قال في اللسان « الكبح

كبحك الدابة باللجام : كَبَح الدابة يكبحها كبحًا واكبحها الاخيرة عن يعقوب جذبها اليه باللجام وضرب فاها به كي تقف ولاتجري يقال اكمحتها واكفحتها وكبحتها قال الجوهري هذه وحدها عن الاصمعي بلا ألف وفي حديث الافاضة من عرفات وهو يكبح راحلته هو من ذلك كبحت الدابة اذا جذبت رأسها اليك وانت راكب ومنعتها من الجماح وسرعة السير » . وفي اللسان ايضًا « وفي حديث العباس قال كنت آخذاً بحكَمَة بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وقد شجَرتها بها اي ضربتها بلجامها أكفها حتى فتحت فاها » .

الصوفان وصوفن

الصوفان بضم اوله قطن يعالج ليجعل حرّاقًا يشتعل بالقدح على الزناد وكانوا يستعملونه قبل ان يعرفوا عيدان الثقاب . سموه بذلك لانه يصير بعد المعالجة كاللبد اي الصوف المتلبّد . وكان لهم في عمله عدة طرق أشهرها انهم يعمدون الى سبيخة من القطن فيبدّونها بالماء ثم يحكّونها بذفرى شاة اولحاء شجرة فاسدة الجذع حتى تتشرّب من عَرَق الذفرى او مما يسيل من اللحاء فيجففونها في الشمس . ومنه ما يعالج بمحروق ثمرالجمّيز الفجّ او بموادّ أخرى لاحاجة لذكرها . ثم لما ظهر ورق الثقاب الذي يشتعل بحك رؤوسه سموه ايضًا بالصوفان وهو المستعمل الآن بالريف والصعيد . وكان لهم شيء آخر يشعلونه بالقدح وهي خيوط تفتل كالذبالات يسمونها (اليَدَك) تكلمنا عليها في حرف الياء . ولم نر لفظ الصوفان مذكوراً في كتاب قبل زمن الجبرتي ولا نذكر اننا رأيناه في تاريخه الا في موضع واحد وهو في قوله في حوادث سنة ١٢٠٢ « وفيه اشتدّ العسف في الرعية بسبب طلب السلفة وتعدّى الحال الى بيّاعين الخلال والصوفان وتضرر الفقراء من ذلك » .

والعرب تسمي الصوفان الحرّاق بالضم وتشديد الراء والحراق والحراقة بالضم والتخفيف فيهما والحروق بفتح فضم والحرّوق كتنّور والحروقاء بفتح فضم وفسّروه بما تقع فيه النار عند القدح وقال ابوحنيفة هي الخرق المحرقة التي يقع فيها السقط وفي التهذيب هو الذي تورى به النار . قلنا والذي كثر استعماله من هذه الصيغ بعد زمن

العرب الحرّاق بالضم والتشديد ومنه ماأنشده صاحب مطالع البدور للشريف العقيلي :

وأدهم من خيول الجوّ وافى فثار من الضباب له غبار
اذا أبدى صهيل الرعد منه لوحش المحل داخله نفار
أُشبهه ولمع البرق فيه بحرّاق تمشّت فيه نار

وأنشد تقي الدين الراصد في مجموعه لابن عنين :

ما إن مدحتك أرتجي لي نائلاً فحرمتني فذممتُ باستحقاقي
لكنني عاينت عرضك أسوداً متمزّقاً فقدحت في حرّاق

ولشهاب الدين الفيومي ومن ديوانه نقلته :

كأنما في السويدا من لظى شغفي شرارة قدحت في طيّ حرّاق

وجاء في تاريخ الوزراء للصابئ في كلامه على جهاز جارية للمعتضد « ثم تذكّر فقال يحتاج ان يكون مع ذلك كبريت وحرّاق وأحجار النار وسُرُج ونقدّم باحضار ذلك فأحضر » .

ثم اشتقت العامة فعلاً من الصوفان فقالت صوفن[1] وأرادت به فساد الخبز بظهور بياض وخضرة عليه وهو على التشبيه لانه يكون في هذه الحالة كالصوفان اي في صورة الصوف المتلبّد . والعرب تقول كرج الخبز كفرح واكرج وكرّج بالتشديد وتكرّج اذا فسد وعلته خضرة . وتقول عشِم الخبز اذا يبس وتكرّج والعَيْشم الخبز الفاسد اسم لا صفة . وتقول تسنّه الخبز ومعنى التسنّه التكرّج الذي يقع على الخبز والشراب وغيره .

ضوّي

الضوّي بفتح الاول وتشديد الواو المكسورة وبياء النسبة في آخره كان يطلق

(١) بضم اوله ضمة كالحركة الناشئة من حرف o في الافرنجية واصله الفتح وكل فتحة سبقت واواً ساكنة في كلمة تضمها العامّة بهذه الحركة نحو يوم ونوم وصوفن وسورق . وما كان يائياً تميله نحو ليل وعين الا ما شذّ وهو قليل كما بيناه في قواعدهم بالمقدّمة .

على حامل المشعل قبل ان يعم النور في طرق المدن الكبيرة كالقاهرة والاسكندرية فكانوا يشعلون كسارات الخشب في المشاعل ويعدون بها أمام عجلات العظماء لتنير لهم الطريق واكثر ما كانوا يفعلون ذلك في ليالي رمضان حيث يكثر التزاور والسهر . ثم لما عمّ النور في اكثر الطرق بطل حمل المشاعل وبقي اسم الضوّي في الغالب للخدم الذين يرسلون في الحاجات ولا سيما خدم الدواوين ثم قلّ استعماله في ذلك ايضاً ولم يبق منه بالمعنى القديم الا الذين يسافرون مع قوافل الحاجّ .

واطلاق الضوّي على حامل المشعل قديم يرتقي الى قرون فقد رأيناه في أشعار لاهل القرن السابع وعبّر به ابن فضل الله العمري في المسالك في كلامه على ركب المحمل فقال « بطليعة وساقة وضوّية في أوائل الركب وأوسطه وآخره » وفي صبح الاعشى في كلامه على نظر الدواوين « السابعة الخدمة بديوان الرواتب وفيه مرتبات الوزير فمن دونه الى الضوّي » . وعبّر به المقريزي في السلوك في كلامه على وصول الحرة من عند سلطان فاس الى مصر في ذهابها للحج واحتفاء السلطان بها في عبارة طويلة نقلها عنه المقّريّ في نفح الطيب يقول فيها « وتقدم السلطان الى النشو والى الأمير احمد أقبغا بتجهيزها اللائق بها فقاما بذلك واستخدما لها السقّائين والضوّية وهيئا كل ما تحتاج اليه في سفرها » انتهى . وجاء في خططه في الكلام على موسم السنة مدة الفاطميين وما كان يفرّق فيه من الطعام وأنواع الحلوى « فيعم ذلك سائر الناس من خاص الخليفة وجهاته (١) والاستاذين المحنّكين الى ارباب الضوء وهم المشاعلية وينتقل ذلك في أيدي أهل القاهرة ومصر » فعبّر هنا بارباب الضوء ولم يقل الضوّية . وقال الجزيريّ في درر الفرائد المنظمة في كلامه على سير قوافل الحاجّ والمحافظين عليها « وشخص من الضوّية يكون يقظاً ليلاً بشعله في الساقة يطوف بها ويفتش تحت شجر أم غيلان على النائم والغافل والمنقطع فينبه النائم ويذكّر الغافل وللضوّي المذكور جامكية (٢) من ديوان السلطنة الشريفة » وهو يعبّر به كثيراً في هذا الكتاب .

(١) جهات الخليفة نساؤه كما يقال الآن حرم وتكلمنا على ذلك في حرف الجاء من المعجم . (٢) أصلها في الفارسية جامكي ومعناها ما ينقد على القيام بعمل ثم غلب استعمالها بعد ذلك فيما ينقد مشاهرة ويرادفها من الفصيح الطمع والرزق .

واصل هذا اللفظ ضوئيّ نسبة الى الضوء وبذلك وجهه الجزيري في درر الفرائد المنظمة فقال « مقدم الضويّة والغشّامة وهو عبارة عمن يكون مقدماً لرجال المشاعل نسبة الى ضوئها حال ايقادها والغشّامة مفرده غشّام نسبة الى ما يتصفون به من الغلظة » الخ . فاذا كنا لم نزل في حاجة الى استعمال هذا اللفظ لمن يحملون المشاعل في قوافل الحاجّ فهذا أصله .

وعبّر ابن بطوطة في ثلاثة مواضع من رحلته بالدوادوية لحاملي المشاعل بالهند فقال في أحدها « ويكتري الفراشين وهم الذين يضربون السراجة [1] ويفرشونها ويرفعون الاحمال على الجمال ويكتري الدوادوية وهم الذين يمشون بين يديه ويحملون المشاعل بالليل » . وهو فارسي الاصل الواحد دَوادو وهو خادم يستخدم في دنيء الاعمال كغسل الأواني وحمل الطعام وغيره ويسميه الأتراك بالسرايدار تخصوه في الهند بمن يحمل المشعل . وليس ببعيد ان يكون استعمل لذلك في الدول التركية بمصر ثم حرّف الى الضويّة ولكن الأذهب الأول .

وقال ابن أياس في حوادث سنة ٩٢٤ من تاريخه « ثم نزل الزيني بركات بن موسى من القلعة في موكب حافل وقدّامه الملاليّة والمشاعل بالفوط الزركش عليها والانكشارية بالنفوط قدّامه » ولم أحقق هذا اللفظ ولم أذكره الا لان هذه العادة باقية الى الآن بمصر ولا سيما في مواكب الزواج والختان والقدوم من الحج فانهم يسيرون فيها حاملي المشاعل بالنهار وهي مغطاة بالشقق الملوّنة غير موقدة وهم في أبهى لباس من الحرير الشاهي والقطني .

وجاء في ترجمة صاعد بن يحيى الطبيب من أخبار الحكماء للقفطيّ ما نصه : « الى

(١) السراجة بالجيم الأعجمية فسرها ابن بطوطة قبل ذلك بانها التي تسمى بالمغرب بالأفراج وهي التي تدار حول الخيمة ثم تظلل . قلنا اي الشقق التي تضرب كالحواجز ثم تظلل فتكون منها الخيمة وهي التي تسمى عند الفصحاء بالسرادق وعند العامة بمصر بالترك بفتح فسكون و بالتركك بضم فسكون وقد تكلمنا عليها في حرف التاء من المعجم . وأصل السراچة في الفارسية الدار الصغيرة مركبة من سراي بمعنى الدار ومن (چه) وهي علامة التصغير وحذفت الياء من سراي في التركيب .

ان وصل الى باب خربة الهراس والقاتلان تابعان له فبصر بهما واحد وصاح خذوهم فعادا اليه وقتلاه وجرحا النفّاط الذي كان بين يدي الحكيم » وفي القصة انهما فعلا ذلك ليلاً اي ما يدل على ان النفّاط حامل الضوء وقد رأيته كذلك بالتصريح في قصة حكاها سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان عن العماد الحلي الفقيه فقال : « حكى لي قال دخلت ليلة الى العادل في قلعة دمشق فخلع عليّ خلعة بطيلسان فخرجت في الليل واذا بنفاط قائم وبيده مشعل فلما رأى طيلساني ظن أني القاضي (١) فمشى بين يدي بالمشعل فمشيت الى باب البريد أُريد الأمينية (٢) فلما وصلت الى دار سيف أخذت الطيلسان فجعلته في كمي وقصرت في المشي فالتفت النفّاط ولم ير الطيلسان فقال ياسيدي ابن مشى القاضي فأشرت الى ناحية مدرسة نور الدين وقلت داره عند المدرسة فمضى عني وخلصت منه » . والظاهر انه سمي بذلك لان مشعله كان يضاء بالنفط ولعله من النوع الذي كانوا يسمونه بالنفّاطة وهو على ما في القاموس ضرب من السرج يستصبح به او ان يكونوا أرادوا به في الاصل حامل هذا النوع ثم استعملوه في حاملي المشاعل على الاطلاق . ولم نقف فيما اطلعنا عليه من النصوص اللغوية على وصف لهذه النفّاطة كاشف عن صورتها وتركيبها ولكننا رأينا في درر الفرائد المنظمة للجزيري وصف مشعل من نوعها مفيد في تقريبها الى الاذهان وهو قوله عن ركب امير الحج « وتصحبه المشاعل للضوء وبعض الامراء صنعت له النفطية شيئاً من البارود الابيض يسمى عقوب الضوء فاذا وقع الصراخ في الركب يُجعل شيء من ذلك العقب في المشعل فيضيء اضاءة واضحة جداً بحيث لا يخفى السارق فيمسك عند ذلك .

(تتمة) استعملت النفّاطة والنفّاط في معان أُخرى فصلنا الكلام عليها في ع ر ة وساروخ وطوبجي ومدفع من المعجم .

* * *

(١) لان الطيلسان كان خاصاً بالقضاة وقد بينا صفته وتكلمنا عليه في موضعه من المعجم . (٢) مدرسة بدمشق بناها امين الدولة أتابك العساكر المتوفى سنة ٥٤١ او ٥٤٠ كما في تنبيه الطالب للنعيمي .

طابع الحُسْن

يريدون طابع الحسن اي خاتمه ويطلقونه على النقرة التي تكون في الذقن واستعمال طابع الحسن لهذه النقرة قديم عند المولّدين فقد انشد البدريّ في نزهة الانام في محاسن الشام لجمال الدين ابي الحسن عليّ الخزرجيّ في تفّاحة :

نفاحة محمّرة قد بدت تميلها الريح على غصن
كأنها خدّان قد جمّعا يلوح فيها طابع الحسن

ورأيته مذكوراً ايضاً في زجل لبعض المتقدمين وفي عبارة لبعض فضلاء القرن السابع في كتاب له في شراء الرقيق . واستعمل له المولّدون ايضاً جب يوسف وخاتم الحسن قال الشهاب الخفاجيّ في شفاء الغليل « جبّ يوسف مولّد معناه نقرة الذقن قال الاصفهانيّ :

أيا قمراً جار في حسنه على عاشقيه ولم ينصف
سمعنا بيوسف في جبّه ولم نسمع الجب في يوسف

ويقال له خاتم الحسن وهي مولّدة مأخوذة من لسان العجم » انتهى . وفي كتاب شراء الرقيق المذكور بيتان للثعالبي يقول في ثانيهما :

ويروعني ذقن له مستودع جبّاً ومن ذا الجبّ يطلع يوسف

والعرب تسمي هذه النقرة النونة بضم الاول وفسرها اللغويون بالنقرة في ذقن الصبي الصغير وفي حديث عثمان رضي الله عنه انه رأى صبياً مليحاً فقال دسموا نونته اي سوّدوها لئلا تصيبه العين . ولها أسماء أخرى ذكرها اللسان في مادة (نون) وأعاد ذكرها في موادها وفسرت فيها بمعانٍ أخرى ايضاً وهي الخنعبة والثومة بضم الاول فيها والهزمة والوهدة والقلدة والهرتمة والعرتمة بفتح فسكون فيها والحثرمة بكسر فسكون . وفي القاموس « الشَجْرة النقطة الصغيرة في ذقن الغلام » ولينظر ما المراد بالنقطة فان شارحه لم يتعرض الا لضبطها بفتح فسكون وكونها عن ابن الاعرابيّ .

(تتمة) العامة تسمي النقرة التي تظهر في الخد عند التبسم بالغمّازة وبالنُغرة وتكلمنا عليها في الغين والنون من المعجم .

احمد تيمور

تصحيح نهاية الارب

اغلاط الجزء الرابع

في ص٢ س٧ قال هشام بن عبدالملك (ماوجدت شيئًا ألذّ اليّ من جليس تسقط بيني وبينه مروءة التحفظ) صوابه (مؤونة التحفظ) اي ثقله وكلفته ·

وفي ص٦ س١٠ — قوله(أمرَ عدةً من مُوالياته) يريد بهن إماءه فصوابه(مَوْلَيَاته) بفتح اللام والتخفيف جمع (مولاة) او (مَوْلِيّاته) بالتشديد جمع (مولِيّة) وهي المرأة التي يلي أمرها والٍ عليها · اما (المُواليات) فجمع مُوالية وهي المناصرة ولا معنى له هنا ·

وفي ص٧ س٦ — قوله (وسار يريد مكة فلما بلغ الخليفة قيل له أحرمْ) صوابه (فلما بلغ ذا الحليفة) و (ذو الحليفة) ميقات أهل المدينة ·

وفي ص٨ س٢ — قوله (وأخرج له فضلةً من مُلّةٍ فأكلها) صوابه (فضلة من مَلّةٍ) بفتح ميم (مَلّة) لابضمها بل الصواب ان يقال (فضلةً من خبز مَلّة) بزيادة (خبز) لان (الملة) هي الرماد الحار الذي يُخبز عليه · ولا يخفى أن الرماد لا يؤكل وانما يؤكل الخبز قال الحطيئه ·

(حُفاة عُراة ما اغتذَوا خبز مَلّةٍ ولا عرفوا للبُرّ مذ خُلِقوا طَعما)

فقول المؤلف (فضلةً من ملّةٍ) توسع او تسامح في التعبير إن لم يكن غلطاً ·

وفي ص٩ س١١ — قوله (فتَنَتْه بدلالٍ وتخطى حاجبيها)

صوابه (و بخطَّيْ حاجبيهـا) تثنية خطّ · والخطوط الطِلاء الذي تخضب به المرأة حاجبيها ·

وفي ص١٠ س٧ — رأى رجلاً غليظ العنق (فقال اني لأرى لهذا عنقا مادقّتها العبادة) دقّ العنق كسرها ولامعنى له هنا فصوابه (ما دقّقتها العبادة) اي لم تجعلها دقيقة رفيعة او (ما رققتها العبادة) اي لم تجعلها رقيقة نحيفة ·

وفي ص١٢ س١٠ — قوله (واستُفتي القاضي ابوبكر بن فريعة) بالفاء وصوابه (ابن قريعة) بالقاف وهو قاضي السندية وغيرها من أعمال بغداد مشهور بحسن

بداهته في ما يسأل عنه وكانوا يهيئون له اسئلة غريبة المعنى ليسمعوا جوابه اللطيف عليها وقد توفي سنة ٣٦٧ هجرية .

وفي ص١٩ س٥ — قوله يصف جواري روميات : (مقرطقات بصنوف الحُلي) صوابه (مقرّطات) بتشديد الراء اي انهن قد علقن في آذانهن اقراطاً من صنوف الزينة ومختلف ضروبها . اما (مقرطقات) بطاء بعد الراء فمعناه انهن لابسات القراطق جمع (قُرطَق) وهو ضرب من الأقبية تلبسه فتيان الترك غالباً وليس هو من لبوس الجواري . والغلط هنا كالغلط في ما يروونه من قول عمر بن الوردي :

(مرّ بنا مقرطق   ووجهه يحكي القمر)
(قلت ابو لؤلؤة   منه خذوا ثار عمر)

فصوابه (مقرّط) مكان (مقرطق) بدليل قوله (ابو لؤلؤة) .

وفي ص٢٢ س١٩ — قال لها انك لرسحاء فقالت (ما نقصناه من الطست زدناه في المسينة) لا معنى للمسينة هنا فصوابها (المِشَنَّة) وهي كما في مستدرك التاج المكتل . فالجارية تقول انها ان كانت رسحاء وكان طستها ناقصاً فان مكتلها يجبر هذا النقص .

وفي ص٢٤ س٩ — قوله (قوموا واشحتوا معي) كذا بالتاء المثناة ولا معنى له وصوابه (اشحثوا) بالمثلثة وهو بمعنى (اشحذوا) بالذال . وشحث المسن وشحذه والشحاث والشحاذ واحد .

وفي ص٣١ س٢ — قوله (كان ابوك ألحى وانت أقط) (أقط) بالقاف وصوابه (أثط) بالثاء المثلثة يقال رجل ثطّ وأثطّ اذا كان كوسجاً خفيف شعر اللحية وهو المراد هنا لانه قابله بالألحى الذي معناه كبير اللحية اما القطط فهو قصر الشعر وجعودته والوصف منه (قَطٌ) لا (أقطٌ) كما في عبارة الكتاب .

وفي ص٣١ س٦ — قوله (لقي أشعبَ سالمُ بن عبدالله بن عمرو) هكذا (عمرو) بواو بعد الراء وصوابه (عمر) وهو ابن الخطاب رضي الله عنه جدّ سالم التابعي الجليل .

وفي صفحة ٣٤ س١٩ — قال أبان مذ رأى الاعرابي الذي أقبل ومعه جمل (هذا والله من البابة) قال المصحح في تفسير (البابة) هي اسم بلدة . اقول لكنها بلدة من بلاد بخاري وبلدة أخرى من ثغور الروم كما في مراصد الاطلاع والحكاية انما

وقعت في الحجاز عن أعرابي فيه عنجهية وجفوة أراد أبان بن عثمان العبث به فصوابه (من البادية) لا (من البابة) وهو ظاهر ٠

وفي صفحة ٣٦ س٨ — قوله (أكافئك على قيمتك المتاع) صوابه (على تقويمك المتاع) وهو المفهوم من سياق القصة ٠

وفي صفحة ٣٧ س ١٧ — قوله :

(تراها على هام الرجال كأنها   ديار يهود جللت بالبرانس)

ضمير (تراها) يرجع الى القلانس التي انما يصفها بدنان اليهود في شكلها وطولها ولا معنى لوصفها بديار اليهود ٠

وفي صفحة ٣٨ — فسر المصحح (الجريب) بالمزرعة في قول الخليفة لابي دلامة (أقطعتك مائة جريب) وصوابه ان الجريب مقدار معين من مساحة الارض قيل هو ٣٦٠٠ ذراع وقيل أكثر فلا يصح تفسيره بالمزرعة كما لا يصح تفسير الفدان بالبستان ٠

وفي صفحة ٤٠ — فسّر المصحح كلمة (الشراة) في قوله (فأخرجني لقتال الشراة) — فقال: (الشراة اسم مدينة بالشام) نعم ولكن الصواب هنا ان (الشُراة) هم الخوارج سموا بذلك لقولهم انهم شروا أنفسهم (اي باعوها) في طاعة الله بالجنة ٠

وفي صفحة ٤٥ س ٨ — قوله (تهبني جاريةً من جوارك) صوابه من جواريك لان ياء (جواري) انما تحذف مع التنوين فيقال (جوارٍ) اما اذا أضيفت فترجع الياء فيقال جواريك وجواري الخليفة ٠

وفي صفحة ٤٥ س ١١ — قوله (فأقام في بغداد حتى عرض) بالعين المهملة ولا معنى له وصوابه (حتى غرِض) بالغين المعجمة اي ضجر وملّ ٠ واذا عدي (غرض) بإلى كان معناه الاشتياق ٠

وفي صفحة ٤٧ س١٤ — قوله (قولوا له الخبيث) صوابه (قولوا للخبيث) او (لهذا الخبيث) بدلالة سياق الكلام ٠

وفي صفحة ٤٨ س ١٦ — قوله (انا في هذا اليوم ضجر وأحببت ان انفرّح وأفرح) قوله (أنفرح) كذا بالحاء المهملة ولا معنى له على انه مكرر مع قوله (أفرح) فصوابه (أنفرج) بالجيم كما في الاغاني اي أعتزل في داري فأجلب لنفسي الفرج

وانكشاف الغم . هذا أصل معنى التفرج في كلام المولدين منذ القرن الثاني للهجرة ثم حدث له معنى جديد في القرون الأخيرة فصاروا يريدون به النظر والاطلاع على شيء يحدث الفرج وانكشاف الغم ولذا يعدّونه بعلى فيقولون : ذهبت أتفرج على استعراض الجيش مثلاً . اما استعمال (التفرج) في أصل اللغة فهو ان يُسند الى نحو الغم فيقال تفرج الغم اي تكشف وزال عن القلب .

وفي صفحة ٥٥ س٨ — قوله (واسمر مثل كفك مستقيم) صوابه (ملء) كما في الأغاني .

وفي صفحة ٥٥ س١٧ — قوله (عداتك في الهلال عداة صدق) كذا (عداة) بتاء مربوطة وصوابه (عدات) بتاء مبسوطة لانها جمع (عدة) وقد جمعت جمع تأنيث اما جمع عادي اي عدو (فعُلاة) بتاء مربوطة كقضاة وغزاة . وقد مر شبيهه .

وفي صفحة ٥٦ س١٠ —قوله (ابراهيم بن سيابة مولى بن هاشم) صوابه (مولى بني هاشم) .

وفي صفحة ٥٨ س١٤ — قوله (فقلت) صوابه (فقال) كما يفهم من السياق .

وفي صفحة ٦٠ س٨ — قوله (ولا مالٌ ولا طِرْفٌ ولا خاط لمرتاد)

صوابه (ولا حظ لمرتاد) كما في الأغاني . و(الطرف) في قوله (ولا طرف) معناه المال الطارف المستحدث وهو ضد التالد . وفي الأغاني (ولا عزّ) مكان (ولا طرف) ولعله الأصوب لئلا يتكرر مع قوله قبله (ولا مال) .

وفي صفحة ٦٢ س١٠ — قوله (وانا في اياكم مطوّح) كل معاني طوّحه وطوّح به تفيد معنى الوقوع في الهلكة وسياق الكلام هنا لا يستدعي كل هذا الغلوّ في وصف شقاء نفسه ولذلك كان الصواب (مطّرح) بالراء ومعناه مبعد منسى مطروح جانباً لا احد يلتفت اليّ ولا يفكّر بي .

وفي صفحة ٦٤ س١٧ — قوله (فقام مولاها الى الجابية يستقي نبيذاً) (الجابية) بالجيم الحوض يُجبى فيه الماء للابل ولا يناسب هنا فصوابه (الخابية) بالخاء المعجمة وهي الحُبّ اي الجرة الضخمة وتسمى الخمرة (بنت الخابية) قال الحريري (فلما رأيتهم كأعجاز نخلٍ خاوية . او صرعى بنتِ خابية .

وفي صفحة ٦٦ — فسّر المصحح (تيغارات النبيذ) فقال هي جمع (تيغار) وهو الحوض . والصواب ان (التيغار) إجّانة كبيرة أو هو ضرب من الدنان والأزيار

« راجع ما كتبه عن كلمة (التيغار) كل من احمد تيمور باشا في مجلة المجمع (سنة ٣ ص ٤٣) والمرحوم رفيق بك العظم (سنة ٣ ص ٢١٢) .

وفي صفحة ٦٩ س١٤ — قوله (عَلِمَ شغلكْ . فاطّرح عدلكْ) كذا بالدال المهملة وصوابه (عذلك) بالذال المعجمة والسياق يعيّنه .

وفي صفحة ٦٩ س١٥ — قوله (فتبسط عذرك) صوابه (فبَسَط عذرك) من بَسَط الثلاثي . و بسْطُ العذر يكون بمعنى قبوله من المعتذر كما هنا . وقد يكون بمعنى إبدائه وشرحه

وفي صفحة ٧٣ س٩ قوله (فانهما بابان اذا فتحا لم يُغلقا الا بعد عسر . وخلالان اذا لقحا لم ينتجا غرضًا) كذا (غرضًا) وصوابه (لم ينتجا غير ضرّ) وهو ظاهر .

وفي صفحة ٧٤ س٦ — قوله (اكثر أسباب القطيعة المزاح . وان كان لا غنى للنفس عند الجمام) صوابه (لا غنى للنفس عنه للجَمام) اي ان النفْس لا تستغني عن المزاح أحياناً لاجل الجَمام . والجَمام بفتح الجيم بمعنى الراحة يقال (وجد جَمامه) اي راحته وفعله (جمّ الفرسُ وأجمه صاحبه) اذا تركه بعد تعبٍ فاستراح واستجمع قوته وعاد اليه نشاطه ومنه قول الشاعر :

(أفد طبعك المكدود بالجدّ راحةً يجمّ وعلله بشيءٍ من المزح)
(ولكن اذا أعطيته ذاك فليكن بمقدار ما تعطي الطعام من الملح)

وفي صفحة ٧٤ س١١ — قوله (امرح بمقدار الطلاقة واجتنب الخ) صوابه امزح .

وفي صفحة ٧٤ س٢٠ — قوله (أَلْقَيْتَها وطفقتَ تُضحك لاهيًا الخ) صوابه (وطفقت تضحك) وضمير (ألقيتها) يعود الى كلمة المزاح يعني انك تمزح مع صديقك من دون مبالاة وتكون كلمة المزاح ثقيلة مؤذية فيتحمل منها طول ليلته .

وفي صفحة ٧٥ س٢ — قوله (يفرح للفكاهات قلب المحزون وتزول عنه الشؤون) صوابه (وتزول عنه الشجون) جمع شجن بمعنى الهم والغم وهو المناسب للمقام . اما كلمة (الشؤون) فمعناها الخطوب والأحوال التي تهم الانسان وتتعاظمه . والفكاهات لا تكشف الخطوب العظيمة عن الناس وانما هي تسليهم وتنفس كربهم .

وفي صفحة ٨٠ س٢٠ — قوله (ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حينًا كما

مُطرت استبان فيها لون الخمْر) قوله (بعد ذلك) اي بعدان حرمت الخمرة وأريقت في الأزقة فصوابه اذاً (كلما مطرت استبان فيها لون الخمر) لا (كما مطرت) .

وفي صفحة ٨١ س٢ — قوله (فقال اخرج فانظر) صوابه (فقال القوم اخرج) بدلالة السياق .

وفي صفحة ٨٤ س١ — قوله (لأن معاقر الرجل الكأس) صوابه (لان الرجل معاقر الكأس) بتقديم الرجل يقال عاقر الخمرَ والكأسَ لازمها وعاقر الشَرْب لا يفارقهم .

وفي صفحة ٨٧ س١٨ — قوله (والباذق والبختج) صوابه (والباذق والبُختج) بالجيم لا بالحاء وهو معرب (بخته) . والهاء في أواخر الكلمات الفارسية اذا عربت قلبت جيماً تارةً وقافاً تارةً أخرى نحو (باذق) في (باذه) .

وفي صفحة ٨٧ سطر ١٩ — قوله معدداً اسماء الخمرة (ومن اسمائها المرّاء من قولك : هذا أمرى من هذا اي أفضل) كذا (المراء وأمرى) بالراء المهملة وصوابه (المزّاء وأمزى) بالزاي المعجمة لان المؤلف فسّر (أمرى) بأفضل وليس في مادة (المرو ولا المرى) ما يفيد معنى التفضيل . وعلى العكس مادة (مزو) فان المزو والمزية الفضيلة . ومزّاه وأمزاه فضّله . وتمازى القوم تفاضلوا . فالخمرة (المزّاء) اي الفُضْلى لانها (أمزى) اي أفضل من سائر الأشربات .

وفي صفحة ٩٢ سطر ١٦ — قوله (فتعامل المأمون وابن طاهر على سكر يحيى) صوابه (فتحامل) اي حمل كل منهما صاحبه على إسكاره او المعنى أن كلاً منهما مال وجار عليه بالأسكار حتى كلفاه من ذلك ما لا يطيق . اما قوله (فتعامل) فيمكن ان يفسر له معنى لكن بشيء من الكلفة والقسر .

وفي صفحة ٩٢ سطر ١٧ — قوله (فأشار الساقي) صوابه (فأشارا) بالف التثنية بدلالة السياق .

المغربي

ايطاليا والمشرقيات (١)

طمحت ايطاليا في كل زمن الى هذا الشاطئ من البحر المتوسط فحملت اولاً القوة والسلام الروماني . ولما انحلت عرى هاتين المادتين تحت ضربات البرابرة عادت توجه وجهها الى تلك الوجهة ايضاً لا الى الشمال . وكان البحر المتوسط ميدان عمل جنوة وبيزا والبندقية وأمالفي وباري وسالرن ولم يقنع تجارها بان يغتنوا بالاتجار باقمشة الهند وفارس وجزيرة العرب وأفاويهها وأبازيرها بل اخذوا يؤيدون النفوذ اللاتيني في آسيا الصغرى ومصر والحبشة . وكان من انتشار الاسلام وقوته في القرن الثامن ان ضربت هذه الفتوح التي تذكر بفتوح رومية ايام عظمتها ضربة شديدة فاحتقر المسلمون ايطاليا على سمو مدارك ابنائها ومرونة أخلاقهم وأغاروا عليها فأدخلوا على قلوب اهلها الهول والفزع ، فكان الجلاد عظيماً . ولئن وفقت ايطاليا الى طرد العرب من صقلية فان نجاح مدنها الساحلية في الجنوب قد تراجع وظلت جنوة وبيزا متأثرتين وعادت البندقية فوجهت وجهتها الى آسيا الصغرى .

وكان من الحروب الصليبية ان تهيأت لايطاليا اسباب الانتقام فان هذه الغارات وان كان باباوات رومية هم الذين أملتها عقولهم قد بذل فيها العنصر الايطالي بما عرف به من الحمية الممزوجة بقليل من التبجح من حسن السياسة اكثر مما بذل من الشجاعة . فاقتصر الايطاليون في الحرب الصليبية على مرافقة جيوش اوربا الى آسيا وبينما كان ملوك الأمم الأخرى يقيمون ممالك صغرى في الارض المقدسة كان الايطاليون يقطفون ثمرات تلك الحملات . وقد ثبت هذا الدهاء السياسي الايطالي في الحملة الصليبية الرابعة فانه انتج لجنوة وبيزا ان ربحتا كثيراً واستأثرت البندقية بتجارة آسيا الصغرى وامتلاك اراض مخصبة على الشواطئ الشرقية من البحر المتوسط وجزء من الاستانة . ولما سقطت القسطنطينية في ايدي محمد الثاني سنة ١٤٥٣ حالت دون هذا السير النافع ومع هذا فان

(١) من مقالة للسيد انطوان كاباتون في مجلة العالم الاسلامي البارزية مقتبسة من كتاب غرائب الغرب .

البندقية بما أتته من عجائب المهارة وحسن المأتى بل بجهادها العلمي قد احتكرت جميع تجارة اوربا مع الشرق ٠

وبهذا الاحتكاك المتصل تمت للبندقية على قوتها البحرية والتجارية معرفة الشعوب الاسلامية حق المعرفة اكثر من كل اوربا ٠ وكان من العادة الجارية مع طبقة التجار من أبنائها ان يتكلموا بالتركية والعربية و يألفوا بعض العادات والمصطلحات الشرقية ٠ ولكن جاءت قوة في القرون الثالثة التالية اكثر من قوة البندقية على ما لها من الصلات التجارية مع العناصر الاسلامية فزادت عليها لانها روحية تطمع في امتلاك العالم ونعني بها « البابوية » ٠

فامتدت أحلام كنيسة رومية الى الخارج ومطلبها أعلى من الربح المادي ، وكانت في عهد غارات الجرمانيين تحلم بالقبض ذات يوم من قياد الوحدة فأحسنت صلاتها مع المسيحيين بل مع الوثنيين في الشرق ممن تطمع في تنصيرهم ، وأدركت كل الادارك الخطر الناشئ من امتداد كلمة الاسلام على اوربا المسيحية ٠ ومع ان الحملات الصليبية قد أخفقت وقوة الايمان قد انثلمت في القائمين بها ، ما برحت كنيسة رومية الى أوائل القرن السابع عشر تطالب باعمال أخرى وفي هذا العهد كان الضعف أخذ من العثمانيين ٠

بيد ان رومية شعرت في الحملة الصليبية الثانية ان السيف وحده غير كاف في مثل هذا الجهاد ، ورأت ان تعارض التعصب الاسلامي بطوائف متماسكين في اتحادهم من غيوري الاوربيين اوالشرقيين لتقطع أوصال المسلمين قطعاً أدبياً بعدان اوقفتهم عن سيرهم المادي ٠ ومافتئت رومية منذ القرن الثاني عشر والثالث عشر تحاول تنصير جميع الشعوب الآسياوية التي ظلت على وثنيتها فبعثت الى بلاد الموسكوب وفارس وارمينية والتاتار والتُبت ومغوليا والصين والأرخبيل الهندي وفوداً من اهل الذكاء والحصافة ممن خلفوا لنا رحلاتهم ومذكراتهم اليومية ، وعهدت اليهم ان يسبروا غور امراء تلك البلاد لينصروهم اوليحالفوا واياهم على الاقل ضد المسلمين ٠ وكان نصيب مصر والحبشة ايضاً البحث عن مثل هذا الشأن ٠

ولم تلبث الرهبنات العظمى ان أُنشئت مثل الدومينيكانيين والفرنسيسكانيين واليسوعيين والكبوشيين والكرمليين واللعازريين ليكونوا جنداً مخلصاً في خدمة إمام الاحبار ولتفتح تلك البلاد لدخول النصرانية اليها ٠ فانبث جيش من الرهبان على

اختلاف مظاهرهم في قارتي آسيا وافريقية الشمالية لافتتاحها ونشر الانجيل فيها ثم نشر المدنية الغربية . فخبط القائمون بالأمر اولاً ولم يهتدوا لأحسن الطرق في العمل ، فانهال الفرنسيسكانيون والدومينيكانيون يفادون بأرواحهم ويصبرون على ضروب العذاب في سبيل دعوة الشعوب الاسلامية في افريقية الشمالية الى الدين المسيحي . وكانت الطرق التي عمدوا اليها ، على تحمس فيها ، ممزوجة بكثير من الجهل ، فشعروا في الحال ان الضرورة تقضي على من يريد دعوة احد الى دينه ان يتكلم بلغته على الأقل ليتفاهم الداعي والمدعو فنادى القوم من كل مكان بضرورة انشاء مدارس لتعليم اللغات كان رايموند لول داعيتها النشيط .

فقضى مجمع فينا سنة ١٣١١ الذي كان برئاسة اكلمنتس الخامس ان تؤسس في باريز واكسفورد وبولون وسلمنكة دروس عربية وعبرانية وكلدانية ، من شأنها تخريج وعاظ واهل جدل أشداء لتنصير المسلمين واليهود . وانشأ الفرنسيسكانيون والدومينيكانيون في دياراتهم دروساً من هذا القبيل ليعدوا رهبانهم لنشر الانجيل . ومنذ ذاك العهد أصبحت ايطاليا مهد حركة نجحت في المشرقيات ، واخذوا بنوع خاص يدرسون العبرية للتعمق في فهم اسرار التوراة وتنصير اليهود ، واللغة العربية لتنصير المسلمين . وكان اساتذة العبرية يتخرجون باعلم العلماء الربانيين ، واساتذة العربية كانوا ممن رحلوا الى بلاد اللغة التي اخذوا يدرسونها ، ويصحبهم بصفة معيدين أناس من المسلمين او من السور بين الموارنة ممن كانوا يعلمونهم العربية بالعمل . ورأى هؤلاء القسس بحكم الضرورة ان ينتقلوا من اللغة العامية الى اللغة الفصحى ليشتد ساعدهم في فهم المسائل الفلسفية ورد حجج المخالفين باسلوب فلسفي ادبي .

ومن اجل هذه الغاية اهتموا ايضاً بمصر والحبشة ، ومن مدارسهم نشأ العلماء الأول من الاقباط والحبش والامحريين ، ولكن دراسة اللغة العربية بقيت الحاكمة المتحكمة في شبه جزيرة ايطاليا ، فكان ينظر الى تعلمها انه من الحاجات الماسة لكل تجار المدن البحرية . فقد وضع احدهم سنة ١٢٦٥ اللغة العربية كتاب المعاهدة التجارية بين تونس وجمهورية بيزا ، وظلت العربية مألوفة في عدة اماكن من ايطاليا الجنوبية عقيب احتلال العرب صقلية . فكانت في بلاط ملوك نورمانديا وهوهانستوفين

وفر يدر يك الثاني ودي منفروا لغة العلم العالي والشعر والادب . وما كانت العربية ، على مافيها من القصائد المقيمة المقعدة والعواطف المؤثرة ، لتحمل امثال شارل دانجو على تحمسه لدينه ان يخاف عاديتها ، بل كان الاطباء والطبيعيون في قصره إما من الاسرائيليين او من المسلمين المتسامحين في عقائدهم . وكان الطب هو الجواز الذي سارت به الفلسفة العربية عندما قام جيرارد دي كرمونا الشهير في اوائل القرن الثالث عشر في ظل دولة فريدريك الثاني يترجم بعض كتابات ابن سينا الفيلسوف .

وفي القرن الثالث عشر ترجم المعلم موسي من اهل بلرمة من العربية الى اللاتينية كتاب ابقراط في امراض الخيل ، فتسربت فلسفة ابن رشد من امثال هذه الطرق ، ولم تلبث ان صادفت قبولاً بين ناشئة ايطاليا حتى شكا من ذلك جهاراً بترارك في القرن الخامس عشر ، اذ رأى في تلقف فلسفة ابن رشد دليل الالحاد والازدراء باليونانية واللاتينية وكثير من الادباء والعلماء من غير طبقة الرهبان ، كانوا يرون من موجبات الفخر في القرن التالي ان يعرفوا اللغة العربية سائرين على سنة بيك دي لاميراندول .

وعلى توفر بعضهم على نشر كتب في الجدل مع المسلمين ، حتى قبل ان يترجم القرآن باحدى اللغات الغربية ، فان عشاق العربية كانوا يرون من الحيطة ودواعي الغيرة ان يمرنوا انفسهم على ترجمة رسائل في الطب ينقلونها عن العربية ، اذ لم يكن احد يجهل مكانة العرب في هذا الفن . وبذلك يرون انهم ينجون من الاتهام بالزندقة وقد اصبح اندري اريفابن في البندقية حجة في هذا الباب ، وانشأ هؤلاء المترجمون يبالغون النظر فيما ينشرون فكان لهم أسلوب علمي حقيقي . ولما رأى اندري مونكاجون بللون في القرن الخامس عشر ان تراجم ابن سينا القديمة واطباء بلاط فريدريك الثاني ليس فيها عناية ذهب يحكم دراسة اللغة العربية في دمشق واتم تعليمه الشرقي بالرحلة الى مصر وسورية وفارس وآسيا الصغرى ، رحلة طويلة وذلك قبل ان يعود الى كلية بادو ليشرح لتلامذته فلسفة ابن سينا . وقصد جيرولامو رانوزيو احد اطباء البندقية بلاد الشام ايضاً في سنة ١٤٨٣ ليتبحر في فهم فلسفة ابن سينا و يعلق شروحاً على ترجمته عليها .

وكان من سقوط القسطنطينية وهجرة علماء من اليونان الى ايطاليا وكثير من نصارى الشرق واختراع الطباعة وقيام الاصلاح ، انهبت في ارجاء ايطاليا حركة النهضة العلمية

التي تجلت في اجمل مظاهرها في الدروس الشرقية ولاسيما في دروس العربية والاسلام .

كانت الحركة في تعلم المشرقيات عامة وافرادية معاً ، انتشرت كثيراً بفضل الكردينال فريدريك دي ميديسيس في فلورنسا والباباوات في رومية والكردينال بورومه في ميلان والكردينال باربار يكو في بادو ومن تقدمهم مثل باباغانيني الذي نشر في مدينة البندقية اول طبعة من القرآن باللغة العربية ، ولكن هذه الطبعة لم تلبث ان أبيدت بغيرة دينية خرقاء ، وكان من الاسقف اغوستينو جو يستنياني المشغوف بالدروس الشرقية ولاسيما العربية والعبرية ان قبل من فرنسيس الاول بتدريس اللغة العبرية ، بعد ان صرف ثروته في اقتناء مجموعات من المخطوطات المهمة في العبرية والعربية والكلدانية والرومية ، وكان تيز يوامبرو كيو قومس (كونت) البونز مستشرقاً مدققاً .

وهكذا كانت ايطاليا كلما أولع علماؤها باللغة العربيـة وتشربوا روحها تميل كل الميل الى الاقطار التي كان يتكلم فيها . وقد نشر اندريا اريفابن من مانتو اول طبعة ايطالية من القرآن ، بيد ان كل هذه الاعمال على جلالتها لاتعد شيئاً في جانب انشاء مطبعة أُسرة ميديسيس المالكة ، والمطبعة الشرقية لبث الدعوة ، ومطبعة بادو وكليتها وكل ذلك بغيـة تنصير المسلمين والوثنيين . فقد طبعت مطبعة ميديسيس ١٨ الف نسخة من الانجيل باللغة العربية سمته (اربعة اناجيل يسوع المسيح سيدنا المقدسة) وارسلتها مع تجار لتباع بثمن بخس في البلاد العربية او التي تفهم بها العربية ، على صورة حازمة لا يظهر منها المقصد الذي يرمي اليه دعاة الدين .

وكانت النية معقودة قبل كل شيء على اعلان حرب صليبية جديدة روحية على الاسلام يدخل اليها بالوسائل العلمية ، وعُني الباباوات الادباء امثـال ليون العاشر واكليمنتس السابع عناية خاصة بتأسيس خزائن كتب من المخطوطات تسلب من المسلمين الاعداء القدماء لتكون من ذلك مجموعات نفيسة في دار كتب الفاتيكان . وكان غريغوريوس الثالث عشر لا يرى احسن في النجاح من تنصير النـاس و إبادتهم . وأنشأ يوليوس الثاني في مدينة فانو على بحر الادرياتيك اول مطبعة عربيـة احتفل ليون العاشر بافتتاحها سنة ١٥١٤ بنشرها اول كتاب طبع بحروف عربية وهو كتاب « صلاة السواعي » . وكان في رومية مطبعة تجربية شرقية انشأها سافاري دي بريف

الذي ظل سنين طويلة سفيراً لملك فرنسا في القسطنطينية وهو نفسه الذي حفر أمهات الحروف العربية التي نقلت عنهـا مطبعة الامة في باريز اشكالها . ونشر منذ سنة ١٦١٣ كتاب التعليم المسيحي .

وظل الكردينالـــ فرديناندي ميديسيس متمماً لذوق أسرته في حب المعارف الشرقية ، فابتاع مخطوطات شرقية باسم البـابا ، وكان يدير بطريركيات انطاكية والاسكندرية ومملكة الحبشة ادارة روحيـة ، وانشأ على نفقته مطبعـة ميديسيس وولى عليها ريموندي الذي ولد سنة ١٥٣٦ في نابولي وهي اكثر البلاد التي انتشرت العربية فيها . فكان باللغات الشرقيه التي يتقنها ولاسيما العربية ، قدوة الداعين الى تعلم المشرقيات ، ونشر بالعربيـة كتاب نحو وكتب ابن سينا وغيرها ، فكانت مطبوعاته بحسن طبعها ووضعها موضوع الاعجاب العام ، وبعد ان قضى ريموندي نحبه لم تعد أسرة ميديسيس تفكر في اعلان الحرب الروحيـة على المسلمين بواسطة الكتب بل عمدت الى إحداث الاضطرابات العملية .

ولم تشأ رومية ان تكون في خدمة المعارف الشرقية بالمطابع والمكاتب والمدارس دون أسرة ميديسيس في بث هذه الدعوة ، لتنشر بهـا الدعوة على الاسلام ، فقد صارت بفضل الباباوات ميدان درس كل مايرقي عقول القسيسين الذين تندبهم رومية لفتح العالم فتحاً روحياً ، يتخرجون في المدارس ماأمكن بلسان البلاد وعاداتها ومعتقداتها التي يريدون بث دعوتهم فيها ، ودار الكتب تتم لهم هذه المعلومات ، فيعثرون فيهـا على ماسطره أسلافهم في رحلاتهم الى البلاد التي عُنوا بتنصير اهلها ، وما تلقفوه من معتقداتهم وعاداتهم ولهجاتهم وصناعاتهم ، ويقضى على كل قسيس انـ يكتب بعد مقامه في القاصية كتابة او رسالة تخدم هذا الغرض . ومطبعة بث الدعوة تنشر كل ما يؤلف من هذا القبيل ، وتترجم الى لغات شرقية كثيرة الكتب المسيحيـة والردود على الاسلام . وكان للغة العربية الشأن الاول من بين هذه اللغات التي تطبع فيهـا المطبعة وهي عشرون لغة شرقية .

وما كان القصد من هذه العناية الا دينياً محضاً بادئ بدء ، ولم يكن العلم الشرقي الا واسطة تساعد على الجدل ، وكذلك اللغة العربية لم تكن الا سلاحاً يقاتل

به الاسلام ولذلك لم تر المدرسة الاكليركية الشرقية في بادو غضاضة عليها ، ان تشتغل بالعلم المجرد احياناً للاثر الذي يحدث عنه . وكانت المطبعة والمكاتب الشرقية من المتمات لتلك المدرسة لذهابها بفضل الشهرة وتأثيرها في الافكار .

وقد تخرج بالاستاذين ماراسي واغابيتو عدة من التلامذة باللغة العربية ، فصنفوا فيها وأفادوا ، وتعاقب اثنان من الكرادلة على ابرشية بادوكان كل منهما يتنافس في عصره في خدمة الدروس الشرقية . وهذا كان شأن ميلان فان فريدريك بورومة بث فيها روح العلوم الشرقية ، وبعث منذ سنة ١٦٠٩ الى الشرق يبتاع بالاثمان الباهظة كتباً ومخطوطات شرقية ، فأسس المكتبة الامبروزية الشهيرة ، ولم يكثر تلامذة المدرسة التي أسسها لهذا الغرض ، بل كانوا قلائل امتازوا باخصائهم ، وكان ثمة اساتذة خاصة من مسيحيي الشرق او المسلمين الملحدين ، ولطالما عطف عليهم ونشطهم وتخرج في مدرسة امبرواز انطونيوجيجي باللغة العربية فكان لها مجداً اثيلاً .

عد القرنان السادس عشر والسابع عشر عصر ازدهار الدروس الشرقية ، ولاسيما اللغة العربية في ايطاليا . اما القرن الثامن عشر فكان عصر الانحطاط التام ، اذ قلت فيه حتى الغيرة الدينية والحماسة العقلية ، ولم ينشأ فيه سوى الكردينال ميزوفانتي الخارقة في اتقان اللغات المنوعة ، فكان مفخراً للعلم الايطالي ، وقد تقاسم جمهور الشعب اقيال وملوك متوسطون صار معهم الى الشقاء والعبودية . اما الطبقة العالية فقد حرمت الاشتراك في ادارة شؤون بلادها ، ينهكها الاستبداد البليغ ، او اضطهاد النمسا الشديد ، فنسيت في لذائذها المادية حريتها وعلو منزلتها العقلية .

وفي سنة ١٦٩٠ احترقت مطبعة ميديسيس ثم أعيد انشاؤها ، وبعد ان تقلبت عليها الاحوال ونقلت الى باريز بامر الامبراطور نابليون أعيدت الى ايطاليا ، وفيها طبع اعاظم مستشرقي الطليان امثال اماري وسكيابارللي وجويدي كتبهم ، وما نشروه من آثار العرب . ولما فتح نابليون مصر واعلن للمسلمين بانه يراعي معتقداتهم وحقوقهم ، وانه لا أرب له الا قتال المماليك احلاف انكلترا ، رأى ان يستولي على قلوب المصريين فظهر لهم بمظهر الحياد وحسن الخدمة ، وبعث يجلب مطبعة لبث الدعوة الشرقية من ايطاليا فأتته الى مصر واخذ يطبع بها الكتب خدمة للسياسة والتجارة .

فأُصيبت من ثم المطابع الشرقية في ايطاليا بضربات السياسة والحوادث ، وبقيت المدرسة الاكليركية وخزائن كتبها في بادو بمعزل ، وعلى ماعرف به المستشرق العالم بالعربية اسياني من سعة الفضل ، فانه لم يتيسر لبلاده ان يعيد الحياة للمشرقيات بعد ان انطفأت جذوتها بالفتن والكوائن ، وانقرض بيت ميديسيس . ونشأ للعربية استاذ في القرن الثامن وهو القس فللادرس في كلية بلرمه ونشر بعض الكتب ، ولكن القرن التاسع عشر امتاز بآدابه كما امتاز بالحياة في ايطاليا التي هبت قوية حرة ، وراحت ترفرف على كل ما كان فيه مجدها ايام تاريخها المجيد ، فأزهرت فيه الدروس الشرقية ولاسيما الدروس العربية والعلوم الاسلامية . فكانت الولايات الجنوبية في ايطاليا تخرج ابطالاً في المشرقيات امثال المؤرخ والسياسي ميشل اماري الذي نشر احسن تاريخ للمسلمين في صقلية وكثيراً من الكتب التي تدل على فضل علم وتدقيق . كذلك يقال في دروس العربية في كليتي فلورنسا وبيزا . وعاصر اماري الاستاذ سكياباريللي مدرس العربية في فلورنسا ثم بونازيا مدرس كلية نابولي واغناطيوس جو يدي الذي هو اليوم احد الزعماء المجلين من علماء المشرقيات من الطليان . وهكذا نشأ لايطاليا أجلة من المتبحرين في علوم الشرق ولغاته ، وامراء يفضلون على العلماء في طبع ما يلزم ونشره .

وكان امتياز ايطاليا قديماً في نشر المعارف في كل البلاد فأصبحت كذلك في عهد وحدتها تريد ان تجعل لكل اقليم حظاً من هذه الخدمة ، ولم تلبث صعوبة الحياة الحديثة والاطماع القديمة التي يظهر انها اليوم العامل في حياة الممالك الاوربية ان تحدو ايطاليا السياسية الى الانتفاع من هذه المعارف النظرية انتفاعاً عملياً .

واذ كانت مصر على قربها من ايطاليا وغناها وعراقتها في الاسلام مما يكون منه الخطر ، كانت هي اول غاية انصرفت اليها كهنة الطليان وتجارهم . وكانت ايطاليا منذ القرن السادس عشر مركزاً لتعلم الآداب القبطية ، وقد انشأت تعلم علم الآثار المصرية والقبطية في بيزا ، لتثبت بذلك انها لا تريد ان تكون غريبة عن علم كانت لها القدم الراسخة قديماً في الابداع فيه ، وكان للغة الحبشية المقام الاول في ايطاليا لانها رأتها اقرب الى بث الدعوة في نساطرة الحبش ، وان التجارة تمكن بدون ان يصطدم الايطالي مع الاسلام الذي لا يتساهل .

وفي اوائل القرن التاسع عشر أنشأت ايطاليا مجمعاً ومدرسة لتنصير الافريقيين وتعليم دعاة لهذا الغرض ، تأخذهم من ابناء تلك البلاد وتربيهم ليعودوا الى مساقط رؤوسهم يحيون فيها روح دينهم الجديدة ، ولكن هذا العمل في التنصير أخفق لما حال أمامه في كل مكان من بث دعوة الاسلام ونشر الدعوة البروتستانتية ، فاقتصرت ايطاليا من ثم على غرس نفوذها في تلك البلاد وإعداد الاسباب للمطامع الاستعمارية . ولما سحقت الحبشة لايطاليا في سنة ١٨١٥ جيشاً مؤلفاً من خمسة وسبعين الف ايطالي في ادوا ، اضمحلت آمال ايطاليا ، وقنعت بما ترك لها من الموانىء هناك ، وراح ابناؤها ينتشرون في تونس ومصر ، وعلماء المشرقيات المتضلعون من العربية من ابنائها يرفعون شأنها الماضي في الحضارة وتقاليدها القديمة في النصرانية .

واتفق ان احد رجال البيت الخديوي الامير احمد فؤاد باشا (جلالة الملك فؤاد الاول ملك مصر اليوم) تعلم في المجمع العلمي العسكري في تورينو ، فكان منه بعد ذلك ان عقد انفع الصلات مع ايطاليا ، كما بدأ ذلك منه سنة ١٩٠٨ ، وقد عين رئيساً للجامعة المصرية لتعلم العلوم الحديثة للمصريين ونظم الجامعة بمشورة عالم فرنساوي مشهور المسيو مسبرو ، وكانت اكثر الدروس تلقى بالعربية فكان من الاساتذة جويدي ونالينو ومالو الايطاليون الذين درسوا الدروس التي عهدت اليهم بالعربية .

ومنذ ذلك العهد مالت الافكار في ايطاليا الى طرابلس الغرب ، لتكون لها اهراء حنطة ، كما كانت للرومان قديماً ، وذلك لانها بصرف المال وبذل الوقت والعناية بزراعتها ، سيكون منها مورد ربح عظيم ، وتجد فيها اليد العاملة من الطليان مجالاً واسعاً للاستعمار ، فرأت ايطاليا ان يكون الفتح الاستعماري مشفوعاً بالرفق والرحمة والتساهل في معاملة الشعوب الاسلامية ، وان يكون اساس الاستعمار في تلك الاقطار المصالح الاقتصادية ، وان تدار البلاد بايدي اعظم رجال الادارة ممن تتعلم منهم وزارات المستعمرات الاوربية دروساً في الاستعمار .

واخذت ايطاليا بتنظيم كلية بادو التي كانت اتخذتها جمهورية البندقية منذ قرنين مدرسة لتخريج رجال سياستها وتراجمتها وسماسرتها ، تدرس فيها العربية والفارسية والتركية ولا سيما العربية ، وستعنى هذه المرة بالعربية اكثر ليكون من متخرجيها اعظم

الادار بين المستعمرين لليبيا ، وتضاف الى دروسها اللهجات البلقانية المنوعة ممن تتجر معهم البندقية وايطاليا . ولمدينة جنوة درس عربي طالما تناوب تدريسه أعاظم مستشرقيها ، وهي اليوم تطالب بان يكون لها امتياز بتخريج رجال الادارة والاستعمار بانشاء كلية بحرية استعمارية فيها ، وكذلك سيكون من كلية بولون اثرعظيم في تخريج رجال بالعربية ، كما لها منهم حظ ليس بقليل الآن . وفي رومية في مدرسة الدعوة الى الايمان درسان للعربية والسريانية ، وكذلك مدرسة القديس ابولينير فان درس العربية يدرسه فيها الاسقف بوغاريني وتفتخر كلية الحكومة اللادينية في روميه بان فيها درساً للغة العربيـة وآدابهـا بزعامة الاستاذ سكياباريللي والحبشية تحت نظارة جويدي . وفي جنوب شبه جزيرة ايطاليا المملوء بتذكارات اسلامية ، والقريب من حيث الوضع الجغرافي من بلاد المسلمين ، كلية بلرمه التي يدرس العربية فيها كل من الاستاذين نالينو وبونازا واقتصرت نابولي على تعليم العربية بالعمل كما تعلمهـا بالنظر ايضاً ، وفي نابولي مجمع شرقي يعلم بالعمل اللغات الحية في آسيا وافريقيه ، وفيه تلامذة صينيون وهنود والمغاربون وصربيون وفلاخيون والبانيون ويونان . وفي سنة ١٩٠١ أعيد تنظيم هذا المجمع على مثال مدرسة اللغات الشرقية في باريز ويمتاز بان دروسه مجانية ولا يمتحن الطلاب فيه .

اللغة العربية

« في دولة الترك العثمانيين »

« تعليق على رسالة (التنبيه [1]) بقلم ناشرها »

لا يخفى ان علماء الترك في الدولة العثمانية قبل عصرها الاخير كانوا — كسائر علماء الدول التركية التي قامت في العصور الاسلامية الاولى — يدرسون اللغة العربية . ويتكلمون بها . ويضعون فيها المصنفات النفيسة في العلوم المختلفة . بل ان منهم من ألّف كتباً في متن اللغة العربية : كالفيروزابادي صاحب القاموس (المتوفى سنة ٨١٦ هـ) ومنهم من ألّف في قواعدها ونحوها وصرفها وأشهرهم في ذلك الشيخ البركوي (المتوفى سنة ٩٨١ هـ) . اما الذين ألّفوا في الفنون المختلفة باللغة العربية فلا يُحصون كثرةً : منهم ابوالسعود والفناري والملاّ خسرو والجامي والخيالي وخوجه زاده وحاجي خليفه وطاشكبري وابن كمال باشا (صاحب رسالة التنبيه) وغيرهم . ولم تضْعُف عناية علماء الترك باللغة العربية ويُضيعوا ملكة التكلم بها والمقدرة على التصنيف فيها الا بعد ان زاحمتها اللغة التركية في العصر الاخير الذي قام على رأسه السلطان محمود الثاني وابنه السلطان عبدالمجيد الاول واضع (التنظيمات الخيرية) وكان من آثار ذلك تنشيط اللغة التركية وتقريب قواعدها وتسميتها (اللغة العثمانية) وبذلك تضاءلت اللغة العربيـة . وأُهمل التصنيف فيها . حتى آل الامر في الأزمنة المتأخرة الى صعوبة وجود عالم تركي يحسن التكلم باللغة العربية ويُجيد الإنشاء فيها . اللهم الا اذا أقام عدة سنين في البلاد العربية . ولم يكن الحال كذلك في القرون التي سبقت عهد السلطان محمود كما ذكرنا آنفاً : فان علماء الترك قبله كانوا يُجيدون العربية تكلماً وكتابةً مع انهم لم يزوروا البلاد العربية ولم يخالطوا أهلها .

ولم تقتصر العناية باللغة العربية على العلماء فقط بل كانت ملوك العثمانيين انفسهم يتعلمون العربية وآدابها كما يتعلمون التركية وآدابها . ومنهم من كان يمارس نظم الشعر

(١) لابن كمال باشا التي نشرت تباعاً في هذه المجلة (جزء ١ و٢ و ٣ و٤) .

فيها . وقد رؤي بخط السلطان سليم الأول بيتان من الشعر مكتوبان على مقياس النيل وهما :

(الملك لله من يظفر بنيل مُنى يَرُدُّه قسراً ويضمن بعده الدَرَكا)
(لو كانَ لي او لغيري قدر أنملة فوق البسيطة كان الامر مشتركا)

فإذا كان هو ناظم البيتين كان على جانب عظيم من معرفة اللغة العربية وتذوّق آدابها . وان لم يكن هو ناظمها كما قيل كان حفظه لها وتمثله بها وكتابته لها حيث وُجدا — آية على مشاركته في آداب العربية وحسن ذوقه في اختيار الجيد من شعر العرب .

أما السلطان احمد الاول فانه كان ينظم الشعر العربي الجيد ومما نسب اليه منه القصيدة التي مطلعها :

(ظبيٌ يصول ولا وصول اليه جَرَحَ الفؤاد بصارمي لحظيه)

الى ان يقول :

(يا شعر في بصري ولا في خدّه إني أغار من النسيم عليه)

ويُروى عن السلطان محمد الفاتح انه بينا كان قافلاً من بعض حروبه في (الروم ايلي) خطر له بيت من الشعر العربي فأحب الوقوف على معناه . فالتفت الى احد قضاة عسكره وهو المولى محيي الدين الشهير بابن مغنيسا فسأله عن البيت فقال :

— أتفكر فيه بالمنزل ثم أجيب . فقال السلطان :

— يُحتاج الى فكر في بيت واحد ؟ .

فسكت القاضي . وقال السلطان لبعض خدمه أحضر مولانا سراج الدين (موقّع الديوان العالي) فحضر فسأله عن ذلك البيت فأجاب على الفور : هو للشاعر الفلاني من قصيدته الفلانية من البحر الفلاني ثم قرأ سباق البيت وسياقه وحقق معناه . فالتفت السلطان اذ ذاك الى (ابن مغنيسا) وقال له : ينبغي ان يكون العالم هكذا في العلم والمعرفة والتتبع . ثم عزله عن قضاء العسكر . وأعاده الى التدريس في احدى (المدارس الثمان) وقال : انه ما زال في حاجةٍ الى التدريس .

وكان المولى (سراج الدين) المذكور من مدرسي (المدارس الثمان) ماهراً

في حفظ قصائد العرب . وله اليد الطولى في نظم الشعر العربي . ومن ثم جعله السلطان محمد موقعاً بالديوان العالي لمهارته في إنشاء الرسائل .

ومن البارعين في اللغة العربية نظماً ونثراً المولى علاء الدين المشهور بحناوي زاده (المتوفى سنة ٩٧٩ هـ) تقلّب في الوظائف العلمية ومنها قضاء دمشق الشام الى ان بلغ رتبة قاضي عسكر اناطول . وله مصنفات في اللغة العربية والعلوم الاسلامية غاية في الإمتاع والفائدة : منها كتاب (الإسعاف في علم الاوقاف) وحاشية على كافية الجامي في النحو . وأخرى على (الدرر والغرر) . ولما كان في دمشق جرت بينه وبين البدر الغزّي مناظرة فوضع (حناوي زاده) على أثرها كتاباً في علم التفسير . وله شعر رقيق منه البيتان المشهوران :

(أرى في صدغك المعوجّ دالاً ولكن نُقّطت من مسك خالك)
(فأصبح داله بالنقط ذالاً وها أنا هالكٌ من أجل ذالك)

والمصنّفات باللغة العربية التي ألّفها علماء الترك ووصلت الينا كثيرة جداً يتكوّن من مجموعها مكتبة كبرى في مختلف الفنون . وهي دليل على ان اللغة العربية كانت لغة الخواص والمؤلفين في عصور الدولة العثمانية كاللغة اللاتينية عند الافرنج . وربما كانت (اي اللغة العربية) تشارك أختها اللغة التركية الرسمية في الدواوين والمصالح العامة . وقد يستدل على ذلك بما مرّ من حكاية السلطان محمد الفاتح مع المولى سراج الدين الذي كان بارعاً في الآداب العربية ولذلك عينه السلطان موقّعاً في ديوانه العالي . وليس ذلك الاّ لإجادته اللغة العربية ومقدرته على إنشاء الرسائل . كذا قالوا في ترجمته . وسياق كلامهم يقتضي ان تكون هذه الرسائل التي كان ماهراً بانشائها رسائل عربية العبارة . ولقد أخبرني بعض أفاضل العرب ممن أقاموا طويلاً في باب المشيخة الاسلامية انه كان يطلع على صكوك ووثائق و براآت باللغة العربية صادرة في زمن الملوك العثمانيين الأولين . فسألته وهل كنتَ ترى وثائق وصكوكاً أخرى باللغة التركية . قال بالطبع اننا كنا نطلع على وثائق باللغتين . اذن كانت اللغة العربية تزاحم التركية في فروق أشدّ المزاحمة او بعضها .

وهل يتصوّر ان تُكتب صكوك في القضايا الشرعية التي تقع بين عامة الاتراك

ويتداولها ايديهم ثم لا يكونون يفهمون اللغة العربية ويتكلمون بها لكي يفهموا مضمون تلك الصكوك والوثائق ؟ ·

هذا ما نريد ان نستدل عليه ايضاً من رسالة (التنبيه على غلط الجاهل والنبيه) لابن كمال باشا · وقد نشرناها في هذه المجلة فان مؤلف هذه الرسالة انما يصحح ألفاظاً كان يخطئ في النطق بها الشعب التركي الذي كان يسكن الروملي والاناطول في عهد سلاطين آل عثمان الاولين (اي في القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة) والاخير منها عصر المؤلف · ومن قرأ هذه الرسالة وتتبع الالفاظ العربية التي خطّأ المؤلف الناطقين بها حكم انهم انما كانوا يتكلمون لغة عربية تخللتها هذه الألفاظ كما يتكلمون لغتهم الخاصة أعني اللغة التركية · وان اللغتين كانتا تقريباً لغة التخاطب بين اهل ذلك العصر ولولا ذلك لما قام ابن كمال باشا يتقصى أغلاطهم واحدةً واحدة ويجمعها في رسالة ثم يصححها بمقتضى قوانين اللغة العربية والقواعد الصرفية ·

لا يقال : ان ابن كمال باشا انما صحح في رسالته الاغلاط العربية الداشية في كلام خواص الاتراك وعلمائهم لا عامتهم — لا يقال ذلك لان مؤلف الرسالة صرّح بانه يصحح في رسالته أغلاط عامة أهل زمانه كما يصحح أغلاط خاصتهم ولهذا سمى رسالته (التنبيه على غلط الجاهل والنبيه) وليس يعني بالجاهل الا العامي كما لا يخفى · وقال في مقدمة الرسالة مانصه : (فحصل لي ما أربى على مئة لفظ من السَقَط · بعضها للخاصة وبعضها للعامة فقط) · وقال ايضاً في تضاعيف الرسالة ما لفظه : (وقد شاع هذا الغلط بين البنين حتى كاد لا يتحاشى عنه الخواص ايضاً لاعتياد الألسن الخ) ·

ونقول ايضاً في دفع اعتراض آخر : انه من المستبعد ان يقوم (ابن كمال باشا) فيصحح أغلاطاً لغوية يخطئ بها أبناء العرب المقيمين في الاقطار العربية البعيدة عنه · فان ذلك فضول منه واشتغال بما لا يعني ولا يفيد · كما اذا قام مجمعنا العلمي بدمشق فنشر في مقالات (عثرات الأقلام) التي يصحح بها أغلاط الكتاب السور بين — كلمات تعثر بها أقلام التونسيين اوالمراكشيين مثلاً · ومن جملة ماصححه ابن كمال باشا في رسالته من الأغلاط كلمة (ابي أيوب) الانصاري قال : ان العوام يقولون (أيوب) مكان (ابو أيوب) زعماً منهم ان (ايوب) اسم له · وهذا بالطبع لا يخطئ

به سكان البلاد العربية وانما هو خاص باتراك الاستانة الذين يقولون الى اليوم (جامع السلطان أيوب) على عادتهم في اختصار الاعلام مذ يقولون : (سلطان مجيد . وسلطان حميد) مكان (عبد المجيد وعبد الحميد) .

ونقول ايضاً في جواب اعتراض ثالث : ان ابن كمال باشا لم يتوطن في البلاد العربية حتى يصحح على اهلها اغلاطهم : فقد ذكروا في ترجمته انه اول ما استخدم في الجيش ثم انتقل الى السلك العلمي وجعل يحصل العلوم الاسلامية على أساتذتها . ولما تأهل للتدريس عُيّن في مدارس أدرنة واسكوب في الروملي ثم في إحدى (المدارس الثمان) في القسطنطينية ثم تولى قضاء ادرنة ثم قضاء عسكر اناطول ثم رجع الى التدريس في أدرنة ثم تولى الافتاء العام (اي مشيخة الاسلام) في القسطنطينية . ومات فيها سنة (٩٤٠ هـ) فلم يذكروا انه أقام في بلاد عربية إقامة يصح له فيها ان يتصدى لتصحيح أغلاط اهلها .

ومن المستبعد ايضاً (وهو جواب اعتراض رابع) ان يكون ابن كمال باشا انما صحح كلمات عربية اقتبسها الاتراك واستعملوها في لغتهم التركية التي كانت ولا تزال مشوبة بكلمات عربية فكانوا ينطقون بها مغلوطة فصححها عليهم . وهذا الاعتراض أعرق في الوهم من غيره : لان الكلمات اذا انتقلت من لغة الى لغة أصبحت ملكاً للذين انتقلت الى لغتهم : فهم ينطقون بها بحسب قوالب لسانهم . وما تقتضيه لهجاتهم وأساليبهم : فكلمة (عِشْق) مثلاً هي في اللغة العربية مكسورة العين و ينطقها الاتراك اليوم مفتوحة العين (عَشق) فمن الفُضول ان نتصدّى الى نقدهم فنقول لهم انكم تلفظونها غلطاً فالواجب عليكم ان تكسروا عينها لان صوابها في اللغة العربية كذلك وان العرب هكذا ينطقونها . وهذا كما اذا عمد احد علماء الفرس الى الكلمات الفارسية الدخيلة في لغتنا العربية وقد حرّفناها وتلاعبنا بها حتى وافقت ألسنتنا وقوالب لغتنا — فجمعها في كتاب وردّها الى اصولها الاعجمية وكلفنا معشر العرب ان ننطق بها كما ينطقها الفرس : فنقول للجاموس (كاوموش) و للفيل (پيل) وللفلفل (پاپل) وللفنجان (پنكان) وللكعك (كاك) وللسرج (سرك) وللسكر (شكر) وللخورنق (خورنكاه) وللخشاف (خوش آب) وللبابوج (پاي بوش) ولكلمة ضنك بمعنى ضيق (تنك) وهكذا :

فكما انه لا يجوز للعالم الفارسي ان يلومنا على نطقنا بهذه الكلمات كما ننطق بها اليوم ولا يعدّه علينا غلطاً — كذلك لا يعقل ان يقوم ابن كمال باشا فيخطّئ أبناء لغته الاتراك في كلمات عربية أفرغوها في قوالب لغتهم التركية ليتسنى لهم ان ينطقوا بها بسهولة .

فالذي نراه ان (ابن كمال باشا) انما يخطّئ في رسالته أتراكاً من أهل زمانه يتكلمون العربية كما يتكلمون لغتهم التركية . وكيف يُتصوّر ان لا يكون متكلماً بالعربية من ينطق بمثل هذه الكلمات :

(إناث) (بريّة) (بزاق) (ابن) (ثقل) (تيدّب) (مستحكم) (حانث) (خجل) (خشن) (نُزُل) (دأب) (أدوية) (النكات) (القوابل) (مرضع) (سكّر) (تسلّي) (لُكْنة) في نظير ذلك وكله مما له في لغة الترك مرادف شائع بينهم . لا سيما ان منها ما هو واقع في تراكيب عربية محضة كالتركيب الاضافي والتركيب الوصفي فيقولون (سلسْ البول) (حباب الماء) (عِرق النسا) (نقيب الأشراف) (الحقّ السابق) (الاشتهار الكاذب) (الإنعام العالي) بل نقل المؤلف في رسالته عن عوامّ زمانه انهم يتكلمون جملاً عربية مركبة تركيباً اسنادياً فيقولون :

(أذعنتُ) (الأمر مبتني على كذا) (فلان مرتبط بكذا) (هو قابل) (هؤلاء قوابل) (فلان توأمان فلان) (فلان مزيد للبلغم) (ضربُ اليتيم مظلمة) (فلان به نزلة) (فلان من منسوبات فلان) (هو من قبيل سبقة اللسان) (لا يبعد من ألطاف مولانا وأعطافه) وغير ذلك من الجمل والتراكيب العربية المحضة مما لا يمكن ان تقع الا في كلام قوم يتخاطبون باللغة العربية وان المؤلف كان يسمع ذلك منهم فخطّأهم فيه وصححه عليهم .

فتحصّل معنا أن التكلم باللغة العربية في عصور الدولة العثمانية الاولى لم يكن مقصوراً على خواصّ الترك كما كنا نظن من قبل بل قد يكون عاماً فيهم عمومه بين خاصتهم . وبالطبع لم تكن اللغة العربية وحدها هي التي يتكلمون بها بل كانت اللغة التركية ايضاً تشغل الجانب الاعظم من حديثهم . والقسم المهم من كلامهم . لكننا لا ندري ماهي وظيفة كل من اللغتين في ذلك المحيط الاجتماعي . وفي أية دائرة او مصلحة كانت تُستعمل هذه اللغة او تستعمل تلك ؟ وكل ما امكننا إثباته هنا ان

لغتنا العربية كانت مما يتخاطب به خواص الأتراك وعوامهم في عصر ابن كمال باشا . وقد انتبهنا الى هذا من رسالته (التنبيه) التي صححناها ونشرناها . ثم رأينا ان نزيدها خدمةً وإيضاحاً بهذا التعليق .

المغربي

الفاظ عربية لمعان زراعية

— ٣ —

للعنب بعد انْ يُحصرِم وقبل ان يينع حالة يلين فيها بعض اللين و يزداد فيه السكر ونقل الحوامض وتصفو القشرة في الحب الابيض وتأخذ تلوّن في الاسود . فكرّامو بلادنا يقولون صار العنب « زرْوقة » و يسمي الفرنسيون هذه الحالة (Véraison) والعرب تقول ارقّ العنبُ وألمص اذا صار « زرّونة » وكذا أوشم للعنب الذي يلوّن .

واذا قطفتْ اغصانُ الشجر لاسيما الكرم سال منها نسغها وهو ما يسمى بالفرنسية (Pleurs) اي الدموع وهو بالعربية الدُّمّاع . والتوحيم ان ينطف الماء من العود النامي اذا كسر . واكثر مايكون سيلان الدُّمّاع في الربيع بعد ان تدب الحياة في النبات على اثر نوم الشتاء . و بينما اكتب هذا المقال في اواسط آذار اراه يهوي نقطة اثر نقطة من قضبان الجفنة في حديقة البيت لاني قضبتها منذ بضعة ايام .

و بعض الاشجار اذا لم نقضّب لاسيما اذا كانت مغروسة في ارض غنية بالعناصر النيتروجينية تنفتح براعمها وتنكشف عن افنان ريّا واوراق غضة لكن الثمر يظل قليلاً . و يحدث ذلك ايضاً في الزرع في الارض نفسها . ففي هذا الحال يقال للشجرة قد أَعْصَت اي اخرجت عيدانها ولم تثمر كما جاء في الامهات وهو بالفرنسية (Partir en bois) ولدى فلاّحي بلادنا (هافت الشجرة وهاف الزرع) .

ومن المعلوم ان البرّة اذا ما انتشت يتفطر التراب عن ساق واحدة باديء بدء لكن التربة اذا كانت غنية وكانت السنة مطاراً يتولد على تلك الساق في الربيع اصول جديدة وسوق عدة تنتهي كل منها بسنبلة . فاذا توالد الزرع على هذا الشكل

فقد فرَّخَ وأفرخ وأشطأ وبالفرنسية (Taller) والفرخ يسمى (Talle) وهو ايضاً الشطء والوالِية (من ولَبَ الزرعُ نبتت له فراخ في اصوله) ·

وعصفتُ الزرعَ مثل شرنقته (انظر المقال الأول) اي صرمته مخافة الضَجَمان او الغَمَل (Verse) وهو استلقاؤه من فرط العناصر الغذائية في التراب ·

واذا صُرِم الزرع فكل قبضة من الزرع المحصود تسمى الغَبْط (ج غبوط) والكَـدَرة (ج الكَدَر) وهي بالفرنسية (Javelle) · واذا رُفعت الغبوط وكُدِّست بعضها فوق بعض فكل واحدة منهـا هي العامّة وبالفرنسية (Gerbe) ما لم تكن كبيرة فهي اذن الكُدَاسة والكَدس (Moyette) اما الكُدوس العظام فهي العَرَم وبالفرنسية (Meule) والفعل عرَّمَ · واكثر ما تستعمل الأكداس للحب بعد دوسه او دقه ·

وقلت في المقال السابق ان الشَوْف آلة تسوى بها الارض المحروثة وقلت انني لم ار اصلح من هذه الكلمة للدلالة على آلات زراعية يسميها الفرنسيون (Rouleaux) تستعمل للغرض نفسه · وقد عثرتُ اخيراً على الفـاظ ترجح على الشوف في ترجمة الأدوات الزراعية المذكورة وهي الملاَّسات والمِمْلَسات فقـد جاء في الأساس ان الملاَّسة خشبة تُملَّس بها الارض · وكذا المالَق فعبارة اللسان « هي الخشبة العريضة التي تشد بالحبال الى الثورين فيقوم عليها الرجل ويجرها الثوران » · وعبارة القاموس « ما يُملَّس به الحارث الارض المثارة » ·

ونشر العلاَّمة (محقق) في الصفحة ٥٠٧ وما يليها من المجلد الخامس مقالة ممتعة في (الذؤنون) فقال ان من جملة معانيه الدلالة على النبات المسمى (Phelipœa lutea) فالاستاذ قد اصاب بذلك وان كان لم يذكر لنا انه رأى هذا النبـات نفسه وعرف اسمه باللاتينية على اثر درس نباتي · قلت ان الاستاذ اصاب لان العلامة النباتي الدكتور بوست ذكر لهذا النبات في الصفحة ٦٠٣ من كتابه بالانكليزية (نبات سورية وفلسطين وبواديها) بضعة اسماء عربية فصيحة او عامية منها الهالوك (Halûq) والذؤنون (Danûn) والطرثوث (Teraihith) · وطريقـة الدكتور بوست وامثاله في جمع النبات التقاط النبتة ثم تعيين فصيلتها وجنسها ونوعها حتى اذا ظهر اسمها

اللاتيني سُئل الاشخاصُ الذين يقطنون المكان الذي وجدت فيه عن اسمها لديهم · ولهذا لم يبق لديَّ شك في صحة تسمية النبات المذكور بالذؤنون بعد تحقيق العلاَّمة (محقق) البليغ من الوجهة اللغوية · ولقد ذكرتُ هذا النبات دون غيره مما يصح اطلاق اسم الذؤنون عليه لانني أحويه في مجموعة النبات التي لدي مع بضعة نباتات من فصيلته لاسيما من جنس (Orobanche) وكلها طفيلية تضر بالشجر وبكثير من الزروع ولا يجهلها فلاحو بلادنا · وكنت أسميها باسمائها العامية (جعفير وهالوك في الشام وحامول في مصر) حتى هداني الاستاذ في مقاله الى لفظ فصيح ·

واذا اكثر الزراع من البذار في الارض ظهر الزرع ملتفًا متكادسًا فيسمى « الزرع المتآصر » وبالعامية الزرع « العبي » وبالفرنسية (Dru) ·

ويعلم الأكارون الذين لديهم ارض منخفضة ان المطر اذا ثرَّاها ودام اياماً يصفر زرعها وسببه اختناق اصول الزرع لفقد الاوكسجين من غزارة الماء · ويقول فلاحو الشام عند حصول هذا الداء ان الزرع قد غرق ويسميه الفرنسيون Asphyxie) des racines (اي اختناق جذر الزرع اوعروقه او اصوله · وهو بالعربية الرَّصَع والبَثَق فقد جاء في المخصص لابن سيده ان « الرصع هو ان يكثر على الزرع الماء وهو صغير فيصفر ولا يُجدِّد ولا يفترش ويصغر حبه » وجاء « البثق داء يصيب الزرع عن كثرة ماء السماء » فترى ان اللفظين يصلحان للدلالة على اختناق جذور الزروع ·

واصطُلح على تسمية صغار الشجر بالأنجم مفردها نجم وبالفرنسية (Arbuste) على حين ان النجم في كتب اللغة ما طلع من النبات على غير ساق خلاف الشجر · اما صغار الشجر فلا بد ان يكون لها ساق غليظة فيما نعرفه منها في بلادنا ولهذا لعل لفظ العَرْمَض (واحدتها عرمضة) يصلح للدلالة عليها لان من معانيه كل شجر لا يعظم ابداً ·

مصطفى الشهابي

آراء وافكار

« تعليق واستيضاح »

أشار عضو مجمعنا الفاضل الشيخ عبدالقادر المغربي في العدد الثاني عشر المجلد الخامس من مجلة المجمع العلمي الى كتاب (الموجز في الاجتماع) وختم عبارته بقوله : « لكننا لا نكتم المؤلف امراً لاحظناه نحن عليه ولاحظه فاضل من فضلاء دمشق أحب التنبيه اليه ذلك ان المباحث الدينية التي لها علاقة بموضوع الاجتماع كان المؤلف يفرغها في قوالب (كذا) لا تلتحم مع اخلاق اهل البلاد الذين يكتب لهم كتابه ولو راعى ذلك فيه لكان الإعجاب فيه أكبر والإقبال عليه اوفر » .

لو ان الشيخ أورد ملاحظته مورد الرأي الخاص او في غير مجلة المجمع العلمي — ولها فيها من المعنى ما لا يكون في غيرها — لما كان لنا معه مقال . فلكل ذي رأي اجتهاده ، ولكل مجتهد نصيب . واصحاب الرأي يختلفون في امور تكاد تكون مجمعاً عليها فمابالك في موضوعات اجتماعية . وعلم الاجتماع « لا يزال في جملته مذهباً اجتهادياً » وهو ما قلناه في مقدمة الكتاب .

ولكن الشيخ الفاضل ارسل رأيه جازماً ، وانزله منزل الحكم القاطع . وكأنه أراد ان يجعل له شيئاً من معنى الاجماع ، فعززه برأي فاضل آخر قال انه رأى رأيه فأصبح الامر بيننا وبينه ، او بين ماأردناه وبين ماوقعنا فيه ، مختلفاً جداً . فلقد أردنا من وضع هذا الكتاب فائدة من يطلع عليه من اخواننا ابناء البلاد ، وهو ما نحن من اشد الناس حرصاً عليه ، فاذا بنا نأتيهم على زعم الشيخ بما لا يلتحم مع اخلاقهم ....

والذي انكرناه فساقنا الى التعليق والاستيضاح ، ان هذا التنبيه — وقد جعله صاحبه حكماً — أرسله مجمجماً لابيان له ، ولا تعليل فيه ، خلافاً لكل حكم حتى ما كان (عرفياً) . فهو لم يذكر لنا شيئاً من تلك القوالب التي أفرغناها بما لا يلتحم مع اخلاق اهل البلاد . وهذا ما كان يجب ان يشار اليه في مثل هذا الموضع . وعليه الجمهور من نقدة الكتب في مجلتنا هذه . ولو فعل لكنا بين ان نذعن لرأيه فنشكر له هديه ، او ان لا نرى

رأيه فنترك لاصحاب الفكر النيّر من القراء حكمهم وهم خير الحاكمين . فكما يكون الكاتب عرضة للأوهام ، فقد يكون الناقد مظنةً للاتهام .

ولا نكتم المنتقد استغرابنا كما هو لم يكتمنا ملاحظته — كيف انه سكت عن المباحث — وتعرض لقوالبها . فهل المباحث ملتحمة مع اخلاق اهل البلاد ، والقوالب غير ملتحمة ؟ . على انه اذا كان من شيء يجوز ان يقال عنه مثلاً انه لا يلتحم مع الاخلاق فانما يقال ذلك عن المباحث لا عن القوالب . فالقوالب على ما نفهم ان هي الا الاسلوب او الطريقة او الكيفية او الصيغة ، او ماشئت من مثل ذلك ، مما يفرغ المرء كلامه فيه . وهذا عرض لا يتناول الجوهر ولا يؤثر في الاخلاق . ولكنه قد يخالف المألوف او العادة او ما اشبهها . وشتان ما هما والاخلاق .

ثم اذا صح اننا أفرغنا مباحثنا في قوالب لا تتفق مع المألوف والعادة ، وهما ما سماهما حضرته اخلاقاً ، فهل من نكير علينا متى كان كلامنا لا يتعارض وعقيدة من العقائد ، ولا يمس ديناً من الاديان في جوهره ؟ قلنا لو ان الشيخ بيّن لنا ما اخذه علينا لجعل لنا سبيلاً نعرف منه اذا كنا جئنا بما فيه ضرر على هذه الهيئة الاجتماعية التي انما يراد من علم الاجتماع مصلحتها وارتقاؤها . فمتى كان ذلك فقد اصاب واخطأنا . والاّ فالتقيد في القوالب ، في يوم مثل يومنا ، خرجت فيه الامم عما كان يعد من جواهر الامور لا من أعراضها ليس مما يجوز انتقاده ، ولاسيما متى كان المنتقد رجلاً كالشيخ المغربي لا يزال ينادي على نفسه انه من طلاب التجدد والاصلاح . وهل يتم مع مثل هذا التقيد تجدد او اصلاح ؟ .

ولا بد لنا في هذا المقام من القول اننا اذا تعرضنا في كتابنا للدين ، فقد كان ذلك من الوجهة الاجتماعية ، لا من حيث هو عقائد . ومع أن كتابنا لم يكن كتاباً دينياً فنحن على مثل اليقين بل على اليقين كل اليقين ان ليس فيما كتبناه ما يمس ديناً من الاديان . ولكن الامر على العكس . فلقد نوهنا بما كان للدين من الفضل ، وأشدنا بما كان له من الاثر المفيد في الحياة الاجتماعية . كما اننا اتينا بذكر بعض الأضرار التي تنبعث عن فهم الدين على غير حقيقته ، واخراجه عن غرضه وطبيعته . واستشهدنا في جملة ما استشهدنا به على ذلك ، بكلام اثنين من كبار الائمة وفلاسفة الامة ، هما الغزالي وابن عقيل .

اما اذا كان الشيخ حفظه الله توهم ان للدين في القلوب تأثيراً لا يزال يجري على غير وجهه المشروع — يوم كانت العامة اذا قيل لها « ياغيرة الدين » تركت عقولها ومضت تعدو وراء عواطفها — نخشى علينا ان يُفهم كلامنا على غير معناه، فتأتينا من هذا الباب صيحة نحن في غنىً عنها — اذا كان ذلك فنحن نطمئن قلبه ونقول له : ان التطوّرات الفكرية والانقلابات الاجتماعية قد كشفت عن العيون غشاوتها . فطويت صفحة ذلك الزمن . واصبح الناس الاّ أقلهم لا يسيرون الا عن تثبت وتحقق . اما ذلك القليل ممن لا يزال يؤخذ بالنعرة الجوفاء ، فليسوا ممن يساق اليهم الكلام والسلام .

عارف النكدي

من هو مؤلف المذكرات التاريخية ؟

« هو عبد الله نوفل الطرابلسي »

عثرت على كتب كثيرة لم يذكر مؤلفوها اسماءهم فيها إما لاغراض سياسية منعتهم فأحجموا إحجام المتحذر الخائف من طائلة القصاص ولاسيما اذا كانوا قد تعرضوا لذكر مظالم الولاة ووصف سوء اداراتهم خاصة في الامور الاخيرة . وإما لانهم ارادوا التكتم لاسباب أخرى . واما ان بعض النساخ او الحاسدين أرادوا إخفاء اسمائهم غمطاً لعملهم او انحالاً لكتبهم الى غير ذلك من الاغراض المتلونة التي نزلت بكثير من المؤلفات فأفقدتها اسماء واضعيها وأصبحت غفلاً منهم يتكهن المطالعون في اظهار مصنفيها .

ولقد بحثت مراراً في كثير منها حتى أعدتها الى نصابها ورجعت اسماء مؤلفيها باستقراآت واستنتاجات مهمة ذكرتها بمقالة في مجلة الكلية الغراء (منذ سنتين) ونشرت الآن (المذكرات التاريخية) في حوادث دمشق في اوائل القرن الماضي وماحدث فيها من الفتوق والمحن والحروب والنكبات ولا سيما حوادث الدولة المصرية من سنه ١٨٣١ — ١٨٤٠ م .

ولقد جرت مناظرة أدبية بيني وبين ناشر هذه المذكرات الصديق الباحث الخوري قسطنطين الباشا بشأن مؤلفها الذي وقفت على ترجمته المطولة واخبار أسرته المهمة التي

نشأ منها مؤلفون وكتاب في الحكومات المصرية والسورية وأدباء عرفوا في خدمة النهضة العربية . وكنت أبحث عن تاريخه الذي عرفت انه الفه وذلك لما كنت مدرساً في مدرسة كفتين بقرب مسقط رأسه طرابلس الشام المعروفة بادبائها من الطائفتين الاسلامية والمسيحية ، وهذه حكاية مؤلف الكتاب التي اتفق لي ان عرفتها وبقيت متابعاً اياها الى ان ظهر الكتاب فجاءت الادلة على صحتها من الكتاب نفسه مزكية ما ظننته والى قراء المجلة الكرام ابسط كالآتي :

كان في دمشق في اوائل القرن الماضي وما قبله أسرة اسرائيلية اندلسية الاصل جاءت الاناضول على اثر حوادث التفتيش سنة ١٤٩٢ م وانتقل قسم منها الى دمشق يعرف (بآل فارحي) وكان كثير منهم كتاب الحكومات في عكا والشام وخزان الاموال وبعضهم في الاستانة يرفدون اخوانهم هنا بمعاضدتهم فارتفع شأنهم ونبغ منهم اخوان هما حاييم بن شحاده فارحي وروفائيل ، فحاييم كان مديراً لخزينة احمد باشا الجزار وخلفه سليمان باشا واشتهر بدهائه وحصافة عقله وذكائه حتى مدحه شعراء عصره مثل نقولا الترك وبطرس كرامه وغيرهما ومات بلا عقب وشقيقه روفائيل كان صرافاً لخزينة دمشق واتصل بالحكومة المصرية في الشام ولم يكن بأقل نفوذاً من اخيه ، ومن اولاده داود الذي خدم الحكومة وانتقل بعضهم الى مصر .

وكان لهم ابن عم اسمه حزقيال كان في دوائر المالية بالاستانة يدافع عنهم ويقوي نفوذهم وابن عم آخر اسمه سلمون فكانت شؤون الحكومة المالية ودواوينها بيدهم مدة طويلة وكان بنو البحري من حمص كتاباً في دواوين دمشق فتحامل عليهم آل الفارحي وزاحموهم بوظيفتهم فكانوا يتراوحون بين التنصيب والعزل وكان بنو صروف المسيحيون الحموي الاصل الدمشقي المولد والوطن كتاباً للحكومة في دمشق ولاسيما جرجس وولداه مخائيل ويوسف . وكان آل فارحي يبغضون الكتاب المسلمين والمسيحيين الذين يتقربون من الحكومة ويشون بهم للولاة لابعادهم واحتكار دواوينها لهم . ولقد ذكر بعض المؤرخين استفحال العداوة بين بعض آل البحري كتاب حكومة دمشق وآل فارحي مزاحميهم ولا سيما ابراهيم العورا في تاريخ سليمان باشا المخطوط في خزانتي وما كان بين

المعلمين عبود البحري الحمصي واخيه جرمانوس وحايم شحـاده فارحي الدمشقي واخيه من قصة طويلة ·

وفي سنة ١٨٢١ مسيحية كان ابو سليم عبد الله بن جرجس نوفل الطرابلسي (عم نوفل نوفل المؤلف المشهور) كاتباً في دواوين دمشق وبقي الى سنة ١٨٤١ حين خروج الدولة المصرية في سورية · وهذا الرجل هو رابع اخوته ممن اشتهروا بالكتابة للحكومة في عكا وطرابلس ودمشق في ذلك العهد ·

وآل نوفل أُسرة عربية حورانية قديمة عرفت باسم النحو والترجمان واشتهرت باسم احد ابنائها المسمى نوفل المتطبب وقد ورد ذكره في مخطوطات كثيرة في القرن السابع عشر للميلاد ورأيت خط حفيده موسى الجميل في كتب كثيرة اخذت مثالاً منه بالتصوير الشمسي فكانت الكتابة موروثة فيهم والانشاء طبيعياً وخدمة الحكومة مهنتهم زمناً مديداً ·

وابو سليم هذا هو الذي اشتهر ابنه سليم دي نوفل في بطرسبرج بمؤلفاته ومقامه السامي بين علمائها وتدريسه العربية في كلياتها ·

كان ابو سليم يكتب باللغـة البسيطة لانه اصغر اخوته فلم يتسنَّ له (وقد فجع بقتل اثنين منهم بوشاية بعض خصومهم) ان يتقن الانشاء مثلهم وهما اكبرهم نصرالله وثانيه نعمة الله والد نوفل المؤلف المشهور · فنشأ أُسلوب كتابته عامياً ·

وكانت مناظرة في طرابلس الشام بين آل الغريب الأُسرة المعروفة فيها من المسيحيين وبين آل نوفل للتزاحم على الكتابة في الدواوين وكان مصطفى اغا بربر حاكمها قد قرب آل الغريب وأبعد آل نوفل ·

فذهب ابو سليم عبـد الله (مؤلف المذكرات) الى دمشق وتديرها وكتب لحكامها وتربت أُسرته فيها وتزوج منها بعد موت زوجته الثانية ورزق اولاداً تربوا في دمشق وهجروا موطن ابيهم طرابلس لاسباب سياسية ·

وكان عبدالله حصيف العقل ذكياً حسن الادارة والسياسة فنال منزلة لدى حكام دمشق في المدة المشار اليها ولم يستطع بنو فارحي ان يقووا عليه لكنهم عزلوه مرة فعاد بعد قليل الى منصبه وزاحمه يوسف عيروط من طائفة الروم الكاثوليك وكبير كتاب محمد

علي باشا في مصر ولم يثبت في دمشق اكثر من اسبوع وعاد القلم الى نوفل بمعاضدة يوسف زرديل اليهودي صديق أسرته في مصر · وعدو آل فارحي ·

فكان نوفل هذا بين خصوم يجب ان يتحذر منهم فكتب حوادث دمشق بكل تحفظ في هذه (المذكرات) المنشورة حديثاً وحيثما ورد اسمه فيها ذكر نفسه باسم المعلم احياناً وترك بياضاً أمامه ليكتب متى زالت الموانع (انه مؤلف الكتاب) و يشرح بعض الشؤون · ولقب نفسه بالمعلم على عادة عصره ليخفي نفسه و يتصل وكذلك نجده ذكر اسم ابن اخيه نوفل نعمة الله نوفل وولده (سليماً) المار اسمه قريباً وعين عمره وهذا لا يهم غيره كاهمه لانه ابنه (راجع الصفحات الـ١٤٨ و١٩٨ و٢٤١ و٢٤٤ و٢٤٦) ثم ذكر في الصفحة الـ٢٣٦ الكاتب الثاني تحت يده وهو موسى صدقه من وطنه طرابلس كان قد رباه وخطب له ابنته فتوفيت قبل تزويجها فخطب له ابنة ابراهيم الطنوس احد كتبة الحكومة الدمشقية في ذلك العهد من مشايخ مقعبرة في حصن الاكراد · والكتاب هو بلغة العامة و يظن حضرة ناشره انه بلهجة دمشقية لا طرابلسية مع ان الصديق المؤرخ جرجي افندي يني كتب اليّ انه رأى نحو تسعين كلمة فيه مما يستعمله الطرابلسيون اليوم وليس بعجيب ان يكون المؤلف كاتباً بلهجة دمشقية وهو قد بقي في تلك المدينة نحو ربع قرن او اكثر يشافه سكانها و يخدم حكومتها و يربي أسرته · وزوجته دمشقية ايضاً فضلاً عن ان اللهجات العامية لا يظهر اختلافها بالكتابة دائماً بل باللفظ ·

وبعد البحث لم أجد غيره كتب مذكرات عن هذه الشؤون لان زوجة ابن اخيه نوفل وهي انجلينا الغريب اخبرتني منذ بضع وثلاثين سنة ان لعم زوجها هذا كتاباً في الحروب المصرية في سورية وكذلك نسيبه المرحوم نقولا بك نوفل اخبرني ذلك وعرفت ان الكتاب أحرقته خادمة ابن المؤلف المرحوم حبيب على اثر وفاته سنة ١٨٩٣ م و بالطبع أحرقت المسودة وبقيت المبيضة منسوخة بقلم بعض كتاب ديوانه ولعله موسى صدقه او من بني صرّوف الذين كتب له منهم جرجس ومخائيل صروف وقد جرى مثل هذا لزين الدين عمر بن سهلان الساوي مؤلف كتاب (البصائر النصيرية) في المنطق فانه أحرقت مسودته بعد وفاته حداداً عليه كما يذكر المؤرخون · ولكنني كنت في صباي اصلح تجاربه (بروڤاته) ليطبع بالمطبعة العثمانية في بعبدا (لبنان) ولم يكمل من طبعه

اكثر من ثلثه ولكن نشره بحواش وضبط العلامة الشيخ محمد عبده المصري في مصر · فبقيت مبيضته التي طبع عنها الكتاب ولو أحرقت مسودته ·

ومؤلف (المذكرات) ولد في طرابلس الشام سنة ١٧٩٧ م وتوفي في خدمة داود باشا اول متصرفي لبنان سنة ١٨٦٦ م ·

اما المذكرات فهي مفيدة في تفصيل الحوادث وقد خدمها بعض الخدمة حضرة ناشرها بحواش قليلة وكان من الصواب ان يضع بعض تفاسير الكلمات بحواش ليبقى المتن الاصلي متميزاً وهناك اشياء كثيرة تحتاج الى شرح وتفسير لانها بلغة صارت اليوم بعيدة عنا · ولعله يستدرك ذلك في طبعة ثانية ويخدم الكتاب خدمة كاملة ·

ولم تخل المذكرات من أغلاط مطبعية وكلمات مصحفة او محرفة سيستدركها الناشر ايضاً وهو جدير بجزيل الشكر على نشر هذا الاثر النفيس وما فيه من تفصيل ما جرى في ذلك العهد · والله ولي التوفيق · زحلة : عضو المجمع العلمي

عيسى اسكندر المعلوف

قرأت في الجزء الاول من هذه السنة مقالة (تصحيح نهاية الارب) للاستاذ المغربي فوجدته متردداً في صحة البيت الذي أورده في الصفحة (٣٣) وهو :

نصبت له في الارض بيت حديقة تمد لها في الجو كفاً ومعصما

وقد رأى ان الضمير في لها عائد على بيت الحديقة وهو مذكر فاستشكله واستظهر ان يكون لفظ بيت محرفاً عن (بنت) فيصح عود الضمير المؤنث اليها ؛ ثم انه لم يرتض الكناية عن المنجنيق ببنت الحديقة وبقي الاشكال ·

وقد لاح لي في ذلك رأي أحببت ابداءه وهو :

١ً — ان الضمير في لها محرف عن ضمير مذكر وهو يعود على الحصن المحدث عنه ، اما اعتباره مؤنثاً عائداً على التي تمد الكف والمعصم فذلك يجعله مع اللام الداخلة عليه حشواً زائداً ،

٢ً — ان لفظ بيت محرف عن (ذات) ولا معنى هنا للبنت كما لا معنى للبيت ·

٣ً — المضاف اليه بعد ذات هو اما ان يكون (خديعة) ووصف المنجنيق بانه ذات

خديعة يناسب النصب كما تنصب الاشباك لخدعة الصيد ، ويناسب وصفها بانها تمد كفًا ومعصمًا للحصن لان مدها الكف والمعصم اليه ليس حبًا به ليتناولها بل لترميه بقذائفها فتهلكه ، او يكون المضاف اليه لفظ (قذيفة) بالمفرد او قذائف بالجمع ، والوصف بهذا يناسب حال المنجنيق لانه آلة ذات قذائف يرمى بها ، حتى ان من اسمائه القذاف ، فتكون صحة البيت هكذا :

نصبت له في الارض ذات قذيفة[1] تمد له في الجو كفًا ومعصما

ولي كلمة ايضًا فيما ورد في تلك المقالة من كون القين لا يجمع على قيان لان هذا جمع قينة ، فاني لا ارى ذلك مانعًا من ان يكون جمعًا للقين كذلك ، لان فِعالا جمع فَعلة ايضًا نحو قصعة وقصاع ، وان كان قليلاً فيما عينه ياء نحو ضيعة وضياع وغيضة وغياض ، وقد صرحوا بجمع قين بمعنى العبد على قيان فلا مانع من جمعه هذا الجمع اذا كان بمعنى الحداد .

من اعضاء المجمع

مسعود الكواكبي

(١) او قذائف .

مطبوعات حديثة

الامير عبد القادر

١٨٠٨ — ١٨٨٣ (١٢٢٣ — ١٣٠٠ هـ)

« من التعصب الاسلامي الى الوطنية الافرنسية »

تأليف الكولونل بول آذان (Colonel P.Azan) طبع في مطبعة هاشيت في باريز (١٩٢٥م ص ٣١١)

L'Emir Abd el Kader
1808 - 1883
« Du fanatisme musulman au patriotisme français »
Librairie Hachette - Paris - 1925.

كتب اكثر من الف كتاب ورسالة ومقالة عن تاريخ هذا الامير واعماله في إمارته الفتية ، وايام عزلته في منفاه ، وهجرته الى فرنسا والشام ، وقد اختلف ما كتبه عنه المؤرخون : فقال كل منهم بحسب هواه ومقاصده ، فمنه ما أملاه التعصب ، ومنه ما شوهه الغرض ، كما هو الحال في تدوين اكثر الوقائع التاريخية التي تكون قريبة من زمن وقوعها ، واكثر الذين كتبوا عن الامير عبد القادر كانوا معاصرين له متأثرين بعوامل شتى ، فمنهم الانصار المحبون ، ومنهم الخصماء الناقمون ، وقد حذا حذوهم من كتب بعدهم ، فنقلوا مانقلوه عن غيرهم على علاته من دون تحقيق ولا تمحيص .

ولما اطلعت على هذا الكتاب وقرأت هذا العنوان : « الامير عبد القادر — من التعصب الاسلامي الى الوطنيـة الافرنسية » . لم اشك بانها أنشودة أراد المؤلف بواسطتها ان يتغنى بمآثر جيش ينتمي اليه . فكأن الكاتب أراد بهذا العنوان الذي صدر به كتابه ، ان يجرّد الامير من كل شعور وطني ، و ينسب قيامه الى تعصب ديني ، مع انه برهن في كل أدوار حياته على انه أبعد الناس عن هذه الوصمة . ولو لم يكن طموحاً لاستقلال بلاده وحرية ابناء جنسه ، لما ناصب الاتراك العداء حتى اضطهدوه وأخرجوه من بلاده (ص : ٤و٥و٦) فهذا يثبت بان قيامه كان لمقاومة كل استيلاء اجنبي ، لافرق فيه عنده بين سلطة التركي المسلم وسلطان غير المسلم . واي برهان على

هذا اعظم من انه استعان بالافرنسيين لما أمن جانبهم في خلال معاهدتي (ده‌ميشيل Desmichels سنة ١٨٣٤ وتافنا Tafna سنة ١٨٣٨ م) ليقضي على النفوذ التركي المستحكم اذ ذاك في تلك البلاد (ص: ٣ و٣٢ و٣٣ و٣٤) ·

كان الامير عبدالقادر تقياً ورعاً ، بيد انه كان متسامحاً محباً للتجدد ، فلم يحجم قط عن التذرع بوسائل المدنية الحديثة الفعالة في اصلاح بلاده والنهوض بها ، على ما اعترف المؤلف به في مقدمته فقد نصح لحكومته بان تقتفي اثر الامير بقوله « يتحتم على فرنسا واجب كبير وهو ان تثقف الشعب (الجزائري) اولاً ، وتكونه كما أراد ان يفعل عبدالقادر » وقد ذكر المؤلف بان الامير استعان بآراء كثيرين من الاوربيين الذين انضموا اليه ، فمنهم افرنسيون والمان ومجريون واسبانيول · أليس كل هذا من شأنه ان يبرئ الامير مما ينسب اليه من تعصب وجمود ؟ ·

وبعد فلم ار في كل هذا الكتاب، مايستدعي هذا العنوان الماس بسمعة رجل كانت جميع اعماله مفخرة لقومه وعصره · ولم يذكر لنا حادثة من اعماله يشتم منها روح التعصب ، بل كل ماذكره هو سلسلة تسامح وتساهل على ما يأمره به الاسلام · فان كان الكاتب يرى دفاع المرء عن بلاده تعصباً ، واستسلامه تسامحاً ، فنعم هذا التعصب وبئس ذاك التسامح · كما انه لم يأتنا بما يستدل منه على وطنيته الافرنسية ، اللهم الا صداقته لفرنسا وحمايته لرعاياها في حوادث الشام سنة (١٨٦٠ م ١٢٧٧ ه) ·

ولعل الكاتب أراد بهذا العنوان ان يلطّف اساءة امته الى الامير ، وقد نكثت بوعدها واعتقلته بعد إلقائه سلاحه ، فأراد ان يجد مبرراً لهذا العمل — بان اعتقاله في فرنسا أثمر نتائج حسنة في تطور أخلاق الامير · لانه اتى الى فرنسا متعصباً صلباً ، ثم غادرها متسامحاً مرناً ·

وقد افتتح الكاتب بحثه بالطعن في نسب الامير وشرفه بدون اثبات ولا اسناد ، مع انه لم يسبق لغيره انكار صحة نسبه ، بل بالعكس قد دونه الحفاظ في كتب النسب والشرف ، كما جاء في كتاب جوهرة المقول في ذكر آل الرسول لعبد الرحمن بن محمد القاسمي ، وفي كتاب التحقيق في النسب الوثيق للشيخ احمد بن محمد العشماوي ، وفي كتاب فتح الرحمن وشرح عقود الجمان للشيخ محمد بن محمد الجوزي الراشدي ، وكثير غيرهم من علماء

الانساب المحققين . وقد أُثبت ذلك في عقد البيعة للامير بما نصه : « .... فلم يجدوا لذلك المنصب الجليل الا ذا النسب الطاهر ، والكمال الباهر ، رأس الملة والدين ، قامع اعداء الله الكافرين ، ابا المكارم السيد عبدالقادر ابن مولانا السيد محيي الدين .... الخ» . وقد أقر بصحة ذلك العلامة السيد محمود الحمزاوي مفتي دمشق الشام ، واعترفت الحكومة العثمانية بذلك وعهدت لابن اخيه السيد نورالدين بنقابة اشراف الاستانة . وذكر (ص:١٩٠) ان ابن اخي الامير السيد الطيب كان قتل في احدى المعارك وصوابه (السيد احمد) . وجاء في (ص : ٢٤٥) بان ثلاثة من اولاده رافقوه الى فرنسا وبينهم عبد الله والحقيقة هو (الهاشمي) ثالث أولاده .

فالكتاب في مجموعه من أحسن ما كتب عن الامير ، وقد كان المؤلف في اكثر مواقفه معتدلاً منصفاً ، وخصوصاً في دفاعه عما نسبه اكثر المؤرخين الافرنسيين الى الامير ، من انه هو الذي نقض معاهدتي (دميشيل وتافنا) ، وكذلك اعترافه بان الامير بريء مما نسبه بعضهم اليه من قتل بعض الأسرى الافرنسيين . وان السياسة أوجبت اذ ذاك إفاضة هذه التهمة ، لإثارة الرأي العام الافرنسي .

فالكتاب على صغر حجمه مستوفي البحث ، غزير المادة ، ولا عجب فان المؤلف معروف بتدقيقه ، وطول باعه ، ومن يطالع قائمة المصادر التي استقى منها ، يدرك المصاعب التي ذللها ، للحصول على نتيجة لم يسبقه اليها احد من قبل .

جعفر عبد القادر الحسني

الدولة الأموية في قرطبة

« تأليف السيد انيس زكريا الصولي . طبع في المطبعة العصرية ببغداد »

« سنة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م الجزء الاول ص ١٦٠ »

تناول المؤلف ، وهو من أساتذة التاريخ ، الكلام في هذا القسم على فتح الاندلس وعبدالرحمن الداخل وخلفائه والدولة الاموية في اوج علاها وعلى الحاجب منصور ، وما تخلل هذه الادوار من الحوادث التي تدلت بسياسة الاندلس تارة وارتفعت بها

تارة أخرى ، معتمداً في الاكثر على مصادر افرنسية وانكليزية ثم على المصادر العربية ولذلك جاء شيء من العجمة في بعض كلامه المنسق نسقاً غريباً مقبولاً مع بيان المظان التي أخذ عنها واكثرها عزيت الى دوزي وسكوت وكوبه وكونده وهوار ولوبون وابن بول . وقد علل بعض ما حدث في تلك المملكة العربية تعليلاً جميلاً الا ما تابع عليه بعض المتعصبة من الفرنج الذين يحاولون ان ينالوا من العرب والاسلام ، ولا غرض لهم الا تزييف هذه الحضارة ، فما قاله في تسامح ملوك الاندلس وهم المثل السائر فيه (راجع كتابنا « غابر الاندلس وحاضرها » المطبوع في القاهرة سنة ١٣٤١ — ١٩٢٣) لا يقدح في صفاتهم ، وما أخطأ فيه فرد لا يسري على الجماعة .

وكنا نود لو أرجع المؤلف أعلام البلدان الاندلسية الى أصلها العربي لا ان يضعها بلفظها الافرنجي وحروفها اللاتينية كما قرأها مما يصعب على كل مطالع فهمه لان قراء العربية كلهم لا يعرفون اللغات الغربية . اما لو وضع أعلام البلاد على الصورة التي اصطلح عليها العرب ووضع بجانبها اللفظ الافرنجي فيحسن مرتين ، وربما قال لنا ان جميع المواد العربية التي طبعت حتى اليوم عن الاندلس ، من تلك التركة الكبيرة التي نجت من تعصب الاسبانيين ، لا تبل الصدى ولا تسد نهمة الطالب في هذا الشأن فنحن نوافقه على دعواه لانا لم نر احداً من الباحثين من علماء المشرقيات قد وفق حتى يومنا هذا الى وضع مصور واف بالغرض عن الاندلس فيه الاعلام على حقيقتها (راجع مقالة الاستاذ سيبولد في المعلمة الاسلامية عن الاندلس ومقالة تحريف الاعلام في بلاد الاسلام للاستاذ نالينو في مجلة المقتبس م٣ ص١٣٠) وخريطة الاندلس على عهد العرب التي نشرها الاستاذ السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي منذ بضع سنين مختصرة لا تسد الثلمة كلها .

وها نحن نأتي للمؤلف بمثال من هذه الأعجميات التي وردت في كتابه بلفظها الأصلي فقط (Pierre sèche, Louis le débonnaire, Propogandiste) الاولى ان يقال الداعية . لويس الحليم . اللئيم او الشحيح . ومن الاعلام شيء كثير من هذا القبيل (١) Xérès (٢) Guadalete (٣) Beza (٤) Denia (٥) Astroga (٦) Gerona (٧) Salamanque (٨) Alicante (٩) Valentola (١٠) Orihuela (١١) Lorca (١٢) Bejar (١٣)

Coria (١٧) Santebria (١٦) Guadiana (١٥) Mola (١٤) Vacasora
(٢١) Serranie de Ronde (٢٠) Bobaxter (١٩) Castille (١٨)
Algarve (٢٥) Mentesa (٢٤) Moron (٢٣) Ecija (٢٢) Tudel
Lugo (٣٠) Niebla (٢٩) Cazlona (٢٨) Baena (٢٧) Aguilar (٢٦)
(٣٥) Zamora (٣٤) Calatayud (٣٣) Viseu (٣٢) Santarem (٣١)
Nejera (٣٩) Talavera (٣٨) Guazalte (٣٧) Sidonia (٣٦) Coimbre
San Estuan (٤٣) Osma (٤٢) Mulonia (٤١) Valtierra (٤٠)
Tolox (٤٧) Viguera (٤٦) Val dijuiuguera (٤٥) Carcar (٤٤)
Ossuna (٥١) Ossonoba (٥٠) Calatrava (٤٩) Santa Maria (٤٨)

وما تخالف المؤلف الفاضل الا موافقاً لنــا كل الموافقة في إرجاع هذه الاعلام الى اصلها لان مؤلّفه يكتب ليفيد العرب، وان الاجدر بنا والاجمل ان نطلق عليها ما أطلقه أجدادنا عليها مدة قرون وما منها الا بلد او واد كانت لنا فيه هناك ايامنــا الغر المحجلة فنقول: (١) شَريش شَرَش (٢) وادي اكة (٣) باجة (٤) دانيــة (٥) استورقة او استرقة (٦) جيرونة (٧) صَلَمنكة (٨) القنت (٩) بلنسـله (١٠) أوريولة (١١) لورقة (١٢) وابة (١٣) بقسرة (١٤) مولة (١٥) وادي انه (١٦) شنت برية (١٧) قورية (١٨) قَشتالة (١٩) بُبَشتر (٢٠) رُنْدَة (٢١) تَطيــلة (٢٢) إستجة (٢٣) مورو (٢٤) مَنتيشة (٢٥) الغرب (٢٦) بَلّي (٢٧) بَيّانة (٢٨) قسطلونة (٢٩) لَبْلة (٣٠) لُكْ (٣١) شَنترين (٣٢) بازو (٣٣) قلعة ايوب (٣٤) سَمُّورة (٣٥) قُلُمرية (٣٦) شَذونة (٣٧) وادي سليط (٣٨) طَلبيرة (٣٩) ناجرة (٤٠) حصن تلبيرة (٤١) مطونية (٤٢) حصن وخشمة (٤٣) شَنت اشتيبن (٤٤) قلقرة (قلهرة) (٤٥) وادي دو ير (٤٦) حصن بقيرة (٤٧) طلوزة (٤٨) شنتمرية (٤٩) قلعة رَباح (٥٠) اشكونة او اشكونية او أخشونية او اقشونية (٥١) اشفونية .

وقد تحرفت عليه بعض الاعلام التي ردها الى حالتهـا الاولى فقال النورمانديون والمجوس، والاندلسيون كانوا يطلقون على النورمانديين اسم المجوس فهم اذاً كما كانوا يطلقون الوشكند او البشكنت بَسْكُونس على الباسك (Basques) . وفسر

غاسقونيا بجبليقية وجبليقية هي غاليسيا وقال مرات بدل « بَطليوس » المدينة المشهورة «بطليوس» بالميم . وقال ان الشاعر «غريب» من اهل القرن الثاني كان في زمن الحكم وهي يدعو الى الثورة ولا نذكر شاعراً اندلسياً اسمه كذلك ومثل ذلك قوله في شاعر آخر اسمه سعيد بن جودي وقال عن زرياب المغني (زرئاب) وقال ان « بني قاس » القوطيين كانوا في أرغون وهؤلاء قد تحرفوا عليه .

والمؤلف على ما ظهر لنا لا يهتم لتغير الالفاظ كثيراً فيسقط في هفوات لغوية واكثرها مما عمت به البلوى بين الكتاب ونبه عليه المجمع العلمي في مقالات كثيرة تحت عنوان « عثرات الاقلام » كما انه لم يهتم بتة في اثبات التاريخ الهجري بجانب الحوادث ، والكتاب في امة عربية للامة العربية ، وكل امة تزهد في تاريخها وهو بعض مشخصاتها كانت حرية ان تزهد في غيره . وذكر ان المعاهدة التي عقدت بين عبد العزيز بن موسى وتدمير احد امراء الاندلس كتبت بالعربية واللاتينية وانها في كتاب المكتبة العربية الاندلسية اي كأنها مفقودة والمكتبة الاندلسية طبعت منذ زمن طويل بعناية الاستاذين كودرا وريبرا (راجع مقالتنا في وصفها في مجلة المجمع العلمي م ٥ ص ٣٣٦) .

هذا ما رأيناه في هذا الكتاب الطريف ورجاؤنا ان ينظر مصنفه الى ما كتبناه بعين الرضا فانا رأيناه يحب « الانتقاد والغربلة » واحر بمن كان هذا منزعه ان تورد له الحقائق بثوبها المجرد .

محمد كرد علي

في الشعر الجاهلي

« تأليف الدكتور طه حسين طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة »

« سنة ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م ص ١٨٣ »

معظم امالي هذا الاستاذ النابغة من الافكار الطريفة آخذ بقسط عظيم من التجدد فيه بحث ودرس . وكتابه هذا سيحدث تأثيراً مهماً عند انصار القديم في الادب يقول فيه ان ما انتهى الينا من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جداً لا يمثل شيئاً وان معظم ما نعرفه

وتدارسه منتحل موضوع ، وضعه الرواة والنحاة والقصاص او اخترعه المفسرون والمحدثون والمتكلمون ليستدلوا به على ألفاظ القرآن او لغرض آخر من اغراض التفاخر او التنابذ بين القبائل . والاولى ان يستدل بنصوص القرآن على عربية هذا الشعر لا بهذا الشعر على عربية القرآن . وقد بحث في ذلك ما شاء بيانه وأسقط جانباً من هذا الشعر وألقى الشك في الجانب الاخير . وبحثه علمي مجرد من التقاليد والدين . ولاشك ان كتابه سيجد من مخالفيه مقاومة شديدة يرجح العلم الحديث عقباها كتاباً آخر يناقض هذا الرأي وعندئذ يخسر الدكتور طه قضيته او يربحها .

عيد المقتطف

احتفل يوم الجمعة مساء ٣٠ نيسان الماضي في القاهرة بعيد مرور خمسين سنة على نشر مجلة المقتطف بحضور زمرة من العلماء ورجال الدولة المصرية وتليت خطب وقصائد قدر فيها قائلوها قدر عمل العاملين الفاضلين الدكتور يعقوب صروف وفارس نمر منشئي هذه المجلة اقدم مجلاتنا العربية التي كتب لها ان تعمر بفضل صاحبيها وتنشر العلم في البلاد العربية . ولا عجب اذا هنأ العلماء والادباء صاحبي المقتطف فهي المعلمة العلمية الكبرى عند العرب نقلت اليهم أفكار الغرب وعلومه المادية . وليس في المعاصرين منا من لم يتدارس مقالات المقتطف ويستفد منها علماً وأدباً . واذا ألقينا نظرة على من آزروا هذه المجلة من كتاب العرب وعلمائهم في مصر والشام والعراق وتونس وغيرها يتجلى لنا تاريخ الحركة العلمية والادبية في ارض العرب . فللقائمين بمجلة المقتطف ولا سيما العلامة الدكتور صروف عضو مجمعنا نقدم تهنئات المجمع العلمي ونرجو له ولشريكه في هذا العمل العظيم اطراد الهناء والمضاء في خدمة العلم والافكار الصحيحة .

الجزء ٦ — المجلد ٦

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) حزيران سنة ١٩٢٦ م الموافق ذي القعدة وذي الحجة سنة ١٣٤٤ هـ

المعلمة الاسلامية

Encyclopédie de L' Islam

متى ارتقى العلم في أُمة لاتقنع من تدوينـه بنتف قليلة مبعثرة بل تطلب التفصيل والتمحيص والتنسيق ، وتقريب اصوله وفروعه على المتناول ، هكذا كانت العرب يوم وضعت أُسس العلوم عندهم . فكم من معلمة ، او موسوعات او دائرة معارف ، لهم في الحديث والسير واللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم التي خاضوا عبابها ، دونوها وجودوا في نسقها ، ولاتزال الى اليوم يستفاد منها ويدهش المنصفون من وضعها ، وينسج الغربيون أصحاب المدنيات الحديثة على منوال علماء العرب في وضع المعاجم والمعلمات تسهيلاً على الناس في التعليم . قال العلامة براون[1] الانكليزي : ألف العرب الكتب في علم تقويم البلدان وتخطيطها على طريقة لم يؤلف مثلها ، وكتبهم العربية في التاريخ أوسع الكتب وأدقها في نظري ، وبعض المؤلفات العربية في التاريخ لم يكتب على نسقه في اوربا . ثم ذكر كتبهم في التاريخ والفلسفة وتحدى أُمته التي تفاخر بدائرة المعارف البريطانية بجماعة من كبار اهل العلم في العرب ألفوا معلمة اسمها « اخوان الصفاء » بينما كانت اوربا في دور الهمجية . وقال العلامة[2] هيس السويسري في معنى تساهل الوطنيين بمصر بدراسة المدنية الاسلامية البديعة : اننا (اي اهل اوربا) نعجب بها لما نقرأه من آياتها في كتب مشاهير المؤلفين أمثال ياقوت والبيروني والخوارزمي وابن خلدون الخ .

---

(١) من خطاب له في مأدبة دار الندوة الانكليزية أمام جماعة المصريين سنة ١٩٠٧ (١٣٢٥ هـ) (المقتبس م٢ ص٤٩٧) . (٢) مجلة المجمع العلمي (ج٣ ص٢٦) .

ولقد عاش اهل اوربا زمناً لا يعرفون عن الاسلام والعرب الا ماتسمح بمعرفته قساوسة البيع والديارات ، اوتنقله ألسن العامة من التجار والباعة وزوار القبر المقدس في ايليا ، حتى اذا كانت الحرب الصليبية المشؤومة واختلط الغربيون بالعرب وغيرهم من الشعوب الاسلامية وأخذوا يدركون بعض الحقائق و يوقنون ان ما كان بعض رجال الدين يلقنونهم اياه عن العرب فيه مافيه . ومابرح امر الوقوف على أحوال الاسلام والعرب يرتقي سنة عن سنة حتى قوي الاستشراق في الغرب ، وأخذ علماء المشرقيات ينشرون في مطبعة ليدن في هولاندة ، منذ أوائل القرن السابع عشر ، كتب علماء العرب في التاريخ والجغرافيا والادب والفنون والفلسفة . وما برحت هذه المطبعة على ما تعاورها من الأيدي سائرة سيراً متساوقاً لنشر أمهات هذه الكتب التي تتألف منها اليوم خزانة كتب تعد من أهم خزائن أسلافنا ، ولولا مانشروه لبقي جزء كبير من مدنية العرب في طي الغموض الى اليوم .

اول معلمة عن الشرق أنشأها هربلو[1] من علماء المشرقيات في فرنسا منذ اكثر من قرنين ، ولكن هذه المصادر عن العرب والترك وغيرهم من الشعوب الاسلامية لم تكن متوفرة توفرها اليوم ، ولا كان الاخصاء في العلوم بلغ هذا المبلغ من الدقة في عصرنا . ثم ان معلمة علمية يراد ان يستفاد منها لا يتأتى اليوم ان تعد شيئاً مادام المنفرد بانشائها واحداً مها بلغ من ضلاعته في العلم والبحث .

---

(١) هربلو واسمه (Barthélemy de Herbelot de Molainville) هو من علماء المشرقيات في فرنسا ولد وعاش في باريز (١٦٢٥—١٦٩٥) عينه فوكيه وزير مالية فرنسا أميناً للسر ومترجماً من اللغات الشرقية وقد أظله كولبر وزير فرنسا الكبير في عصره بظل حمايته ورتب له الملك لويز الرابع عشر رزقاً . كان استاذاً للغة السريانية في (كوليج دي فرانس) وقد طارت شهرته بالكتاب الذي ألفه واسمه « المكتبة الشرقية او المعجم العام » الحاوي كل مافيه معرفة شعوب الشرق وتاريخهم وتقاليدهم الحقيقية ولا يزال هذا التأليف يرجع اليه العلماء وقد اكمله غالان (Galland) من علماء المشرقيات من الافرنسيين .

ولطالما جرى البحث (١) في الغرب ولاسيما في مؤتمرات المستشرقين الدولية ، في الحاجة الماسة الى معلمة اسلامية تجمع شتات جميع أبحاث علماء المشرقيات التي هيأوها عن الشعوب الاسلامية ٠ ومثل هذا التأليف لا اثر له في الغرب حاشا « المكتبة الشرقية » ولم توضع المعلمات العربية والتركية بحيث تفي بغرض القراء من الغربيين ممن لا يعرفون هاتين اللغتين فهي اذاً لا تسد هذه الثلمة ٠ ولقد دعي العلامة الاستاذ هوتسما في اترخت من بلاد هولاندة، الى القيام بهذا التأليف، فنشر بمعاونة بعض علماء المشرقيات والسادات بريل في ليدن نموذجاً من المعلمة الاسلامية سنة ١٨٩٩ نال استحسان رصفائه ، فطلب معاونة المجامع العلمية في اوربا باسرها للانفاق على هذا المشروع ، فأجابته الى طلبه وأمدته بالمال، فرضيت عندئذ مطبعة بريل ان تنشر هذا المصنّف على نفقتها ٠ ولم يقرر اولاً اللسان الذي يجب ان يُنشر به هذا الكتاب ، ثم وقع الاتفاق على ان ينشر بثلاث لغات (الالمانية والافرنسية والانكليزية) ٠ قال السيد هوتسما: وهذا القرار اي نشر المعلمة الاسلامية بثلاث لغات مما يؤسف له، لان مهمة انشاء هذه المعلمة تطول بذلك وتصعب ثلاثة أضعاف ، وقد كان كما قال ، وأشق من ذلك ان نشرها على هذه الصورة يستلزم وقتاً أطول ثلاثة أضعاف للنشر وتزيد النفقات ثلاثة أضعاف ٠

ضم الاستاذ هوتسما اليه الاستاذ باسيه عميد كلية الآداب في الجزائر ليتولى تحرير النسخة الافرنسية، والاستاذ ارنولد في لندرا للقيام بالطبعة الانكليزية، فتولى السيد باسيه ومؤازروه جميع المقالات المتعلقة بشمالي افريقية (الجزائر وتونس ومراكش والسودان)، وجميع الابحاث المتعلقة بالبلاد الخاضعة للحكومة الانكليزية ماعدا مصر هي مما يرجع فيه الى السيد ارنولد ، وعامة البلاد مثل مصر والمملكة العثمانية باجمعها وفارس وآسيا الوسطى والهند الهولاندية (جاوة) الخ هي في عهدة السيد هوتسما ٠ وعهد بالمقالات المختلفة في هذا الشأن الى علماء كفاة يوقعون على مايكتبون ، وهم وحدهم المسؤولون عما تحويه ٠ والغاية من هذه المعلمة علمية صرفة، وذلك ليحيط الناس حق الاحاطة بحال

(١) من كتاب تفضل بارساله الى كاتب هذه السطور العلامة السيد هوتسما رئيس تحرير المعلمة الاسلامية في ٢٩ حزيران ١٩١٤ (المقتبس م ٩ ج ١) ٠

الشعوب الاسلامية و يطلعوا على تاريخهم ودينهم وفنونهم وعلومهم وجغرافية البلاد التي ينزلونها وتراجم المشهورين من رجالهم ٠

هذه هي الخطوط الاساسية للمعلمة الاسلامية ، ومابرحت بعد سبع وعشرين سنة من التوفر على نشرها لم تنجز ، «فقد[1] أُصيب العمل في المعلمة الاسلامية بعد الحرب بشيء من الاضطراب العام فسار سيرا السلحفاة ، وكان يُرى من العبث متابعة العمل خلال الحرب في عمل دولي عام ٠ اما الآن فقد حسنت الحال وان كنت لا آمل وانا في سن عالية من الشيخوخة ان أرى نجاز المعلمة التي أصبح اتمامها مضموناً ٠ ولبلوغ هذا الغرض طلبت موءازرة تلميذي الاستاذ وانسنك في ليدن يساعدني في انشاء هذه المعلمة فبادر بنشر الجزء الاخير وفيه المقالات التي تبدأ بحروف S — Z فظهر منه اربع كراريس ، والجزء الثاني الذي يبدأ من حرف F الى K قد تم تقريبًا وبقيت حروف L الى R وهذا ما يشغلنا ايضًا عدة سنين ٠

« تعاورت الطبعات الافرنسية والالمانية ايدي كثير من المنشئين غير مرة ، فقد أُصبنا بخطب عظيم بفقد رصيفي المأسوف له رينه باسيه في الجزائر ثم اتصل بي موءخراً ما ارمضني وهو ان ابنه وخليفته في العمل هنري باسيه قد اعتبط ايضًا في رباط الفتح ٠ اما النسخة الالمانية فقد تولى انشاءها الاساتذة شادي في همبورغ ورينار هارتمان في كنسبرغ وبوير في هالي ثم السيد شادي للمرة الثانية والآن السيد هفنج في بون ٠ وعصفت عواصف المنيـة بين الموءازرين ففقدت المعلمة من أشهرهم العلامة دي خويه استاذي في ليدن، وفقدت من علماء الالمان مارتين هارتمان في برلين، وسيبولد في توبنغ والمجري غولدصهير في بودابست ، والسويسريين السيد فان برشم في جنيف والسيد سوتير، والانكليزي السيد لونكورث ديمس، والسيد مولنسكي في الجزائر، واوستروب في الدانيمارك ، وغيرهم ممن قضوا في ساحات الحرب العامة ٠

« ومن أشهر من يوءازرون اليوم في المعلمة الاسلامية من علماء المشرقيات وهم زهاء خمسين رجلاً ، من الهولانديين وانسنك وجوينبول وفون اراندونك وهوءلاء الثلاثة مستعربون، ومنهم بوير للفلسفة الاسلامية، وبوخنر للفارسيات ، وكريمر للتركيات ٠

(١) من كتاب للعلامة هوتسما كتبه الي يوم ١٠ نيسان سنة ١٩٢٦ ٠

ومن الالمان السادة شادي ور يشار هارتمان وبو ير وبهكر و بروكلمان ومور يستر ور يتر وميتفوخ وكاهل وفيشير وليتمان ، وهؤلاء كلهم مستعربون ، والاساتذة سو برنهايم وهرزفلد «للآثار» وستوك «للجغرافيا» وو يدمان وروسكا وشواي «للعلوم الطبيعية» وموردتمان ومانز يل وسوسهايم و بابنجر «للتركيات» وشـادير «للفارسيات» وغيرهم . ومن الدانيمركيين الاساتذة بول و يدرسن وبورتمان، وهؤلاء الثلاثة من علماء العربية . ومن السو يديين الاستاذ سترستين، ومن الروس الاساتذة بارتولد و كرنكوف ومينورسكي و كوفالسكي . ومن الانكليز الاساتذة ارنولد ومرجليوث ونيكلسون وهيج وبفر يدج ورفون كو ير وفير وغيرهم . ومن الافرنسيين الاساتذة هوار ، ديتنغ ، كارادي فو ، مارسيه ، ايفير ، كور ، بل ، ماسنيون ، كولين ، كاباتون ، فبوليه ، ليفي بروفانسال ، فيت ، غودفروا دمومبين ، فرّان ، دلافوس ، بوفا ، كيليوم ، ديني پاريه ، فاكا . ومن الايطاليين الاساتذة جو يدي ، غريفيني (نوفي) ، نالينو ، بالاداشي ، ليفي دللافيدا . ومن الاتراك والشرقيين الاساتذة كو بر يلي زاده فؤاد ومحمد بن شنب (الجزائر) وهدايت حسين (الهند) اه» . ومن المؤازر ين ايضاً الاساتذة لامنس وهورفيتز وماكدونالد و يوسف علي وسنوك هروغرون و كمفمير، ومن هؤلاء الاعلام في المشرقيات ستة وعشرون عالماً كلهم من اعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق . وليس بين المؤازر ين في هذه المعلمة غير اربعة من المشارقة منهم عالم عربي واحد وهو الاستاذ الشيخ محمد بن شنب من علماء الجزائر ، وليس فيهم غير اميركاني واحد وهو الاستاذ ماكدونالد على ما تبين لنا . كما انه ليس فيهم احد من علماء المشرقيات في اسبانيا والبرتغال . وهاتان المملكتان من أشد الامم علاقة بالاسلام والعرب لان تاريخها مدة ثمانية قرون كان في الجملة تاريخ العرب ومدنيتهم .

تصفحنا هذه المعلمة، ورجعنا اليها غير مرة، فكنا نعجب بابحاثها، ونستفيد من علم كاتبيها وتمحيصهم . ولاجرم فهي أمتع كتاب كتب على الاسلام والمسلمين في الغرب ، وهو أقرب الى الحقائق والتمحيص من كل ما ألفه الغربيون في هذا الشأن ، وعمل كهذا يولي العلم الغربي شرفاً واي شرف ، خصوصاً وان القائمين به هم في معرفة الشرق الاسلامي مجتهدون لا مقلدون : ذكنوا بعض لغاته ومنهم من عاش بين أهله دهراً ، فاذا كتبوا وفوا

الموضوع حقه ، واكثر مادتهم عربية اومن لغة اسلامية ، وقليل من موادهم مايكون بلغة اجنبية ، اللهم الااذا كان تأليفاً لاحد علماء المشرقيات ، وقد تكون مصادره الاصلية شرقية معتمدة . ولكتاب هذه المعلمة عناية خاصة بالعزو الى المصادر المنقول منها شأن علماء العرب في التغالي بتصحيح السند ، والولوع بالاحاديث مروية بأسانيدها ، ولو أورثت الكتاب طولاً وتكراراً .

وانا لنرجو من كل من عرف في هذا الشرق العربي ، احدى اللغات العلمية الثلاث التي صدرت بها المعلمة الاسلامية ، ان يطالعوا مقالاتها مطالعة إمعان وتدبر ، ليقفوا على مبلغ علماء الغرب اليوم من معرفة الاسلام والمسلمين ، وتوفرهم على البحث والدرس . ولو كان كل ما يكتب على هذه الديار مثلاً بأقلام محققين من تلك الحلبة التي تتألف منها لجنة انشاء المعلمة الاسلامية ، لما تسرب الخطأ الى السياسيين والاجتماعيين في الحكم على سكان هذا الشرق القريب . ونرجو من صميم فؤادنا ان تطول ايام صديقنا العلامة هوتسما حتى يرى ثمرة عمله العلمي ناضجة من كل وجه ، خدمة للعلم والادب جزاه الله عنهما خير جزاء .

محمد كرد علي

نموذج من معجمنا

« في العامية المصرية »

ظُهورات

الظهورات بضمتين نوع من الخِدْمة في الدواوين خارج عن الخدم الدائمة يلجأ اليه عند تراكم الأعمال اوحدوث أعمال جديدة تستدعي المعاونة فيستخدم لها أشخاص على نية فصلهم عند انجازها وعلى ان لا تكون لهم أرزاق ينقدونها بعد الفصل كالتي للمستخدمين الدائمين وتسمى بالمعاشات . ويطلق هذا اللفظ عندهم على المفرد والجمع وعلى نوع الخدمة فيقال كاتب ظهورات وكتّاب ظهورات وخدمة ظهورات بارادة الوصف لا الاضافة . وهو محرّف عن الظُهَراء بمعنى المعينين من ظاهره مظاهرة اذا أعانه فالصواب ان يقال للواحد ظهير بفتح فكسر وللجمع ظهراء بضم ففتح والنوع الخدمة مظاهرة .

عالمة

العالمة عندهم المغنية والمقصود العالمة بفنّ الغناء ولكنهم خصوا به النساء ولم يقولوا للمغني عالم بل قالوا فيه آلاتي . ويجمعون العالمة على عوالم وهو جمع صحيح قياساً واطلاق هذا اللفظ على المغنيات قديم في العامية يرتقي الى القرن السابع فيما نعلم وربما كان أقدم من ذلك . ذكر ابن ابي أصيبعة في عيون الأنباء ان نجم الدين بن المنفاخ المتوفى سنة ٦٥٢ (١) كان يعرف بابن العالمة لان أمه كانت عالمة بدمشق وتعرف ببنت دهين اللوز هكذا بالنسخة والذي في الوافي بالوفيات للصفدي « و يعرف بابن العالمة دهن اللوز كانت عالمة بدمشق » قلنا ولعل دهن اللوز هذه هي التي ذكرها ابو شامة في وفيات سنة ٦١٤ من ذيله على الروضتين فقال « وفيها توفيت بدمشق العالمة المعروفة بدهن اللوز وكانت شيخة العالمات بدمشق في ربيع الآخر » والراجح ان المراد بالعالمة هنا

(١) في الوافي بالوفيات للصفدي وقيل ٦٥٦ .

المغنية ولو كانت من أهل العلم لقيل فيها غير ذلك كالمحدّثة او الفقيهة او الاديبة ولنعتت بشيء من نعوت الفضل ٠

وفي تراجم النساء من الضوء اللامع للسخاوي « اقليم شيخة العوالم ومولاة الشيخة أمّ سليمان آلاتية ماتت بمكة في شعبان سنة احدى وستين[1] أرّخها ابن فهد وخلفها في حرفتها فاطمة ابنة السلاوي آلاتية » وقال في ترجمة فاطمة المذكورة « فاطمة ابنة احمد السلاوي ابن عبد الكريم الهلالية وتعرف بالسلاوية شيخة العوالم بمكة بعد اقليم الماضية وزوجة علي بن مزروع العطار ماتت بها في ليلة سادس عشر صفر سنة اثنتين وتسعين[2] وصُلّي عليها بعد الصبح ثم دفنت بالمعلاة وخلّفت تركة متسعة وورثة مستغرقين وخلفها ابنتها من ابن مزروع » ٠ ولا ريب في ان المراد بشيخة العوالم في الترجمتين شيخة المغنيات ولا سيما في التعبير عن عملهن بالحرفة ٠

وذكر ابن طولون الصالحي في نفحات الزهر في ذوق اهل العصر ان نورالدين بن رحاب المصري المغني كان متزوجاً بمن اسمها فضة وعبر عنها بنقيبة العوالم ٠ وأورد صاحب تحفة العاشقين ونزهة المحبين لبعضهم في عالمة :

عالمة عالمة بالجفا قامتها عادلة ظالمة
قلت لها هل تعلمين الذي ألقاه قالت إنني عالمة

والمقطوع مذكور بين مقطوعين في ضاربةٍ بالدف وفي ساقية ٠

ويرادف العالمة من الفصيح (القينة) بفتح فسكون ولا يهولنك قول الحريري في الدرّة « ومن ذلك توهمهم ان القينة المغنية خاصة وهي في كلام العرب الأمة مغنية كانت او غير مغنية » فقد ردّ عليه الخفاجي في الشرح بقوله « وقيده ابن السكيت بالأمة البيضاء واستعماله بمعنى المغنية كثير في كلام العرب نظماً ونثراً وفي الحديث كان لعبدالله بن حنظلة[3] قينتان تغنيان وفي القاموس القينة المغنية اوأعم وهو تخصيص للعامّ باحد فرديه او المجاز المشهور فلا وجه لانكاره » ٠ وفي النهاية لابن الاثير « ومنه الحديث نهى عن بيع القينات اي الأماء المغنيات وتجمع على قيان ايضاً » ٠

---

(١) و(٢) اي وثماني مائة ٠ (٣) في النسخة المطبوعة بالجوائب (خطل) وهو خطأ ٠

وهو اللفظ الذي استعمله الفصحاء للمغنيات زمن الدولة الأُموية وفي صدر الدولة العباسية وجاراهم المولّدون في استعماله بعد ذلك الى ان أحدثوا لفظ العالمة فأُميت . اما تفسيرهم القينة بالأَمة المغنية فقد علله ابو منصور الازهري بان صناعة الغناء كانت من عمل الإماء دون الحرائر .

غَباني

الغباني بالفتح وتخفيف الباء نوع من المنسيج يوشى بالحرير الاصفر مسيّراً او مشجراً واكثر ما يستعمل في مصر للحُزُم ولفائف العمائم ولاسيما عمائم البستانيين حتى أصبحوا يميزون بها بين العمال . ويعتمّ به من غير المصر بين تجار الشام النازلون بمصر وقد يتخذون منه ملابس وكان قديماً من لباس العظماء في المملكة العثمانية . وفي غير مصر يقولون فيه أَغباني بالالف في أوله اواغاباني بزيادة الف ايضاً بعد الغين وبه عبر بعض المؤلفين وورد في مجلة الجنان التي كانت تصدر ببيروت في الكلام على الملابس العثمانية نقلاً عن زبدة الصحائف في سياحة المعارف بما نصه : « وما كنا نراه من القواويق المضربة التي كانوا يضعونها على رؤوسهم اشبه بالتيجان والعمائم التي كانوا يتعممون بها عليها من الشاش الابيض وما كانوا يتعممون به ايضاً على الطرابيش الحمر من الشالات الكشميرية والاغاباني وغير ذلك » .

وزيادة الالف في اوله هي الاصل فيه وقد استعمله الاتراك بها ولكن مع حذف الغين فقالوا أباني وآباني بمدّ اوله وفسروه في معاجمهم بثوب ارضه بيضاء موشاة بالحرير الزعفرانيّ ولم يعرف اكثرهم اصله وذهب بعضهم الى انه أغباني وقيل آق بانُو ولكن مع التوقف والشك ومعنى آق الابيض و بانو في الفارسية السيدة المسنة والاميرة وقارورة ماء الورد اوالخمر . والاقرب فيما نرى ان يكون من (آغا) ومن (بان) واصل الآغا بالمد الاخ الكبير في لغة الجغتاي واستعمله الأتراك في اللغة العثمانية بهذا المعنى وأطلقوه ايضاً على الأمير العظيم وعلى رئيس الخصيان وقد فصلنا الكلام عليه في حرف الالف من المعجم . واقتبسه الفرس من التركية وقالوا فيه ايضاً آقا بالقاف ولقبوا به العظماء والعلماء . واما (بان) فكلمة تلحق في الفارسية باواخر الكلم للدلالة على حافظ

الشيء وحارسة كعلامة (جي) في التركية كقولهم باغبان لحافظ الباغ اي البستان وهو في التركية باغجي . فكأن من سمى هذا النسيج بالآغابان اي حافظ الامير نظر الى انه واقٍ لجسمه وحافظ له كما قالوا لقفاز الصيد دستبان اي حافظ اليد ثم قالوا أغاباني وأغباني وغباني . و يرجح ذلك انه كان من لباس العظماء في المملكة العثمانية كما قدمنا .

و يرادفه من الفصيح (السِيَراء) بكسر ففتح وقد يسكّن الثاني وهو كما في القاموس « نوع من البرود فيه خطوط صفر او يخالطه حرير » وأنشد عليه صاحب اللسان للنابغة :

صفراء كالسيراء اكمل خلقها كالغصن في غُلَوائه المتأوّد

وهو اسم كما ذهب اليه سيبويه لانه أنكر مجيء فِعَلاء صفة فمن قال حلة سيراء فهو على الاضافة كما يقال حلة حريرٍ ومنهم من أجاز ان يكون صفة . وزاد في اللسان « وقيل هي من ثياب اليمن » قال شارح القاموس « قلت وهو المشهور الآن بالمضف » هكذا بالنسخة بالضاد المعجمة وبلا نون والصواب (المَصْنَف) بفتح الميم وسكون الصاد المهملة وفتح النون كما أفادنيه احد فضلاء اليمن النازلين بمصر قال ولم تزل عامة اليمن تعرفه بهذا الاسم وهو مطرف من الحرير مطرّز الحواشي بخيط من الفضة يتلفّع به في اليمن كما يتلفّع بالمطارف الكشميرية في غيرهم الا انهم لا يصنعونه الآن بل يصنعون بدله مطارف ساذجة بلا تطريز يسمون الواحد (لحفة) بكسر الاول والباقي منه قديم متوارث يتفاخرون به ويتلفّعون به في الاعياد . قلت واللفظ عاميّ الا ان له اصلاً في اللغة وهو صِنْف الثوب وصِنْفته بمعنى حاشيته فسمت العامة هذا المطرف بالمصنف لانه مطرز الحاشية . والظاهر ان هذه المطارف كانت تنسج مسيّرة بخطوط صفر زمن شارح القاموس فرأى على ما ظهر له انها المسماة بالسيراء عند العرب . وعلى اي حال فالسيراء من أقرب الالفاظ وألصقها بالغباني كما لا يخفى .

---

(١) هذه التسمية لا تصح وان كان لمادتها أصل في اللغة ولو انهم قالوا (المصنّف) اسم مفعول بتشديد النون لكان أقرب دلالة على المراد الا ان التصنيف لم يرد في اللغة بمعنى تطريز الصنف اي الحاشية .

فَيِّس

الفيِّس بفتح أوله وكسر الياء الاولى المشدّدة يريدون به الجواد المنفاق المفاخر بما ينفقه وهو من صفات المدح عندهم ولم يستعملوا له فعلاً ويقصدون بهذه الصيغة المبالغة كقولهم شَرّيب وسَكّير بفتح الاول والصواب كسره . وليس لمادة (ف ي س) وجود في كتب اللغة التي بأيدينا وانما هو محرّف عن الفَيّاش بفتح الاول وتشديد الثاني و بالشين المعجمة في آخره ومعناه السيد المفضال المفاخر على مافي القاموس وشرحه الا ان العرب تجعله للمتكبر المكاثر بما ليس عنده فاستعملته العامة في احد معنييه بعد تحويل صيغته وابدال سينه شيناً .

قمّر

يقولون قمّر العيش بمعنى لين الخبز بوضعه على الجمر وأهل المدن وغالب الريف يقلبون القاف همزة كعادتهم فيقولون فيه امّر والذين ينطقون بالقاف كالجيم المصرية في الصعيد وبعض الريف يقولون جمّر ولا يقول قمّر الا أهل رشيد وبعض جهات بني سويف وقد بينا اختلافهم في النطق بالقاف في المقدّمة . وأصل التقمير محرّف عن التجمير واستعماله في وضع الشيء على الجمر معروف عند العرب ففي المستدرك على (ج م ر) من شرح القاموس « وذبحوا فجمّروا اي وضعوا اللحم على الجمر ولحم مجمّر » وكأن الذين سمعوه بالجيم ظنوا انه من لغة من ينطق بالقاف جيماً مصرية فقلبوها همزة وقالوا امّر وجاراهم في ذلك من ينطقون بالقاف القرشية فقالوا قمّر على لغتهم . ورأيته بالقاف في الفيّة الطعام التي نظمها الشيخ عامر الأنبوطي من شعراء مصر في القرن الثاني عشر معارضاً بها ألفيّة ابن مالك وأولها :

يقول عامر هو الأنبوطي أحمد ربي لست بالقنوط
وأستعين الله في ألفيّه مقاصد الأكل بها محويّه

الى ان يقول في الخبز :

والاصل في الأخباز ان تقمرا وجوّزوا التقديد اذ لا ضررا

ورأيت في طبقات مخطوطة عندي أبياتاً مختلةالوزن لتحريف بالنسخة منسوبة

لابي طاهر اسماعيل المعروف بابن مكنسة من شعراء العصر الفاطمي[(١)] ورد فيها البيض المقمّر بمعنى المطبوخ فاذا لم يكن اللفظ محرّفاً فهو دليل على ان استعمال التقمير للطبخ قديم في العامية ثم خصّ بعد ذلك بتليين الخبز على الجمر وهو في كلا الاستعمالين محرّف عن التجمير كما قدمنا .

كَدَّابة

يريدون الكذّابة من الكذب بالمعجمة وهم يقلبونها في الغالب دالاً مهملة والمراد بها أنواع الطعام الخالية من الأدهان او اللحم وتطلق في الاكثر على شيئين نوع من الحساء يصنع للمرضى بلا دسم يسمى (الشوربة الكذّابة) ونوع من المحشي يطبخ بالزيت بلا لحم يسمى (الضولمة الكذابة) . وقد استعمل الاطباء قديماً لفظ المزوّرة للطعام الخالي من الدهن او اللحم المستعمل في أغذية المرضى وخصها الشهاب في شفاء الغليل بالمرقة فقال « المزوّرة بوزن المفعول مرقة يطعمها المريض مولّدة وقال الفقهاء في الايمان هي ما يطبخ خالياً من الادهان » ولكنه فسرها في الريحانة بقوله « هي اسم طعام يطبخ من غير لحم للمريض » قلنا وهو الموافق لما رأيناه في وصف أنواعها في كتب الطب والاطعمة فانها غير خاصة فيها بالمرقة وأنشد الثعالبي في اليتيمة لابي محمد المطراني :

والمودّات ما خلت من تهادٍ مكدرة
كطبيخ خلا من اللحـ ـم يدعى مزوّرة

وأنشد الراغب في محاضراته لجحظة :

قدّم سكباجة مزوّرة أحمض من وجهه اذا أكلت

وفي اليتيمة والمحاضرات وغيرهما من كتب الأدب مقاطيع أخرى تدل على انها غير خاصة بالمرقة . وهي عربية المادة والصياغة فلا يضر كونها مولّدة ونراها اولى بالاستعمال من الكذّابة .

وفي شرح التبريزي على الحماسة في تفسير قول الشاعر :

أُلهاكم ان تطلبوا بأخيكم أكلُ الخَزِير ولعقُ أجردَ أمحق

---

(١) في فوات الوفيات لابن شاكر انه توفي في حدود سنة ٥٠٠

أن المراد بالأجرد اللبن الذي أُخذ زبده او رغوته او المرق لاوَدَك عليه · ولكن الظاهر انه ليس من الصفات الغالبة ·

لَوّاشة

اللواشة بفتح الاول وتشديد الثاني خشبة تشد في فم الدابة لاخضاعها عند الانعال اوالقصّ او غير ذلك ولم نقف على أصل لها في اللغة والمعروف عند العرب الزيار بكسر الاول قال في الاساس « زيّرالبيطار الدابة شد جحفلته بالزيار وهو خيط في رأس خشبة » وفي اللسان « الزيار ما يزيّر به البيطار الدابة وهو شناق يشدّ به البيطار جحفلة الدابة اي يلوي جحفلته » الى ان قال « وزيّر الدابة جعل الزيار في حنكها ، وفي الحديث ان الله تعالى قال لأيوب عليه السلام لا ينبغي ان يخاصمني الا من يجعل الزيار في فم الاسد ، الزيار شيء يجعل في فم الدابة اذا استصعبت لتنقاد وتذلّ » · ومن طريف ما يروى ان ابن عصفور لما ألّف كتابه المقرّب في النحو انتقده جماعة من أهل قطره الاندلسيين وغيرهم وألّفوا في ذلك منهم ابو الحسن حازم القرطاجنّي الخزرجيّ فسمى كتابه شدالزيار على جحفلة الحمار كذا في نفح الطيب وذكر ان في بعض الانتقادات تخليطاً كثيراً وتعسفاً وأنشد :

وفي تعب من يحسد الشمس نورها ويأمل ان يأتي لها بضريب

ماشة

الماشة حديدة ذات شعبتين يمسك بها الجمر وقد تصنع من الصُفْر اذا أُريد استعمالها في مواقد الغرف · والراجح انها دخيلة من التركية فانهم يقولون فيها مشه وماشه وأصلها من الفارسية ماشه قال الحفيد في الدرر المنتخبات المنثورة وهي بالعربية الملقاط قلنا ولم تزل عامة الحجاز تسمي الماشة بالملقاط ولا نرى بأساً من استعماله · وقال المولى علي چلبي في خير الكلام في التقصّي عن أغلاط العوام ان الماشة في التركية عربية الاصل وانها محرفة عن المحشّة ونقل قول القاموس « المحشّ حديدة يحش بها النار اي تحرّك كالمحشّة » قلنا واذا صح هذا فالراجح انها دخلت الفارسية اولا ثم اقتبسها الاتراك منها ·

والعرب تقول لماشة الحدّاد الكَلْبتان بالتثنية قال في القاموس « الكلبتان ما يأخذ به الحداد الحديد المحميّ » ومن الشعر العربي الواردة فيه ما أنشده صاحب الأغاني للاشهب ابن رُمَيلة في هجاء الفرزدق .

يا عجباً هل يركب القين الفرس وعَرَق القين على الخيل نجس
وانما سلاحه اذا جلس الكلبتان والعلاة والقبس

والعَلاة السندان . ولم تزل العامة بمصر تسمي الماشات الضخمة التي للحدادين بالكلبتين كما تسمى بها ايضاً آلة خلع الاسنان ولا نرى مانعاً من استعمال الكلبتين ايضاً للماشة المعروفة او ان نسميها بالملقاط كما قدمنا . اما المحشة فالمفهوم من التعريف اللغوي انها عود لتحريك الجمر لا التقاطه .

نبج

يقولون نبج الدمّل والجرح اذا ضرب بوجع وكذلك كل عضو مصاب برثية ونحوها يقولون فيه نبج عليّ اذا ضرب بوجع . وليس له أصل في اللغة بهذا المعنى من هذه المادة والعرب تقول فيه أمح قال في القاموس « أمح الجرح يأمح أمحاناً محركة ضرب بوجع » وفي اللسان « الازهري قال في النوادر أمح الجرح يأمح أمحاناً ونبَذَ وأزّ وذَرِب وَنَتَع وَنَبَغ اذا ضرب بوجع » . قلنا اما النبذ ففسر في موضعه بضربان العِرْق والأزّ بضربان العرق و بالوجع في خراج ونحوه ولم نجد ذرب ونتع ونبغ في موادها بهذا المعنى ولكن الازهري ثقة فلعلها استعملت في هذا المعنى بضرب من التجوّز واذا كان كذلك فالظاهر ان العامة حرفت نبج عن نبغ .

هون

الهون بضمة بين الضم والفتح كحركة حرف (o) في الافرنجية وكل فتحة تليها واو ساكنة ينطقون بها كذلك الا ما شذّ عندهم فالأصل فيه هَوْن بفتح فسكون و يريدون به ما يدقّ فيه الشيءُ والغالب ان يكون من نحاس او صُفْر او رخام . وهو محرف عن الهاون بفتح الواو وضمها و يقال فيه الهاوُون ايضاً فارسي معربّ وعربيه المخاز والمهراس بكسر أولها . وعبر الاطباء بالمضربة عن الهاون المستعمل في

الصيدليات لمزج المراهم ونحوها على ما يؤخذ من قول القفطي في ترجمة ابي قريش من تاريخ الحكماء « فقال ليس يتفق لكم رأي حتى يذهب بصر هذا ثم دعا بدهن بنفسج وماءورد وخلّ وخمر وجعلها في مضربة وضربها على راحته حتى اختلط الجميع » وهذه المضارب كما لا يخفى مختلفة الحجم والنوع منها الصغير ومنها الكبير ومنها الرخام ومنها البلور ٠

وقد اتخذت العرب من الجلود شبه هاون وسمته بالكدن بكسر فسكون قال في اللسان « الكدن شيء من جلود يدق فيه كالهاون وفي المحكم الكدن جلد كُراع يسلخ و يدبغ و يجعل فيه الشيء فيدقّ فيه كما يدقّ في الهاون » ٠

وِشّ

الوشّ بكسر الاول وتشديد الشين الوَجْه وهو محرّف عنه والظاهر انهم سمعوا ممن يرتضخون فيه لكنة أعجمية او بدوية عامية فيقولون وِجْه بالجيم القريبة من الشين فقالوا هم وشّ بحذف الهاء وتشديد الشين ٠

وقد استعملوا الوش في الانسان والحيوان وفي كل شيء فسموا به الظهارة في الأقبية والمخاد وغيرها وقالوا فلان وشّ كذا اذا كان من بابته اي يصلح له والغالب استعماله في الذم وقالوا للمقارب للشيء هو على وِش كذا كقولهم (الفرخة على وشّ بيض) اي قاربت الدجاجة ان تبيض والمهر على وشّ ركوب للمهر المُذْقِر اي الذي حان ان يركب ٠ ومن كناياتهم (اكل وشّه) اذا انتقده وعابه او بالغ في عتابه ٠ كل ذلك يقولون فيه وش فاذا أرادوا الريف قالوا الوجه البحري ولم يقولوا الوش البحري ومثله الوجه القبلي للصعيد وذلك لان كتّاب الدواوين يكتبونه الوجه في الأوامر والمناشير الصادرة الى مشايخ القرى فجرى على ألسنتهم وسرى منها الى العامة ٠

أما بلدة الوجه التي كانت من منازل الحج فمنهم من يقول فيها الوجه ومنهم من يقول الوش وعبّر باللفظين أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي في رحلته الى الحجاز سنة ١٢١١ فقال « ونزلنا غداً عند الشروق بالوشّ على مسيرة اثني عشرة ساعة ووجدنا هنالك ماءً كثيراً عذباً » الخ ثم أنشد فيها :

والوجه لولا الماء زال بهاؤه فانزل وهمك عنده الآبار

ولم يعبر الجزيري في درر الفرائد المنظمة الا بالوجه وهو من علماء القرن العاشر وكذلك رأيناه فيما اطلعنا عليه من عبارات المؤرخين وأقوال الشعراء قبل هذا القرن فالظاهر ان تحريف هذا اللفظ بالوش حدث بعد القرن العاشر الا ان يكونوا تعمدوا التعبير بلفظه الصحيح . وعبّر الجبرتي في تاريخه بالوش متابعة للعامة كعادته فقال في ترجمة اسماعيل بيك ابن إيواظ بيك [1] « فلما رحل الحج من قلعة الوش سمعوا نوبة عبد الله بيك من بعيد فلما وصلوا اليهم نزل عبد الله بيك وسلم على الصنجق » وكثيراً ما يعبر عن سكانه بالوشاشة كما يعبر عن سكان العقبة بالعقابة . وقال في موضع آخر في ترجمة حسين بيك الوشاش « وسبب تلقيبه بالوشاش انه كان طلع للاقاة الحجاج بمنزلة الوش في سنة ورود الفرنساوية » .

يَخّ

اليَخّ بفتح اوله وتشديد الخاء يضربون به المثل في البرودة ولا يعرفون ما هو ويخصونه بالبرودة المعنوية فيقولون (فلان أبرد من يخ) اذا كان ثقيلاً بارداً . وهو لفظ فارسي معناه الثلج وفي معاجمهم انه المعبر عنه في العربية بالجَمَد .

احمد تيمور

---

(١) إيواظ محرّف عن عوض بكسر ففتح والأتراك يقلبون العين همزة والضاد ظاء في النطق فقالوا فيه أوظ ثم اشتهر بإيواظ باشباع الكسرة والفتحة .

تصحيح نهاية الارب

« تتمة أغلاط الجزء الرابع »

وفي ص٩٣ س٤ — قوله (فانظرلنفسك قاضٍ انني رجل الخ) صوابه (فانظر او فاختر لنفسك غيري) والا كان الواجب ان يقول (قاضياً) بالنصب لانه مفعول ولو نصبه لاختل الوزن . على ان المشهور في رواية البيت ما ذكرنا .

وفي ص٩٣ س٧ — قوله : كان يأخذ الكأس بيده ويخاطبها قائلاً (أماالعقل فتُتلفين الخ) ثم يعود فيقول مادحاً (واما النفس فتسخبين واما القلب فتشجعين الخ) لعل صواب (فتسخبين) (فتشرحين) اذ ماهذا معناه . واماسحب الخمرة للنفس فلا معنى له اوله معنى تافه لايقصده البلغاء . ثم انتبهت الآن الى ان صواب (تسخبين) (تسخّين) من السخاء اي تحملين النفس على السخاء والجود ولكن يرد على هذا ان معاجم اللغة لم تذكر (سخّاه) مشدداً لإفادة التعدية اللهم الا ان يقال انه أصل تقرر فيحسن ان يقاس عليه ولا داعي لذكر جزئياته .

وفي ص٩٣ س١٣ — قوله في صفة سكران (ويمشي ضعيفاً كمشي النزيف الخ) فسّر المصحح (النزيف) بالذي ذهب عقله والصواب انه الذي سال دمه بافراط حتى ضعُف واسترخى جسمه فلم يعد قادراً على المشي نعم انهم يقولون (أُنزف ونزف) بالبناء للمجهول اذا ذهب عقله لكنهم لايقولون في الوصف منه (نزيف) بمعنى ذاهب العقل وانما يقولون (منزف ومنزوف) كما يفهم من التاج .

وفي ص٩٩ س٥ — قوله (وأزَحْتَ عنه حُثاثه فانزاحا) ضبط (حُثاث) بضم الحاء وصوابه فتحها او كسرها وأصل معنى (الحثاث) السرعة ثم استعير للنوم القليل لسرعة ذهابه . ومنه قول الحريري (لا أَطْعَم النوم إلا حِثاثا) .

وفي ص١٠٤ س١٣ — قوله (ولست بفحّاشٍ عليه وانأَسى) هكذا كتب (أسى) بالياء . وصوابه (أسا) بالالف لأن أصله (أساء) بالهمزة فاذا حذفت بقيت الألف على حالها كما تبقى ألف كل اسم ممدود بعد حذف همزته .

وفي ص ١٠٨ س ١٣ — قول ابن المعتز :

(كأنه قائم والكأس في يده هلال اول شهر غاب في شفق)

صوابه (والكأس في فمه) لان الكأس التي يشبه حرفها بالهلال إنما يصح ان يكون مغربها الفم الذي يشبه الشفق بحمرته وتلك الكأس تغيب فيه ولا كذلك اليد : فإنها لا تشبه بالشفق عادة ولا تغيب الكأس فيها .

وفي ص ١٢١ س ٢ — قوله في صفة جرار الخمرة (استَوْدعتها رواقيد مقيّرة) ضبط (استودعتها) مبنيًا للفاعل . والرواقيد وهي الدنان الكبيرة لا تستودع الخمرة شيئًا آخر وانما هي نفسها تكون مستودَعًا للخمرة فالفعل اذن مبني للمفعول .

وفي ص ١٢٦ س ١٧ — قوله واصفًا حسن معاشرته لنديمه وانه يؤثره على نفسه بالطيب من الشراب :

(ولستُ له في فضلة الكأس قائلاً لأصرفه عنها — تحسّ وقد أبى)

(ولكن احيّيه واكرم وجهه وأشرب ما أبقى وأسقيه ما اشتهى)

صواب قوله (لأصرفه عنها) (لأصرفها عني) اي لا اقول لنديمي تحسّ اي أشرب فضلة كأسي لاجل ان أصرف هذه الفضلة عني تقزّزاً منها . كلا لا أفعل ذلك ولكن أحيّيه الخ . اما قوله (لأصرفه عنها) فلا يلتئم مع قوله (تحسّ) اذ كيف يصرف نديمه عن فضلة الكأس ثم يقول له تحسها اي اشربها على ان الفضلة تصرف عن الشارب لا الشارب عن الفضلة وعليه قول الشاعر :

(صددتِ الكأس عنا أم عمرو وكان الكاس مجراها اليمينا)

ومعنى (صددتِ) صرفتِ الكأس وحوّلتها عنا . ولا يحسن ان يقول (صددتنا عن الكأس) .

وفي ص ١٢٨ س ٣ — قول البحتري لنديمه في اوائل شعبان :

(قم نبادل بها الصيام فقد أقْ مَرَ ذاك الهلال من شعبان)

كذا (نبادل) باللام ولا معنى له وصوابه (نبادر) بالراء اي نعاجل شهر الصوم فنشربها قبل انقضاء شعبان الذي أقمر هلاله اي بلغ ان يصير قمراً .

وفي ص ١٢٨ س ٨ — قول البحتري ايضاً :

(ان لانَ عطفاه قسا قلبه او ثبّت الخلخال جال الوشاح)

ضبط ثبّت بتشديد الباء وصوابه تخفيفها ثلاثياً ومعناه استقر ولم يتحرك .

وفي ص ١٣١ س ٦ — قول ابن عمار :

(متأرّج الحركات تندى ريحه كالغصن هزته الصبا بتنفّس)

كذا (متأرج) بالراء والجيم ومعناه فائح الرائحة الطيبة ولكن إضافته الى (الحركات) يبعد ان يكون هذا المعنى هو المراد هنا فصوابه (متأود الحركات) اي متعطف ومنثني وهو مع ذلك تفوح منه رائحة طيبة فأشبه الغصن من جهتين : اهتزازه وفوحان رائحة زهره و(الندى) شيء يتطيّب به لكن لم يرد منه فعل كما قال هنا (تندى) . فلعله من (نَدِيَ الصوْت) اذا بعُد فمعنى (تندى ريحه) تبعد في فوحانها .

وفي ص ١٣٤ س ١٣ — قوله (الغناء رائدة من رائدة الفجور) كذا بتأنيث الكلمتين وافرادها وصوابه (رائدٌ منْ رادة) بافراد الاول وتذكيره لانه وصف للغناء وهو مذكر وبجمع كلمة (رادة) فان (رائد) كما يجمع على روّاد يجمع على رادة ايضاً كصاغة في جمع صائغ ومعنى (الغناء رائد من رادة الفجور) انه يتقدمه كما يتقدم الرائد الركب ومثله قولهم (الحمى رائد الموت) .

وفي ص ١٦٨ س ٥ — قوله (حسيماللباب) صوابه (حسماً للباب) وهو ظاهر .

وفي ص ١٨٥ س ٢٠ — قوله (والستر المورشيّ) صوابه (الستر الموشّي) وهو اسم مفعول من وشى الثوب اذا زينه ونقشه كوشّاه بالتشديد .

وفي ص ١٩٥ س ٣ — قال (ما تقول في هذا السماع قلت هو الصفاء الزلالُ التي لا تثبت عليه الأقدام العلماء) قوله (الزلال) ضبطه بضم الزاي فأوهم ان المراد بالصفاء الماء ولكن قوله بعد ذلك (لا تثبت عليه الأقدام العلماء) يبعد هذا المعنى ويدل على ان الكلمتين محرفتان وصوابها (الصَّفَا الزلاّل) من دون همز في الاولى وبتشديد اللام في الثانية . والصفا والصفواء والصفوان — كلها بمعنى الصخر الاملس الذي تزل عليه الأقدام و (الزلاّل) صيغة مبالغة من زلّ بمعنى زلق عن صخرة اوغيرها . ومن أمثالهم (كما زلت الصفواء بالمتنزّل) اي كما يزلق النازل عن الصخرة الملساء .

وفي صفحة ١٩٥ سطر ٩ — قوله (كما ينساب في مكمنه الأرقم) صوابه من مكمنه ·

وفي صفحة ١٩٥ سطر ١٣ — قوله (دبَّ من قدمي شيءٌ الى رأسي) صوابه (الى قلبي) بدليل قوله بعد ذلك (فلما اجتمعا على قلبي) ·

وفي صفحة ٢٢٨ سطر ١٣ — قوله (ألا رُبَّ طيفٍ طارق قد بسطته الخ) صوابه (ضيف) بالضاد نعم ان (الطيف) قد يطرق و يرتاح اليه المطروق ولكن سياق الابيات يدل على ان المراد وصف حفاوة (ابي دلف) بالضيف وإحسانه نزله ·

وفي صفحة ٢٤١ سطر ٢ — قوله (وتعجباً من علمه) صوابه (وتعجبنا) بدلالة السياق ·

وفي صفحة ٢٤٢ سطر ١٤ — قول طويس (أنا والله مع حلائل نساء قومي) حلائل بالحاء المهملة جمع (حليلة) امرأة الرجل الحلال له · وهذا المعنى غير مرادٍ هنا فصوابه (جلائل) بالجيم جمع جليلة وهي المرأة العظيمة · كالجليل في الرجال وتجمع هذه على (جِلّة وأجلّة) كما تجمع تلك على (جلائل) ·

وفي صفحة ٢٩٣ سطر ٣ — قوله (اريد وصيفةً ···· جميلة الوجه ···· سباطة) صوابه (سبطة) بسكون الباء وكسرها يقال امرأة سبطة الخَلْق اي رخصته لينته كما في لسان العرب و يقال غلام سبط الجسم اي حسن القد لطيف ·

وفي صفحة ٣٠٠ سطر ١٨ — قوله :

(ما رعدت رعدة ولا برقت   لكنها أنشأت لنا خُلُقه)

ضبط (خلقه) بضم الخاء واللام وصوابه (خَلَقة) بفتحهما · و (الخَلَقة) السحابة المستوية المخيلة للمطر اي التي هي مظنة ان تمطر فقولهم سحابة خَلَقة بمثابة قولنا سحابة خليقة بان تمطر جديرة بانتظار ذلك منها ·

وفي صفحة ٣١٠ سطر ٣ — قول ابي العتاهية :

(نادت بوشك رحيلك الايام   أفلست تسمع ام بك استصمام)

صوابه (أم بك الإصمام) بهمزة قطع مصدر أصمَّ الرجل بمعنى صم الثلاثي اي صار أصمّ · ولم يرد في اللغة (استصم) بمعنى صمَّ · وان وردت ايضاً في ديوان ابي العتاهية المطبوع في المطبعة اليسوعية ·

وفي صفحة ٣١٢ سطر ١٨ — قوله في صفة يحيى بن مرزوق المغني (وكان

المغنون يفزعون اليه في الغناء القديم فيأخذونه عنه و يعاني بعضهم بعضاً بما يأخذونه منه) كذا (يعاني) بنون ثم ياء وصوابه (يعايي) بيائين من المعاياة وهي ان يُلقي إنسان على آخر قولاً لا يهتدي لوجهه الا بتأمل وإعمال روية وفي الاساس (إياي ومسائل المعاياة · فانها صعبة المعاناة) وهذا المعنى اي المعاياة هو المراد هنا بدليل ماجاء في رواية الاغاني وهي (و يعايي بعضهم بعضاً بما يأخذه منه و يُغرب به على أصحابه) فقوله (و يُغرب) من الاغراب وهو الإتيان بالشيء الغريب الذي يدهش له السامع فهؤلاء كانوا يقتبسون من يحيي أصواتاً في الغناء غريبة غير معهودة فيطرحها بعضهم على بعض كما يتطارح الأخوان الاعايي والاحاجي ·

تتمة

نلخص فيما يلي عن مجلة الزهراء أغلاطاً استدركها في هذا الجزء (الرابع) من نهاية الأرب صديقنا العلامة (الاب أنستاس الكرملي) فقال :

في ص ٢٠٥ س ١٢ — قوله (وشاهدنا الورد والياسمين والمسمعات بقُصّابها) ضبط (قُصاب) بضم القاف وقال مصحح الكتاب (القُصّاب الاوتار التي سوّيت من الأمعاء) وقال الاب أنستاس الصواب فتح قاف (قَصّاب) وهو جمع (قَصّابة) ومعناها المزمار · ويكون معنى البيت : انه كان يحضرنا في ذلك المجلس الرياحين والمغنيات بمزاميرهن ·

وفي ص ٢٣٣ س ٨ — عدّد الألحان التي اقتبسها العرب عن الأعاجم فقال (ألحان الروم والبربطية والاسطوخوسية) الكلمتان الاخيرتان معطوفتان على (ألحان الروم) فهما إذاً اسمان لقبيلين من البشر فلا يناسب ان نفسر (البربطية) بانها نسبة الى (البربط) وهو العود والصواب فيها انها مصحّفة عن (البزنطية) اي الامة البزنطية المنسوبة الى مدينة (بزنطيه) وهو الاسم القديم للقسطنطينية · فالعرب أخذوا الالحان عن الروم وعن سكان مدينة بزنطية · اما (الاسطوخوسية) فليست بمعنى الأجرام السماوية كما اعتمده مصحح الكتاب وانما هي كلمة يونانية تسمى بها جزائر صغيرة على مقربة من ساحل فرنسا الجنوبي قريبة من مرسيليا وتسمى اليوم جزائر (هواره — Iles d' Hyères) اشتهر سكانها منذ القديم بالقصف والغناء · وهم من جملة من أخذ العرب الألحان عنهم ·

وفي ص ٢٦٤ س ٧ — قوله (وسألني عن الخبر فأقصصته عليها) قال المصحح لم نجد في القاموس ولا اللسان (أقصّ الخبر) بمعنى (قصّه) ولعلها محرفة عن (فاقتصصته) . وقد استدرك الأب أنستاس على المصحح فقال « ان (أقصّ) الرباعي اذا لم يذكره علماء المعاجم فقد ذكره الطبري في تاريخه (٢ : ١٨٤٠ من طبعة الافرنج) حيث قال (فأتيته فأقصصتُ قصتهم الخ) . ثم قال الاب أنستاس : وانت تعلم منزلة الطبري من الفصاحة والسلاسة فهو أبرع مؤرخ في الاسلام وأحسن من كتب في الاخبار والأحداث . وانك لا تجد معجماً من معاجم اللغة يحوي بين دفتيه مفردات اللغة العربية كلها لانها بحر لا يتغضغض (اي لا ينقص او لا ينزح) بل ومحال ان تجدها مدوّنة فيها . الا ان استعمال الفصحاء للفظةٍ يُتخذ بمنزلة حجة بل بمنزلة شاهد لما يراد اثباته » . اه ما أردنا تلخيصه من كلام الاب انستاس ونحن نوافقه على جميع ما قال حتى على جواز استعمال كلمة عربية لم ترد في المعاجم ووردت في كلام احد الفصحاء لكنني أشترط التثبت من استعمال الرجل البليغ لتلك الكلمة : مثلاً فعل (تبدّى) بمعنى ظهر لم يرد في المعاجم وورد في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي . وروى ابو تمام في حماسته قوله :

(وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدّى)

فليس هناك شبهة في كلمة تبدّى ولا في نقلها المتواتر في حماسة ابي تمام اما قول الطبري (فأقصصتُ قصتهم) فإن كلمة (أقصصت) يحتمل احتمالاً قريباً ان يكون النسّاخ حرّفوها وحذفوا تاءها ويكون أصلها (اقتصصت) فنحن اذن لا نكون على ثقة من ان الطبري استعمل (أقصّ) وارتضاها ما لم نره استعملها في غير ما موضعٍ من كتاباته او اننا على الأقل نجدْ فعْل (أقصّ) في عدة نسخ من تاريخه المذكور ولا يكفي ان نجده في نسخة طبعت في اوربا . والعلامة الكرملي أقدر الناس على معرفة ما اذا كان فعل (أقص) تكرر في كتابات الطبري وجاء في عدة نسخ من تاريخه او لا .

المغربي

النهضة القصصية الحالية

كانت بلاغتنا العربية وما زالت تكاد تخلو من النوع القصصي اذا قيست بادبيات الأمم الافرنجية . وكان كتّابنا حتى العهد الاخير من شعراء وناثرين مقلدين اكثر منهم مبتكرين فكانوا يسيرون على نظم السلف في الآراء والافكار والاوصاف فلم يأتوا بشيء جديد بل أضاعوا شخصياتهم وأفنوها بتهالكهم على القديم فحسب . لذلك لم نجد من كتّابنا من قدم لنا رواية قصصية او أخرى تمثيلية او أقصوصة عصرية . بل كان همهم الوحيد ان يجيدوا فن الترسل على نمط الهمذاني والحريري اونظم القصائد باكين على الاطلال وهائمين بحب هند ودعد وواصفين النوق والرمال ثم مادحين اوهاجين . وربما وصف الشاعر العصري المهند والسمهري وصاح بملء فيه صياح أبطال الحماسة القدماء وهو لم ير السيف في حياته الامعلقاً في رداء الشرطي ! فجاءت بلاغتنا العصرية — الا القليل منها — سخيفة تثير الضحك لاالاعجاب . ومن منا لا يحزن ومنذ أواخر القرن الماضي ونحن لانملك من أدبنا العصري القصصي غير كتاب واحد هو « حديث عيسى بن هشام » . اذا أردنا ان نتحدث عن البلاغة القصصية الجديدة لم نجد الا « حديث عيسى بن هشام » واذا أوصينا احداً بقراءة كتاب قصصي جيد لم نجد الا « حديث عيسى بن هشام » . واذا افتخرنا بادبنا القصصي لم نجد الا « حديث عيسى ابن هشام » . حتى ضقنا ذرعاً به وضاق هو الآخر ذرعاً بنا . ووددنا ان نسكت بدلاً من ان نتكلم عن كتاب واحد فقط . ولكن عزاءنا اليوم اننا بدأنا نرى بزوغ النهضة القصصية العصرية في أفق أدبنا . فاذا تعهدها القائمون بها بالعناية والرعاية والاتقان والجودة سارت سيرها الطبيعي بلاعائق وانتجت نتاجاً قوياً سيكون ميراث المستقبل من بلاغتنا القصصية الجديدة . وانا ذاكرون هنا من لم تخنا ذاكرتنا في ذكرهم من مؤلفينا الجدد الذين وهبوا الأدب العصري القصصي مبتكرات عقولهم . ولو كان المقام متسعاً أمامنا او كنا في موقف النقد لكنا أفسحنا للقلم مجالاً اكبر مماسنفسحه له الآن . ولكن عذرنا في ذلك واضح . فمقدمة كتاب قصصي لا تستطيع ان تحوي نقداً مسهباً تحليلياً لكتاب العصر وكتبهم لذلك نترك للنقاد ميدانهم يجولون

فيه ونقصر بحثنا هنا على ذكر مختصر للكتب القصصية التي ظهرت في عالم البلاغة العصرية والمؤلفين القصصيين الجدد الذين تصدوا للقيام بهذا العمل الجليل ·

حديث عيسى بن هشام لمحمد بك المويلحي

اول كتاب ظهر في الادب العصري القصصي جدير بان نضعه بلامحاباة في الصف الاول من مؤلفاتنا القصصية · اتبع صاحبه في تأليفه طريقة المقامات واستعان باسلوبها المسجع في كثير من مواضعه · لذلك لانستطيع ان نسميه رواية قصصية بالمعنى المعروف عندنا الآن لخلوه من (الحادثة) او (العقدة) التي تمتاز بها القصص العصرية · ولكن هذا لا يقلل من قيمة الكتاب للدقة التي استعملها المؤلف في رسم الشخصيات وتحليلها ·

ليالي سطيح لحافظ بك ابراهيم

هذا الكتاب أقرب الى المقامات من حيث الأسلوب والطريقة من حديث عيسى بن هشام · بل يكاد يكون مقامة واحدة طويلة تتضمن نقداً على الأخلاق والعوائد المصرية · ليس فيه شخصيات بارزة مرسومة بريشة قصصية كما في حديث عيسى بن هشام لذلك فاق عليه الاخير في ميدان البلاغة القصصية المصرية وسبقه بمراحل كثيرة ·

قصة زينب لمصري فلاح (الدكتور حسين بك هيكل)

هي قصة عن حياة الارياف جديرة بان تسمى بحق اول رواية قصصية مصرية · راعى مؤلفها في صياغتها كل مايتطلبه الفن القصصي الراقي فأتت قطعة تامة النضوج في بلاغتنا الحديثة · حوارها كله باللغة العامية وهي ميزة يجب ان نقررها بالحمد والشكر للمؤلف · أسلوبها بسيط وجميل خال من التكلف والتعمل يحبب للانسان القراءة · ولكن مما يؤسف له ان صمت المؤلف صمتة نخشى ان تكون دائمة · ولعل قلة الرواج الذي صادفته القصة في عالم الأدب المادي والحالة السياسية التي طوحت بالمؤلف في لجتها اليوم كانتا من أهم الاسباب التي دعت الى هذا الصمت ·

(لا أذكر متى ظهرت هذه القصة بالتحقيق وربما كان ذلك حوالى عام ١٩١٢ والنسخة مع الأسف خالية من تاريخ الطبع ·

* * *

قصص جرجي زيدان التاريخية

لولم ينل الاستاذ جرجي زيدان شهرته الواسعة بكتبه العلمية التاريخية لكفته قصصه التاريخية برفعه الى هذا المستوى نفسه . ولكن قلة العناية بالبلاغة القصصية في العالم العربي عامة والمصري خاصة حدا بجمهور القراء ان لا يأبهوا كثيراً بهذه القصص النفيسة .

وتسمى هذه القصص « سلسلة روايات تاريخ الاسلام » وعددها ثماني عشرة أتى فيها مؤلفها بتاريخ الامة الاسلامية في عصورها المختلفة في قالب قصصي مستحب . بدأها « بفتاة غسان » ثم « بأرمانوسة المصرية » وختمها «بشجرة الدر» وكتب غير هذه السلسلة اربع روايات أخرى عن تاريخ مصر في عهد المماليك وعن الحرب السودانية المهدية . وقد كتب من روايات السلسلة نفسها رواية عن الانقلاب العثماني في تركيا فكأنه استوفى تاريخ الاسلام ومصر جميعه قصصاً . وأسلوبه القصصي والعلمي على حد سواء سهل للغاية ومقبول . اما صوغ حوادث التاريخ بأسلوب قصصي فلا ريب في انه بلغ فيه شوطاً كبيراً من الاجادة والنبوغ . وحسبه ان معظم هذه القصص قد طبع للمرة الثانية والثالثة وترجم بعضها الى اللغات الاجنبية مثل الفرنسي ، والشرقية مثل الهندي والفارسي والتركي .

نتائج الاحوال في الاقوال والافعال : لعائشة تيمور

منذ ثمانية وثلاثين سنة هجرية ظهر في عالم الأدب العصري كتاب قصصي للمنشئة الأديبة السيدة عائشة تيمور هو كتاب « نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال » . (السيدة عائشة تيمور الشاعرة المعروفة احدى أركان النهضة النسائية المصرية وتعتبر اول كاتبة وشاعرة مصرية في أواخر القرن الماضي » . ليست شهرة هذا الكتاب في جودته أسلوباً وطريقة ووضعاً بل في وقت ظهوره وفي الكاتبة التي ألفته . الكتاب يتضمن قصة واحدة على نمط قصص «الحواديت» المصرية بشكل ارقى وأجمل . وأسلوبه مسجع على الطريقة القديمة في العصر العربي المتأخر . ولكن ميزته ان مؤلفته سيدة شرقية مصرية وانه كتب في عصر كان فيه الاهتمام بالأدب والكتابة مقصوراً على الرجال دون النساء . أضف الى ذلك قلة الادباء من الرجال في ذلك العهد وكيف ان التيمورية بزت كثيراً منهم بشعرها ونثرها . واذا علمنا إهمال جمهور القراء والكتاب في هذا

العصر لفن القصص استطعنا ان نقدر للتيمورية مجهودها وجرأتها ونبوغها في ذلك الوقت الذي كان فيه ظلام الجهل يكاد يكون شاملاً الجميع ·

اقاصيص المنفلوطي في النظرات والعبرات

اشتهر المرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي «بنظراته» التي كان ينشرها في المؤيد كل اسبوع مرة والتي جمعها وزاد عليها مما لم ينشره فجاء سفراً في ثلاثة اجزاء جمع شتى المواضيع من انتقادية وأدبية واجتماعية وقصصية · ثم نشر كتاب العبرات وهو مجموعة أقاصيص منها المصري المؤلف ومنها الاجنبي المقتبس والمترجم · لذلك يمكننا ان نعتبر المنفلوطي كاتباً قصصياً عالج فن الأقاصيص المصرية ·

كانت طريقة المنفلوطي في كل كتابته العناية بالأسلوب واللفظ اكثر من عنايته بجوهر الموضوع خصوصاً في قطعه القصصية المؤلفة ، وان كان هذا لا يمنعنا من ان نقدر له آراء قيمة في بعض قطعه الأدبية والاجتماعية وكذلك القصصية · ولكننا نقدر له فوق كل شيء سلاسة أساليبه وجماله ورقة ألفاظه ووضوح أغراضه مع محافظته على اللهجة العربية الصحيحة · يمكننا ان نجاهر بلا خشية ولا لوم ان المنفلوطي وان كان قد أجاد في أسلوبه القصصي السلس الجميل فقد فشل في مواضيعه القصصية ورسم أشخاصه فيها · فجل مواضيع اقاصيصه تافهة يصح ان نضيفها الى مجاميع الامثال والمواعظ · اتبع في تأليفها طريقة المذهب «الرومانتيكي» المتطرف الذي يشوه فيه الخيال صور الحقائق الناصعة · اما اشخاص قصصه فهي أشباح ليس لها كيان ولا جسم تكاد تتلاشى أمام عينيك من شحوبها ·

ما تراه العيون للمرحوم محمد تيمور

ليس رائدي في كل ما كتبته غير الاخلاص والحق لذلك ارجو ممن يقرأ كلمتي هذه عن تيمور الراحل فقيد ادبنا ومسرحنا ان لا يتهمني بالتحيز والمغالاة في القول لاتصالي التام به · ان محمداً تيموراً شقيقي الحب اولاً ، وصديقي الوفي ثانياً ، واستاذي الكبير ثالثاً ، من اعترف له امام الناس جهاراً بالفضل التام عليّ في كل ما أوتيته وما سآتيه من مجهود لا اعلم مداه ولا نتيجته · ولكن كل هذا ليس له تأثير على نفسي في موقفي هذا وانا اقرر الحقيقة التي لا ارغب في ان ازيد حرفاً واحداً عليها · لذلك اقول بلا محاباة ولا غلو ان

تيمور الراحل كان اكبر مؤلف روائي وقصصي مصري وجد في نهضتنا القصصية الحديثة • انني وانا فرد من حاملي لوائه ، السائرين على طريقتــه ومذهبه ، المنفذين رغبته ، المتممين لمطامعه وآماله لا اعترف لقصصيينا الذين عالجوا الكتابة في الادب المصري بالفضل الا بقدر اقترابهم وإجادتهم للمذهب الذي كان شعار الفقيد في كل ما كتب وهو العمل على ايجاد آداب مصرية بالمعنى الصحيح • فاذا قلت ان «المنفلوطي» فشل في اقاصيصه المصرية ذلك لانه لم ينجح في اخراج صور ناضجة واشخاص حية بارزة من البيئة المصرية • واذا قلت ان الدكتور «هيكل» قد اجاد في قصة «زينب» ذلك لانه نجح نجاحاً يغبط عليه في ايجاد جو مصري صادق اللون في روايته • واذا قلت ان محمداً تيموراً هو اكبر مؤلف قصصي وروائي وجد في نهضتنا الحديثة ذلك لانه قصر ميدانه على البيئة المصرية بأشخاصها وجوها وصورها واجاد في اخراج هذه الصور في رواياته التمثيلية واقاصيصه تامة النضوج من حيث جودة التـأليف ودقة التصوير • والذي يهمنا من مؤلفاته — (ظهرت مؤلفات الفقيد في ثلاثة اجزاء وقد حوت كل ما كتبه من شعر ونثر واقاصيص وروايات تمثيلية) — في هذا المقام هو اقاصيصه المسماة « بما تراه العيون » • اشتهر عن الفقيد انه كان قوي الملاحظة الى حد بعيد ، تنطبع في ذهنه صور المرئيات بخاصة عجيبة ، ماهر في التقليد الى درجة من الاتقان كبيرة ، دقيق الوصف ماهر في صناعة التأليف ، له مذهب في الآداب لايحيد عنه • قاصر كل مجهوده عليه وهذا المذهب كما اسلفنـا الذكر هو العمل على « ايجـاد آداب مصرية » تكون بمثابة مرآة تنعكس عليها بيئتنا • لذلك كتب اقاصيصه باتقان كبير ولا مشاحة في انه اليوم اجدر اهل عصره في تبوئي اسمى مركز في بلاغتنا القصصية كما يصح ان نسميه بحق اول منشيء مجيد لفن الاقاصيص المصرية •

مؤلفون قصصيون آخرون

لقد ظهر في الوقت الحالي اي في البضع سنين الاخيرة بعد المرحوم محمد تيمور مؤلفون عالجوا فن كتابة الاقاصيص • وهم على قلتهم وقلة مؤلفاتهم يبشرون بمستقبل زاهر جميل • ولا ريب في ان بلاغتنا القصصية في المستقبل ستكون مدينة لهم بجهودهم الصادق

في « العمل على ايجاد آداب مصرية بالمعنى الصحيح » ووضع اساس هذا الفن الجديد . ومن هؤلاء الادباء من لم تخني ذاكرتي في عدهم هم : المرحوم عبيد مؤلف كتابي « احسان هانم وثريا » وشحاته عبيد مؤلف كتاب « درس مؤلم » وابراهيم المصري وحسن محمود ومحمود عزي وزكريا جزارين والدكتور حسين فوزي وطاهر لاشين وخيري سعيد وعبد القادر المازني وحسن صبحي وسليم شحاته (نشرنا الاسماء بحسب ظهور الاقاصيص مع حفظ الالقاب) وغيرهم من الادباء القصصيين العصريين الذين يتكاثرون كل يوم فيزيدون ثروتنا الادبية القصصية .

وقبل ان نختم هذا الفصل نذكر اسمين اشتهرا في عالم الادب القصصي العربي وهما المرحوم فرح انطون والاديب نقولا حداد . الاول كتب رواية قصصية واحدة سماها « اورشليم الجديدة » وهي قصة شرقية عصرية نزعتها فلسفية اجتماعية . والثاني كتب عدداً عظيماً جداً من الاقاصيص والقصص المترجمة والمقتبسة والمؤلفة . ولكنه بعيد مثل رفيقه السالف عن نزعة « تمصير الآداب » اي خلق ادب مصري في بلاغتنا الجديدة لذلك اتت جميع قصصه وليس عليها من طابع المصرية الا القليل النادر . وهو يعد بحق اكثر كتاب العربية القصصيين كتابة . كثيراً ما يعالج في قصصه نشر الافكار والآراء اجتماعية كانت اوسياسية . وهو مؤلف محبوب من جمهور الشرق العربي عامة . ومن رواياته القصصية الجديرة بالاعتبار «آدم الجديد وحواء الجديدة وجمعية اخوان العهد» .

ويوجد غير هذين الاسمين اسمان مشهوران . اولها الاستاذ العلامة الدكتور يعقوب صروف والاستاذ الفاضل مصطفى صادق الرافعي .

الاول عالم معروف بعلمه في كافة الاقطار العربية ولكنه مع ذلك قد عالج فن الكتابة القصصية من زمن مضى فوضع ثلاث قصص مصرية ، شرقية ، عربية هي : «فتاة مصر وامير لبنان وفتاة الفيوم » . والثاني كتب ثلاثة كتب قصصية عربية هي : « المساكين ورسائل الاحزان والسحاب الاحمر » وروايات الدكتور صروف روايات شرقية اكثرها مصرية تصف «المجتمع» الذي كتب عنه المؤلف وصفاً مجيداً . اما كتب الرافعي فمشهورة بروعة أسلوبها العربي الصميم الذي لا يخلو في كثير من الأحيان من غموض ظاهر يصدم القارئ القصصي اثناء مطالعته . وهي كتب فلسفية اكثرها قصصية اه . الجزيرة : **محمود تيمور**

التنبيه

عَلَى اوهام ابي علي في اماليه

ابوعبيد البكري احد أئمة الاندلس في التاريخ والنسب والادب والجغرافيا وكتاب معجم ما استعجم آية الآيات في فضله يشهد له بطول الباع وسعة الاطلاع والتحقيق · ولقد عثرنا له من بضع سنين على كتاب مخطوط في خزانة كتب السيد مراد البارودي [1] في بيروت ذكر فيه الاوهام التي سرت الى بعض روايات ابي علي القالي في اماليه المشهورة بانها من أمهات كتب الادب [2] ومن مدهشات المؤلفات في الرواية والدراية وهاك مقدمته ففيها بيان الغرض من كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه · قال ابو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد البكري رحمه الله الحمد لله خير ما بدئ به الكلام وختم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم هذا كتاب نبهت فيه على اوهام ابي علي رحمه الله في اماليه تنبيه المنصف ، لا المتعسف ، ولا المعاند محتجًّا على جميع ذلك

(١) كان في هذه المكتبة عدة مخطوطات لطيفة منها خطب ابن نباتة بخط صلاح الدين الصفدي كتبها في صفد سنة ٧١٨ وهي ناقصة جملة صغيرة من الاول وترتيبها على غير ترتيب المطبوع · ومنها مقصورة ابن دريد شرحها ابن خالويه · ومنها كتاب ازهار الاقطار في جواهر الاحجار للتيفاشي وهي نسخة خزائنية كتبت سنة ٦٩٧ ومنها الجزء الرابع من التذكرة المعظمية في الاحكام الشرعية للتميمي فرغ منه سنة ٦٢٧ ومنها معيد النعم ومبيد النقم للتاج السبكي وفيه بعض زيادات على المطبوع في ليدن سنة ١٩٠٨ ومنها ديوان ابي تمام بالشكل الكامل كتب سنة ١٠٦٧ ومنها فقه اللغة للثعالبي كتب سنة ٦٥٣ ناقص من اوله وآخره ومنها نسخة من ديوان المتنبي كتبت سنة ١٦٦٣ فيها بعض ابيات غير موجودة في النسخ المطبوعة · الى غير ذلك من النوادر ·

(٢) طبع كتاب امالي ابي علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي سنة ١٣٢٤ هـ في المطبعة الاميرية ببولاق مصر · ووضع له العالمان كرينكو وبفين فهرسًا يقرب بعيده مثل اسماء البلدان والقوافي وغير ذلك وقد طبع في ليدن سنة ١٩١٣ ·

بالشاهد والدليل ، فاني رأيت من تولى مثل هذا من الرد على العلماء والاصلاح لاغلاطهم ، والتنبيه على أوهامهم ، لم يعدل في كثير مما رده عليهم ، ولا انصف في جمل مما نسب اليهم ، وابو علي رحمه الله من الحفظ وسعة العلم والنبل ، ومن الثقة في الضبط والنقل ، بالمحل الذي لا يجهل ، و بحيث يقصر عنه من الثناء الاحفل ، ولكن البشر غير معصومين من الزلل ، ولا مبرئين من الوهم والخطل ، والعالم من عدت هفواته ، وأحصيت سقطاته . كفى المرء نبلاً ان تعد معايبه .

فلما اوريت من هذه الفوائد كابيها ، وأبديت خافيها ، اعطيت بها القوس باريها ، واهديتها الى المعتمد على الله المؤيد بنصر الله خلد الله دولته ، وثبت وطأته ، لالتماسه اسرار الحكم ، واقتباسه انوار الكلم ، وعنايته بانواع العلم ، واخذه من جميعها بأوفر قسم ، لا اعدمه الله نجماً من السعد مليحاً ، وطائراً من اليمن سنيحاً .

انشد ابو علي رحمه الله :

لقد تركت فؤادك مستجناً مطوقة على فنن تغنى

يميل بها وتركبه بلحن اذا ما عنّ للمحزون انا

ومنها : وهاتفين بشجو بعدما سجعت ورق الحمام بترجيع وإرنان

باتا على غصن بان في ذرى فنن يرددان لحوناً ذات ألوان

وفسر ما ورد في هذه الاشعار من ألحان الحمام ان المراد به اللغات وانما المراد به اللحن الذي هو ضرب من الاصوات المصوغة للتغني ودليل ذلك قوله :

مطوقة على فنن تغنى

وقول الآخر : يرددان لحوناً ذات الوان

انما أراد ذات الوان من الترجيع كما قال في البيت قبله بترجيع وارنان . قال ابو علي رحمه الله واصل اللحن ان تريد الشيء فتوري عنه كقول رجل من بني العنبر كان اسيراً في بكر بن وائل وذكر الخبر بطوله وفسر ما فيه الى قوله يريد بقوله ان العرفج قد ادبى ان الرجال قد استلأموا اي لبسوا الدروع . ليس في قوله ان العرفج قد ادبى دليل على ما ذكره ابو علي رحمه الله ولا من عادة العرب ان تلبس الدروع الا في حال الحرب واما في بيوتها قبل الغزو فذلك غير معروف وانما اراد بذلك ان يؤذنهم بوقت الغزو و ينبههم على

التيقظ والحذر قال ابونصر رحمه الله : ادباء العرفج ان يتسق نبته و يتأزر واذا اتسق النبت وتأزر أمكن الغزو وقال ابو زياد رحمه الله : العرفج نبت طيب الريح اغبر الى الخضرة له زهرة صفراء ولاشوك له و يقال له اذا اسود عوده حتى يستبين فيه النبات قد اقمل فاذا زاد قيل قد ارقاطّ فاذا زاد قليلاً قيل قد ادبى وهوحينئذ قد صلح ان يؤكل فاذا اغتم وطفحت خوصته واكلأ قيل قد اخوص فاذا ظهرت عليهـا خضرة الري قيل عرفجة خاضبة ومنابت العرفج يقالـ لها المشاقر وهي ايضاً الحومان وتكون في السهل والجبل اه ·

وهاك نموذجاً آخر من الكتاب قال البكري : وانشد ابوعلي رحمه الله غيرمنسوب في خبر ذكره عن الاصمعي رحمه الله :

احقاً عبـاد الله ان لست ناظراً   الى قرقرى يوماً واعلامها الغبر
كان فؤادي كلما مر راكـب   جناح غراب رام نهضاً الى وكر
اذا ارتحلت نحو اليامة رفقـة   دعاك الهوى واهتاج قلبك للذكر
فيـا راكب الوجناء ابت مسلماً   ولازلت من ريب الحوادث في ستر
اذا ماانيت العرض فاهتف بجوّه   سقيت على شحط النوى سبل القطر
فانك من واد اليّ مرجبٌ   وان كنت لا تزدار الا على عفر

خلط ابو علي رحمه الله في هذا الشعر وهو من شعرين مختلفين لرجلين فثلاثة الابيات منه ليحيى بن طالب على ما انا ذاكره وثلاثة الابيات منه لقيس بن معاذ وكان يحيى بن طالب الحنفي سخياً يقري الاضياف فركبه الدين الفـادح فجلا عن اليامة الى بغداد يسأل السلطان قضاء دينه فأراد رجل من اهل اليامة الشخوص من بغـداد الى اليامة فشيعه يحيى فلما جلس الرجل في الزورق ذرفت عينا يحيى وانشأ يقول :

أحقاً عباد الله ان لست ناظراً   الى قرقرى يوماً واعلامها الخضر

هكذا صحة انشاده واعلامهـا الخضر لا الغبر كما انشده ابوعلي رحمه الله وكيف يحن الى اوطان يصفها بالجدب والاغبرار :

اذا ارتحلت نحو اليامة رفقـة   دعاك الهوى واهتاج قلبك للذكر
كأن فؤادي كلما مر راكـب   جناح غراب رام نهضاً الى وكر

فيا حزنا ما ذا اجنّ من الهوى ومن مضمر الشوق الدخيل الى حجر
تعزيت عنها كارهاً فتركتها وكان فراقيها أمرّ من الصبر
اقول لموسى والدموع كأنها جداول ماء في مساربها تجري
الاهل لشيخ وابن ستين حجة بكى طرباً نحو اليمامة من عذر

وقد ذكر ابو علي رحمه الله خبر يحيى هذا وأنشد له هذا الشعر ولكنه نسي ولولا نسيانه لاعتذر وهكذا صحة اتصال ابيات شعره لا كما وصلها ابو علي رحمه الله واما ابيات قيس بن معاذ فانها :

ايا راكب الوجناء ابت مسلما ولازلت من ريب الحوادث في ستر
اذا ما اتيت العرض فاهتف بجوه سقيت على شحط النوى سبل القطر
فانك من واد اليّ محبب وان كنت لا تزدار الا على عفر
لعل الذي يقضي الامور بعلمه سيصرفني يوماً اليه على قدر
فتقرأ عين ما تملّ من البكا ويسكن قلب ما ينهنه بالزجر

وأنشد ابو علي رحمه الله لمالك بن اسماء في اخيه عيينة لما سجنه الحجاج :

ذهب الرقاد فما يحس رقاد مما شجاك وحفت العواد
خبر أتاني عن عيينة مفظع كادت تقطع عنده الاكباد
بلغ النفوس بلاؤه فكأننا موتى وفينا الروح والاجساد
لما أتاني عن عيينة انه امسى عليه تظاهر الاقياد
نخلت له نفسي النصيحة انه عند الشدائد تذهب الاحقاد
وعلمت اني إن فقدت مكانه ذهب البعاد فصار فيه بعاد
ورأيت في وجه العدو شكاسة وتغيرت لي اوجه وبلاد
وذكرت اي فتى يسد مكانه بالرفد حين تقاصر الارفاد
ام من يهين لنا كرائم ماله وله اذا عدنا اليه معاد

هذا الشعر لعويف القوافي بلا اختلاف واي حقد كان بين مالك واخيه حتى يقول :

نخلت له نفسي النصيحة انه عند الشدائد تذهب الاحقاد

وكيف يقول مالك في اخيه ام من يهين لنا كرائم ماله ومالك أغنى من عيينة

وأنبه وانه كان متصرفًا في الرفيع من اعمال السلطان وكان مع ذلك من اهل الفصاحة واللسن والشعر الفائق والبراعة وعويف احد الشعراء المنتجعين بالشعر المسترفدين للملوك وانما قال عويف عند الشدائد تذهب الاحقاد لان اخت عويف كانت تحت عيينة ابن اسماء فطلقها فغضب من ذلك عويف وقال الحرة لا تطلق الا لريبة وباعد عيينة وعاداه فلما بلغه ان الحجاج سجن عيينة وقيده عطفه ذلك عليه وأذهب حقده له فقال الشعر وهو عويف بن معوية بن حصن وقيل ابن عقبة بن عيينة بن حصن بن حذيفة ابن بدر الفزاري وهو شاعر مجيد سمي عويف القوافي بقوله :

سأكذب من قد كان يزعم انني   اذا قلت قولاً لا اجيد القوافيا

والكتاب في ٦٩ ورقة منصفة القطع تغلب الصحة على صفحاته وهو مشكول بالشكل الكامل وقد كتب في آخره . آخر كتاب التنبيه على أوهام ابي علي في اماليه فرغ من تعليقه يوم الاثنين لعشر بقين من صفر سنة اثنتين وستين وستمائة احسن الله تقضيها بالقاهرة المحروسة اه .

محمد كرد علي

آراء وافكار

قصة زقاق الاربعين

« أسرة في حلب تحتاج الى التمحيص »

زرت حلب في صيف سنة ١٩٠٩ م متفقداً مكاتبها القديمة وآثارها فعثرت على اشياء مهمة وصفت بعضها في مجلة (النعمة) البطريركية الدمشقية ولا سيما المكاتب المجهولة فيها وبعض أسرها .

وزرت الصديق الالمعي قسطاكي بك الحمصي فأطلعني على قطعة بخط جده لامه المرحوم عبدالله جبرائيل الدلال [1] في تاريخ أسرة الدلال وفي اولها هذه المقدمة بالحرف :

« يجب ان تعلم انه لما شرف لحلب السلطان مراد [2] المعظم متوجهاً الى فتوح مدينة بغداد وذلك في سنة ١٦٣٨ وقد شاهد هذه المدينة [3] خالية من وجود سكناء مسيحيين بها في تلك الاوقات فزجر الملك وجوه اهالي هذه البلدة واصدر امره الشاهاني ان تحضر مسيحيين وتسكن بهذه المدينة . وتهدد الاهالي انه لحين رجوعه من بغداد اذا لم يرى مسيحيين قاطنين بها فيقاصصهم . فاقتضى وجوه البلدة يطلبوا من متقدمي مدن القريبة لحلب عيَل [4] مسيحيين وأحضروا من الجهات اربعين عيلة وأعطوهم محلة للسكنى وسميت (بزقاق الاربعين) تلك المحلة المشهورة الى يومنا هذا [5] وهي خارج باب النصر .

ولما رجع المرحوم السلطان مراد وشاهد نفوذ امره الشاهاني فانسر من ذلك ومع تمادي الزمان تزايدوا المسيحيين ونموا وقد كان من جملة احد الاربعين عيلة الذين اولاً أحضروهم لحلب بموجب الامر الملوكي كان جدنا الاول وهو المدعو (متروك) اي ديمتري من طائفة الروم الملكية ولاجل البيان وتذكراً لمن يأتي بعدنا قد دونته .

---

(١) راجع كتاب (السحر الحلال في شعر الدلاّل) لحمصي بك (٢) هو السلطان مراد الرابع (٣) حلب (٤) اي عيال (٥) والاسم باقٍ الى يومنا .

الفقير عبدالله جبرائيل دلال في هذا الكتاب وذلك بتاريخ ٥ ربيع الاول سنة ١٢٥٤ الموافق مسيحية ١٤ ايار سنة ١٨٣٨ [١] .

الفقير
عبدالله جبرائيل دلال

* * *

وقابلت في حلب الصديقين اللوذعيين الخورفسقف جرجس مَنَش وميخائيل افندي الصقال فانكرا قصة زقاق الاربعين . ولما عدت الى زحلة طلبت من الاب منش ادلته على (قصته الزقاقية) فكتب اليَّ بما حرفيته :

الحكاية الزقاقية = على ان نفراً من المتطرفين غير المحققين قد استنتجوا من هـذا [٢] انقراض نصارى حلب باسرهم واستخلافهم بغيرهم فكان رأيهم فائلاً ونتائجهم أوسع من مقدماتهم واسنادهم ساقطة لاستنادهم الى حكاية طويلة هذا محصلها :

قالوا لما دخل السلطان سليم الغازي حلب ظافراً بالغوري آخر ملوك الشراكسة ولم ير فيها احداً من النصارى . قال : لا بد ان يحضروا بعضهم فيراهم فيها بعد عوده اذ ذاك من حرب العجم فاستأتوا باربعين عائلة منهم فعرف الزقاق الذي عمروه منذ ذاك العهد (بزقاق الاربعين) انتهى تحصيلاً .

قلت : هي حكاية خرافية لا تثبت على محك الانتقاد على ما اثبته في المشرق الاغرّ (٦ : ٣٥٩) والآن أعرض دلائلي على الصورة الآتية زيادة في جلائها فأقول : ان السلطان سليماً مهما كان عدله في رعاياه لا يظن احد أنه يأمر باستثناء النصارى الى حلب حتى ينازعوا امته الاسلامية اسباب البقاء . بل مهما كان حبه للنصارى بالخصوص فلا يظن احد انه يدفعه الى الاهتمام بالنصارى كل هذا الاهتمام الذي يُعدّ في غير محله عند كل منصف من الخاص والعام .

والحكاية مختلة من الوجهة التاريخية من عدة وجوه أخصُّها ان السلطان سليم

---

(١) وهنا عدّد تسعة جدود من بني الدلال من ديمتري (متروك) الى جبرائيل والده . (٢) كان كاتب المقالة قد بين في مقالة خاصة قبل هذه علاقات الأسر الحلبية بغيرها من الاسر اللبنانية والسورية والعراقية فأشار اليها الآن .

الغازي حارب الدولة العجمية سنة ٩٢٠ ه وحارب الغوري سنة ٩٢٢ فتاريخ الحكاية فاسد ثم ان التقليد مسنود الى ابن الشحنة ٠ وقد قلبتُ تاريخه كله ٠ فلم ار منه حرفاً لانه اي ابن الشحنة عاش في غزوة تيمورلنك الشهيرة وبين هذه الغزوة وبين عصر الحكاية المزعومة لا اقل من مئة سنة فكيف يروي ماجرى بعده بسنين متطاولة ٠

ثم ان الدعوى بانقراض النصارى في حلب منقوضة بادلة صريحة محفوظة عند كل طوائف النصارى اقتصر على اثنين منها :

(الاول) ان العلامة مكسيموس مظلوم يذكر استيلاء المسلمين على كنائس النصارى في حلب ودمشق وانطاكية في نحو اواسط القرن الخامس عشر (القائد الامين ص ٦٠)٠

و(الثاني) ان كنيسة الموارنة كانت قائمة في اواخر القرن المشار اليه على ماهو مدوّن في ذيل كتاب الفروض الكنسية المصون الآن في مكتبة البطريركية المارونية فهل بعد هذا يسلّم باحث او مؤرخ بانقراض النصارى الموهوم ٠

ومع هذا كله لا امتري بضعف حال النصارى في أواخر القرون الوسطى ولكنني امتري بمآل هذا الضعف الى حدّ الانقراض والتلاشي كما يزعمون فغاية ما يخرج به هذا التقليد : ان ما حصلت عليه البلاد من الامان والسلام في عهد السلطان العادل دفع فريقًا من أُسر النصارى ان يهجروا لبنان وحمص وحماه وسواها ويعمروا حلب فتناقل الخلف عن السلف مثل هذه الانباء الطيبة وتوسعوا في روايتها حتى انتهت الى حد الخرافة وليس هذا هو اول التقاليد الشعوبية المنقوضة بل مثله كثير يحتاج الى التحقيق واعمال الروية ٠ وهذا لايحط من التقليد على عمومه كما لايخفى على كل ذي ذوق سليم ٠

اما تسمية المحلة (بزقاق الاربعين) فهي عامة في حلب وبيروت ودمشق وزمن اطلاقها اكثر قدمية من هذا العهد على ما اظن وسبب تسميتها مجهول في الغالب لا تبينه الدلائل الحاضرة فيما ارى فأدعه الى فرصة أُخرى لعل الزمان يكشف عن خبايا القدم اه ٠

هذا ما كتبه اليّ الاب منشّ على اثر عودتي من حلب كما مرّ وهو منذ سبع عشرة سنة والآن لا أعلم ما ذا ظهر له من هذه المباحث ٠

وقال صديقي الاستاذ المؤرخ الشيخ كامل الغزي الحلبي في كتابه (نهر الذهب في تاريخ حلب) الجزء الاول الصفحة ١٩٧ ما نصه :

« ولما دخل السلطان سليم خان الثاني الى حلب ورأى قلة من فيها من التجار نقل اليها من البلاد المجاورة اربعين أسرة من التجار المسلمين ومثلها من التجار المسيحيين أسكنهم في (زقاق الاربعين) المنسوب اليهم اه ٠

وذكر في كتابه المذكور الجزء الثاني الصفحة ٤٢٧ ما مآله :

حارة زقاق الاربعين عدد بيوتها ٩١ وسكانها من مسلمين ونصارى على اختلافهم ٤٨٤ منهم ٣٩ مسلمون والباقون نصارى ٠

يحدها قبلة حارة عبد الرحيم وشمالاً الهزازة وغرباً عبد الحي وشرقاً محلة الاكراد ٠ يقال ان هذه المحلة مما أسس في ايام السلطان سليم خان العثماني بعد استيلائه على حلب أحضر اليها اربعين أسرة من المسيحيين ليقري بهم تجارة حلب على ما ذكرناه في المقدمة في الكلام على النصارى ٠ فبنت تلك الأسر في هذا الموضع اربعين داراً اتخذوها لسكناهم وسميت المحلة بعددهم » (انتهى قوله) ٠

ولم أقف على ما دونه الصديق الشاعر ميخائيل افندي الصقال في كتابيه (تاريخ حلب القديم) و (تاريخها الحديث) وهما مخطوطان أفرد فيهما باباً كبيراً للبحث في نصارى حلب ومشاهيرهم ٠ ولكنه قال لي شفاهاً في حلب ويوم زارني في مدينة زحلة منذ سنوات انه لا يسلّم بحكاية (زقاق الاربعين) ونسبته الى اربعين أسرة سكنته ٠

٭ ٭ ٭

هذا ماحضرني الآن عن (زقاق الاربعين) بسطته على علاّته لعل احد الواقفين على حقيقة الخبر يمحصه لان ما فيه من المناقضات لا تقبله فلسفة التاريخ ولاسيما ان القصة يسندها بعضهم الى عهد السلطان سليم والآخرون الى السلطان مراد ويهمنا ان تكون هناك حجة قاطعة في صحة الحكاية او تخطئتها لئلا يبقى الكلام فيها مضطرباً ٠

وليس أجدر من هذه المجلة المعروفة بدقة مباحثها ان تفسح مجالاً لمن يكتب في هذا الموضوع معتمداً على الادلة الصحيحة والآراء السديدة ٠ والله الموفق الى السداد ٠

زحلة (لبنان) : عضو المجمع العلمي

عيسى اسكندر المعلوف

المسكوكات العربية

« وصاحب السعادة احمد زكي باشا »

بلغني ان العلاَّمة احمد زكي باشا ألقى في مدينة القدس خطاباً نفيساً عن الآثار السورية وقد استطرد في خطابه الى مسألة شغلته منذ السنة الماضية وهي مسألة النقود العربية وما كنت ارتأيتُهُ انا من استعمال الزجاجات كنقود للتداول مع انها في اعتقاد الباشا ليست سوى أوزان وعيارات · وقد اتى سعادته في خطابه المذكور بالبراهين على تخطئته لي ، ولما بلغني هذا قلت اني أُقرّ وأعترف بكون العلامة المشار اليه من العلماء المدققين وله اطلاع واسع في علوم شتى لاسيما في فنون العرب وآدابهم لكنه غير ضليع بعلم النقود التي يسميها الافرنج (علم النومسماتيك) ·

والبرهان على ذلك ما نشره منذ بضع سنين عن نقدٍ لصلاح الدين الايوبي اذ زعم انه نُقِش عليه صورته · ففنّدتُ زعمه هذا ببراهين قاطعة لا ردَّ عليها وهي مدرجة في مجلة المقتطف سنة ١٩٢٠ م ·

واما قوله باني لم آت ببرهان على استعمال الزجاجات كنقودٍ فلا انكر باني لم اعثر حتى الآن على شهادة مؤرخ عربي بحت قال هذا الكلام ولكن جاء ذكر هذه النقود في تاريخ مصر الحديث للمرحوم جرجي زيدان في الجزء الاول من الطبعة الثانية وجه ٢٦١ اذ قال :

« ونرى في الشكل الخامس والخمسين صورة نقود زجاجية ضُربت في عهد الدولة الفاطمية ايام احتياجها للمال وقلة الذهب · وحالما تولى صلاح الدين الغاها وضرب نقوده المعروفة بالنقود الناصرية نسبةً اليه » ·

والمشهور ان جرجي زيدان نقل هذه الرواية عن مؤرخ فرنساوي جليل وهو الموسيو مارسل احد رجال البعثة الفرنساوية في عهد نابوليون الاول · واليك عبارته باللغة الفرنساوية نقلاً عن تاريخه « مصر من الفتوح العربي الى تملك الفرنسيس » المطبوع في باريس سنة ١٨٧٧ في حاشيته وجه ١٢٩ :

«Salah-ed-dyn avait, en effet, fait frapper à cette époque un assez grand nombre de nouvelles monnaies, soit en or, soit en argent, pour retirer de la circulation les monnaies de verre, espèce d' assignats que la pénurie progressive des finances avait forcé les khalyfes fatimites d' émettre sous divers règnes, et dont Salah-ed-dyn annula l'usage.»

والعبارة لا تختلف كثيراً عن ترجمة جرجي زيدان ٠

وأخبرني احد البحاثين عن المسكوكات العتيقة ان لديه مجموعة وافية من الزجاجات يشف منها باجلى بيان انها استعملت بمثابة نقود وقال لي :

ان هذه الزجاجات استعملت كنقود ليس فقط عند العرب بل استعملها قبلهم البيزنطيون اي الروم الذين تملكوا بلاد المشرق ٠ ومن يجهل ان العرب تعاملوا بالنقود الرومية والفارسية والساسانية الى ان أبطلت في أوائل الدولة الأموية وقام مقامها النقود العربية المشهورة عند الامويين والعباسيين ? اه ٠

ومما يؤيد رأينا في ان الزجاجات لم تكن تستعمل فقط للعيار بل للتداول كنقود هو كثرة ما تركه لنا الاقدمون من هذه الزجاجات لا سيما في الديار المصرية ٠ فانها تعد بالآلاف وعشرات الآلاف — فلو كانت ضربت للعيار والموازين فقط لما كانت وجدت بالكثرة التي نراها في المتاحف العمومية والخصوصية وبين ايدي تجار العاديات وغيرهم ٠

وكم حدث ان الدول استعملت ايام الضيق معادن غير الفضة والذهب لا بل ورقاً كما جرى في عهد الدولة العثمانية باستعمالها العملة النحاسية كالبشالك وورق القائمة وذلك أشهر من نار على علم فهل يستبعد ان تكون الزجاجات استعملت كنقود في ايام الفاطميين وغيرهم ٠

ونرجو من سعادة زكي باشا ان ينظر الى جيبه اذا كان لم يزل مقيماً في البلاد الشامية فما ذا يرى من النقود الصغيرة السورية كالغرش والغرشين والخمسة غروش هل هي أفضل من الزجاجات اللطيفة التي كانت محكمة الصنع جميلة اللون فانها لعمري اكثر قيمة من الفرط المستعمل في بلاد الشام ٠

القاهرة : يوسف اليان سركيس

مطبوعات حديثة

تاريخ مملكة الحبشة

« من عهد ملكة سبا الى دخول هذه المملكة في عصبة الامم »

تأليف السيد بيار آليب المندوب الممتاز لدى دولة سورية مصدّر بمقدمة من قلم الشيخ (Sénateur) السيد هانري دي جوفنيل عضو جمعية عصبة الامم والعميد السامي للجمهورية الافرنسية في سورية ولبنان ، طبع طبعة خامسة في مطبعة بلون نوريت بباريس عام ١٩٢٦

L' Empire des Nègus - par M. Pierre Alype, Paris 1925

أهدى المؤلف كتابه تاريخ مملكة الحبشة الى مجمعنا العربي مصدراً من خط أنامله بكلمات رقيقة أحسن فيها الظن اي احسان بالعرب ومدنيتهم ومدينة حضارتهم التاريخية دمشق . ومؤلفه سفر جليل حسن التبويب والتقسيم يقع في ٣٠٧ صفحات وهو مزين بسبعة رسوم جميلة تمثل نجاشي الحبشة السابق منيلك الثاني وابنته النجاشية زَوديتو العاهلة الحالية والاميرة تَفَري مكونَن القيم على شؤون السلطنة واباه الراس مكونَن امير هَرَر المتوفى والسيد ليونس لاغارد اول المندوبين الممتازين الافرنسيين وأهمهم لدى بلاط النجاشي وبعض الآثار التاريخية في تلك الاقطار ، وفي آخره مخطط (خارطة) المملكة . والحبشة قطر جبلي موقعه في شرق افريقية ما بين البحر الاحمر وأعالي النيل الابيض ويجري النيل الازرق في وسطها . تسكنه امة قديمة فطرية شَبَهية لون البشر (اي كلون البرونز) محسوبة من الجنس البشري الابيض او فرعاً منه معروفاً بالفرع الحبشي . لها حضارة عريقة وعددها يناهز العشرة ملايين من النفوس يدين معظمها بدين الناصري وما بقي منهم مسلمون وموسويون مع طائفة كبيرة تدين بدين الفطرة وفي عوائد اهلها شيء من الوثنية . وهي المملكة الوحيدة الشرقية التي حافظت على استقلالها الى اليوم منذ عهد سيدنا سليمان الذي تمتّ الى نسبه الأسرة المالكة فيها ، او تدعي هذا المتّ . وقد كان لها في زمن النبي (ص) والخلفاء الراشدين اختلاط كبير بالعرب أتيت على ذكره مفصلاً في احدى محاضراتي في ردهة المجمع العلمي العربي . ولها

لغة فصيحة هي احدى اللغات السامية بها الشيء الكثير من قواعد اللغة العربية وألفاظها واشتقاقاتها . وقد رحل المؤلف الى تلك الاصقاع إبان الحرب العالمية بمهمة سياسية ممتازة فدرسها واستبطن أسرار مدنيتها وتفهم أخلاق أمتها وخدمها وخدم أمته فيها خدمات جلّى شكرته عليها الامتان معاً . وقد مال اليها فأحبها وعمل على دعم استقلالها ونجاتها من براثن ذوات الطمع من الدول التي حدثتها نفسها بابتلاعها لقمة سائغة .

(وصف الكتاب) كل صفحة من الكتاب تنفث في القاريء حب وطنه وتاريخه . جمع فيه فأوعى الوقائع التاريخية القديمة والحوادث الاهلية والسياسية الحديثة كتبها بوضوح جلي ولغة بليغة سهلة المأخذ لا يشوبها غريب ولا معقّد . وقد اعتمد في سرد الحوادث الغابرة على انقى الاسناد التاريخية فنقلها بعد ان هضمها وصقلها بقلمه البليغ حتى لم تظهر عليه مسحة النقل لولا علامات وضعها وأشار في الهوامش الى اسماء المصادر . واعتمد في جمع شوارد الوقائع التي جرت إبان وجوده في تلك الاقطار على اختباراته الخاصة ولم يقم للنظريات وزناً مالم يدعمها بحجج الاختبار . وبهذا تفوّق على من سبقوه من الاوربيين الذين كتبوا عن الحبشة وتاريخها وأخلاقها وبين هؤلاء من زار قطراً منها وبينهم من طاف ارجاءها وجاب مواميها ومفازاتها فلم يوفقوا الى الاطلاع على ما كتب لسعادة هذا المؤلف للاطلاع عليه وقلّ جداً منهم من استوفى الموضوع من جميع اطرافه .

(اعرابه) قسم السيد بار آليب كتابه الى ثمانية فصول ألخصها بدءاً بمراحل: ابان في المرحلة الاولى مركز ساحل الصومال الافرنسي ومكانته الحربية والاقتصادية وقاعدته جيبوتي باب الحبشة الوحيد اليوم واتصالها بعاصمة الحبشة أديس ابابا بالخط الحديدي وأفاض في وصف الامكنة التي مرّ بها حتى دخل تلك العاصمة . وشرح في المرحلة الثانية أصل الاحباش من كوش ابن ابن نوح عليه السلام وكيف أموا هذا الصقع من افريقية عن طريق مصر واستوطنوها وسرد تاريخهم القديم من منيلك الاول ابن سليمان الحكيم (على زعمهم) ابن داود النبي ملك يهوذا صاحب الزبور من احدى نسائه ميقادية ملكة سبا في التيمن (وهي اليوم بلاد اليمن) عام ٩٥٥ قبل الميلاد حتى عهد منيلك الثاني الذي جلس على عرش اجداده من الأسرة السليمانية فصار ملك شوى اولاً عام ١٨٨٠ في عهد النجاشي تيودورس ثم نجاشي الحبشة (او ملك ملوكها كما يسمي

الاحباش عاهلهم) في ٦ تشرين الثاني عام ١٨٨٩ وهي مرحلة طويلة جمع فيها حوادث الحروب الداخلية ومع الاجانب وخصوصاً التي وقعت منها في ايام النجاشيين ثيودورس و يوحنّس وجاء بالتفصيل على ذكر حرب ايطالية مع الحبشة التي كان سببها غلط ترجمة في معاهدة اوكشيالي وانكسار الطليان في موقعة عدوى (شباط ١٨٩٦) وأوضح بجلاء أغلاط الطليان السياسية والفنية العسكرية التي ادت بهم الى هذا التراجع ، وسعة صدر الملك الحبشي المنتصر وعدل مطالبه المنصوص عليها في معاهدة الصلح مع خصمه . وتكلم عن المعاهدات الدولية بين النجاشيين وملوك اوربا والمحالفات التي أبرمت بين ايطالية وانكلترة وكان القصد من ابرامها تقطيع أوصال الحبشة وابتلاعها لقماً ، اللقمة تلو اللقمة ، وكيف قامت سياسة الفرنسيس بوجه هذا الطموح وثبتت أركان استقلال هذه المملكة الافريقية . وجاء على ذكر جلائل أعمال منيلك الثاني في ضم شعث المملكة وتوحيد أرجائها تحت امرة صولجانه الامبراطوري بعد ان كانت منقطعة الاوصال متفاوتة أغراض رؤساء الاقطاعات المستقلين . وأبان السر في نهوض هذه السلطنة الاقطاعية وذكر العوامل المؤثرة التي أدت الى هذا النهوض وخصوصاً مساعدة فرنسا لهذا النجاشي الكبير وابرامها معه المعاهدات النافعة وانشائها له السكة الحديدية التي فتحت للحبشة أبواب التجارة والصناعة والزراعة وأغدقت عليها وابل الخير وأدخلتها في سلك الممالك المتمدنة وضمنت لها مستقبل استقلالها ومنعة دفاعها . وفي المرحلة الرابعة وهي المرحلة التاريخية الحديثة التي شهد المؤلف وقائعها بعينه وقد جاءت كتتمة نسبتها في الحسن الى بقية الكتاب كنسبة ذنب الطاووس الى سائره . جاء فيها على ذكر تدهور الامير يسوع حفيد منيلك الثاني الذي تربع على تخت مملكة جده ، وخصوصاً عما اقترفه هذا العاهل الفتى من الآثام السياسية ابان الحرب العالمية من جراء تعرجه بين سياسة الحلفاء وسياسة الالمان بميل الى هذه اكثر من تلك حتى قامت عليه قيامة عظماء مملكته وانتشرت الثورة في معظم أنحائهـا وأوشكت بلاده ان تخسر استقلالها وتتناولها أيدي الدمار لولا حكمة المؤلف اذذاك في تلك الاصقاع وسياسة سفير دولته ودربة الانبامتاووس جثليق الحبشة ممن تمكنوا من حمل أمراء المقاطعات الحبشية على مقاطعته اولاً ثم محاربته وخلعه بفتوى أصدرها سيادة الانبامتاووس واعتقاله

والمناداة بجلالة النجاشية زَوْديْتو الامبراطورة الحالية ابنة النجاشي منيلك الثاني وإقامة سمو الامير تَفَري ابن الامير مكُونّن من الاسرة السليمانية المالكة قيما على المُلك ووريثاً لاريكته فأعاد الى المملكة رشدها وسلامها ووطد دعائم استقلالها المتداعية بمساعدة عمال الدولة الافرنسية . ثم رحل بعد ان وضعت الحرب أوزارها الى باريس ولندن ورومية واجتمع برؤساء حكوماتها وكبار وزرائها وساستها وعقد معهم المحالفات المفيدة . ثم عضدته أخيراً الدولة الافرنسية عضداً متيناً وعملت بواسطة السيد هانري دي جوفنيل عضو جمعية عصبة الامم على ادخال الحبشة في هذه العصبة فنالت هذه المملكة التاريخية منذ ذلك الحين كثيراً من المنافع المادية والادبية .

(محاسن الكتاب) لم تمنعني محاسن الكتاب ان أقف أحياناً وقفة الريب في صحة بعض ماذكره المؤلف . من ذلك : (اولاً) اقتناعه ومحاولة اقناعه في كثير من الامكنة وخصوصاً صفحة ٢٦ ان الاسرة المالكة الحالية التي تدعو نفسها الاسرة السليمانية تمتُّ حقيقة الى جدها الاكبر منيلك الاول وان هذا هو حقيقةً ابن الحكيم سليمان ابن النبي داود ملك يهوذا صاحب الزبور من امرأته ميقادية ملكة سبا . ولكن اذا سلمنا انها تمتّ الى منيلك الاول فهل نسلم ان هذا كان بالحقيقة ابن الحكيم ! قصة سفر ملكة سبا من التيمن الى اورشليم لمشاهدة حكمة سليمان حقيقة مشهود لها في الكتب المنزلة . ولكن اي تلك الكتب أم اي مؤرخ قديم قال ان سليمان تزوج بضيفته ملكة سبا او اتخذها حظية فولدت له في اورشليم غلاماً دعاه منيلك ورباه كما يقول الاحباش في تقاليدهم حتى شب وأرسله بحاشية كبيرة الى الحبشة وملّكه عليها ! لعمري انها لدعوى عريضة في شرف النسب لايقرها التاريخ وما أمثالها الا خرافة ينزلها الاحباش منزلة الصحة مبنية على هرب بعض اليهود الى الحبشة عن طريق مصر والسودان في ايام نكباتهم التي يذكرها التاريخ في عهد الاسر البابلي وخراب اورشليم وهيكلها .

(ثانياً) قوله في (صفحة ٢٢) ان الجئز (بالجيم على اللفظ المصري وهي اللغة الحبشية القديمة) والامحرية من اصل فارسي . والصواب أنهما من أصل حميري كما يستدل من شكل حروفها ومن قرب الفاظها الى اللغة العربية ووجه الشبه الكائن بين هذه وبينها من حيث الاشتقاقات الصرفية والادغام والاعلال ووزن بعض الجموع وتصريف

الأفعال الخ . وقد تأكدت صحة هذا المعتقد عقب اكتشاف الالواح الحميرية المشهورة في اليمن

(ثالثاً) قوله (صفحة٢٣) ان الحروف الحبشية مأخوذة عن المسمارية وان المظنون ان أول حروف عرفت في العالم هي حروف الهجاء الحبشية . أعيذه من مثل هذا التناقض الا اذا وافقني بارجاع أصل الحروف الحبشية والفارسية معاً الى الحميرية وظن معي ان الحميرية نفسها قد تكون من أصل مسماري . أما انها أول حروف هجاء عرفت في العالم فهذا لا أوافقه عليه لاشتهار الحروف الصينية بهذه الاولية .

(رابعاً) قوله (صفحة٢٨) ان فرومنس وايديسيوس اللذين تاها في سفرهما فدخلا الحبشة عام ٣٤١ وعملا على تنصيرها كانا يونانيين وابني تاجر تونسي اسمه ميروبيوس. والصواب انهما كانا فينيقيين وابوهما هوميروبيوس الفيلسوف الصوري المشهور .

(خامساً) قوله عن كتاب فَتْهَ نَكَسْتَ انه قانون حبشي . والصحيح كما أخبرني الانبامتاءوس جاثليق الحبشة (وهومصري من الصعيد الاعلى) ان هذا الكتاب عربي اسمه «فتح الملوك» كانت الكنيسة القبطية تعتمد على نصوصه قديماً جل الاعتماد . وقد تُرجم الى الحبشية من عهد ليس بالبعيد وان كلمة « فَتْهَ » المضافة انما هي كلمة فتح العربية على وضعها الاصلي وتُرجم المضاف اليه الملوك بكلمة نَكَسْت الحبشية وهي تفيد نفس المعنى .

(سادساً) قوله (صفحة ١٠٣) مستنداً على تأليف كولا (Collat) ان الامبراطورة طهايتو كانت هي المتصرفة بأموال زوجها منيلك الثاني . والصحيح ان وزير الماليــة هبتا جورجيس من قبل ان يُدعى وزيراً بزمن كثير وأسلافه من قبله هم الذين كانوا أمناء خزائن سيدهم النجاشي ولم تكن لهم البتة علاقة بالامبراطورة المذكورة بما يخص أمانة الخزائن . اما هي فانما كانت متصرفة باموالها الخاصة وكان لها اقطاعة كبقية العظماء . وقوله ايضاً من باب المديح (في الصفحة نفسها) انها (اي الامبراطورة طهايتو كانت شديدة الاهتمام بتقريب أولاد البيوت الملوكيـة القديمة من أسرتها ولكن فاته ان ذلك الاهتمام انما كان خبثاً منها لانها كانت ترى ايام زوجها معدودة لشدة وطأة المرض عليه فعملت على كسب قلوب أحفاد تلك الأسر القديمة واستمالتهم اليها ليشدوا أزرها يوم تتاح لها الفرص باخذ التاج بالارث عن زوجها . ومن هذا القبيل تزويجها الامير يسوع حفيد زوجها المولود من إبنة امرأته الاولى باحدى تلك البنات

قبل ان يبلغ الثانية عشرة من عمره وكان عمر عروسه سبع سنين وهي جناية كما لا يخفى ·
(سابعًا) مغالاته (صفحة ١٠٤ وما يليهـا) بوصف الامير مكُونّن والد الامير تَفَري قيّم المملكة الحالي ، والقول عنه في غيرها من الصفحات انه كان مطلق الحرية في إمارة البلاد الهررية تحت طاعة نسيبه النجاشي · نعم ان هذا الامير الحبشي المتوفى كان منقطع النظير بين انداده الامراء الاحباش وقد عرفته بنفسي وكنت صديقًا له مقربًا اليه واطلعت على كثير من الاسرار بسبب ثقة الامير بي · وقد تجلّى لي الشيء الكثير من الفضائل وجلائل الاعمال التي ذكرها المؤلف · الا انه كان ضعيف العزيمة قليل الثقة حتى باخلص المتقربين اليه من الحبشة والفرنج ولم يخلُ — شأن عموم متسلطي الاحباش — من سوء النية · والمشهور عنه انه هو الذي دس الدسائس على جميع اقرباء نسيبه النجاشي منيلك العصبيين أولاد وأحفاد جده الملك سَهْلاسِلاّسِي وأشار عليه باعتقالهم وقتلهم الواحد بعد الآخر حتى اتى على آخرهم ، وبث الروح بين الامراء ان لا تتولّى امرأة على الملك · كل ذلك ليخلو له الجو ويعود التاج اليه او لولده اذ لم يعقب النجاشي المذكور ذكوراً · وقد ساعد تقلب الحدثان من بعد وفاته على تحقيق أمنيته بان أُقيم ابنه الامير تَفَري قيماً على المملكة ووريثاً للعهد · وكانت الامبراطورة طَيْتُو عقيلة النجاشي منيلك شديدة البغض له ولذريته وقد خلقت له مشاكل جمة في أواخر ايام حياته حتى حملت بعلها على إقامة معتمد له في إمارة هرر خلافاً للعوائد الحبشية المرعية فقلّ بذلك نفوذ الامير في عقر داره وتوفي وفي قلبه تلك الحسرة ·

(ثامنًا) قوله (صفحة ١٠٨) ان الامير مكُونّن هذا كان يلقب بالسمو الامبراطوري والملكي وانه تعيّن ليخلف منيلك · والصواب ان هذا اللقب لم يكن يلقبه به الا الافرنج فقط وذلك لصلة قرباه بالعاهل · اما الاحباش فليس في لغتهم هذا اللقب ولا سواه من الالقاب الرسمية المعروفة وانما يلقبون عظماءهم بقولهم « الكبير ، المعظم ، السامي » الى غير ذلك من نعوت التفخيم والتبجيل وعباراته الطويلة · وكان النجاشي اذا كتب اليه رقيماً ذكر اسمه فيه خلواً من نعت ولقب ما خلا كلمة «راس» فيقول بعد الديباجة الملكية التي تستوعب اكثر من نصف الألوكة : « الى الراس مكُونّن ، ليكن اليك سلامي » · ولم يعينه قط خلفًا له لا رسميًا ولا بصفة غير رسمية بل ان دسائس الامير

هي التي جعلت الألسن تلهج تخميناً بان لاخلف للسدة النجاشية الا هذا الامير الباقي في قيد الحياة من الأسرة السليمانية . وقد نزل الاوربيون هذا الحدس منزلة الحقيقة ولكنه تبدّد عندما سمى النجاشي حفيده (من ابنته البكر المتوفاة) الامير يسوع وريثاً لعهده عام ١٩٠٩ وأعلن ذلك رسمياً في داخل مملكته ولدى الممالك الاوربية . ولولا تدهور هذا العامل الفتى في سياسته ولولا خلعه لما حلم الامير تَفَري بن مكْوُنّن بالملك .

(تاسعاً) قوله (صفحة ١٣٨) انه (اي الاميرتفري) بعد وفاة ابيه منحه النجاشي رتبة دَدْجازْماتْش (وترجمتها حرفياً قائد الباب وهي تعادل عندهم رتبة الجنرال) وأقطعه بلاد سيدامو فحكمها وكان عمره ١٥ سنة . والصواب ان هذه الرتبة انما منحه اياها ابوه الراس مكْوُنّن قبل وفاته في هرر وكان عمره اذذاك عشر سنين وأقطعه إقطاعة في إمارة هرر . ثم بعد وفاة ابيه دعاه النجاشي الى أَدّيْسْ أَبابا وأبقاه عنده نحو سنة ثم أقطعه بلاد سيدامو لانه ولّى حاكماً غريباً على إمارة ابيه وأقام له قيماً وصياً في حكم تلك المقاطعة لصغر سنه .

(عاشراً) اعتمد على الكتب والتقارير الافرنسية في نقل الالفاظ الحبشية فجاءت معلولة . وانا أجتزئ من هذه الأغلاط ببعضها .

الكلمات المعلولة التهجئة	صوابها
Ménélik	Menilek
Makonnen	Mekwonnen
Taïtou	Tahaïtou
Apté - Gorghis	Habta - Gorguis
Sahlè - Sellassié	Sahla - Sellacié
Addis - Abeba	Addis (ou mieux)Haddis - Abbaba
Dédjazmatch	Dadj - Azmatche
Fitorari	Fit - Aourari

هذا وان كفة ميزان الكتاب من جهة الحسنات لراجحة على كفة الغلطات . وكفى صاحبه شهرةً ان كتابه هذا طبع خمس طبعات في خمس سنين مع ندرة الإخصائيين الذين يهتمون بمطالعة مثل هذه الشؤون المجهولة للناس مما يدل ان جودة قالبه جعلته من الموضوعات الرائجة .

عبد الله رعد

الشيخ سيد العبيط
« وأقاصيص أخرى »

« تأليف السيد محمود تيمور طبع في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٤ — ١٩٢٦ »
« ص ٢١٦ »

مؤلف هذه الاقاصيص واسمها (الشيخ سيد العبيط) و (الملل) و (ابو درش) و (صديقي تلميذاً وموظفاً) و (خالة سلام باشا) هو الفاضل المفنن السيد محمود تيمور من نبهاء القاهرة كان ألف في السنة الثالثة قصة (الشيخ جمعة وعم متولي) وقد نهج في هذه القصص او الروايات طريقة غريبة جديدة ، واكثر قصصه مبتكرة وقليل منها المحتذى من لغة غريبة ، تمثل حال المجتمع المصري وتصل الى قلوب عامة القراء من طريق التفكهة والتسلية بما يراد بثه فيهم من الافكار الصحيحة . والقصص اليوم في الآداب أداة عظيمة من أدوات التمدين والتثقيف قصر فيها العرب في القديم بالنسبة لتفوقهم في سائر فنون الآداب وهم مقصرون الى اليوم . وقد كان جل العناية بالشام ومصر بالتعريب اولاً ولكن ذلك لا يلذ ولا يطيب ، وها قد أخذت مصر تضع قصصها كما فعل صديقنا مؤلف هذه الاقاصيص وغيره من الشبان المنورين الذين اقتبسوا هذا الضرب من الادب وها هم يبرزون فيه شهراً عن شهر وسنة عن أخرى . وقد علل المؤلف في المقدمة البديعة التي عقدها للكلام على هذا الفن ونشأته عند الأمم لمعنى تغافل العرب عنه (ومنه اقتبسنا في هذا الجزء مقالة النهضة القصصية الحالية) ان أساطير العرب كانت قليلة لذلك جاءت أقاصيصهم قليلة ونقل رأي الاستاذ العقاد في قلة هذه الاساطير وأرجعها الى ثلاثة أسباب الاول الاقليم وأقليم بلاد العرب يبعد بهم عن الاساطير وهم الى السذاجة . الثاني التاريخ تتلخص في ان عبادة الموتى وتأليههم مصدر مهم من مصادر الاساطير والعرب لم يؤلهوا رجالهم الصالحين بمثابة أرباب بل بصورة أشخاص اتقياء . والثالث ان الانسان القديم كان يسمي الجوامد باسماء هي في الاصل صفات واستعارات كان يستعملها للحي فلما قدمت هذه الصفات والاستعارات صار للجماد صفة الحي وأصبحت له شخصية تماثل شخصية

الأحياء وهذا منشأ الاساطير . اما عند العرب فان الكلمات من صفات واستعارات ما برح معناها الاصلي اي الاول يتزج بحسها ولم تأخذ لها معنى آخر يخالف ماوضعت له وذلك لعدم تشعب اللغة عندهم و بساطة الفاظها لذلك لم تأخذ الجمادات عندالعرب شخصية الآدميين . وأضاف المؤلف سببين آخرين لتفسير قلة القصص عند العرب اولها ان العرب كانوا يعتزون بآدابهم ويفتخرون بها معتقدين انها فوق الآداب الاخرى بلاغة واحكاماً فلم يلتفتوا الى آداب الامم الاخرى التي ترجموا عنها علومها وفلسفتها لاعتقادهم بانهم في غنى عنها والذي ساعد على ذلك دين الاسلام الذي أبطل عبادة الاصنام وحطم الآلهة فأهملوا تعريب القصص عن اليونان لانها كانت مؤسسة على الميثولوجيا (الاساطير) . وثانيها وهو مرتبط بالاول ان الفنون الجميلة من حفر وتصوير وتمثيل وموسيقى وشعر تعتبر أساس الفن القصصي وجلها وان لم نقل كلها مرتبط بالاساطير ايضاً . فالمثال (الحفار) كان يصنع تماثيل الآلهة والمصور كان يصور حوادث البطولة والجمال والممثل كان يمثل أقاصيص الاساطير وهلم جراً . والفنون الجميلة لا تزهر ولا تنتشر الا اذا زهت المدنية وارتقت لان هذه الفنون كمالية تأتي بعد اكتمال الضروريات وتنتشر كما اقترب الناس من هذه الكماليات . ونحن اذا نظرنا الى الامة العربية في الزمن الجاهلي وجدناها قليلة الفنون فالتماثيل لم تكن الا تماثيل ضرورة أوجدتها ضرورة التدين فلم يكن عليها أثر من آثار الجمال الفني التي امتازت به تماثيل اليونان والتصوير كان معدوماً تقريباً وكذلك التمثيل . و يضيق بنا المجال اذا أردنا الاقتباس من مقدمة المؤلف فنحيل الادباء على مطالعتها واحتذاء المستعدين منهم أمثاله في إنشاء قصصه . وكأنا بالامة العربية وهي لا ينتصف هذا القرن العشرون الا و يكون لها قصصيون على مثال الغربيين . ونرجو ان لا نفرط في حب هذا النوع الجديد من الآداب افراط الغربيين . ونرجو للمؤلف التوفيق لاحياء مدنية جديدة حاضرة كما يحيي العلامة والده أحياه الله مدنية العرب الغابرة .

م . ك

الجزء ٧ المجلد ٦

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) تموز سنة ١٩٢٦م الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٤ ومحرم سنة ١٣٤٥ هـ ٢٨٩

تاريخ سورية المجوفة

(وصفه) : ان الاراضي الواقعة بين جبلي لبنان الشرقي والغربي والممتدة الى وادي التيم ووادي بردى الغربي والى انطاكية حيث تجري فيها الانهر المعروفة باسم العاصي (الأُرُنط) و بردى (ابانة) والليطاني أُطلق عليها اليونان اسم (Coele-Syria) اي سورية المجوّفة او اودية سورية · وكان تخمها القديم من عدوتي البحر الميت الى انطاكية ·

ولقد كثرت اسماء هذه البقاع باللغة المصرية والآرامية واليونانية والعبرانية والعربية ولم أَجد من افرد لها تاريخاً عاماً يبحث في تسمياتها وجغرافيتها وحدودها واساطيرها القديمة ودياناتها المختلفة وتحليل اسماء مدنها وقراها العامرة والداثرة وهياكلها القديمة وعباداتها وآثارها وتحويلها من الوثنية الى الاديان المعروفة وعلمائها ومناخها ومائها وانهرها و بحيراتها وتربتها وصخورها ومعادنها ونباتاتها وحيواناتها ومراقدها ومزاراتها ودياراتها وكنائسها وجوامعها واساقفتها واسقفياتها ومدارسها واوقافها وقلاعها وزراعتها وصناعاتها وتجاراتها وتقسيمها الاداري وسكانها وحكامها وانسابهم وحوادثها وما يتخلل ذلك من المباحث المفيدة في التاريخ وتخطيط البلدان وخططها ·

فتفرغت ردحاً من الحين مغتنماً الفرص التي سمحت لي بها شواغلي المعاشية واوقاتي المشوشة وجمعت تاريخاً لهذه البقاع الطيبة راجعت له ما وصلت اليه يدي من المخطوطات والمطبوعات بين عربية وافرنجية ومحّصت ما امكن تمحيصه وحققت

ما استطعت تحقيقه ولا سيما ما اسميه (فلسفة التاريخ) و (تحليل الاعلام) ولا ازال اجيل فيه يد البحث واعرضه على محك النقد حتى يخرج نقي الديباجة ابيض الصفحات فيعتمد عليه الباحثون و يعرف العلماء المحققون قدره وهو في نحو الف صفحة بقطع النصف الكبير بخط دقيق ممثل بالطبع معرّض للنشر فلعلّ الايام تمهد لي ذرائع اخراجه الى المطالعين نظيفاً مرتباً مفيداً من بين لهوات المطابع واصابعها ·

ولا بأس ان انقل الآن بعض موضوعاته واعرضها على القراء الكرام ليروا رأيهم فيه · و يستشفوا من خلال هذه المنتخبات ما صرف عليه من الوقت فلعله يسدُّ ثلمةً في التاريخ فتقها الاهمال و يظهر للمطالعين المراجع التي اعتمدت عليها وهي مئات من المجلدات والرحلات وبعضها نادر الوجود ·

(نخبة منه) : فمن باب (تحليل الأعلام) اسم (بعلبك) عاصمة السهل الكبير المعروف باسم (البقاعين وبعلبك) فأرى انه مركب من كلمتين (بعل) بمعنى الاله و (بك) بقية باخوس وهو آله الخمر لشيوع عبادته وعظم هيكله في اطلال المدينة وجودة العنب في مشارف السهل وسفوحه · وسماها اليونان (اليو بوليس) بمعنى مدينة الشمس · وقال المؤرخون ان فيها مقام النبي (الياس) توهمًا ان (إليوس) اي الشمس هي (الياس) العبرانية او (ايليا) · وهو من الأوهام احياناً ·

وامتد هذا الوهم الى قرية (قب الياس) و (برالياس) والصواب ان قب الياس تحريف (آبل اليوس) اي مرج الشمس و برالياس تحريف (برْ إليوس) اي ابن الشمس · واتصل هذا الوهم الى جوار بيروت باسم (انطلياس) فقيل انه (قبرانطون والياس) بالنحت والحقيقة ان معنى الاسم (أنتي إليوس) اي مقابل الشمس · ومن اسماء المدن في هذه البقعة (كامِدْ) وتسمى (كامد اللوز) واري هذه تحريف (كاميتوس) اليونانية بمعنى (القمح) · و (كفرديْنِس) من (كفر) بمعنى قرية و (دينس) تحريف (ديونيس) وهو اسم باخوس المذكور · و (مَنْـدَرَه) من (مَنْدَرَه) اليونانية بمعنى (الحظيرة) وهي ما يتخذ للغنم ونحوها · ومن الاوهام ان اسم (قصر نبَا) هو قصر رجل اسمه نبا لفق المؤرخون قصة له والصحيح انه من (قصر) اي هيكل و (نبا) من اسماء عطارد · والنبي (شيث) اراها تحريف

(شث) المعبود الحثي اوالمصري (سخث) وهو يصوّر بشكل لبوءة او امرأة باسم لبوءة ولا يزال حول ذلك المكان قريتان احداهما باسم (اللَّبْوة) والثانية باسم (شمشث) و (كرك نوح) مركبة من (كرخو) السريانية بمعنى حصن و (نواح) احد الالهة المثلثة عند الكلدان . ومما يؤيد ذلك ان شيثاً ونوحاً لا آثار لها هنا . وكذلك (النبي أَيْلا) فهو اسم (إيل) من تسميات البعل . وليس ايليا او الياس . و (عرجموش) وهي اشبه باسم (كركميش) كأنها مركبة من (كمش) الاله الحثي و (كرك بمعنى حصن) حرفت بعرجموش و (كموش) اله مؤابي ايضاً وهو اقرب الى التسمية . و (شتَوْرا) تحريف (ستَاثورا) اليونانية بمعني مُصَلَّب الطرق ولا يزال موقعها يؤيد هذا . و (وادي القرن) كأنهـا تحريف (كُورُوْن) اي زحل . ومثلهـا اسم (قرنايل في لبنان الغربي) كأنه من (كورون) (إيل) اي الاله زحل . و (الديماس) من (ذُوْمُوس) اليونانية بمعني الغرفة والبيت الصغير .

ومن التسميات المصرية (مارع) مركبة من اسم الآهين مصريين (ما) و (رع) وهما من اسماء الشمس . ومنها (كفرراع) قرب حمص . و (آون) بمعنى الشمس و (حرتعلا) كأنها من (حور) الاله المصري و (تعلى) بمعنى تعالى . و (حرْبتا) كأنها من الالاهين (حور) و (بتاي) . ونهر (الليطاني) تحريف الروتاني نسبة الى (الروتانيين) وروت تحريف لود وهو اخ آرام واكبر منه و (بريتان) كأنهـا من (بيت) و (روتان) . وتوجد أخربة قرية (بْرُوْته) شرقي معلقة زحلة وهي التي توهم مؤلف (قاموس الكتاب المقدس) انها بريتان و بروته فكأنها (بيت روته) من هذا البـاب ايضاً . وكأن اسمي (سحْمُر) و (يحْمُر) مصريان فالاول من (شتخ مُوْري) وموري بمعنى الاله فقيل (سحمر) تخفيفاً والثـاني كأنه من (يوْح مُوْري) فقيل فيه (يحْمُر) ولا تزال العامة تلفظها قريبة من اصلهـا بتخفيف وتسهيل . و (طلْيَا) لها سمية في مصر تلفظ هكذا وهي من اعمال المنوفية نسب اليها عبد الرحمن الطلياوي .

ومن التسميات الفينيقية والآرامية (الفرزل) بمعني الحديد . و (جدْتا)

بمعنى الجنة . ومثلهـا (غارنيت) بمعناها . و (البيره) بمعنى قصر . و (نيحـا) المستريحة . و (شليفه) بمعنى المرج .

ومن التسميات العبرانية (مِكْسه) بمعنى الرسم المأخوذ على البضائع كأنها كانت (مكساً) اي كمركاً و (رفيد) بمعنى راحة و (المجدل) بمعنى الحصن . و (جَبْعَه) بمعنى التلة . و (ريحا) تخفيف اريحـا بمعنى (القمر) و (عَمّيق) بمعنى وادٍ . وسموا البقاع باسم (رحوب) اي المتسع . و (تمنين) بمعنى القسم .

ومن التسميات العربية (البقاع) جمع بقعة بمعنى الارض المنبسطة و (عرسال) اي عريسة الاسد . و (القاع) بمعنى العمق والوادي . و (المغيثة) من الغوث . و (نحلة) من النحل و (البيرة) بمعنى الحصن و (اللبوة) انثى الاسد تعريب (شتّ) المصرية كما مرّ . و(الداهميـة) نسبة الى الدّاهم وهو ذكر القط . و (قَوْسايا) من (قوس) آله عندالعرب وهو (قزَحَ) و(ايا) صيغة الجمع بالسريانية . ومثلها (ثعلبايا) اي الثعالبة او الثعالبة لقبائل عربية كانت فيها . و (سعدنايل) من (سعد) و (نايل) وهما اسمان لآلهين عربيين . و(تعنايل) كأنها من (تعس) و (نايل) لآلهين . و(بِدْنايل) كأنها من (بيت) و(نايل) و(عَطيِّب) لعلها منسوبة الى بني (عَتِيْب) وهم قبيلة من شيبان و (بقاع كلب) نسبة الى قبيلة بني كلب . و (بقاع العزيز) نسبة الى الاله (عزيز) من اسماء الشمس لا الى الملك العزيز ابن صلاح الدين الايوبي كما توهم بعض المؤرخين .

هذا مثال صغير من تحليل الأعلام المكانية في هذه البقعة وفائدتها كبيرة لانها ملعب العبادات الوثنية لجميع الامم كما تدل على ذلك هياكل بعلبك العظيمة النادرة المثال وما فيها من النقوش والرموز والاصنام الدالة على شيوع العبادات فيها فلذلك كانت تسميات اماكنها ومدنها وقراها معظمهـا من الأساطير (الميثولوجية) التي امتزجت في هذه البقاع الطيبة لكثرة الفاتحين لها والنازلين في ربوعها . فيستدل من تحليل الأعلام انواع العبادات المنفردة والممتزجة واصناف الامم التي تعاقبت على هذه الاكن وتركت فيها من آثارها ابنيةً وتسمياتٍ تزكي شهادات التاريخ الصحيح .

اما باقي مبـاحث (تاريخ سورية المجوّفة) هذا فهو كثير ولا سيما في تراجم

العلماء فان مئات من العلماء والفقهاء والصلاّح والكتاب والشعراء والرحالة والمؤلفين نبغوا في عصور مختلفة الى ان كان عصر الانحطاط الاخير منذ نحو مائة وخمسين سنة فانقطعت به آثار العلماء وانتقل كثير منهم الى مدن سورية ومصر وبقي من اسمائهم البقاعي والبعلبكي والبعلي والكركي والخربتاوي (نسبة الى خربة روحا) والقرعوني والعميقي والعيشاوي او العيثي والمدوخي (نسبة الى مدوخه) والزحلي (نسبة الى زحلة) والمشغري (نسبة الى مشغرة) والطاراني (نسبة الى طاريا) والعرجموسي (نسبة الى عرجموس) والكايشي (نسبة الى كايش وهي عنجر) والكامدي (نسبة الى كامد) وغلط من قال الكاملي . وآبلي (نسبة الى آبل السوق وهي سوق وادي بردى الآن) والزبداني . واليونيني (نسبة الى يونين) والنحلاوي (نسبة الى نحلة) .

ومن الاسر المشهورة في هذه البلاد الامراء الحرفوشيون والمشايخ الحماديون وآل حيمور والدسوقيون والعدو بون .

ومن الذين نشأوا فيها بعض الملوك الايوبيين وآبق بن محمد بن بوري والامام الأوزاعي والمقريزي و بهاء الدين العاملي وغيرهم .

وقد ترجمتهم جميعاً بتفصيل كافٍ ونشرت مقالات عن الامراء الحرافشة في مجلة العمران في صيدا (في المجلدين التاسع والعاشر) . وربما عدت الى انتخاب بعض المباحث من هذا التاريخ الوطني خدمة للعلم والأدب .

عيسى اسكندر المعلوف
من أعضاء المجمع العلمي

تصحيح نهاية الارب

« اغلاط الجزء الخامس »

جاء في صفحة ٦ سطر١٧ — قوله يصف نسوة (فاذا بَسَمْنَ فعن كمثل غمامةٍ) انما يشبه الثغر بحب الغمامة وهو البَرَد لا بالغمامة نفسها . يقال : يفترّ عن حب الغمام او مثل حب الغمام . فلعل صوابه هنا (فاذا بسمن فعن كحب غمامةٍ) . او الصواب (فاذا بسمن فعن كمثل ثغامةٍ) والثغام شجر ابيض الزهر وزهره نفسه يسمى ثغامة ومنه قوله (ورأسك كالثغامة أشيب) .

وفي ص٧ س٥ — (فرأينا الرشيد لَقِس النفس) فسّر المصحح (لَقِس النفس) بالشَرِه الحريص على كل شيء . ولا يصح هذا التفسير لغةً ولا مما يحسن ان يوصف به هرون الرشيد وانما صوابه ان اللَقِس مشتق من لقِست نفسه من الشيء غثت وخبثت . وورد في الحديث الشريف (لا يقولن احدكم خبثت نفسي ولكن ليقل لقِست نفسي) وانما كره (صلى الله عليه وسلم) ذلك هرباً من لفظ الخبث والخبيث ان يوصف بها المؤمن .

وفي ص٩ س١٤ — (المُثَلَّث) الوتر الثالث من أوتار العود ضُبط بتشديد اللام على وزن معظَّم وصوابه التخفيف على وزان (منبر) .

وفي ص١٣ س١ قوله — (فركبت في زَلاَليّ) ضبطت (الزلاليّ) بتشديد الياء وتخفيف اللام وقال المصحح في تفسيرها هي (جمع زِلّية وهي البساط) نعم ولكن (زُلالي) هنا مفرد على وزن غُراب مضاف الى ياء المتكلم . وهو ضرب من سفن دجلة كالحراقة والطيار . والسياق يدل عليه لاسيما قوله (فركبت) فان السفينة هي التي تركب لا البساط . والكلمة مولدة من فعل (زَلّ) اذا زلق وزلج . ولم تذكرها معاجم اللغة لكن ذكرها المستشرق (دوزي) الهولاندي في كتابه النفيس الذي أسماه (الملحق بالمعاجم العربية) وقال ما ترجمته : (وزُلال بمعنى الزورق او السفينة لا يستعمل فيما أظن الا في الزوارق التي كانت تركب في دجلة) واستعمل

(الزلال) ابن جرير الطبري في تاريخه ص ١٣٢٣ في الجزء الثـالث فقال : (فهيئوا الي الزُلال لأركب غدا فمر في دجلة الخ) . وكذا ذكرت الزُلال مراراً في كتاب (الفرج بعد الشدة) .

وفي ص٣٢ س١ — (الحارث بن اشخير) هذا هو صواب اسمه (اشخير) بالشين المعجمة لكن المصحح صحح (اشخير) في فهرست الكتاب هكذا (ابن بُسنُخُنْر) بباء مضمومة فسين مهملة ساكنة فخاء مضمومة فنون ساكنة ولم نجد هذا الضبط في كتب التراجم وانما وجدنا في نسخ الاغاني وفي فهرسته العام المطبوع في ليدن (اشخير) كما في (نهاية الأرب) فياليت المصحح ذكر سنده في تصحيح هذا اللفظ بهذا الوزن الغريب .

وفي ص٣٦ ص١٤ قوله — (يا تاركي متلذّذ اا ـ عُذّال جذلان الفُرات) صوابه (جذلان العُداة) جمع عدوّ و(الجذلان) الفَرِح المسرور كأنه يقول : يامن تركني في حالة من البؤس والضَنَى كان معها عذالي متلذذين . وأعدائي من أجلها فرحين مستبشرين . وإلا فإن (جذلان الفرات) لا معنى له .

وفي ص٤٠ س٦ — (اليك ابن جدعان أعملتها مخفّفة للسُري والنَصَب) قوله : (أعملتها) ضميره راجع لدابته التي يركبها اي أغذذتها في السير اليك . وقوله: (مخففة) معناه جعلتهـا خفيفة . ولعل صوابه (مجففة) بالجيم اي ألبستها التجفاف . والتجفاف آلة يلبسونها الفرس وقايةً له من الغبار والأذى لا سيما حين الحرب .

وفي ص ٤٧ س ١٧ —

(تقول بنتي وقد قرّبت مرتحلاً يارُبَّجنبٍأبىالاوصابوالوَجعا)

كذا (اي بالشكل) ضبط الشطر الثاني فجعل (رُبَّ) حرف جر (جنبٍ) على وزن فَلْس مجرور بربَّ ومعناه خاصرةالانسان (أبى) فعلماض بمعنىامتنع . وصوابه هكذا (ياربِّ جَنّبْ أبي الخ) (رَبِّ) منادى وهو اسمالجلالة مضاف لياء المتكلم المحذوفة (جَنّب) مشدّد النون فعل امر (ابي) أب مضاف لياء المتكلم مفعول اول (الأوصاب) مفعول ثان والمعنى ظاهر .

وفي ص٧٤ س ٥ — (وتنوّقت — اي سلاّمةالزرقاء — ليزيد بنعونتنوّقاً خلاف ماكانت تفعل بنا) فسّر المصحح التنوّق بقوله (تنوّق في ملبسه اذا تجوّد

و بالغ) نعم ولكن التنوّق يكون في غير الملبس ايضاً وسياق القصة لا يدل على تأنقها في الملبس . وانما هي تأنقت له في الشكل والدَلّ والتكسّر والتثني وكل ما يعجبه ويثير هواه وسورته .

وفي ص٧٥ س١٣ قوله — (ولها — اي لعنان الناطفية — مع الشعراء مُعاناة ومراجعات) (المعاناة) بالنون معالجة الشيء ومقاساته ولا معنى له هنا . وانما الصواب (معاياة) بالياء التحتية وهي من قبيل الأحاجي والألغاز يقال : عاياه اذا ألقى عليه كلاماً لا يهتدي الى حل معناه الا بعد طول روية وتفكير . فالمعاياة من مسائل الأدب التي يتساجل بها الأدباء في مجالس أنسهم . ومثل ذلك يقال في الصفحة نفسها س٢١ (تعنّيننا بالشعر الخ) وصوابه (تعيّيننا) بالياء من (عيّاه) بمعنى عاياه . ويؤيد هذا ماسرده المصنف من المطارحات الشعرية العويصة التي كانت تقع بين عنان والشعراء .

وفي ص٨١ س٤ قوله — (فأخبرني شاكر ان المرأة الخ) يقول : انه لما خرج من مجلس الأمير رأى شيئاً رابه فأخبره (شاكرٌ) بما أزال ارتيابه . فالظاهر من كلمة (شاكر) انها اسم علم لشخص بعينه ولو كان كذلك لعرّفه بذكر ابيه او عمله كما هي العادة في ذكر الأشخاص غير المشهورين و (شاكر) كذلك . فلم يبق الا ان الكلمة محرفة وصوابها (شاكريّ) بياء مشددة بعد الراء واحد (الشاكريّة) اي المماليك والخدمة و(شاكري) لفظ فارسي معرب واصله (چاكر) بجيم فارسية ذات ثلاث نقط وكاف مفتوحة بمعنى الخادم والمملوك لكنه عرّب على صيغة النسبة كجاهليّ أحد الجاهلية والشاكريّ احد الشاكريّة . وقد تألفت في زمن (المهتدي) العباسي فرقة من الجنود دعيت بالشاكرية واستفحل أمرها في زمن (المستعين بالله) . ثم في ص٩٦ س٨ ذكر المؤلف كلمة (الشاكريّ) بالياء وفسرها المصحح بما قلنا في تفسيرها .

وفي ص٨٣ س٢٠ قوله — (لقد حثّوا الجمال ليهربوا منا فلم ينلوا) كذا (ينَلوا) بالنون وصوابه (فلم يئلوا) بالهمزة من وأل يئل اي فلم يخلصوا منا ولم ينجوا ونحن نغذّ السير في أثرهم ونستحثّ الركائب للحاق بهم . أما (فلم ينلوا) بالنون فخطأ . ولو فرض صحته معنىً فهو غير صحيح لفظاً وعربية اذ كان الواجب ان يقول (فلم ينالوا) باثبات الألف لعدم داعي الحذف .

وفي ص٨٤ س٧ — (ثم ضاق في وقت فاقترض منها) صوابه (أضاق) بالهمز اي ذهب ماله وافتقر . اما (ضاق) ثلاثياً فضد اتسع ويكون بمعنى بخل .

وفي ص ٨٩ س ١٨ —

(وقالوا لها هـذا بحبك معرضـا فقالت لهم: إعراضه أيسر الخطب)
(فما هي الا نظرة بتبسّم فتنشب رجلاه ويسقط للجنب)

قوله (هذا بحبك معرضاً) بيّن الخطأ . وصوابه (هذا حبيبك معرضـا) وقد نصب (معرضاً) على الحال من (حبيبك) لأنه مفعول به معنىً والعامل فيـه اسم الإشارة . ولهذين البيتين حكاية لطيفة : ذلك ان قينة غنتها في مجلس ضمّ طائفة من الأدباء فطربوا كلهم عدا واحداً من شيوخ النحو فلامه الحاضرون فقالت القينة انه لم يطرب لكوني نصبت (معرضـاً) مع ان شيخي فلاناً هو الذي أجاز نصبها كما نصبت (شيخا) في قراءة من قرأ (هذا بعلي شيخا) عندها طرب الشيخ طربين : لفطانة القينة ولحسن استشهادها وتخريج روايتها . اما البيت الثاني ففيه خطأ ايضاً وهو قوله (فتنشب رجلاه) إذ لا معنى من معاني (نشب) يناسب هنا وصوابه (فتصطك رجلاه) واصطكاكها اضطرابها وارتعاشها بحيث لا تكاد ان تحملان صاحبها .

وفي ص ٩٤ س ١٥ قوله — (حتى اتخذت سلماً من سقب) فسّر المصحح (السقب) بقوله (عامود الخباء) اما (عامود) فصوابه (عمود) . ولكن عمود الخباء لا تتخذ منه السلالم فصوابه اذاً (سلّماً من سبٍّ او من سبيب) وكلاهما بمعنى شقّة الكتّان الرقيقة . يعني ان عريباً المغنية لما أرادت الهرب من بيت مولاها عمدت الى ما لديها من شُقَق الثياب فجدلتها وتدلت بها من شرفة الدار وهربت . وربما كانت (سقب) محرفة عن (شقق) جمع شقة وفسروها بالسبيبة من الثياب المستطيلة . وفي الاغاني (اتخذت سلماً من عقب) ولامعنى له ايضاً وانما صوابه (سبّ) او(شقق) كما قلنا .

وفي ص ١٠٠ س ١٥ —

(فلو أن ما أمسى بجـانب تلعـة الى جبـلي طيٍّ فساقطة الحبل)
(جلوس الى ان يقصر الظلُّ عندها لراحوا وكلُّ القوم منها على وصل)

قوله (ما أمسى) صوابه (من أمسى) اي ان الناس المنتشرين في هذه الأماكن

الثلاثة من بلاد العرب لو ظلوا جلوساً عنـد تلك المرأة من الصباح الى ان يقوم قائم الظهيرة لما تفرقوا الا على وعدٍ من وصالها · يهجوها بذلك · وقوله (ساقطة الحبل) صوابه (ساقطة النعل) : ففي نسختي المخطوطة من كتـاب (مراصد الاطلاع) أن (الساقطة) موضع يقال له (ساقطة النعل) ومثل ذلك في نسخة المراصد المطبوعة في اوربا وكذلك هي في (معجم البلدان) لياقوت ·

وفي ص ١٠٤ س ١١ — احكِ لنا القصة على وجهها (ولا تخطرف فتحوجنا الى كشفك) قوله (ولا تخطرف) كذا بالفاء والتخطرف الاسراع · ولا معنى له هنا وصوابه (ولا تخطرب) بالباء والتخطرب والخطربة ان يتقوّل انسان على آخر : اي ينسب اليه ما لم يقع · و (الخُطرب) و (الخُطارب) هو الذي يفتري على الناس ويتقوّل عليهم مختلف الأقاويل ·

وفي ص ١١٧ س ٨ — (وقد لاثت من الكُـ ـور على مفرقهـا تاجاً) ضبط (الكُور) بضم أوله ومعناه رحل الناقة او أداته وأتُون الحداد · اما (الكور) بالفتح فدور العمامة على الرأس ولا شيءَ مما ذكر يناسب هنـا و (المفرق) أعلى الجبين حيث يفترق شعر الناصية وحيث تقع العصابة والإكليل والتاج فصواب (الكور) إذاً (النُور) ومعنى (لاثت) أدارت وأصل اللوث إدارة العمامة على الرأس فالمعنى ان تلك الحسناء كان النور يكلّل مفرقها و يزينه كما يزين التاج الجبين ·

وفي ص١١٧ س١٥ (غيداء تأمر عودها فيطيعها أبداً و يتبعها اتباع ورود) الورود بالضم مصدر ورد الماء ولا معنى له هنا فصوابه (ودود) اي ان تلك العوّادة يتبعها عودها اتباع الودود المحب الذي لا يخالف محبوبه ·

وفي ص١٢١ س١ قوله — (تلوّن من خدها جلناري) صوابه (الجلّناري) بالتعريف لتطابق الصفة الموصوف ·

وفي ص ١٢٤ س ١٤ (قد طلب الناسُ ما بلغتَ فما نالوا ولا قاربوا ولا جهدوا) قوله (ولا جهدوا) بالنفي غير مناسب لما قبله ولا هو متّسق معه فالصواب (ولو جهدوا) اي انهم لا ينـالون ما بلغت من الخلافة ولو أجهدوا نفوسهم وأنصبوها و بالغوا في الطلب · وفعل (جَهَد) من باب قطع لا من باب علم فليصحح ايضاً ·

وفي ص١٢٥ س٦ (فسيح امتداد الظل بين رجائه وبين المعالي آهل الربع عامر) يصف كنف الوزير الذي يمدحه . لكن لا معنى لكلمة (رجائه) هنا وصوابها (رحابه) وهي جمع (رحبة) اي ان ذلك الكنف قد امتد الظل بين ساحاته وبين المعالي فكان آهلاً بالوافدين عامراً بالمؤملين وهذا أحسن من ان نقول (الرجاء) أصلها (الرجا) مقصور ومعناه الجانب والناحية لكن الشاعر أتى به ممدوداً لضرورة الشعر .

وفي ص ١٢٥ س ١١

(كلما رمتُ انْ أهنيك وقتاً بمحل من العلى ترتقيه)
(صبْتُ مقدارك الذي أعجز الوا صف أعلى من الذي انت فيه)

معنى البيتين ظاهر غير ان كلمة (صبتُ) نابية عن محلها ولا شيء من معاني (صاب) يناسب هنا . فالكلمة قد تكون محرفة عن نحو (شمت) بمعنى رأيت ونظرت . والمعنى كلما أردت تهنئتك بمنصب جديد رأيت قدرك فوقه . والأصل في استعمال فعل (شام) للبرق اذا نظر اليه أين يقصد وأين يمطر . ثم استعملوه في كل ما نظر اليه نظرة تأمل وتفرّس .

المغربي

كلمة في (ولاسيما)

« اول من قالها »

تضطرني غلبة الظن ، الى القول بان اول من أتى بهذه الكلمة في نظامه ، هو امرؤ القيس الكندي بدليل قول ثعلب : من استعمله على خلاف ما جاء في قوله : ولا سيما يوم ، فهو مخطئ ، اذ لو علم ثعلب وغيره من أئمة اللغة ورود هذه الكلمة في نظام شاعر جاهلي قبل امرئ القيس ، لجعلوا كلمته هي الإمام و لمقتدى به دون كلمة امرئ القيس المتأخرة عنه ، و بهذا يعلم ان كل شاعر جاهلي اتى بهذه الكلمة في شعره فهو متأخر عن امرئ القيس فان كان اتى بها طبق ما وردت في كلامه فعلماء اللغة مجمعون على تصويبه والا اختلفت فيه كلمتهم فمن قائل انه مخطئ لمخالفته من نطق بها اول مرة ومن قائل انه مصيب لانه اهل لأن يقتدى به اذ كان عربياً جاهلياً لا ينكر عليه كما لا ينكر على امرئ القيس ، وسيأتي بيان ذلك مفصلاً .

« ندرة ورود هذه الكلمة في النثر والنظم »

لا ذكر لهذه الكلمة في القرآن العظيم ولا في الأحاديث النبوية التي وعتها الكتب الستة ، ويندر ذكرها في مؤلفات أساطين الأدب بل قد يخلو عن ذكرها الكتاب الضخم منها ، وقد ترد في بعضها المرة او المرتين كما وردت مرة واحدة في كل من كتاب التاج للجاحظ وكتاب رسائل المعري ، وردت في كل منهما مجردة عن الواو « لا سيما » كما انها لا ذكر لها البتة في كل من ديوان جرير والفرزدق والأخطل ولا في الشعر الوارد في كتاب الكامل للمبرد ولا في ديواني ابي الطيب والطائي ولا في كتاب الحماسة له ولا في ديوان البحتري ولا في كتاب الحماسة له .

« الحامل لي على وضع هذه المقالة »

هذه الكلمة على ندرة دورانها في النظم والنثر كما قلنا ، قد يضطر الناثر والناظم الى الإتيان بها حينما يحاول نقل اولوية في معنى من المعاني من مفهوم كلمة الى مفهوم كلمة أخرى ، فيقع في الحيرة بين ان يكتبها كما وردت في شعر امرئ القيس و بين ان يجردها من الواو فقط او منه ومن لا معاً وبين ان يشدد ياءها او يخففها اذا أراد

استعمالها في شعر من بحر تعين أوزانه احدى الجهتين كما ان صغار الطلبة قد يسألون الأستاذ عن مفردات هذه الكلمة وعن إعرابها وعن بقية الوجوه المتعلقة بها ، فيعسر عليه ان يبادههم بالجواب ، ولهذا رأيت ان آتي في هذه المقالة على ذكر ما يتعلق بهذه الكلمة من تصريفها وبيان أصلها وإعرابها مع مابعدها واستعمالها في عدة معانٍ — تهويناً لمن أراد الوقوف على ذلك .

وقد سلكت في هذه المقالة مسلك الاختصار فاكتفيت بخلاصة محضت صريحها من شوب ما قررته فيها عدة كتب ورسائل في فن النحو أسهب أصحابها الكلام على هذه الكلمة فألفوه من الغث والسمين والراجح والمرجوح ومشوا فيه مشية التائه المذعور في مهمهٍ قُذُفٍ يصل المرحلة بالاخرى دون اناة ولا استراحة حتى يكل ويعيا ولا يهتدي الى سواء السبيل فأقول :

« لا سيما ليست من أدوات الاستثناء »

ليست لا سيما من أدوات الاستثناء ولا يجوز بها الاستثناء لانه اخراج ما بعد الا من الحكم الذي قبلها ، وما بعد لا سيما ليس مخرجاً من الحكم قبلها بل هو منبه على كونه اولى به مما قبلها وذلك ينافي الاستثناء ، لكن لما كان مابعد لاسيما مخالفاً بسبب الأولوية لما قبلها أشبهت ادوات الاستثناء في مخالفة مابعدها لما قبلها فذكرها النحويون في باب الاستثناء .

« تصريف سي »

سي من لا سيما واوي العين بدليل أمثلة الاشتقاق من نحو استويا وتساويا وهو مستوٍ ومتساوٍ وعلى هذا يكون اصله «سِوْيٌ» كمِثْلٍ وزناً ومعنىً وتوغلاً في الابهام دخله ما دخل سيد اي ان الواو لما اجتمعت ساكنة مع الياء وسبقت قلبت ياءً وأُدغمت في الياء بعدها فصارت سي كما ان اصل سيد سيْوِد بوزن فيْعِل كما هو مذهب المحققين من اهل البصرة فقلبت الواو ياءً وأُدغمت في الياء المتلوة ، وانما فعل به ذلك لانه متى اجتمعت الواو مع الياء في كلمة واحدة والسابق منهما ساكن متأصل ذاتاً وسكوناً وجب قلب الواو ياءً سواء تقدمت الواو كطيٍ وليٍ مصدر طويت ولويت اصله طَوْيٌ ولَوْيٌ بفتح وسكون ، قلبت الواو ياءً فيهما وأُدغمت فيما بعدها

ومنه سي ، وسواء تأخرت الواو كسيد وميت ، وانما قلبت الواو ياءً ولم يعكس لان الواو أثقل من الياء فطلب التخفيف ما امكن ٠

« تثنية سي »

يثنى سي فيقال فيه سيان ولا يحتاج حينئذٍ الى الإضافة كما لا يحتاج اليها (مثل) اذا ثني كما في قول كعب بن مالك :

من يفعل الحسنات الله يشكره والشر بالشر عند الله مثلان

واستغنوا بتثنية سي عن تثنية سواء فلم يقولوا سواآن الا شذوذاً في قوله :

فيا رب ان لم تقسم الحب بيننا سوائين فاجعلني على حبها جلدا

« حذف واو (ولا سيما) »

قد تحذف واو (ولا سيما) فيقال لا سيما كما قال :

فهْ بالعقود و بالايمان لا سيما عقد وفاء به من اعظم القرب

« حذف لا من (لا سيما) »

حكى الرضي انه يقال سيما مشدوداً او مخففاً مع حذف لا ، قال الدماميني لم اقف عليه من غير جهته بل في كلام المرادي ان سيما بحذف لا لم يوجد الا في كلام من لا يحتج بكلامه اه ٠ وعلل في المصباح وغيره من كتب اللغة عدم جواز حذف لا من سيما بان لا وسيما تركبا وصارا كالكلمة الواحدة وانها تساق لترجيح ما بعدها على ما قبلها فتكون كالمخرج عن مساواته الى التفضيل فقولهم تستحب الصدقة في شهر رمضان لا سيما في العشر الاواخر معناه واستحبابها في العشر الاواخر آكد وأفضل فهو يفضل على ما قبله ٠ ثم قال فلو قيل بغير نفي اقتضى التسوية وبقي المعنى على التشبيه فيبقى التقدير تستحب الصدقة في شهر رمضان مثل استحبابها في العشر الاواخر انتهى ٠ على ان حذف لا من لا سيما يجعل إعرابها مشكلاً كما يظهر لك من إعراب المثال الذي سنورده ٠

« حذف احدى اليائين من لا سيما »

قد تخفف لا سيما بحذف احدى ياءيها وهل المحذوف الاولى ام الثانية ؟ اختار ابن جني الثاني وحركة الياء الاولى بحركة اللام وهي الياء المحذوفة واختار ابو حيان الاول ٠

مثال تخفيف ياء لا سيما قوله : (فه بالعقود و بالايمان لا سيما الخ) ٠

« حذف ما من لا سيما »

ما من لا سيما غير لازمة عند سيبويه فيجوز حذفها وحينئذ لا يجوز حذف الاسم الذي بعدها ولا يجوز غير جره فلا يقال لا سي راكباً مثلاً ولا سي زيد بالرفع او النصب بل يتعين الجر لئلا يلزم قطع سي عن الإضافة من غير عوض ولا تثنيــة مع انها لا تقطع عن الإضافة عند خلوها عما ذكر ٠

« إعراب قام القوم ولا سيما زيد »

قام القوم فعل وفاعل والواو في ولا سيما اعتراضية بناءً على ان الاعتراض يقع آخر الكلام كالواو في قوله :

فانت طلاق والطلاق البتة ثلاث ومن يخرق أعق وأظلم

و يروى والطلاق عزيمة ، فقوله والطلاق الخ جملة مستقلة فكذلك لا سيما في تقدير جملة مستقلة ٠ بعد الواو الاعتراضية ٠

و يجوز ان تكون هذه الواو استئنافية ، اما لا فهي مبرئة اي نافية للجنس تعمل عمل ان وسي اسمها ٠

« الكلام على جر زيد »

ثم يحتمل ان يكون زيد مجروراً مضافاً اليه وما زائدة لانها تزاد بين الجار والمجرور مع بقاء الجر سواء كان الجار حرفاً نحو فبما رحمة ، عما قليل ، مما خطيئاتهم ، وقول عدي بن الرعلاء :

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء
انما الميت من يعيش كئيباً كاسفاً باله قليل الرجاء
ربما ضربة بسيف صقيل بين بصرى وطعنة نجلاء

الشاهد في قوله : ربما ضربة ، وكقول عمرو بن براقة الهمداني :

اذا جر مولانا علينا جريرة صبرنا لها ان الكرام دعائم
وننصر مولانا ونعلم انه كما الناس مجروم عليه وجارم

الشاهد في قوله « كما الناس » :

وسواء كان الجار اسمًا كقوله تعالى « أيما الأجلين قضيت » وقوله :

نام الخليُّ فما أحس رقادي والهم محتضر لدي وسادي
من غير ما سقم ولكن شفني هم أراه قد أصاب فؤادي

الشاهد في قوله « من غير ما سقم » :

وقوله : ولا سيما يوم بدارة جلجل ، على رواية جر يومٍ كما يأتي بيانه ٠

« زيادة ما في هذا المثال »

على ان زيادة ما في هذا المثال ونحوه لازمة وبعض النحاة يجيز حذفها فيقال على هذا قام القوم لاسيَّ زيد ، ولا يرد على هذا ان (سيا) تكون حينئذٍ معرفة لإضافتها الى العلم وهو زيد فلا تصلح ان تكون اسمًا للا التبرئة التي يشترط ان يكون اسمها نكرة ، لا يرد ذلك لأن سي كمثل عريقة في الابهام لا تزيل الإضافة إبهامها فصح ان تعمل فيها لا التبرئة ، وحركتها على هذا الوجه اعراب لانها مضافة ٠

ويحتمل ان تكون ما نكرة تامة مضافاً اليه وما بعدها مجرور بدل منها او عطف بيان ، هذا على جر زيد ويكون التقدير « ولا مثل شيءٍ زيد » على كل حال فان جر زيد هو الأرجح من رفعه ونصبه ٠

« الكلام على رفع زيد »

واما اذا رفعنا زيداً فيحتمل ان تكون ما نكرة موصوفة او اسماً موصولاً وما بعدها خبر لمبتدإ محذوف وجوباً والجملة صفة او صلة والتقدير على أنها نكرة موصوفة « ولا مثل شيءٍ هو زيد موجود » وعلى انها اسماً موصولاً « ولا مثل الذي هو زيد موجود » وحركة سي على هذه الأوجه اعرابية لانها مضافة ، ويضعف الرفع اطلاق ما على العاقل اذ الاصل فيها ان نطلق على غيره او عليه مع غيره نحو (سبح لله ما في السموات وما في الأرض) وقد يجاب عنه بان ما قد تكون للمبهم امره من الأشخاص كقولك وقد رأيت شبحًا من بعيد ، انظر الى ما ظهر ، فليكن ما نحن فيه من هذا القبيل و بينه ما بعده ٠

« الكلام على نصب زيد »

واما نصب زيد بعد لا سيا فانه يكون مفعولاً لفعل محذوف تقديره أعني وما

نكرة تامة وخبر لا محذوف والتقدير « ولا مثل شيءٍ أعني به زيداً موجود » ويجوز ان يكون زيد منصوباً على التمييز لما وسي مضافة اليها وذلك على مذهب من يجوز تعريف التمييز ، كطبت النفس ، اما اذا كان ما بعد لا سيما نكرة فان نصبه على التمييز غير ممنوع اجماعاً كما يروى « ولا سيما يوماً » فان وقوع الاسم النكرة الواقع بعد لا سيما تمييزاً نظير الاسم النكرة الواقع تمييزاً بعد مثل كما في قوله تعالى « ولو جئنا بمثله مددا » والأولى ان تكون ما هنا نكرة تامة بمعنى شيءٍ مفسرة بالتمييز فتكون فتحة سي اعرابية . هذا ما اخترنا تلخيصه في اعراب المثال المذكور .

وقد أتحفني صديقي الفاضل الأستاذ الشيخ محمد الطيب أستاذ الفلسفة والتاريخ في المكتب السلطاني في حلب — برسالة من تأليف جده العلامة الشيخ محمد المشيش الحسني الشهير بالتواتي نظم فيها اعراب هذه الكلمة بابيات من الرجز ثم شرحها شرحاً لطيفاً فرأيت ان أذكرها هنا وأقتصر على حلها تتميماً للفائدة : « الأبيات »

وما يلي لا سيما إن نكرا ... فاجرر او ارفع ثم نصبه اذكرا
في الجرماز يدت وفي الرفع ألِف ... وصِلْ لها اوقل تنكّراً او صِف
وعند رفع مبتدا قدِّرْ وفي ... رفع وجرٍ اعربن سيَّ نُفي
وانصب مميزاً وقل لا سيما ... يوم باحوالٍ ثلاث علما
والنصب ان يعرَّف اسم فامنعا ... وبعد سي جملة فأوقعا
اجاز ذا الرضى ولا تحذف لا ... من سيما وسيَّ خفف نفضلا
وامنع على الصحيح الاستثنا بها ... ثم الصلاة للنبي ذي البها

يقول الاستاذ رحمه الله ، اذا كان ما يلي لا سيما نكرة جاز جره ورفعه ونصبه والجر أرجح وتكون ما زائدة[1] وجاز الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وما موصولة او نكرة موصوفة وعلى الوجهين تكون فتحة سي فتحة اعراب لانها مضافة وجاز النصب على التمييز على شرط ان يكون المميز نكرة ،[2] وقد روى قول الشاعر « ولا سيما

(١) قدمنا الكلام عليها من جهة لزومها اوجواز حذفها (٢) قد قدمنا الكلام عليها في الكلام على نصب زيد .

يوم بدارة جلجل » بالاوجه الثلاثة ، وأجاز[1] الرضي وقوع جملة مقرونة بالواو بعد لا سيما خلافاً لغيره ، ولايجوز حذف لا من لا سيما ويجوز تخفيف سي ولا يجوز الاستثناء بلاسيما اه حل الأرجوزة المذكورة ·

« مذهب الفارسي في لا سيما »

قال ابوعلي الفارسي في الهيتيات وهي مسائل ، أملاها في هيت بلدة على الفرات — اذا قيل قاموا لاسيما زيد فلا مهملة نافية وسي حال اي قاموا غير مساوين لزيد في القيام بل هو يفوقهم (ويجري في اعراب ما ومابعدها فقدمناه في اعراب قام القوم ولا سيما زيد) · واعترض كلامه من وجهين (الاول) ان لاسيما قد تقترن بالواو فلوكانت حالاً لم يصح ذلك لان الحال المفردة لا تقترن بالواو فلا يقال مثلاً جاء زيد وضاحكاً ، وأُجيب بانه لم يقل ذلك في جميع ما لسيما من الأحوال بل لم يقل ذلك الاحيث تجردت من الواو (الثاني) ان لا اذا دخلت على خبر او نعت اوحال مفردات اي غير جملة فعلية مضارعية وجب تكرارها مثال الخبر المفرد (لا فيها غول ولاهم عنها ينزفون) ومثال النعت المفرد (يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية) ومثال الحال المفرد (جاء زيد لا خائفاً ولا أسفا) واما قوله :

وانت امرؤ منا خلقت لغيرنا حياتك لا نفع وموتك فاجع

حيث دخلت على الخبر المفرد وهي نفع ولم تكرر وقوله :

قهرت العدى لا مستعيناً بعصبة ولكن بانواع الخدائع والمكر

حيث دخلت على الحال المفرد ولم تكرر فضرورة ·

وأجاب الدماميني بانه يكتفي بالتكرار المعنوي وهو موجود هنا اذ المعنى في قولك : « قام القوم ولاسيما زيد » قاموا لامثل زيد ولااولى منه بل هو اولى منهم ، ونظيره قول صاحب الكشاف في توجيه (فلا اقتحم العقبة) مع وجوب تكرارها ايضاً اذا دخلت على فعل ماض لفظاً ومعنىً انه في تأويل (فلا فك رقبة ولا أطعم مسكيناً) وانما لم تكرر في قولهم لاشلت يداك ، وقولهم لافض الله فاك ، وقوله ولازال منهلاً بجرعائك القطر ،

(١) سيأتي الكلام على ذلك ·

وقوله لا بارك الله بالغواني مع ان الفعل ماض ٍ لان المراد منه الدعاء فهو مستقبل في المعنى ، ومثله في عدم التكرار قوله : والله لا فعلت كذا ، وقوله :

حسب المحبين في الدنيا عذابهم تالله لا عذبتهم بعـدها سقر

فلم تكرر في جميع هذه الأمثلة لان المراد منها الدعاء وعدم قصد المضي ، وشذ عدم تكرارها في غير ذلك كقوله :

لا هم ان الحارث بن جبله نزى على أبيـه ثم قتـله
وكان في جاراته لاعهد له واي امر سيء لا فعله

« استعمال لا سيما بمعنى خصوصاً »

لا سيما او ولا سيما [1] تستعمل بمعنى خصوصاً فيحذف ما بعدها ويؤتى في محله بحال مفردة نحو أحب زيداً ولاسيما راكباً او بظرف نحو أحب زيداً ولاسيما على الفرس او بجملة نحو أحب زيداً وهو راكب او بجملة شرطية نحو أحب زيداً ولاسيما ان ركب ، فلاسيما برمتها في جميع هذه الأمثلة في محل نصب مفعول مطلق لفعل محذوف والتقدير أخص زيداً بمحبتي خصوصاً راكباً اوعلى الفرس اوهوراكب او ان ركب ، وكل من راكباً وعلى الفرس وهو راكب وان ركب حال من مفعول ذلك الفعل المقـدر وهوأخص وجواب الشرط في المثال الأخير محذوف مدلول عليه بذلك الفعل المقدر ، اي ان ركب أخصه بزيادة محبتي ، وسي في جميع هذه الأمثلة تبقى اسماً للا التبرئة ليس لها خبر كقولهم الا ماء بمعنى أتمنى ماء وتكون ما كافة اي مانعـة سيّ عن العمل فيما بعدها وفتحتها فتحة بناء لأنها اسم للا التبرئة .

« استعمال لاسيما او ولاسيما بمعنى اختصاصاً »

وتستعمل لاسيما او ولاسيما بمعنى المصدر اللازم اي اختصاصاً فيكون معنى أحب زيداً لاسيما راكباً — يختص زيد بزيادة محبتي اختصاصاً في حالة ركوبه ، فقول المصنفين ولاسيما والامر كذا تركيب عربي لك ان تجعل فيه لاسيما بمعنى خصوصاً او بمعنى اختصاصاً ، وهو نظير قولك أحب دمشق الشام ولاسيما واهلها أباة الضيم وحماة

---

(١) الواو هنا اعتراضية .

الوطن المحبوب ، والتقدير على المعنى الاول ، أخص دمشق الشام بحبي خصوصاً واهلها أباة الضيم وحماة الوطن المحبوب ، وعلى المعنى الثاني تختص دمشق الشام بزيادة محبتي اختصاصاً حالة كون اهلها أباة الضيم وحماة الوطن المحبوب .

حلب : كامل الغزي
عضو المجمع العلمي

عثرات الاقلام

« ٢٨ »

ومنها قول بعض الكتاب (كانت حياته خالية سخيفة قحطاء) يريد من (القحطاء) القحط وهو الجدب والمحل لكن الصفة المؤنثة منه لم تجيء على (قحطاء) كما جاءت من الجدب على (جدباء) وانما يقال في تأنيثه مقحوطة او قحيطة .

ومنها قولهم (وكان الريح خابتاً) صوابه كانت الريح لان الريح مؤنثة وقوله (خابتاً) صوابه ساكناً اوهادئاً اوراكداً . اما (الخبت) فهو الارض المطمئنة وأخبت نزل بها او سار فيها . وخَبَتَ ذكره خفي . وأخبت خضع وخشع .

ومنها قولهم (وقد طاف جسده على وجه الماء) يريدون ظهر على سطح الماء بعد ان كان راسباً في قعره وصوابه (طفا) والطفوّ هو الانتقال من أسفل المائع الى سطحه اوالبقاء على سطحه من دون ان يغرق . اما (الطواف) فهو الانتقال من جانب الى آخر على سطح الماء اوعلى سطح الارض . وسمي (الرَّمَث) طوفاً لانه ينتقل على سطح الماء من مكان الى آخر لا لأنه يطفو على سطحه .

ومنها قولهم (يجثون على كراسيهم المنخرة) صوابه كراسيهم النخرة ولم يرد في كلامهم (النخر) .

ومنها قولهم (ملصوق على الغلاف ثلاثة طوابع ومتلوف من شجر المشمش مقادير كبيرة) وصوابه (ملصق) مكان ملصوق و (متلف) مكان متلوف لأن فعليهما (ألصق) و (أتلف) الرباعيان ولا يقال (لصق) ولا (تلف) من الثلاثي .

ومنها قولهم (الاركان على النفس علامة النجاح) صوابه (الركون) مصدر ركن الثلاثي ولم يرد (أركن) رباعياً وقد ذكر صاحب محيط المحيط (أركن) في معجمه وتبعه على ذلك صاحبا أقرب الموارد والمنجد . وقد راجعنا التاج واللسان والصحاح والأساس وغيرها من أمهات كتب اللغة فلم نجدهم ذكروا (أركن) . ثم ان فعل ركن يتعدى بحرف الجر (الى) لا (على) فيقال (الركون الى النفس) لا (على النفس) .

ومنها قولهم وهو كثير شايع في كلامهم (هذا الامر من الحراجة بمكان) صوابه (من الحَرَج) وهو مصدر حرج يحرج حَرَجاً بمعنى ضاق جداً ولم يسمع في مصدر حرج (حراجة)

ومنها قولهم (مكثنا مع الاخوان فويق ناقة) (فويق) تصغير (فوق) ضد تحت ولا معنى له هنا . والصواب ان يقال (فواق ناقة) بألف بعد الواو . وهو مثل يراد به القلة في الزمن واصل (الفواق) المقدار من الزمن الذي يكون بين الحلبتين : وذلك ان الناقة تحلب حتى لا يبقى في ضرعها لبن ثم تُترك سويعة من زمان ليرضعها ابنها فتعود الدرة اليها واذذاك يباشر الحالب حلبها ثانية فهذا الزمن القصير بين الحلبتين يسمى (فواقا) وقد أصبح في كلام بلغاء العرب مثلاً لقصر الوقت لكن اذا أريد تصغير (فواق) قيل (فويق) بتشديد الياء . ولا يقال ان الكاتب انما أراد (فويق) بالتشديد لانه مَثَل والأمثال لا تغير قالوا (فواق ناقة) فنقوله من دون تغيير .

اخبار وافكار

كلية الآداب (١)

صاحب المعالي وزير معارف دولة سورية المحترم

أرفع لمعاليك اليوم لائحة قانونية بانشاء كلية للآداب في دمشق ، تجعل فرعاً من فروع الجامعة السورية ، مشفوعة بالأسباب الداعية لتأسيسها ، وبجريدة الدروس التي تشتد حاجة الامة الى معالجتها ، وذلك بعد ان نظرت في برامج سبع عشرة كلية للآداب في فرنسا ومنها جامعة الجزائر ، ثم درست مناهج الدروس في جامعات جنيف ولوزان وبروكسل والاستانة والقاهرة . ورجائي ان يعير سيدي الوزير هذا المشروع العلمي نظره السامي ، ويحله المحل الجدير به من العناية ، حتى يخرج من القوة الى الفعل في ايام وزارته على ما يحب هو ويحب عشاق الآداب ، فيكون هذا العمل العظيم أجمل حسنة تضاف الى مالك أيدك الله من الحسنات الكثيرة على العلم ، ورأيك العالي الموفق سيدي .

في ٧ حزيران سنة ١٩٢٦

* * *

الاسباب الداعية
لتأسيس كلية الآداب

تشتد الحاجة لانشاء كلية للآداب تخرج فيها طبقة مختارة ، تحسن الكتابة والخطابة بلغتها وتسير في التأليف والترجمة وتعاطي الامور العلمية وإدارة الأعمال على النظام الغربي بحيث ينشأ من طلاب هذه الكلية كفاة مستعدون لتولي مناصب التعليم والإدارة في المدارس الوسطى والعليا ودواوين الحكومة والمسالك الحرة المختلفة كالصحافة والتمثيل .

ولما كانت فرنسا قد فسحت في برامجها الجديدة مكاناً لدراسة العربية في بعض

(١) تقرير رئيس المجمع العلمي السيد محمد كرد علي قدمه الى وزارة المعارف في دولة سورية .

المدارس الثانوية عدا مدارسها الجامعة ، وكانت لفرنسا قديمًا وحديثًا علاقة علمية وتجارية وسياسية مع الشعب السوري ، كان من أهم واجبات معهد الآداب بذل العناية بتعليم بدائع اللغة الافرنسية وشرح أقوال نوابغ شعرائها وكتابها وحكمائها ، ودرس ما أثرته فرنسا في المدنية الحديثة ، ليتمكن الطالب من اللغة الفرنسية تمكنه من آداب لغته . ويحول دون تطبيق هذا الشرط الآن ضعف بعض حملة الشهادات الثانوية وغيرهم في اللغة الفرنسية ولذا تقضي المصلحة بان يتساهل بعض التساهل مدة ثلاث سنين فقط في قبول الطلبة ، ريثما يتخرج في المدارس الاميرية والوطنية طبقة مستعدة لفهم آداب هذه اللغة . ولا يقبل بعد ذلك الا من يحسنون الفرنسية إحسانهم للغة العربية وتصبح يومئذ آداب اللغة الفرنسية من الدروس الاجبارية على كل طالب .

ان ضعف كثير من كتاب الدواوين ومعلمي مدارس الحكومة في أسلوب الانشاء والالقاء والتفكر قد أضر بمصلحة البلاد واضطرها الى التساهل أحياناً في نصب موظفيها ومعلميها ، والى الاستكثار من عددهم في حين قد يغني اثنان من المتعلمين التعليم المتقن عن ستة من الضعاف في اللغة والمعارف العامة وغيرها . وكان الأصل في فوضى الصحافة وسقوط فن التمثيل في بر الشام قلة المتخرجين على الاصول في مدارس نظامية ، حتى جاء من بعض الصحافيين والممثلين من هم أجدر ان يعدّوا في زمرة العوام فكراً وبياناً ، ونشأت اضرار من كتاباتهم وإلقاآتهم على الأخلاق والإجتماع يخشى مغبتها كل من درس هذه المسائل درساً مجرداً عن الغاية .

ولا يسد هذه الثلم في جسم الامة السورية الا كلية الآداب التي يرجى ان تكون مباءة للعلم العالي ، يقصدها الطلاب من أقطار العراق والجزيرة وفلسطين ومصر وغيرها ، على ما نرى الآن كثيراً من الطلبة يتعلمون في معهدي الطب والحقوق وهم من غير أبناء الشام ، يأتون للدراسة في عاصمة كانت اول العواصم التي انبعثت منها المدنية العربية ونشرتها في الآفاق ، واول المدن التي ألفت وترجمت في الاسلام . ان ضعف اللغة العربية يحول دون نقل علوم الغرب ولاسيما الآداب الفرنسية الى لغتنا فتحرم الأمة فائدة جلى . ونقل الآداب الفرنسية الى العربية من شأنه ان يؤثر في روح الأدب العربي تأثيراً حسنًا كما هو المشاهد اليوم في مطبوعات مصر والشام . وجهل

قسم كبير من أبناء البلاد اللغة الفرنسية يمنعهم ان يقفوا على آداب هذه اللغة الا بلغتهم العربية . فترقية اللغة العربية الذي لا يتم الا بكلية الآداب هذه ضروري للامتين العربية والفرنسية ، لأن الشبان من العرب الذين درسوا في مدارس الترك ولم يتضلعوا من لغتهم العربية لم يستطيعوا الا قليلاً جداً ان ينقلوا شيئاً من اللغة التي درسوها الى لغتهم ، فظلت شقة الخلاف بعيدة بجهل الشعب العربي ، وسواده الاعظم لا يعرف الا لغته ، بين الامة العربية والامة التركية .

ان الخسارة التي خسرها الشعب العربي من هذا الأمر محدودة ، لأن الترك كانوا حديثي العهد بالعلوم والفنون ، ولم تكن مؤلفاتهم الا نقلاً وتعريباً الى اليوم ، فاذا كان الواقف على اللغة الفرنسية ضعيفاً في لغته العربية لا يستطيع ان ينقل لأمته حسنات الحضارة الغربية ، لا جرم ان الخسارة بذلك تكون أعظم لأنه يحرم أمته ثمار عقول ناضجة وحضارة راقية .

لهذه الأسباب أرى ان انشاء فرع للآداب مفيد من جميع الوجوه مادياً ومعنوياً وان فيه توثيق لعرى الصداقة بين العرب والفرنسيس ، تلك الصداقة التي بنى أسسها هارون الرشيد خليفة العرب وشارلمان امبراطور فرنسا .

لائحة قانون كلية الآداب

١ — يؤسس في دمشق في اليوم الاول من شهر تشرين الاول سنة ١٩٢٦ معهد للآداب يكون فرعاً من فروع الجامعة السورية العربية .

٢ — يقبل في هذه المدرسة من أحرزوا شهادة المدارس التجهيزية ، او من يؤدون امتحاناً في الدروس الثانوية أمام لجنة فاحصة مؤلفة من أساتذة الكلية .

٣ — مدة الدراسة ثلاث سنين ولا يقبل طالب تكون سنه اقل من ثماني عشرة .

٤ — لهذا المعهد غرضان « الأول إعداد أساتذة ومديرين للمدارس الثانوية والعليا في سورية ، ورؤساء في الدواوين والإدارات المختلفة ، وتهيئة السبل للشبان حتى يمتازوا في الدروس الحرة ويلفنوا علماً عالياً ويتعلموا التأليف والترجمة والاشتغال بفنون الفكر البشري على الاصول الغربية الحديثة ، وبذلك تتألف طبقة

ممتازة من المنورين يعرفون آداب لغتهم ، وتاريخ بلادهم وأمتهم ، و يدركون علاقتها مع أمم المدنية الحاضرة ويتعلمون آداب اللغة الفرنسية وماأثرته في آداب الامم الاخرى .

تقسم دروس معهد الآداب الى إجبارية واختيارية :

٥ — فالإجبارية تؤلف من عشر مواد : (ا) آداب العربية ويدخل فيها اللغة والشعر والخطابة والأمثال والنسب ومجالس الأدب والأخبار . (ب) تاريخ الآداب العمومية و يتناول الكلام عن شعراء العرب وخطبائهم وأدبائهم وعلمائهم ونشأة العلوم العربية وأقسامها . (ت) تاريخ القطر الشامي ومدنيته . (ث) جغرافية بلاد الشام . (ج) تقويم بلاد العرب والعراق وفلسطين ومصر و برقة وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش والاندلس وصقلية وساردنيا . (ح) تاريخ الدول الاسلامية مشفوعاً بتعليل أسباب الترقي والتدلي . (خ) التاريخ العام ولاسيما تاريخ دول المدنية الحديثة . (د) تاريخ الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية في اوربا واميركا . (ذ) تاريخ الصنائع والفنون .

والاختياري ست دروس يفرض على الطالب تعلم اثنين منها وهي : (ا) تاريخ الآداب الفرنسية واللغة الفرنسية و يلقى بالفرنسية وهذا الفرع يكون إجبارياً بعد ثلاث سنين لكل طالب . (ب) تاريخ الآداب الفارسية والتركية و يلقى بالعربية . (ت) علم النفس مطبقاً على علم التربية والتعليم . (ث) الفلسفة الاسلامية والفلسفة الغربية . (ج) علم الآثار القديمة في الشام . (ح) علاقة اللغة العربية باللغات السامية .

٦ — حامل شهادة معهد الآداب يفضل على غيره لتولي مناصب التدريس والادارة في المدارس الوسطى والعليا في حكومات سورية ودواوينها وادارتها المختلفة ، ويحق لخريجيها كخريجي المدارس العليا اخذ امتيازات الصحف وتولي رئاسة تحريرها في سورية بعد ست سنين من نشر هذا القانون .

٧ — تلامذة الآداب خاضعون لقانون معهدي الطب والحقوق من فروع الجامعة السورية من حيث القبول والرسوم المدرسية ، والامور الخاصة بالدوام والنظام ، مما يفصل في القانون الداخلي .

***

منهاج دروس معهد الآداب

(الصف الاول) — ساعة ٢ علم النحو و٢ علم الصرف و٣ علم اللغة والانشاء والمحفوظات و٣ الآداب العربية و٢ الآداب الفرنسية « اختياري » و ٢ تاريخ سورية و١ تاريخ مدنية سورية و١ جغرافية سورية و٢ علم النفس والتربية «اختياري»

(الصف الثاني) — ساعة ٢ علم البلاغة و٢ علم آداب اللغة و٣ اللغة والانشاء والخطابة و١ جغرافية بلاد العرب والبلاد التي افتتحها العرب و٢ التاريخ العام و٢ آداب اللغة الفرنسية « اختياري » و٢ آداب اللغتين الفارسية والتركية «اختياري» و١ علم الاجتماع و١ الفلسفة الاسلامية « اختياري » ·

(الصف الثالث) — ساعة ٢ تاريخ الآداب العربية و٢ تاريخ الدول الاسلامية و٢ التاريخ العام ولاسيما تاريخ دول المدنية الحديثة و٢ الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في اوربا و١ تاريخ الصنائع والفنون و٢ الآداب الفرنسية « اختياري » و٢ الفلسفة الاسلامية والغربية و٢ علم الآثار القديمة في سورية و٢ علاقة اللغة العربية باللغات السامية « اختياري » ·

قاسيون والخرافات

حمل الينا البريد الكراسات الأخيرة التي صدرت من المعلمة الاسلامية في هولاندة فسقطنا فيها على مقالة للاب هنري لامنس اليسوعي في « قاسيون » جبل دمشق ، غفل فيها عما يجب ذكره في مثل هذه المواقف من وصف طبيعة الجبل وطوله وعرضه وجيولوجيته وتربته وتاريخه القديم وعمرانه الحديث ، واكتفى بان عرفه تعريفاً بسيطاً ونقل ما رواه ابن جبير من ان مولد ابراهيم في قرية برزة و يعظم عندهم وان قاسيون موطن الأنبياء وان آدم أقام فيه وان قابيل قتل أخاه هابيل عليه فدفن في هذا الجبل الغاص بالمدافن ، وان ارباب المعلمات والمؤرخين الدمشقيين يقولون ان في هذا الجبل عدة الوف من الأنبياء والشهداء دفنوا بين باب الفراديس وسفح الجبل ·

هـذا ما أراد المؤرخ لامنس ان يعلّمه لقراء المعلمة الاسلامية وهو السفر المنقح الذي يكتب على بلاد الاسلام في الغرب وفاخرنا في الجزء الماضي (ص ٢٤١ — ٢٤٦) بتجويد مواده ٠ وقد تدبرنا مايقصد اليه الاب الاديب من إلصاق هذه الهنات بتاريخنا فلم نر في كلامه ما يحمل على حسن النية مهما أحسنا الظن به ، وكأن مقالته أشبه بالهزل لان نقله هذه الخرافات على انها حقائق مسلّم بها، وهي سخافات وترهات كان بعض العامة من أهل القرون الوسطى يتسلون بها ، لان ابن جبير وابن عساكر وياقوت ذكروا هذه السخافات كما تورد اليوم معتقدات الشعب وأساطيره ونسميها فولكلور ٠ أوردوا ذلك مع الاحتراز على عادة مؤلفينا بل عادة جماع المؤلفين في معظم العصور ٠ ومن آدابهم انهم ينقلون ما لا يعتقدون صحته باسلوب يفهم منه رائد التحقيق ان في المسألة نظراً ٠ فقد شفع ياقوت كلامه على هذه الاساطير بقوله و« يقال» و« يزعمون » وابن جبير بقوله « ذكر » بالبنـاء للمجهول ، وكذلك يفعل جميع أهل التحقيق من المؤرخين والجغرافيين والرحالين في نقل ما كان من هذا القبيل ٠ ولكن الأب غفل او تغافل عن هذه الاحترازات ٠

وقد أحببنا ان نعرف ما قاله اللغويون في «زعم» فكشفنا عنها في كتاب الاب لامنس نفسه الذي سماه « فرائد اللغة في الفروق » وطبعه في المطبعة اليسوعية في بيروت سنة ١٨٨٩ فرأينا في صفحة ٦٨ ما هذا نصه الحرفي : « الحساب والزعم ٠ ان (الحساب) لايكون الا باطلاً و (الزعم) قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً ٠ جاء في القرآن : على الله أرزاق العباد كما زعم ٠ فان هـذا الزعم بمعنى حق اه » وما ندري اين الآية الشريفة التي استشهد بهـا على لفظ زعم ، ولعله هو لا يدري ، اللهم الا الطريق الى تحريف بعض ما لا يوافقـه من نصوص المؤلفين ٠ اما آيته فهي شطر من بيتين لعمرو بن شأس أوردهما صاحب اللسان وهما :

وعاذلة تخشى الردى ان يُصيبني ... تروح وتغـدو بالملامة والقسم
تقول هلكنا ان هلكت وانما ... (على الله أرزاق العباد كما زعم)

هذه أمانة العلم والنقل عند الأب لامنس ، واذا بلغ به التهجم على تحريف آيات الكتاب العزيز الذي يعرفه صبيان المسلمين على صحته ، اي ثقة تبقى لانسان فيما كتبه

او يكتبه في الاسلام والعرب . الأب لامنس لم يؤتمن على كتاب المسلمين المقروء المشهور المحرر المفسر فكيف يؤمن على تاريخهم ومدنيتهم .

ولقد رد المحققون في كل عصر امثال هذه الخرافات التي وضعها بعض القصاصين والوضاعين ، وأوردها الأب لامنس كأنها حقيقة ثابتة عنده وعند أصحاب هذا الجبل اليوم . هو حرٌ يوم يدون هذا في باب معتقداته مثل رواياته الغريبة وما فيها من العجائب ، ولكن الاسلام بريءٌ من هذه النزعات . والعرب اذا قيسوا بغيرهم أقل الشعوب ميلاً الى الخرافات . وليس في الارض فيما نحسب أُمة عُنيت بتصحيح أسانيد أخبارها كالمسلمين . فلو صحت خرافات جبل قاسيون عند هؤلاء الناقلين أما كانوا يوردون لها أدلة الصدق والتصديق و يتركون الفاظ «زعموا» و«قيل» و«ذكروا» من الفاظ التوهين والتضعيف . قرأنا اكثر من مقالة للأب لامنس في هذه المجلة الاسلامية فرأيناها خلت في الجملة من القوارص . وان كانت كل كتابة تظهر عليها حلة من قلب كاتبها ، فقلنا لا بأس ان له قلمين قلم يدخره لما يطبع في المطبعة الكاثوليكية لحضرات الآباء اليسوعيين في بيروت خدمة لجماعته وجمعيته ودعوته ، وقلم يكتب به في اوربا يجرده في الجملة من بضاعة الدين والنيل من الاسلام والمسلمين ، وتصوير مدنية العرب في بشاعة وشناعة ، شأن الشعوبية الذين لا يكادون يثبتون مزية للعرب ولا يعترفون لهم بمدنية ويسلبونهم بلاءهم في خدمة الانسان والعمران . وللسيد لامنس في هذا الباب طرق غريبة شبيه بعضها بمن يقرأ الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون الآية » فيقف عند قوله لا تقربوا الصلاة و يشرع في ايراد اشياء واستنتاج أشياء يوردها في معرض الغمز واللمز . وايراده اليوم تحريفات قاسيون بدون الاشارة الى القيود التي قيد بها ناقلوها رواياتهم من هذا البحر والقافية .

لو كان الأب لامنس يريد ان يخدم الحقيقة التاريخية في مقالته عن قاسيون لذكر طبيعة تربته ونوع صخوره ومن اين جاء اسمه وما فيه من المشاهد التاريخية الحقيقية فقال مثلاً ان قاسيون كلمة عبرانية مشتقة من قصة ومعناها الطرف والحرف والمخروط ولأورد عبارة ابن عساكر في القناة التي جرها المأمون العباسي من عين

منين الى معسكره بدير مران في سفح هذا الجبل المطل على دمشق قال : « ان ملوك بني العباس لم يزالوا يخفون الى دمشق طلباً للصحة وحسن المنظر ، منهم المأمون فانه أقام بها ، واجرى اليها قناة من نهر منين في سفح جبلها الى معسكره بدير مران ، وبنى القبة التي في اعلى الجبل وصيرها مرقباً ، يوقد في اعلاها النار لكي ينظر الى مافي عسكره ، فاذا جنّ عليه الليل ، كان ضوءها الى ثنية العقاب والى جبل الثلج اه » . وكان الواجب على الأب لامنس ان يقول شيئاً في هذه المناور التي جعلت في القرون الوسطى للإعلام بحركات الأعداء ومنها القبتان الباقيتان على قمة قاسيون وهما قبة السيار وقبة النصر او النسر « وكانوا يرصدون في كل منوّر الديادب والنظارة لرؤية ما وراءهم وايراء ما أمامهم » وقالوا ترفع النار حول دمشق في الجبل المطل على برزة فيرى بالمانع ، و يرفع في العطنة فيرى في ثنية العقاب ، و يرفع فيها فيرى بمأذنة العروس ، وان قبة النصر أنشأها الملك الناصر ولها ثلاثة أبواب وشبابيك على ما رواه صاحب المواكب الاسلامية . وان جر مياه منين الى سفح قاسيون الغربي على ما بينهما من الجبال والوهاد يدل على حذق في الهندسة وبعد نظر في العمران ، وان هذه المناور التي كانت بمثابة « الهليوستا اوالبروجكتور » في الليل وبطاقات الحمام التي كانت بمثابة البرقيات في النهار تدل على مدنية تلك العصور وانها كانت وافية بالغرض ، ويكفي ان اوربا اذ ذاك لم تعرف مثلها .

وكان على الاب لامنس وهو الذي صرف في درس تاريخ هذه الديار حياته ان يتعرض في مقالته هذه لما قام به المأمون لما عزم على رصد الكواكب وتقدم الى يحيى ابن ابي منصور المنجم والى جماعته بالرصد واصلاح آلاته ففعلوا بالشماسية ببغداد وجبل قاسيون بدمشق في سنة ٢١٥ — ٢١٦ — ٢١٧ بعد المئتين ، وان الوغ بك التتري بنى مرصداً فلكياً على هذا الجبل ايضاً على ما يرجع ار باب المعرفة ، وان ينقل عن ابن بطريق ان دير مران كان المسلمون ينزلونه و يسكنون فيه على ما كانوا يفعلون في كنائس الغوطة . ويذكر لنا ما كان في سفح هذا الجبل البديع من الديارات في الاسلام والجاهلية ، خصوصاً وهو ديري بنعمة الله ولا يصعب عليه الإتيان بذلك من المظان التي يعتمد عليها اكثر من اعتماده على كتب العرب . وان يتعرض المقام في سفح قاسيون ووسطه منذ القرن

الخامس للهجرة من المباني العظيمة كالمدارس والمستشفيات والخوانق والرُبُط التي تدهشنا الى اليوم انقاضها ، وان يشير ولو إشارة طفيفة الى واجهة بناء المستشفى القيمري التي هي من ابدع الصناعات الاسلامية والى منبر جامع الحنابلة الذي عز نظيره في الاسلام ، وان يقول لنا ان الجبل من ناحيته الغربية كان يطل على مزارع الزعفران فيبين لنا متى زالت زراعة هذا الصنف من الشام ، بعد ان كان القوم يغالون باستعماله في كثير من أرفاقهم ، ويعرفنا اذا كان هذا الجبل مغروساً بالاشجار ومتى عري منها الى غير ذلك مما يفيد اكثر من قصة هابيل وقابيل وموطن آدم والوف من الانبياء والشهداء الى غير ذلك من التخريف الذي لا يثبت على محك النقد، وهو من تغفل المتغفلين لا محالة كما يعلم بادنى نظر . وما اخال الاب لامنس الا موافقنا في باطنه على ان مثل هذه الابحاث أعلق بالمجلة الاسلامية من تلك الموضوعات السخيفة المرجوحة .

محمد كرد علي

مباحث لغوية

اطلعنا على كتاب للعلامة اللغوي صاحب توقيع «محقق» أرسله الى العلامة احمد باشا تيمور تعليقاً على مقالاته التي نشرها في مجلة المجمع بعنوان (نموذج من معجمنا في العامية المصرية) قال المحقق : رأيت في الجزئين الأخيرين من مجلة المجمع مقالتين لكم في نموذج من معجمكم في العامية المصرية فوجدته من أبدع ما كتب . فانك بسِفْرك هذا تصلح ما افسده العوام من لسان السلف الكريم وتبحث عن اصول الكلمة بحثاً ما وراءه مزيد لمستزيد . ولا جرم انك ستُبقي اسمك للأجيال القادمة مبجلاً عند الجميع ، وممدوحاً بكل لسان . ولا اظن ان لغوياً من الأقدمين والمحدثين أجاد كما أجدت .

على اني وجدت والحق يقال محلاً واحداً يستحق الاصلاح في ما طالعته وهو قولك في ص ٢٥٣ اللواشة . بفتح الاول وتشديد الثاني . . . ولم نقف على أصل لها في اللغة والمعروف عند العرب الزيار . . . .) قلت : ذكر صاحب التاج (اللواشة) في ل و ش قال اللواشة بكسر الأول : ما يجعل على جحفلة الفرس ليمنعه من الاضطراب اه . وعندي ان الكلمة من التركية وهي فيها (يَواشه) كسحابة فلما دخلت

عليها لام التعريف فقالوا الليواشة حذفت الياء وعوض عنها بالكسر ثم تأصلت فيها اللام كما تأصلت في ألفاظ كثيرة كما قالوا في الاصف : اللصف ، الليكة في الأيكة ، اللكاف في الإكاف ، لاَنَ في الآن ، اللكام في الأكام اسم جبل ، الليوان في الايوان . ثم توهم المصريون العوام انها وزان علاّمة بالتشديد فقالوا لواشة .

ومن اسمائها عند عوام مصر وديار الغرب المشخَس وأظن انها تصحيف المُشخَص من شخص لأن الآلة المذكورة تقيمه شاخصاً الى جهة واحدة . أماماشه فان لم تكن تركية اوفارسية اوتخفيف المحشة فانها تخفيف الكمّاشة ، لان البغداديين يسمونها تارة ماشة . وتارة كماشة . وكمش عندهم جاء بمعنى قبض على الشيء . اما اسمها العربي الفصيح فهو الشُبّاث كرمّان . اوالشَبّوث كتنور وجمع كليهما شبابيث . وقد جاءت الشُبّاث شِبَاثاً ككتاب في محيط المحيط وهو خطأ وفي القاموس طبع كلكته الشَبّاث كجبّار مضبوطة بالقلم وكلاهما غلط والصواب ما ذكرناه منقولاً عن التاج قال عنه : (كلاّب النار) . وفي كلامنا العامي (الماشة) اما كلبتا النار فهما عند العرب الفصحاء (الكتيفة) فقد قال عنها في القاموس والتاج كذلك . واما صاحب اللسان فشرحها بقوله . الكتيفة كلبة النار بالمفرد لا بالمثنى .

وقولك في ص ٢٥٤ لم نجد (ذرب ونلع ونبغ) وانا ايضاً لم أجدها لكني أظن ان (ذرب) تصحيف ضرب وهي واردة في هذا المعنى . و (نلع) تصحيف (ندغ) . و (نبغ) تصحيف (نسغ) .

هذا ماظهر لي عند المطالعة . واما (غباني) ويسميها الناس عندنا «أَغبَاني» او أغاباني فقد كنت كتبتُ عنها انها منسوبة الى «غابان» وهي بلاد اليابان في العصور الوسطى ، ولكني نسيت ان أقيّد اسم الكتاب الذي رأيت فيه ان اليابان تسمى (غابان) وتسمية اسماء الثياب باسماء المدن أشهر من ان تذكر اه .

مخطوطات دير الكرمل في حيفا

زار هذه المكتبة الفاضل السيد جميل البحري مؤلف (تاريخ حيفا) وصاحب مجلة (الزهرة) الحيفاوية فكتب الينا بما ملخصه :

ان الحرب العظمى جارت على تلك المكتبة فسلبتها بعض كنوزها ولعل المسلوب هو مخطوطاتها العربية . وكل ما فيها الآن كتب افرنسية وطليانية ولاتينية بينها الكتاب المقدس في ثلاث مجلدات وهو مطبوع في رومة سنة ١٦٧١ م صفحاته كبيرة وكل صفحة منها مقسومة الى نهرين أحدهما يشتمل على الكتاب المقدس بلغتنا العربية والآخر على ترجمته باللاتينية . وليس للمكتبة فهرست منظمة وقد أخبرني وكيلها ان في نيته تنظيم فهرس شامل لجميع محتوياتها فلعله بعد تنظيم الفهرس يظهر في المكتبة مخطوطات عربية ذات قيمة بل و يعرف عدد مجموع ما في المكتبة من الكتب والأسفار : فان كتبها تملأ عشر خزائن كبيرة لا تقل الخزانة عن مترين طولاً وثلاثة أمتار عرضاً . اما الصكوك والوثائق القديمة فقد عثرتُ بينها على ما له علاقة بتاريخ بعض حكام حيفا وعكا وهي محفوظة بنسخها الأصلية وتواقيع أصحابها من ذلك :

(١) رسالة موجهة الى علي آغا متسلم اللجون بتاريخ (١١٠٩) ه ولكن توقيع مرسل الرسالة غير مقروء .

(٢) رسالة بتوقيع (ابراهيم) قائم مقام اللجون بتاريخ (١١٣٣) ه .

(٣) امران سلطانيان متوّجان بالطغراء الكبرى احدهما بتاريخ (١٠٣٩) ه والآخر بتاريخ (١١٧٠) ه وهما يتضمنان إعفاء دير الكرمل من الضرائب الكمركية .

(٤) امر بخط الامير ظاهر العمر وتوقيعه بتاريخ (١١٨١) ه وقد وجه الخطاب فيه الى رئيس الدير يتضمن التقدّم اليه بترك ديره المشرف على موقع الخضر وتشييد بناء آخر حيث يريد من قمة الجبل .

(٥) أمران بتوقيع غير مقروء لكنهما مختومان بختم كبير واضح المضمون مؤلف من ثلاثة سطور على هذا الترتيب (وما توفيقي الا بالله) (يارب سكانفو يض امورا بلدي : احمد) (عليه توكلت واليه أُنيب) ومن يكون احمد هذا غير الجزار المشهور . وتاريخ

الأمر الأول (١١٨٨هـ) والثاني (١٢٠٩هـ) وكل من الامرين مصدر بهذه العبارة : (الى كل واقف عليه وناظر اليه من المسلمين والمشايخ والفلاحين ببلاد حارثة) .

(٦) صكوك ووثائق مختلفة تتعلق بكيفية انتقال قصر (عبد الله باشا) من يده الى يد الرهبان وتواريخها بين سنتي (١٢٤٥) و (١٢٦٢ هـ) وعبدالله باشا هذا خلف الجزار في حكم البلاد وفي زمنه دخل المصريون بلاد الشام .

تصحيح نهاية الارب

قرأت في مقالة (تصحيح نهاية الأرب) للاستاذ المغربي (ص٢٥٨) من المجلة تصحيحاً لرواية بيتي الشاعر :

ولست له في فضلة الكأس قائلاً   لأصرفه عنهـا تحس وقد أبى
ولكن أحييه وأكرم وجهـه   وأشرب ما أبقى وأسقيه ما اشتهى

ان (لأصرفه عنها) لايصح معناه فصوابه (لأصرفها عني) وقد وجه كيف يصح المعنى بهذا التصحيح واستشهد له ببيت : صددت الكأس . . .

أنا لم أقنع بهذا ولا أرى معنىً صحيحاً في قول شاعر : انا لا أكلف نديمي شرب فضلة كأسي التي تقززت منها لأصرفها عني اليه وهو يأبى شربها بل أنا اشرب فضلة كأسه واسقيه ما اشتهى . والشارب اذا كان يتقزز من سؤر نفسه فهو أجدر ان يتقزز من سؤر غيره .

والذي أرى ان الشـاعر يقول : اذا رأيت نديمي قد اكتفى من الشرب فأبقى فضلة ابى شربها فأنا لا أقول له تحسها ليتكلف ان يشتفها فيحصل له عنها صداع او ينزف اي يذهب عقله بشربه فوق طاقته بل أشرب انا فضلة كأسه ولا أسقيه الا مادام مشتهياً . ولكن من اين يأتي معنى خوف ان يصدع او ينزف النديم ؟ ذلك بتصحيح (لأصرفه) بـ (لأصدعه) او (لأنزفه) ويكون الشـاهد عليه (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) .

من اعضاء المجمع العلمي

مسعود الكواكبي

كلمة فنية

سأل بعض الافاضل مجمعنا العلمي عن كلمة (الزردقة) وقال ان بعضهم ذكر انها بمعنى علم تربية الخيل وقد رأينا بعض المؤلفين سماها (الزرطقة) بالطاء مكان الدال واذ كان مجمعنا يستعين على كل فن بالمتخصص به من أعضائه رأى ان يستشير الاستاذ احمد تيمور باشا و يسأله عن هذه الكلمة فكتب في الجواب ما يأتي :

(الزرطقة) كلمة مولدة لم أعثر على أصلها وجاء عنها في مقدمة كتاب كامل الصناعتين الناصري تأليف ابي بكر بن بدر البيطار باصطبل الملك الناصر محمد بن قلاوون مانصه : « ابتداء المقالة الاولى من كتاب كامل الصناعتين البيطرة والزرطقة » وجاء في وصف هذا الكتاب بكشف الظنون مانصه : « ألفه في علم البيطرة والزرطقة ، والبيطرة هي النظر في أحوال الخيل من جهة الصحة والمرض والزرطقة هي عبارة عن تربية الخيل في تعليمها ولوازمها » .

وقد ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية الاستاذ (Perron) وطبعه في باريس سنة ١٨٥٢ م في ثلاثة أجزاء وجاء العنوان في هذه الترجمة كما يأتي :

Le Nacéri

La perfection des deux arts ou traité complet d' hippologie et d' hippiatrie arabes .

ولايخفى ان كلمة (Hippiatrie) يقصد بها البيطرة فتكون كلمة (Hippologie) ترجمة لفظة الزرطقة والظاهر ان النسخة المخطوطة من النص العربي التي ترجم عنها كانت لفظة الزرطقة مقدمة فيها عن لفظة البيطرة ولهذا قدمها في عنوان النسخة المترجمة .

ولم تذكر معاجم اللغة لفظة الزرطقة ولا الزردقة ولا ذكرهما دوزي في مستدركه ولا (Fagnan) في ذيله على مستدرك دوزي .

مطبوعات حديثة

ديوان مهيار الديلمي

« جزؤه الاول من ثلاثة أجزاء »

صفحاته (٤٢٦) طبع بعناية القسم الادبي من لجنة دار الكتب المصرية مذيلاً بحواشٍ لغوية وضعها الشاعر الماهر احمد نسيم بمؤازرة احمد زكي العدوي ونابغة مصر حافظ ابراهيم

(مَن هو صاحب الديوان) — هو أعجميٌّ مستعرب تفوّق في لغة الضاد حتى كاد يقول لنا ما قاله صاحبا الصحاح والقاموس — الجوهري والفيروزابادي — « خذوا لغتكم من أعجمي » فانك تكاد لا تقرأ فصلاً من شعره الا تجلى لك من تضاعيفه اقتدار ناظمه وإحاطته بأوابد اللغة وفرائدها ومجموع معاني مفرداتها من عويص وغريب ومهجور ومأنوس بحيث تحسبه لغوياً متبحراً اكثر مما تعده شاعراً مجيداً.

نشأ الرجل في العراق — بين القرنين الرابع والخامس للهجرة — مجوسياً ثم أسلم (سنة ٣٩٤) على يد شيخه وأستاذه في الشعر الشريف الرضي الموسوي فكان على شاكلته شيعياً مغالياً سباباً للصحابة الكرام حتى قال له بعض أصدقائه من اهل السنّة « يامهيار انتقلت باسلامك في النار من زاوية الى زاوية : قال وكيف ذاك ؟ قال لانك كنت مجوسياً فأسلمتَ فصرتَ رافضياً تسب الصحابة » وقدمات مهيار في اليوم الخامس من شهر جمادى الآخرة (سنة ٤٢٨) على رواية ابن بسام ولم نتحقق تاريخ ولادته .

(طبقته بين شعراء عصره) — هو مدّاح مكثر فيض قريحته بالمدائح والفخريات كأبي العتاهية بالزهديات وهو مع هذا مقصّر عن شوط اللاحقين بالخلفاء وكبار الوزراء من متقدمي الشعراء فان جلّ مدائحه موجه الى مَن هم دون هؤلاء من العمال والكتاب وذوي الرئاسات وفي ذلك دليلٌ ناصع على قعود همته وخمول نفسه والرضى بالدون من حاله وعيشه وهو يعترف بقصوره هذا في قوله (ص ١٢) .

تقدمني قومٌ وما ذاك ضائري ... لديكم اذا ماالخلص الزبد وَطبُه
أبانيهمُ تلفيقُ جهـل بربّهم ... وأخملني تحقيق فضـلٍ أربُه

وهو بلا ريب واسع الخيال طويل نفس القول جزل الالفاظ متين التراكيب ولكنه مع هذه الصفات الفاضلة لا تجد في شعره طلاوة شعر استاذه الشريف الرضي الذي طالما تحدّاه ونسج على منواله . ولا يروقك منه ما يروقك من شعر امثال بشار بن برد والعتابي وابي نواس وابي دلف وابن الرومي من روائع التشابيه وسمو الاختراع وعذوبة الموارد مع انه جاء بعدهم بزمان طويل فهم أقرب منه الى خشونة البداوة وهو ادنى منهم الى نعومة التبسط والترف الاسلامي بعد ان كسبت الحضارة العربية ديباج ثوبها القشيب . ثم قلما اتى على حكمة او مضرب مثلٍ او فاه بتشبيب شفّ عن رقةٍ تجعل لديوانه رونقاً يحول دون ملال من يقرأ مطولاته التي قد يتجاوز بعضها المئات من الابيات فهو في كل ذلك يُعدُّ سكيتاً في حلبة المتقدمين من أساطنة المولّدين وظرفاء المحدثين المجيدين .

وقد زاد في نفرة الأذواق السليمة تهافته على العويص المهجور من الالفاظ مما يحرم ديوانه من السهولة والانسجام و يقف بالمدارك والافهام دون سرعة إشراب المعاني وتدبر المقاصد خلافاً لما تقتضيه صناعة الشعر فكأني به أراد في نزعته هذه الاشتهار في علم اللغة ولو التوى عليه قصده في الإجادة والتأنق والفوز باستحسان الملاءِ لشعره مع ان الغاية الاولى انما هي هذه لا تلك كما لا يخفى ومن أمثلة تلك الالفاظ التي لا يحسن ان ترد في الشعر قوله (ص ٤) .

يركب في الحاجات اخطارها اما (خساً) واما (زكا)

يريد بالخسا والزكا الوتر والشفع اي المفرد والمزدوج : وقوله (ص١٠) :

من الحي تشنق (العرضنة) عيسه ازاءك حتى امتدّ كالسطر ركبه

والعرضنة الاعتراض في السير من النشاط اوالعَدْو في اشتناق : وقوله (ص ١١) :

وسوّفني رؤيا كما فألط بي فماودته في اخذ حقي غصبه

فألط بي بمعنى منعني من حقي : وقوله في الصفحة عينها :

وكانوا (عِيَاراً) ربما جاء بعضهم فأعدى صحاح السرح ياسعد جُرْبَه

يريد بالعيار جمع عَيْر وهو الحمار : وقوله (ص ١٨) :

فما خبثت ايديهم لي و (اسهكت) فربّ نوالٍ طاهرٍ لك طيب

اسهكت اي أتت في عَرَقها بريح خبيثة : ومثله قوله (ص٢٢) مجلجلة الارجاء ولم أدر ما يريد من الجلجلة في مثل هذا المقام . وقوله (مَرَتها) رياح الشكر اي استخرجتها . ولو شئنا استقصاء أمثال هذه الالفاظ الغريبة اضاق عنهـا نطاق المجلة وأطلنا القول بلا طائل . فمهيار هذا على ما في عناصر ديوانه من مليح وقبيح ومقبول وكريه يُعَدّ في نظر الجهبذ المنصف النقّاد متوسط الطبقة من حيث هو شاعر عالي الكعب علاّمة من حيث هو لغويّ .

ومن عيون شعره قوله في العتاب :

أيهـا العـاتبُ ما ذا ـ لك وما اعرف ذنبي
أنظن الدمع ديناً لتقاضـاه بعتبي
ان تكن انكرت حفظي لك وارتبتَ بحبي
فبعين الله يا ظـا ـ لم عينـاي وقلبي

وهو دون سائر ما قرأتُ من شعره غاية في الرقة والانسجام : ومما يعاب به قوله في قناعته وترفعه عن الوقوف في ابواب الملوك مع الرضى بالاستجداء ممن هو دونهم .

فما تراني ابواب الملوك مع الـ ـ زحام فيها على الاموال والرتب
قناعة رغبت بي عن زيارة مـ ـ سدول الستار وعن تأميل محتجب
ولي عوائد جود منك لوطرقت تستام ملكاك لم تحرم ولم تخب

وهذا المعنى كثيراً ما طرقه وصرح به في قصائده على ما فيه من الجمع بين النقيضين اي عزة الترفع من الكبير وذل السؤال من الصغير كقوله ايضاً وفيه معنى حسن:

عزي بنفسي ولكن زادني شرفاً اني اليكم اذا باهلتُ انتسبُ
والنـاس غيركمُ من لا يجـاوزني ابيـاته عمـدٌ تبنى و لا طنبُ
اذا صفوتم فلا وردي ولا صدري منهم وان امحلوا يوماً وان عذبوا
لي منكمُ الجبهة الغراء والعنق التلـ ـعاء والناس معه الرسغ والذنبُ

اما جودة الطبع والمبالغة في التدقيق والتصحيح وما اختير من الكلفة تجويداً للكاغد وجلاء الحروف فما يستحق الثناء الجميل لتلك الدار التي وقف ذووها النفوس

في سبيل نهضة الأدب واستخراج اسفاره الدفينة في مغاور الإهمال جزاهم الله خير الجزاء وأمدهم بأيده وتوفيقه إسعاداً للحال والمآل · عضوالمجمع العلمي العربي

سليم عنحوري

خطط الشام

« الجزء الثالث »

يتناول هذا الجزء أخبارهذاالقطر خلال قرن ونصف القرن · فهو يبدأ بـ (العهد العثماني » من سنة ١٢٠٠ — ١٢٤٧ · ثم « دورالحكومة المصرية » من سنة ١٢٤٧ — ١٢٥٦ · ثم «العهدالعثماني» من سنة ١٢٥٦ — ١٢٧٧ · فـ « العهدالعثماني » من سنة١٢٧٧ — ١٣٠٠ · ثم «العهدالعثماني» من سنة ١٣٠٠ — الى سقوط عبد الحميد سنة ١٣٢٦ · فـ «العهدالعثماني» من سنة ١٣٢٦ — ١٣٣٦ · ثم « العهد الحديث » من سنة ١٣٣٦ — ١٣٤٣ · ويشمل هـذا العهد الأخير احتلال انكلترا وفرنسا هذا القطر وتقطيعها أوصاله ، وقيام الحكومة العربية ، وما كان في ايامها من الاحداث وسقوط هذه الحكومة ، والحركة الصهيونية ، وذرواً من تاريخها ، وموجزاً عن التقسيمات الادارية في الشام : قديمها وحديثها ، وصوراً عن بعض الرسائل السياسية بين فرنسا وانكلترا ، وعن بعض العقود والعهود مما يتعلق بالانتداب على الشام (داخله وساحله وجنوبه) او له به مساس ·

ومما يزيد في قيمة هذا الكتاب انك تقرأ فيه من الحوادث ما شهدته بعينك ، او وقع في أيامك ، او شهده من عرفته ، او عاصرت من نقل عمن رأى · وهذا ما يجعل هذه الاخبار اكثر اتصالاً بابناء العصر الحاضر ، وأعلق بحياتهم · فيكون التشوق الى الوقوف على هذه الحوادث اكبر ، والرغبة في تتبع الرواية أشد · وكثير مما جاء في هذا السفر ولا سيما ما يتعلق منه بالعهد العثماني الاخير ، مما سماه الاستاذ (العهدالحديث) لم يدوّن بعد في تاريخ عربي ، الا اشياء لايركن اليها ، بعضها ساق الى تدوينه الاتجار بالتاريخ ، والبعض الآخر أملته الأغراض السياسية · واي شيء يبقى

من التاريخ مع السياسة والتجارة ؟ . واما ما كتبه الغربيون مما اطلعنا عليه ، فسخافات مضحكة جروافيها على شنشنتهم في اكثر مايكتبون عن هذا الشرق مما للسياسة يد فيه .

ومما هو حريٌ بالتنويه ايضاً ، ان هذا الكتاب مفرغ في أسلوب عربي فصيح ، تعالى عن الركاكة والابتذال ، وتجانف عن التقعر والاغراب . فجاءت عبارته سهلة ممتعة لا يكتب التاريخ بافضل منها .

ولقد مررنا ونحن نقرأ هذا الكتاب باشياء رأينا ان نلفت اليها نظر الاستاذ :

اولاً — انه يحسن ظنه في بعض الأحيان بالمصادر التي يطلع عليها فيعتمدها من غير تمحيص ولا معايرة . من ذلك ما يرويه في حوادث لبنان من اخبار الفتن الاهلية فهو لا يذكرها الا بمثل قوله : « تعدى الدروز على الموارنة ودخلوا دير القمر وارتكبوا فيها الفظائع ! وفي سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٥م) قام الدروز ثانية في لبنان وقتلوا المسيحيين » .

وما يقول المؤلف قوله هذا الا متابعة لمن كتبوا عن هذه الحوادث ، وكلهم أبناء طائفة واحدة هي احدى الطائفتين المتقاتلتين . دوّنوا مادوّنوه منقطعاً عن كل تعليل ، وعن ذكر كل سبب . فالاعتماد على ماقالوه ونقل عبارتهم من غير تثبت ولا نقد ، ليس يصح في مثل هذا الكتاب الذي يجب ان يكون المصدر الذي نرجع اليه [1] .

والاغرب من ذلك ما ذكره في حوادث لبنان صيف ١٩٣٣ وهي حوادث كان يجب ان لا تخفى حقيقتها اذ هي لقرب عهدها لا تزال ماثلة في الأذهان .

ثانياً — يؤخذ على المؤلف انه يرسل بعض الاحيان حكمه مطلقاً فلقد انتقد الامير فيصلاً على اعتماده من اعتمد ، ونزعه ثقته ممن نزع ، وقد جرح الأولين

(١) الفتن الاهلية التي وقعت في لبنان هي فتن سياسية كان العامل الاكبر فيها : التنازع على السيادة ، والمطالبة بالحقوق . ولا نرى لنا بداً — بعد ان ألبست هذه الحوادث غير لباسها — من كلمة ننشرها في هذه المجلة او في غيرها بياناً لمنشإ هذه الفتن ، وأسبابها الحقيقية ، مستندين في ذلك على دراسة الحالات : السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، حتى لا نضع أنفسنا موضع التهمة فيساء بنا الظن كما أسيء بغيرنا .

المقربين جملة ، وزكّى الآخرين المبعدين كافة . وقد رأى ان ما وقع في البلاد كان نتيجة لهذه السياسة . وانه لو عكس الامر لما كان ما كان .

ومن أرسل الحكم مطلقاً في مثل هذه الامور، لم يسلم ان يتسرب اليه شيء من الخطإ. فاذا كان بين اولئك المقربين نفر قد فسدت سريرتهم ، وكان قصارى همهم مرتبات يتقاضونها ، من اجل مدعيات كاذبة كانوا يدعونها . فان منهم من كانوا المثل الاعلى في الوطنية والاخلاص . واما المغاضبون ، فلقد جالوا بعيد الاحتلال جولة ثم نامت سوقهم . وعاد رجال السلطة فأقصوهم عن العمل رجلاً رجلاً ، وكتلة بعد كتلة ، وفي إقصاء هذه الجماعة في دورين مختلفين كل الاختلاف ما لا يبقى للاستاذ وجهاً ليقول ما قاله .

ثالثًا — لاحظنا على الاستاذ ، انه كان في تحليله عهد فيصل بن الحسين ارستوقراطياً محافظاً على غير ما يعهد فيه . اذ اخذ ايضاً على الامير « سياسة أبعدت عنه اصحاب الحل والعقد في البلاد . وجعلته يستند على طائفة من ارباب الفتوة والعوام » على ان الايام وحوادثها قد اظهرت ان هذه الامة اذا كانت تطلب الخير والنهوض ، فلتطلبه اول الامر عند « ارباب الفتوة والعوام » .

رابعًا — كنا نتمنى لو ان المؤلف اشار الى المعاهد العلمية والخيرية التي أنشأها السلطان عبد الحميد في مدن الشام . وذكر تلك النهضة العلمية العربية المباركة التي بدأت في البلاد على يد الملك فيصل .

هذه امور احببنا ان نوجه اليها نظر الاستاذ الرئيس في كتاب وضعه ليكون مرجعاً يعوّل عليه في اخبار الشام ولا سيما حوادثه الاخيرة .

واذا كان في سرد بعض الحوادث شيء من التقية فعذر الاستاذ انه اخرج كتابه في اشد الاوقات واحرجها . ومع هذا كله فقد ارسل قلمه حراً طليقاً على قدر ما يمكن ان يكون . مما يحجم عن مثله الكثيرون .

وجملة القول ان هذا الجزء قد سدّ ثلمة في تاريخ الشام ، نخدم صاحبه البلاد بعمله هذا ، خدمة جلّى ، تذكر له بالشكر والثناء .

عارف النكدي
من اعضاء المجمع العلمي

اناتول فرانس
« في مباذله »

تأليف جان جاك بروسون وتعريب الامير شكيب ارسلان طبع في المطبعة العصرية بمصر (ص ٣١٣)

كلما نشر العلامة الامير شكيب أرسلان كتاباً يهتز ادب العرب من الطرب ، ويفرح المتأدبون بزيادة ثروتنا العلمية والأدبية ، فقد كانت آخر حسنات قلمه كتاب « حاضر العالم الاسلامي » واليوم يعرب لنا باحسانه المجمع عليه افكار (اناتول فرانس » ، كاتب فرنسا الاكبر او كاتب هذا العصر ، وينقل لهذه الامة حالة هذا العظيم في خلوته وجلوته ، وفي جده وهزله ، وفي تقواه وإلحاده ، يمثل بما ينقل صورة صحيحة منه نقلها الى الاصل اولاً رجل كان ألزم للكاتب من شعرات قصه ، فجاء ماروى ودوّن راموز الحكمة العصرية وعنوان التصورات الاوربية . وقد طوى منها صديقنا الاستاذ المعرب ما لا يفيد قراء العربية ، كما اغضى عن جانب من الفصول التي تبسط فيها المؤلف وعدها المعرب من المجون النابي عن طور الرزانة والرفث الذي تنبو عنه اذواقنا . والغالب ان المؤلف لم يشق عليه تدوين هذه الاحاديث التي يعدها بعضنا بذيئة ساقطة ليعرف « اناتول فرانس » حق المعرفة على نحو ما كان قدماء المؤلفين من العرب يوردون هذه الهنات من دون نكير واسفارهم مشحونة بها الى اليوم .

ومن اهم الصفات التي احرز بها المؤلف قصب السبق في مضمار البيان توخيه ارجاع اللغة الفرنسية الى ما كانت عليه من العناية والنقاوة في القرن الثامن عشر ، والمعرب موافق له على هذه الفكرة في كتابة اللغة العربية ايضاً ومذهبه منذ القديم (٨٩) « اخذ الاحسن من كل شيء وان مثل الفصاحة الاعلى لهذه اللغة هو دور السلف من الجاهلية الى صدر الاسلام الى الدولة الأموية الى اوائل الدولة العباسية ولم يكن احد ليطمع في طرز أبدع من طرز القوم في هذه الادوار ، ولا في لغة انقى من لغتهم ولا في ديباجة انفس من ديباجتهم » . وقد جود الامير الترجمة حتى لا تشعر بانك تقرأ كتاباً مترجماً ، واحسن ما شاء الاحسان بتعليق حواشٍ على المتن

تبين الغامض ولا سيما من تراجم العظماء الذين وردت اسماؤهم في كلام « فرانس » او الوقائع التي اشار اليها بحيث لا يحتاج الناظر العربي في الكتاب الى الرجوع الى شيء آخر لادراك النص الاصلي والتشبع بروحه الحقيقي ·

وتوسع المعرب في وضع بعض الفاظ عربية لبعض المصطلحات الفرنجية استقاها من بحر اللغة الطامي ، وكان الامير اثابه الله منذ وعى على نفسه مولعاً باحياء غريب اللغة ، وما برح استحضار الفصح المنسية من الامور الطبيعية فيه ، ساعده على التبريز في ذلك جودة ذاكرته · وتتخلل هذه الألفاظ مقالاته العلمية والسياسية وحواشيه وترجماته في الكتب التاريخية والاجتماعية · وهذه طريقة مفيدة في الاحتفاظ بتراث الاجداد واحياء الموات اوما هو من قبيله · وكم من لفظة أغنت عن صفحة وصفحة لا تغني عن لفظة · فما ورد في تعريب كتابه اناتول فرانس في مباذله سلسلة من الفصيح وبعضه من المنسي · بدأت من اسم الكتاب وهي «مباذل» وفسرها في بعض حواشيه فقال : البذلة من الثياب مايلبس في البيت والمباذل كذلك · واسم الكتاب Anatole France en pantoufles · ومن الفصح التي استعملها « الاشك » — افعل تفضيل من شك ، ورجل شاك السلاح وشاك في السلاح اي لابس السلاح التام » · « الالحن — الافطن والافصح » « أثت فيه العلائق — كثرت والتفت » « ان مؤلفيهم صيَّابة من كتب — لبابهم وخيارهم » « العنجهية — الكبر والعظمة » « الوشي المسهَّم — المخطط » « المثافنة — المجالسة » « المائنة — المباراة » « الارث العُدْمليّ — القديم جداً وقال انها تقابل Archaïque » ·

ومن الالفاظ التي يريد احياءها «الصاغية» وهي خاصة المرء · وقوله « الاسم الذي كان عنهـا به — عنونها » « شنشنة ممثلة وعنعنة مجسمة — الشنشنة الخلق والطبيعة والعادة · والعنعنة قول الراوي فلان عن فلان » « ترجم Symbolisme بالطريقة الرمزية » « لا يشاءيه فيها احد — لا يسابقه » « كان معنّا متْيحا — المعن الذي يعرض في كل شيء والمتيح (بكسر فسكون ففتح) كثير تنقل القلب او الذي يعرض فيما لا يعنيه » · « اخذت تعادُّه — عادَّه عاوده ويقال في المرض » « عِدّان صباه — عهد صباه » « الدكلة الجماعة لايطيعون السلطان من عزهم وهذا

الوصف يلائم حالة العملة الذين هم في نزاع تام مع الحكومات الحاضرة « « كان الرجل قُبَضة رفضة — اي يتمسك بالشيء ثم يتركه » « لا يزال يلقي علينا بعاعه — كل ما فيه » « ونحن نزيده على ذلك عدة كسعات — الكسع ضربك دبر الانسان بصدر قدمك وفي الاصل الفرنسي .Coup de pied dans le derrière » « مَجرَساً يتحدث اليه — فلان مَجرَس لفلان اي يستأنس بالحديث اليه » « يلتمس به الرويحة عما هو فيه من الالم — الرويحة وجدانك الفرجة بعد الكربة » « يندر من دخلة نفسه — يندر يسقط » « « دور التجدد La Renaissance » وتسميها دور النهضة وكلاهما صالح .

« بدون ضوضاء ولا جراهية (جَلبة) والقوم الملاء ينالحون عن ثروتهم — المليء الغني المقتدر وجمعه ملاء ككرام ومُلئاء كشرفاء واملئاء كانصباء وقد اخترعها بمقابلة Bourgeois الفرنسية » وهي حسنة لانستغني عنها استغناءنا عن (جراهية) « الغلمة ان يغلب المرء شهوة وقابلها بلفظ Volupté » .

« متترع الى الشر — متسرع » « الهُزَيلَى Comédie او مهزلة » « المسلوف او المسوّى Nivelé » « انجياف شيء جديد — استخراج » « مشاده الزمن — مشاغله» « في داهية Au grand diable Vauvert » « اختار كلمة بار Bars التي اصل معناها محل بيع المسكرات — بيوت الزراجين » « الوافه — قيم البيعة » « رأيته عين عنة — ان اراه ولا يراني » « الماج في اللغة — الشيخ الذي لا يقدر ان يمسك ريقه من الكبر Baveux » .

قال الامير انه لا يعتقد ان المرسح هو مقلوب المسرح كما جرت عادة الكتاب في تعريب (التياترو) بل يقول ان المرسح هو تحريف مرزح وهو ما اطمأن من الارض وبعبارة أخرى الساحة فحرفت بالمرسح كما يحرفون كثيراً من الزاي الى السين ومن السين الى الزاي . « سهوة — اسكلة » « تخليط ومجمجة — Gribouillage » « خرمشة — افساد السطور Barbouillage » « الناموس — كاتم السر واستعملوا في القرون الاولى (امين السر) « الكمة — قلنسوة مدورة تغطي الرأس » « طلس — طلس الكتابة محاها ثم كتب محلها » « Soubrette الخادم وهي تشابه

في اللفظ سبروتة التي معناها صعلوكة بالعربية ولعلها منها · الزّور — الزيارة والزور الزائر يقال للمفرد والجمع والمذكر والمؤنث » « البنيقة ما أحاط بالعنق من القميص ، استعملها بدل القبة وقال ان هذه ليست من الفصيح بهذا المعنى » « مشدوه Abstrait » « شهوان Distrait » « المرأة المفننة Jaseuse » « المدنقة Méticuleuse » « الصخابة Harpie » « الدرّاعة Jaquette » « صوف هفاف Flanelle » « المطوحات Les aventures » « حسن فضلتها — هيئة لبسها » « الصلصلة — التقعير في الكلام » « التمتام Bredouilleur » « يخط — يزفر » « تنزيق — تنزين » « اغلب — غليظ العنق » « التهاويل — التصاوير » « دعوة في النسب — الدعوة بالكسر تستعمل في ادعاء النسب » « التاط ادعى ولداً وليس له ولد » « عفارية الدهر — شياطين الدهر » « كنت جامحاً خروطاً — الخروط بفتح فضم من الرجال من يركب رأسه بدون معرفة » « غانية لبّه — لطيفة قريبة من الناس وفي الاصل Peu farouche » .

« تعنفص — زها وتكبر ، عامي فصيح » ومن هذا العامي الفصيح وردت في الكتاب عدة الفاظ ومنها) (سخم الله وجهه سوده Opprobre · اشحطه ابعده تستعملها العامة في بر الشام بمعنى الطرد · خرفش الشيء خلطه ومثله الخبص Barbouiller · المراح — بالضم مأوى البهائم · هدهدت الصبي أمه حركته لينام والعامة تقول نمت بدون هدهدة أراد انه نام للحال من شدة التعب) ·

« كان (الشعر) جثلاً غليظاً نافضاً — الشعر الجثل الغليظ والنافض الذي حال لونه وفي الاصل Louchissant » « العناص — ما يلف به رأس القارورة وفعله Coiffer » « مجموعة مرجّلة = المرجل الذي فيه صور » « بزع الغلام بزاعة صار كيساً ظريفاً وفي الاصل Poli et galant » « الاطرغل = هو القماري والعامة تقول ترغل » « الخلع المطبوخ = لحم يطبخ بالتوابل في وعاء من جلده والاصل الفرنسي Andouille » « صنعة الاستبسال Le métier de mourir » « تبَج (بتحريك الثلاثة وتخفيف الباء او تشديدها) كتب كتابة معماة Griffonner » « مائدة عريضة مسرهدة = المسرهد المنعم المغذي » « امرأة رداح بضاض =

مكتنزة اللحم Dodue » « الطياشة Hurluberlu » « صُنبور Pipe » «خزه ناسة = يابسة » « بيضاء برهرهة = شديدة البياض » « الخيل الضابرة = التي تجمع ايديها ثم تثب فتقع مجموعة ايديها Haquené » .

(بذيئة عنفصا Arrogante) (نعّارة صخّابة Criarde) (اشمأزيزة = الشمأزيزة الرائحة التي يشمئزمنها الانسان) (تاقس نفسي عن الاكل = تخبث) (دهقن الطعام = ألانه) (المنعّم المسرهد المسرهف = سرهد الصبي وسرهفه احسن غذاءه) (الموت الزؤام = الكريه Mort atroce) (يدغل = يدخل شيئًافشيئًا Insinuer) (قدعته = كففته) (الفهفاه = الحسن القيام على المال) (زرّف في الحديث = زاد فيه) (السّمْسمة = الخفة والسرعة) (يأكلون الفحماء = اي ليلاً) (يُغان على قلبي = يغشى عليه وفي الحديث (انه ليغان على قلبي حتى استغفرالله) (الدّمش = اول ما يبدو من الزرع و يقال له الشطأ) (الجلاذي خادم البيعة ومثله الوافه) (شبارق من لحم = قطع) (الوثيرة ج وثائر = ماتغطى به الثياب Housse) (تزينت وقشرت = قشرت المرأة وجهها ليصفو لونها) (المزهوق = المضغوط) (قرقرة البطن Borborygme) (الجدّاد = بائع الخمر) (الهلباع = المفرط في الاكل) (جريّ = معتمد) (هرمات العجوز بليت من الكبر) «الفتخة (بسكون التاء اومحركة) الخاتم ، وقيل حلقة تلبس في الاصبع كالخاتم » (الاغراب في الشعر Exotisme poétique) (معطفه الجرد = القديم) (المشيعة بكسر الميم فسكون ففتح = القفة التي تجعل فيها المرأة قطنها ونحو ذلك La boite à ouvrage) (البُلط = الفارون من العسكر) (الجمّاح = الفارون من الحرب لا يمكن ردهم) (المنابذة = الذين لا يعرف لهم اصل) (المشلّح = حجرة في الحمام تخلع فيها الثياب) (بطائق البريد Cartes postales) (نُحلان = العطية ، البخشيش ، Pourboire) (الشمقمق = المفرط في الطول Escogriffe) (المُعتمل = Laboratoire) (قنبرة Obus لا قنبلة كما تواضع كتابنا فان قنبلة لا تعطي هذا المعنى) (غرفة محرّدة اي ذات جملون Mansarde) (حرمي والله = اما والله)

(الخارف=الطرق بين الاشجار) (البلاهة والتفاهة La niaiserie et la fadeur)
(الاموال سوبطة بين الجميع — مختلطة) .

هذه الفاظ وردت في كلام المترجم ومعظمها مما يفيد الكاتبين والمترجمين جمعناها هنا علهم يرجعون اليها ان اعوزتهم .

محمد كرد علي

مراجعات

« في الآداب والفنون »

بقلم السيد عباس محمود العقاد عني بنشره السيد الياس انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بمصر (ص ٢٧٦)

الاستاذ العقاد في غنية عن التعريف بما له على الآداب العربية من الايادي البيضاء ، بحيث عد في رأس أنصار التجدد في الكتابة والادب عامة . وكتابه هذا املى فيه من عبقريته مثالاً جيداً مما قذفت به روحه الشفاف في كتابيه (الفصول) و (المطالعات) ، مثالاً لم يكد يسبق له امثلة كثيرة فيما دوّن المعاصرون اوالاقدمون من الكتاب يتوخى فيه السلاسة والإتيان بالجديد من الافكار والطريف من الآداب . فمن مقالات هذا السفر النفيس مقالتان في الاساليب تكلم فيهما على مايجب للكاتب العربي توخيه من الطرق في الاداء . ومنها رأي شوبنهور في معنى الجمال وأخرى في (اصل الجمال) (الزهر والحب) (الاشكال والمعاني) وثلاث مقالات في شخصية بشار وغزله وهجائه .

ومما قاله في معنى ايراد ابيات من شعر بشار كان الاجمل بالناشر حذفها والاعراض عنها لافراطها في الفحش والبذاء ، ولا يجوز الاحتجاج بكثرة امثال هذه الابيات في كتب الادب المعدودة فان لكل عصر ادباً غير آداب العصور التي تقدمته . وهذا فضلاً عن ان كتب الادب في عصور الدولة العربية كانت تخط لمن يتعمد نسخها ولا تطبع للعامة بعشرات الالوف فهي اشبه بالرسائل الخاصة منها بالكتب المعروضة للبيع اه . ومنها مقالة في شعر ابن الرومي ومقالتان في ادب المنفلوطي والنفس الانسانية . واخرى في الموسيقار المشهور (سيددره يش) (صورة السعادة) (الاعتراف بالعيوب) الخ .

وخير ما نخدم به كل متأدب ان نحيله على مطالعة كتاب المراجعات ، وكل ما توحيه قريحة منشئه المفكر الكبير ، وخير تحليل له ان يستفيد بمطالعته الناس على اختلاف طبقاتهم ، فان بيان العقاد لا يشبع منه القارئ و يظل معجبًا به الى الآخر . استوفت كتاباته معاني الحسن فأصبحت في الاحسان كالحلقة المفرغة لا تدري اين طرفاها . والعقاد كما قال الاستاذ عبد الرحمن صدقي « دائم التفكير في اكتناه المسائل العظمى التي هي ابداً مناط التفكير ومسرح الخواطر عند الفلاسفة الحكماء وفحول الكتاب والشعراء فلا ينى يجيل الفكر و يستأنف التأمل و يقلب الطرف كرة بعد أخرى في معنى الحياة وسر الجمال واصول الاخلاق ومقوماتها ومقاييس الآداب والفنون . يحس العقاد في هذا الوجود وراء كل ظاهرة حية معناها وهذا المعنى يأتلف او يتكامل مع ما يحسه من معاني الظواهر الاخرى وتتوجه هذه المعاني جميعًا الى متجه واحد نحو الاكمل والاجمل » « وهذه الفلسفة التي يذهب اليها العقاد في الحياة قد لا يستوعبها القارئ حق الاستيعاب و يحيط باطرافها كل الإحاطة في غير (مجمع الاحياء) الا انه لا بد مستروح روحها متلقف شواهدها الكثيرة في أطواء مقالاته كافة » . م . ك

كتب ورسائل مختلفة

(١) جريدة المطبوعات الصادرة من مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر عن سنة ١٩٢٦ — ١٩٢٧ لصاحبها السيد نجيب متري في القاهرة .

(٢) قائمة مكتبة فرح (مكتبة المنتخبات سابقًا) عن سنة ١٩٢٥ في سان باولو بالبرازيل .

(٣) فهرست دار إحياء الكتب العربية للسيد عيسى البابي الحلبي وشركائه في القاهرة عن سنة ١٩٢٦ م (أسست سنة ١٢٧٦ هـ ١٨٦٠ م) .

(٤) فهرست المكتبة الاهلية لصاحبها السيد محمد جمال في القاهرة عن سنة ١٩٢٦ .

(٥) اهدانا الاستاذ السيد زكي مغامز احد اعضاء مجمعنا العلمي نسخة من كتاب البيان (قرآن كريمك توركجه ترجمه‌سى) اي ترجمة القرآن الكريم بالتركية الذي

نشره السيد ابراهيم حلمي صاحب مكتبة الاسلام في الاستانة وهو في مجلدين ضخمين طبع في المطبعة العامرة سنة ١٣٤٠ .

(٦) وأهدانا ايضاً نسخة من ترجمة القرآن الكريم لمترجمه وطابعه السيد جميل سعيد طبع في مجلد واحد في مطبعة شمس في الاستانة .

(٧) وأهدينا كتاب الريف وجبالا (Rif el Jbala) باللغة الفرنسية تأليف جماعة من الاخصائيين من علماء المشرقيات ومنهم الاستاذ ميشوبللير من اعضاء مجمعنا .

(٨) « في سبيل الشرف » مأساة أدبية تاريخية للسيد جميل البحري طبعت بمطبعة الزهرة في حيفا .

(٩) رسالة في فضيلة العلوم والصناعات للحكيم ابي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي (٣٣٩) طبعت بمطبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٠ (ص ١٤) .

(١٠) التحفة النظامية في الفروق الاصطلاحية للشيخ علي اكبر بن محمود النجفي الطبعة الثانية في مطبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٠ صفحة ١٣١ .

جدول خطإ وصواب

في الجزء ٣ و٤ و٥ و٦ من هذا المجلد بعض اغلاط مطبعية هاك صوابها : صفحة ٩٨ سطر ١٣ ! دستبانا من عقيق او ذهب صوابها دستباناً من ذهب وفي صفحة ٩٩ س ١ والدستبان صوابها ودستبان وفي صفحة ١٠١ س ١٧ و٢٠ الأعلا صوابها الاعلى وفي صفحة ١٠٢ س ١٨ غسلة صوابها غسلهُ (وكذلك بقية القوافي) وفي صفحة ١٤٥ س ١٢ وعبّر عنه صوابها وعبّر به وفي صفحة ١٤٦ س ١٥ الصباب صوابها الصناب وفي صفحة ١٥٠ س ١٩ العامية صوابها عاميّة وفي صفحة ١٥٠ س ٢٢ وتسميها صوابها وتسميها وفي صفحة ١٩٦ س ٦ باستحقاقي صوابها باستحقاق وفي صفحة ٢٤٨ س ١٤ و١٥ ظالمة .... عالمة صوابها ظالمهُ .... عالمهُ وفي صفحة ٢٤٨ س ٢٢ او الحجاز صوابها او من الحجاز وفي صفحة ٢٥٠ س ١٥ في غيرهم صوابها في غيرها وفي صفحة ٢٥١ س ٧ تجعله للتكبر صوابها تجعله ايضاً للتكبر .

الجزء ٨ المجلد ٦

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) آب سنة ١٩٢٦ م الموافق محرم وصفر سنة ١٣٤٥ هـ ٦٨٨

إعراس (١) الخليفة المأمون

« ببوران بنت الحسن سنة ٢١٠ هـ »

ايها السادة :

نستأذنكم في بيان لا بد منه . نجعله تمهيداً للوصول الى ليلة العرس وهو ينطوي على التعريف بالعريس ، وقد لا يوجد بيننا من يجهل صاحب هذا الاسم العظيم ، الا ان في تعريفنا فائدةً وفكاهةً غير خارجتين عن موضوع محاضرتنا .

وفي علمكم ان الدخول على العظماء من السلاطين والامراء ، لم يكن مباحاً الا بعد الاستئذان ، وانتظار الايام الطوال . لصدور الاوامر الملوكية ، ثم لا يتم ذلك الا بعد المرور في الساباطات والاقباء . ودخول القصور والتقدم في متعددِ الأفنية والرِداه والأبهاء ، الى ان يُبشَّر بالوصول الى بهو السُدَّة . ومعاينة صاحب السرير ، ونحن سنسير على هذا النحو ، فننتقل من تعريف الى تعريف ، حتى نصل الى وصف ذلك العرس الشريف .

اما المدة او المسافة التي بيننا وبين ليلة العرس فهي الف سنة ومئة واحدى وثلاثون سنة (١١٠٦ مسيحية) وهي مسافة شاسعة لايمكن قطعها في ليلة واحدة ، بل لا بد لنا من تجاوز هذه المدة ايضاً الى ما قبلها بثنتين واربع عشرة سنة ، فتكون

---

(١) محاضرة الاستاذ المحقق قسطاكي بك الحمصي احد اعضاء المجمع العلمي تُليت باسمه في ردهة المجمع بدمشق يوم ٢٨ ايلول ١٩٢٣ م .

جملة المسافة التي نجتازها للوصول الى بدء تأريخنا ، الفاً وثلاثمائة واحدى وستين سنة هجرية (١٣٢٠ مسيحية) .

ولا يهولنكم قطع هذه المسافة الشاسعة ، فاننا في عصر الكهرباء ، وسنجاري الكهرباء بسرعتها ، فنقطع كل سنة بثانيتين .

للأمم وملوكها ودولها تواريخ مجهولة ، وتواريخ معلومة ، اما المجهولة فهي المدد التي عاشت فيها تلك الامة دون دول وملوك ، وكانت في حالة الهمجية ، واما تواريخها المعلومة ، فالقديمة منها ما وصلت الينا أخبارها وشاهدنا بعض آثارها ، كالدول المصرية القديمة . واليهودية . والكلدان . والاشوريين . والحثيين . وفارس . واليونان . والرومان . والعرب . وكثير غيرها ، وكلها قد باد ملكها وزالت دولها ، وتشعبت شعوبها او انقرضت وضاعت لغات اكثرها حتى لم يبق على وجه الارض فرد ينطق بها او يقرأ كتاباتها او يحل رموزها ، ولا يُستثنى من مئات تلك الامم ، الا امة واحدة ، هي الامة العربية ، أمتكم .

« الامة العربية »

هذه الأُمة أقدم الأمم من بعد قوم نوح ، وأعظمهم قدرة . وأشدهم قوة . وآثاراً في الارض ، واول أجيال العرب من الخليقة ، وكان لهم ملوك ودول في جزيرة العرب ، وامتد ملكهم الى الشام ومصر وقيل ان فراعنة مصر منهم ، ويقال انهم انتقلوا الى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام ، ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وحصون وقصور وابنية مرتفعة ، وكانت مواطنهم بين اليمن وعُمان الى حضرموت والشَحْر ، وقوم منهم العماليق اختطوا يثرب ، ومن العرب بنو ثمود وكانت ديارهم بين الحجاز والشام وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال ، وهؤلاء كلهم يسمون العرب العاربة او العرب البائدة لطموس اخبارهم وبُعْد تواريخهم وهم الطبقة الاولى من هذه الامة .

اما الطبقة الثانية منها وتسمى العرب المستعربة ، فأشهر ملوكها يعرب بن قحطان واشهر شعوبها حمير وكهلان .

واما الطبقة الثالثة فتسمى العرب التابعة للعرب وهم من البادية اهل الخيام لم يزالوا من أعظم أمم العالم واكثر أجيال الخليقة ، ينتهي اليهم العز والغلبة بالكثرة ،

فيظفرون بالملك ، ويَغلِبون على الاقاليم والأمصار ، ثم يهلكهم الترفه والنعم فيُغلبون . وهذا كله ملخص عن ابن خلدون وهو من ثقات المؤرخين .

ولقّب العرب بعد الاسلام من كان قبلهم على أمتهم بالجاهلية ، اختصوا بذلك عبدة الاصنام والمشركين ، اذ انهم كانوا يعلمون ان قبائل خيبر يهودٌ عرب مثلهم ، وعرب الشام نصارى وكان لهم قبل ذلك ملك الحجاز ، وكلاهما اهل كتاب .

ولكن هذا اللقب لا يصدق ايضاً على عبدة الاصنام والمشركين من العرب اللهم الا من قِبَل تمسكهم بعباداتهم بعد الاسلام ، اوجهلهم الكتب المنزلة ، قال في كتاب موسوعات العلوم الكبيرة الفرنسوية ما نعربه : ان هذا النعت لا يطابق الحقيقة ، اذ للبدو معرفة واسعة بالانساب وكل ما يتعلق بالتاريخ ، وكانوا يعرفون مراقبة سير النجوم ، بل فوق ذلك كله كانوا يقرضون الشعر المتخَل اللطيف ، وهو ما لا يتفق مع الخشونة التي ألصقوها بهم ، ثم انه وان كان الكلام عن عامة العرب ، فيجب ان لا يفوتنا ان العرب كانوا قسمين ، قسماً ظاعناً ، وقسماً مقيماً ، فالمقيمون منهم كانت لهم مدن في الامصار العربية ، وهؤلاء أدركوا شوطاً بعيداً من المعارف . انتهى كلام الموسوعات .

وان أمة بنت سد مأرب ، وقصر غمدان ، وضربت السكة ، ونقشت عليها صور ملوكها ، واخترعت الحروف الحميرية ، وكتبت وحفرت كتاباتها على الحجر وغيره ، وهي بين أيدينا بعد عشرين قرناً ، نقول ان أمة كهذه قد اتقنت ولا ريب فن الهندسة ومايتعلق بها ، ورصدت النجوم ، وقرضت محاسن الأشعار ، وبرعت في غير ذلك من العلوم والصناعات ، لا ننكر عليها المدنية كما انكرها عليهم بعض علماء المشرقيات في الغرب ، ومنهم العلامة (پرؤ Preux) ، الا انه لم ينكر مدنية الشرق الاسلامي كما تغالى بعض متعصبي الفرنجة ، فأنكر الهندسة العربية ، والعربية الاسلامية وآثارها ماثلة للعيان في الاندلس وغيرها ، ولكن لاعبرة بقول من يجحد المنظورات ولله در القائل :

ويظهر الجهل بي وأعرفه والدرّ درٌّ برغم مَن جهلَهْ

هذه أيها السادة مقدمة إجمالية ، في اولية الامة العربية ، ولما كانت جميع الدول العربية السابقة الاسلام ، كالعيون بالنسبة الى الاوقيانوس ، او كالبروق في ظلمات

الليالي ، بجانب الشمس المنيرة يجمل بنا ان ننظر في أولية الدول العربية ومنشئها :

خذ ما نظرت ودع شيئاً سمعت به في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

« دولة الخلفاء الراشدين »

اول عظيم قام في العرب ، هو ولا ريب النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم الى عبد مناف فما فوقه . ثم خلفه بعد وفاته ابوبكر الصديق ، ثم خلفه عمر ابن الخطاب ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن ابي طالب . وهذه هي الدولة العربية الاولى في التاريخ الاسلامي ، بدؤها منذ اعلان محمد نبوءته ، وذلك لستمائة وعشرين سنة مسيحية اي بعد مولده الشريف باثنتين واربعين او احدى واربعين سنة الى وفاة الامام علي مقتولاً وذلك سنة ٦٦٧ فتكون مدتها نحو سبع واربعين سنة . فتحت بها هذه الدولة البدوية ، اليمن والعراق والشام (اي سورية) بفلسطينها ، وممالك فارس وارمينية ومصر وطرابلس الغرب وبلاد اذربيجان وافريقية والاندلس وقبرس والافغان .

« بدء الدولة العربية الثانية دولة بني أمية »

في السنة الاربعين من الهجرة وهي السنة السابعة والستون بعد الستمائة للمسيح ، بويع بالخلافة في بيت المقدس اول من أسس دولة بني أمية وجعل سرير الخلافة في دمشق .

ومعاوية هو السلطان العظيم داهية رجال العرب معاويةُ بن ابي سفيان صخر بن حرب بن أمية الذي يُنسب اليه الأمويون ، مَلك ثماني عشرة سنة ، وكان في الحلم غاية لا تُدرك ، ومما يؤثر من كلامه قوله : اني لأرفع نفسي من ان يكون ذنبٌ أعظم من عفوي ، وجهلٌ اكبر من حلمي ، وعورةٌ لا أواريها بستري ، وإساءةٌ اكثر من احساني » وأغلظ له القول رجل ، فقيل له : « أتحلم عن هذا ؟ فقال اني لا احول بين الناس وألسنتهم ، ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا » .

وهو اول خليفة في الاسلام ، بايع ولده واكره الناس على مبايعته واولُ من استعمل الحجاب على بابه من ملوك العرب ، واول من اتخذ منهم ديوان الخاتم وحزم الكتب اي ختمها .

ومن مُلَح التاريخ ان عامله على مصر عمرو بن العاص أول ما قدم عليه في جماعة من اكابر مصر قال لهم عمروٌ قبل دخولهم على معاوية : لا تسلموا عليه بالخلافة — اي لا تقولوا له السلام على أمير المؤمنين — ذلك أهيب لكم في قلبه وصغّروا ما استطعتم ، وبلغ ذلك معاوية فأوصى حجّابه ان يتعتعوهم أشد ما يكون قبل دخولهم عليه ، اي ان يسترهبوهم و يستنزلوا الرعب والخوف على قلوبهم فيتتعتعون ، اي يستولي عليهم العي والحصر فيترددون في كلامهم ، فقال اولهم عند دخولهم السلام عليك يارسول الله وتتابع القوم على ذلك ، فلما خرجوا قال لهم عمروٌ لعنكم الله نهيتكم ان تسلموا عليه بالإمارة فسلمتم عليه بالنبوءة ·

وخلفه بعده ابنه يزيد ملك ثلاث سنين وتسعة اشهر واياماً · ثم ملك بعده ابنه معاوية الثاني أقام اربعين يوماً ومات · وتولى الخلافة بعده مروان بن الحكم بن أمية وأقام عشرة اشهر وتوفي · ثم خلفه في الملك بعده ابنه عبدالملك ، وكان من اعظم بني أمية بطشاً ، واوفرهم دهاءً ، واكثرهم حروباً ، واشدهم شجاعة وحزماً ، واغزرهم علماً وعقلاً ، وهو اول من ضرب الدنانير والدراهم في الدول العربية بعد الاسلام ، واول من نقل الديوان ، اي حسابات الدولة من الفارسية الى العربية ، واول من نهى عن الكلام في حضرة الخلفاء ، وكانت مدة ملكه عشرين سنة وخمسة اشهر ودفن بدمشق ·

ثم خلفه ابنه الوليد وكان جباراً عنيداً ، وكانت مدة ملكه تسع سنين واربعة اشهر واياماً · ثم خلفه اخوه سليمان وملك سنتين وسبعة اشهر · ثم خلفه ابن عمه عمر ابن عبدالعزيز بن مروان ، ظل سنتين واربعة اشهر ، ودفن بدير سمعان ، وبه وبعمر ابن الخطاب جرى المثل بعدل العمرين · ثم خلفه يزيد بن عبدالملك وأقام اربع سنين · ثم خلفه اخوه هشام وأقام تسعة عشرة سنة واياماً ودفن بالرصافه · ثم تولى بعده الوليد بن يزيد بن عبدالملك أقام سنةً وشهرين ونيفاً وقتل بدمشق · ثم تولى يزيد بن الوليد أقام خمسة اشهر واياماً · ثم خلفه ابراهيم بن الوليد أقام سبعين يوماً وخلع نفسه · فخلفه مروان الثاني أقام خمس سنين الا عشرين يوماً ، وكان شجاعاً حازماً ، الا ان ايامه كانت ايام فتن وحروب ، قُتل بآخرها في كنيسة من بوصير بصعيد مصر ، وكان هارباً من وجه العباسيين ، وهو آخر خلفاء هذه الدولة ،

وعدتهم اربعة عشر خليفة . بنوا المدن ، ومدنوا القبائل وغزوا وفتحوا ، وعمروا بلاداً عديدة ، ومدوا ملكهم الى الهند بآسيا ، والى صقلية اي سيسيليا باوربا ، والى اقاصي المعمور من افريقية في مدة تسعين سنة فقط .

« الدولة الثالثة وهي دولة العباسيين »

بُدئت بابي العباس الملقب بالسفاح لكثرة من قتل في اول دولته وسميت بالعباسية نسبة الى جد هذا البيت ، العباس من بني هاشم ، وبنو هاشم وبنو أمية ينتمون جميعاً الى عبد مناف ، وكلهم من قبائل قريش ، ويدعي الهاشميون الرئاسة وتعترف لهم بها قريش كلها الا ان بني أمية كانوا اكثر عدداً من بني هاشم ، والعزة بالاكثر ، ولهم قبيل الاسلام شرف معروف ، فوصل معاوية الى الخلافة بذلك ، وأسس قواعد الدولة الأموية ، فكان بين العباسيين وبين الأمويين منذ تبوأ معاوية الخلافة ، مايكون بين بيوت الملك في الدول ، من التحاسد والتضاغن ، وكان العباسيون لايفترون هم وقومهم من بني هاشم ، عن نصب المكائد ، وتسعير الفتن وايغار الصدور ، والطعن على اعمال الأمويين وعمالهم ، والادعاء عليهم باغتصاب الخلافة من بيتهم ، وكان الأمويون يشددون على بني العباس وشيعتهم ، بين سجن وتعذيب وقتل كلما رابهم منهم مريب ، وكان بين البيتين من الوشاة والحساد والمفسدين ، مايكون مثله في قصور الملوك ودور الامراء ، سنة في الخلق وخليقة من طبائع العمران .

ولم تعدم دولة الأمويين خلفاء يُعدّون من أعاظم ملوك الارض دهاءً وتدبيراً وحزماً وعدلاً ، كعبد الملك بن مروان وابنيه الوليد وهشام وعمر بن عبد العزيز ، كما انها لم تخل من خلفاء أبطرهم الملك فأفسدوا وأساؤا كالوليد بن يزيد ، وكانت اتسعت فتوح الدولة الأموية وامتدّ ملكها امتداداً لايصونه ، الا العدل والقوة والتدبير ودهاء السياسة . وكان دعاة بني العباس منذ زمن طويل قد انتشروا في الحجاز والعراق وبلاد فارس ، يبثون الدعوة للعباسيين ، ويفسدون على الأمويين اعمالهم ، ويطعنون فيهم وفي عمالهم حتى انحرفت عنهم اكثر قلوب الامة .

ولما استوثق السفاح من شيعته ، جاهر بدعوة الخلافة لنفسه ، فبايعه الناس بالكوفة وغيرها في السنة الثانية والثلاثين بعد المائة للهجرة ، وهي تقع في الخمسين بعد

السبعمائة للمسيح ، وظلت خلافتهم في بغداد خمسمائة واربعاً وعشرين سنة ، تولاها سبعة وثلاثون منهم ، ثم انتقلت الى مصر وتولاها فيها ثلاثة عشر خليفة منهم ، خلافة لم يكن لهم منها غير الاسم ·

أقام السفاح اربع سنوات وأشهراً وتوفي سنة ١٣٦ (سنة ٧٥٤م) · ثم خلفه اخوه ابو جعفر المنصور ، كان مهيباً شجاعاً يقظاً مدبراً عالماً فصيحاً ، داهية ظالماً بخيلاً ، بنى مدينة بغداد ومهد اطراف ملكه الشاسع ، وترك عندموته خزينة الملك مملوءة من أموال الخراج والمظالم ما يكفي خلفه عشر سنين ، بعد ان أقام في الخلافة اثنتين وعشرين سنة وتوفي للثامنة والخمسين بعد المئة (سنة ٧٧٦م) · ثم خلفه ابنه المهدي ملك تسع سنين وعشرة اشهر ، وكان حليماً كثير العفو عن المذنبين ، باهر الجمال ، توفي مسموماً على اصح الروايات للتاسعة والستين بعد المئة (سنة ٧٨٦م) ·

ثم خلفه ابنــه موسى الهادي ملك سنة وثلاثة اشهر ، وكان جواداً فصيحاً عالماً مهيباً ، مات مسموماً في السبعين بعد المئة (سنة ٧٨٧م) ·

اما هرون الرشيد فهو ابعد ملوك الارض صيتاً ، وأعظمهم همةً ، واكثرهم غزواً ، وأوفرهم حباً للأدب والشعر ، وأشدهم كرماً ، كان داهيةً باحوال السياسة ، شديد البطش ، عالماً ناصراً للفنون ، شـاعراً محباً للعمران والحضارة ، زين بغداد بالقصور المتعددة ، والمبـاني الفخمة ، والمصانع النافعة ، والمدارس والمساجد ، وبنى مدينتي الرقة والهارونية ، ولم تزل أطلال قصره وبعض جدرانه قائمة الى اليوم في الرقة · وقد شاهدتها وعدت عنها حزيناً ·

ولم يسبقه احد من ملوك الارض بفرط تكريم العلماء والشعراء ولم يجـاكه احد بوفور الإنعام عليهم ، وكان موفقاً محظوظاً ·

فقد ازدان ملكه بوزرائه بني برمك الذين كانوا من محاسن الدنيا عقلاً وحكمة ، وادباً وجوداً ، ثم نكبهم نكبة تناقلتها القرون ، لاستبدادهم بالملك والملك عقيم ·

الا ان بعض مؤرخي الفرنج — ومتأخرهم ينقل عن متقدمهم ما يروونه عن العرب دون تمحيص — لم ينصفوا الرشيد فأكثرهم يصفه انه كان أثراً ظالماً عتياً ، يستشهدون بايقاعه بالبرامكة وبما حكاه القُصاص من العرب عن نكبتهم ، وما تكهنوه لها من

الاسباب التي تخالف كل قياس منطقي ، وذلك نقلاً عن ألسنة العامة بعد وقوعها بزمن طويل . اذ اننا لم نجد مؤرخاً ثقةً نقل حقيقة السبب الذي حدا الرشيد الى ذلك القصاص الشديد بعد علو القدر وجلالة المنزلة التي كانت ليحيى البرمكي واولاده عنده ، وأحسن ما قرأته عن ذلك وأحسبه أقرب الى الحقيقة من كل ما روي ، ما ورد عن سعيد بن سالم وقد سُئل عن جناية البرامكة فقال ماتحصيله : انالرشيد رأى كثرة حمد الناس لهم ورميهم بآمالهم دونه . والملوك تتنافس باقل من هذا ، الى ان قال ووقع منهم بعض الادلال خاصةً جعفر والفضل دون يحيى : فانه كان أحكم خبرةً واكثر ممارسةً للامور ، ولاذ بالرشيد من اعدائهم كالفضل بن الربيع فستروا المحاسن وأظهروا القبائح .

هذا ما ظهر لهذا الرجل ، وما يدرينا ما ثبت عليهم عند الرشيد من الذنوب والجنايات ، كإصدار امرٍ او نهيٍ باسم الخليفة دون مشورته ، اواستخفاف باوامره ونواهيه ، ولعل هذا كل السبب في ذلك كما يفهم من اطلاق جعفر ليحيى بن الحسين وكان خارجاً على الخلافة ، ولما سأله عنه الرشيد أقسم له برأسه انه لم يزل محبوساً ، وكما يفهم من الابيات التي رفعت الى الخليفة وهي :

قل لأمين الله في ارضه	ومَن اليه الحلُّ والعقدُ
هذا ابن يحيى قد غدا مالكاً	مثلك ما بينكما حدّ
امرك مردودٌ الى امره	وامره ليس له ردّ
وقد بنى الدار التي ما بنى	فرسٌ لها مثلا ولا الهند
ونحن نخشى انه وارثٌ	ملكك ان غيّبك اللحد
ولن يباهي العبد أربابه	الا اذا ما بطر العبدُ

ونحن نرى في هذه الحكاية ووراء هذا اللفظ يداً بل أيدياً عباسية ، وصدوراً مُلئت حقداً على جعفر وغيرةً منه ، ونفساً هاشمياً ، والناقد البصير يرى في صلب جعفر وحبس ابيه وأخيه وسائر قرابتهم ، ما يؤكد ان ذلك القصاص الشديد كان قمعاً لفتنة كامنة ، وقطعاً لالسنة طاعنة ، وردعاً لكل استخفاف بسلطان الخلافة ،

وقد حُظر على الناس التحدث بذلك يومئذ كما يفهم من قول الشاعر الرقاشي في رثاء البرامكة :

فلم ار قبل قتلك يا ابن يحيى حساماً فلّه السيف الحسام
اما والله لولا خوفُ واشٍ وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام

ووقع أمثال هذه الحادثة بعدها في كثير من دول الغرب ، ورأى غير واحد من مؤرخيهم عدالة ذلك القصاص في شرع السياسة . على ان أدقَّ من نظر من المؤرخين في هذه الحادثة نظراً سياسياً مطابقاً لعادات ذلك العصر وشؤونه ، ودحض هذر القصاص ، هو الفيلسوف ابن خلدون ، وبهذا كفاية للرد على أقوال بعض المؤرخين من الفرنجة وغيرهم .

ولنعد الى تتمة الكلام على هارون الرشيد فقد تحلى بلاطه بعظماء الرجال من كل فن ، فمن أطبائه آل بختيشوع ، ومن شعرائه ، ابو نواس . وابو العتاهية . ومسلم ابن الوليد . والعباس بن الاحنف وأضرابهم ، ومن القُصّاص الخليل بن احمد واضع العروض . والاصمعي ، ومن الندماء ابراهيم الموصلي . وزلزل . وابن جامع . وابن الزف" وأضرابهم ، وقضاته ابو يوسف يعقوب الانصاري وابنه يوسف . وابو البختري وهب القرشي وأمثالهم ، ومن العلماء سيبويه . وابن يونس ، ومن الأئمة ابو حنيفة . والشافعي . والامام احمد بن حنبل . ملك اثنتين وعشرين سنة وسبعة اشهر شمسية وتوفي للسنة الثالثة والتسعين بعد المئة للهجرة (٨١٠م) في طوس ودفن بها . وأجمع المؤرخون على ان الرشيد ترك في بيت المال تسعمائة الف الف دينار ، والدينار يساوي مثقالاً ذهباً او نحو ليرة فرنسوية ، ولعل الاصل تسعون الف الف اي تسعين مليوناً .

وقال ابن خلدون وهو ثقة : رأيت في بعض تواريخ الرشيد ان المحمول الى بيت المال في ايامه سبعة آلاف قنطار وخمسمائة قنطار في كل سنة انتهى قوله . والقنطار فيما ذهب اليه المحققون اربعة آلاف دينار ، فتكون جملة ذلك ثلاثين مليوناً من الدنانير ، وهو مبلغ لا يستكثره من وقف على سلطان الدولة العباسية . وقد كانت

الدولتان العربيتان قبلهما مهدتا لها الملك الشاسع ، فاستباحتا لها ملك فارس والروم اهل الدولتين العظيمتين في العالم لذلك العهد ، والترك بالمشرق حتى الصين ، والفرنجة والبربر بالمغرب ، والقوط (الكوت) بالاندلس ، وخطت جنود العرب من الحجاز الى السوس الاقصى ، ومن اليمن الى الترك باقصى الشمال واستولت على الاقاليم السبعة . وكانت لعهد الرشيد تحمل المكوس والضرائب والجزية والخراج الى بيت المال من الهند والصين ومصر وفارس وسورية وغيرها .

ثم خلفه ابنه محمد الامين أقام في الملك اربع سنين وخمسة اشهر اوتزيد ، وكان شجاعاً اديباً شاعراً ، محباً للهو ناقص التدبير ، فاختل الملك ، وسعى الوشاة بينه وبين اخيه المأمون ، ففسد مابينهما ، وكثرت الفتن وقامت الحرب بينهما ، وقتل في آخرها الامين وذلك سنة ١٩٨ (٨١٤م) .

ثم قام في الملك بعده بطل محاضرتنا امير المؤمنين ابو العباس عبد الله المأمون السابع من بني العباس . واذ وصل بنا الحديث الى خلافة المأمون ، فيجدر بنا ان نلقي نظرة إجمالية على بسيط ملكه الممتد الاطراف ، البعيد الاكناف ، ثم على دخل خزينته ، ليكون السامع على ثقة بما نرويه عن نفقات ذلك العرس ، وهو مما لم يروَ له شبه في تاريخ أمة من الامم ، ثم نلمح بغداد مقر الخلافة العباسية لمحة سريعة لنعلم كيف كانت لعهد ذلك العرس ، ثم نلم بشيء من صفات المأمون واخلاقه وعلومه وغزواته ، ثم نتعرف بحمي الخليفة وهو الحسن بن سهل ، ثم ببوران ابنته عرس المأمون .

«المملكة العباسية»

كانت المملكة العباسية لعهد المأمون ممتدة في آسيا من بغداد وسائر العراق الى الحجاز واليمن وفلسطين والشام (اي سورية) وارمينية ومملكة فارس (ايران) وافغانستان وقسم من الهند والصين ، ثم مصر في افريقية واكثر المعمور منها ايضاً ، قال ابن خلدون : وجد بخط احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل (اي حساب) بما يحمل الى بيت المال ببغداد ايام المأمون من جميع النواحي نقلته من جراب الدولة (اي دفتر) وعدّد الغلاّت بلداً بلداً ومملكةً مملكةً فبلغت ثلاثة ملايين وثمانمائة وسبعة عشر الف دينار ومائتي مليون وسبعة وستين مليوناً وثمانمائة وخمسة وعشرين الفاً وثمانية

دراهم اه · فاذا حسب الدرهم عشر الدينـار حسب رواية ابن خلدون وغيره ، كان مجموع الدخل في تلك السنة ثلاثين مليوناً من الدنانير ، ما خلا الوفاً من سبائك الفضة ، والوفاً من الحيوان كالخيل والبغال والبراذين والبقر والغنم ، والرقيق والثياب والاكسية الحريرية والزيت والعسل والعود الهندي والفرش والبسط والتمر وعطر الورد والسكر وغيره ، وذلك كما كان لعهد ابيه هرون الرشيد حسبما بيناه بل ربما زاد عنه ، وهذه الاموال كانت تحمل الى بيت المال من العمال والولاة في تلك الاقطار ، وكان الخليفة يولي عليها كبار الرجال والقواد من اهل بيته ، او ممن لهم سابقة خدمة في الدولة من اهل الكفاية والتدبير ، وهؤلاء يولون من هم دونهم من ذويهم وصنائعهم على جباية الخراج ، وكانوا في الغالب يجعلون الجباية إقطاعاً اي التزاماً او مزايدة ، كالتعشير ليومنا هذا ، ولما كان الظلم من الاخلاق الانسانية ، والامانة عزيزة في الطبائع البشرية ، وكانت الفتوح في ذلك العهد وقبله كثيرة ، وطرق الكسب والغنائم سهلة متوفرة ، فكان كسب الولاة وعمالهم يومئذٍ مما لا يكاد يصدق لو لا ما لدينا من الحقائق التاريخية التي لا ريب فيها ·

وكان للدولة العباسية خزانة أُخرى تسمى بيت مال المظالم ، وهي الاموال التي كان يستصفيها الخليفة من وزرائه وعماله ، او التي كان يعتصرها الولاة والعمال ممن هم دونهم عند الارتياب بامانتهم ، او الطمع بثروتهم ، فيُنزلون عن مراتبهم ويسجنون ، وعاقبة ذلك في الغالب القتلُ صلبًا او خنقًا ، وتُستصفى أموالهم من صامت وناطق ، وأملاكهم جميعها وتحمل الى بيت مال المظالم · واما ما كان هنالك من كنوز الأموال والدرر النادرة ، والجواهر الفريدة ، وغرائب التحف الثمينة ، وعجائب المصنوعات فحدث عن البحر ولا حرج ، ومثل هذا كان جارياً لذلك العهد وبعده ، في سائر الدول ، دون بيت مال يسمى مال المظالم ، وليس عهد ذلك ببعيد في الدولة التركية · فاذا عُلم هذا كان تمهيداً لما يأتي عن ثروة الحسن بن سهل ختن المأمون وكرمه الجم ·

« للكلام صلة » قسطاكي الحمصي

الشوقيات

« الجزء الاول »

— لاحمد شوقي —

شعر شوقي أكمل صورة تمثل حاضر الأمة المصرية ، كما انه أصفى مرآة تتراءى بها حياة مصر السياسية والاجتماعية والأدبية .

والعوامل التي هيأت هذا الشاعر جمّة : فهو من حيث الدم والعرق مزيج من شعوب شتى اذ كما يقول عن نفسه : عربي تركي يوناني جركسي لانه يمتّ الى هذه الشعوب بأنساب آبائه وأمهاته . وهو من حيث المولد والنشأة مصري ، وُلد ونشأ في بيت اسماعيل عزيز مصر ، وناهيك ببلاط اسماعيل وما فيه من البذخ والترف والأبهة والجلال ، وأرسله الخديو توفيق الى اوربا ليتم تحصيله في مدارسها ، فتثقف بالثقافة الغربية وانفسح لخياله مجال واسع من عالم الشعر ، فلما توفي توفيق وولي بعده ابنه عباس كان شوقي شاعره الخاص ورفيقه وسميره ومن أعظم الناس نفوذاً في قصره .

وشبت الحرب العامة ، وخلع عباس ، وولي حسين كامل ، وشوقي محافظ على ولاء مولاه محافظةً حمّلته عناء النفي والتغرب عن مصر والذهاب الى الاندلس التي ظلّ بها الى ما بعد انقضاء الحرب والتي بعثت في نفسه ذكريات المجد الخالد الذي أقامه العرب في تلك الربوع فنظم بها قصيدة جيدة .

حوادث خطيرة وأمور مدهشة وتطور عجيب أدركها شوقي : عظمة اسماعيل وسقوطه ، والثورة العرابية ، واحتلال انكلترة للقطر المصري ، وتولية توفيق ووفاته ، وإقامة عباس وخلعه ، وما نتج عن هذه الأحداث من قلب الحياة المصرية رأساً على عقب ، وسريان التمدين الاوربي في القطر المصري ، واخذ المتعلمين من الناشئين بنواحيه ، وتنبه الافكار الى اقتباس التربية الغربية ، وشيوع الروح الوطنية والحماسة الشعبية في نفوس المصريين ، وما بذلوه من جهودهم وأموالهم ودمائهم في مظاهراتهم وثوراتهم الأخيرة في سبيل استقلالهم .

بينا هذه الحوادث تجري في مصر كان الشرق الاسلامي والعالم العربي تنزل على رأسه الضربة تلو الضربة من الطمع الاوربي والجشع الاستعماري ، وكان يتثاءب من رقاد طويل ويفتح عينيه بعد نوم عميق ، ولكن على مجازر وفجائع ، بعثت فيه ثورة فكرية ما زالت تتمخض بأحداث عظيمة ما سيكون منها أعظم مما كان وما هو كائن .

وشوقي ، المصري بمولده ومنشئه ، والمسلم بدينه وعاطفته ، والعربي بلسانه وفنه ، والواقف على الثقافة الغربية ، والعارف بما عند الغربيين من حول وطول ، وبما تنطوي عليه نفوسهم من حيلة ودهاء ، جرت كل هذه الحوادث على مشهد منه فهيأته لأن يكون الشاعر الفرد في عصره .

* * *

يمتاز شوقي بقوة طبعه ، وسعة خياله ، وسمو شاعريته ، ودقة حسه ، وسرعة ملاحظته ، وكونه خلق شاعراً قبل كل شيء ، ويكمل ذلك روعة بيانه ، وفصاحة أسلوبه ، وكرم ديباجته ، وكثرة الماء في شعره ، وذوقه الموسيقي الشعري في الفاظه وتراكيبه ، واضطلاعه بفنون البلاغة ، ووفرة معرفته بالتاريخ والأدب ، فهو قد استوفى أدوات الشاعر الخلقية والكسبية ، وهو اذن الشاعر حقاً .

لا اعرف شاعراً في هذا العصر قادراً على تصوير كل ما يجول في نفسه ويحوك في صدره ، مجوّداً في كل فن من فنون الشعر مثل شوقي ، فتراه يلج الى الشعر من كل باب ، ويترجم به عن كل خالجة ، والشعر أطوع له من ظله ، ينظم في المواضيع السياسية والوطنية والإجتماعية والتاريخية والفلسفية والادبية والقصصية والاقتصادية ، وفي ما بعد الطبيعة وفي باب التربية والتعليم والمواعظ والحكم والأخلاق ، ويصور الآثار الخالدة ومشاهد الطبيعة ، ويتغزل ويتصابى ويصف الخمرة ومجالس الأنس والرقص والرياض ، ويفتخر ويمدح ويرثي ويعزي ويتهكم ، بأسلوب عربي فصيح ، حتى انه لم يشأ ان يفوته نظم الشعر العامي المعروف بالمواليا فلقد عاناه ونظم جملة منه .

وكأن جو مصر لم يسعه فلقد تعداه الى غيره من الاقطار الشرقية ، ولم يكتف بان يكون شاعر مصر بل طمح الى ان يكون شاعر العرب والإسلام والشرق .

وقعت الحرب العثمانية اليونانية أيام السلطان عبد الحميد فعناه امرها اكثر مما

عني كل شاعر تركي ونظم بها قصيدة طويلة اتى فيها على حوادث الحرب منذ البداية الى النهاية واول القصيدة :

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب   وينصر دين الله أيان تضربُ

وأردفها بقصيدة ثانية في الموضوع نفسه مطلعها :

بحمد الله رب العالمينا   وحمدك يا امير المؤمنينا

وأُلقيت على السلطان عبد الحميد قذيفة ونجا من شرها فقال قصيدة أولها :

هنيئاً امير المؤمنين فإنما   نجاتك للدين الحنيف نجاةُ

وأُعلن الدستور العثماني فقال فيه قصيدة مطلعها :

بشرى البرية قاصيها ودانيها   حاط الخلافة بالدستور حاميها

وخلع السلطان عبد الحميد فقال في ذلك قصيدة أولها :

سل (يلدزاً) ذات القصور   هل جاءها نبأ البدور

وهي قصيدة عامرة كان أديب العصر الامير شكيب ارسلان يتلوها وكنت اسمعه يقول عقب كل بيت منها (تقريباً) : لو لم يكن في هذه القصيدة غير هذا البيت لكفى .

ثم لما شبت الحرب البلقانية وكانت نتيجتها ضياع الروملي قال في ادرنة قصيدة فريدة دعاها الاندلس الجديدة مطلعها :

يا اخت أندلسٍ عليك سلامُ   هوت الخلافة عنك والاسلامُ

ولما غُلبت الدولة العثمانية في الحرب العامة واحتلت الحلفاء بلادها وقام على اثر ذلك مصطفى كمال بثورته المشهورة نظم قصيدة دعاها (انتصار الاتراك في الحرب والسياسة) اولها :

الله اكبر كم في الفتح من عجب   يا خالد الترك جدد خالد العربِ

وثانية عنوانها (تكايل انقرة وعزل الاستانة) مطلعها :

قم ناد (انقرة) وقل يهنيكِ   ملك بنيت على سيف بنيكِ

ولما ألغى مصطفى كمال الخلافة وطرد الخليفة بكى الخلافة أحرّ بكاء ورثاها أفجع رثاء بقصيدة أولها :

عادت أغاني العرس رجع نواحِ   ونعيتِ بين معالمِ الافراحِ

هذا بعض ما قاله في الاتراك وله في البلاد العربية قصائد منها قصيدة يستندي

بها اكف المصريين لاعانة المقاتلين في طرابلس الغرب حين أغارت ايطاليا عليها اولها :

يا قوم عثمان والدنيا مداولة   تعاونوا بينكم يا قوم عثمانا

وقصيدة دعاها (نكبة بيروت) قالها حينما ضرب الاسطول الطلياني هذه المدينة مطلعها :

يا رب أمرك في الممالك نافذ   والحكم حكمك في الدم المسفوكِ

ولما زار الشام في الصيف الماضي قال قصيدة في لبنان أولها :

السحر من سود العيون لقيته   والبابلي بلحظهن سقيته

وقصيدة في دمشق مطلعها :

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا   مشت على الرسم أحداث وأزمان

وقد كانت هذه القصيدة غاية في البراعة ، فانه ضرب بها على مكامن الحس من قلوب الدمشقيين ، وبلغ مواطن عواطفهم فاستثارها ، فذكر لهم عدنان وغسان وأمية وعبد شمس ومروان ، وذكّرهم بالدولة العربية التي كانت دمشق عاصمتها ، وأفجّع على ذلك التاج الذي هوى ، وبكى ذلك العَلَم الذي انطوى ، ورثى ذلك العرش الذي ثُلّ ، واستجاشهم لإحياء المجد الدارس ، فألهب قلوبهم حمية ، وأجرى دموعهم حزناً ، والفتى الدمشقي يكفي ان تعرّض له ببعض هذه الذكريات ثم تدفعه الى مواجهة الموت الزؤام .

ولما ضُربت دمشق رثاها بقصيدة كانت عزاء حسناً للدمشقيين على كارثتهم واولها :

سلام من صبا بردى أرقُّ   ودمع لا يكفكف يا دمشقُ

وكذلك فان بصره امتد الى اقصى الشرق فرثى لليابانيين حينما اجتاحتهم الزلازل بقصيدة مطلعها :

قف بطوكيو وطف على يوكاهامهْ   وسل القريتين كيف القيامهْ

* * *

في شعر شوقي روح دينية ظاهرة ، فكثيراً ما يرد اسم الله والملائكة وجبريل ومحمد والقرآن والدين والايمان والإسلام ومشاعر مكة والمساجد والاذان ، ومع تفوق روح الدين الاسلامي في شعره تراه يعظّم كثيراً من شأن بقية الاديان السماوية ، فيلهج بذكر موسى وعيسى والعذراء ، و يتأدب عند ذكر مقدساتها ، فالصليب في شعره رمز الرفق والعطف والحنان .

وحوادث التاريخ والإشارة اليها والاستشهاد بها كثير في شعره لا سيما أعاظم الرجال فانه مفتون بهم مغرىً بذكرهم فالفراعنة والاكاسرة والقياصرة وخلفاء العرب وسلاطين الترك شائع ذكرهم في قصائده وله منظومات قصرها على الاشادة بمفاخر العظام كقصائده بالنبي والصديق وتوت عنخ آمون وعبد الرحمن الداخل وصلاح الدين الايوبي وشكسبير ونابوليون بونابارت ومحمد علي واسماعيل ومصطفى كمال وغيرهم ممن يعظم شأنهم وكم يدور في شعره اسماء بعض الخالدين مثل هومير وسقراط والاسكندر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وخالد بن الوليد والحسين بن علي وعمرو بن العاص وهرون الرشيد وغيرهم ٠

* * *

ولشوقي أثر ظاهر في الشعر من حيث تنويع ابوابه وجعله ترجماناً للحياة بعد ان مرّ عليه زمان كان فيه أداة فكاهة وتسلية كما ان أسلوبه العذب جرى عليه كثير من شعراء العرب المعاصرين فكثيراً ما يقول شوقي القصيدة فيبادر غير واحد من الشعراء الى مجاراته في البحر والقافية والموضوع ٠ وهو لم يخرج في طريقته على الاسلوب العربي على كثرة ما يتناوله من الموضوعات الجديدة ووصف المستحدثات كقصائده في العمال والصحافة وبنك مصر والهلال الاحمر والمؤتمر الجغرافي والطيارة وما يشابهها بل انك لترى في كل ذلك كلمات وتراكيب هي مثال عالٍ في الفصاحة مع سمو الخيال ٠ وفي هذا دليل على ان العربية وأساليبها لا تعجز عن استيعاب كل منحى من مناحي الشعر العصري وماتستدعية المدنية من التوسع والتجدد ٠

اما قوته على استهواء النفوس ونفوذ سحره الى مكامن الحس والشعور فنجتزئ عن ايراد الشواهد عليها بقطعة من أبيات استعطف بها السلطان محمد رشاد على عزيز علي المصري قال :

هذا مقام أنت فيه محمد ... والرفق عند محمد مأمولُ

بالله بالاسلام بالجرح الذي ... ماانفك في جنب الهلال يسيل

الا فككت عن السجين وثاقه ... ان الوثاق على الأسود ثقيل

فانظر الى قوله (هذا مقام أنت فيه محمد) ما أشد تأثيره فيمن يكون خليفة وكم يهز نفسه ويبعث فيها الاريحية حتى تلين وتقبل الانطباع بما سيرد عليها فتتقبل

الرجاء وتستجيب الدعاء ، واي خطاب أعظم وأكرم وأشرف من هذا الخطاب ؟ ثم انظر بم استحلفه وباي قسم عزم عليه ؟ بالله الذي يعتبر نفسه ظله على الارض ، والإسلام الذي يتشرف بكونه خادمه وحاميه والجرح الذي كان في علم الاسلام يسيل بعد ضياع البوسنة والهرسك وطرابلس الغرب والروملي ، وانا اظن ان لو استعطف الرشيد بهذه الابيات على البرامكة لوهبهم للشاعر .

ليس لشوقي فلسفة خاصة في الحياة ولكنه مولع بالدعوة الى مكارم الأخلاق على وجه سطحي عام ودعوته هذه أشبه بالموعظة منها بالرأي الذي يعتمد على أسس وقواعد وهو مع ذلك كثير التمتع بملذات الحياة .

ومما لا مرية فيه انه في السنوات الأخيرة شارك الامة المصرية في عواطفها وشعورها وقاسمها سراءها وضراءها واكثر من قول الشعر اكثر من قبل فلا تقام حفلة في مصر إلا كان شوقي شاعرها ولا يحدث فيها امر ذو بال إلا طلع شوقي على الناس بقصيدة يستوعب فيها الحادث ويرشد الناس الى ما يجب عمله .

نشط منذ بضع سنين بعض الأدباء الى مناقشة شوقي في شعره ، فانتقدوه انتقاداً مراً ، ونعوا عليه كثيراً من سقطاته ، وتتبعوه في زلاته ، وذموا مذهبه في الشعر ، وادعوا انه مخالف للفن بعيد عن الجمال ، خارج عن حقيقة الشعر ، بهرج لا يثبت على محك النقد ، ولئن خدعت به الأمة في طور جاهليتها فلا يجوز ان تنخدع به بعد ان ارتقى ذوقها الأدبي . ونحن لا ندعي ان كل ما قاله شوقي في مستوى واحد من الجودة او أن شعره جلّ عن النقد وتبرأ من العيوب ، فان هذه غاية لم يبلغها شاعر ، ولكن اذا أمكن ان تعد سيئاته فحسناته لا تحصى ، وهو مع إكثاره قليل السقطات ولو أسقط السخيف من شعره لبقي من الحر البارع مقدار عظيم ليس لشاعر مثله في هذا العصر ، وما من شاعر سعد بشعره كما سعد شوقي ، وما اتفقت الآراء واصطلحت الاهواء على تقديم شاعر كما اتفقت على تقديمه . اذكر مرة انني أنشدت اديباً من كبار أدباء العراق قصيدة لشوقي يصف بها الطيارة مطلعها :

* * *

(قم سليمان بساط الريح قاما)

فانتصب واقفاً وقال : من حق هذا الشعر ان يسمعه الانسان قائماً لا قاعداً .
فلا غرابة بعد ذلك اذا زعم بعض الناس ان الرجل مزهو تيّاه متجرف نخور .

ويقال ان طريقته في قرض الشعر ان ينظم القصيدة كلها في ذهنه ثم يمليها . وهو لا ينشد شعره بنفسه بل يتلوه سواه ، ولعله يعتبر ذلك من مقتضيات الترفع والاباء والشمم . و يريد ان يجري على سنن بعض كبراء الشعراء فقد كان ابوتمام الطائي لا ينشد شعره بنفسه بل كان له غلام لا عمل له غير الإنشاد . وابو الطيب المتنبي كان ينشد شعره بحضرة الملوك قاعداً لا قائماً ، هذا اذا لم يكن لدى شوقي سبب يمنعه من الإنشاد كخفوت الصوت او عدم ممارسة ارتقاء المنابر .

* * *

اما الجزء الاول من الشوقيات الذي تقدّم اليّ المجمع العلمي ان اكتب عليه فلقد حوى طائفة صالحة من شعر الشاعر في السياسة والتاريخ والاجتماع وما يتعلق بذلك من الفنون والأغراض واستقصاء مافيه من المحاسن والدلالة عليها او الإشارة اليها والتنويه بها يستدعي نقل اكثر الديوان ولكننا نجتزيء بنقل نبذة يسيرة نحلي بها جيد هذا الفصل . ولنبدأ بايراد شيء من معانيه الرائعة واكثرها مبتكر فمن ذلك قوله في النبي عليه الصلاة والسلام .

نُظمت أسامي الرسل فهي صحيفة في اللوح واسم محمد طغراءُ

وقوله فيه ايضاً :

وأسدتْ للبرية بنتُ وهب يداً بيضاء طوقت الرقابا
لقد وضعته وهّاجاً منيراً كما تلد السمواتُ الشهابا

وقوله في الشمس :

مشيبة القرون أُديل منها ألم تر قرنها في الجو شابا

وقوله في الدنيا :

ومن تضحك الدنيا اليه فيغترر يمت كقتيل الغيد بالبسمات

وقوله في الجهل :

الجهلُ لا يلد الحياةَ مواتُه　　الا كما تلد الرمام الدودا

وقوله في أبي الهول :

ابا الهول ما ذا وراء البقا　　ء اذا ما تطاول غير الضجرْ
عجبتُ للقمان في حرصه　　على لبدٍ والنسور الأُخر
وشكوى لبيد لطول الحيا　　ة ولو لم تطل لتشكى القصر
ولو وُجدتْ فيك يا ابن الصفا　　ة لحقتَ بصانعك المقتدر
(فان الحياة تفل الحديـ　　ـد اذا لبسته وتبلي الحجر)

وقوله في الحسان :

القاتلات باجفان بها سقم　　وللمنية أسباب من السقم

وقوله في الدنيا ايضاً :

لا تحفلي بجناها او جنايتها　　الموت بالزهر مثل الموت بالفحمِ

وقوله في العيال وهو غاية في حسن التعليل :

قد دعا كم ذنب الهيـ　　ـئة داعٍ فأصابا
هي طاوس وهل أحـ　　ـسنه الا الذنابا

وقوله في مشرط الطبيب :

كريم الظبا لا يقرب الشر حده　　وفي غيره شر الورى ومعاطبُهْ
اذا مرَّ نحو المرء كان حياته　　كإصبع عيسى نحو ميت يخاطبه
وايسر من جرح الصدود فعاله　　وأسهل من سيف اللحاظ مضاربه

ومثل هذا في الديوان كثير ولا بأس بنقل شيء من شعره يدل على رأيه في الضجة القائمة حول القديم والحديث من الأدب فمن ذلك قوله من قصيدة في تكريم امين افندي الريحاني :

هومير أحدثُ من قرونٍ بعده　　شعراً وان لم تخل من آحاد
والشعر في حيث النفوس تلذه　　لا في الجديد ولا القديم العادي
حق العشيرة في نبوغك اول　　فانظر لعلك بالعشيرة باد
لم يكفهم شطر النبوغ فردهمو　　إن كنت بالشطرين غير جواد
او دَعْ لسانك واللغات فربما　　غنى الاصيل بمنطق الأجداد

انّ الذي ملأ اللغات محاسناً جعل الجمالَ وسره في الضاد

وقد شرح البيت الاول بما نصه : (هومير شاعر يوناني قديم كان شعره قصصاً يضمنه وصف الأبطال والإشادة بذكرهم وهو صاحب الالياذة يريد ان شعره على انه قديم فهو أجود من شعر الذين جاؤا بعده وان كانت ايامهم لم تخل من شعراء مجيدين هم آحاد في عددهم) .

وشرح البيت الثالث بما نصه : (حق العشيرة الخ في هذا البيت والأبيات بعده أمور اخذ بها الريحاني في رفق ولين فهو يقول له ان كانت معانيك في كتابتك جيدة فألفاظك فيها رديئة لانك أهملت جانب اللغة العربية وهي الشطر الثاني من شطري النبوغ وايضاً يقتضي الوفاء لعشيرتك وقومك ان تحسن لغتهم حتى تغني بها) .

وقوله ايضاً :

لا تحذ حذو عصابة مفتونة يجدون كل قديم شيءٍ منكرا
ولواستطاعوا في المجامع انكروا من مات من آبائهم او عمّرا
من كل ماضٍ في القديم وهدمه واذا تقدّم للبناية قصّرا
واتى الحضارة بالصناعة رثّةً والعلم نزراً والبيان مثرثرا

وله في هذا المعنى ابيات من قصيدة في رثاء المنفلوطي ننقلها — وان لم تكن مثبتة في الديوان — لانها أوضح واكثر تحريراً لرأيه :

لم يجحد الفصحى ولم يهجم على أسلوبها او يزرِ بالأوضاع
لكن جرى والعصر في مضمارها شوطاً فأحرز غاية الإبداع
حر البيان قديمه وجديده كالشمس جدة رفعة وشعاع
يونان لو بيعت بهومير لما خسرت لعمرك صفقة المبتاع

ولنذكر موقفاً من مواقفه المحمودة في الوفاء فمن ذلك قوله من قصيدة في تهنئة السلطان حسين كامل بعد خلع الخديو عباس :

سبحان من لا عزّ إلا عزّه يبقى ولم يك ملكه ليزولا
لا تستطيع النفس في ملكوته إلا رضىً بقضائه وقبولا
الخير فيما اختاره لعباده لا يظلم الله العباد فتيلا

الله يشهد ما كفرت صنيعةً في ذا المقام ولا جحدت جميلا
وهو العليم بان قلبي موجع وجعاً كداء الثاكلات دخيلا
أأخون اسماعيل في أبنائه ولقد وُلدتُ بباب اسماعيلا
ياأكرم الأعمام حسبك ان ترى للعبرتين بوجنتيك مسيلا
من عثرة ابن اخيك تبكي رحمة ومن الخشوع لمن حباك جزيلا
ولو استطعتَ إقالة لعثاره من صدمة الاقدار كنت مقيلا

وفي الديوان قصيدة عنوانها (دمعة وابتسامة) جعلها تهنئة لأم الخديو عباس بعودتها الى مصر وتعزية في حفيدها الذي سبقتها رفاته الى مصر يقول فيها :

ملكتْ نفسكِ حتى سئمتْ ضجة الملك وهمّ المالكين
دولة مهدت في كرسيها وحملت التاج فيها اربعين
امّ عباس عزاء الله ان عيّ بالرزء عزاء المخلصين
غير هذا الجرح داوى قلبي هو جرحي وهومستعصٍ كمين
سرّني ان قرّب الله النوى وشجاني في غدٍ من تدفنين
قمر حيف عليه فانتحى منزلاً بين الأصول الآفلين
شفّه الأيك حنيناً فقضى وكرام الطير يرديها الحنين
فأخذنا قسطنا من ثكله علّنا نحمل عنكم أو نعين
ورفعنا في الضحايا ذكره وأذعنا يومه في الآخرين
ووجدنا عند ذكرى دمه طيب أبناء (الحسين) الطاهرين
وكأن الناس في موكبه لجلال الموكب الآخر دين
وكأن الآل فيه (هاشم) وكأن الميت (زين العابدين)
حلّ (بالقاسم) مصباح الهدى و (بابراهيم) نور المتقين
ليس من قدري وقدر الشعر ان نذكر الصبر لأم الصابرين
التي حجّت وزارت ورأت تحت هذا الترب خير المرسلين
حكمت فيه المنايا مرة وجرى الحق عليه واليقين

وأخلق بالنفس الوفية ان تكون أبيــة ، واي شيءٍ أدل على إباء شوقي من قوله مخاطباً السلطان عبد الحميد :

زهدت الذي في راحتيك وشاقني جوائز عنــد الله مبتغيــاتُ
ومن كان مثلي احمد الوقت لم تجز عليه ولو من مثلك الصدقاتُ

وماعليه بعدذلك ان يدل بنفسه ويفخر بشعره؟ فتارةً يدعو نفسه حسان بن ثابت فيقول :

وما زلت حسان المقام ولم تزل تليني وتسري منك لي النفحات

وأخرى ابن هانئ فيقول :

ملكت امير المؤمنين ابن هانئ بفضل له الالباب ممتلكاتُ

وثالثة البحتري فيقول :

... انـ الذي قد ردّها وأعادها ـفي بردنيك أعاد فيّ البحتري

ويقول ايضاً :

... وتعارضت فيك القرائح وانبرى لأبي نواس البحتريُّ المفلقُ

وربما لج به الفخر فرأى المتنبي دونه فقال :

ولي دررالاخلاق فيالمدح والهوى وللمتنبي درة وحصـاةُ

والابيات التي يفخر بها بشعره غير قليلة .

ولا اريد انـ افرغ من هذا الفصل قبل انـ أشير الى هنات وقعت في الديوانـ لتكون عوذة لمحاسنه .

قال لي مرة الأستاذ المغربي : انني اجد أحياناً في شعر شوقي غموضاً وابهاماً ، فكنت أتأدب معه بدفع ذلك وحمله على سمو خيال الشـاعر ودقة معانيه وتحليق نفسه ، ومهما يكن السبب فان ابياتاً وردت في الديوان تؤيد دعوى الاستاذ منها :

نازح الدار مالبينك حدٌّ ولقرب الديار زادك بعدا ؟

ومنها : وما حذا (كفؤاد) حذو والده بالعـلم برّاً ولا بالفن إحسانا

ومنها : حمّلته(١) في الحب ما لم يكن ليحمل الحبُّ على قلبـه

(١) الضمير عائد على القلب .

كما ان في الديوان تجوزاً لغوياً كقوله :

... ونَبْذَ المقوقس عهد الفجو ر واخذ المقوقس عهد الفَجَرْ

وتبديله ظلمات الضلا ل بصبح الهداية لما سفر

يريد ان المقوقس عامل مصر استبدل بظلمات الضلال قبل فتح الاسلام لمصر صبح الهداية بعد الفتح ، والوجه ان تدخل الباء على (ظلمات) لا على (صبح) لان الباء تدخل دائماً على المتروك قال الله تعالى : (أَتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) وقد رسمت لفظة طاوس في ص ٨٧ بواوين والوجه ان ترسم بواو واحدة .

وفي الديوان ابيات قليلة بادٍ عليها اللين والضعف والهزال ولولا اثباتها فيه لما كنت أُصدق انها من شعر شوقي منها :

يسأَل الناسُ عندها الناسَ هل في النا س ذو المقلة التي لا تنام

(والقصيدة التي منها هذا البيت قلقة في الفاظها ومعانيها وهي لا تشا كل شعر شوقي)

ومنها : ودار للامير على (چبوقلي) كهمته علواً وارتفاعا

(ركبنا الكهرباء لها فسارت تسابق في السموات (السباعا)

وهذا كما ترى أهون من ان يكون غميزة في شعر شوقي لقلته ، والشاعر الذي تعد كبواته وتجل عن الاحصاء حسناته هو الشاعر العبقري غير مدافع .

الاسكندرية : عضو المجمع العلمي العربي

خليل مردم بك

نظام الآثار القديمة

« في سورية ولبنان »

قرار رقم ٢٠٧

ان المسيو هنري دي جوفنيل العضو في مجلس الشيوخ والمفوض السامي للجمهورية الفرنسية لدى دول سورية ولبنان الكبير وبلاد العلويين وجبل الدروز ٠

بناءً على المرسومين الصادرين في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ و ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ ٠ وبناءً على القانون العثماني الصادر في ٢١ شباط سنة ١٨٨٤ ٠ وبناءً على النظام العثماني الصادر في ١٠ نيسان سنة ١٩١٦ بشأن التنقيب عن الآثار القديمة وحفظها ٠ وبناءً على القرار رقم ٥٦٠ الصادر من الحاكم العام للمنطقة الغربية ٠ وبناءً على المادة الاولى من صك الانتداب ٠ وبناءً على اقتراح امين السر العام قرر ما يأتي :

« الفصل الاول »

المادة الاولى — تعتبر وفقاً لنص هذا القرار آثاراً قديمة جميع المنتوجات التي صنعتها يد الانسان قبل سنة ١٧٠٠ (١١٠٧ هـ) ٠ الآثار القديمة هي غير منقولة اومنقولة ٠ الآثار القديمة غير المنقولة هي الانشاآت او البنايات القديمة وبقايا او آثار الانشاآت او البنايات الظاهرة او غير الظاهرة فوق الارض وتعتبر ايضاً آثاراً قديمة غير منقولة جميع الاجهزة او القطع التي هي جزء غير منفصل من هذه الانشاآت او البنايات ٠ تعتبر شبيهة بالآثار القديمة غير المنقولة المواقع الطبيعية التي اعدتها او استعملتها الصناعة البشرية لغرض من الاغراض مثل الملاجئ تحت الصخور والمغاور والصخور المشتملة على تصاوير ونقوش ٠ تعتبر آثاراً قديمة منقولة كل الآثار التي لا تدخل في الفئات السابقة وعلى الاخص التماثيل والنقوش النائة والخطوط والنقود والايقونات والاسلحة والحلي والنقوش المحفورة والاواني والمخطوطات والصور والنواميس وايضاً جميع الآثار التي وان كانت ثابتة او راسخة في الارض اوفي بعض العقارات ليست جزءاً غير منفصل عن البناية ويمكن فصلها دون كسرها او تعطيلها ونزعها او نقلها دون كسر او تضرير المحل المرتكزة عليه ٠

المادة الثانية — توضع في أقرب ما يمكن من الوقت قائمة بجميع الآثار القديمة غير المنقولة المعروفة الآن والتي تملكها ، وفقاً لنصوص الشرائع السابقة، الدولة الموجودة على اراضيها تلك الآثار ملكاً لا دخل فيه لغيرها • يمكن للافراد الذين يتصرفون فعلاً او يتمتعون بعقار او يستغلون عقاراً معتبراً كأثر تاريخي وفقاً لنص هذا القرار ان يداوموا على الانتفاع من الحالة الواقعة • لا يخول هذا الترخيص ادنى حق للاعتراض به على التدابير التي تتخذها الدولة سواء أكان لترتيب العقار او لحفظه • ولا يمكن ايضاً ان ينشأ عن هذا الترخيص حق قابل لانتقال يمكن ورثة هؤلاء الافراد من المطالبة به • يجب عند وفاتهم اخذ ترخيص جديد بالتصرف او الانتفاع اوالاستعمال ويجوز دائماً رفض منح هذا الترخيص • اما الآثار القديمة غير المنقولة التي ستكتشف فتكون مثل غيرها ملكاً للدولة ويجب عند اكتشافها ان تقيد اولاً فأولاً في القائمة المنصوص عنها في الفقرة الاولى من هذه المادة • يمكن اعطاء رخص بالتصرف او الانتفاع او الاستعمال بعد اجراء تحقيق من قبل الدائرة ذات الشأن وابداء رأي مؤسس على أسباب راهنة بشرط مراعاة تدابير المحافظة المذكورة في الفقرة الثانية من هذه المادة • يجب ان تذكر بالتدقيق في القائمة العمومية حالة العقارات الخصوصية المكتشفة او التي ستكتشف الجاري عليها حق من حقوق التصرف او الانتفاع او الاستعمال المعترف بها في هذه المادة •

المادة الثالثة — لا يمكن فيما يختص بالآثار القديمة المنقولة المكتشفة ان يكون لحقوق الدولة كما هي ناشئة وفقاً للشرائع السابقة الأفضلية على حق ملكية الافراد او الطوائف او الجمعيات السورية او اللبنانية او الاجنبية او الدول الاجنبية فيما يتعلق بما يلي : (ا) الاشياء المنقولة التي يمكن اثبات استيرادها من بلاد أخرى •
(ب) الاشياء المنقولة المتملكة بطريقة الارث او الهبة او المشتراة عن حسن نية •
(ج) الاشياء المنقولة المشتراة من الدول شراء قانونياً ببدل او من غير بدل •

اما فيما يتعلق بالآثار القديمة التي ستكتشف فتكون ايضاً ملك الدولة التي يحق لها وحدها والحالة هذه ان تبيعها ضمن الشروط المذكورة فيما يلي : لا يمكن الترخيص بالبيع الا بموجب امر من رئيس الدولة • كل بيع يجري مخالفاً لاحكام هذا القرار يكون

لاغياً ، يحق للدولة صاحبة الشأن ان ترفع في كل وقت الدعاوي بطلب الغاء البيع ·

المادة الرابعة — يجوز ان يجري على جميع الآثار القديمة المنقولة المذكورة في المادة السابقة والتي هي في حوزة الافراد الترتيب المنصوص عنه في الفصل الثالث من هذا القرار ·

المادة الخامسة — لا يبطل بمرور الزمن حق ملكية الدولة للآثار القديمة غير المنقولة وللآثار القديمة المنقولة ·

« الفصل الثاني »

— في الآثار القديمة التي هي ملك الدولة —

(الجزء الاول)

— في الآثار القديمة غير المنقولة —

المادة السادسة — ممنوع هدم وتعطيل وتكسير أثر قديم غير منقول وممنوع تغطيته بطين او بدهان وان يكتب عليه او يحفر فيه كتابة او اشارة وان يلصق عليه اعلانات او ان تغير هيئته الخارجية · لا يجوز اجراء ادنى تصليح او ترميم في عقار معتبر أثراً تاريخياً ترك تحت تصرف فرد او الافراد وفقاً لاحكام المادة الثانية الا بترخيص من الادارة وتحت مراقبتها · ممنوع ان تجري بقرب البنايات القديمة اشغال من شأنها ان تضر بطريقة مباشرة او غير مباشرة بمتانتها او بمنظرها الخارجي · ممنوع امتلاك وبيع وشراء المواد التي كانت داخلة في بنايات قديمة او لاتزال داخلة فيها بدون ترخيص · يعاقب مرتكب كل مخالفة لاحكام هذا القرار بجزاء نقدي من ٢٥ الى ١٠٠٠٠ ليرة سورية ويجبر ايضاً المخالف على اتخاذ جميع التدابير اللازمة ليعمل وفقاً لاحكام هذه المادة ويجوز الحكم بدفع تعويضات عطل وضرر للدولة تخصص لاعادة ما تعطل من الآثار القديمة غير المنقولة الى حالته الاصلية ·

المادة السابعة — محافظة على الخرائب التي هي من المكانة بمكان وعلى الاراضي التي تحفظ للحفريات الأثرية فيما بعد يجوز انشاء مناطق لحماية هذه الاماكن · يمنع فيها تشييد البنايات وزرع الأشجار واجراء الحفر العميقة وفتح المقابر · تحدد في قرار لاحق الشروط التي تنشأ بموجبها هذه المناطق وكيفية تحديد التعويضات التي يمكن منحها لاصحاب الحق ·

(الجزء الثاني)

— في الآثار القديمة المنقولة —

المادة الثامنة — ممنوع هدم وتكسير وتعطيل الآثار القديمة المنقولة وممنوع تغطيتها بطين او كلس او بدهان وممنوع ان يكتب عليها او يحفر فيها كتابة ما وان تغير هيئتها الخارجية . يعاقب مرتكب كل مخالفة لاحكام هذا القرار بجزاء نقدي من ٢٥ الى ٥٠٠ ليرة سورية . ويمكن ايضاً ان يحكم المخالف بدفع تعويضات عطل وضرر للدولة تخصص لاعادة الآثار القديمة المنقولة التي تعطلت الى حالتها الأصلية .

المادة التاسعة — ممنوع تصدير الآثار القديمة التي تخص الدول . كل شخص صدر او حاول او ساعد على تصدير آثار قديمة تخص الدولة يعاقب بجزاء نقدي من ٥٠ الى ١٠٠٠٠ ليرة سورية وبالسجن من ثمانية ايام الى ستة اشهر او باحدى العقوبتين فقط .

« الفصل الثالث »

(الجزء الاول)

— في الآثار القديمة التي هي ملك لدول أجنبية او لجماعات او افراد —

المادة العاشرة — على كل شخص يكون لديه في تاريخ وضع هذا القرار موضع التنفيذ اشياء منقولة لها صبغة الآثار القديمة كما هي محددة في المادة الاولى ان يرسل في مدة اثني عشر شهراً الى رئيس الدولة صاحبة الشأن قائمة على ورقة بدون ورق بول عن نسختين تحتوي على وصف مفصل لهذه الاشياء . تعطى بعد التدقيق الى صاحب البيان احدى هاتين القائمتين المثبتة لحق الملكية . كل مبادلة وكل بيع او تنازل تقبل به الدولة بخصوص أثر قديم يجب ان يدون في شهادة وصفية محررة من نسختين تسلم احداهما الى صاحب الشأن دون دفع مصاريف وتحفظ الثانية في اوراق الدولة . يحق لكل صاحب آثار قديمة منقولة ان يستحصل لكل أثر من الآثار القديمة التي هي في حوزته شهادة خصوصية ترفق بالأثر في انتقاله المتوالي او في نقله او تصديره . بعد انتهاء مدة الاثني عشر شهراً المنصوص عنها في الفقرة الاولى من هذه المادة يجوز ضبط كل أثر قديم منقول غير مقيد في قائمة مدققة مثبتة حق الملكية ويعتبر انه ملك الدولة الى ان تقام الحجة بخلاف ذلك .

(الجزء الثاني)

— في ترتيب الآثار القديمة Classement —

المادة الحادية عشرة — يمكن ان يوضع ترتيب للآثار القديمة المنقولة التي هي الآن او ستكون ملكاً للافراد . ينفذ الترتيب بملء الحق بمجرد ارسال التبليغ به من رئيس الدولة الى صاحب الاثر . يقرر رئيس الدولة إسقاط الأثر من الترتيب و يبلغ ذلك ايضاً الى أصحاب الشأن . يجب ان تنظم قائمة الاشياء المرتبة وتكون دائماً حاضرة جاهزة ترسل نسخة منها الى دائرة الآثار القديمة في المفوضية العليا . يجوز ان يطلع على هذه القائمة كل صاحب علاقة بالآثار .

المادة الثانية عشرة — يجري تنفيذ الترتيب على الأثر اياً كان صاحبه . ان حقوق الملكية التي يخولها هذا الترتيب هي غير قابلة الإلغاء بمرور الزمن . على كل شخص يبيع أثراً مرتباً ان يعلم المشتري بوجود هذا الترتيب .

المادة الثالثة عشرة — لا يجوز دون ترخيص تغيير الاشياء المرتبة ولا تصليحها ولا ترميمها وكل مخالفة لهذه الاحكام يعاقب مرتكبها بجزاء نقدي من عشر ليرات الى مئة ليرة سورية .

المادة الرابعة عشرة — احتفاظاً للدولة بحق الشفعة يجب على كل صاحب آثار قديمة مرتبة اذا أراد بيعها ان يعطي علماً عن ذلك لرئيس الدولة في رسالة مضمونة . اما البيع فلا يجوز ان يجري الا بعد ثمانية ايام من هذا التبليغ . كل بيع لاثر مرتب يجري خلافاً لاحكام هذا القرار يكون لاغياً . اذا لم تستعمل الدولة حقها بالشفعة فيجب على البائع ان يبلغ برسالة مضمونة في الثمانية ايام التي تلي البيع اسم وشهرة ومحل إقامة المشتري الى رئيس الدولة . واذا لم يجر التبليغ فيعاقب المرتكب بجزاء نقدي من ليرة الى خمس ليرات سورية .

« الفصل الرابع »

(الجزء الاول في الحفريات)

المادة الخامسة عشرة — لا يجوز لاحد ان يقوم بحفريات أثرية دون ترخيص سابق . لا يمنح الترخيص بالقيام بالحفريات الا لهيئات علمية وتقصد الابحاث التي لها صفة علمية فقط يجب على الشخص المكلف القيام بهذه الاشغال ان يقدم ضمانات كافية

تثبت خبرته في الآثار القديمة . يحق للمفوض السامي وفقاً للمادة ٤١ من نص الانتداب ان يمنح هذا الترخيص وان يقبل بالشخص المذكور مراعياً في ذلك احكام هذه المادة . على صاحب الترخيص ان يعمل بموجب الشروط والواجبات المفروضة عليه .

المادة السادسة عشرة — تحدد بقرار لاحق الشروط الواجب تتميمها والتعهدات الواجب التقيد بها لنيل هذا الترخيص ويبين فيه التفاصيل المختصة بصحة الرخصة المعطاة ومدتها و بادارة الاشغال والنشر عنها . يجوز سحب الرخصة اذا لم يعمل بموجب احكام هذا القرار .

المادة السابعة عشرة — يعطى تعويض لمالكي الارض التي تجري فيها الحفريات عن الضرر المسبب لهم من جراء ذلك . اذا لم يتم اتفاق بالرضى بهذا الخصوص يجوز ان تنزع ملكية هذه الارض وفقاً لاحكام القوانين والقرارات النافذة بشأن نزع الملكية للمنفعة العامة . تخمن في هذه الحالة الارض دون ان تؤخذ بعين الاعتبار قيمة الآثار القديمة التي قد تكون مخبوءة فيها .

المادة الثامنة عشرة — وفقاً لاحكام المادة الثانية تكون الآثار القديمة غير المنقولة او المنقولة المكتشفة في اثناء الحفريات ملكاً للدولة التي قد اكتشفت على أراضيها تلك الآثار . يجب تسليم الأشياء المنقولة لحكومة الدولة .

المادة التاسعة عشرة — يحق للدولة ان تأمر بالتنازل عن كل او جزء من الاشياء التي وجدت في الحفريات مقابل بدل او بدون بدل بشرط ان لا يسبب هذا التنازل ادنى ضرر بمجموعاتها . يحتفظ مبدئياً للقائم بالحفريات بحق الشفعة على ان هذا الحق لا يمكن ان يتغلب على حق الدولة في ان تتنازل لدولة أخرى لمتحفها الوطني عن شيء ليس فيه فائدة لمجموعاتها انما يكون متمماً مجموعات ذلك المتحف وذلك خدمة لعلم الاثار القديمة . اذا وقع تزاحم بين عدة متاحف وطنية بخصوص هذا الاثر فيباع بينها بالمزاد . يجب في كل الاحوال ان تعطي الدولة المشترية تعويضاً عادلاً للقائم بالحفريات المحروم من الاثر . كل بيع غير البيوع المذكورة اعلاه اعني البيوع من متحف وطني أجنبي لاجل مجموعاته او من القائم بالحفريات لا يمكن ان يجري الا في القاعات المخصصة للبيع في متحف الدولة .

المادة العشرون — من قام دون رخصة سابقة بحفريات او اسبار او تنقيبات

ولو جرى ذلك على أرضه بقصد ايجاد آثار قديمة بلا حق يعاقب بجزاء نقدي من خمس ليرات سورية الى خمسمائة ليرة . تضبط الاشياء المكتشفة اثناء هذه الحفريات السرية اياً كان الشخص الذي وجدت عنده اذا لم يعثر على الآثار فيحق للدولة ان تلاحق المخالف لاجباره على دفع القيمة المعينة لهذه الآثار عندما تظهر هذه الآثار في احدى المجموعات العمومية او الخصوصية في البلاد الأجنبية .

(الجزء الثاني)

— في الاكتشافات غير المنتظرة —

المادة الحادية والعشرون — فيما عدا الحفريات المرخص بها قانونياً يجب على كل شخص اكتشف في اي محل كان او في اية حالة كانت او اثناء اي عمل كان اثراً قديماً غير منقول ان يقدم في مدة خمسة ايام تصريحاً بذلك الى اقرب سلطة ادارية وهذه السلطة تعطي دون امهال علماً بذلك الى رئيس الدولة وفي الوقت نفسه الى دائرة الآثار القديمة في المفوضية العليا . يجب ايضاً على كل شخص قد اكتشف صدفة في نفس الشروط والاحوال أثراً قديماً منقولاً ان يعلم بذلك اقرب سلطة ادارية . وهي تعطي للمكتشف وصلاً مفصلاً وتعلم بذلك دون امهال رئيس الدولة ودائرة الآثار القديمة في المفوضية العليا .

المادة الثانية والعشرون — كل شخص اكتشف ضمن الشروط المذكورة في المادة السابقة أثراً قديماً منقولاً وعمل بموجب أحكام هذا القرار يتقاضى من ميزانية الدولة وبصفة مكافأة تعويضاً يساوي ثلث قيمة الاشياء المكتشفة . يجوز ايضاً للدولة ان تترك للمكتشف ما يمكنها ان تتركه من الاشياء المكتشفة دون ان يسبب ذلك ضرراً للمجموعات الوطنية . تحسم القيمة التقديرية للاشياء التي تركت على هذا الشكل من تعويض الثلث المذكور في النبذة السابقة .

المادة الثالثة والعشرون — كل مخالفة للمادة ٢٠ يعاقب مرتكبها بسجن من ثمانية ايام الى ثلاثة اشهر وبجزاء نقدي من ليرة الى خمسين ليرة سورية او باحدى العقوبتين فقط تطبق عند الاقتضاء الاحكام المنصوص عنها في المادة ١٩ المختصة بضبط الاشياء المكتشفة والمطالبة بقيمتها .

« الفصل الخامس »
— احكام مختلفة —

المادة الرابعة والعشرون — يجوز تصدير الآثار القديمة المنقولة مرتبة كانت او غير مرتبة دون ترخيص من المفوض السامي او من مندوبه ·

المادة الخامسة والعشرون — يجب ان يقدم بيان في الجمرك عن الاشياء المستوردة يعطى صاحبها شهادة تثبت الاستيراد · و يجب ابراز هذه الشهادة في حالة اعادة تصديرها ·

المادة السادسة والعشرون — تفصل لجنة مؤلفة كما يلي : في الاختلافات التي قد تحدث بين الدولة والقائمين بالحفريات او المكتشفين فيما يختص بقيمة التعويض او تخمين الاشياء المكتشفة والاشياء المتنازل عنها او في قيمة الآثار المزدوجة ·

الرئيس يعينه المفوض السامي · العضو الثاني يعينه حاكم الدولة صاحبة الشأن · العضو الثالث يعينه المكتشف او القائم بالحفريات ·

المادة السابعة والعشرون — تضبط المخالفات لهذا القرار في محاضر يحررها جميع مأموري السلطة العمومية في الدولة · يكون مأمورو دائرة الآثار القديمة مأمورين عدليين غير مساعدين للنيابة فيما يختص بتطبيق هذا القرار · و يكونون محلفين · ترفع وتلاحق الدعاوي المختصة بالمخالفات المنصوص عنها في هذا القرار بهمة الدولة صاحبة الشأن او في عدمها بهمة المفوض السامي ولا يمنع ذلك الملاحقات التي تقوم بها فوراً النيابة العامة ·

المادة الثامنة والعشرون — ألغيت جميع الاحكام المخالفة لاحكام هذا القرار الذي يوضع موضع التنفيذ بعد ثلاثة ايام من نشره في النشرة الرسمية للمفوضية العليا ·

المادة التاسعة والعشرون — امين السر العام في المفوضية العليا مكلف بتنفيذ هذا القرار · بيروت : في ٢٦ آذار سنة ١٩٢٦ المفوض السامي

الامضاء : جوفنيل

وصف مخطوطات

زار بعض أعضاء مجمعنا مكتبة الاستاذ الشيخ ابي اليسر عابدين وتصفح كتبها ومجاميع رسائلها فرأى ان ينشر أسماء بعض الرسائل التي عثر عليها فيها :

(١) (زَغَل العلم والطلب) هي رسالة للحافظ الذهبي ضمَّنها نقد العلوم الشائعة في زمانه وبيان النافع منها والضار ولم يقتصر في ذلك على العلوم الدينية بل تخطاها الى علوم الحكمة والرياضيات والطبيعيات وهي في نحو ثمان صفحات ٠

(٢) (رسالة العالم والمتعلم) لابي حنيفة النعمان وهي مرتبة على السؤال والجواب هكذا : قال المتعلم ما كذا وكذا ٠ قال العالم في جوابه كذا وكذا ٠ والحوار يدور حول مسائل العقائد والآداب والأخلاق ٠ وهي في نحو عشرين ورقة ٠

(٣) (محاسن الآداب) لزين الدين عمر الماردیني ألفها سنة ٩٧٥ هـ ٠

(٤) (سفينة الصالحي) الصالحي من علماء دمشق وأُدبائها وهو مشهور بحُسن الخط وسفينته هذه مجموعة نفيسة مشحونة بمسائل الأدب والتاريخ وسائر العلوم ٠ وهي واقعة في مجلد لطيف الحجم وقد افتتح خطبتها بقوله : (الحمد لله الذي أجرى في بحار الأفكار سفينة الفصاحة والبلاغة الخ وقد كتبت سنة ١٠٤١ هـ ٠

(٥) ديوان خليل بن مصطفى الدمشقي الشهير بالرومي من رجال القرن الثاني عشر وعمّر الى القرن الثالث عشر فمات سنة ١٢٢٠ هـ ٠ ولم نخص هذا الديوان بالذكر لعلو مكانة ناظمه في الشعر وانما هو يبين سبب كل شعر قاله ويتخلل هذا البيان أحياناً فوائد تاريخية وتراجم رجال مما تهمّ معرفته كل باحث في تاريخ دمشق في القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر ٠ وقد عاش صاحب الديوان تسعين سنة ٠

(٦) ويلي الديوان المذكور رسالة تتضمن موشحات للاندلسيين سماها جامعها (الكواكب السائرة) وبعد ان فرغ من الموشحات الاندلسية اتى على ذكر موشحات الشاميين فذكر من ذلك ما يطيب ويحلو ٠ وفي ذيل هذا المجموع سبع وعشرون قصيدة كلها من بحر السلسلة الذي أولع به الشاميون في عصورهم الأخيرة ٠ وأحفظ من ذلك قصيدة أظنها للشيخ عثمان البصير الحموي من رجال القرن الماضي مطلعها :

(السيف من اللحظ ما تجرّد أوصال   الا بفؤادي سطا وقطّع أوصال)
ومنها (الله بصبٍ . متيّمٍ ومحبٍّ .   هل نفحة قرب . فحال صبري قد حال)
والقصائد السبع والعشرون كلها على هذا النمط والأسلوب في النظم .

(٧) مجموعة رسائل لملا علي القاري منها رسالة في (أويس القرني) ورسالة في مناظرة الشيعة فيما يذهبون اليه مع الرد عليهم . والتعجيب منهم .

(٨) مجموعة رسائل : منها رسالة في الطب لابي قاسم النيسابوري ورسالة في قهوة البن اسمها (إشراق الصحوة في محو ظلام القهوة) .

(٩) مجموعة أخرى : منها رسالة (المفرحات في اللغز والرموزات) وهي تتضمن مسائل في فنون مختلفة وكلها مما يلغز به او يقال ان عبارتها واردة على طريقة الألغاز والأحاجي ومؤلفها العالم التركي المشتهر بناقد وهي مرتبة على السؤال والجواب وتبلغ نحو عشرين ورقة .

(١٠) مجموعة رسائل للشيخ الاكبر في موضوعات تصوفية مختلفة : منها رسالة اربع ورقات أجاز فيها الشيخ الاكبر الملك العادل بناء على طلب الملك المشار اليه . وقد أودعها اسماء مؤلفاته وشيوخه ومسموعاته .

(١١) مجموعة رسائل للفقيه (الحموي) المشهور أولها رسالة (الدر المنظوم في فضائل الروم) وقد عنى بالروم الأتراك العثمانيين وملوكهم الى سنة (١١٠٠ هـ) . وفيها فوائد تاريخية عن أعمال ملوك بني عثمان المتأخرين .

(١٢) مجموعة رسائل أخرى للحموي المذكور : منها رسالة في (إثبات تصرّف الاولياء في الحياة وبعد الممات) وفيها نقل عزاه للسبكي يقول فيه : (ان بعض الأولياء كان يبيع المطر ! !) ورسالة (بدّلت السهر بالمنام) وهو بحث لغوي يشرح لنا الصواب في دخول الباء بعد فعل (بدّل) وعلى اي مفعولين تدخل فهل يقال (بدّلت السهر بالمنام او المنام بالسهر) وهذه الرسالة في ثلاث صفحات . ورسالة (الروض الزاهر) فيما يحتاج اليه المسافر براً وبحراً) وفيها فوائد عن السفر وآدابه وهي تتضمن نحو (١٨) صفحة : منها نحو ثمان صفحات في الأوراد والأذكار التي

يتلوها المسافر . وبقية الرسالة في بيان ما يحتاج اليه المسافر من القوانين والتدبيرات الطبية وتدبير العساكر في نزولها وترحالها وقد أُلّفت هذه الرسالة سنة (١٠٧٣ هـ) .

(١٣) مجموعة رسائل معظمها لابن كمال باشا منها رسالة نظام العلماء لمؤلفها (كافي افندي الاقحصاري) من علماء الدولة العثمانية وقد جمع فيها تراجم (٢٨) عالماً هم شيوخه المتسلسلين منذ زمن صاحب الرسالة الى آخر عالم تركي تاقى عنه ثم ترجم لنفسه فقال ان جده كان نصرانيًا من أهل الاسكندرية ثم هاجر الى (اقحصار) وهناك أسلم . وقد ألّف رسالته هذه سنة ١٠٠٨ وفي هذه الرسالة فوائد تاريخية ذات قيمة .

(١٤) كتاب لابن حجر الهيثمي في فضائل الصحابة الاربعة من حيث يؤدي ذكر هذه الفضائل الى تزييف ما يقوله الشيعة فيهم رضي الله عنهم . وفي الكتاب أخبار وآثار تروق المؤرخ .

الاستاذ الياس بك القدسي

في اليوم الثلاثين من تموز الماضي فقد المجمع العلمي احد أعضائه الاعزة المرحوم الياس بك عبده القدسي فاشتد على رصفائه المصاب به . ولد في مدينة دمشق سنة ١٨٥٠ م وكان والده يعدُّ من الاغنياء في عصره بارعًا بالموسيقى محبًا للعلماء والادباء بحيث كانت داره مباءة لهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ، ولما ترعرع ولده دخل مدرسة ابتدائية لطائفة الروم الارثوذكس فتلقى فيها مبادئ العربية واليونانية ثم وافى مدرسة عينطورا في لبنان فأتقن اللغة الافرنسية وبعد ذلك غادر الشام الى آثينة فدرس في جامعتها ست سنين ونال شهادتها المؤذنة باتقانه اللغة اليونانية القديمة والحديثة . وتعلم مبادئ الايطالية والانكليزية والتركية ، وعاد في سنة ١٨٧٢ الى دمشق يتولى برعاية والده شؤون القنصليات اليونانية والبرتقالية والبلجيكية والهولاندية وظل على ذلك الى سنة ١٨٨٨ فولي قنصلاً لليونان ثم وكيلاً للنمسا والمجر وقنصلاً للبرتقال الى قبيل وفاته .

ولقد عهد البطريرك هروتيوس الى صاحب الترجمة بادارة مدارس الروم ، وكانت كتاتيب صغيرة فأنشأها إنشاءً جديداً ، ووضع لها نُظُمها الجديدة وقلبها رأساً على عقب ، وظل يديرها و يعلم فيها أحياناً مدة ٣٣ سنة بلا أجر ، فتخرج به كثير من أبناء هذه العاصمة ، وخدم أبناء طائفته خدمة مهمة بتأسيس اللجنة الطائفية لها ، وخدم الآداب بان كان مؤسس الجمعية العلمية التاريخية سنة ١٨٧٨ . وقد نشأ له غرام بالقراديات او الشعر العامي فنظم على أوزانها المتعارفة بعض النوادر والوقائع ومنها ما نقله عن لافونتين القصصي الفرنسي ومنها ما وضعه وضعاً ، و يدخل ما نظمه منها في مجلدين لم يطبعا وتروق مطالعتهما . وله نحو عشرين قصة تمثيلية وقصة عادية طبع بعضها . ومن تآليفه كتاب في المعميات والاحاجي او ما يسميه العامة الحزازير تبلغ نحو ٢٥٠ موضوعاً وتكون في مجلدة . ومن رسائله المطبوعة مسك الدفاتر على طريقة هو واضعها ، ومقالة في الحرف الدمشقية طبعت في أعمال مؤتمر المستشرقين سنة ١٨٨٣ . وقد جمع طائفة من الامثال الدارجة بالعربية وقابلها بما يماثلها من اللغات الاوربية بلغت نحو ٣٠٠٠ مثل لم تطبع . ومن أبحاثه مقابلة بين اللغة اليونانية القديمة واللغة العربية والبرهان على اشتراك اللغتين في بعض الاشتقاقات . وهذا الموضوع كان يعمل فيه الى آخر ايامه وقد نشر شيئاً قليلاً منه بالمناسبات في هذه المجلة .

وقد أبنه بعد الصلاة عليه في كنيسة الروم الارثوذكس غبطة العالم المفوّه السيد غريغوريوس حداد الرابع ، ومما قاله فيه بعد ان عدد اعماله في النهضة بمدارس الروم سنين طويلة وألمّ بصفاته وأخلاقه انه أخذ الحكمة من منبعها في آثينة . ثم قام على الاثر في البيعة رئيس المجمع العلمي وكاتب هذه السطور وابنه باسم المجمع ، فما قال فيه : « حقاً ان هذه السنة سنة المصائب ومن أعظمها رحيل صديقنا ورصيفنا المرحوم الياس بك القدسي على صورة سريعة أدهشت الأحباب وأزعجتهم . أفجع الفجائع الفجيعة بالحبيب ، خصوصاً اذا كان الإخلاص المطلق سدى الحب ولحمته . صحبت صديقي الذي أبكيه الآن منذ نحو ٣٢ سنة فما رأيته ، منذ اجتمعنا الى ان قضى الله بفراقنا ، الا مثال الوفاء والكرم ، وهما الصفتان اللتان يمتاز بهما الرجل العربيّ الحرّ الأبيّ .

عرفته وهو يؤو بنا في بيته ، ويحمينا بالعلم الذي كان يرفرف على داره ، فما كان الا كأحدنا او أشد غيرة على هذا الوطن ، وربما كان اكثر تأثراً عليه ، وسعياً لاستكمال أسباب سعادته · عرفته أديباً يحب كل من اشتغلوا بالعلم والأدب ، و يهيء لهم السبل الى التكامل ، و يدفعهم الى التقدم · ولما أنشيء المجمع العلمي بعد الحرب العالمية كان اول من لبى دعوة اخوانه ليعمل معهم ، وكان عمله يوازي عمل الشباب من الأعضاء ان لم يبزّهم · وما وكل اليه قط امر ولم يوفه حقه ، و يتمه على نظام تام وتدقيق عجيب ·

كان المجلس الذي يجلس فيه صديقي الياس القدسي مجلس الانس بجملته وتفصيله ، يفيض بهجة ومروراً ، لانه على ما أوتي من علم حديث وعرف من لغات حية وغير حية وخبر من أحوال المجتمع ، المرجع الاول في اللغة العربية العامية ، ومن منه لم يقرأ شيئاً مما خطته أنامله من الشعر العامي ، وأملاه روحه الشفاف من النكات ولم يعجب ويعتبر · وربما لا أخطيء اذا قلت ان صديقي الراحل كان صورة من صور القصور القديمة وتربيتها ، ممزوجة بروح عصري ، فهو قديم وحديث ، وهو عصامي وعظامي · فلئن حزنت لوفاته فقد فقدت به أخاً باراً ، وخلاً وفياً ، وأديباً فناناً ، وخبيراً في شؤون هذا المجتمع يكاد يكون منقطع القرين بمعلوماته ، ونسخة جميلة من التربية القديمة العربية ، مزينة بالتربية الحديثة · وهو نادر المثال بتربيته وأدبه ودوؤبه ولطف نادرته وجميل محاضرته · رحمه الله عدد حسناته وطيب صفاته ، وسبحان من هذا فعله لا رادّ لقضائه ، ولا مفرّ من بلائه ، وانا لله وانا اليه راجعون ·

م · ك

عثرات الارقام

« ٢٩ »

ومنها قولهم (ارتدى بذلته الرسمية) (البذلة) بالذال المعجمة وبكسر الباء الثوب الذي يبتذل باستعماله كل يوم والناس يقولون (بدلة) بالدال المهملة و يريدون بها مطلق الثياب التي تلبس . اما الثوب الرسمي فهو ما يلبس في المواسم والحفلات . ويكون غير مبتذل . ولا يستعمل كل يوم . فبين كلمتي (بذلة) و (رسمية) تناقض ظاهر . فالصواب ان يقال ارتدى ثوبه الرسمي او لبوسه الرسمي اورداءه الرسمي او برده الرسمي او بزته الرسمية او حلته الرسمية . وهناك كلمة أفصح من جميع ما ذكر وهو ان تقول : ارتدى شارته الرسمية اوشياره الرسمي والشارة والشيار ثوب الزينة .

ومنهـا قولهم (أغدقوا الدنانير على الناس أصراراً واكياساً) الظاهر انه يريد بالأصرار جمع صرة والصرة انما تجمع على صرر كغرفة وغرف .

ومنها قولهم (ثمالى بخمرة الانتصار) صوابه (ثملون) جمع ثمل اما (فعالى) فجمع لمثل سكران فيقال سكارى وحيران حيارى . ولا يجوز ان يقال في جمع ثمل ثمالى قياساً على سكارى وحيارى .

ومنها قولهم (وهذا لا يفيد في قطع النزيف وضمد الجرح) صوابه لا يفيد في قطع النزف اي خروج الدم اما النزيف فهو الشخص الذي يسيل منه الدم .

ومنها قولهم (بنت الملك وتربياتها) صوابه وأترابها جمع (ترب) وهن المتقاربات في السن . اما (التربيات) فهي عظام الصدر . واحدها تربية . وقلما يجمعون التربية على تربيات . وانما يقولون ترائب .

ومنهـا قولهم (نقشوا عليه رسوم أسعاف النخل) يريدون بالاسعاف جمع سعفة وهي جريدة النخل او ورقة النخل . وصوابه ان يقال : رسوم (سَعَف النخل) فان السعف بدون تاء جمع سعفة بالتاء . ولا يقال في جمعه أسعاف وكذلك لا يقال في مفرده (سَعَف النخل) كما سبق الى بعض الاوهام .

ومنها قولهم (وقد شعر بخوران قوته) صوابه بخور قوته او خؤور قوته اي ضعفها ولم يسمع خوران ·

ومنها قولهم (فانه يجتهد في إغارة الصدور على الحكومة) صوابه (في إيغار الصدور) مصدر أوغر صدره عليه اذا أحدث فيه الوغر وهو الحقد · اما الإغارة فمصدر أغار العدو على البلاد اذا هاجمها فجأة ·

ومنها قولهم (ثم ان القوم أفلوا راجعين) صوابه (قَفَلوا) من القفول بمعنى الرجوع اما (أفلوا) فمن الافول بمعنى غياب النجم والكوكب وزوال نورهما بعد تألقه ·

ومنها قولهم (يلزم وضع حد لهذه المؤاساة الدامية) (المؤاساة) ان نواسي المصاب وتعزيه بما يخفف همه و يطفئ لوعته · ولعل الكاتب أراد به (المأساة) المشتقة من الأسى وهو الحزن — و (المأساة) كلمة اخترعها أبناء هذا العصر للقوم مقام (تراجيدي) الافرنجية ويريدون بها قصة تمثل على المرسح وتكون وقائعها ومناظرها مما يثير الأسى والحزن في النفوس ·

اخبار وافكار

قصة زقاق الاربعين

كتب رصيفنا الاستاذ المؤرخ الشيخ كامل الغزي من حلب الى رصيفنا الاستاذ المؤرخ السيد عيسى اسكندر المعلوف الرسالة الآتية بشأن زقاق الاربعين جواباً على ما كتبه المعلوف في الجزء الماضي من هذه المجلة وهذا نص الجواب الذي ارسله الينا المعلوف :

« ايها الصديق الفاضل : قرأت في مجلة المجمع العلمي مقالتكم الغراء المحررة بقصة زقاق الاربعين بحلب ، وما اثبتموه فيها من المناقضات واقع في محله . غير اني ربما اعذر على اثباتها في تاريخي على الوجه الذي قرأتموه فيه وذلك اني لم اثبتها فيه الا بعد ان رأيت خبرها مستفاضاً على ألسن الناس في حلب خواصهم وعوامهم مسيحيهم ومسلمهم . سمعتها من رجال مسيحيين ثقات رووها لي بالسند المتصل عن آبائهم وأجدادهم منهم الخواجه انطون الصقال والد صديقنا المحترم ميخائيل افندي الصقال . ومنهم والد المرحوم جرجي افندي الكرتلي وهو ممن يعتمد عليه حتى انه كان يقول لي ان اسرته من جملة تلك الأسر المنتقلة . ومنهم الاديب الكبير المرحوم جبرائيل افندي الدلال صاحب القصيدة المشهورة وهو خال صديقنا الآخر قسطاكي بك الحمصي وقد رواها لي غير هؤلاء من الشيوخ والكهول المسلمين والنصارى .

ونقل لي احد اصدقائي من المسلمين وهو سعيد اغا بن راغب اغا ان السلطان سليماً نقل في ذلك العصر ايضاً جدّه الاعلى المعروف والمشهور باسم كوجك علي اغا من ديار بكر وهو جد مصطفى نعيما الحلبي صاحب تاريخ الروضتين التركي العبارة وهو النقيل الاول من هذه الأسرة التي هي من جملة الاربعين الأسرة المسلمة التي نقلها السلطان سليم من البلاد المجاورة الى حلب . قال : وكان غرض السلطان من نقل هذه الأسر مسلمها ومسيحيها تكثير عدد اعيان حلب وتقوية تجارتها وذلك ان حلب كانت قليلة التجار مع ما كان عليه موقعها الجغرافي من الاهمية التجارية قال : وكان تجارها القليلون عصبة واحدة يحتكرون البضائع و يتحكمون بالناس ولا يبيعونها الا بالاسعار التي يرغبونها . وان حلب ابتليت من قديم الزمن بفقد الرجال ذوي الوجاهة

والشخصيات البارزة فكان غرض السلطان من نقل تلك الأسر تكثير عدد التجار لتخليص التجارة من تلك العصبة المتحكمة ولايجاد جماعة من الاعيان يمكن للحكومة ان تتفاهم معهم [1] .

نعم ان هذا العصر عصر ريب وشكوك ، وان أعظم قضية واشهر حكاية لوعرضت على محك البحث والانتقاد لظهر فيها فساد وتناقض من بعض الوجوه غيرانا لايتحتم علينا بعد ان نتوثق في أخذها ان نعدها مكذوبة مفتراة لاظل لها من الحقيقة ، والا لفقدت الثقة من جميع ما رواه لنا السلف من الأخبار والآثار .

وعليه فاني لا اجزم بأن قصة زقاق الاربعين كلها خرافة مفتراة بل اقول : لابد لهذه الحكاية من اصل اي لابد ان يكون السلطان سليم اوالسلطان مراد قد نقل بعض الاسر الغريبة الى حلب للاغراض المذكورة ولكنني أرتاب بعدد المنقولين وبان الزقاق مضاف الى عددهم . بل لا اشك ان هذا الزقاق مضاف الى كنيسة كانت فيه مبنية على اسم (الاربعين شهيداً) ثم خربت الكنيسة واستمر الناس يضيفون الزقاق الى الاربعين وتوهموا ان المراد من هذه اللفظة اربعون أسرة .

ويوجد في حلب عدة مقامات يعرف كل واحد منها (بمقام الاربعين) منها (مقام الاربعين) في محلة العقبة [2] ومنها (مقام الاربعين) في محلة شاهين بك ومنها (مقام الاربعين) في محلة داخل باب المقام . ومنها في كنيسة الارمن القديمة .

وقد اختلف المسلمون والنصارى في هؤلاء (الاربعين رجلاً) فالنصارى يقولون : انهم (الاربعون شهيداً) والمسلمون يقولون : انهم (اربعون رجلاً) من الأبدال المتدركين بالكون « على ما ذكره الشيخ عبد العزيز الخواص في كتابه الابريز » .

اما نحن فاننا نتبرأ من جميعهم ونعتبرهم كعنقاء مغرب لا وجود لهم الا في

---

(١) ورأيت في بعض هوامش المخطوطات ان جلب المسلمين والنصارى الى حلب وغيرها كان برضى السلطان سليم وامره ليكثر عددهم بين الشيعيين الذين كانوا يناوئونه العداء بعد محاربته العجم ووقوفهم في طريق قوافله من الاستانة ماداً الى الفتح . (المعلوف)

(٢) راجع الجزء الثاني من تاريخي (نهر الذهب) الصفحات ٩٠ و٣٦٨ و٣٨٨ و٤٧٣ .

مخيلات فاسدة وأفكار سخيفة · ودليلكم الذي أوردتموه على كون حكاية زقاق الاربعين خرافية هو معقول من جهة · اما وقد ثبت لدينا ان المنتقلين كانوا من البلاد المجاورة لحلب اي من بلاد عثمانية فاني أراه غير وارد لان المنتقلين عثمانية ايضاً وقد كانوا قبل نقلهم ينازعون الامة الاسلامية أسباب البقاء وهم في بلادهم ايضاً ·

واما اختلاف الرواية عن الناقل بين ان يكون السلطان مراداً وبين ان يكون السلطان سليماً فهو لا يستلزم نكران الحادثة بتمامها · ويمكن ان يقال : ان اهل ذلك الزمان كانوا — وعلى الاخص المسيحيين منهم — لا يعرفون اسماء السلاطين لبعدهم عن مراكز الحكومة فخلطوا بين السلطانين · اما خلو حلب عن النصارى فهو بلا شك باطل لا أصل له · فان حلب لم تخل منهم قط · وانما يمكننا ان نقول انهم قل عددهم فيها كما قل عدد المسلمين بسبب حوادث الصليبيين ولاسيما حينما دهمتها جيوش التتر الاولى والثانية · فراجعوا ما كتبناه في حمامات حلب في ايام ابن العديم الصفحة الـ (٣٢٩) من الجزء الاول يظهر لكم ان سكان حلب بعد هذه الحادثة لم يبق منهم غير سبعهم او اقل · فلو فرضنا ان النصارى كان عددهم في حلب مائة الف فانهم لم يبق منهم سوى سبعة آلاف · هذا ولا سواه ·· » ·

حلب : **كامل الغزي**

جمع فُعال بالضم نادرٌ كلَّ النُدور

الى حضرة العلامة « محقق » :

طالعتُ لك يا سيدي في الجزء الرابع من هذه المجلة مقالةً بعنوان « جمع فُعال بالضم ليس بنادر » اتهمتَ فيها أمام النحو الأكبر وقطب اللغة الأشهر ابا بشر سيبويه بانه أخذ بخناق اللغة العربية أخذ الساطي الصائل ، وقيّد عنقها بالاغلال والسلاسل · « فحجّرها في مكانها وأخمد أنفاسها » ! ! واستدللتَ على صحة هذه التهمة بقوله انه لم يرد من الجموع على فُعال (كغُراب) إلا ثمانية ألفاظ ذكرها غير واحد من أصحاب المعاجم ثم زاد بعضهم اربعة فبلغ عددها اثني عشر · ولم تحصر هذه التهمة في سيبويه بل أطلقتَها على جميع أئمة اللغة الذين قالوا قوله في كتبهم

ومعاجمهم فكانوا شركاءه في الحجر والتقييد والأخذ بقولٍ فاسدٍ غير سديد ·

وكانت بينتك الكبرى على فساد قولهم أنك تمكنتَ من العثور على عشرين لفظة أخرى أثبتها مع الاثني عشرة في ذيل مقالتك وشفعتها بقولك « ولا بدَّ هنالك غيرها ممن رد ناده » ·

وخلاصة ما في مقالتك ان سيبويه وغيره من جهابذة اللغة عدُّوا صيغة فُعال من صيغ الجمع العزيزة النادرة وهي ليست كذلك لانه ورد عليها اثنان وثلاثون اسماً او اكثر · والصيغة التي يجمع عليها مثل هذا العدد من الاسماء لا يصح ان تعد نادرة · وقولهم بندورها معدودٌ في حكمك تخريباً للغة وإخماداً لأنفاسها · فهم والحالة هذه قد أساؤوا اليها بما وضعوه لها من القيود والروابط والقواعد والضوابط ·

فهل تأذن لي يا سيدي ان أخالفك فيما ذهبتَ اليه من أوله الى آخره وأقول — ولا أخاف في قول الحق لومة لائم — انهم بعملهم هذا أحسنوا الى اللغة كل الإحسان وطوَّقوا جيدها بعقود ممن لا يُبلي جديدها الملوان ، وقد جروا فيه على سنة الله في خلقه لكل عوالم الجماد والنبات والحيوان ولا سيما عالم الإنسان · واذا كنا نحن بأمرنا خاضعين — طوعاً أو كرهاً — لشرائع سماوية وسنن طبيعية وقوانين بشرية وكانت لغات جميع الأمم الحيّة الراقية جارية هذا المجرى ، أفيصحُّ ان تشذَّ لغتنا العربية عن هذا القياس وتظلَّ همَلاً مشتتة الشمل متقطعة الأوصال وعُطُلاً من حلى القواعد والأحكام ؟

ولو بقيت الى الآن كما ادّعيتَ أنها كانت قبل عهد أبي بشر فهل كان في إمكان الملايين الناطقين بها ان يتخاطبوا و يتفاهموا — وهم متفرقون تحت كل كوكب — بمثل هذه السهولة والصراحة اللتين يتخاطبون بها في هذه الايام ؟ فسيبويه والعلماء الذين به اقتدوا و بهديه اهتدوا لم يحجّروا اللغة في مكانها ولا أخمدوا أنفاسها بل وضعوا على صخر الثبات أساسها ورفعوا في الخافقين نبراسها ·

بقي وزن فُعال وهو بيت القصيد · فقد زعمتَ ياسيدي انه ليس بنادر وحجتك في ذلك ورود اثنين وثلاثين اسماً مجموعة عليه · اما كاتب هذه السطور فانه ينازع في عشرة اسماء من العشرين التي زدتَها ولا يسلّم بصحة ورودها وهي : « دناء ورُجال وشُهاد وطُوال وظُماء وأُهات ومُلاء ونُباء ونُكات وهُمال » · ويضع

خمسة من العشرة الباقية موضع البحث والنظر وهي « بُراء وجُذاذ وجُمال ورُعاء وكُباب » . وقد سبق حضرة الاستاذ السيد عبد القادر المغربي واعترض على صحة جمع الاول منها « بُراء » في الجزء الثالث من هذه المجلة (ص ١٢٠) فالباقي من العشرين التي زدتها ، بعد الطرح والإسقاط ، انما هو خمسة ، والباقي من مجموع المسموع على وزن فُعال ، سبعة عشر ، ولكن لكي أكفي سيدي مؤونة البحث والجدل وإطالة الكلام على غير طائل اقول — هبني اعترفتُ بصحة ورود الاثنين والثلاثين وسلمتُ باحتمال زيادة عشرات فوقها حتى تبلغ المئة او تنيف عليها أفتظن عددها حينئذٍ يكون كافياً لإخراج وزنها من حكم الندور ونظمه في سلك أوزان الجموع الغالبة الكثيرة التي كل منها معروف مألوف ، وقد ورد عليه من الاسماء مايعد بالمئات والالوف ؟ وهبني قلتُ مثلاً ان وزن « فُعَلاء » بضم ففتح نادرٌ في الاسماء المفردة لم يُسْمَع منها عليه سوى بُرَحاء وثُؤَداء وخُيَلاء ورُحَضاء وصُعَداء وعُرَواء وقُوَباء ونُفَساء . وجئتَ بعدي فزدتَ عليها حُوَلاء وعُدَواء وعُشَراء وغُلَواء ومُوَباء ومُطَواء وزاد غيرك عشرين او ثلاثين فهل نسوّغ هذه الزيادة عدّ وزن « فُعَلاء » من أوزان الأسماء المفردة الكثيرة الاستعمال ؟ إذن وزن « فُعال » غريبٌ ونادرٌ كلَّ الندور كما سبق فعده سيبويه وعليه الجمهور .

وبعد فلا يخفى عليك ان النحاة واللغويين الذين أشرتَ الى اندفاعهم وراء سيبويه لم يكونوا من الإمّعات المتابعين لغيرهم عفواً بلا تدبرٍ ولا تبصّرٍ بل كانوا كلهم نباريس هدىً وإرشاد ومصابيح تنقيب وتدقيق . ولو لم يجدوا إمامهم ابا بشر اهلاً للإمامة والزعامة من كل وجهٍ لما احتفلوا بكتابه ذلك الاحتفال ما برح الى الآن مضرب الأمثال في إقبالهم عليه من كل فجٍ متسابقين الى تحليته بالشرح والتحشية والتعليق . وعلى رغم ما تحاوله من بخس حقهم وحق زعيمهم ما فتئت رائحة فضلهم الذكية كرائحة اسم إمامهم[1] تعطر الاندية والافواه وتزجي اليهم ركاب الشكر والثناء من جميع الألسنة والشفاه .

القاهرة : اسعد خليل داغر

---

(١) اشارة الى معنى كلمة سيبويه بالفارسية وهو رائحة التفاح . قيل لقب به لانه كان وهو غلام جميلاً كأن وجنتيه تفاحتان . وكان مع جمال صورته طيب الرائحة جداً .

مطبوعات حديثة

البينات

« تأليف الشيخ عبد القادر المغربي طبع في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٩٢٦ »

مما تفنن به أئمة الأدب قديماً وحديثاً ، هذه الرسائل الموجزة التي ينشؤونها في أغراض لهم مختلفة من لغوي وأخلاقي وفكاهي ، كمقامات الحريري والهمداني ومجالس ابن الرومي ومسامرات ابن العربي وعبرات المنفلوطي ، ومنها الروايات القصيرة التي اعتاد المتأخرون وضعها لتقرأ في جلسة واحدة ، اما في جريدة او في صحف مستقلة ، وكلها أساليب جيدة للتعليم والتثقيف ، لما فيهما من تلخيص القول وسهولة التناول .

من أساطين هذا الشأن العصريين ، العلامة الشيخ عبدالقادر المغربي احد اعضاء المجمع العلمي العربي العاملين ، الغني بشهرته عن التنويه بمنزلته في المفكرين المصلحين اولي نوبة التجديد في هذا العصر ، وقد اجتمع له في خلال ردح من الدهر مقالات شتى في أغراض متنوعة ، كانت تنشر في أشهر جرائد مصر حين كانت تستمد من قلمه مواضيعها الاجتماعية والاصلاحية ، غير ان المقالات العلمية في صحف الاخبار ، لا بقاء لها فهي تذهب مع يومها الذاهب ، مع ان منها ماهو جدير بالتدوين يرجع اليه كسائر المصنفات القيمة التي في موضوعه ، فلذا عمد الاستاذ المغربي الى إعادة طبع ما انتقاه من مقالاته تلك في كتاب سماه (البينات) أصدر منه قبلاً الجزء الاول ، والآن صدر الجزء الثاني ، يحوي اكثر من اربعين مقالة في الاصلاح الديني والاجتماع والأدب والتاريخ ، منها ما ينبغي ان لا يفوت العالم الاطلاع عليه ، لان فيه آراء جديرة بوضعها موضع البحث والتمحيص أنتجها فكر متوقد نقاد ، ومنها ما تمس حاجة المتعلم اليه ، لأنه أقرب الطرق في تحرير موضوعه الذي تشعبت الافكار في مناحيه ، وفيه عون تحصيل ملكة الكتابة .

هذه المقالات وان كانت قد كتبت قبل نحو عشرين سنة ، الا ان هذا الزمان الذي مضى عليها لم يؤثر في جدتها ، اذ كانت مواضيعها مما يزيد مر الايام الحاجة

اليه ، ولا ينقصها ؛ على ان الاستاذ لو لم يلتزم اعادة طبعها بحروفها ، وهذبها لكان انق حسنها ، ولعله يعني بذلك في الطبعة الآتية ان شاء الله ٠ من اعضاء المجمع العلمي

مسعود الكواكبي

مجلة لغة العرب

للأب انستاس الكرملي عضو مجمعنا العلمي في بغداد مساعٍ في خدمة اللغة العربية وطريقته مبتكرة في نشر آدابها وتحقيق كلماتها ، لا يدركه فيها عثار ٠ ولا يجاريه في ميدانها مجار ٠ وقد كان منذ اثنتي عشرة سنة يصدر في بغداد مجلة لغوية أسماها (لغة العرب) لبثت نحو ثلاث سنوات ثم حال دون نشرها صرف الزمن ٠ وما تتابع من المحن ٠ وبقي محبو الاستاذ وعشاق فضله يرتقبون عودته الى إصدارها حتى أعادها اليوم بطرازها المعلم ٠ وعلى أسلوبها المتين المحكم ٠ وقد جاءنا الجزء الاول من سنتها الرابعة فاذا هو جنةُ لغةٍ دانية الثمار مفتحة الأزهار وقد آنسنا في فضلاء دمشق سروراً واغتباطاً بصدور هذه المجلة ، وحمدوا الله على عودة محررها العلامة الى ميدان العمل في خدمة اللغة الضادية بعد ان خامرهم اليأس من عودته فتلقوا بصدور مجلته بشارتين ٠ وفازوا من امره وأمرها بالحسنيين ٠ ومجمعنا العلمي يشاركهم في هذه العاطفة نحو الاستاذ ومجلته ٠ ويهنئه بعودته وجليل خدمته ٠ « المغربي »

اسباب النهضة العربية

« في القرن التاسع عشر »

تأليف السيد أنيس زكريا النصولي طبع في مطبعة وزنكوغراف طبارة في بيروت ١٣٤٥ — ١٩٢٦ ص ١٤٢

أجاد المؤلف الكلام على بداءة النهضة العربية بدخول نابوليون الى مصر ثم بظهور محمد علي الكبير وما قاما به من الأعمال المدنية في العلم والصناعة والجيش معتمداً في ذلك على مصادر أجنبية وعربية ٠ ثم تكلم على انتقال النهضة الى الشام

بانشاء مدارس التبشير فيها فأفاض فيما أحدثته من الأثر ومنها مدارس الاميركان والفرنسيس وغيرها ولا سيما الجامعة الاميركية وكلية القديس يوسف في بيروت . وفاته ان يتكلم على المدارس الاميرية التي أنشئت على عهد المرحوم مدحت باشا في انحاء الشام ومنها نشأ القسم الأعظم من المنورين من المسلمين . وأبان النتائج الحسنة التي أثرت في نهضتنا باحتكاكنا بالغرب . ثم تكلم على الطباعة والصحافة والتأليف والمكاتب والتمثيل والمستشرقين وعنايتهم بالمدنية العربية ، والهجرة ومؤثراتها . ولكنه غفل عن أشياء منها تأثير السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده وقاسم بك امين في النهضة الاجتماعية والعقلية ، ثم تأثير الشيخ طاهر الجزائري والسيد عبد الرحمن الكواكبي في النهضة الفكرية والعلمية . وكان المؤلف زهد بما عمله قومه وأعجب بما قام على أيدي غيرهم . من ذلك قوله في التمثيل العربي ان مؤسسه مارون النقاش ، مع ان هذا ترجم بعض روايات ، والذي وضع أساسه في الحقيقة احمد ابو خليل القباني العالم بالشعر والموسيقى والغناء والرقص وهو مبتدع مؤلف وذاك محتذ مترجم . ولم يتعرض المؤلف لما قام من أسباب النهضة في العراق وفلسطين وتونس مثلاً فان هذه الأقطار شاركت ايضاً في الموضوع الذي عالجه مشاركة لا بأس بها ونبغ فيها نوابغ نهضوا بالعرب وأناروا أفكارهم وألفوا وطبعوا على غرار أبناء القطرين الشامي والمصري . وقد غفل عن ذكر كثير من المؤلفين ممن كان لهم شأن يذكر في تزجية هذه النهضة الى الأمام أمثال محمود باشا الفلكي وعلي باشا مبارك وعبد الله باشا فكري ورفاعة بك طهطاوي . واذا نعى المؤلف على الأزهر اوساخه وقلة نظامه فما كان احراه ان يذكر المدارس التي يفتخر بها في مصر ولا سيما نظافة دار العلوم التي خرجت مئات من العلماء كانوا بهجة العلوم والآداب في مصر وغيرها . واذا ادعى المؤلف ان كلامه محصور في القرن التاسع عشر ، يقال له انه تعرض في كتابه لاشياء هي من محصول القرن العشرين وكل ما ذكرناه هو محصول القرن الذي عالجه وربما نضجت ثمراته اوبات القائم به في أوائل القرن العشرين . ورجاؤنا ان يعود المؤلف الفاضل في طبعة ثانية يضيف هذه الملاحظات الى كتابه فيزيده إمتاعاً وفائدة .

محمد كرد علي

المجتبى

لابن دريد الأزدي المتوفى سنة ٣٢١ طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٢ ص ٩٢

نشر هذا الكتاب السيد هاشم الندوي عن نسختين نسخهما المستشرق الكبير فريتس كرنكو احداهما في مكتبة اكسفورد والثاني في المتحف البريطاني في انكلترا ونسخة المتحف منقولة بخط عمر بن احمد بن هبة الله بن ابي جرادة المعروف بابن العديم الحلبي سنة ٦٣٠ وقد قدم الناشر الاستاذ الندوي مقدمة في ترجمة المؤلف مبيناً مزايا كتابه هذا . والكتاب أحاديث وشذرات من خطب وأمثال وأقوال للحكماء من أهل الاسلام واليونان وغيرهم ومواعظ ونوادر وشرحها صاحب المقصورة شرحاً بديعاً يتعلم بها المطالع حكمة ويستفيد أدباً . وكنا نود لو بذلت العناية اكثر مما بذلت حتى الآن بمطبوعات مطبعة حيدر آباد الدكن من وضع الفواصل وتقطيع الجمل وتحلية النصوص بالشكل عند مواطن الإشكال وشرح بعض الغامض من الألفاظ تسهيلاً على جميع المطالعين وعسى الذين عنوا بطبع كتب العرب في الدكن وبمباي ولاهور وكلكتا ودهلي ولكنو وكبور وغيرها من بلاد الهند ان يجروا بعد الآن على الطريقة التي اتبعها علماء المشرقيات وطرس على آثارهم بعض الطابعين في مصر والشام وتونس والعراق وعندها تزيد فوائد مطبوعاتهم فوق ما فيها اليوم من النفع العميم . م . ك

الجغرافية العامة

الجزء الاول في الجغرافية الرياضية تأليف السيد كامل نصري طبع بمطبعة الترقي ١٣٤٥ — ١٩٢٦ ص ١٥٢

هذا كتاب استقاه مؤلفه من مآخذ شتى « عربية وتركية وافرنسية والمانية » وقسمه الى جزئين والاول في الجغرافية الرياضية اي الفلكية ، استهله بمقدمة في

نشأة الكرة الأرضية وتاريخ اكتشاف أجزائها وتكامل فن الجغرافية وماهيته وأقسامه وعلاقته بالعلوم الأخرى . وقد لاحظنا على المؤلف انه غفل عن عمل العرب العظيم في الجغرافية ولم يتعرض لذكر اكتشافاتهم ولا مصنفاتهم النفيسة . وفي محاضرات الجغرافية التي ألقاها صديقنا العلامة السنيور جويدي في الجامعة المصرية بيان شاف في هذا الموضوع ، وكتب الجغرافية التي طبعها علماء المشرقيات ، ومنها المكتبة الجغرافية العربية للعلامة دي خوي الهولاندي محفوظة في دار الكتب العربية يمكن المؤلف ان يرجع اليها و يشهد من تحقيقات العرب في هذا الشأن ما هو قرة العيون على غابر القرون .

م . ك

استقلال المجمع العلمي

طلب رئيس المجمع العلمي العربي الى أرباب السلطات العليا بتاريخ ١١ شباط سنة ١٩٢٦ انفصال هذا المجمع وتوابعه (داري الكتب والآثار) عن الجامعة السورية وربطه في معاملاته الرسمية بوزارة المعارف مباشرةً وان يكون مستقلاً بأموره المالية له شخصيته المعنوية وذلك حباً بتقليل العلائق الادارية التي تعوقه عن الاسراع في أعماله اليومية الكثيرة وذلك على النحو الذي جرت عليه معظم مجامع العالم فصدر قرار فخامة المفوض السامي للجمهورية الفرنسية في سورية ولبنان بتاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ بنزع المجمع وما يرتبط به من الجامعة السورية على ان تعين أوضاعه الادارية في قرار آخر .

الجزء ٩ المجلد ٦

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) ايلول سنة ١٩٢٦م الموافق صفر وربيع الاول سنة ١٣٤٥ هـ ٦٩

عمل الذهب (١)

« بالطريقة الصناعية »

سادتي ، اخواني :

اسمحوا لي قبل ذلك بذكر مقدمة أُبين بها الأمر الذي حملني على انتقاء هذا الموضوع دون سواه ، حملني عليه ماأسمعه من آونة الى أُخرى من قدوم بعض اشخاص غرباء من جهات مختلفة يدّعون صنع الذهب ، فيتقربون من بعض سذج العقول حتى يتوصلوا بدهاء ومكر الى اختلاس أموالهم وثروتهم ويتركونهم حيارى ، ملء رؤوسهم الأمل الذي يدفعهم الى العمل الدائم لإتلاف مابقي بايديهم ، اوماسيحصلونه في مستقبلهم من مال في نفس السبيل ·

وقبل ابداء رأيي الخاص أطرح الاسئلة الآتي ذكرها على بساط البحث لتحليل المسألة تحليلاً دقيقاً ·

صناعة الذهب صناعة قديمة ، قال بها الأولون واختلف عليها المتأخرون بين مصدق ومكذب ومثبت ومنكر ، ولا بد لكل شيء من أساس · فهل لهذه الصناعة أساس بني عليه المتقدمون نظرياتهم ؟ وما هو هذا الأساس ؟ وهل توصلوا حقيقة لصنع الذهب ؟

من قرأ يا سادة شيئاً من كتب الأقدمين ، يعلم ذلك الأساس الواضح الذي

---

(١) محاضرة الاستاذ الكيماوي السيد عبد الوهاب القنواتي من أساتذة المعهد الطبي العربي في دمشق ألقاها في ردهة المجمع العلمي في تشرين الاول ١٩٢٣ ·

بنيت عليه تلك النظريات ، وهو قولهم بوحدة المادة ، اي انهم كانوا يعتقدون بان جميع العناصر الموجودة هي من اصل واحد ، فكيف لا يمكن تحويل بعضها الى بعض وذلك بان يعمل من النحاس ذهب ومن الرصاص فضة الخ ؟ ! قام بهذه الفكرة العرب في أدوار حضارتهم ولم يبق منهم صغير ولا كبير الا واكثر التجارب وبذل الهمة في التوصل الى هذه الغاية . فدوّنوا الكتب والرسائل ، وكثر بينهم الجدال والقيل والقال . فكم من معترض أقنعوه ، وكم من مكذب حجوه ببراهينهم الناصعة . وكم من أحمق جاهل ضل في غياهب جهله وأضاع حياته بالبحث الفاسد وذلك لانه فهم من الرموز ظاهرها ، ولم يتوصل لغباوته الى حلها ، ولذلك مال الناس للإنكار حين عجزوا عن كشف ما وراء الستار ! وكم كُتِبَ على صفحات الكتب القديمة كالحواشي بعد ذكر تجربةٍ غامضةٍ مثلاً (اقرأ تفرح جرّب تحزن) .

وحدة المادة هي الأساس الذي بنت عليه العرب نظرياتها واستنتجت منه إمكان تحول المادة من شكل الى شكل آخر ، ومن حالة الى أخرى بالعوامل المختلفة . ماهي تلك المادة الاولية التي هي اصل العناصر ؟ لقد بحث علماء الكيمياء في عامة العناصر المعروفة حتى اليوم ، فوجدوا بان ألطفها وأخفها وزناً الهيدروجين (مولد الماء) الذي هو أخف من الهواء باربع عشرة مرة ونصف تقريباً ، وثقل غرام واحد منه يملأ حجم احد عشر ليتراً وربعاً .

(نقصد بالعنصر الموادّ المعلومة الخواص والتي لا يمكن ان تنتج أجساماً أبسط منها بوسائطنا الحاضرة من حرارة وكهرباء ، والمتكونة ذراتها من عين الجواهر الفردة كالحديد مثلاً . وباتحاد هذه العناصر المختلفة تتكوّن أجسام جديدة تخالف اصولها كل المخالفة فندعوها بالأجسام المركبة كالماء مثلاً المركب من الهيدروجين والأوكسيجين الخ) .

فهل الهيدروجين اصل للعناصر . وهل ذراته المتكاثفة بنسب مختلفة كوّنت العناصر المختلفة الطبائع والصفات ؟ . قبل الجواب على ذلك نقول : ان الكتلة الكبيرة من اي مادة كانت مكوّنة من قطع صغيرة لا تخرج عن جنسها وتلك القطع الصغيرة مكونة من ذرات ، والذرات من جواهر فردة (ويقصد بالجوهر الفرد Atome

اصغر جزء من المادة) · فالتحويل الذي نبتغيه من المادة هو تحويل هذا الجوهر الفرد اما بتكاثف أجزائه ليصير مادة ثانية غيرها ، واما بانقسامه بالذات · واذ كان الهيدروجين أخف العناصر المعلومة باتفاق العلماء ، فهل امكن تكثيف جواهره او تقسيمها ؟ لم يعلم التقسيم ولم يتحقق وانما امكن التكثيف · وقد حصل من هذا التكاثف ذرات الهيدروجين · والبون ظاهر ما بين ذراته وجواهره في الطبيعة والصفات والتأثير ! · · ·

(نقصد من كلمة ذرة كلّ كتلة حاصلة من تمازج جوهرين فردين فاكثر سواء كانا من جنس واحد او اكثر ، فما تكوّن من عنصر واحد يحافظ على اصله وندعوه بالجسم البسيط وما تكوّن من عنصرين مختلفين فأكثر فهو جسم مركب وقد خصصنا بحثنا على البسائط وتركنا المركبات) ·

لنعد الى الذرّات المكوّنة من جواهر هي من جنس واحد ، فلو قابلناها باصل جواهرها لوجدنا بينها بوناً شاسعاً في الخواص والتأثير والصفات الظاهرة كاقدمنا· فالهيدروجين مثلاً بحالة الجوهر هو غير الهيدروجين في حالة الذرة فانا نجد له تأثيراً شديداً لا نراه في الهيدروجين الذري من حيث ارجاعه مركبات الزرنيخ والأثمد الى اصولها مثلاً · وذلك امر يعجز الهيدروجين الذري عند الإتيان بمثله ، ومن خاصته هذه سمي بالهيدروجين الفعال او المتولد ·

وكذلك الفوسفور فانه يتكاثف ذرة اكثر من ذرة اي باختلاف عدد الجواهر في ذراته تختلف صفاته وتأثيراته · فالذرة المكونة من اربعة جواهر (p 7) تدعى الفوسفور الابيض وهو مادة قابلة للتبلور تذوب بكبريت الفحم وتنصهر بدرجة + ٤٤ سانتيغراد ، تلمع في الظلام · وتشتعل بتماس الهواء من نفسها حتى بالدرجة العادية من الحرارة وهي من أشد السموم ·

والذرة المكوّنة من ثمانية جواهر (p 8) تدعى الفوسفور الاحمر وهي ليست سريعة الاشتعال ولا تذوب بكبريت الفحم ولا تلمع بالظلام ولا يعادل سمها معشار سم الفوسفور الابيض وتأثيرها في العناصر الاخرى قليل ·

وهكذا في الكبريت العادي أشكال مختلفة بسبب اختلاف عدد الجواهر الفردة

في كل ذرة منها . والاوكسيجين الذي هو العنصر الاساسي لتنفس كل حي من حيوان ونبات موجود في الهواء المحيط بكرتنا الارضية بحالة ذرات كل منها مكوّن من جوهرين من الاوكسيجين فان تكاثفت جواهره حتى بلغت الذرة الواحدة الثلاثة الجواهر التي هي الجسم المسمى بالاوزون تصبح مادة لا تصلح للتنفس مزيلة للالوان ، قاتلة للجراثيم ، مخربة للاغشية المخاطية ، توجب عسر التنفس ثم الموت .

وهي صفات طارئة لم يكن لها أثر في ذرة الاوكسيجين الهوائي . وكذلك الفحم فهو في بعض ذراته الكثيرة التكاثف « ماس » يسحر الالباب ببريقه ولمعانه . وفي بعضها القليلة التكاثف « غرافيت » وفي بعضها فحم عادي او حجري عديم الشكل . والبون شاسع بين الفحم والماس . فذرة الماس مكوّنة من اربعة جواهر من الفحم والغرافيت من ثلاثة والفحم العادي من جوهرين . و يقول بعض العلماء ان ذرة الماس مكوّنة من (٣٧٦٧) جوهراً اي انها متكاثفة جداً .

وكذلك الزرنيخ اذا سيقت أبخرته المتصاعدة الى غرفة صغيرة باردة فانه يتوضع فيها بشكل زهر الكبريت العادي مع ان الزرنيخ ذو رونق معدني و بريق خاص . وهذا ناتج ايضاً من تكاثف ذرة ٍ اكثر من ذرة !! . فهذا التكاثف سواء كان ثابتاً او غير ثابت انتج لنا نتائج واضحة عن تطور المادة بتحول صفاتها وأحوالها .

ولنعد الى الجوهر الذي رأينا من تكاثفه ما رأينا ولنجرب هل يمكن ان ينقسم؟! امر انقسام الجوهر بحث كبير مازال ولن يزال موضع المناقشة والخلاف ! نعلم ياسادة ان اليونان كما اشتهر في التاريخ منبع لهذه العلوم وقد طرقوا بلا شك هذا البحث ووضعوا اذ ذاك كلمة آتوم (atome) اي جوهر فرد التي لو فسرنا معناها الحقيقي لرأيناها مركبة من كلمتي (a) ومعناها غير قابل و (tomos) تفيد الانقسام اي غير قابل الانقسام . فيستنتج من هذه الكلمة ان اليونان كانوا يقولون بعدم قابلية إنقسام الجوهر « وقد دار على الألسنة قول الناس هذا جزء لا يتجزأ (مثل سائر) » .

***

انتقل العلم الى العرب في دور حضارتهم الزاهرة فبعضهم نحا منحى اليونانيين بالقول

بعدم قابلية الانقسام ، وبعضهم أعمل العقل وأجهد الفكر وأكثر من التجربة فقال بالانقسام . ومنذ ذلك الحين نشأ فكر عمل الذهب بالطريقة الصناعية وامكان تحويل المعادن بعضها الى بعض استناداً على قابلية انقسام الجوهر وتكاثفه ! .
والادلة على ذلك اكثر من ان تحصى ، منها ما جاء في كتاب المكتسب في زراعة الذهب لابي القاسم العراقي قال : « لانها في الحقيقة قرابة الأجساد الذاتية ومتولدة من اصل مادتها لكن اعترضها عارض في الكيف بيبسها وفتتها ومنعها من السبك والتلزز والقيام » . وقول الآخر : « ولهم حجر آخر ميت في رأي العين اذا أحكم تدبيره ، تهالك عليه الملوك وسفكوا دماء بعضهم بعضاً حياله . والحجر الآخر فهو الماء الذي يكون منه حياة هذه الاجساد الميتة لمن يحسن التدبير بتكرار السحق والتشويه والتصعيد والحل والعقد فانه يكون منه الاكسير الاعظم الذي المثقال الواحد على الف الف ومائتي الف مثقال من الرصاص يكون ذهباً ابريزا » .

وقالوا يا سادتي : ان القوة مصاحبة للمادة وهي لازمة لها غير مفارقة ، وبتجلي هذه القوة على المادة بصور مختلفة تتكون تلك العناصر المختلفة . واثباتاً لذلك : اذكر لحضراتكم ما جاء في كتاب البرهان في علم الميزان في الصنعة الالهية لجابر بن حيان قوله : « وها انا أبدي لك معرفة قوى الاجسام الطبيعية العنصرية والتراكيب الحسية المعنوية العملية فتفهم منها بالبرهان الصنعة الالهية . لانه قد تقرر عند الفلاسفة ان الذهب حار رطب في ظاهره بارد يابس في باطنه وهو معتدل الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وان الفضة باردة يابسة في ظاهرها حارة رطبة في باطنها قد غلب جزء من البرودة وجزء من اليبوسة . وان الأسرب اي الرصاص بارد يابس في ظاهره حار رطب في باطنه مائل عن الاعتدال بالبرودة واليبوسة ، وان القلعي اي القصدير حار رطب في ظاهره بارد يابس في باطنه منحرف عن الاعتدال بقوة البرودة وشدة اليبوسة ، وان الحديد بارد يابس في ظاهره حار رطب في باطنه منحرف عن الاعتدال بقوة البرودة وشدة اليبوسة ، وان النحاس حار رطب في ظاهره بارد رطب في باطنه منحرف عن الاعتدال بقوة الحرارة واليبوسة وكذلك في جميع العقاقير المستعملة في هذه الصناعة الشريفة فهي اذا ظهرت فيها طبيعة كمن ضدها

واختفى ما يقابلها والحاذق الحكيم ابحث عن طبائع هذه وعن درجاتها وثوانيها ، وكم في كل مفرد منها من اجزاء الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة و يتأمل كل ماذكروه من المماثلة والمقابلة فعند ذلك تظهر له النتيجة والبرهان » . الى ان يقول : « واعلم ان الحرارة والبرودة ضدان واليبوسة والرطوبة ضدان ، والمقاومة بالضد ، والحرارة والرطوبة متصادقان والبرودة واليبوسة متصادقان والحرارة يتبعها اليبوسة في الخارج والبرودة يتبعها الرطوبة في الممازجة وكذلك الحرارة ، والرطوبة تتبعها اليبوسة . والبرودة في الممازجة والمقاومة بالمضادة . فان الاشياء تضعف باضدادها وتقوى باشكالها » . ثم يقول : « فان أعطيت الفضة ما نقصها وعدلتها بميزان الاعتدال حتى تدفع ما غلب عليها من البرودة واليبوسة استحالت ذهباً خالصاً وهكذا بقية الاشخاص المعدنية ! ! . » وقد ذكر في محل آخر من الكتاب ما مفاده : « والحرارة تعدلها الرطوبة وبهذا تعمل جميع الاعمال في جميع الكائنات والمكونات بين المواليد الثلاثة المعدن والنبات والحيوان . تألف هذا التعديل الطبيعي بعضها مع بعض وتخالف بعضها بعضاً وتجلب بين بعضها وتطرد بعضها فهذه صفة موازين الحكماء الداخلة في جميع أعمالهم المؤلفة بين طبائعهم المكتومة لجميع تدابيرهم التي دبروا بها جميع المعادن وألفوا بها جميع الطبائع وأقاموا بها جميع الطلاسم فهي سرهم النافذ فافهم ترشد » . وقد قال صاحب الشذور رحمه الله من قصيدة طويلة :

لنا من قوى مركوزة في الغرائز وقوف على مااعتاص من رمز رامز الخ .

والخلاصة : لقد ظهر من أقوال هؤلاء العلماء بانهم يعتقدون بكمون القوى المختلفة في المواد كل على حسب درجته ! . كيف نعلم وجود هذه القوى ? وهل يمكن ان ترى ? ان القوة كامنة في المادة تظهر حين ايقاظها وتحريكها . فسلك الكهرباء لا يشعر بالقوة الموجودة فيه الا حينما يلمسه لامس وتختلج أعصابه او حينما يربط بمصباح كهربائي ويلمع ضوءه ، او عندما يربط بمحرك كهربائي فتبدو حركته وهكذا .

لننظر الى هذا المسحوق الابيض (مخلوط السكر وملح برتلو) ولنوقظ قواه الكامنة

فيه بمحرك . « (التجربة) صبَّ على المسحوق الابيض زيت الزاج فاشتعل اشتعالاً مدهشاً » .

وها نحن نشاهد من النار والضياء والحركة ماتجزع منه النفوس وترتعد الافئدة . وهكذا البارود يلتهب عندما توقظ قواه المدخرة بقبس ، والديناميت ينفجر حينما توقظ قواه الكامنة فيه بضغط او بصدمة . والهر تبدو قواه فيهتز ويضطرب عندما يرى الفأر ماراً أمامه . والسبع يَكْشِر عن أنيابه ويتحفز للوثوب حينما تتراءى له فريسته . والشريف ينفعل ويحتد ويحتدم بالغيظ حينما تهان كرامته . والخسيس الدنيء الوضيع يظهر لؤمه وخبثه وأذاه عندما يعتلي منصة الحكم وتكون بيده مقاليد الامور . فكل كائن لا بد ان يدخر في نفسه قوة تظهر حين الإيقاظ والدلك والتحريك . وبالطبع من الممكن تحويل هذه القوى من شكل الى شكل وانقاصها او زيادتها . ومثال ذلك القوة الكهربائية الكامنة في بطارية كهربائية تتحول بحسب تجليها الى حركة وضياء وحرارة ، والسبع المفترس ينقلب بالتربية الى حمل وديع يألف البشر ويخالطهم في ملاعبهم وفي حفلاتهم ويصادقهم ويوادّهم ، ولكن اساليب هذه التربية مزية يختص بها الله من يشاء من عباده وقليل ما هم !

* * *

خالف علماء العرب بعضهم بعضاً في إمكان هذا التحويل . فقال ابن سينا : ان قلب اعيان صور الموجودات ممتنع ، ولا يمكن انقلاب الذهب الى الفضة كما لا يمكن انقلاب الفضة الى الذهب . ويمتنع ان ينقلب النحاس فضة كما يمتنع ان تنقلب الفضة نحاساً ، وكذلك في بقية الاشخاص المعدنية . لكن ارى بامكان دخول الصبغ الابيض على النحاس فيصير في قِوام الفضة ولونها فيكون نحاساً مصبوغاً لا فضة ، ويمكن دخول الصبغ الاحمر على الفضة فتصير في قوام الذهب ولونه فتكون فضة مصبوغة لا ذهباً . فردوا عليه بقولهم : قولك هذا يدل على انك قانع بإمكان دخول الصبغ على الفضة ومسلم فيه . واما انكارك بعدم انقلابه حقيقة الى ذهب ، ذلك لانك لم تطلع الا على ظواهر أقوال الحكماء ، ولم تصل الا الى القشور فعملت أصباغاً زائفة لا قيمة لها . ولكن لو قُدّر لك وحللت تلك الألغاز ووصلت الى اللب

لقلت بان الفضة انقلبت بعد الصبغ والتحليل والتفصيل والتركيب والحل والعقد الى ذهب خالص وليست هي فضة مصبوغة كما زعمت . اذ ما ذا ينقص الفضة عن الذهب غير التلزز في الذرات ! ! . ما ابلغ هذه الحجة وما اوضح معانيها ! . هذا رأي علماء العرب الذي قر رأيهم عليه في عصرهم الذهبي ، ذلك العصر الذي كان يفاخر الجوزاء برجاله العاملين الذين انبثقت من عقولهم أشعة نور كانت اكثر تلألاً من نور الشمس . تلك الادمغة التي لبست من العلم تيجان العظمة والفخار ، وألبست الكون حلة الشرف والسؤدد ، لا تزال ولن تزال فخاراً للعالم ، ومجداً للعرب لا يبلى ولو بلي الزمان . وقد كان الغرب اذ ذاك يتيه في ظلمات الجهالة لا مرشد ولا دليل ، فسبحان مقلب الأحوال .

آه واحر قلباه ! . ذُر الرَّماد على تلك النار المتأججة فأخمدها ، وغربت هاتيك الشموس نخيم الظلام على تلك الربوع ، فاستبدل الخوف بالأمن والهمجية بالمدنية والذل بالعز والجهل بالعلم ، فأصبحنا نسمع في هذا الليل المدلهم انات الأيامى وبكاء اليتامى واستغاثة المظلوم فلا حول ولا قوة الا بالله . وبعد ذلك تغلبت الايدي الآثمة وهدمت تلك العروش ودكتها ، واستولت على الكتب فأحرقت معظمها ، ولم تبق الا النزر القليل . وهو اليوم يزين اكثر دور الكتب في اوربا العظيمة و يعد من أهم الآثار العربية القديمة فيها . ثم ما ذا ؟ . اخذت تنبعث أشعة النور الذهبية من بين طيات تلك الصفحات التي ادخرت فيها محصلات عقول اولئك المنكودي الطالع ، فاستنار الغرب وأبصر الحقيقة . فترك التعصب والوحشية وأقبل بجدٍ ونشاط الى حياض العلم فورد الماء زلالاً وطاب له مورداً . ثم تعلَّم وعلَّم فتقدم . وبني على تلك الأنقاض المندرسة صروحاً لا تفنى ولا تنهدم ؟ ! .

***

فهل بحث الغربي في المادة والجوهر وامكان انقسامه او تحوله ؟ . نعم وقد رجع في حكمه الى نظرية اليونان القائلة بعدم الانقسام ، وزاد على ذلك (لافوازيه) العالم الفرنسي الكبير بقوله بعدم إمكان تغير المادة وبكونها ليست فانية ايضاً ووضع قانونه المشهور (Dans la nature rien ne se perds rien ne se crée)

اي لا شيء يفقد ولا شيء يخلق في هذا الوجود » . خالف لافواز به العرب وله الحق لانه لم يفهم من كتبهم الا ظاهر الاقوال ولم ينجح بالأفعال . لان كتب الاقدمين عبارة عن رموز وألغاز كانوا يلقنونها خواص تلامذتهم ويكتمونها عمن لا يستحقها من اهل الغباوة والدناءة فصانوها وضنوا بها ، خوفاً على العالم من الاضمحلال وسوء المآل .

ظل هذا الاعتقاد منتشراً في اوربا ما يقرب من قرن ونيف الى ان اكتشف معدن الراديوم ابو العجائب فبطل حكم لافواز به وسقط قانونه من شاهق مجده ، اذ ثبت تحول هذا العنصر الجديد من شكل الى شكل آخر . وثبت ان المادة فانية ايضاً كما جاء في نظريات العالم غوستاف لوبون القائلة ان المادة تنقلب بالتدريج الى قوة والقوة الى الأثير ؟ ! .

واليكم ياسادتي آخر حكم بعد طول التجربة والاختبار ! . اكتشف معدن الراديوم سنة ١٨٩٩ العالم كوري وزوجته والعالم بيمون (Bmeont) . وهومعدن متصف بصفات غريبة في بابها من حيث نشره للحرارة والضياء من غير وقوع فعل كيماوي او حكمي ومن غير ان ينقص من وزنه شيء في الظاهر .

ظن العلماء بادئ ذي بدء ان اجزاء الراديوم منبع تصعدات ثابتة ودائمة ، اي ان الحرارة والضياء المنبعثين منها ناشئان من تحول القدرة المدخرة فيها الى قدرة فعالة . ولكن مكتشفه كوري وزوجته مع ثلة من ارباب العلم قالوا : ان ذلك ناشئ عن انقسام اجزاء الراديوم وتحولها الى هليوم . فوزن جوهر الراديوم ٢٢٥ والهليوم ٤ . وهاكم الاثبات :

قال كوري وضعت نثرة جافة من الراديوم بوزن ٧٠ /. سانتيغراماً في كرة زجاجية أخليت هواءها وسددتها على النار سداً محكماً . وبعد ان تركتها ثلاثة اشهر عدت اليها قاصداً فتحها بالمبرد « ودفعاً لكل احتمال سترت نفسي انا ومعاوني بقوي ثخين » فلم اكد أضع المبرد الا وحدثت صدمة يصحبها اشتعال خفيف وانتثرت قطعة الراديوم في الغرفة اجزاءً صغيرة ، بقيت عشرة ايام انا ومعاوني حتى جمعتها . اما اسباب الاشتعال والصدمة فهو انقلاب معدن الراديوم الى غاز الهليوم الذي احدث تضيقاً عظيماً داخل الكرة .

فبعد ان نشر كوري تجربته هذه في جرائد باريز قام اهل العلم وقعدوا بين مصدق ومكذب ومشتبه ، ونظر صودي (Soddy) وراسمو (Rasmoy) مشاهدات كوري هذه واثبتا تحول الراديوم الى هليوم حقيقة ، وذلك انهما أخليا هواء أنبوب زجاجي وجمعا فيه تصعدات راديوم فعال ونورا محتو يانه بتصعدات الكهربكية ثم عايناه بمرآة الطيف فرأيا الطيف المخصوص بالهليوم . فأقر اهل العلم حينئذ بالحكم وطأطأوا الرؤوس أمام الحقيقة الراهنة وبالطبع تحققوا ان من قال بامكان تحول المعادن بعضها الى بعض محق في دعواه وبأن العناصر من مادة واحدة . ومن ثم اخذوا ينظرون و (خصوصاً بعض المتأخرين منهم) الى العرب الكرام بعين الاعتبار بعدما كانوا يرمقونهم بنظرات الازدراء والاحتقار .

* * *

وأجمل من هذا نظرية جان بران الحديثة التي شبه بها الجوهر الفرد بالكون فقال : الجوهر الفرد مكون من اجزاء صغيرة غير متجانسة دعاها الكترون . وان هذه الألكترونات ليست بحجم واحد . فبعضها كبير وبعضها صغير ، فالكبيرة تحمل الكهرباء المثبت وتدور على محورها كالشمس ، والصغيرة تحمل الكهرباء المنفي وتدور حول الاجزاء الكبيرة كالسيارات ويتكون من هذين القسمين جملة معتدلة هي الجوهر الفرد . وان جميع الاجزاء الفردية من مادة واحدة واختلافها في الاجسام البسيطة ناشئ عن اختلاف سرعة الاجزاء الصغيرة الدائرة حول الشموس وبعدها عن مركز المحور . واختلاف وزن الجواهر بعضها عن بعض ناشئ ايضاً عن اختلاف عدد الشموس والسيارات فيها . فالجواهر الثقيلة مكوّنة من عدة شموس وسيارات كثيرة والخفيفة مكوّنة من شمس واحدة وسيارات قليلة . وهكذا فالراديوم الكثير الشموس والسيارات تتخلص بعض سياراته من الجاذبة المركزية اثناء دورها وتتصاعد بحالة اجزاء صغيرة مثبتة هي الهليوم .

فما أشبه هذه النظرية بنظرية الجلدكي وأضرابه الذين يقولون بان الفرق بين العناصر هو التلزز في الذرات وعدم التساوي في القوى من حيث الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة .

اصغوا اليّ ياساداتي واسمعوا هذه الأعجوبة . قال صاحب الشذور :

فشتان بين اثنين هذا مكوكب　　يدور وهذا مركز للمراكز
وانهما عند الحكيم لواحد　　لانهما من واحد متمايز
فهذا على هذا يدور وهذه　　لها مركز رأس بقدرة راكز
وبينهما ضدان منفي ومثبت　　لقاؤهما فردين ليس بجاجز
وبينهما جسم مشفّ كأنه　　من اللطف فيما بينها غير حاجز
فأعجب بها من اربع حال بعضها　　الى بعضها عن نسبة في الغرائز

ولا أعلم ان كان هذا من باب تواردالخاطر ما بين صاحب الشذور وجان بران . او ان روح الاول حلت بالثاني بعدمضي ٨٠٠ سنة تقريباً ان كنا ممن يقول بالحلول . والله أعلم .

نتج معنا أخيراً اتفاق الكلمة على وحدة المادة وعلى إمكان التحول ، و بالطبع ليس الهيدروجين هو اصل العناصر لانه جوهر ربما يكون كبيراً ومكوناً من شموس كثيرة وسيارات ، ويأتي يوم يتوصل فيه علماء الفن لفصم هذه الكواكب بعضها عن بعض ، والحصول على أجسام أبسط من الهيدروجين . قرأت في جريدة تركية على أثر انتهاء الحرب العامة ولعلها «إقدام» مقالة مترجمة عن مجلة انكليزية مفادها : اثبات إنقسام عنصر الآزوت (وهو العنصر الموجود في الهواء المحيط بنا والذي يؤلف اربعة أخماسه تقريباً) الى غازي الهيدروجين والهليوم . فهذه خطوة كبرى في انقسام المادة ايضاً وربما سنسمع بتحول وانقسام عنصر تلو عنصر ما دام العلم يتقدم الخطوات الى الأمام والمستقبل بيد الله .

* * *

لنعد الى سؤالنا الاخير : وهو هل توصل العرب حقيقة الى صنع الذهب ؟ اجيب عن ذلك بما يأتي :

تلك آثارنا تدل علينا　　فانظروا بعدنا الى الآثار

ولدينا اليوم من تلك الآثار القديمة بعض الكتب المخطوطة والمطبوعة من كتب فن وأدب وتاريخ الخ . وكلها تشهد بانهم كانوا يصنعون الذهب حقيقة . واليكم

ما جاء في عيون الأنباء في تاريخ الأطباء لابن ابي أُصيبعة في ترجمة ابي بكر محمد ابن زكريا الرازي قال : وكان في اول امره قد عُني بعلم السيمياء والكيمياء وما يتعلق بهذا الفن وله تصانيف ايضاً في ذلك . ونقلت بالمظفر بن معرف قال : كان الرازي يقول : انا لا أسمي فيلسوفاً الا من كان قد علم صنعة الكيمياء لانه يستغني عن التكسب من اوساخ الناس ويتنزه عما في أيديهم ولم يحتج اليهم . ثم قال وحدثني بعض الاطباء ان الرازي كان قد باع لقوم من الروم سبائك ذهب وساروا بها الى بلادهم ثم انهم بعد ذلك بسنين عدة وجدوها وقد تغير لونها بعض التغير وتبين لهم زيفها فجاؤا بها اليه وأُلزم بردها . وقال ان الوزير كان أضاف الرازي فأكل عنده أطعمة لذيذة لايمكن ان يأكل أطيب منها ، ثم ان الوزير تحيل بعد ذلك حتى اشترى احدى الجواري التي تطبخ الأطعمة عند الرازي ظناً منه ان تطبخ مثل ذلك . فلما صنعت له اطعمة لم يجدها كما وجدها عند الرازي فلما سألها عن ذلك ذكرت له ان الطبخ واحد بل اننا كنا نجد القدور التي عند الرازي جميعاً ذهباً وفضةً . فسبق الى ذهنه حينئذ ان جودة الأطعمة انما هي من ذلك وان الرازي قد حصلت له معرفة الكيمياء فاستحضر الوزير الرازي وسأله ان يعرفه ما قد حصل له من معرفة الكيمياء . فلما لم يذكر له الرازي شيئاً من ذلك وانكر معرفته خنقه سراً بوتر . وهكذا ذهب الرازي طعمة المطامع الاشعبية رحمه الله تعالى .

وذكر ابن ابي أُصيبعة ايضاً من مؤلفات الرازي اثني عشر كتاباً في الصنعة (اي صنعة عمل الذهب) الاول كتاب المدخل التعليمي الثاني كتاب المدخل البرهاني الثالث كتاب الاثبات الرابع كتاب التدبير الخامس كتاب الحجر السادس كتاب الإكسير وهو عشرة أبواب السابع كتاب شرف الصناعة وفضلها الثامن كتاب الترتيب التاسع كتاب التدابير العاشر كتاب الشواهد ونكت الرموز الحادي عشر كتاب المحن الثاني عشر كتاب الحيل وختمها بكتاب أثبت فيه ان صناعة الكيمياء صناعة أقرب الى الوجود من الامتناع سماه كتاب الاثبات . وقد كتب الامير خالد بن يزيد لابيه يزيد وكان سافر في طلب العلم وخصوصاً الكيمياء يبشره بنجاح مسعاه .

أيا راكباً نحو الشآم عشيةً يؤُم دمشقاً قف فحمل كتابيا
وبلغ يزيداً حين يتلو رسالتي وقل خالداً قد نال ما كان راجيا
الا قد ملكت الشمس والبدر عنوة وحزتهما من بعد طول عنائيا

ويقصد من الشمس الذهب ومن البدر الفضة كما هو معلوم من مصطلحاتهم · والامير خالد ممن يستشهد باقواله وافعاله اكثر علماء الكيمياء القديمة · وله كتاب الفردوس الأعلى الذي جمع فأوعى رحمه الله رحمة واسعة ·

ومن الشواهد على ذلك قول صاحب الشذور : « وقد ذكروا عنه انه بدأ في تحصيل هذه الصنعة وعمره نحو الثلاثين وبقي يبحث نحو ثلاثين سنة حتى فاز بالغرض ولسوء الطالع لم يعش بعدها اكثر من ست سنوات دوّن في خلالها كثيراً من الحقائق ناظماً عقدها بقصائده الرقيقة التي تدل على مقدرته وعلو كعبه ومن قوله :

فما زلت والاحشاء تهفو كأنها لشدة ما ألقى بنار الجوى تكوى
ازيل مصون الدمع في نيل وصلها فكنت كأني منه أخبط في عشوا
فلما رأيت الوصل ينأى بجانب ولم استطع صبراً على الرشإ الاقوى
وهاج من الأشواق ما بي لو انه يهيج برضوى ذاب من حرها رضوى
سألت الذي يحيي الرميم بلطفه فيجعله للروح بعد البلى مثوى
ليفتح لي في الحب أبواب وصلها فلست على اثقال هجرانها اقوى
فقرّب مني دارها فاذا الهوى وان كان مر الطعم احلى من السلوى
ولما التقينا بالمعرف أقبلت تواصلني حباً وتهجرني زهوى
فلم أر اشهى من وصال مكدر بهجر اذا لم يفسد الكدر الصفوى
فكنت وإياها وقد لفنا الهوى كأنا معاً ماء الغمامة والقهوى
فلا تنكرا بعد الفراق اتصالنا فما برحت مني على بعدها عضواً
ولا تعجبا ان كنتما قد علمتما بتفريقنا جزئين من عودنا جزءاً
لقد خلقت مني بألطف حيلة كما خلقت من آدم زوجه حوى
واني وإياها لضدان روحها على الوصل بي تنمو وجسمي بها يذوى

فقد ضمن قصيدته هذه رحمه الله الصنعة من أولها الى آخرها ·

ومن الادلة الواضحة ايضاً ما جاء في مقال الاستاذ محمد كرد علي في الجزء الثالث والرابع من مجلة المجمع العلمي شيد الله أركانه وهو يعد ما جاء في مخلفات سنان باشا احد حكام دمشق سابقاً . و باني جامع السنانية ، نقلاً عن كتاب الباشاة والقضاة الخطي الذي وجد في مكتبة برلين قوله : وفي داخل صندوق منها مائتا مثقال من الاكسير كل مثقال منها على الف قنطار من الحديد يستحيل ذهباً خالصاً .

فكل هذه الأحاديث وكثرة هذا التواتر تدل على ان الامر واقع لا محالة .

* * *

انكر على العرب امرهم هـذا كثير من علماء الافرنج وعدوه سخافات وخرافات ، ومنهم من كان يطعن بهم وينسب المشتغلين به الى الجنون (والمرء عدوٌ لما يجهل) . على انهم لم يحرموا من عاقل يقدر الناس حق قدرهم ، او يذكر للموتى حسناتهم ومن هؤلاء العالم فيجيه (Figuier) الذي تعرض بمقدمة كتابه الصيدلة (La pharmacie) وهو يشرح تاريخ الصيدلة حتى دور العرب فقال وأحسن وأنصف في قوله :

Les alchimistes Arabes sont nos véritables aïeux. Si l'alchimie n'a pas trouvé ce qu'elle cherchait, si elle a échoué dans ses longs efforts pour la recherche de la pierre philosophale, elle a trouvé la chimie. Et cette conquête est autrement précieuse que la vaine arcane tant poursuivi par la passion de nos pères.

ومعناه ان سيماويي العرب هم أجدادنا الحقيقيون ، فاذا لم تجد السيمياء ولم تتوفق بعد العناء الطويل للظفر بحجر الفلاسفة فانها وجدت الكيمياء . وهذا التوفيق اثمن من الأسرار العديمة الفائدة التي أولع بها آباؤنا ايما ولوع .

اما علماء الفن الحاضر من الافرنج فانهم يبحثون اليوم عن عمل الذهب وقلب أعيان المعادن بعدما تبين لهم قابلية انقسام المادة وتحولها ، وثبت لديهم وحدة المادة ، واكبر دليل على ذلك الموسيو روترفورد العالم الانكليزي وما قام به من قلب عدة معادن بواسطة معدن الراديوم .

اما فكري الخاص ياسادة فهو إمكان (اعمال الذهب بالطريقة الصناعية) و بان

الأقدمين قد صنعوه حقيقة ، ولكنهم حجبوا صنعهم هذا بستار كثيف من الرموز ، لم يتمكن احد من الناس ان يحله الا من لقنوه ذلك ، واخذوا عليه بنفس الوقت العهود ان لا يبوح به الا للاهل . وقد مات هؤلاء وتواروا في التراب وتوارت معهم صنعة الذهب وبقيت سراً مجهولاً . ومهما حاولنا كشف القناع عن هذا السر فلا نستطيع لان كل عالم منهم وضع لنفسه رموزاً خاصة به وبمريديه فقط لا يطلعون احداً عليها مهما حاول . وكثير منهم من قتل ولم يبح بكلمة واحدة . والحق معهم في ذلك لان في الذهب قوام الهيئة الاجتماعية فان أبتذل اندك ذلك القوام وعمت الفوضى . ولايخفى انه عندما صنع الماس الصناعي في فرنسا وضع قانون يقضي باعدام كل من يصنع الماس صيانة لثروة الملوك والأسر الشريفة والمصارف الخ .

اما من يتردد من آونة الى أخرى الى دمشق وغيرها ممن يدعون صنع الذهب فهؤلاء قوم لصوص أشرار يعبثون بعقول السذج فيختلسون اموالهم ويذهبون . فان كانوا حقيقة يصنعون الذهب فلم يموهون على الناس بالباطل وقد اطلعهم الله على سر يغنيهم عن ارتكاب هذه الرذائل ؟ ولكنهم اتخذوا من الغدر واللصوصية اكسيراً يحولون به ذهب الناس الى جيوبهم ، لا النحاس فضة ولا الفضة ذهباً ! ! ...

احذركم ياسادة من الوقوع في نخهم فانهم قوم ماكرون ، ومن الله لا يخافون ، يستبيحون في نيل غرضهم هذا كل ما يخالف الدين والوجدان ، ولا يسألون عن سلطة ولا سلطان .

اذكر لكم يا سادتي نبذة من اعمالهم في دمشق وكثيراً ما هي : جاء رجل قبل الحرب العامة الى دمشق وقد ظنه القوم ولياً طياراً من ظواهره التي كان يخدع بها الناس . وقد وقع في شركه رجل مسكين فقد اخيراً ثروته وثروة امرأته وبعض ذويه . لان المحتال خلا به وهو في ضيافته يوماً وقال له يا ولدي نحن نصنع الذهب اذهب الى السوق واحضر معك كذا وكذا . فذهب المسكين لإحضار ما أمر به ونفسه تحدثه بالسعادة ولم يعلم ما خبأه له من المكيدة . وفي غيابه حضر بعض قطع الفحم ووضع فيها ليرة ذهبية واحكم سدها ، فجاء صاحب الدار باللوازم فوضع المحتال الزئبق في البوتقة واحاطها بالفحم من كل طرف ، ثم وضع الفحمة المحشوة على فم البوتقة ،

ووضع فوقها فحماً ايضاً للحصول على حرارة عالية واضرم النار ، وما هي الا ربع ساعة تقريباً حتى اخرج من جيبه زجاجة فيها بعض نقاط من ماء ذهبي اللون وقال : هذا هو الاكسير واتأسف لانه على وشك النفاد وصب ما فيها في البوتقة ، وبالطبع تبخر الزئبق خلال ذلك ولم يبق منه اثر وانصهرت الليرة من شدة الحرارة وانصبت داخل البوتقة فعندما تحقق ذلك ابرقت عيناه بالسرور وقال الحمد لله لقد نضج وصح العمل . ثم اخرج البوتقة وصب ما فيهـا بقالب حديدي صغير على شكل منشور مستطيل ودفعها بعد ان بردت الى صاحبنا وقال له اذهب الى الصاغة وبع هذه وموعد اجتماعنا غداً ان شاء الله .

ذهب الأبله وعرض قطعة الذهب على صائغ فتأمل فيهـا وفحصهـا على المحك وقال هذا ذهب بعيار ٢٢ واشتراها منه بقيمتها تقريباً . فجنّ الرجل واتى مسرعاً الى امرأته وقص عليها ما كان فقالت يجب ان تدعو الشيخ ثانيـة وتعمل كل الاساليب لارضائه علّه يمن علينـا بتعليمك هذه الصنعة (واخذوا يخمسون الرايات) و يبنون قصوراً شاهقة في الهواء على اساس من الماء .

قام الرجل والشمس لم تشرق بعد وذهب الى الشيخ وانحنى امامه ليقبل رجله . فأنكر عليه الحال وقال : ياشيخ لا تكن هكذا يجب ان لا نتظاهر ، فأنا لا أُطلع احداً على هذا السر ولو ملأ لي الدنيا ذهبـاً ، تكتم ما امكنك . والخلاصة ظل بواعده و يخلف حتى عيل المسكين صبراً واخيراً جاء اليـه وقال : يا رجل انما نمتنع عن المجيء لان الاكسير انتهى . فقال يا سيدي اصنع منه . قال جيد ولكن يحتاج الى خميرة من الذهب الخالص وكل درهم منه يكفي لقلب رطل من الزئبق او الرصاص الى ذهب خالص باذن الله .

فذهب الرجل الى امرأته يستشيرها فقالت : صحيح انك ابله هذه حلاي الذهبية ارهنها واعطه الدراهم التي ادخرناها ليعمل لنـا اكسيراً كثيراً نستغني به عن التعب (ونقعد انت في البيت بلا عمل كلما خلصت النفقـة نعمل طبخة وهكذا « ننبسط » « شوفي » بالدنيا غير الهم والكدر) . فقال : حقاً ما تقولين واخذ الاساور من ساعته و باعها واحضر ٢٠٠ ليرة من دكانه وهي المال ورأس المال . فكان المجموع ٣٥٠

ليرة نقر بيًا قدمها لصاحبنا (هدية باردة) فقال له بعد ان وضعها على الرف ولم يكترث بها : نعمل اليوم في الليل ان شاء الله خوفاً من الفضيحة وقام يصلي · فهيأ صاحب الدار ما لذ وطاب من الزاد فأكلوا وانبسطوا وجلسوا يتسامرون حتى قارب نصف الليل قام الشيخ وأوقد النار وأخرج من جيبه حشائش غلاها بالماء حتى قرب الجفاف فاستخرج مادة كالحبر الأحمر ثم وضع في البوتقة قطعًا من الرصاص واكثر من الفحم فاتقدت النار وأخذ يضع من آونة الى أخرى نقطة نقطة من حبره على الرصاص ويحرك ويعزم ويقرأ ويتمتم بعض كلمات غير مفهومة ، ثم قال له فجأة قم ونم يا رجل فقد صح العمل وتحتاج العملية الى تدبير على هذه النار ساعتين أخريين ايضاً وأصر عليه فامتثل الرجل خوفاً من غضب الشيخ ونفوره · وقام من ساعته ونام ومن شدة تعبه لم يستيقظ حتى مضى على بزوغ الشمس ساعة ونصف ، وقد أيقظته امرأته وقالت له اين الشيخ أفاق وهو يفرك عينيه وقال ربما يكون نائماً مسكين كم تعب في الليلة الماضية · هيئي القهوة ، هيئي الشاي · قالت لم أجد الشيخ مطلقًا قام كالمجنون وذهب الى غرفة الشيخ فلم يجد له أثراً وفتح الباب واخذ يفتش عليه في كل محل كان يتردد اليه فلم يعثر عليه وهكذا أضاع الشيخ وأضاع ماله وأضاع حلي امرأته وندم ولات حين مندم ·

* * *

وزيادة على ذلك فان من يرى مثل ما رأى صاحبنا يتعلق بحب متكتمًا وطامعًا في السعادة ويشتغل ولا يكاد يجمع شيئًا من المال الا وينفقه في هذا السبيل · والحق معه لان الرجل الذي يدرس في حياته ولم يطلع على المعادن وأشكالها وصفاتها ويرى لاول وهلة زئبقًا رجراجًا وفضة براقة لامعة وذهبًا وهاجًا يُستلبُ عقله ولا يستمع نصح ناصح مهما حاول في إقناعه بان هذه الطرق التي يتبعها عقيمة لا نتيجة منها ·

وها انا ذا أجري لحضرتكم بعض التجارب البسيطة التي ربما يضحك من عملها صغار الطلاب :

« تجربة إحراق الماء » وضع سوائل غير ملونة واستحصال الوان مختلفة الخ ·

ان الناظر اليّ لاول وهلة ممن لم يقرأ شيئاً من هذه العلوم يظن اني اعمل السحر او آتي بالعجائب او ابواب سيا وغير ذلك على انها في الحقيقة من ابسط البسائط لمن يعلم سرها ويعرف رموزها . وهكذا يا سادتي ان الذين صنعوا الذهب كتموه عن الناس ورمزوا له الرموز التي لو وقف على حقيقتها الانسان لعمل عملهم وتوصل لما توصلوا اليه على ايسر وجه .

رموزهم القديمة لا كرموزنا فان لم يتلقنها المتعلم بطول المدة من فم الاستاذ فلا يمكن ان يدريها او يعلم شيئاً منها . ومنذ قرأت قول الكيماوية الشهيرة مارية القبطية « اذا سمعتم في كتبنا بكليساً او هدماً او ضرباً او دلكاً او تحليلاً او تصعيداً فهو جميعه شيء واحد وهو نقع الطبائع في مائنا » رجعت بالخيبة . كيف يمكن الوصول ولهم للتصدير مثلاً الاسماء الآتية : « القصدير ، المشتري ، انك ، ابرص ، صرار ، كوكب وكسر ، قلعى ، رخو ، كبريت ابيض ، زهرة بيضا ، القاضي ، الصابون ، النسر الطائر ، دماغ النحاس ، مهلك الاجساد ، السم الابيض ، الرخض ، المنتن ، الزفر ، الاصفر ، السعد الاعظم ، حجر الأشمث ، زواش ، السادس » وللزئبق : « عطارد ، الماء الثقيل ، الجسد الرطب ، العبد ، الآبق ، الضرار ، السحاب ، البرق ، العنان ، روح الاجساد ، الماء الخالد ، الجسد السائل ، التنين ، ماء الحياة ، نطفة ، الطير الابيض ، الذهب السائل ، الملك ، اللؤلؤ الرطب ، الهوى المتجسد ، العنقاء ، هرمس ، الثاني الخ » وقس عليهما بقية الاجساد المعدنية .

ويلخصون عملهم بقول بعضهم :

خذ الضرار والطلقا   وشيئاً يشبه البرقا
اذا مازجتهم سحقا   ملكت الغرب والشرقا

ولعمري ان من يحل هذا الرمز يعمل الذهب . ويعجبني جداً قول ابي قاسم العراقي فانه بعد ان ذكر طريقة العمل بقصة غريبة اذكر لكم شيئاً منها . قال :

وهذه الهيولى واحدة اعني من شيء واحد وليست من اشياء متفرقة ولا مخالفة ولا مختلفة لان الاشياء المختلفة المتفرقة اذا تركبت فرقها النار . وهذه المادة لا يمكنها تأثير صلاح دون نقعها وتركيبها حتى تظهر فيها هذه الخاصة . وانما احتيج الى تفصيلها

لعلة وهو ان الاكسير انما هو زراعة ذهب فاحتاجوا الى غذاء يدخلونه على هذا النوع ولينمو و ينيع و يثمر فأخذوا من الأغذية ما يمازج ذلك النوع في حال الطبيعة ممازجة صلاح لا فساد لكن من جوهره فأدخلوه عليه برطوبة عفنتها وحللتها ولطفتها ، فلما لطفت صعدت الى اعلى الاناء غذاء لا ثفل فيه وفضل تحتها ثفل لطيف يسمي الملح ، فأصعدته بالنار اليابسة فطلع جرادة كجرداة الفضة خالصاً من سواد الارض وظلمتها وكثافتها وكان ارضاً محروثة وكان الغذاء الاول ماء كيموسياً فغرسوا في هذه الارض المحروثة جنينهم بل غصنهم وسقوه ماءهم الكيموسي مع التلطف بالتربية والحرارة اللطيفة فطلع ذلك النبات المعدني وابنع واثمر والطف زهراً وخميراً سمياً يلقى على الورق فيصيره ذهباً اجود من ذهب المعدن . وهذه الهيولى المقومة لصورة الاكسير توجد في شجرة واحدة تطلع بارض المغرب منها فرعان عاليان لا يدركهما طالبهما الا بالجهد والتعب ليأكل من ثمرهما . وغصنان دونهما لكن ثمرهما اشد يبساً وتعليكاً من الاثنين المتقدمين ونور احدهما احمر والثاني ما بين البياض والسواد . وغصنان دونهما وهما ادهى وارخى من الاربعة المتقدمة ونور احدهما اسود والآخر ما بين البياض والصفرة . وهذه الشجرة تنبت في البحر المحيط على وجهه كما ينبت النبات على وجه الارض وهذه الشجرة التي من اكل منها خضع له الانس والجن . وهي التي نهي آدم عن اكلها فلما اكلها استحال من الصورة الملائكية الى الصورة الانسانية . وهذه الشجرة تنقلب في كل صورة من صور الحيوان . وقد توجد هذه الهيولى في طائر جثته جثة انسان وجناحاه جناحا طائر له اربعة ارجل ويدان ، اما ارجله فحقيرة واما يداه فعز يزتان لمنفعتهما ولو علم الجاهل ان اليدين لا قوام لهما الا بالاربعة ارجل لكان عليهما اشد حرصاً من اليدين . وقد توجد هذه الهيولى في جزيرة الاندلس الباردة في منتهى البحر المحيط الجامعة للكهوف الاسطبوسية . وربما توجد في جبل بارض الهند في صخور مختلفة الالوان والطعوم والارايج والخواص . فمنها صخرة يأويها اسد شرس وربما كان حاميها واعلاها محيط باسفلها وادناها متصل باقصاها ورأسها موضع ذنبها و بالعكس ومنها صخرة يحملها حيوان بحري محترق مختلف المشي وهذه الصخرة لها قرنان يظهران في كون ولادتها حتى اذا مضى من عمرها

النصف عادت مدورة الجثة فاذا ذهب نصف عمرها عاد القرنان كما هما الى آخر عمرها وهذا دأبها في كل الاوقات ٠

ومنها صخرة يتداول على حملها حيوان شبق على عنقه جلة حيوان آخر مؤلف يحمل احد الثقلين وهذه الصخرة معدن الخبث والرداءة والمكر والغل ومنها صخرتان احداهما ذكر والاخرى أنثى وصخرتان احديها مصرية والاخرى كرجية ، وفي هذا الجبل كل فن من فنون العالم ٠ لا يوجد حقد ولا مكر الا وهو فيه ، ولا يوجد علم وحلم وفلسفة الا هو فيه ، ولا يوجد حمد وسخاء الا وهو فيه ، ولا يوجد لهو ولا طرب وغناء ومزمار واوتار ونكاح ومزاح الا وهو فيه ، ولا يوجد وزارة وزير ومشير ومدير الا وهو فيه ، من ارض الهند ملك ومن ارض مصر حكيم ومن ارض فارس سباق ٠

فهذه اوصاف هذا الجبل وما فيه من العجائب فافهم فانها اشارات الحكماء يفهم معناها من كان للحكمة اهلاً ومن هو بالرموز وفكها اولى ، واعلم انا قلنا كذا وكذا لما كان لنا في ذلك والله فضل ولكان يؤخذ منا على سبيل الاستهزاء ٠ وقد اتكلناك على عقلك بعد الله ونعم من اتكلناك عليه والحمد لله وحده ٠ فان فهمت وكنت عالماً بلغتنا نجحت والا ننصحك ان لا تضيع مالك ووقتك ودينك لانا اهل مدينة لا يمكن الدخول اليها الا من يعلم بلغتنا ٠ وقال صاحب الشذور :

اذا كنت في حل الرموز مدانيا — اخانا فقد نلت الذي كنت راجيا
والا فلا ترتع بها فهي روضة — قد امتلأت للرائدين افاعيا

الى ان قال :

تمنى رجال من ذوي الجهل علمنا — وما كل ذي علم ينال الامانيا

ثم يقول :

هي الصنعة المضروب من دون نيلها — من الرمز اسوار تشيب النواصيا
ولكنها ادنى اذا كان عالماً — الى المرء من حبل الوريد تدانيا
واني لاستحيي من المرء يرتمي — به الظن في فكر الرموز المراميا
ولم يجعل العلم الرياضي روضة — وكان عن العلم الالهي لاهيا

اعد نظراً فالظن كالعين لا ترى ... على البعد اجرام الجسوم كما هيا
أبالظن والتخمين يدرك سرنا ... وقد بلغت فيه النفوس التراقيا

* * *

كأن لها منهـا عليهـا أدلة ... ومن رمزها فيما يضلك هاديا
ولكننا لا نمتري ان دونها ... سنيناً ترى ايامهن لياليـا
أنورثها من بعدنا شر عصبة ... كهولاً وشباناً وشيباً شواسيا؟
تحاول ان تغشي بها كل منكر ... ونأمل منها ان تبيح المعاصيا
فلم نختلف في ان نواري علما ... باجداث رمز لا تجيب البواكيا
ليدرك منهـا غابر الدهر سرنا ... جديداً وان كانت طروساً بواليا

* * *

فما قول بعض اخواننـا الذين خدعوا بهذه الصنعة الخلابة المملوءة بالآمال وكلها أحلام نائم ، ولا يزالون يواصلون ليلهم بالنهار . فقد أضاعوا ثرواتهم واموالهم واوقاتهم ولم يحصلوا على شيء وقد شابت نواصيهم وهم غافلون .

أفيقوا يا اخواني واستيقظوا من سباتكم فكل الطرق التي سلكتموها عقيمة لا توصلكم لشيء وكل هذه الآمال خيالات وأوهام وهي كالسراب ، يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً .

عبد الوهاب القنوالجي

تصحيح نهاية الارب

« تتمة اغلاط الجزء الخامس »

وفي ص ١٢٦ س ٧ قوله — (وطارقٍ يجهد في بعض الأوقات عفوها) سياق الكلام في أن نعم الله على الانسان قد يشوبها مفاجيء من كوارث الدهر يعكر صفوها (وطارق يجهد عفوها) ولا شيء من معاني (جهد) يناسب هنا فلعل صوابه (يجهم) بالميم يقال (جَهَمه) ومثله (تجهّمه) اذا استقبله بوجهٍ كالح عابس . و(العفو) الفضل والمعروف وخيار الشيء وأجوده . فالمعنى أن آلاء الله ونعمه على عبده يتجهّمها في بعض الاوقات ويواجهها بالشر والتنغيص طارقٌ من طوارق الدهر وداهية من دواهيه .

وفي ص ١٢٦ س ١٣ قوله — (فلله الحمدُ الذي جعل الخ) (الذي) صفة لله تعالى اذ هو الذي جعل ما يتخلل النعم من المصائب عنواناً لعنايته بعبده فالصواب ان يقال (فالحمد لله الذي الخ) فتقع الصفة عقب الموصوف من دون فاصل : اذ لا يصح ان يقال (لزيدٍ الشكر الذي أعطاني مالاً) وانما يقال (الشكر لزيد الذي الخ) وليس الكلام شعراً حتى يقال ان التقديم والتأخير ضرورة شعرية .

وفي ص ١٢٨ س ١ قوله مهنئًا بزواج : بالبنين والرفاء (والزمن الوهد والعزّة القعساء) (الوهد) المنخفض من الارض ولا يوصف به الزمان كما لا علاقة له بالتهاني فهو محرف وصوابه (والزمن الرغد) و يوصف الزمن بالرغد كما يوصف العيش والحياة قال الشاعر :

(مُنىً إن تكن حقًا تكن غاية المنى والا فقد عشنا بها زمنًا رغداً)

وفي ص ١٢٨ س ٤ قوله — (وتهللتُ جذلا . و بسطت في الدعاء مذلا) لا معنى (لمذل) هنا فهي في الراجح محرفة عن كلمة (بذل) . والبذل السعة في العطاء يقال (رجل بذْل) بسكون الذال من باب الوصف بالمصدر للمبالغة كما يقال (رجل عدل) . وهنا لا بدّ من أحد أمرين : إما تسكين ذال (جذْلا) لتزاوج (بذْلا) الساكنة الذال . وإما تحريك ذال (بَذِلا) لتزاوج ذال (جَذِلا) المتحركة الذال .

وفي ص ١٢٩ س ١٦ قوله — (في عسكر لجب) ضبط بفتح الجيم وصوابه كسرها : يقال : جيش لَجِب (بكسر الجيم) اي انه ذو لَجَب (بفتحها) واللَّجب اختلاط أصوات الابطال وكثرتها في ساحة الحرب . إلا ان يدعى ان وصف الجيش باللجب المفتوحة الجيم من قبيل الوصف بالمصدر كما مر لا سيما ان السجمة قبلها (ثم طلع غير مرتقب) بفتح القاف .

وفي ص ١٣٠ س ٩ قوله في تهنئة بمولود (والله المسؤول ان يهنئك منه صُنْعا يحسن في مثله الحسد) لا معنى لهذا الكلام كما ترى و (صنع) ضبط بضم فسكون . وصواب الكلام (ان يهبك منه صَنَعا) و(صَنَعًا) بفتحتين مفعول به (ليهبك) من الهبة و(من) تجر بدية اي انه تعالى يمنحك ابنـاً صَنَعا . يقال : فلان صَنَع اللسان بالتحريك اذا كان بليغاً .

وفي ص ١٣٣ س ٨ قوله — (انه يعدّ كل مه) صوابه يعدّ كلامه اي يهيئه ويروّزه في نفسه قبل ان ينطق به .

وفي ص ١٣٣ س ٨ قول الرشيد في (عبدالملك بن صالح) مذ اتهموه أمامه بانه يهيء الكلام قبل إلقائه ولا يحسن الارتجال فقال (بل هو طبع) . المعهود في هذا التركيب (شـاعر مطبوع) بمعنى انه يأتي بالشعر من دون تكلف . ولم يقولوا (شاعر طبع) وهرون الرشيد انما يصف الرجل بكونه بليغـاً يرتجل كلاماً فصيحاً من دون استعداد و(الطبع) (بكسر الباء) ذوالطبَع (بفتحها) وهو الدنس و (رجل طبِع) أيضاً بمعنى انه دنيء لئيم فلعل صواب عبارة الرشيد (بل هو صَنَع) بفتح النون يقال فلان صَنَع اللسان اذا كان بليغاً كما مر . وهذا ما أراده من نفي الفهاهة عن الرجل وإثبات المقدرة الكلامية له .

وفي ص ١٣٣ س ١٤ قوله — (ثمامة بن أبرش) صوابه (ابن أشرس) النميري كان زعيم فرقة القدرية في زمان المأمون والمعتصم والواثق مات سنة ٢١٣ هجرية .

وفي ص ١٣٤ س ٦ —

(كان الزمان بن أبقى ومن أخذت صروفه مذنبـاً طوراً ومنتصلا)

قوله (منتصلاً) مما أخطأ فيه الشاعر وصوابه (متنصلاً) يقال — (انتصل الى

فلان من ذنبه) بمعنى تبرأ منه . وكأنه لما لم يستقم له الوزن (بمنصل) عدل الى (منتصل) لكن المعاجم لم تذكر انتصل بمعنى تنصّل .

وفي ص ١٣٤ س ٩ —

(كالسيف منتصلاً والبحر مندفقاً والبدر مؤتلقاً والغيث محتفلا)

قوله (منتصلا) في صفة السيف خطأ وصوابه (منصلتا) من (أصلت سيفه) جرّده من غمده فهو مُصْلت ومنصلت ولا يقال : انتصله فهو منتصل .

وفي ص ١٤٧ س ٩ قوله (وما كل من بشّر باشر ولا كلُّ من عار عاور) هكذا بالعينين المهملتين وهو خطأ وصوابه (ولا كلّ من غار غاور) بالغينين بالمعجمتين ومعنى (غار) أنِفَ وحمي عندما تنتهك حرمته ومصدره الغيرة . أما (غاور) فمن الغارة على العدو يقال غاور العدو مغاورة أغار عليهم .

وفي ص ١٥٤ س ١٥ — (وصارت رؤية الدماء تفزعهم : فلو احتاج احدهم لتنقيص دم لمرض لأجنح من خوفه وما احتجم) قوله (أجنح) اي مال كجنح ولكن لا يناسب ان يكون هذا المعنى مراداً هنا وانما المناسب ضده وهو التقهقر والنكوص . فالكلمة محرفة وصوابها (لأحجم من خوفه وما احتجم) وبذلك يقع بين (أحجم واحتجم) جناس الاشتقاق وهو مما يهمّ كاتب الرسالة مراعاته والاستكثار منه .

وفي ص ١٦٠ س ٤ قوله في صفة معركة (والجياد من المحاجر تحفى . وبالجماجم تنتعل) (المحاجر) لها معانٍ لا تناسب هنا فهي إذن محرّفة عن كلمة (الحوافر) جمع حافر والمعنى ان تلك الجياد وهي تكرُّ في المعركة كانت تحفى حوافرها وتفنى فتستعيض عنها بجماجم القتلى .

وفي ص ١٨٤ س ٩ (كلّ غيث الايام ان أخلف الغيـ ـث أطلت سحابه بانهمال)

صوابه (كان غيث الأيام الخ) وهذا البيت موضعه من القصيدة بعد الأبيات التي بعده كما يظهر بأدنى تأمل .

وفي ص ١٨٥ س ١١ قوله —

(ترى الحتوف غلوقاً في أسنته لدى الوغى وشهاب الموت قدما)

لم نجد معنى مناسباً لقوله (غلوقا) بالمعجمة هنا . فربما كان الصواب (علوقا)

بالمهملة اي ان الحتوف معلّقة ومعقودة بأسنة رماحه · و (العَلوق) بالعين المهملة المفتوحة اسم من اسماء المنية فلعل معنى (ترى الحتوف عَلوقا في أسنته) على هذا ان الحتف والهلاك تراه موتاً مجسماً او منيّةً مجسمة في أسنة رماحه · والقصيدة التي منها هذا البيت للمتنبي يرثي بها ابا بكر الإخشيد محمد بن طغج لكنها ليست موجودة في ديوانه المخطوط الذي في مكتبتي ولا في ديوانه الذي شرحه العلامة اليازجي فليحرص على هذه القصيدة محبو شعر المتنبي · ومطلعها :

(هو الزمان مشتٌّ بالذي جمعا في كل يوم ترى من صرفه بدعا)

وقد ذكر منها في نهاية الأرب واحد وعشرون بيتاً ·

وفي ص ١٨٧ س ١ (خذل الرمح وهو عونك لو با نَ لقاءٌ وثار نقعٌ قتام)

قوله (بان) لا يناسب هنا وصوابه (حان) اي قرب ودنا ·

وفي ص ١٩٤ س ١٣ (وأرْدَتْ ابن زياد بالحسين فلم يبؤ بشسع له قد طار أوظفر)

هذا البيت من المرثية العبدونية التي مطلعها :

(الدهر يُفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الاشباح والصور)

وقوله في البيت السابق (قد طار) ضميره راجع الى (الشِسع) والشسع لا يطير فالصواب ما في شرح ابن زيدون على القصيدة المذكورة المطبوع في ليدن — (قد طاح) بالحاء المهملة اي سقط · وشسع النعل اذا بلي انحل وسقط · وفي نسخة لهذه القصيدة (قد طاخ) بالخاء المعجمة ولا معنى له ايضاً ·

وفي ص ١٩٦ س ٤ (وأسبلت عبرات للعيون على دم بفجّ لآل المصطفى هدَر)

صوابه (بفخٍّ) بالخاء المعجمة لا الجيم و(فخّ) وادٍ بمكة كما في معجم البلدان وهو الموضع الذي قُتل فيه أولئك الهاشميون سنة ١٦٩ هجرية ·

وفي ص ١٩٩ س ٨ —

(من لي ولا من بهم ان عطلت سنن وأخفيت ألسنُ الايام والسِيَر)

لعل الصواب (وأُخفتت) كما في النسخة المطبوعة في (ليدن) ومعناها أُسكتت من خفَت الصوت سكت · و يدل عليه كلمة (ألسن) ·

وفي ص ٢٠٣ س ١٤ (عاق الزمان شقيق الجود لم يقِهِ أهل ولم يفده مال ولا ولد)

لا معنى (لعاقَ) هنا وصوابه (غال) اي اغتاله الزمان وأخذه على غرة ·

وفي صفحة ٢٠٤ سطر ٦ قوله — (هو الخطب الذي ابتدع الرزايا) ابتدع بمعنى اخترع ولا معنى لكون مصيبة هذا الفقيد اخترعت المصائب وانما مصيبته ابتدأت المصائب وكانت فاتحتها اذ كل المصائب التي تقدمتها ليست شيئاً بالنسبة اليها · (فابتدع) محرّف عن (ابتدأ) ·

وفي صفحة ٢٠٥ سطر ١٤ قول ابي تمام :

(وأصبحت الوفود اليك وقفاً على ان لا مفاد لمستفيد)

(وقفاً) كذا بقاف ففاء لكن الذي في ديوان ابي تمام (وفقاً) بتقديم الفاء وهي أنسب معنىً من (وقفا) قال صاحب التاج في استدراكاته على القاموس (جاء القوم وفقاً) اي متوافقين · والمعنى ان الوفود أصبحوا في مجيئهم اليه متوافقين لكنهم لم يستفيدوا شيئاً لانهم وجدوه قد مات · والقصيدة مرثية في (عمير بن الوليد) ·

وفي صفحة ٢٠٦ سطر٢ قوله — (وانثغر الثغر) (الثغر) هنا بمعنى البلد على حدود العدوّ · ولا يوجد في اللغة فعل (انثغر) كما قال المصحح الفاضل · فهو إذن محرف عن (اثّغر) بثاء مثلثة مشدّدة وأصله (اثتغر) من الافتعال · ومعنى (الاثّغار) ان يُلقي الصبي ثغره اي أسنانه · فالشاعر يقول ان الثغر الذي كان يحميه الفقيد قد اثّغر وهو كناية عن فقده جماله أو قوته أو أسباب منعته التي كانت متوفرة في زمن الفقيد بحيث ماعاد ينتفع بذلك البلد كما لا ينتفع بالثغر بعد سقوط أسنانه ·

وفي صفحة ٢٠٦ سطر ٦ —

(وما مات حتى مات مضرب سيفه من السَلّ واعتلت عليه القنا السُمر)

قوله (من السلّ) أي ان الفقيد لم يمت حتى مات سيفه من كثرة سلّه له من الغمد في المعركة · ولكن الشاعر انما يصف صبر الفقيد وحسن بلائه في تلك المعركة التي قتل فيها فهو لم يسلّ سيفه فيها الا سلّة واحدة بالطبع · ولا معنى لوصفه بانه كان يسلُّ سيفه في المعركة ثم يغمده ثم يسلّه دواليك · فكلمة (السلّ) مصحفة عن (الشلّ) بالشين المعجمة وهي مصدر شلَّهم بسيفه اذا طردهم بين يديه طرداً ومثله كسأهم وكسعهم أي انه لم يمت حتى مات سيفه وانكسر من شدة ما شلّ أعداءه به · و يؤيد

هذه الرواية الرواية الاخرى في البيت وهي (حتى مات مضرب سيفه من الضرب الخ) ٠

وفي صفحة ٢١٤ سطر ١ قوله — (وجزٌ في اللحم بل براه) صوابه (وَحزٌّ) بالحاء المهملة اي قطع أما (الجزّ) بالجيم فيستعمل في قطع الصوف والشعر والحشيش وثمر النخيل لا اللحم ٠

وفي صفحة ٢٢٠ سطر ١٤ —

(فأنكحها الضريح بغير مهر وجهّزنا الفتاة بغير شوره)

صوابه (فأنكحنا) بضمير المتكلمين اي زوّجنا فتاتنا للضريح ٠ ليتزاوج مع قوله بعده (وجهّزنا) ٠ ومعنى (شورة) خجلة ٠

وفي صفحة ٢٢٣ سطر ٢٠ قوله — (وان زهدوا في الأجر اذ جمّش الوغى)الخ ٠ الجمّش معنى لا تناسب إرادته هنا ٠ وانما صوابه (حمش) بالحاء المهملة وهو (بالتخفيف والتشديد) بمعنى اشتداد الامر واضطرام النار ٠ ويحتمل ان تكون (جمش) محرفة عن (حمي) إذ يقال حمي الوطيس ٠ و (الوطيس) الوغى ٠

وفي صفحة ٢٢٧ سطر ١٣ قوله — (مكرُهُ بي وبك سحيق) صوابه سحيق ٠

وفي صفحة ٢٢٨ سطر ٣ قوله — (وملاذُها فالى هذه الغاية) صوابه (الى هذه الغاية) بدون (فاء) اذ لا داعي لها هنا ٠

وفي صفحة ٢٥٠ سطر ١ قوله — (وهي بين أهلها دُوَل وسحال) بالحاء المهملة خطأ وصوابه (سجال) بالجيم اي مرة تكون لهذا ومرةً لذاك ٠ المغربي

زيارة مخطوط قديم

دلني بعض فضلاء دمشق على كتاب خطي قديم في فن الجراحة ، موجود عند مالكه (خورشيد افندي الچركسي) من متقاعدي المالية ، زرنا الرجل في داره في الدرويشية أمام جامع (سباي) واطلعنا على الكتاب ، فاذا هو مجلد متوسط الحجم مخروم الاول والآخر ، ومكتوب اسمه على ضمامة رؤوس اوراقه هكذا :

« الحاوي في الجراحة » كما رقم على ظهره : انه من كتب (الطبيب عبد القادر عوده) الدمشقي الذي كان حياً سنة (١٢٧٩) للهجرة . ثم ملك الكتاب ورثته من بعده . وقد فهمت من الفاضل الدمشقي الذي كان معي في زيارة هذا المخطوط كما حدثني غيره ايضاً — انه بعد موت الطبيب عوده المذكور كانت كتبه الطبية تباع اكداساً في أسواق دمشق بثمن بخس دراهم معدودة .

تصفحت الكتاب فاذا هو مبوّب بحسب أعضاء الجسم وما يطرأ عليها من العلل التي تقتضي العمليات الجراحية : كالعين والحنجرة وأعضاء التناسل في الرجال والنساء الخ . والمؤلف يبني فصول كتابه غالباً على النظريات الطبية المنسوبة الى من تقدمه من الاطباء : فهو يقول مثلاً (القول او الكلام على رأي الطبيب فلان في عملية العضو الفلاني) .

وخط الكتاب قديم ويلتزم كاتبه في كتابة بعض حروفه شكلاً خاصاً مثل الهاء واللام الف .

ومن غريب امر هذا الكتاب ان حرف الدال لا يذكر فيه الا منقطاً اي ذالاً معجمة . فما أدري ان كان المؤلف او الناسخ من بعض البلاد التي ينطق اهلها الدال ذالاً دائماً او انه من أُمة السريان او العبرانيين او غيرهم ان كانوا ينطقون الدال ذالاً .

ومن مميزات هذا الكتاب انه يرسم صور آلات الجراحة المختلفة بالحبر الأسود او الأحمر . لكن الرسم غير متقن ولا محكم الوضع . كما ان خط الكتاب كذلك . فالكتاب يصوّر عدة صور من أشكال السكاكين والمباضع والمشارط والمحاقن وغير

ذلك ويخص كل عمليـة بآلةٍ من هذه الآلات الجراحية . ومن لطيف ما رأيته فيه صورة مِحقنة على هيأة المحاقن الزجاجية المعروفة اليوم في الصيدليات وهي بحجم اصبع اليد . ونسميها نحن محقنة او حُقنة او ظلمبة اما المؤلف فيسميها (زَرَّاقة) .

وعلى أطراف صفحـات الكتاب هوامش بخط (الطبيب اليـاس البيروتي) (وبعض هذه الهوامش يقول — تعليقاً على احدى العمليات الجراحية — انه هو (اى الياس البيروتي) عمل هذه العملية سنةَ بضعٍ وسبعين وثمانمائة . فقد دلتنـا هذه الهامشة على الزمن الذي كان يعيش فيه الطبيب الياس المذكور . كما دلتنا على ان مؤلف كتاب (حاوي الجراحة) الذي نحن في صدد الكلام عليه كان قبل ذلك التاريخ .

وعلى حاشية الكتاب ايضاً هامشة تعلن وفاة (ميخائيل بن جرجس الطبيب) فمن هذه الهوامش يظهر ان الكتاب ملكه أطباء سوريون نصـارى ولكن من الذي ألّفه من الأطباء ؟ ؟ .

غادرت بيت الرجل صاحب الكتاب شاكراً لطفه وحفاوته وانقلبت الى (دار المجمع العلمي) فراجعت فهرست ابن النديم فوجدته يقول : ان لابي بكر الرازي الطبيب المشهور والمتوفى سنة (٣١١) للهجرة كتاباً في الطب اسمه (الحاوي) ويسمى ايضاً (الجامع الحاصر لصناعة الطب) وهو يقسم الى اثني عشر قسماً .

والقسم الثالث منه في (الرثية والجَبْر والجراحات) و يريد من (الرثية) رَأْبَ الصَدْع والوثأ في الرِجل .

والرّأاب هو الذي يرأب الاعضاء الموثوءة . فهل كتاب (الحاوي فيالجراحة) الذي زرناه هو القسم الثالث من الكتاب حاوي الرازي في الطب ؟ ؟ .

هذا ما قاله صاحب الفهرست ، اما صاحب كشف الظنون فقد ذكر كتابين طبّيين باسم (الحاوي) : احدهما (الحاوي في علمالتداوي) لنجم الدين محمود بنالشيخ (صائنالدين إلياس) الشيرازي . قال وهو مجلد واحد مرتب على خمس مقالات . وكلها تدور حول العلل والحميات والأدوية . ولم يذكر ان بينها قسماً يتعلق بالجراحة فليس له علاقة إذن بالمخطوط الذي زرناه وقلنا ان اسمه (الحاوي في الجراحة) .

والكتاب الثاني الذي ذكره صاحب كشف الظنون هو (الحاوي في الطب) لابي بكر الرازي وقد نقلنا آنفًا ما قاله صاحب الفهرست فيه . وزاد صاحب كشف الظنون ان (رشيد الدين أباسعيد بن يعقوب المسيحي القدسي) المتوفى سنة ٦٤٦ للهجرة علّق على (حاوي الرازي) تعاليق وقد اختصره (الدخوار) وهو مهذب الدين عبد المنعم الذي أنشأ مدرسة الطب الدخوارية في دمشق سنة ٦٢١ وهل مخطوطنا الذي زرناه ووصفناه هو تعاليق الطبيب رشيد الدين المسيحي القدسي التي قال صاحب كشف الظنون انه علقها على (حاوي الرازي) ؟ لكننا ذكرنا آنفًا ان اسم المخطوط مرقوم عليه هكذا : (الحاوي في الجراحة) .

بقي علينا ان ننظر ما يقوله ابن ابي أصيبعة في كتابه (طبقات الاطباء) قال :

ان كتاب (الحاوي) هو اجل كتب (ابي بكر الرازي) وأعظمها في صناعة الطب وذلك لانه جمع فيه كل ما وجده متفرقًا في ذكر الامراض ومداواتها من سائر الكتب الطبية للمتقدمين ومن اتى بعدهم الى زمانه . ونسب كل شيء نقله فيه الى قائله . وتوفي (الرازي) ولم يفسح له في الأجل كي يحرر هذا الكتاب) .

ومما استفدناه من محاضرة رصيفنا الدكتور اسعد الحكيم التي ألقاها منذ حين في ردهة المجمع ان (حاوي الرازي) امتدت شهرته الى اوربا . وان (شارل) ملك سيسيليا (صقليه) ارسل وفداً الى ملك تونس يطلب منه كتاب (الحاوي) المذكور وذلك في القرن الثالث عشر للميلاد اي بعد وفاة مؤلفه الرازي بنحو اربعمائة سنة . وذكر الدكتور اسعد افندي ايضًا كتاباً في الطب اسمه (التصريف) لمؤلفه الطبيب ابي القاسم الزهراوي الاندلسي ويظهر من وصف الدكتور لكتاب (التصريف) وما هو مصور فيه من رسوم الآلات الجراحية ان مخطوطنا (الحاوي في الجراحة) هو القسم الجراحي من كتاب (التصريف) للزهراوي وان بعض من علق بيده الكتاب ظنه (حاوي الرازي) فكتب عليه انه (الحاوي في الجراحة) . وان لم يكن من كتاب التصريف فيكون قسم الجراحة من كتاب (حاوي الرازي) او لا ولا فهو (تعليقات) رشيد الدين القدسي على القسم الجراحي من كتاب حاوي الرازي .

وعلى كل حال لا بد لمجمعنا العلمي ان يكلف احد اطبائنا المدققين زيارة هذا المخطوط مرة ثانيــة فينظر ايّ الكتب الثلاثة هو ؟ أو انه كتاب آخر غير ما ذكرته وارتأيته ٠

المغربي

اخبار وافكار

زقاق الاربعين

طالعت في مجلة المجمع العلمي ما كتب في زقاق الاربعين في حلب ونسبته الى أربعين عيــلة أُتي بها الى حلب بأمر السلطان مراد الى غير ذلك من الآراء ٠ وانا أرى ان فريقاً ممن يروي هذه القصة في حلب يسند هذا الامر الى السلطان سليم الاول الذي دخل حلب صلحاً بعد موقعــة مرج دابق المشهورة سنة ١٥١٦ وفريق آخر يسنده الى السلطان مراد الرابع الذي دخل حلب سنة ١٦٣٩ بطريقــه الى العراق لأخذ بغداد من شاه العجم ٠ ومع ما في هذا الاختلاف من الدلالة على سخافة هذه القصة لا يوجد سند تاريخي يصح الاعتماد عليــه باسناد هذا الامر الى احدهما ٠ بل ان التاريخ الصحيح ينقضها :

فانّ ما كتبه عبد الله دلال سنة ١٨٣٨ في أصل تاريخ أُسرته مسنداً هذا الأمر الى السلطان مراد لا يصح الاعتماد عليــه لبعد هذا الكاتب عن زمان دخول السلطان المذكور الى حلب وما هو بالحقيقة الا ناقل لهذه الحكاية التي كانت شائعة في حلب على عهده وما على الناقل لها سبيل لتحقيقها ٠

فقد قال الشماس بولس الحلبي الذي كان مع والده مكاريوس مطران حلب في مقدمة النصارى الذين خرجوا لاستقبال السلطان في صفحة ٤٤ كتابه في سفرة والده المذكور الذي طبعنا منه نخبة :

« وفي السنة الرابعة من رياسته التي هي سنة ٧١٤٧ للعــالم (١٦٣٩ مسيحية) وافى السلطان مراد مجيشــاً من القسطنطينية الى حلب ودخلها يوم الخميس ١٢ تموز

راغباً في الذهاب الى مدينة بغداد لكي يحوز لها وخرجت جميع طوائف النصارى النقوه باصناف أثواب القماش الثمين ناشرين ذلك على حافة الطريق ومعهم الأب السيد المطران والكهنة وبقية المسيحيين مع أرباب الحرف والصنائع ممتدين من خان طومان الى نفس ساحة الميدان وكان يوماً مشهوداً يعدّ من الاعمار ويُذكر في الأجيال الآتية مدى الادهار وكانت السلطانة الافرنجية امرأته قد تقدمته بايام ثلاث معها يلوذ بها في القوجيات اي العربانات وأقام في حلب ستة عشر يوماً وما كانت الا كأنها رؤيا في المنام لان بقدومه قدم الخير الوفي وأخصب فيها كل شيء وصار طالع سعودها بوجوده ولم يعوزها شيء مع كثرة من صحبه من العساكر المشابهة بكثرتها القطر القاطر ... » .

ثم في كلام الشماس المذكور فيما تقدّم من كتابه المشار اليه عن المطارنة الذين جلسوا في حلب قبل والده ما يكفي للدلالة على وجود كثرة المسيحيين فيها من قبل وعلى عدم صحة هذه الحكاية باسناد هذا الأمر الى السلطان سليم .

ثم ان العقل السليم لايسلم ان السلطان المذكور الداخل صلحاً الى حلب — بأول الفتح العثماني للشام — يكلف أهلها المسلمين بان يأتوا بعدد من النصارى الغرباء لينازعوهم فيها أسباب الرزق .

ومن المقرّر تاريخياً ان هذا السلطان كان أشد سلاطين آل عثمان تعصباً للاسلام ليستبد بامره فيه منفرداً بدون منازع بل قد تجاوز بهذا ما جبل عليه الطبع الانساني من الحب وحفظ حياة أهله وذويه الأقربين . ومعلوم انهذا السلطان اغتال اعمامه واخوته وأولادهم جميعاً خشية ان يكون له منهم منازع او مزاحم على الملك . وكذلك — على ما يقال — دس السم لابيه السلطان بايزيد لانه كان يريد ان يعهد بالملك بعده لولده البكر أحمد شقيق سليم . وقد أوقع باربعين الفاً من أهل مملكته اغتيالاً ولم يكن لهم ذنب سوى كونهم من الشيعة . وما أشهر الحرب على الشاه اسماعيل الكبير الا لكون هذا أعلن نفسه انه حامي الشيعة دون السنة في الاسلام .

وكان في عزم هذا السلطان ان يبيد من بلاد الروم كل المسيحيين لكن منعه بحكمته وزيره الذي أوعز الى بطريرك الروم القسطنطيني — بالاتفاق مع شيخ

الاسلام — ان يحتج بعهد النبي العربي ومعاهدة الإمام عمر و براءة السلطان محمد الفاتح التي استشهد على صحتها بعض شيوخ الانكشارية الذين كانوا أحياء من ايام الفتح . والغاية كان السلطان سليم أبعد الناس طبعاً عن مثل هذا الامر . واذا صح بعدما تقدم بيانه انه لا يجوز ان نسلم بصحة هذه القصة وجب ان نبين سبب هذه التسمية فنقول :

بعد ان استولى السلطان سليم على مصر والشام والعراق وكل بلاد العرب والروم أخذ بعض حكومات اوربا يعقدون معه ومع خلفائه معاهدات تجارية وكانت حلب حينئذ الطريق الوحيد من البحر الى العراق وارمينية وبلاد العجم والهند وسائر الجهات الشرقية فتجدد حينئذٍ عمرانها بعد خرابها بجيوش تيمورلنك سنة ١٤٠٠ وصارت ذات تجارة واسعة لا تضاهيها مدينة في الشرق اذ أقبل عليها تجار الافرنج على اختلاف بلدانهم وممالكهم واتخذوا لهم فيها عمالاً من النصارى الشرقيين يعتمدون عليهم في تصريف بضاعتهم في حلب وسائر الجهات الشرقية وكثروا فيها جداً وكلهم يميلون الى التجارة والصناعة من الشام والعراق وأرمينية وغيرها وتألفت منهم طوائف كبيرة ذات شأن بعدد رجالها وغناها من الروم والأرمن والسريان والموارنة والكلدان ولكل طائفة مطران وكنيسة وكهنة ممتازين حتى صار بعض بطاركة الروم والارمن والسريان يؤثرون الإقامة فيها في القرن السابع عشر على دمشق وسواها وكان عدد الروم فيها يوازي عدد الذين هم في سائر البطركية الانطاكية في جميع مدن الشام والعراق .

ومعلوم ان المهاجرين اذا كثروا في مدينة اتخذوا لهم فيها بيوتاً في المحلة الخالية من السكان او الخراب حيث لا يجدون مزاحمة وبناء على هذا اتخذ المهاجرون الى حلب محلة زقاق الاربعين التي كانت خراباً وعمروها وسكنوا فيها ومن هنا تولدت قصة الاربعين عيلة .

وهذا الاسم قديم قبل السلطان سليم وهو منسوب لكنيسة قديمة كانت عامرة هناك على اسم الاربعين شهيداً الذين قتلوا جميعهم صبراً في مدينة سبسطية سنة ٣٢٠ وكذلك كان لهم او على اسمهم كنائس في بيروت وحمص وجوار دمشق فقد استولى

عليهـا الخراب وزالت رسومها ولم يبق لها الا اسمها ملازماً لهذه المحلات مراعاة لحق الجوار ودليلاً على سابق عمرانها ولم يقم مقامها كنيسة جديدة الا في مدينة حمص فانها تجددت في محل الكنيسة القديمة الكنيسة الكاتدرائية الحالية للروم وهي مشهورة بسعتها وجمالها . ومن يعلم عظم الإكرام الذي حازه هؤلاء القديسون في الشرق عند جميع المسيحيين على اختلاف مذاهبهم وطقوسهم ورغبة الشرقيين في إقامة الكنائس الكثيرة على اسماء القديسين لا يتردد في هذا الحكم . وفوق كل ذي علم عليم .

الخوري قسطنطين الباشا

ارجوزة الضاد والظاء

كان السيد عبد الله مخلص نشر في مجلة المجمع (جزء ٤ ص ١٦١) أرجوزة في الضاد والظاء وقال انه لم يعلم اسم ناظمهـا ومن نظمت برسمه الذي يظهر انه كان من وزراء زمانه . ثم نشر في المجلة في هذا الجزء (ص ٤٠٥) ان صديقه العلامة احمد باشا تيمور كتب اليه ان اسم الناظم الشيخ محمد الخزرجي .

وقد ظفرت في بحثي في الخزائن عن البقية الباقية من نفائس المخطوطات في حلب بمجموع في خزانة الكتب في التكية الاخلاصية هي التي من وقف الشيخ اسحق النجشي فيه عدة رسائل . من جملتها أرجوزة تشتمل على الظاء والضاد قال في اولها انها نظمت في عون الدين بن هبيرة الوزير في بغداد واول الأرجوزة .

الحمـد لله العظيم الواحد ذي المنّ والافضال والمحامد
أرسل فينـا أفضل الخلائق محمداً أكرم به من صادق
صلى عليـه ربنـا ومجدا في كل وقت دائماً وجددا
فكل ما ينظم للإفاده فذاك منسوب الى العبـاده
لا سيما في مدح عون الدين مخجل كل عارض هتون
من حكم الآمال في الأموال تحكم الآجال في الرجال

هذا ما نقلته وقتئذ من الأرجوزة وأظن ان بعد هذا البيت هو قوله وقد نظمت عدة من الكلم الخ فقد علم من نظمت برسمه ومافيها من الزيادات ٠ عضو المجمع العلمي
محمد راغب الطباخ

—((×٭×))—

استدراكات على محاضرة

في محاضرتكم[1] التي نشرتموها في الجزء الاول من هذه السنة وكنتم ألقيتموها في المدرسة الفاروقية بحلب وذكرتم فيها مدرسة ضيفة خاتون — قلتم ان ضيفة ولدتها أمها في غير دار ابيها حيث كانت أمها ضيفة فسماها ابوها ضيفة ٠ هذا ليس بصواب والصواب ما ذكرناه في تاريخنا (اعلام النبلاء) نقلاً عن ابي الفدا من انها لما ولدت كان عند ابيها الملك العادل ضيف فسماها ضيفة ٠ وابو الفدا أيوبي وهو أدرى باهل بيته ٠

وقلتم في الصفحة التاسعة ومن مدارس حلب النورية والعصرونية الخ ثم ذكرتم الشعيبية ثم الصهيبية وقلتم ان هذه كانت وراء باب انطاكية مباشرةً قامت على انقاض أقدم جامع في حلب بناه ابو عبيدة ٠ والحال ليس في الشهباء مدرسة يقال لها الصهيبية والمدرسة الواقعة في هذا المكان ولم تزل باقية الى الآن من عهد نور الدين الشهيد هي الشعيبية نسبةً الى الشيخ شعيب الاندلسي المتوفى سنة ٥٩٦ وقد كان اول مدرس بها لما جعلها نور الدين الشهيد مدرسة وقد كانت قبل ذلك مسجداً يسمى مسجد الغضايري وهو اول مسجد بني في حلب بعد الفتح كما ذكرتم ٠

وقلتم بعد أسطر ان فيها دار القرآن الحبشية بالباء الموحدة والصواب الحيشية بكسر الحاء وبالياء المثناة نسبةً الى قرية تبعد ساعة ونصفاً عن المعرة يقال لها حيش وهي عامرة الى الآن وقد جاء ذكرها في تاريخي في الجزء الخامس في ترجمة ابي بكر الحيشي وقد ذكرنا انه ولد بقرية حيش من عمل حماة باقرب من المعرة ٠ ولم أجد في معجم البلدان ذكراً لهذه القرية ولعلها لم تكن في زمنه ٠

وقلتم بعد العبارة المتقدمة : ذكر الرحالة ابن جبير في المئة السادسة انه كان يتصل

(١) الخطاب للاستاذ رئيس المجمع ٠

من الجانب من جامع حلب مدرسة للحنفية تناسب الجامع حسناً واتقان صنعة الخ . فالتعبير بكان يفيد ان لا أثر للمدرسة في زمنه وعبارة ابن جبير هكذا : ويتصل به (اي بالجامع) بالجانب الغربي مدرسة للحنفية الخ وهذه المدرسة لا تزال عامرة الى الآن وهي المسماة بالحلوية وقد ذكرتموها فيما ذكرتموه من المدارس في حلب في هذه الصفحة وقد تكلمت عليها في غير موضع من تاريخي وأثبت صورة محرابها العظيم في الجزء الرابع منه (ص ٥٠١) .

ويجدر ان نذكر هنا ما نشرته مجلة الزهراء المصرية في الجزء الثامن من سنتها الثانية حيث قالت : كتب الاستاذ احمد زكي باشا مقالة في الشورى عن محراب المسجد الأثري البديع الذي شيده في قلعة حلب نور الدين الشهيد في سنة ٥٦٣ هـ ثم أتمه وأكمله ابنه ابو الفتح اسماعيل عام ٥٧٥ فقد رأى الباشا (اي في سياحته الى حلب في صيف العام الماضي وقد كنت معه حينما زار القلعة) ان محراب المسجد منتزع من مكانه وتحقق انه كان موجوداً في سنة ١٩٢٢ م وقد صور بالتصوير الشمسي في تلك السنة وتدل صورته على انه من الخشب النفيس وان النقوش التي عليه انتهت عندها براعة المتفنن العربي فوصل في صناعته الى حد الاعجاز .

قال الاستاذ زكي باشا : اني رأيت كثيراً من المحاريب في بلاد مختلفة فلم أر مثل هذا المحراب الخشبي المفقود في حلب سوى محراب خشبي آخر في نفس حلب وهو محراب المدرسة الحلاوية . ثم قال : وأجمل محراب على وجه الارض هو الباقي في أطلال مسجد قرطبة بأرض الفردوس الاسلامي المفقود وهو من الفسيفساء وقد وصفته في (السفر الى المؤتمر) وبعده محراب المسجد الأقصى وهو من الرخام البديع الصنعة وبعدهما محراب الحلاوية بحلب وهو من الخشب انتهى .

عضو المجمع العلمي
محمد راغب الطباخ

اثر تاريخي

لا يخفى ان المشهور في قبر ابي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الصحابي الجليل والفاتح العظيم (هلك في طاعون عمواس . وعمواس ضيعة جليلة على ستة أميال من الرملة وقيل اربعة مما يلي بيت المقدس) أنه في غور الأردن وان السيف الأثري المحفوظ في دار الآثار العربية بدمشق والمنسوب الى ابي عبيدة كان عثر عليه في ذلك القبر في القرن الماضي وقد زار القبر أخيراً بعض فضلاء الناصرة الاستاذ القس أسعد منصور ووقف على كتابة محفورة في حجر على الضريح فنسخ الينا صورتها وهي كما يلي:

« بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بانشاء هذه القبة المباركة على ضريح الامير ابي عبيدة (ابن) الجراح رضي الله عنه — مولانا السلطان الأعظم سيد ملوك العرب والعجم ركن الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ابو الفتح بيبرس بن عبد الله قسيم امير المؤمنين خلد الله ملكه ابتغاء مرضاة الله ورسوله . مما وقف عليه وحبسه من نصف مناصف دير معلّ تونين من حمص من عمل حصن الاكراد المحروس تحبيساً مؤبداً أثاب الله وقفه بجوده وكرمه يوم يجزي الله المتصدقين أجر المحسنين . وبنظر الامير الأجلّ الأعز الكبير نسله (كذا) ناصر الدين الجنكلي الضاهري السعدي نائب مملكة عجلون المحروسة . في شهر ذي الحجة سنة ست مئة وخمسون وسبع » اه .

(المجمع) وقد جاء في (دائرة المعارف العربية) (وقبر ابي عبيدة بغور بيسان عند قرية تسمى عُميا [1] وعلى قبره أشياء تشير الى جلالة قدره اه .

(١) وقوله (عميا) بالياء غلط وصوابه (عُمتا) بالتاء .

مطبوعات حديثة

ديوان ذي الرمة

طبع في مطبعة (كمبريدج) الانكليزية الكلية على نفقة مدرستها بعد ان عني بتصحيحه وشرحه بالانكليزية والعربية معاً المستشرق كارليل هنري هيس مكارتني وهو يقع في ستمائة وخمسة وسبعين صفحة كبيرة

(من هو ذو الرمة ؟) : جيد الطبقة واسع الشهرة وصافاً كالجاهلية للديار والابل والليل والوحش ، هو شاعر بدوي اسلاميّ متقدم ، نشأ في البادية على اثر المخضرمين معاصراً للفرزدق وجرير والراعي مرافقاً للاحوص وكثيرعزة وابن مروان وابن ابي عتيق ونصيب وغيرهم من كبار شعراء المدر فكان مثلهم حجة في اللغة ولكنه كان يخالفهم بكثرة استعمال الغريب والحوشيّ من الألفاظ ولم يكن ذلك يعيبه في زمانه وانما حطه عن درجة الفحول عدم خبرته في أساليب المديح والهجاء ، وفساد ذوقه في انتقاء المناسبات واختيار ما يليق وما لا يليق من الكلام فيها .

قيل دخل يوماً على عبد الملك الخليفة الأموي فاستنشده فأنشده مطولته البائية المثبتة في اول ديوانه (ص ١ — ٣٥) وهي زهاء مئة وثلاثين بيتاً يقول في مطلعها :

ما بال عينك منها الماء ينسكب ‏ ‏ ‏ كأنه من كلى مفرية سرب

وكان عبد الملك أشتر الجفن لا يرقأ دمع عينه فتوهم انه يعرّض به ، فغضب حتى كاد يخرج عن حلمه وقال له : مالك ولي يا ابن الفاعلة وأمر به فطرد من حضرته مدحوراً مقهوراً ، وحرم من الجائزة التي كان يمني نفسه بنيلها ، وكان له ناقة اسمها (صيدح) كثيراً ما يذكرها في شعره ويناقشها الحديث والسمر اثناء سيره وسراه .

قيل قصد يوماً الأمير بلال بن ابي بردة الاشعري مادحاً ومستمنحاً فأنشده قصيدة تخلص الى المديح فيها بقوله :

سمعتُ الناس ينتجعون غيثاً ‏ ‏ ‏ فقلتُ لصيدح أنتجعي بلالا

فقال بلال ما دام المنتجع غيثي ناقتك لا انت فأعطوه حبلاً يقود به صيدح . وقيل قال له : « او لم ينتجعني غير صيدح يا غلام اعطه حبلاً لصيدح » فخجل

ذو الرمة وخرج خائباً محروماً من رضى الأمير وجائزته . وفي ذلك ما يكفي للدلالة على سوء اختياره للمعاني وفساد ذوقه في مقابلات ذوي الأخطار ممن يرجى سيبهم ويخشى بأسهم .

(ما هو اسمه ؟) : اسم ذي الرمة غيلان بن عقبة العدوي لقب ذا الرمة لانه دخل خباء معشوقته عرضاً وكان لا يعرفها ، فلما استحسنها استسقاها فأبت ازدراءً ، فقالت له أمها اسقيه يا ميّ فنهضت وأتته بماء وكان على كتفه رمةً اي حبلاً بالياً فقالت له اشرب ياذا الرمة ، فلزمه اللقب واشتهر به دون اسمه . وهو من مشاهير عشاق شعراء العرب ، ومعشوقته التي اشتهر بها مية بنت مقاتل بن كلبة جدها قيس ابن عاصم المنقري احد سادة العرب وأجوادها ، شبب بها ردحاً من الدهر وله معها مواقف غرامية تنم عن وجد مقرون بالعفاف ، فاضت بذكرها اسفار اصحاب السير والمؤرخين ثم طردته وسبته مرة بايعاز زوجها عاصم ، وقد كان نزل به ضيفاً على رجاء ان يلتقي بها فأحس به المزور وأنزله في فناء الخباء لا داخله وبعث اليه بزاد وهو هناك غيرةً منه على امرأته ، فلما جنّ الليل وغفت الأعين اخذ ذو الرمة يتغنى ليسمعها قائلاً :

أراجعة يا ميُّ أيامنا الأُلى بذي الاثل ام لا مالهن رجوع

فغضب زوجها وأمرها ان تجبهه وتشتمه متهدداً إياها بالقتل ان لم تفعل فصدعت بامره على رغمٍ منها فذهب غيلان ساخطاً عليها ثم ما برح ان هجا زوجها وتمنى له الموت بابياتٍ منها (ص ٦٧) .

ألا ليت شعري هل يموتن عاصمٌ ولم تشتعبني للمنايا شعوبها

دعا الله من حتف المنية عاصماً بقاضيةٍ يدعى لها فيجيبها

ثم هجا مية ايضاً فقال : (ص ٦٧٥) .

الا حبذا اهل الملا غير انه اذا ذُكرت ميٌّ فلا حبذا هيا

على وجه ميٍّ مسحةٌ من ملاحةٍ وتحت الثياب الخزي لو كان باديا

ألم ترَ ان الماء يخبث طعمه وان كان لون الماء أبيض صافيا

اذا ما أتاه وارد من ضرورة تولى باضعاف الذي كان ظاميا

وقيل انها ليست له وانما وضعت عن لسانه . ثم علق بامرأة غيرها اسمها خرقاء العامرية وشبّب بها في جملة قصايد تاركاً ذكر ميٍّ وحبها ، ومن جملة ما قال في خرقاء :

تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

فكأنه جعل الوقوف على محبوبته منسكاً من مناسك الحج وفي كل ذلك مايدل على حمق به وهوج في خُلُقه . مات في طريقه الى الشام وهو قاصد هشام الأموي بانفجار دمل سنة (١١٧) للهجرة وله من العمر اربعون سنة على أصح الأقوال ودفن بحزوى التي كان يكثر من ذكرها في شعره . قيل ولما أدركته الوفاة قال :

يا ربّ قد اشرفت نفسي وقد علمت علماً يقيناً لقد أحصيت آثاري
يامخرج الروح من جسمي اذا احتضرت وفارج الكرب زحزحني عن النار

ومن مختارات شعره في مي قوله (ص ٦٦ — ٦٧) :

اذا هبت الارواح من كل جانب به اهل ميٍّ هاج قلبي هبوبها
هوىً تذرف العينان منه وانما هوى كل نفس حيث حلّ حبيبها
تناسيت بالهجران ميّاً وانني اليها لحنّان القرون طروبها [1]

وقوله (ص ٢١٢ — ٢١٣) :

ألا يا اسلمي يا دار ميّ على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطرُ
لها بشر مثل الحرير ومنطقٌ رخيم الحواشي لا هراء ولا نزرُ
وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان في الالباب ما تفعل الخمرُ
وتبسم لمح البرق عن متوضحٍ كنور الأقاحي شاف [2] الوانها القطر

ومن حسناته قوله (ص ٦٧٥) :

جزى الله البراقع من ثياب عن الفتيات شراً ما بقينا
يوارين الملاح فلا نراها ويخفين القباح فيزدهينا

وأجمل ما جاء في وصف (النعسان) قوله (صفحة ١٣٠) :

سقاه الكرى كأس النعاس ورأسها لرين الكرى من آخر الليل ساجدُ

(بما ذا امتاز شعر ذي الرمة ؟) : ومن غريب معانيه قوله في وصف الحرباء (صفحة ٣٧) ولم يسبق لغيره ان يعني بوصف هذه الدويبة :

(١) القرون والقرونة النفس . (٢) شاف اي جلى .

كم دون ميّة من خرق ومن عَلَمٍ — كأنه لامع عريان مسلوب (١)
ومن ملمة غبراء مظلمةٍ — ترابها بالشعاف الغبر معصوب (٢)
كأن حرباءها في كل هاجرةٍ — ذو شيبةٍ من رجال الهند مصلوب (٣)

ويقول ايضاً في الحرباء (صفحة ٨٧) :

اذا جعل الحرباء مما أصابه — من الحر يلوي رأسه ويرنح
ونشوان من طول النعاس كأنه — بحبلين من مشطونةٍ يترجح (٤)

وهو معنىً قلما يخطر على خيال شاعر . وقال ايضاً :

أطرت الكرى عنه وقد مال رأسه — كما مال رشّاف الفضال المرنح (٥)

ثم يقول في محل آخر (صفحة ٤٧) وهو يشبه بيت الهندي المصلوب المثبت آنفاً .

وقد جعل الحرباء يبيضُّ لونه — ويخضرُّ من لفح الهجير غباغبه
ويشبح بالكفين شبحاً كأنه — اخو فجرةٍ عالى به الجذع صالبه

و يقول فيها ايضاً :

لظىً تلفح الحرباء حتى كأنه — اخو جرمات بزّ ثوبه شابح (٦)

ومثله (ص ٥٩) :

كأن يدي حربائها متشمساً — يدا مذنب يستغفر الله تائب

ولا أدري ما الذي أولعه بالحرباء حتى استنزف قوى دماغه وصقاله وهذيذاً به ومما يميز به في شعره تغاليه في استعمال الحوشيّ من الكلام كقوله من قصيدة في محبوبته الثانية خرقاء العامرية (ص ٣٧) :

---

(١) الخرق الفلاة تخترقها الرياح ، والعَلَم الجبل الذي تهتدي به الى ما حوله من الارض والبلاد ، واللامع الذي يشير بثوبه من بعيد الى غيره . (٢) الملمة الارض التي تلمع بالسراب ، والشعاف رؤوس الجبال ، والمعصوب الراسخ الثابت . (٣) الهاجرة اشتداد الحر في منتصف النهار . (٤) النشوان السكران ، والمشطونة بئر فيها اعوجاج ينزع منها بشطنين اي حبلين . (٥) الكرى النوم و يراد برشاف الفضال شارب فضلة الكأس ، والمترنح المتمايل من السكر . (٦) يشبه الحرباء بمجرمٍ عُلّق على العود بعد ان نزع ثوبه عنه فهو عليه مشبوح اي مبسوط اليدين كالمصلوب .

قفراً كأن أراعيل النعام به قبائل الزنج والحبشان والنوب
هيهات خرقاء الا ان يقرّ بها ذو العرش والشعشعانات الهراجيب

وقوله في وصف ربع معشوقته الاولى مية وفيه وصف للثيران (ص ٣٩) :

تمشي به الثيران كل عشية كما اعتاد بيت المرزبان مرازبه
كأن سحيق المسك رياً ترابه اذا هضبته بالطلال هواضبه
اذا سيَّر الهيف الصهيل وأهله من الصيف عنه أعقبته نوازبُه

سأل ذو الرمة الفرزدق يوماً ما بالي لا أذكر مع الفحول قال قصر بك عن غايتهم بكاؤك في الدمن ، ووصفك للابعار والعطن . وقد أجمع ثقات الجهابذة من نقدة الشعر على انه واسع الخيال غواص على المعاني عجيب التشابيه ، ولكنه سيئ الاختيار اصرف مواهبه في وصف خسائس الاشياء والتافه من المواضيع فلا يجيد الا شكوى لوجد ووصف التباريح والتناغي مع الحسان فهو من هذا القبيل في البدو مثل عمر بن ابي ربيعة في الحضر ولولا ذلك ابزّ شعره شعر المجلّين النابغين من أبناء جلدته في صدر الاسلام بلا مراء ولا جدال .

(ما يؤخذ على الناسخ والطابع ؟) : ان هذه النسخة التي اختيرت للطبع قد خلت من مقدمة خلافاً لسائر الدواوين والاسفار القيمة وليس للناظم فيها ترجمة حال تعرف منها هويته مع ان ذا الرمة مشهور معلوم الأحوال وهذا ماحدا بنا لان نجهد النفس ونوطئ لمقالتنا بترجمة موجزة تعرب عن حقيقة الناظم وتحلل طباعه وأوضاعه لعامة القراء استكمالاً للفائدة ، وفي النسخة أغلاط عروضية لم ينتبه اليها المصحح كقوله من قصيدة (ص ٢٠٠) يهجو بها امرؤ القيس وهم بطن من بطون العرب .

اذا المرئيُّ شبَّت له بنات عصبنَ برأسه ابةً وعارا
اذا المرئيُّ عيق ليوم فخر أهين ومدَّ أبواعاً قصارا
اذا مرئية ولدت غلاماً فألأم مرضع نشغَ المحارا

ولا يخفى مافي صدر البيت الاول من الخلل . ثم حيث ذكرت الاثافي وهي الحجارة التي توضع عليها القدر على النار جاءت الاشافي او الاسافي واظهر المصحح جهله لمعناها . وقد جاء الشرح مزيجاً موجزاً من الانكليزية والعربية لا يفهم منه

شيء من معاني الناظم وأغراضه فهو لا ينفع العربي ولا الانكليزي النفع المراد من الشعر الا ان يقصد به تفسير بعض الغريب من الالفاظ مما تغني عنه معاجم اللغة ·

اقول هذا وانا معجب كل الإعجاب بآثار هي كنوزنا تكشف عنها هم رجال الغرب التراب ثم يتحفنا بها أفاضلهم مجلوّةً مصونةً كقلائد العقيان من مثل هذا الكتاب فلهم منا ما يجدر بهم من الشكر، ومن ربهم ما يستحقونه من الثواب والاجر ·

سليم الجندي
عضو المجمع العلمي العربي

ثلاث رسائل للجاحظ

نشر السيد يوشع فنكل في المكتبة السلفية بمصر ثلاث رسائل للجاحظ الاولى في الرد على النصارى والثانية في ذم اخلاق الكتاب والثالثة في القيان جعلتها ادارة مجلة الزهراء الغراء هدية لقرائها في سنتها الثانية · وقد وقعت كلها في (٧٧) صفحة · وقد قدم لها الناشر الفاضل مقدمة قال فيها ان الرسالة الاولى وجدها في مكتبة الازهر وفي خزانة كتب صديقنا احمد تيمور باشا اختارها عبيد الله بن حسان واما الرسالتان الثانية والثالثة فوجدهما في مكتبة نورالدين بك مصطفى من هواة الكتب في القاهرة · ثم ترجم العلامة الجاحظ ترجمة مختصرة نقلاً عن بعض الثقات الذين تعرضوا لذكره ·

وقد نقل الناشر صورة كتاب للفتح بن خاقان كتبه الى الجاحظ وبه استدل على ان كتاب الرد على النصارى له وعلى منزلة الجاحظ من العلم قال : « ان امير المؤمنين يجد بك ، و يهش عند ذكرك ، ولولا عظمتك في نفسه — لعلمك ومعرفتك — لحال بينك وبين بعدك عن مجلسه ، ولغصبك رأيك وتدبيرك ، فيما انت مشغول به ومتوفر عليه · ولقد كان القي اليّ من هذا عنوانه ، فزدتك في نفسه زيادة كف بها عن تجشيمك · فاعرف لي هذه الحال ، واعتقد هذه المنة على كتاب (الرد على النصارى) وافرغ منه وعجل به اليّ ، وكن من جدابه (?) على نفسه ، وتنال مشاهرتك · قد استطلقته لما مضى ، واستسلفت لك لسنة كاملة مستقبلة ، وهذا مما لم تحتكم به نفسك ·

وقد قرأت رسالتك في (بصيرة غنام) ولولا اني ازيد في مخيلتك لعرفتك ما يعتريني عند قراءتها والسلام » . وانت ترى ان ابن خاقان كان يمنّ على الجاحظ باقصائه عن مجلس الخليفة لئلا يضيع عليه وقته بعشرة العظماء و ينصرف الى التأليف . والجاحظ في غنية عن مسامرة الخلفاء وتقلد وزاراتهم وأعمالهم . قال ميمون بن هارون قلت للجاحظ : الك بالبصرة ضيعة فتبسم وقال : انا وجارية وجارية تخدمها وخادم وحمار ، أهديت كتاب الحيوان الى محمد بن عبد الملك فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهديت كتاب البيان والتبيين الى ابن ابي دؤاد فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهديت كتاب الزرع والنخل الى ابراهيم بن العباس الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار ، فانصرفت الى البصرة ومعي ضيعة لا تحتاج الى تجديد ولا تسميد .

وبعد فلا شك في ان هذه الرسائل الثلاث هي للجاحظ لانها نمطه الخاص في تأليفه وانشائه ، منسوجة على أسلوبه العجيب في رسائله وكتبه ، وكل ما خاض ابو عثمان عبابه من الموضوعات ، تظنك وانت تتلوه وتتدبره كأنه لم يتقن غيره حياته ، هكذا هو فيما طبع له حتى الآن من كتاب الحيوان والبيان والتبيين والبخلاء والتاج وغيرها من رسائله الغريبة في وضعها وعموم نفعها ، والتي تفنى الليالي ولا تنفك مما يستفاد منه ، وكلما تدارسه المتدارسون استفادوا منه عقلاً جديداً ، وحكمة خالدة رائعة ، منذ عالج الجاحظ مئات من المباحث الدينية والمشاكل الاجتماعية والمسائل الأدبية ، فجلاها بتبيانه واي جلاء ، واردعها من واسع علمه وبعد نظره ما يستغرب و يستطرف على وجه الدهر ، ومن اقتصر على تلاوة ما كتب رحمه الله يجيء منه أديب وكاتب وعالم ، وعسى الايام ان تظفر الباحثين باكثر ما خطته انامله التي افضلت على العلم والعرب والاسلام ، وكل درة يعثر عليها من درره تعد في الذخائر الثمينة من ركاز الآداب الرفيعة والكنوز المدفونة .

والى القارئ جملة من رسالة القيان أوردها الجاحظ على لسان غيره في تاريخ الحجاب في الاسلام شأنه في بعض مواطنه اذا اراد إثبات قضية اوالتزهيد في امر ومن ذلك انه اعترف بانه كان يضع الكتاب فلا يؤبه له فيضع الآخر و ينسبه الى من تقدمه ومنهم سهل ابن هرون فيهش له الناس ويعجبون به ولعل قوله هذا في القيان من هذا القبيل قال :

الحجاب في الاسلام

لم يكن بين رجال العرب ونسائها حجاب ، ولا كانوا يرضون مع سقوط الحجاب بنظرة الفلتة ، ولا لحظة الخلسة ، دون ان يجتمعوا على الحديث والمسامرة ، ويزدوجوا في المناسمة والمشافهة ، ويسمي المولع بذلك من الرجال «الزير» المشتق من الزيارة ، وكل ذلك بأعين الأولياء ، وحضور الأزواج : لا ينكرون ما ليس بمنكر اذا أمنوا المنكر ، حتى لقد حصل في صدر اخي بثينة من جميل ما حصل من استعظام المؤانسة ، وخروج العذر عن المخالطة ، وشكا ذلك الى زوجها وهزه ما حشمه ، فكمنا لجميل عند اتيانه بثينة ليقتلاه ، فلما دنا لحديثه وحديثها ، سمعاه يقول ممتحناً لها : هل لك فيما يكون بين الرجال والنساء فيما يشفي غليل العشق ، ويطفئ نائرة الشوق ؟ قالت : لا . قال ولمَ ؟ قالت ان الحب اذا نكح فسد . فأخرج سيفاً قد كان اخفاه تحت ثوبه فقال : اما والله لو انعمت لي لملأته منك . فلما سمعا ذلك وثقا بغيبه ، وركنا الى عفافه ، وانصرفا عن قتله ، وأباحاه النظر والمحادثة .

فلم يزل الرجال يتحدثون مع النساء في الجاهلية والاسلام ، حتى ضُرب الحجاب على نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة . وتلك المحادثة كانت سبب الوصلة بين جميل وبثينة ، وعفراء وعروة ، وكثّير وعزة ، وقيس وليلى ، واسماء ومرقش ، وعبد الله بن عجلان وهند . ثم كانت الشرائف من النساء يقعدن للرجال للحديث ، ولم يكن النظر من بعضهم الى بعض عاراً في الجاهلية ولا حراماً في الاسلام ... ثم ان النساء الى اليوم من بنات الخلفاء وامهاتهم فمن دونهن يطفن بالبيت مكشفات الوجوه ونحو ذلك لا يكمل حج الا به ...

... وهذا الحديث وما قبله يبطلان ما روت الحشوية من ان النظر الاول حلال والثاني حرام ، لانه لا يكون محادثة الا ومعها ما لا يحصى عدده من النظر ، الا ان يكون عنى بالنظرة المحرمة ، النظر الى الشعر والمجاسد وما تخفيه الجلابيب ، مما يحل للزوج والولي ويحرم على غيرهما ... ثم لم يزل للملوك والاشراف اماء يختلفن في الحوائج ويدخلن في الدواوين ، ونساء يجلسن للناس ، مثل خالصة جارية الخيزران ،

وعتبة جارية ريطة ابنة ابي العباس ، وسكر وتركية جاريتي ام جعفر ، ودقاق جارية العباسة ، وظلوم وقسطنطينية جاريتي ام حبيب ، وامرأة هارون بن معبوبة ، وحمدونة أمة نصر بن السندي بن شاهك . ثم كن يبرزن للناس احسن ما كن ، وأشبه ما يتزين به ، فما انكر ذلك منكر ، ولا عابه عائب .

... والدليل على ان النظر الى النساء كلهن ليس بحرام ، ان المرأة المغنية تبرز للرجال فلا تحتشم من ذلك ، فلو كان حراماً وهي شابة لم يحل اذا غنت ، ولكنه امر أفرط فيه المتعمدون حد الغيرة الى سوء الخلق ، وضيق العطن ، فصار عندهم كالحق الواجب . وكذلك كانوا لا يرون بأساً ان تنتقل المرأة الى عدة أزواج لا ينقلها عن ذلك الا الموت مادام الرجال يريدونها ، وهم اليوم يكرهون هذا ويستسمجونه في بعض ، ويعافون المرأة الحرة اذا فارقت زوجاً واحداً ، ويلزمون من خطبها العار ، ويلحقون به اللوم ، ويعيرونها بذلك . ويحظون الأمة وقد تداولها من لا يحصى عدده من الموالي . فمن حسّن هذا في الاماء وقبحه في الحرائر ؟ ولمَ لم يغاروا في الاماء وهن أمهات الاولاد وحظايا الملوك وغاروا على الحرائر ؟ الا ترى ان الغيرة اذا جاوزت ما حرم الله فهو باطل ، وانها بالنساء لضعفهن أولع حتى يغرن على الظن والحلم في النوم ، وتغار المرأة على ابيها وتعادي امرأته وسريته .

... ثم هذا ايضاً وزن الابنية ، وأصناف الفرش والوشي واللباس ، ووزن القنوات التي تجري فيها المياه ، وانما نعني بالوزن الاستواء في الخرط والتركيب . فلا بد لما (١) لا يمنع الناظر من النظر الى الزرع والفرش والبنفسج في خضرته والاستنشاق من روائحه ، ويسمي ذلك كله حلاً ما لم يمد (٢) له يداً ، فاذا مد يداً الى مثقال حبة من خردل بغير حقها فعل ما لا يحل ، واكل ما يحرم عليه ، وكذلك مكالمة القيان ومفاكهتهن ومغازلتهن ، ومصافحتهن للسلام ، ووضع اليد عليهن للتقليب ، والنظر حلال ما لم يشب ذلك ما يحرم . وقد استثنى الله تبارك وتعالى اللمم فقال : « والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ، ان ربك واسع المغفرة » .... م . ك

---

(١) كذا الأصل . (٢) في الأصل « كله له حل ما يمد » .

اعلام النبلاء

« بتاريخ حلب الشهباء »

تأليف الشيخ راغب الطباخ ، الجزء الخامس ص ٥٧٥ والجزء السادس ص ٥٥٢ طبعا في المطبعة العلمية في حلب ١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ — ١٩٢٦ م

هذان الجزآن خصها رصيفنا المؤلف الأديب بتراجم مشاهير حلب منذ سنة ٧٤٩ هـ الى سنة ١١٧٣ ، وفي الجزء الخامس ١٠٨ تراجم تتمة القرن الثامن و١٩٧ ترجمة من اهل القرن التاسع و١٨٩ من القرن العاشر اي انه حوى ترجمة ٤٩٤ ، وحوى الجزء السادس ٢٣٧ ترجمة منها ٩٠ من اهل القرن العاشر و٧٥ من القرن الحادي عشر و٧٢ من الثاني عشر وفيهما كالجزء الرابع تراجم كثير من مشاهير من انبتتهم الشهباء على الطريقة التي اختارها المؤلف من نقل كل ما عثر عليه واختيار المطول من التراجم . وامتاز الجزآن بان فيهما تراجم كثير من المحدثات والاديبات ولكن تراجمهن مختصرة لان المصادر التي اخذ عنها لم تطل في الترجمة لهن ، وجارى بعض من ألفوا كتب التراجم في القرون الوسطى فترجم للمجاذيب والممرورين المهوسين وأغفل ترجمة النقاشين والمعمارين والمغنين على نحو مافعل النجم الغزي في الكواكب السائرة فانتقد رضي الدين الحلبي في تاريخه « در الحبب في تاريخ حلب » لعنايته بتراجم النقاش والتاجر والمغني والمطنبر والعاشق والمعمار وغيرهم ممن عدهم في العوام وجوّز لنفسه ترجمة المجاذيب ومن كان على شاكلتهم . فكنا نأمل من المؤلف المعاصر ان ينقل على الأقل تراجم تلك الطبقة التي ترجم لها رضي الدين وعابه بها نجم الدين فان ترجمة الشيخ ابي بكر بن ابي الوفا المجذوب التي أطال فيها جداً لا تهم المجتمع اليوم بقدر ما يهمهم التطويل في تراجم بني العديم وبني الشحنة وبني الكواكبي وبني الكوراني من الأسر العريقة في العلم والمجد في الشهباء ممن أخرجوا للامة العربية عدة بطون اشتهرت بالفضائل والآداب والاسلام افتخر بمثل هؤلاء العظماء لا بالمجاذيب وكرامات المغفلين والمخرفين . وحبذا لو صحت عزيمة بعض القابضين على أزمة الاقلام في حلب على ترجمة مشاهير بلدهم باسلوب جديد على النحو الذي جرى عليه نابغة مصر الدكتور طه حسين في كتابه « ذكرى ابي العلاء »

فان التراجم المقبولة المؤثرة اليوم هي ما كتب على هذا الطراز من النقد والتمحيص .
وانا نشكر لمؤلف اعلام النبلاء جمعه هذه التراجم كلها ، موردا إياها بالصيغة التي كتبها مؤلفوها ، ولا ينبغي ان يؤلمنا ماحوت أحياناً من ركاكة في الفكر وركاكة في الشعر والنثر ، فانا أكثر هذين الجزئين خاص بتراجم عصور الانحطاط في الشهباء ، وهذا كل ما استطاعت تلك القرون ان تخرجه . ومن حسنات هذين الجزئين ان فيهما كلاماً على بعض الجوامع والمدارس المهمة التي ورد ذكرها في المترجمين فوصف المؤلف حالتها اليوم وما صارت اليه خططها . ومن جميل ما أتى المؤلف ايضاً اشارته الى مظان كتب المؤلفين في الخزائن اليوم ، وليته يفرد هذا المبحث في جزازات خاصة ينشرها في المؤلفين الحلبيين في العصور الاسلامية حتى يسهل الرجوع اليها ويعمل العاملون على احيائها . ولا نزال نقول ما قلناه في الاجزاء السابقة بان اعلام النبلاء يفيد كثيراً من الناس ويكون من المراجع لمن يريد في المستقبل ان يكتب تاريخ الشهباء السياسي والأدبي مثلاً ونشكر المؤلف لهمته العالية جزاه الله عن الادب . م . ك

التربية الوطنية

تأليف السيد كامل المصري طبعة ثانية طبعت في المطبعة التجارية الكبرى سنة ١٩٢٦ في ١٥٠ ص وتطلب من مكتبة الهلال بمصر

هذا السفر اللطيف في موضوع طريف حوى كلاماً على الدولة والحكومة وحقوق الأفراد والسلطات العمومية والدستور ولا سيما في مصر ومركزها الدولي وتاريخها السياسي والنيابي ونظمها الادارية وتقسيماتها ومجالسها وضرائبها ومكوسها وماليتها والتعليم فيها الى غير ذلك مما استقاه المؤلف من مصادر عربية وانكليزية وافرنسية مهمة وزاد فيها تحقيقاته فراج الرواج المقدر له في أمته . وهو يستفيد منه المصري وغيره اموراً لا يكاد يراها الا في المظان البعيدة باسلوب جميل وعبارة رقيقة . م . ك

الجزء ١٠ المجلد ٦

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) تشرين الاول سنة ١٩٢٦ م الموافق ربيع الاول وربيع الآخر سنة ١٣٤٥ هـ

الغريب الفصيح في العامي

ربما ينكر بعض من درس علم البيان هذا العنوان اذ يرى الغريب موصوفاً بالفصيح ، وقد تعلم ان الفصاحة في المفرد خلوصه من الغرابة فكيف يكون اذاً الغريب فصيحاً ؟؟ فاستمع لما يتلى عليك من معنى الغريب والفصيح .

الغريب — هو في عرفهم البعيد عن الاستعمال ، وفسر علماء البيان الغرابة بكون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال ويريدون بالاستعمال استعمال الفصحاء فالغرابة بتفسير علماء البيان هذا أخص من البعيدة عن الاستعمال فاذا كانت الكلمة مستعذبة اللفظ خفيفة على اللسان غير حوشية ولا مستنكرة فكيف تكون غير فصيحة لانها غير مأنوسة . واذا كانت اللغة تقبل بعض الكلمات الأعجمية اذا صقلت وشذبت وجرت مجرى كلمات اللغة العربية فكيف باللفظ العذب الجميل من كلمات المصقول الجاري مجرى غيره من ألفاظها ، وان كان غير مأنوس وانه مهما بعد عن المألوف فلا يصل الى درجة الأعجمي المعرب .

على ان مثل هذا البحث لم يهمله أئمة اللغة فقد قال ابن درستويه وحكاه في المزهر « ليس كما ترك الفصحاء استعمال بخطاء فقد يتركون استعمال الفصيح لاستغنائهم بفصيح آخر او لعلةٍ غير ذلك » وقال ايضاً « انما الفصيح ما أفصح عن المعنى واستقام لفظه على القياس لا ما كثر استعماله » وقال السبكي في عروس الافراح : « ينبغي ان تحمل الغرابة بالنسبة الى العرب العرباء لا بالنسبة الى استعمال الناس والا لكان جميع ما في كتب الغريب غير فصيح والقطع بخلافه » .

وبعد فان في القرآن والحديث الشريف (وهما ما هما لا يدانيهما في الفصاحة كلام) من الغريب ماجرد الائمة الاعلام وفطاحل اللغة أقلامهم لشرحه كابن قتيبة والزمخشري وكتبهما في غريب القرآن وغريب الحديث معروفة ، فهل كان هذا الغريب غير فصيح ، واسمه كما ترى الغريب ؟ . والظاهر من كلام ثعلب ان مدار الفصاحة في الكلمة على كثرة استعمال العرب لها والمراد بالعرب الموثوق بعربيتهم فلا ينافي الفصاحة قلة استعمال المحدثين لها . نعم ان من الغريب المستكره الحوشي وهو الغامض المغلق الذي لا يألفه الذوق . قال ابن رشيق في العمدة :

« كأنها منسوبة الى الحوش (بضم اوله) قالوا وهي بقايا إبل بارض غاب عليها الجن فعمرتها ونفت عنها الانس لا يطؤها انسي الا خبلوه » .

وفي القاموس الحوشي بالضم الغامض من الكلام والمظلم من الليالي والوحشي من الابل وغيرها وهو منسوب الى الحوش وهو بلاد الجن ، وفي الاساس واصله من الإبل الحوشية وهي التي يزعمون ان فحول نَعَم الجن قد ضربت فيها ويسمونها الحوش قال رؤبة :

(جرت رحانا من بلاد الحوش)

وكيفما كانت هذه الأساطير فانها تدل على وحشية الحوشي .

الفصيح — هو العربي الخالي من اللحن ومنه أفصح اذا تكلم بالعربية وأفصح الأعجمي خلص كلامه من اللحن والفصاحة الخلوص والابانة ومنه افصح الصبح اي استبان ، واللبن الفصيح الخالص من الرغوة ويوم مفصح بلا غيم ولا قر ، والفصيح في عرف اهل البيان خلوصه في المفرد من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس فالاول كمستشزرات والثاني كالجرشّى والثالث كالاجلل في قول امريء القيس (غدائره مستشزرات الى العلى) وقول ابي الطيب (كريم الجرشّى شريف النسب) وقول رؤبة (الحمد لله العلي الاجلل) . والفصاحة في الكلام خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحتها وليس المقام بمتسع للبحث في ذلك .

وقد كانت لغات العرب قبل الاسلام مختلفة باختلاف القبائل ومواطنها

فاختلاف في إبدال الحروف كاولئك واولالك وأنَّ وعنَّ (١) . واختلاف في الحركات كفتح حرف المضارعة في لغة قريش وكسرها في لغة اسد وقيس . واختلاف في التقديم والتأخير كصاعقة وصاقعة . واختلاف في الادغام نحو مهتدون ومهدُّون . واختلاف في الزيادة نحو انظُروا وانظوروا . واختلاف في التضاد اقعد وثب (٢) بمعنى اجلس في لغة حِمْيَرْ الى غير ذلك .

وكانت لغة قريش افصح اللغات قال ابو الحسين احمد بن فارس في فقه اللغة « اجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لاشعارهم والعلماء بلغاتهم واياهم ومحالّهم ان قريشاً أفصح العرب ألسنةً وأصفاهم لغةً وذلك ان الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمداً صلى الله عليه وسلم فجعل قريشاً قطان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ويتحاكمون الى قريش في امورهم وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم

(١) ومنه عنعنة تميم وكشكشة اسد وكسكسة ربيعة فقد كان بنو تميم يقلبون همزة (أن) عيناً وبعضهم يقلبها هاءً . وكان بنو اسد يبدلون الكاف شيناً فيقولون عليش يريدون عليك او كانوا يصلون بالكاف شيناً فيقولون عليكش ولا يزال لهذه اللغة اثر في عامية جبل عامل اذ يدخلون الشين بعد كاف الخطاب اذا وقعت في حيّز النفي وفي بعض الجهات من لبنان يُدخلونها بعدها في المثبت والمنفي . وكان بنو ربيعة كبني اسد الا ان شين اسد سين عند ربيعة .

(٢) وقال ابن فارس : روي ان زيداً بن عبدالله بن دارم وفد على بعض ملوك حِمْيَرْ فألفاه في متصيَّدٍ له على جبل مشرف فسلَّم عليه وانتسب له فقال له الملك ثِبْ (اي اجلس) وظن الرجل انه امره بالوثوب فقال لتجدني ايها الملك مطواعاً ثم وثب من الجبل فهلك فقال الملك ما شأنه فخبروه بقصته وغلطه في الكلمة فقال اما انه ليس عندنا عربية من دخل ظفار حمَّر اي من دخل ظفار وهي المدينة التي كان فيها فليتعلم الحميرية انتهى كلام ابن فارس . والأئمة لم يجعلوا الحميرية لغة غير العربية بل بعضاً منها بدليل ذكرهم الألفاظ الحميرية في مختلف الألفاظ العربية .

بينهم ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميهم (أهل الله) لانهم الصريح من ولد اسماعيل عليه السلام لم تشبهم شائبة ولم تنقلهم عن مناسكهم نافلة فضيلة من الله جل ثناؤه لهم وتشريفاً اذ جعلهم رهط نبيه الاذنين وعترته الصالحين. وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها اذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب » .

ثم نزل القرآن وجاءت السنة النبوية بلغة قريش وما اليهم من العرب من عليا هواذن كسعد وجشم ابني بكر وثقيف فكانت لغة القرآن هي الحيّة على طول الدهر وكرور العصور ولولاها لكثر تشعب اللغة العربية ولم يكن للفصحى ما لها اليوم من الشأن.

العامي — العامي منسوب الى العامة وهم عامة النـاس و يقابلهم الخاصة والعامة تلك الرجرجة التي عناها امير المؤمنين بقوله النـاس صنفان عالم ومتعلم ورجرجة دون ذلك ينعقون مع كل ناعق . ان اللغات يؤثر فيهـا تطاول المدة واختلاط الامم فيدخلهـا اللحن ثم التحريف فاذا امتدت المدة زاد ذلك فيها وبعد الحادث عن القديم حتى يكون الحادث بعد ذلك لغة قائمة برأسها وهكذا كان تشعب اللغات وكان ذلك على أشده قبل ان تعنى كل امة بلغتها وتدونها ، واللغة التي دوّنت بقيت معروفة بعد موتها .

ان السريانية والعربية والعبرية أخوات لأم واحدة ماتت ولم تعرف لانهـا لم تدوّن ولكن اليونانية القديمة التي دوّنها أهلها والعربية التي عني رجالها وأئمتها بهـا لم تموتا بالنسبة للعامية منهما الا ان اليونانيـة القديمة بعد ان اتخذت اليونانية الحديثة لغة الكتابة والتخاطب أصبحت أثراً يعنى به الخاصة من أهلها وطلابها .

واما العربية فلم يكن لعاميتها هذه المكانة وهذه العناية لمكان اللغـة الفصحى من الكتاب والسنة ولمزيد عناية أبنائها بها فبقيت لغة الكتابة ولم تسلم مع ذلك اسلات اقلام بعض الكتاب من لحنات العامة ولكن الأئمة لم يغفلوا عن ذلك فتجردوا لنقدها حتى يبعد عنها الكتبة و يتنبه اليها اولو الغفلة .

كانت العـامة تبعد عن الفصحى بتطاول المدة يوم أديلت دول العرب وامتد فيهم ملك الأعاجم وكثر اختـلاط العجمة بالعروبة وقضت سياسة ملوك الأقطار العربية من الأعاجم نزعةً ولغةً ان لا يأبهوا للعربية .

كان ذلك الي حين ثم انبعث بصيص النور الى اللغة لان روح الحياة لا بد ان تنبض اذا خف عنها كابوس المرض فأخذت اللغة في الانتعاش في العصر الاخير وظهرت العصبية القومية وانماالأُمم بلغاتها فنهض العرب مع الناهضين لانعاش الفصحى من لغتهم نهضة متثاقلة ولكنها استمرت فنمت وزهر عصرها في مصر ثم في الشام والعراق وكان للجرائد والمجلات اثر صالح في ذلك فكثرت الخاصة بين العامة وأولع العامة بالتقرب من الخاصة فكان من ذلك فاتحة امل جديد . ولو ان للعرب دولة مستقلة لسارت باللغة شوطاً صالحاً .

(الفصيح والعامي من حيث الاستعمال) — لم تخرج العامية مع تحريفها وعدم ضبط قواعدها عن كونها لغة عربية والتحريف كان معروفاً باختلاف لغات العرب كما سبق الكلام عليه وان كان بين الفصيح والعامي أشد وهو في العامي أظهر واكثر وبه ألصق وأليق فالعامية بالنسبة الى الفصحى وهذه بالنسبة الى المتقدمين والمحدثين على ضروب .

(١) الفاظ انفرد بها متقدمو العرب وتركها المحدثون . إما لاستعمالهم مرادفها كعيسور في الناقة الشديدة السريعة استعملوا مكانها علنداة . او لانها من الحوشي البعيد عن الطبع كقولهم مخرنبق لينباع[1] « قال ابن فارس » وكذلك يعلمون معنى ما نستغربه اليوم من قولنا عيسور في الناقة وعيسجور[2] وامرأة خِنّاني وفرس أشق أمق خِبَق[3] ذهب هذا كله بذهاب اهله ولم يبق عندنا الا الرسم الذي تراه .

او تركها المحدثون لانها غير مأنوسة لهم وان لم تكن حوشية ولا ثقيلة كأجي

(١) في القاموس مخرنبق لينباع اي مطرق ليثب وفي نوادر ابي زيد ما نصه : ويقال في مثل مخرنبق لينباق وقد باق يبوق بوقاً اذا اظهر والمخرنبق الساكت على السوءة لينباق بها وقال بعضهم مخرنبق لينباع والمنباع الذي ينباع بالشر الذي في جوفه فيظهره . (٢) العيسجور كالعيسور الشديدة السريعة . (٣) اشق امق كلتاهما بمعنى الطويل وخبق كهجف سريع .

في الحديث الشريف من أجبى فقد أربى [1] ٠

(٢) الفاظ استعملها المتقدمون وخواص المحدثين ولم تعرفها العامة كقولهم طخية عمياء ومرة سوداء ٠

(٣) الفاظ استعملها العرب وعرفتها العامة وقل استعمال الخاصة لها فلم تشع بينها وهو ما نعني بالبحث فيه الآن ٠

(٤) الفاظ للعرب فيها لغتان او اكثر اخذت العامة ببعضها والخاصة ببعض آخر كفَزّ عند العامة وقفز عند الخاصة وما فيهما دومري (تومري) عند العامة وما فيها ديّار عند الخاصة ٠

(٥) الفاظ استعملها العرب قديمهم وحديثهم وقل استعمال العامة لها فكانت من ذلك مصونة لم تبتذل والفرق بين هذا الضرب والضرب الثاني ان ذاك لم تعرفه العامة او لم تكد تعرفه وهذا عرفته ولم تألفه كأمررت الحبل وأحصدته اي فتلته وحبل مُمر ومحصد اي مفتول وقد عرفت العامة عقدة مرة اي محكمة العقد ٠

(٦) ألفاظ مثل ذلك ولكنها ابتذلت منذ عركتها العامة بالسنتها وامتهنتها بتحريفها فاجتنبتها الخاصة وأعرضت عنها مثل قول العامة اصطفل اي افعل ما تريد محرفة عن افتصل افتعال من الفصل اي اتخذ الفصل الذي تريده من عملك ٠

(٧) ألفاظ مثل ذلك كثيرة الدوران في الكلام لا يستغنى عنها فلم يضرها كثرة الاستعمال لمكان الحاجة اليها كقولك شربت ماءً وقرأت كتاباً وهذا اكثر الكلام العربي ٠

(٨) ألفاظ حرفتها العامة باستعمالها الى معنى مستكره فتركت الخاصة استعمالها في معناها الاول لمكان الاستكراه في المعنى الثاني كالصرم بمعنى القطيعة والغائط للمنخفض من الارض حرفت العامة الكلمة الاولى الى معنى السرم والثانية الى معنى الخرء ٠

---

(١) الاجباء بيع الزرع قبل بدو صلاحه والارباء الدخول في الربا ومعنى الحديث من باع زرعاً قبل بدو صلاحه فقد دخل في الربا واللازم من ذلك عدم صحة مثل هذا البيع ٠

وقد رأيت في مراجعاتي كلمات في اللغة من الضربين الثالث والرابع قل استعمال الخاصة لها حتى كادت تعد غريبة عندهم ولكنها كثيرة الورود في كلام العامة فعنيت بذكرها وشرحها تذكرةً للباحثين وبلغة للمتأدبين ·

(١) أرم ، مأروم — يقولون للصبي اذا كان مكتنز اللحم مع قصر في قامته هو مأروم أرماً ويداه مأرومتان اذا كانتا مجدولتين · و يقولون أرم فلان اللقمة اذا قطع رأسها بأسنانه · وابرة مأرومة قطع خرمها او رأسها · فالأرم عندهم لمحكم الفتل المكتنز وللقطع · وفي اللغة جارية مأرومة محكمة الفتل والطي عن المخصص وفي القاموس مأرومة حسنة الأرم اي مجدولة الخلق · وفي القاموس ايضاً أرمت السنة القوم قطعتهم وأرم ما على المائدة اكله و بابه ضرب ·

(٢) أرامل ، أرملة — ويسمون ما يبقى في الارض من اصول نبات الباذنجان ونحوه الى السنة الثانية أرامل · وفي اللغة قال ابن الاعرابي أرامل العرفج اصوله وانشد : (قيد في أرامل العرافج)

وفي القاموس أرمولة العرفج جذموره جمعه أرامل وأراميل ·

(٣) افز — و يقولون افز الزيت فوق الماء اذا خلص من الماء وعلا فوقه وافزت الزبدة اذا علت المخيض · وفي اللغة افز يأفز اذا وثب ومثله ابز ونفز عن ابي عبيد و بابه ضرب · وفي القاموس الأفز الوثب كأنه مقلوب من الوفز وكله بمعني القفز والوثب ·

(٤) تبحبح ، بحبحة ، بحبوح ، مبحبح — و يقولون فلان تبحبح بالمكان اذا اتسع عليه وهذا الثوب مبحبح اي واسع وفلان بحبوح اي كريم يوسع على الناس من ماله · وفي اللغة تبحبح بالمكان تمكن من المقام والحلول والبحبحي الواسع في النفقة ·

(٥) برطم ، مبرطم — و يقولون في غير احترام برطم فلان اذا تضخمت شفتاه من الغضب و يقولون للعبد الضخم الشفه هو مبرطم بصيغة الفاعل · وفي اللغة قال ابو عبيد البرطام الضخم الشفة وقال ابن دريد هو البراطم وانشد :

مبرطم برطمة الغضبان بشفة ليست على انسان

وفي القاموس مثل ذلك وزاد · البرطمة الانتفاخ غضباً ·

(٦) بصّاصة ، بصّ ، بصّاص — و يقولون بُص بصيغة الامر اي انظر وفلان بصّاص يبصر جيداً · و يقولون اذا أخطأ بصر الرجل العتب على البصاصات يريدون جمع بصاصة وهي العين · وفي اللغة حكى ابن سيده البصاصة العين صفة غالبة · وفي القاموس لانها تبرق وتلمع · وفيه ايضاً بص الجرو فتح عينيه كبصص · وفي الاساس رماه بالبصاصة وهي العين ·

(٧) بعزق ، بعزقه — و يقولون بعزق الحب والماء وبعسقه بالزاي والسين اذا تناثر من بين يديه بان طفح كيله او انخرق ماعونه وراح هذا الشيء بعزقه اذا ذهب متناثراً · وفي اللغة البعثقة خروج الماء من غائل حوض او جابية قاله ابن دريد وتبعثق الماء من الحوض اذا انكسرت منه ناحية فخرج منها عن ابن السكيت وابدال الثاء المثلثة بالسين مألوف معروف عند العامة وابدال السين زاياً غير منكور في كلامهم ·

(٨) بغو ، بغوة — و يقولون للثمر اذا قطف قبل ينعه هو بغو والثمرة بغوة · وفي اللغة البغو الثمرة قبل نضاجها · وفي المخصص عن ابي حنيفة واذا عقد الشجر فالثمرة غضة وبَغْوة ومَعْدَة والجمع بغوٌ ومعدٌ ·

(٩) التأتأة — و يقولون تأتأ على الباب اذا ضرب ضرباً له صوت خفيف وكذلك تأتأ بالعصا على الارض والمصدر التأتأة وربما يلفظها بعضهم بالقاف فتكون من حكاية الصوت (طق) وفي اللغة كما في القاموس التأتأة حكاية الصوت ·

(١٠) تخ ، تختيخ — و يقولون تخ العجين اذا زاد اختماره · وفي اللغة التخ العجين الحامض وقد تخ تخوخة عن القاموس ·

(١١) التلْم ، اتلام ، تلام ، تلّم — و يقولون التلم وزان فجر لما يشقه المحراث في الارض و يجمعونه على اتلام وتلام واشتقوا منها فعلاً فقالوا تلّم الارض اذا شق فيها اتلاماً · وفي اللغة حكى ابن سيده عن ابي حاتم يقال لكل واحد من أخاديد الارض تلام والجمع تلم (ككتاب وكتب) وعن ابي حنيفة التَلَم (محركة) مشق الكراب في الارض بلغة اهل اليمن والغور والجمع اتلام وفي القاموس عين قول ابي حنيفة او كل اخدود من الارض · اما تسكينها عند العامة فله نظائر ومثله قلْعة وقلَعة فالعامة لا تعرف التحريك وكثير من الأئمة ينكر التسكين ·

(١٢) ثخين ، ثخانة — و يقولون فلان ثخين اذا كان ثقيلاً على الطبع وفيه ثخانة اذا كان غير خفيف الروح · وفي اللغة كما في المخصص رجل ثخين اي ثقيل والثخنة الثقل ·

(١٣) المجاحشة — و يقولون فلان يجاحش فلاناً والاولاد يتجاحشون اي يزحم بعضهم بعضاً في اللعب · وفي اللغة حكى ابن سيده عن الاصمعي جاحشته وجاحسته اذا زاحمته وفي القاموس جاحشه دافعه وفي الاساس جاحش عن خيط رقبته اذا دافع عن نفسه ·

(١٤) جلط ، مجلوط — و يقولون انجلط الجرح وجلط وهو مجلوط اي زال عنه الجلد و يقولون فلان يجلط اي يكذب · وفي اللغة عن القاموس جلط يجلط من باب ضرب كذب · والجلد عن الظبية كشطه ·

(١٥) جلع ، جلاعة ، مجلوع ، مجلوء ، جلاء ، جلاآن — و يقولون فلان جلع وزان كتف و به جلاعة كصقاعة وهو مجلوع وربما قلبوا العين همزة فقالوا مجلوء (وله نظائر في كلامهم) وجعلوا المصدر مع القلب جلاءً وزان جمل وجلاآن وزان دوران يريدون من ذلك قلة الحياء مع دالةٍ ممقوتة وحذاقة باردة · وفي اللغة الجلاعة قلة الحياء قال ابو عبيد الجَلِعة التي القت عنها الحياء والاسم الجُلاعة بالضم قال ابن دريد هو الجلع ككتف ومثله عن القاموس ·

(١٦) جنبذه — و يقولون فلان مهنته الجنبزة بالفتح وجنبز عليه اذا رفع الشيء الى اعلى ما يقدر عليه من المدح وفلان جنبازي اذا كان يغر الناس بمدح السلعة او المبيع اكثر من الحقيقة · وفي اللغة عن المخصص الجُنْبُذة (بالضم) وهو ما ارتفع من كل شيء فاستعمالها بالمعنى العامي مجاز ·

(١٧) جاشت — و يقولون جاشت نفسي اذا تحركت للقيء وغثت · وفي اللغة جاشت النفس غثت ودارت للغثيان ·

(١٨) جاض ، جوض — و يقولون جاض فلان من الألم اذا كان ينقلب في مرقده ضجراً منه ونفوراً وجاض من الحر اذا كان يريد التخلص ولا يقدر فهو يفر منه ولا يستطيع وفلان يفوح في قيده اذا كان لا ينفك يحاول التخلص منه ولا يقدر ·

وفي اللغة جاض يجيض حاد وعدل وفي الاساس جاضوا عن العدو جيضة منكرة نفروا قال القطامي :

وترى لجيضتهن عند رحيلنا وهلاً كأن بهن جنة اولق

(١٩) حزكه ، يزكه — ويقولون حزك فلان (بالتشديد) فلاناً بالشيء الفلاني اذا حمّله إياه على كره منه وألزمه به وشده عليه وربما أبدلوا الحاء ياءاً فقالوا يزكه فيه . وفي اللغة عن القاموس حزكه (بالتخفيف) يحزكه عصبه وضغطه و بالحبل شده واحتزك بالثوب احتزم .

(٢٠) حِكْلة — ويقولون جزى الله فلاناً فقد فك حكلتي اي حل معقد امري وفرج كربتي . وفي اللغة عن القاموس حكل عليّ الامر أشكل كأُحكل وزناً ومعنى .

(٢١) تحلحل — ويقولون فلان جالس في مكانه لا يتحلحل وتحلحل من موضعه اذا تحرك قليلاً . وفي اللغة كما في المخصص واما التحلحل فهو التحرك والذهاب وعكس تحلحل تلحلح لفظاً ومعنىً قال ابن قتيبة وهي من الاضداد وأصل تحلحل تحلل أبدلت اللام الثانية حاءً كما قالوا في تكم (لبس الكمة اي القلنسوة تكمكم وتململ من تملل و كفكف من كف) .

(٢٢) المخمص ، مخموص — و يقولون المخمص فلان اذا انقبض طبعه وغضب عاتباً ولما ذا انت مخموص . وفي اللغة المخمص فلان انقبض وتضاءل وتخمص انقبض فاستعمال العامة لها من المجاز .

(٢٣) محول — و يقولون شجر محول اذا ترك جناه الى السنة القابلة وارض محولة ترك زرعها الى الحول . وفي اللغة كما في الاساس تحاويل الارض وتحويلاتها ان تزرع سنة وسنة لا . للتقوية .

(٢٤) خبّص تخبيص خبص — و يقولون لمن يخلّط في كلامه على غير انتظام فيه خبّص في كلامه وكلامه تخبيص و يذهبون الى المجاز فيقولون خبصه مخففة اذا ألقى ثقلاً عليه فكأنه خلط بعض اعضائه ببعض لثقله . وفي اللغة الخبص الخلط ومنه الخبيص وهو المعمول من التمر والسمن وخبّص تخبيصاً خلّط .

(٢٥) خَبَط — ويقولون فلان خبط فلاناً بالعصا اذا ضربه · وفي اللغة خبط الشجر يخبطه خبطاً حتّ الورق عنه ضرباً بالعصي ·

(٢٦) المخارم — ويقولون فلان يسلك المخارم الضيقة · ومالك ولهذه المخارم يريدون الطرق والمسالك الضيقة العسرة على السالك · وفي اللغة كما في القاموس المخارم الطرق في الغِلَظ (والغِلَظ وزان عِلَل من الارض غير السهلة) ·

(٢٧) خلف — ويقولون لكما ينتج من النبات والشجر مرة ثانية في غير أوانه خِلف بكسر فسكون وكذلك ورق الشجر وأغصانه اذا خرجت في غير أوانها · وفي اللغة كما في القاموس في كلامه على الخلف : او ثمر يخرج بعد ثمر او نبات ورق دون ورق وشيء يحمله الكرم بعدما يسود العنب فيقطف العنب وهو غض أخضر ·

(٢٨) دراديرـ — ويقولون لمنابت أسنان الشيخ اذا سقطت أسنانه وفي الصبي قبل ان ينبت (دراديرـ) وزان عصافير ويقولون اكلت الشيء على دراديري اي منبت اسناني · وفي اللغة الدردر وزان قنفذ مغارز الاسنان في العظم عن ابن سيده او هي مغارز اسنان الصبي او هي قبل نباتها وبعد سقوطها عن القاموس وجمعها الدرادير ·

(٢٩) الدعك ، دعكت ، جعكته — ويقولون دعكت الثياب اذا لبستها حتى اذهبت بعض جدتها ودعكت الثوب والجلد النتهما وربما حرفوها فقلبوا الدال جيماً فقالوا جعكته والمصدر الجعك · وفي اللغة دعكت الثوب دعكاً النت خشونته ·

(٣٠) دغش ، دغشة ، دغوش — ويقولون دغش فلان على القوم اتاهم في ظلمة آخر الليل ويسمونها دغشة · ودغوش مصدر دغش عندهم · وفي اللغة عن القاموس دغش عليهم كمنع بالمعجمة هجم وفي الظلام دخل كأدغش والدغش محركة الظلمة فكأن العامة خصتها بما كان منها آخر الليل فهو من استعمال المطلق في المقيد ·

(٣١) الدفر — ويقولون دفرت الباب دفرة قوية اذا دفعته بعنف · وفي اللغة عن القاموس دفرته عني دفعته ودفر في صدره واذا دنا منك فادفره وفي القاموس الدفر الدفع في الصدر ·

(٣٢) دندن يدندن — و يقولون فلان يدندن اذا هينم بكلام لا يفهم . وفي اللغة الدندنة صوت الذباب والزنابير ونحوهما والكلام الذي لا يفهم عن ابي حاتم .

(٣٣) مدماك — و يقولون لكل صف من الحجارة يبنيه الباني سافاً واحداً مِدْماك بكسر فسكون . وفي اللغة المدماك هو الساف في البناء وقال ابو عبيدة كما حكاه ابن سيده والساف في البناء كل صف من اللبن واهل الحجاز يسمونه المدماك .

(٣٤) تدهدك ، مدهدك ، دهدكة — و يقولون تدهدك جسمي فهو مدهدك واصابني في جسمي دهدكة وذلك اذا ضني من التعب و كثرة الحركة . وفي اللغة الدهدقة (بالقاف) هي دوران اللحم في القدر كما حكاه صاحب العين فهي اذاً من المجاز وابدال القاف كافاً معروف في كلامهم بل هي لغة فريق منهم .

(٣٥) دوكة — و يقولون صار بين القوم دوكة بفتح فسكون اي فتنة وشر وعمل دوكة كبيرة اي ضجة واختلاط في فتنة وشر . وفي اللغة كما في نوادر ابي زيد قال ابو الحسن وقع في غيثرة شر اذا وقع في اختلاط و يقال وقع في دوكة وبوكة . وفي القاموس داك القوم وقعوا في اختلاط ومرضوا . ووقعوا في دوكة و يضم شر وخصومة .

(٣٦) دومري — و يقولون اذا خلت الدار : مافيها دومري بالدال المهملة المضمومة يريدون ليس فيها احد . وفي اللغة تومري بالتاء المثناة الفوقية قال ابن السكيت ما بها تومري وما رأيت تومرياً أحسن منها وكلها بمعنى واحد . وفي القاموس وما بالدار تومري بضم التاء والميم احد .

(٣٧) رخص — و يقولون للغصن ونحوه اذا كان طرياً ناعماً رخص وزان خصر وولد جسمه رخص . وفي اللغة الرخص الشيء الناعم : ان وصفت به المرأة فرخاصتها نعمة بشرتها ورقتها وكذلك رخاصة انامليها وان وصفت به البنان فرخاصتها هشاشتها وقد رخص رخاصة (كظرف ظرافة) وثوب رخيص ناعم عن صاحب العين .

« للكلام صلة » النبطية (جبل عامل) : احمد رضا

عضو المجمع العلمي

تاريخ الطب عند العرب

ايها السادة :

لا يسعني ان افوه ببنت شفة قبل ان احيي بكل اجلال وتعظيم صاحب ذاك الروح الزكي الذي شيد هذا المعهد العلمي وألثم بشفتي معرفة الجميل تلك الايادي البيضاء التي أحيت دارس آثاره وفتحت مغلق أبوابه . وأثني الثناء الطيب على حضرات رئيسه وأعضائه الاساتذة الأجلاء . واشكر حضور هذا المجلس الكرام لما يبدونه من الإهتمام بترويج بضاعة العلم وإحياء آثار السلف المتجلي بتشريفكم ايها السادة لسماع محاضرة هذا العاجز . في ساعة تتوق فيها النفس للرياضة والنزهة مما يستوجب لكم شكري واستمطر عليكم وابل بركات تلك الأرواح العظيمة التي ترفرف الآن في بهو هذا المحفل منتعشة لذكر أسمائها وسرد عظيم أعمالها .

فعليكِ منا سلام الله ايتها الأرواح الطاهرة أرواح سلفنا الصالح أرواح تلك الشموس الساطعة التي أضاءت بكواكب معارفها ظلمات القرون المتوسطة ، وهدت بما تركته من أعمالها خلال القرون الأخيرة ، وخلدت بعظيم جهادها اسم العرب محفوفاً بالإجلال والتعظيم ، رغم مابلي من لباسهم وما شوهت الايام من ناضر محياهم .

غربت تلك الشموس وبات العالم من بعدها رجلين شأن حال دعاة الإصلاح في كل عصر وقطر . رجل مفتون وآخر محزون ، رجل مادح وآخر قادح . فريق ذهب الى ان العرب هم الذين ابتدعوا الطب وأوجدوه ، وابتكروا جميع فروعه وصنفوه ، وفريق ذهب الى ان العرب أخذوا الطب اليوناني فقلبوه رأساً على عقب فكان لهم مثابة القلم للكاتب او الهيكل العظمي للجسم . وذهب آخرون الى عكس ذلك من ان العرب لم يكونوا سوى واسطة نقل صماء او حرف جر بلا معنى ما بين الأطباء الأقدمين والمتأخرين نقلوا على ظهورهم معارف الأقدمين ولم ترمقها عيونهم ولما تلمسها أناملهم . فكان نصيبهم من الفضل نصيب الناقل لا نصيب الواضع عدا انه لم ينبغ

(١) محاضرة ألقاها الاستاذ الدكتور أسعد الحكيم من اعضاء المجمع العلمي العربي في ردهة المجمع في دمشق يوم الجمعة في ٣٠ آذار سنة ١٩٢٣ م .

فيهم طبيب ولا حكيم . وزاد قوم على ذلك من بشاعة التحامل فقالوا ان العرب قد شوّهوا وجه الطب القديم بما أدخلوه عليه من الخرافات والتدجيل مما عبث به وبالانسانية أعصاراً وأدهاراً .

فمن الحق يا ترى ؟ وما ذا يكون القول الفصل ما بين هذه الأقوال المتضاربة والأحكام المتناقضة ؟ هذا ما توخيت البحث فيه ، وانا على يقين تام باني لا أفي هذا الموضوع حقه ولكن وشل خير من سراب ووميض برق خير من ظلام وحركة خفيفة خير من جمود مستمر .

في كل من تلك الأقوال المتضاربة إفراط وتفريط وخطأ وصواب . اما الحقيقة فهي مترددة ما بين طرفي النقيض .

* * *

لم يخلق العرب الطب ولم يبتدعوه كما انهم لم يكونوا واسطة نقل صماء ما بين الأقدمين والمتأخرين .

ليس الطب من حيث مبادؤه من صنع أمة من الأمم تمن على العالم بايجاده . بل هو حركة من حركات الانسان الاول سيق اليها بدافع فطري ، هو حس المحافظة على الحياة وتجنب الآلام . فكان يضغط على جراحه ليقطع النزف او يبطل الحس ، ويجتنب الحركة تسكيناً للألم ، ويلتمس الحرارة اثناء البرودة ، ويتطلب البرودة خلال الحمى من الافعال الغريزية التي نشاهدها عند جميع الحيوانات . ثم اخذ هذا الحس الطبيعي يتحول بالتدريج الى إدراك ثم الى معرفة ثم الى علم وفقاً لسنة الارتقاء .

واول من عُني من الامم بجمع ما اهتدى اليه الانسان بسائق الطبيعة او التصادف من الوسائط التي من شأنها دفع الأمراض ومحافظة الصحة هم الكلدان . وقد حملهم اهتمامهم بهذا الامر الى وضع مرضاهم على معابر الطرق حتى اذا مرّ بهم احد أُصيب بما هم مصابون به ينبئهم بصورة شفائه ، فيكتبون ذلك على ألواح يعلقونها على هيا كلهم فكانوا بالنسبة الى الطب كالمحتضن بالنسبة الى الطفل كفلوه رضيعاً ، فلم يلبث عندهم حتى اختطفه من بين ايديهم اليونان فأكرموا مثواه وأحسنوا حضانته . فتبناه أبقراط وكفله سقراط وهذبه جالينوس ، فنما صحيح الجسم قوي البنية ، تكاملت

بالتشريح أعضاؤه ، وتهذبت بفلسفة الحيـاة أخلاقه ، وصينت بحجاب علم الامراض صحته ، وأصلحت بفن التداوي البسيط مفاسده . فغدا يافعاً يسحر الالباب بفرط جماله ، وعلماً جليلاً تشد رحال الحكماء من عامة الاقطار الى آثينة لاقتباس جواهر أحكامه . غير انه لم يطل العهد حتى أخنى الدهر على اليونان بكلكله ، وقضى على مدنية الرومان بجحفله ، فأظلمت تلك الشموس بعد النور ، وتعكرت تلك المياه بعد الصفاء ، وذلت تلك النفوس الأبيـة ، واستعبدت تلك القلوب الحرة . فأجدب روض الطب بعد الخصب ، وكسدت سوقه بعد الرواج ، فشرد حقيراً يتطلب ملجأ يلتجيء اليه وأباً باراً يعطف عليه . فقذفت به المحن طوراً الى بيزنطية وآخر الى رومية وحيناً الى الاسكندرية واخيراً الى جنديسابور . وكانت حاله في كل من تلك العواصم بين صعود وهبوط ، وإقبال وإدبار ، وخصب وجدب ، الى ان عمت الفوضى وعظم الخلاف ، فاشتغل عنه الناس بالفتن الدينية والاختلافات المذهبية فبات وليس لديه ما يسد به رمقه ، وليس عليـه ما يستر به جسده . تغيرت ملامحـه وتشوهت محاسنه ونفر منه طلابه ، وتوقفت عن النمو اعضـاؤه . يافعاً حرمته مظالم الاضطهاد ان يبلغ رشده وغصناً يانعاً منعته عوامل الاهمال ان يؤتي أكله . وبينا هو يلفظ رمقه الأخير ادركه العرب بترياقهم فانتعش بعد الاختنـاق ، واستأنس بعد اليأس ففتحوا له رحب صدورهم ، وأوردوه عذب المناهل من عقولهم ، ثم كسوه بما عثروا عليه من القلانس الهندية ، والتيجان الفارسية ، وحلوه بما ابتكرته عقولهم من بنات الافكار ، وما ابتدعتـه من الاكتشافات والاختراعات ، فطاب له رغد العيش وصفاء الهواء ، فشب فيما بينهم عربي المنطق فصيح اللسان ، لغتـه لغتهم ، وكسوته لباسهم ، وزينته حليهم ، فليت شعري كيف لا يعترف لهم بالجميل وهو ابن احسانهم وهلا يكون مديناً لهم بالحياة ، وهو ربيب سعيهم واجتهادهم وهلا تقر اوربا باجمعها بفضلهم ، وقد زفوه اليهـا فتياً يتقاطر ماء الحياة من وجهه ، تهذبت بعشرته اخلاقهـا وتناسل منه طبها وجراحتها .

قال الدكتور غستاف لبون في حضارة العرب (ص ٦١٤) مؤيداً ذلك : ليس كما يقال بواسطة الصليبيين بل بواسطة الاندلس وصقلية وايطالية (ويعني بايطالية

مدرسة سالرنة التي كانت تدرس فيها المصنفات العربية) دخل العلم الى اوربا فأسس في سنة ١١٣٠ في طليطلة تحت ادارة رئيس الاساقفة ريموند مكتب ترجمة نقل الى اللاتينية أشهر مؤلفي العرب وكان نجاح هذه التراجم عظيماً دخل بها الغرب في عالم جديد . وظل السعي متواصلاً في القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر . ولم ينقل الى اللاتينية مؤلفو العرب كالرازي وابي القاسم وابن سينا وابن رشد وغيرهم بل نقل ايضاً المؤلفون اليونانيون كجالينوس وأبقراط وغيرهم الذين ترجم العرب مصنفاتهم الى لغتهم . وبفضل تلك التراجم حفظت الى زمننا مصنفات مؤلفين قدماء فقدت كتبهم الاصلية . الى ان قال : فالى العرب خاصة لا الى رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى وجود اللغة اليونانية يعود الفضل بمعرفة التاريخ القديم ، والعالم باجمعه مدين لهم بعرفان الجميل لانقاذهم هذا الكنز الثمين . وقد كتب (م ليبري) « امحوا العرب من التاريخ فتتأخر نهضة الآداب في اوربا قروناً متعددة » وقد أيد زميلنا الدكتور يوسف حريز هذه الحقيقة في كتابه الذي وضعه وأسماه حظ الطب العربي في نشوء الطب الفرنسي . فانه بعدما أظهر ما كانت عليه اوربا في القرن التاسع والعاشر للميلاد من الجهل والهمجية على خلاف الممالك العربية التي كانت ترفل في ذلك العهد بابهى حلل الحضارة والمدنية الرفيعة قال : قدم في القرن العاشر للميلاد جربر دي اورالياك الى الاندلس فأخذ العلوم عن العرب ثم عاد فنشرها في اوربا ولاسيما في فرنسا بواسطة مدرسة ريمس وشارتر . وقدم الى ايطاليا في القرن الحادي عشر قسطنطين الافريقي وكان تلقن العلوم العربية في خراسان والشام ومصر والقيروان فنشر فيها العلوم العربية بواسطة مدرسة سالرنة . وقدم الى طليطلة في القرن الثاني عشر جرار دي كريمونا فتعلم العربية فيها بقصد الترجمة فنقل الى اللاتينية ستة وسبعين مؤلفاً لأشهر علماء العرب فكانت الصلة بين العرب واوربا .

* * *

لا ننكر بان بعض الفروع الطبية كالتشريح وعلم الحياة والقبالة لم تنم عند العرب كبقية الفروع الاخرى وذلك لامتناعهم بدافع اعتقادات او عادات في ذلك الحين

من تشريح الموتى والنظر الى النساء . اما بقية الفروع الطبية كالامراض والجراحة والمداواة والكيمياء والمفردات الطبية والصيدلة فقد كان لهم فيها المام خاص ونبوغ زائد . فقد وصفوا كثيراً من الامراض التي كانت مجهولة كالحصبة والجدري . وابتدعوا كثيراً من العمليات الجراحية الخطيرة كقدح العين وتفتيت الحصاة ، وقلبوا فن المداواة القديم رأساً على عقب بما أدخلوه عليه من النظريات والمفردات الطبية الكثيرة والادوية المركبة ، واستعمال الماء البارد . واما الصيدلة فهي بنت ابتكارهم وفيها من الاسماء العربية التي ننطق بها حتى اليوم مايشهد بعربيتها ابد الدهر .

اما ماينسبه الفريق المتحامل على العرب من انهم أدخلوا على الطب بعض الخرافات كالطلاسم والرقية وغير ذلك فهذا مما لم يختص به العرب ، ومثل هذه الاعتقادات الوهمية كانت سائدة في كل عصر وقطر عند الأقدمين والمتأخرين حتى في أيامنا هذه ، وعند جميع الشعوب على درجات متفاوتة . على ان مثل هذه الاعمال الوهمية قد لا تخلو من فائدة في معالجة بعض الامراض العقلية ، وهذا ما ساعد على انتشارها والاعتقاد بها . اما ما ينكره الفن الحديث عليها فذلك ان الدجالين ممن لا معرفة لهم ولا ميزة في أخلاقهم انشأوا يستعملونها و يجعلونها أحبولة للارتزاق يستخدمونها في غير ما وضعت له ، فيضرون بها كثيرين ولا ينتفع منها بالعرض الا القليل النادر .

هذه نظرة عامة في حياة الطب الإجمالية في أدواره المختلفة . اما الطب العربي بصورة خاصة فهو لا بد لنا للإحاطة به من شد رحال الفكر الى أوائل القرون الوسطى لنشاهد الطبيب العربي في عصر جاهليته ما بين اليمن والحجاز يحمي شفار الحديد بالنار ليبتر بها عضواً فاسداً (الاغاني ١٣ - ١٣٧) و يتلو العزائم الوهمية ليشفي باسرارها مرضاً مستعصياً . ثم نرافقه الى دمشق ثم الى بغداد ومنها الى مصر والاندلس حيث نراه استاذاً في الطب يدير المستشفيات العظيمة ، و يجري العمليات الجراحية الكبرى ، يؤلف الكتب و يدون المشاهدات ، يتقاطر اليه طلاب الحكمة من كل حدب وصوب .

* * *

كان شأن الطب عند العرب في عصر جاهليتهم شأنه عند جميع الامم في حال

بداوتهم مقصوراً على تجارب بسيطة نافعة وصلت اليهم عن طريق التوارث ، وعلى اعتقادات وهمية انتقلت اليهم بعامل التواتر والتعارف ، وكان يقوم بمهام هذه المهنة الكهان والعرافون فيعالجون المرضى بالرقية والسحر والعزائم والنذور وغير ذلك . ويستعملون أحياناً بعض العقاقير البسيطة والاشربة المركبة من العسل . وكان لهم إلمام خاص باستعمال الكي بالنار في كثير من الامراض . واشتهر عندهم كثير من المتطببين الذين لم يصل الينا سوى اسمائهم لذهابها مذهب المثل ، كلقمان الحكيم وابن حذيم وغيرهما . اما في نهضتهم الاخيرة قبل الاسلام فقد اشتهر عندهم أطباء حقيقيون أقرّ لهم أساتذة هذا الفن من الأعاجم المعاصرين لهم بالفضل والحذاقة . منهم الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب في عصره . اصله من ثقيف من اهل الطائف رحل الى ارض فارس وتعلم الطب فيها ، وأجاد في هذه الصناعة وطب في أهل فارس وشهدوا له بالفضل وحصل له بذلك مال عظيم . ثم عاد الى الطائف وكان معاصراً للنبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي يوصي باستيصافه .

واشتهر من بعده ولده النضر بن الحارث . وكان فيلسوفاً عالماً وطبيباً ماهراً ومنهم ابن ابي رومية التميمي وكان جراحاً مزاولاً لاعمال اليد (طبقات الاطباء ج ١ من ١٠٩ — ١١٦) .

على ان الشريعة الاسلامية الغراء وفي صدرها القرآن جاءت ملأى اذ ذاك بالتعاليم الصحية القويمة الأساسية التي لا شأن لنا بسردها اذ ليس للعرب في استنباطها ناقة ولا جمل .

وما زال الطب عند العرب علماً سماعياً يتناقلونه بالافواه ، الى ان فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية وكان فيها للطب مدرسة تدرس فيها كتب جالينوس الاثنا عشر ومن أساتذتها عبد الملك بن ابجر واهرن القس ولهذا كناش بالسريانية يحوي القوانين نقله ماسرجويه البصري الى العربية في بدء القرن الثامن للميلاد وهو ثلاثون مقالة . وهذا اول كتاب طبي ترجم الى العربية وذلك ايام عمر بن عبدالعزيز (طبقات الاطباء ١ — ١٠٩) .

هنالك في الاسكندرية وقف العرب لأول مرة على أطلال المدنية اليونانية

القديمة فأعظموا أمرها ، وعثروا على البقية الباقية من علوم الأقدمين فتشوقوا لدرسها واول من دعا العلماء الى ترجمة الكتب اليونانيـة الى العربية خالد بن يزيد الأموي حفيد معاوية الاكبر وكان ولعاً بعلم الكيمياء فاستقدم جماعة من الاسكندرية منهم مريانوس الراهب فعلمه صناعة الكيمياء ثم نقلهـا له اصطفان القديم (الفهرست ٢٤٤) وهذا اول من نقل في الاسلام من لغة الى لغة ، و بالنظر لإدماج جل الأطباء الأقدمين الطب بالكيمياء نقل بهذه المناسبة كثير من معلوماتهم الطبية الى العربية ٠

☆ ☆ ☆

واول من اشتهر من العرب بالعلوم الطبيعية وضرب فيها بسهم وافر ولا سيما في الكيمياء جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي المعروف بالصوفي من رجال القرن الثـاني للهجرة وقد اختلف الناس في امره فقال جماعة من المتأخرين انه اخذ الكيمياء عن جعفر الصادق رضي الله عنه وفي ذلك خطأ كبير لانه لم يعثر في كتب التراجم المعتمدة كالفهرست وطبقات الاطباء وكشف الظنون وغيرها من امهات الكتب الموثوق بها على ما يدل على ان جعفر الصادق كان عالماً بالكيمياء او انه اشتغل بهذه الصناعة بل جل ما ذكره ابن النديم في هذا الصدد ان الشيعة قالت ان جابراً من كبارهم وزعموا انه كان صاحب جعفر الصادق كما زعم غيرهم انه كان من جملة البرامكة ومنقطعاً اليهم ومتحققاً بجعفر بن يحيى البرمكي وان من زعم هـذا قال انه عنى بسيده جعفر هو البرمكي وقالت الشيعة انما عنى جعفر الصادق (الفهرست ص ٣٥١) ومن كلا القولين لا يفهم ان جابراً درس الكيمياء على احد الجعفرين او ان احدهما كان ملماً بهذا الفن وقد يقرب من الصواب ما جاء في كشف الظنون (ص ٣٤٤) ان جابراً اخذ الكيمياء عن خالد بن يزيد الأموي الذي سبق ذكره وقد وضع أسس هذا الفن وقطع فيه شوطاً بعيداً حتى أطلق اسمه عليه ٠ ولقبه الفرنج بواضع الكيمياء وله فيها اكتشافات خطيرة ومؤلفات جليلة يربو عددها على السبعين ٠ فقد اكتشف التقطير والتصعيـد وروح الخمر والحوامض القوية وطرق إذابة الذهب وترشيح السوائل وغير ذلك من الاعمال والمركبات الكيماوية الاساسية ، واخترع آلات وأجهزة كيماوية كثيرة ٠

هذا ولم يكن للعرب في عهد الدولة الأموية من نبوغ في الطب اذ جل من اشتهر اذ ذاك من الأطباء لم يكونوا عرباً . واشهر هؤلاء في ذلك الحين شمعون وثياذوق اللذان برعا بحفظ الصحة . وابو الحكم وابنه الحكم الدمشقي وعيسى بن الحكم الذين اشتهروا بالطب وابن اثال طبيب معاوية وكان خبيراً بالأدوية السامة القاتلة وكان معاوية يقربه لذلك (طبقات الاطباء ١ : ١١٧) .

على ان النبوغ العربي لم يقتبس من الاسكندرية ولما يشتغل في عهد الدولة الاموية ، اذ الفضل بحمل العلوم الدخيلة للعرب ونقلها الى لغتهم يعود جله للعجم علماء جنديسابور ، والفخر العظيم كل الفخر بجانب اولئك العلماء وتعريبهم ونقل علوم الاقدمين الى اللغة العربية وتهيئة الافكار لاقتباسها واستثمارها ونشر لواء الحضارة العربية في جميع الأقطار يرجع للخلفاء العباسيين الكرام .

* * *

وقبل البحث في النهضة العربية لا بد لنا من الاشارة الى الاسباب التي دعت الى انتقال العلوم القديمة من الغرب الى الشرق وجلها ناشئ عن الحروب الدينية والاختلافات المذهبية . فقد تلبدت في سماء الاسكندرية في اوائل القرن الثامن للميلاد ظلمات الأضاليل والاختلافات المذهبية فنضب منهل مدرستها الطبية القديمة فنقلها عمر بن عبد العزيز عام ٧٢١ الى انطاكية ومنها الى حران . واشتعلت نيران الفتن المذهبية في القرن السادس في آثينة فخرج منها الافلاطونيون الذين طردهم يوستينيانوس قيصر الروم فارين من وجه الظلم والاضطهاد ووجهتهم الشرق ملجأ الخائفين ومأمن العلماء المضطهدين في ذاك الحين ، فأكرم كسرى انوشروان العادل وفادتهم فتوطنوا فارس ونقلوا له كتب الفلسفة والطب الى الفارسية (الفهرست ٢٤٢) وتداعت أركان مدرسة الرها فنزح علماؤها الى العجم يحملون معهم زبدة علوم اليونان وخيرة كتب الأقدمين . وعلى الجملة انسدل ليل الجهل في أوائل القرن الثامن في اوربا فغربت شمس العلم منها منتقلة الى آسيا فلمعت حيناً في خراسان عند النسطوريين ثم سطعت في بغداد مثوى الحضارة العربية حيث تكاثفت جميع أنوار العلم ومنها انبثقت على العالم أجمع .

واول المدن الشرقية التي فتحت أبوابها لعلوم اليونان الأقدمين ومعارفهم مدينة جنديسابور في خراسان ، وكان فيها في أوائل القرن الثامن مدرسة طب حافلة وبيمارستان لمداواة المرضى أنشأه كسرى انو شروان لا يقبل فيه الاطبـاء الا بعد الاختبـار . وقد اشتهر بحسن الطب فيها أسرات كثيرة منهم آل بُختيشوع وآل ماسويه وآل الطيفوري وآل ماسرجويه كان لهم في نقل الطب للعرب أيادٍ بيضاء ومآثر حميدة .

وكان السبب في هجرة هؤلاء الأطباء الى دار السلام ان الخليفة المنصور بعدما بنى مدينة بغداد عام (٧٦٢) اعتراه مرض أفسد معدته وقطع شهوته ، وكان كلما عالجه الأطباء ازداد مرضه فتقدم الى الربيع بان يجمع الأطباء لمشاورتهم فجمعهم فقال له المنصور : هل تعرفون من الاطباء في سائر المدن طبيباً ماهراً ؟ فقالوا ليس في وقتنا هذا احد يشبه جرجيس رأس اطباء جنديسابور فأنفذ المنصور في الوقت من يحضره . وكان جرجيس هـذا مديراً لدار الطب ورئيساً للبيمارستان فخرج من جنديسابور بعد ان أوصى ابنه بختيشوع بالمستشفى وامور واستصحب معه اثنين من تلاميذه ابراهيم وعيسى بن شهلا وقدم الى بغداد فعالج المنصور بتدبير حسن رجع به الى مزاجه الاول فقربه الخليفة وأكرم مثواه وأفاض عليه من وابل كرمه ما أغناه (طبقات الأطباء ١ : ١٢٤) .

ومن ذاك الحين شرع اساتذة الطب في جنديسابور يتقاطرون الواحد تلو الآخر الى دار السلام التي لم تلبث ان ورثت علوم تلك المدينة الزاهرة وجل علمائها فأصبحت عاصمة العلم الوحيدة في العالم . ومن ذاك العهد اخذ يتقاطر الى بغداد حملة العلم والمترجمون من جميع انحاء العراق والشام وفارس وفيهم النساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والروم والبراهمة والعرب متآخين متعاضدين يترجمون من اللغـات كافة . من ذاك الدور بدأت تشيد في بغداد المستشفيات العامة والمجامع العلمية ودور الحكمة والصيدليات وقاعات الترجمة ومجالس الأدب والمنـاظرة مما يدعوه التاريخ النهضة العباسية او القرن الذهبي العربي .

* * *

لا يسعني ان اذكر النهضة العباسية الا وأذكر بجانبها أسماء أولئك الأساتذة الكرام الذين نقلوا للامة العربية جل علوم الأقدمين بتدريسهم وتآليفهم وترجمتهم ·
واول من يجدر ذكره آل بختيشوع واولهم جرجيس الشهير طبيب المنصور الذي تقدم ذكره ثم خلفه ابنه بختيشوع بن جرجيس استقدمه الرشيد من جنديسابور وولاه رئاسة الأطباء وكان له ولد يدعى جبريل على جانب عظيم من الفضل والذكاء عهد به والده الى جعفر البرمكي فصادف ان اعترى هرون الرشيد احتقان صدري فشفاه منه بالفصد وشفى احدى جواريه من فلج صرعي بحيلة جميلة · فأعجب به هرون الرشيد وولاه رئاسة الأطباء وغمره باحسانه وظل جبريل بعد وفاة الرشيد موضع ثقة الأمين والمأمون ونال من الاكرام ما لا يسعه الوصف وجمع ثروة لا تقل عن تسعين مليون درهم في حياته مما ينطق بعظيم احترام الخلفاء للأطباء وتعظيمهم للعلم في اي اناء ظهر (طبقات الاطباء ج ١ من ١٣٢ — ١٣٧) · وخلف جبريل هذا ابنه بختيشوع بن جبريل وكان طبيب المتوكل وقد بلغ من رفعة الجاه وكثرة المال ما لم يبلغه احد في عصره ·

وبجانب آل بختيشوع يتلألأ في سماء تلك النهضة آل ماسويه وكان ماسويه صيدليًا في مستشفى جنديسابور ، وقدم بغداد للارتزاق فتوفق لشفاء الرشيد من مرض أصابه في عينيه فحظي عنده · اما ولده يوحنا بن ماسويه فقد كان طبيبًا ذكيًا فاضلاً قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة التي وجدها في انقرة وعمورية وسائر بلاد الروم اثناء الفتح وقلده إمارة ديوان الترجمة (طبقات الاطباء ١ : ١٧٥) ·

وممن يجدر بالذكر ايضًا آل ماسرجويه وهو الذي ألف كناشًا في الطب وسابور بن سهل وكان فاضلاً عالمًا وله تصانيف مشهورة منها كتاب الاقرباذين الكبير الذي عمل به في البيمارستانات ودكاكين الصيادلة مدة طويلة ·

وتذكر ايضًا تلك النهضة بالجميل آل الطيفوري عبد الله وزكريا واسرائيل وآل ثابت وطبيب هرون الرشيد الهندي صالح بن بهلة وكثيرًا غيرهم ممن كانوا أساتذة في الطب القديم وجلهم مؤلفات مشهورة في السريانية نقلت الى العربية ·

على ان الخلفاء العباسيين أدركوا بادئ بدء ان النهضة العلمية في الأمم لا تقوم

بجلب العلماء الأعاجم والكتب الغريبة وانحصار العلم بفريق من الناس دون الآخر بل يقتضي لها ان يتعرب اولئك العلماء وان تترجم تلك الكتب وان ينشر العلم ما بين طبقات الامة من أدناها الى أعلاها ولذلك كانوا يبذلون كل مرتخص وغال في استجلاب العلماء ونقل الكتب للعربية ، و يرغبون النقلة بالبذل والإكرام والمحاسنة على اختلاف مللهم وأجناسهم ، و يحثون الناس على تعلمها واقتباسها بجميع الوسائل الخلاَّبة و يجيزون على تأليف الكتب بالأموال الطائلة حتى حدا بهم ولعهم بنشر العلم الى بذلهم الاموال للطالعين فضلاً عن المؤلفين ·

واول من قام بهذا الأمر الخليفة المنصور فقد دعا جرجيس الى ان يترجم له بعض الكتب الطبية ففعل غير انها فقدت جميعها · ثم جاء الرشيد ومن بعده المأمون فوسعا نطاق هذا العمل ولم يدخرا جهداً في سبيل تقويته · ولم يكتف العباسيون بنقل العلوم من السريانية فحسب بل طمحوا الى أخذها من مصادرها الأصلية فأرسلوا البعثات العلمية الى بلاد الروم وفارس والهند لاقتباس لغاتهم ومعارفهم وقد طلب الخليفة المأمون من قيصر الروم اذ ذاك ان يتحفه بكل الكتب القديمة المحفوظة في خزائنه لترجمتها فأجابه الى ذلك (الفهرست ٢٤٣) وأسس لهذا الغرض قاعات الترجمة وكان ينفق في سبيل نقل الكتب عن سعة حتى أعطى وزن ما يترجم له ذهباً (ابو الفرج ٢٣٦) واقتدى بالمأمون كثير من اهل دولته من اصحاب الوجاهة والثروة في بغداد كآل شاكر الذين تفانوا في طلب العلم وإكرام العلماء وكانوا ينفقون خمسمائة دينار في الشهر للنقل والملازمة · ومنهم محمد بن عبد الملك الزيات الذي كان يقارب عطاؤه للنقلة والنساخ الفي دينار في الشهر (طبقات الأطباء ١ : ١٨٧) وهذا خير دليل على ان العرب لم يجدوا العلوم القديمة ولا سيما الطب لقمة سائغة تناولوها عفواً بلا تعب ، بل جاهدوا في سبيل إحيائها باموالهم وأولادهم وأنفسهم ، مدفوعين بخالص الشوق للعلم المجرد عن كل تأثير خارجي ، جهاداً اشترك فيه الشريف والوضيع والتاجر والامير والعبد والسيد من أحقر أبناء السوقة الى أجل سلطان وخليفة مما لم نسمع بمثله في تاريخ أمة من الامم ·

* * *

وأشهر اولئك العلماء المترجمين حنين بن اسحق العبادي · ولد في الحيرة عام ١٩٤ للهجرة ثم ذهب الى فارس وتخرج في العربية بالخليل بن احمد ثم انتقل الى بغداد ومنها رحل الى يونان حيث تعلم اللغة اليونانية ثم عاد الى بغداد وقد نضجت معارفه فاجترفه تيار ذاك المعترك العلمي الهائل ، فلم يلبث ان نال قصب السبق في مضماره ، فترجم أبقراط وجالينوس وار يباسيوس وابن أبجر ، وقلد رئاسة الترجمة فكان يتصفح الكتب المترجمة وينقحها وألف كتباً خاصة في الطب منها كتاب في العين (طبقات الاطباء ج ١ : ١٨٥ — ١٨٩) وبرع بجانبه في النقل ابنه اسحق ثم حفيده حبيش ·

واشتهر ايضاً بالعلم والحذاقة بالترجمة يعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها · نشأ وتأدب في بغداد وكان عالماً بالطب والفلسفة والرياضيات والموسيقى وألف في كل هذه العلوم وأجاد ، وكان له وقوف تام على اليونانية فترجم من كتب الفلسفة الكثير ، وأوضح منها المشكل ولخص المستصعب وبسط العويص ، وكان عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم وله مصنفات جليلة ورسائل كثيرة منها رسالة في علة الجذام وكتاب في الأدوية الممتحنة وكتاب الاقرباذين وغيرها من الكتب الطبية الدالة على خبرته وسعة اطلاعه · وقد نقل كتبه هذه الى اللاتينية جرار دي كريمونا في القرن الثاني عشر للميلاد ·

ثم برع الى جانبه بالترجمة قسطا بن لوقا البعلبكي وثابت بن قره وابن البطريق وكثير غيرهم من العلماء الاطباء الأفاضل · فنقلوا بعد الجهد الى العربية كتب أبقراط وجالينوس وار يباسيوس وديوسقوريدس وثاوفرسطس واسطاث والاسكندر الافروديسي وابن ابجر وغيرهم ·

ولم يكتف العرب بنقل علوم اليونانيين بل دفعهم عامل الشوق للعلم الى نقل علوم الهنديين والفرس وكان للهند مدنية رفيعة ومؤلفات جليلة في علم الطب خاصة بهم · فترجموا مؤلفات سيرك الهندي وسيسرد واستانكر وشاناق وغيرهم · ومن الذين نقلوا علوم الهنديين منكه الهندي طبيب هرون الرشيد وابن دهن الهندي طبيب المستشفى البرمكي ·

و بالجملة فان العرب نقلوا الى لسانهم معظم ما كان معروفاً في الطب عند سائر الأمم المتمدنة القديمة ، فأخذوا من كل أمة أحسن ما عندها ثم مزجوا ذلك كله واستقطروه ، ثم أضافوا اليه كثيراً من مشاهداتهم وابتكاراتهم ، واستخرجوا ما نسميه قريباً : بالطب العربي ٠

* * *

ظلت بغداد مهد تلك النهضة العربية كعبة العلم ومحج العلماء ، الى ان ولي الخلافة جعفر المتوكل عام ٢٣٣ للهجرة فاضطهد أصحاب العلوم الدخيلة وأساء الى الاطباء ، واستفحل امر الترك وعظمت أذيتهم للعرب (المسعودي ٢ : ٢٦٩) فنفرت قلوب دعاة العلم الحرة وشمخت نفوس طلاب الاصلاح الأبية من ان تألف الضيم وتغضي على القذى ، فتفرقوا رويداً رويداً من بغداد الى انحاء المملكة الاسلامية الى حيث يسود العدل وتورف ظلال الحرية ، يحملون معهم بذور العلم الصحيح فيغرسوها في تلك الصدور الرحبة الخصبة ، ويحرثوها بمحراث تلك العقول الكبيرة و يسقوها من موارد تلك الافكار السامية ، فنبتت عربية تحسدها أبكار اليونان ، قوية الاغصان بديعة الزهور ذكية الاثمار ، يتضوع أريج نفحاتها في عامة انحاء المملكة العربية ، تلك المملكة التي سنشاهدها الآن في الصف الاول في المعترك العلمي وفي مقدمتها الرازي وابن سينا وابن عباس وابو القاسم وابن رشد وابناء زهر وابن الجزار والفارابي والصوري وابن التلميذ والنبطي وابن البيطار يحملون مصابيح العلم الصحيح ، يمزقون بانوارها ظلمات الجهل والأضاليل متجهين بها من خراسان والعراق ومصر والشام والقيروان والاندلس ، عن طريق صقلية الى سالرنة ، وعن طريق طليطلة الى مونبيلية ، حيث تكاثفت تلك الانوار ومنها عمت اوربا باجمعها ٠

واول اولئك الرجال العظام الذي يجدر بنا ان ننعته بالمجرب الكبير ابو بكر محمد ابن زكريا المشهور بالرازي ٠ جالينوس العرب ٠ ولد ونشأ في الري في منتصف القرن العاشر للميلاد وأولع لاول امره بالموسيقى ونبغ فيها ثم بالفلسفة والادب ٠ اما صناعة الطب فقد تعلمها وقد اربت سنه على الثلاثين ٠ وذلك ان حبه للسياحة رمى به الى بغداد وكان فيها علي بن ربن الطبري المشهور وكان متميزاً في الطب فدرس عليه

هذه الصناعة وبرع فيها حتى فاق جميع اطباء عصره . وعهد اليه برئاسة البيمارستان العضدي المشهور وكان يطب فيه اربعة وعشرون طبيباً منهم الطبائعيون والجراحون والكحالون والمجبرون كل يداوي حسب اختصاصه . غير انه لم يلبث في بغداد حتى عاد الى بلده الري وتولى تدبير مستشفاها مدة طويلة . وكان الرازي ذكياً فطناً رؤوفاً بالمرضى ، مجتهداً في علاجهم وفي برئهم بكل وجه يقدر عليه ، مواظباً النظر في غوامض صناعة الطب والكشف عن مكنوناتها وحقائقها ؛ وكان له المنزلة الرفيعة في الري وطار ذكره في البلاد وكثر طلابه من كل صوب وأربت مؤلفاته على المائتين . وكان يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ أخر ، فيجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه فان كان عندهم علم والا تعداهم الى غيرهم فان أصابوا والا تكلم الرازي في ذلك (طبقات الاطباء ١ : ٣١٠) . وأصيب الرازي في آخر ايامه بالزرقاء وامتنع عن عملية القدح وكان عرض عليه بعض المتطببين ان يقدح فسأله الرازي كم طبقات العين ؟ فلم يجبه . فقال له لا يقدح عيني من يجهل طبقات العين . وقد توفي الرازي عن عمر يناهز الثمانين سنة عام ٣٢٠ للهجرة .

ومن أشهر مؤلفات الرازي في الطب كتاب الطب الملوكي في العلل وكتاب علاج الامراض كلها بالأغذية ودس الأدوية بالأغذية حيث لا بد منها وما لا يكرهه العليل ، وهو كتاب بديع في بابه . وكتاب المنصوري ألفه للامير المنصور بن اسحق بن اسماعيل بن احمد صاحب خراسان وتحرى فيه الاختصار والايجاز مع جمعه لجمل وجوامع ونكت وعيون من صناعة الطب علمها وعملها ، وهو عشر مقالات درس في الاولى منها الطب الأخلاقي فعدد الصفات الكريمة التي يجب ان يتحلى بها الطبيب ثم حمل حملات عنيفة على الدجالين والمتطببين الأميين لما ينجم عنهم من الأضرار ومن كلامه في ذلك : الاطباء الأميون والمقلدون والذين لا تجربة لهم ومن قلت عنايته وكثرت شهواته قتالون . وقد نقل المنصوري الى اللاتينية جرار دي كريمونا ودرس في باريز زمناً طويلاً ومنه نسخة في دار الكتب العربية في دمشق .

ومن كتب الرازي المشهورة الجامع ويسمى حاصر صناعة الطب وفيه جمع ماوقع

اليه وأدركه من كتاب طب قديم او محدث . وكتاب الجدري والحصبة وهو مفرد في بابه له من الشأن في العالم الطبي درجة رفيعة . فالرازي اول من وصف هذه الامراض واول من فرق الحصبة عن الجدري وكان سلفه يدمجونهما معاً . ووصفه هذين المرضين مستوفٍ من كل الوجوه شامل لأنواعها غير الطبيعية وهو يداويهما بصورة حسنة ومما يسجل له بقلم الفخر انه اول من قال باستعمال الماء البارد في الحصبة المختلطة والاختناق الصدري وهذا من خيرة ما يتوسل به الطب الحديث في معالجة مثل هذه الادواء . وقد لفت الرازي النظر في الانذار في الجدري الى نقاط مهمة لا أرى في بيانها احسن من ان اقرأ على مسامعكم كلام الاستاذ بوشوت في تاريخ الطب والمذاهب الطبية (ص ٣٤٧) وها كم تعريبه عن كتاب الجدري للرازي : « هنا يتجلى الطبيب المجرب باكمل مظاهره اذ لا يوجد في مشاهداته ما يدعو للانتقاد (فقد قال الرازي في الانذار في الجدري) يوجد نوع من البثور البيضاء الكبيرة الحجم تكون في الغالب قتالة وهي البثور المتفشية التي تمتد بصورة يتصل بعضها ببعض وتشغل مساحة كبيرة او التي تؤلف دوائر متسعة ولونها لون الدهن . قال بوشوت ولم أر اصح من هذه البينة فاني ما شاهدت بثور مجدور انبسطت وتلونت بلون الدهن او الجص الا وكان الموت نتيجتها » . وقال بوشوت ايضاً (ص ٣٤٠) الف الرازي كتاباً في امراض الاطفال وهو اول كتاب في هذا الموضوع ظهر في التاريخ وكتاباً في دودة المدينة وفي الانتفاخ العظمي السلامي الذي لم يصفه احد قبله .

وللرازي رسالة في الحصا في الكلي والمثانة منها نسخة في دار الكتب العربية الظاهرية في دمشق رقم (١٠٣) وهي من خيرة ما كتب في هذا الموضوع . عدد فيها الرازي الاسباب التي تتولد منها هذه العلة . ثم بحث في طرق الوقاية منها وكيفية مداواتها مما لا يختلف عما يأتيه الطب الحديث في هذا المرض .

وأجل كتب الرازي وأعظمها : (الحاوي) جمع فيه كل ما وجده متفرقاً في ذكر الامراض ومداواتها من جماع الكتب الطبية للمتقدمين ومن اتى بعدهم الى زمانه ونسب كل شيء نقله فيه الى قائله ونقد تلك الأقوال بصورة تنطق بسعة اطلاعه وفرط ذكائه وعظيم تجاربه . وقد درس فيه الرازي بالتتابع الامراض الموضعية ثم

الامراض العمومية ثم السموم والافرازات السامة ثم الادوية · والطب مدين له بمشاهدات كثيرة في الحميات الخبيثة وامراض الاطفال وامراض الجلد والتقلصات الوجهية الاختلاجية الموجعة · وفيه يوصي كسلفه بالاهتمام بمعاينة البول وينتقد بشدة فرط استعمال المسهلات القوية التي تخرش المعى · وفي كتابه الحاوي في بحث الحميات نظرية خطيرة لم يسبقه اليها احد وهي ان الحمى ليست مرضاً حقيقياً بل هي عرض ينبئ بمقاومة الجسم لدفع المرض الحقيقي ·

اما من الوجهة الجراحية فالطب مدين للرازي باول مشاهدة في انتفاخ العظم السلامي وبمشاهدات في الفتق والدوالي الوريدية والأورام الباسورية والحصى والقيلة المائية وانقلاب الرحم والجيوب الوعائية · وينتقد على الرازي في الجراحة استعماله الآلات في تجبير الكسور وارجاع الخلع بدل اليدين · ويرى ان الرازي لم يهتم بادئ بدء بالجراحة التي كان يعانيها اذ ذاك الدجالون وغيرهم غير انه عني بها اخيراً وأجرى بنفسه عمليات كثيرة ومع ذلك فهو لم يشتهر بالجراحة ·

وينتقد كتاب الحاوي لكونه مشوشاً مضطرباً والسبب في ذلك ان الأجل لم يفسح للرازي ان يحرر هذا الكتاب فتركه بصورة مسودات اخذها ابن العميد استاذ الصاحب بن عباد من اخت الرازي بعد ان بذل لها دنانير كثيرة وجمع تلاميذه الاطباء الذين كانوا في الري فرتبوا الكتاب على صورته الحالية (طبقات الاطباء ج ١ : ٣١٤) ·

وقد كان للحاوي رواج ومكانة عظمى في عالم الطب في آسيا واوربا · فترجم الى اللاتينية عام ١٢٧٩ ميلادية والسبب في ذلك كما قاله لكريك في كتابه تاريخ الطب العربي (ص٤٦٢) وهو ان الشهرة التي طارت لهذا الكتاب في آسيا والمغرب دعت الملك شارل ملك صقلية الى اتحاف أمته بمثل هذا الكتاب المفيد فأوفد الى تونس بعثة علمية وطلب الحاوي من اميرها في ذلك الوقت وعهد الى فراجيوس اليهودي وكان يحسن اللاتينية والعربية فنقله له ومن ذلك الحين انتشر في جميع مدارس الطب الاوربية · ولم تزل للحاوي منزلة رفيعة في هذا العصر وذلك لتمثيله الطب العربي

ولما فيه من المشاهدات والنظريات ولما ذكر فيه من اسماء الأقدمين الذين لم يعثر على شيء من تراجمهم ولم يعرفوا ويحيوا الا به ٠

والرازي اول من استعمل المواد المعدنية المركبة في المداواة كوريات الزيبق والبورق وآزوتية البوتاس وروح النشادر وملحه وغيرها وهو اول من فرق العصب الحنجري الاعلى من العصب الراجع واول من ذكر ماء الحياة ٠

ويتضح مما تقدم ان الرازي لم يكن مقلداً كمن سبقه من الأطباء بل كان اماماً مجتهداً ، انتقد الأقدمين في كثير من آرائهم وأضاف على الطب القديم مشاهدات جمة ومفردات كثيرة وتجارب عديدة (كما هو مبين في كتابه تجارب المارستان) ونظريات مبتكرة حققتها العصور التالية من بعده ٠ وعلى الجملة فقد كان الرازي استاذاً في الطب وبطلاً من أعظم أبطال هذا العلم وعاملاً كبيراً في النهضة الطبية العالمية ٠

(للكلام صلة) الدكتور اسعد الحكيم

إعراس الخليفة المأمون

— ٣ —

« مدينة بغداد »

امر ببنائها ابو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين ، وأتم بناء قصره الكبير فيها في السنة ١٥٧ للهجرة ، وكانت لعهد ليلة العرس ، فسطاطَ العالم ، وأكبر مدينة على وجه الارض ، وقد بلغت من العظمة والأبهة والسعادة ، مالم تبلغه مدينة ، فشيدت بها القصور الفخيمة ، والصروح العظيمة ، والمصانع العديدة ، والجسور والقناطر والمدارس تحاكي القصور ، والمساجد الجليلة ودور الكتب ، والجنات والحدائق والبساتين ، والأسواق الكبيرة والوف الحمامات ، وأنشأ المأمون فيها مرصداً فلكياً ، وكانت دار الخلافة نفسها مرصعة بالمعادن النفيسة التي اجتلبت من أطراف الممالك ، وفيها من الحجارة الكريمة والأمتعة الثمينة ، والرياش الفاخر والآنية البديعة ، وغير ذلك من نوادر التحف وغريب الماعون ، ما لم يجتمع مثله في مدينة من مدن العالم ، وكانت ضواحيها آهلة معمورة حتى الرقة ، وعلى جانبي بغداد كانت المدن الصغيرة كالجعفرية ، والهارونية ، والمهدية ، والمأمونية ، وفيها القصور للخلفاء ولوزرائهم وقوادهم وأكابر الناس ، والصروح والجواسق والجنان والبساتين والمزارع والقرى والمصانع ، مما يعجز القلم عن وصفه ، وبلغ عدد سكانها يومئذٍ في أقل إحصاء مليون نفس ، وورد لبعض المؤرخين انها بلغت المليونين ٠

كل ذلك في مدة لم تجاوز خمسين سنة من وضع أساسها ، وهو مما لم يحكه التاريخ عن مدينة سواها على وجه البسيطة ولا عجب في ذلك ، فان أحوال هذه الامة البدوية الفتية ، قد حيرت عقول الفلاسفة والمؤرخين والعلماء ، قال الفيلسوف غوستاف لوبون ما محصله : ان مدنية الامة العربية لم يسبق لها مثال في تاريخ البشر ، وقد لا يكون لها مثيل الى الابد ، اذ ان هؤلاء البدو الذين حين فتحهم ممالك فارس والروم ، حسبوا الخبز المرقق ورقاً عندما قدموه لهم ، وظنوا الكافور الذي وجدوه في خزائن كسرى ملحاً فاستعملوه في عجينهم ، هؤلاء البدو قد بلغت حضارتهم في

مدة قرنين ، ما لم تبلغه أمة من الأمم في قرون متطاولة ، فقد أتقنوا الصناعات ، وبرعوا في أصناف العلوم ، ونقلوها الى لسانهم ، وعلموها الامم الاوربية ، فأوربا مدينة لهم اليوم بأكثر علومها ، وتأنقوا في المأكول والمشروب ، والملبوس والمفروش ، وسائر أدوات الزينة وأسباب الترفه والنعيم ، وتركوا في الاندلس وغيرها من آثار حضارتهم ، ما يُديم لهم فخراً لا يبليه تقادم الزمان ، وتبدل الحدثان .

وقال أرنست رينان سيبيويه علماء المشرقيات ما نعربه باللغة العربية : خرجت اللغات السامية من ضيق الدائرة التي ظلت سجينةً بها الى ذلك الحين ، ووصلت الى مقام شمل به تأثيرها أقطار الدنيا ، ولم يشهد البشر فتوحاً ، أوفر اتساعاً وأعظم سرعة من فتوحاتها .

فاللغة العربية هي بغير مدافع ، اللغة التي امتد فتوحها في أوسع بقعة من الارض ، ولا يوجد بين اللغات سوى لغتين تقاسمانها شرف الانتشار ، وتُعدّ ان لغتين عامتين ، وهما اليونانية واللاتينية ، أُريد انها لسان دعوة دينية ، او فكرة سياسية ، وكلاهما فوق اختلاف الاجناس ولكن امتداد الفتوحات اليونانية واللاتينية ، لا يقارب الفتوحات العربية ، لان المتكلمين باللاتينية كانوا من كامباني (مقاطعة من ايطاليا القديمة) حتى الجزائر البريطانية ، ومن الرين حتى جبال الأطلس (في شمال افريقيا) وكان المتكلمون باليونانية من صقليا (سيسيليا) حتى دجلة ، ومن البحر الاسود حتى الحبشة .

وأين هذه كلها في جنب مملكة اللغة العربية العظيمة ، وقد شملت اسبانيا وافريقيا حتى خط الاستواء ، وآسيا الجنوبية حتى جزيرة جاوا ، وروسيا حتى قازان .

وقال في موضع آخر من كتابه « التاريخ العام في اللغات السامية » : ان اوربا لم تنج من تأثير اللغة العربية الشامل ، فالاسبانيول والبرتقاليون قد أخذوا الى لغتهم الفاظاً عديدة عربية في سائر الاشياء ، وحوت جميع اللغات الرومانية —اللاتينية— عدداً كبيراً من الالفاظ العربية ، وجلها للتعبير عن الاشياء العلمية والصناعية ، وكانت أمم اوربا في القرون المتوسطة دون الاسلام (العرب) بمراحل .

اولئك أقوامي فجئني بمثلهم   اذا جمعتنا يا جرير المجامعُ

واذ جرى بنا الحديث الى الكلام عن لغة المأمون ، وهي لغتكم الشريفة أيها السادة : وكنا نظمنا منذ سنوات قريبة قصيدة في وصفها لحادثة معلومة في يومها ، ودعوناها (البدوية) رأينا ان نضمها في سلك محاضرتنا وان طال عليكم الوصول الى ليلة العرس :

« البدوية »

بالله يا نسمات الرند والبان ... من نجد جئتن ام من روض غسان
وهل لمستن من ذات الدلال رداً ... ام حدثتكن من أقصى تلسان
فان فيكن ريحاً من ملابسها ... فطيب ليلى بانفاس وأردان
وهل لثمتن من ليلي مباسمها ... إني عليها غيور ايُّ غيران
اني أغار عليها من صواحبها ... والحاسدات ومن انسٍ ومن جان
فان ليلى فتاةٌ لا مثيل لها ... صيغت من الحسن شكلاً ماله ثان
الى البداوة منسوب منابتها ... وان نميْتَ فهل نخر كعدنان
هيفاء لا قِصَرٌ فيها ولا طولٌ ... تجرُّ أذيال إدلال وإتقان
غزالة تسحر الالباب نظرتها ... والمسك نكهتها لا ريح ريحان
تدنو لعاشقها تجفو لناكرها ... تثيب عدلاً بتنويل وحرمان
تشبّه الحضريات الحسان بها ... وهل كذا بل جفنٍ جفنُ سكران
وكلُّ ثوب عليها ثوب فاتنة ... ولم يشن حسنها تبديل ألوان
وثوبها يقبل الازياء ما اختلفت ... وليس يُخْلِقُه تكرار أزمان
حروفها لمعانٍ لا تطاولها ... في حسنها بنت يونان وروما
ألفاظها دررٌ تركيبها سورٌ ... آياتها غررٌ في كل قرآن
غريزةُ الفضل لم يجحد محاسنها ... الاّ جهولٌ بايجاز وتبيان
لها الفصاحة تُعْزَى اينما وجدت ... شهودُها مثلُ قسٍّ او كسحبان
وفي البلاغة هل خودٌ تضارعها ... وأصلها صاعدٌ يسمو كقحطان
وبعض خدامها عبد الحميد ومن ... تلاه من اصفهانيٍّ وجرجاني
وغيرهم من ملوك الفضل آخرهم ... رب النهى اليازجي الكوكب الثاني

وكم لجناتها في ارض لبنان ... من هائم في معانيها و بستاني
والشعر محتِدُها من ذا ينازعها ... فيه وكم تيمتْ من ندّ حسّان
بلابل الشعر غنتها بدائعه ... على عجائب أوزان وألحان
وربّة الشعر ناجتها مواهبها ... فانحط عن عرشها عرش لكيوان
وقلدت جيدها عقداً ترفّع عن ... عقود درّ وياقوت ومرجان
فكلُّ شعر الى أدنى منازلها ... أعلى مراتبه مستشفع دان
وهل أميــة صالت واستقام لها ... ملكٌ، وطرفٌ لليلى غير يقظان؟
هل استعان على تشتيت ما جمعت ... الا بالفاظهـا ذاك الخراساني
وهل سما عرش هارون الرشيد على ... ملكٍ بناه على عدل وعمران
والارض في ظلمةٍ للجهل حالكة ... وملكه مشرق من نور عرفان
الا وأعلام ليلى غير خافيةٍ ... في كل مأثرة من غير برهان ؟
وهل خليفته المأمون ردّ لنا ... علمَ الأوائل من أقوام يونان
الا بألفاظ ليلى غير ملتمسٍ ... في حسن تعريبها الفاظَ أعوان
ودولة الناصر العظمى باندلسٍ ... قامت بمدهش عمران وبنيان
في كل فن بسهم وافر ضربت ... ولفظ ليلى بآذان وأذهان
لم يتخذ بدلاً منهــا ولا سنداً ... لها سوى بعض تباع وغلمان
وكم وكم دول من بعدها درجتْ ... قامت بليلايَ في سر وإعلان
للشعر للعلم ليلى للفصــاحة قد ... جاءت بأبدع مرويّ لإنسان
وفي السياسة والتدبير كم خفقت ... لحسنها رايةٌ من فوق تيجان
وفي الصناعات لم تعثر لها قدَمٌ ... وفي الحروب تخطت كلَّ ميدان
مجازها واشتقاق لا مثيل له ... ونحتُها معجزاتٌ كل برهان
ما ضرّها انها والحسنُ عابدُها ... لها حواسدُ من أهل وجيران

.... انتهى ما يناسب الغرض منها .

* * *

« فتوح المأمون وغزواته وأخلاقه وعلومه وصفاته »

قامت في سبيل المأمون عقب إعلان خلافته عقبات شتى ، اذ انتشرت الفتن على أثر اختلافه مع أخيه المأمون وحروبهما ، وطمع بالخلافة غير واحد من بني العباس ، وافترق الناس فرقاً ، فرقة مع هذا وفرقة مع ذاك ، وكادت تتضعضع اركان الملك ، فأظهر المأمون من الحزم والشجاعة والحلم وحسن التدبير ، ما كان فيه نسيج وحده ، اذ قمع الفتن ، ومهد الأمن ، و بسط العدل ، وغزا وفتح فتوحاً جليلة .

وكان المأمون أعظم بني العباس سؤدداً ومجداً ، وعزماً وسماحة ، وحلماً وشجاعة ، وعلماً وفضلاً ، كثير العفو ، ومن مآثر كلامه « لو عرف النـاس حبي للعفو لتقربوا اليّ بالجرائم » وكان عارفاً باليونانيـة والعبرية والهندية والفارسية ، عالماً كبيراً وشاعراً وخطيباً ومحدثاً ، متبحراً في الفلسفة والهيئة ، فصيحاً محباً للعمران والحضارة ، ولم يكن نظيره في كل من تقدمه من الخلفاء في حب العلوم والمعارف ، وكان لشغفه بالآداب والفضل عقد عهد صلح مع (تيوفيلوس) ملك الروم في القسطنطينية على ان يستنسخ له جميع المصنفات اليونانية ، ووجه بعثاً آخر يحمل اليه من جزيرة قبرص كل ما وجد هناك من الذخائر العلمية وكانت الجزيرة قد دخلت في حوزة دولته .

فأمر المترجمين كحنين بن اسحق وثابت بن قره ويعقوب الكندي ويوحنا البطريق وغيرهم بتعريب ما لديهم من الكتب اليونانية والسريانية في الحكمة والطب والموسيقى والعلم الطبيعي والسياسة المدنية والنفس والحيوان والنبات والجبر والهندسة والهيئة ، وكان عنده جماعة كبيرة من المنجمين فجمع علماء عصره وأمرهم ان يضعوا آلات الرصد ليقيسوا بها الكواكب ويتعرفوا أحوالها ، كما صنع بطليموس ومن كان قبله ففعلوا ، وأمر ببناء المرصد في الشماسية ببغداد ، ومرصداً آخر على جبل قاسيون في دمشق ، وسموه (الرصد المأموني) .

ومن أعماله الخالدة في كتب العلم والتاريخ قياسه للدرجة من خط نصف النهار ، فانه أمر بني موسى محمداً واخويه احمد والحسن بالوقوف على دور كرة الارض وكان الاقدمون يرون ان كل درجة من درج الفلك يقابلهـا ستة وستون ميلاً من سطح

الارض ، فلما مسحوا الاراضي المتساوية وحرروها وجدوا ان حصة الدرجة ستة وخمسون ميلاً فقط وهو المعتبر ليومنا هذا بفرق قليل جداً .

ثم انه عكف على جمع الكتب وجعل القيم على خزانة كتبه محمد بن موسى الخوارزمي ، وهو اول من ألف في الجبر والمقابلة بالعربية ، ثم امر بانشاء المدارس للعلوم المتعددة ، وكثرت الكتب في ايامه ايضاً ونفقت سوق العلوم ، وقامت دولة الحكمة في عصره كسائر الفنون والناس على دين ملوكهم .

وكان يجمع في قصره العلماء مرةً في كل اسبوع ، وهو اول مجمع علمي عقده سلطانٌ في قصره ، وكان يوزع جوائز و نياماً على المؤلفين البارعين في يوم الثلاثاء من كل اسبوع ، ويحضر بذاته المحاكمات في ذلك اليوم حسب الفقه الحنفي .

« وزراؤه وقواده وعماله وشعراؤه وأطباؤه وعلماؤه »

كان في رأس وزرائه ذو الرئاستين الفضل بن سهل السرخسي وكان داهية عاقلاً عالماً بعيد النظر حسن التدبير وفيه يقول مسلم بن الوليد :

أقمتَ خلافة وأزلتَ أخرى جليلٌ ما أقمتَ وما أزلتا

ومن عماله الحسن بن سهل وهو اخو الفضل وسيأتي ذكره ، ومن قواده ذو اليمينين طاهر بن الحسين الخزاعي الشجاع الأديب ، وهو صاحب الكتاب المشهور في كتب التاريخ والأدب ، كتبه الى ابنه عبدالله عندما ولاّه المأمون مصراً ، ولما وقف عليه المأمون قال ما أبقى ابو الطيب (يعني طاهراً) شيئاً من امر الدنيا والدين والتدبير والرأي والسياسة وإصلاح الملك والرعية ، الا وقد أحكم وأوصى به ، وامر المأمون فكتب به الى جميع العمال .

اما ابنه عبد الله هذا فكان ايضاً قائداً شجاعاً عاقلاً أديباً وتنسب اليه الابيات المشهورة .

نحن قوم تلينا الحدق النجـ ـل على اننا نلين الحديدا
طوع ايدي الظباء تقتادنا العيـ ـنُ ونقتاد بالطعان الاسودا

وكان شعراء المأمون ابا العتاهية وصريع الغواني وعلي بن الجهم والصولي والخليع ابن ياسر وأضرابهم ، ومن أطبائه حنين بن اسحق العبادي وجرجس بن بختيشوع

ويعقوب الكندي وابو بكر الرازي وجبرائيل وقسطا ابنا لوقا البعلبكي وأمثالهم ، ومن منجميه الفرغاني وابن نوبخت ومحمد بن موسى الخوارزمي وأخواه وماشا الله اليهودي وابن منصور والجوهري واضرابهم ، ومن القُصّاص الاصمعي وابو عبيدة ، واما العلماء والنحاة الذين كانوا يجلسون في حضرته فكثيرون نكتفي بذكر الفراء والكسائي واليزيدي وقطرب والجاحظ والأخفش وأضرابهم ، ومن قضاته يحيى بن اكثم وابو عبد الله الواقدي واحمد بن ابي دؤاد ، ومن الفقهاء الامام الشافعي والامام احمد بن حنبل .

وان ما ذكرناه طرف من صفات المأمون وما كان يشتمل عليه بلاطه من المجد والمفاخر ، ولو قصدنا الى تصوير نفسه العالية الشريفة ، وتفصيل همته الصاعدة المنيفة لاحتجنا من الوقت الى شهر ومن اللفظ الى معادن الدرّ .

كان المأمون ربعةً ابيض جميلاً ، طويل اللحية رقيقها قد وخطها الشيب . فان فاخرت الامم بقديمها وهي تفاخر دون شك ، فهذا قديمكم أيها السادة .

شرف ينطح النجوم بروقـ ـيه وعزٌّ يقلقلُ الاجبالا

« الحسن بن سهل حمو الخليفة »

كان كريمًا عالي الهمة ولاّه المأمون جميع البلاد التي افتتحها طاهر من كور الجبال والعراق وفارس والاهواز والحجاز واليمن ، ومَن تولى مثل هذا الملك الواسع في ذلك العهد وكان حائزاً ثقة المأمون ورضاه فلا عجب اذا كان اغنى غنيّ في تلك الدولة ، وقد كانت الطريقة أقطاعًا كما تقدم البيان .

« بوران بنت الحسن عروس المأمون »

اسمها خديجة وبوران لقب لها او هو اسم فارسي واشتهرت به ، ولدت للسنة ١٩٢ هـ وعُقِد عليها للمأمون في السنة الثانية بعد المائتين ، وكانت عرسها في العاشرة بعد المائتين ، ولم يذكر المؤرخون شيئًا عن جمالها وعقلها ، بل ردد كلهم عبارة واحدة ، تلك ان المأمون تزوجها لمكان ابيها منه وهذا ليس بالبرهان المقنع ، فقد كان في آل العباس من هم اعلى قدراً في عيون الناس من الحسن بن سهل وأقرب رحمًا من المأمون ، ولو أزوجها المأمون واحداً من بني العباس المقربين منه لكفى الحسن بذلك

شرفاً ، فلا بد من ان يكون اختيار المأمون بوران لجمالها او لعقلها وعلمها او لكليهما معاً . وقد كان العقد في الثانية بعد المائتين للهجرة كما تقدم وعمرها يومئذ عشر سنوات ولم يتم الزواج الا في العاشرة بعد المائتين ، وكانت بوران قد بلغت الثامنة عشرة وهذا مجال نظر للناقد ، فقد كانت العرب — وحرُّ بلادهم معلوم ولا سيما بغداد — يتزوجون البنت في الثانية عشرة فما فوقها و يرون كل فتوّتها وزهو صباها في الرابعة عشرة ولا سيما الملوك والامراء ، فما السبب في تأخير عرس المأمون ثماني سنين ؟ أكانت غزوات المأمون وكثرة الفتن من الأسباب التي عاقته كل هذه المدة ام لسبب آخر ؟ لقد أغفل المؤرخون الاولون ذكر كثير من امثال هذه الاحداث الهامة وأسبابها ، بعد ان لها شأناً عظيماً في اعين الناقد مستطلع عادات ذلك الزمن واخلاق اهله وسائر احوالهم ومدنيتهم ، و بات الفوز بذلك بعد تطاول القرون وتقلب الشؤون مما لا مطمع في الوصول اليه او الحصول عليه من مظانه في كتب التاريخ ، فحسبنا ان نشير الى ذلك هذه الاشارة حتى اذا اتفق لاحد الادباء العثور عليه في تضاعيف القِصَص او في كتاب من كتب الادب نبه عليه خدمة للعلم .

« ليلة العرس »

كان الحسن بن سهل مع اهل بيته في معسكره بفم الصلح وهي بلدة كانت بين الكوفة والبصرة على نهر كبير يسمى الصلح تبعد ثماني مراحل عن بغداد ، فنهض المأمون اليها لثمان ليال من مضت رمضان في السنة العاشرة بعد المئتين يتقدمه العسكر والقواد والندماء والمغنون والشعراء والعلماء والقضاة والفقهاء وكبار العباسيين من اهل بيته ، وسار خلفه الحشم والخدم والاتباع وسائر بطانته على الخيول الرائعة والبراذين والبغال الفُرُه ، وكان يسبقهم الجمالون والمكارون والحمالون والملاحون والفراشون في جمع لا يدرك الطرف آخره .

وكان الحسن بن سهل قد خرج لاستقبال الخليفة بعسكره وحشمه ، فلما وقع بصره على موكب المأمون امر عسكره بالمسير امام عسكره ، وترجل حتى اقبل على قدمي المأمون ويديه يقبلها ، فقابله الخليفة بأنسه و بشاشته ثم امره بمواكبته فسار في بطانته ، ولما وصلوا الى فم الصلح خرجت المدينة باجمعها لملاقاة المأمون وكان يوماً

مشهوداً لم ير مثله الراؤون ، فنزل الخليفة عن جواده تكتنفه العظمة والجلال وتبسم له ثغور الاماني والاقبال ، وذلك الموكب العظيم يسير بين يديه وكانت قد ضربت له الخيام والسرادقات والقباب من منسوج الحرير والديباج الموشّى ، فدخل قبةً فرشت ارضها بالبسط والزرابي الخسروانية وعلى طاقاتها الستور اليمانية وفي حضرته عظماء الدولة واكابرها والشعراء والندماء والمغنون والعازفون ، وقام الحسن بن سهل يخدم بين يديه ، ثم مُدّت أمامه الموائد الفارسية ، وتقدمت الوان الطعام في الاواني الذهبية وانشد المنشدون وتبارى المغنون ، ولما كانت الليلة الثالثة من وصوله زُفّت اليه (بوران) فلما دخل قبتها كان عندها (حمدونة) بنت هارون الرشيد أُخته لأبيه و (زبيدة) امرأة هرون الرشيد ام اخيه الامين و (جدة بوران) ام ابيها ، وكان قد أُوقد عندها شمعة عنبر مرفوعة على شمعدان من الذهب ثقلها مئة منٍّ ، وذلك نحو خمسة وعشرين رطلاً حلبيًا ، وفرشت ارض القبة بحصير منسوج بالذهب ، ولما اقتربت بوران من المأمون لتهنئه بقدومه نثرت جدتها عليها الف درّة من أنفس ما يكون من كبار اللؤلؤ كانت في صينية من الذهب ، ولما رأى المأمون تساقط اللآلئ على قدميه قال قاتل الله ابا نواس كأنه شاهد هذه الحال حين قال :

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء درّ على ارض من الذهب

ثم امر بجمعها فجمعت فأعطاها بوران وقال سلي ما ترغبين ، فلم تنطق بحرف ، فقالت لها جدّتها (كلّمي سيدكِ فقد أمرك) فقالت : اسأل سيدي الرضاء عن عمه الامير (ابراهيم بن المهدي) — وكان ذنبه عظيماً — فقال قد فعلتُ ، فقالت : واسأل سيدي الاذن لسيدتي ام جعفر في الحج — وهي زبيدة زوج هرون الرشيد — فقال أذنتُ ، ثم ألبستها البدلة اللؤلؤية الأموية المشهورة ، ولعلها مما غنمه العرب من الروم في دمشق او مما وقع لهم من الفرس عند فتح المدائن ، ثم استولى عليها العباسيون في جملة ما استولوا عليه من خزائن الأمويين اذ من المعلوم ان الدولة الأموية لم تصل الى ما بلغته الدولة العباسية لذلك العهد ، من رقة العيش في المأكول والمشروب والملبوس والمفروش والماعون وسائر عوائد الترف وأحوال الجسد والنعيم ، فليس بالمعقول ان يتزيا العباسيون بزيهم او ان يلبسوا ملابسهم وبين البيتين من البغضاء ما هو معروف .

وبينما كانت ام الحسن بن سهل تنثر اللآلئ على المأمون وبوران ، كان والد بوران ينثر على الهاشميين والقواد وعظماء الدولة وسائر الطبقة الاولى بنادق مسك في كل بندقة رقعة باسم ضيعة او دار او مزرعة او جارية او فرس او غير ذلك ، فيفتح الرجل البندقة ويقرأ ما فيها ، ثم يمضي الى وكيل أرصد لذلك فيدفع اليه الرقعة والوكيل يسلمه ما في الرقعة سواء كان ضيعة او ملكاً او جارية او غيرها ؛ ثم خرج الحسن من ذلك النادي وأقبل على الطبقة الثانية ، فبدأ يفرق بدر الدنانير الى عشرة آلاف ، ثم انتقل الى الطبقة الثالثة فنثر عليهم الدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر .

وظل المأمون عند الحسن تسعة عشر يوماً كان يُعدُّ له فيها وللجميع من معه كل يوم من الأطعمة الملوكية والمشروب وسائر اسباب اللهو والسرور ما يقصر عنه الوصف ، فلم يكن في العسكر ومن ضمنهم من المكارين والجمالين والملاحين من يحتاج الى شراء شيء لنفسه او لدوابه ، وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين مليون درهم او خمسة ملايين ليرة فرنسوية ذهباً .

ثم نهض المأمون وسار ومن معه الى مدينته المأمونية وكان بعث فأمر النواتية بتجهيز الحراقات (السفن) لاجازة خواص الناس بدجلة من بغداد الى قصوره في المأمونية (مدينة المأمون) لحضور الولائم ، فكانت الحراقات المعدة لذلك ثلاثين الفاً تسير في دجلة ، وقد تأنقوا في تزيينها بالالوان وطلوها بالذهب وفرشوها بالبسط والسجادات وأناروها ليلاً بمختلف الالوان ، فكانت كالسهام تشق قلب الماء وتظهر عن بعد في الظلام كأنها نجوم السماء ولا يسمع منها الا اصوات المغنين والمغنيات والعازفين والعازفات بين عود ومزمار وكاسات تُدار .

وفي فمه نايٌ يُديرُ سُلافةً هي السكر الا انه لا يُحرَّمُ
« وفي فمها شبابةٌ تبعث الهوى ونحن سكوت والهوا يتكلم »

وكانت مدينة المأمون قد لبست من الزينة حللاً ما وراءها لمتطلع غاية ، وكان الحطب المُعَدّ للوقيد بدار الطبخ مائةً واربعين بغلاً مدة عام كامل ثلاث مرات في كل يوم وفنيَ الحطب لليلتين فأوقدوا القصب يصبّون عليه الزيت .

اما قصور المأمون فقد كانت تلك الليلة في حسن وأبهة يعجز القلم عن وصفها

وكان الراكب في دجلة يشرف عليها من بعد شاسع ولا سيما قبابها ، فمن مجصص بالجص الابيض الناصع كالفضة البارقة ومن مطليٍّ نصفه السفلي بالاخضر الناضر والنصف العلوي بالذهب النضار وفوقها جامات الذهب تتلامع كالشهب المتقدة ، ثم يبدو للعيون جمال تلك الحدائق الممتدة الى أقاصي مدى البصر تتسرب فيها جداول الماء من برك عظيمة الاتساع مختلفة الاوضاع ينصب فيها الماء كالفضة الذائبة من افواه حيتان او سباع او نسور او ثيران ، من مرمر مختلف الالوان ، بالغ من الصناعة نهاية الاتقان ، بين جنات قد ازدحمت غياضها واشتبكت اشجارها وتغنت أطيارها وتعانقت أغصانها وامتد ظلالها ، يسير فيها الداخل تحت أقبية وأطواق من فسيفساء الاوراق ، في مماش كأنما ارضها خمائل سندسية ، وعلى جانبيها درابزينات لا يدرك الطرف منتهاها ، قد اعترش عليها الياسمين ، وتعلق بها الورد والنسرين ، ونمت حولها الازاهر والرياحين ، وقامت وسطها القصور الباذخة والصروح الشامخة والاروقة المرتفعة والجواسق المنمقة ، ذوات الساحات المترامية ، والصحون الفساح والافنية الرحاب ، والاندية العظيمة طيقانها أبواب وابوابها حيرة الالباب ، قد أرخيت عليها ستور الديباج والاستبرق كأنها اجنحة الطواويس ، وفُرشت ارضها بأنواع الفسيفساء تحاكي ازاهر الجنان ومتعادي الحيوان ، من أُسود ونمور وغزلان برخام متعدد الالوان ، يخالطه خشب الصندل والعود الهندي ، وفي كل بهو بركة او برك تنساب اليها المياه الصافية على ملون المرمر كاللجين الذائب ، والسمك على اختلاف الاشكال والالوان تصعد في مائها وتنحط وتعوم كما يعوم فيها البط ، وقد رُقشت حيطان تلك الابهاء بالقاشاني البديع ، يحاكي بألوانه ورسومه ازهار الربيع ، ورُفعت سقوف تلك الاندية والابهاء الرحاب على اعمدة المرمر ذوات الالوان الباهرة ، وقد أُحكم صنعها ونقشها وتكامل حسنها بتذهيبها ورقشها ، وقامت قبابها على قناطر وحنايا واضلاع ، بلغت بها صناعة الهندسة غاية الابداع ، ودارت فيها الطيقان كالقلائد في اعناق الحسان ، وقد قعدت على اساطين وسوارٍ ركزت على قواعد من الصوان ، وتقنعت بأقداح كالنرجس من رخام ، وبلغت من الزهو والارتفاع ما لا سبيل معه الى إمتاع النظر بأعاليها الا بانقلاب رأس الناظر الى آخر المستطاع ، وقد طليت

تلك السقوف والقباب بألوان تحار في محاسنها الابصار ، و يأخذ إبداع رسومها بمجامع القلوب ، وألبست من الذهب الوهاج انواراً يرتد عنها الطرف كليلاً ٠

وكانت لا تقع العيون في تلك الاندية والابهاء والغرف والمقاصير الا على محاسن قد تناهت في الظرف ، وملاحة وإبداع يقصر عنهما كل وصف ، فمن حيطان من الزجاج رُفعت وراء الشرفات تنعكس عنها الانوار الى داخل القباب ، ومن حيطان من جسيم الرخام حاكت بحفرها ورسومها حبائك الغمام ، او اجنحة الطيور او غلائل الحسان او ظهور السمك والحيتان ، او صور الغزلان وغيرها من الحيوان ، بين مجعّد ومفوّف ، ومسيّر ومنمّر ، ومكفوف وملفوف ، الى أشكال والوان يعجز وصفها ، و يضيق عنها التفصيل والتعبير ، والتمثيل والتصوير ، وفي كل قصر قصور ، وفي كل ناد روضة وغدير وغرف ومقاصير ، وسجوف مرسلة وستور متراخية وسرر مرفوعة وارائك مصنوعة وحجال منصوبة ومجالس مفروشة ومقاعد موضوعة وكراسي مصفوفة وطنافس مبسوطة ، وموائدقائمة واباريق مبثوثة وخواب مسنودة ونرجسيات منسوقة ، وأوان مختلفة الاشكال نادرة الحسن والمثال ، من الصيني والزجاج والذهب ونفائس المعدن وغرائب التحف وعجائب الطرف ، ومجامر العنبر ومباخر الند وقماقم ماء الورد الى ما لا يبلغه عد ، ولا يتخيله فكر شاعر ٠

تلك هي القصور التي قامت بها الافراح المأمونية والولائم العباسية ، ولما وطئت ارضها بوران اعطاها المأمون في مهرها الف حصاة من نفيس الياقوت ٠

وقد ظلت الولائم قائمة في تلك القصور اياماً متوالية ، و كل الذي وصفناه ان هو الا خيال ضئيل لحقيقة ذلك العرس الجليل ، فانه عرس لم ير له التاريخ مثيلاً ولا بدع فالمأمون فرد لم يزل الزمان بمثله بخيلا ٠

ولعلنا نأتي في محاضرة أخرى على ما كان للدولة الأموية الثانية في الغرب من الفتوحات الباهرة ، والآثار الخالدة الفاخرة ، والمدنية العظيمة الزاهرة ، مما تنشرح له الصدور وتهتز النفوس ، وتعلو القيم وترتفع الرؤوس ، و يقال عنده لا عطر بعد عروس ٠

عضو المجمع العلمي العربي
قسطاكي الحمصي

مطبوعات حديثة

الدنيا في اميركا

« تأليف الاستاذ امير بقطر · طبع في المطبعة العصرية بمصر في نحو »
« ٢٠٠ صفحة بالقطع المتوسط »

ألف هذا الكتاب مؤلفه بعد أن أقام في اميركا مدة طويلة فتلقى العلم في اكبر جامعاتها (جامعة كولومبيا في نيويورك) وحاز درجة (M T) من اعلى شهاداتها · وهو لم يكتف بالوقوف على ظواهر المدنية الاميركية بل تبطّن اسرارها · وتقصى آثارها · وبلا أخبارها · فكان موضع ثقة في جميع ما حرّر وكتب ·

وكتابه هذا تارة يظهر من خلال سطوره انه مجموعة (مفكرات) علقها خشية النسيان وطوراً يفهم منه انه مجموعة (محاضرات) دوّنها بناءً على رغبة الكثيرين من أصدقائه ولقد طالعته وأُحب ان اعيد مطالعته لأزداد وقوفاً على اسباب ونتائج تلك المدنية العبقرية والعمران العجيب الذي قالت فيه إبنةٌ لي بعد ان طالعتِ الكتاب : انها كانت تتخيّل وهي تطالعه كأنها تقرأ في عجائب الف ليلة وليلة ·

وقد أبدع المؤلف في وصف ما رآه وشاهده بنفسه كما انه احتاط وتوثّق في ما نقله ورواه عن غيره : فتتبع جزئيات المسائل وضم بعضها الى بعض بلباقة وحسن أسلوب يزيد القارئ نشاطاً وانبعاثاً في المطالعة : فوصف المؤلف (تمثال الحرية) المنتصب في مدخل ميناء نيويورك و (جزيرة أليس) حيث يحبس المهاجرون ليمحّصوا و يبتلوا · و (عجائب الصناعة والمخترعات) و (اللاسلكي) و (فورد) صاحب السيارات المشهورة و (مكاتب المطالعة) و (الصحافة) و (السوربون) في اميركا و (شلالات نياغرا) الخ الخ كل ذلك تقصّى البحث فيه وأجاد إجادة جمعت بين الفكاهة والفائدة · وكل هذا لا تذكر فائدته في جنب وصف المؤلف لمعاهد التربية والتعليم مما استوعب نحو نصف الكتاب · فهو في هذه المباحث يصف طرائق التربية وأساليبها العملية التي هي سرّ ارتقاء تلك البلاد وبلوغها هذا الحد العجيب من الحضارة والعمران · وقد تخلل هذه المباحث فوائد كثيرة عن تربية الاناث وتعليمهن منفردات

ومختلطات بالذكور · وهذا البحث مما يجدر برجال التربية في بلادنا ان يدرسوه ويقلّبوا وجوهه بروّية وإمعان لان شرقنا على ابواب انقلاب عظيم من هذا القبيل ·

وعبارة الكتاب سهلة قريبة التناول وهفواتها الكتابية قليلة لاتعيب الأسلوب ولا تشوّه محاسنه · ومما لاحظناه من هذا القبيل قول المؤلف في المثل المشهور (يتعلمون الزيانة في رؤوس اليتامى) فلم نتفطن في اول الامر الى ما اراده بقوله (الزيانة) لان المشهور في المثل (يتعلمون الحلاقة او الحجامة في رؤوس اليتامى) لا (الزيانة) ثم انتبهنا الى انه عنى (بالزيانة) المصدر من جعلهم (المزيّن) اسمًا للحلاّق · واهل المصريين يستعملون كلمة (الزيانة) في المثل المذكور ·

ومما امتاز به الكتاب رسومه المتقنة الصنع التي تمثل كثيراً من مظاهر مدنيـة اميركا ومختلف آثارها ومشاهدها الخلاّبة ·

وبالجملة فان الكتاب من خيرة ما اعتـادت (المطبعة العصرية) ان تصدره من كتب المطالعة ومن أجلّ كتب التربية والتعليم فالشكر لمؤلفه ولناشره ·

المغربي

الرسائل النادرة

تحت هذا العنوان سيصدر من وقت الى آخر رسائل صغيرة مطبوعة عن أصولها المخطوطات القديمة المدفونة في كنوز مكاتبنا الاسلامية القديمة · والمشروع عظيم مفيد جداً · والذي تصدّى له أبنـاء كتبي قديم اعني السيد امين الخانجي · وقد نشروا الى اليوم رسالتين أدبيتين : الرسالة الاولى (إعلام الكلام) لابن شرف القيرواني والرسالة الثانية (قراضة الذهب) لابن رشيق صاحب العمدة · وكل منها لا تتجـاوز صفحاتهـا الخمسين والستين صفحة · وموضوع الاولى وصف طبقات الشعراء في الجاهلية والاسلام · ونقد بعض اشعارهم على لسان رجل اسمه (ابوالريان) فأسلوب الرسالة أسلوب مقامة كمقامات البديع الهمذاني · اما موضوع الثانية فهو أخذ الشعراء واقتباس بعضهم من بعض وهل يُعاب اولا يُعاب والتمثيل لذلك بابيات من كلام

الشعراء المتقدمين والمتأخرين الى زمن المؤلف ابن رشيق . وقد افتتح ناشرو هذه الرسائل الرسالة الاولى بقولهم (وبعد هذه الباكورة الاولى من سلسلة الرسائل النادرة التي اعتزمنا على إصدارها وإتحاف الإخصاء من اهل الأدب العربي بها سالكين النهج الذي قصده الوالد منذ ستة وعشرين عاماً الخ . فهذه الرسائل تشبه مجلة تصدر من وقت الى آخر تتضمن أنفس أعلاق العلم الاسلامي والأدب العربي وكلما اجتمع من هذه الرسائل طائفة ضم بعضها الى بعض بالتجليد على شكل كتاب تزين به المكاتب وتعطر بموضوعاته المجالس . والقائمون بهذا المشروع العلمي العظيم أهل له وأحق به من سواهم وقد أعدوا له عدته من الهمة والنشاط واختيار أقرب الطرق الموصلة اليه . ذلك أنهم وثقوا علائقهم مع اكبر رجال العلم وأصحاب المكاتب في مصر كالاساتذة احمد تيمور باشا واحمد زكي باشا ونور الدين بك مصطفى واحمد طلعت بك نجل طلعت باشا الشهير هؤلاء الرجال هم أصحاب المكاتب الكبرى الحافلة بأنفس الآثار العلمية الاسلامية وأقدمها . فاذا بقي هؤلاء الشبان الافاضل مثابرين على نبش هذه الكنوز واستخراج دفائنها فيوشك ان يخدموا المكتبة الاسلامية خدمة جلى . ويطوقوها من عقود الآثار بالأنفس الأغلى . ولكن هناك امر لا نرى بدّاً من مصارحتهم به : ذلك انهم ان كانوا أعدّوا لهذا العمل عدته من جهة كما ذكرنا آنفاً . فانهم قد قصّروا او أخلّوا بالعمل من جهة أُخرى : فان أمارات قصد الربح والتجارة بادية على الرسالتين اللتين نشروهما وكان شأنهم فيهما شأن الذين يطبعون الروايات وكتب القصص فتتهافت عليها العامة والاولاد للتسلية وتزجية الوقت . فيكون الورق من جنس الدون والطبع كذلك . فلا يلبث القارئ ان يقرأ الكتاب التجاري حتى يناوله الآخر وهكذا . فتتمزق الكتاب ويضمحل أثره . ولا كذلك يجب ان يكون شأن هذه الرسائل النادرة التي انما يقتنيها الخاصة لا العامة . ورجال العلم والفضل لا اهل الغبارة والجهل .

وقد رأينا من سخافة ورق هذه الرسائل وقبحه وقلة العناية بالتصحيح والضبط ما نتشاءم بمستقبل هذا المشروع لان العامة سيزهدون في هذه الرسائل لكونها ليست على شرطهم . والخاصة يزهدون فيها لعدم كل الفائدة منها . ولنضرب لذلك مثالين

يستبين منهما عدم العنـاية بتصحيح الرسائل . (الاول) ان ناشري الرسائل فسروا كلمة (الكهام) (ص ٢١ من رسالة إعلام الكلام) بقولهم (الكهام سيف فل" شباته فامتنع من القطع لهامة) كذا ولم تفهم معنى لهذا القول والأفصح والأوجز ان يقـال (الكهام السيف الكليل) . والمثال الثاني من رسالة (قراضة الذهب ص ٣٥) قوله :

(حشى الفحول من الكماة بصبغه ما يلبسون من الحديد معصفرا)

لا معنى لكلمة (حشى) وهي محرفة والبيت للمتنبي ولم يطبع ديوان لشاعر كما طبع ديوانه وتعددت نسخه وشروحه فكان يمكن للمصحح ان يراجع القصيدة التي منها هذا البيت فيجده هكذا :

خَنَّثَ الفحول الخ وخنث فعل ماض كساقي ومعناه انه جعل الفحول كالخناثى من حيث انهم يلبسون الحـديد فهم رجال أبطال لكن الحديد معصفر بلون الدم فكانوا كالإناث اللواتي يلبسن المورّس والمعصفر من اللباس .

هذا وان امر هذه الرسائل خطير في فائدته ونفعه ولذلك قدمنا هذه النصيحة للأفاضل القائمين بنشرها . ولا نظنهم الا عاملين بإشارتنا كما يقبلون شكرنا لهم وإعجابنا بهمتهم .

له

كتاب التعليم والصحة

« تأليف الدكتور محمد عبدالحميد بك طبع في المطبعة العصرية بمصر في »

« نحو ١٦٠ صفحة بالقطع الصغير »

هذا الكتاب مما أصدرته المطبعة العصرية لصاحبها الفاضل (الياس انطون الياس) ومؤلفه من أشهر أطباء مصر المتخصصين (اي الاختصاصيين) في موضوع هذا الكتاب أعني (مسائل التعليم من حيث ارتباطهـا بصحة التلامذة) وهو اليوم مدير مستشفى الملك بمصر وكبير جراحيه . ومن آثاره المطبوعة في فنه الذي تنطّس فيه (الدروس الصحية) و (التمريض المنزلي) و (طب البيت) و (تربية الطفل) وغيرذلك . وقد تناول في هذا الكتاب الذي نقرّظه جميع المباحث الصحيـة التي تتعلق بالتلميذ من

حيث يهم أمرها آباءه وأساتذته الذين يراقبونه عن كثب وهو يجتهد في الدرس والتحصيل فلا يسوقه اجتهاده هذا الى الاخلال بصحته فينقطع عن العلم بتاتاً ٠ ومما تناوله البحث في هذا الكتاب (نتائج الامتحانات وسبب رسوب الطلاب فيها) و (التعليم الإلزامي) و (ضرورة تعاون الآباء والمعلمين في التعليم) و (بعض امراض الطفولة وعلاقتها بالتعليم) الخ ٠ فالكتاب كما يرى القارئ يحتاج اليه كل تلميذ وكل ولي تلميذ وكل معلم تلميذ ٠ فالشكر لمؤلفه الفاضل على ما أتحف به قومه ووطنه ٠ له

حول سرير الامبراطور

اسم لكتيب لطيف الحجم يتضمن وصف حياة الامبراطور نابوليون بونابارت من الوجهة الصحية : اي من حيث مزاجه والامراض التي كانت تنتابه وقد ورث بعضها من ابويه وأسرته ٠ وكيف كان تأثير ذلك المزاج او تلك الامراض في أعماله وحروبه بل وانخزاله وفشله ٠ فالكتاب مفيد لكل احد لاسيما للأطباء ٠ وقد أشار (اوغست كونت) الى هذا بقوله (الأموات يدبرون الاحياء) اي ان الأحياء يستفيدون علماً وتجربةً كلما أمعنوا بحثاً في الاسباب التي أدت الى موتهم ٠ والكتاب يبلغ (١٢٨) صفحه وقد ألفه الدكتور (كابانيس) ونقله الى العربية بتصرف الدكتور (نقولا فياض) المشهور بجمعه بين البراعة في الأدب والمهارة في الطب ٠ وقد عنيت بنشره إدارة مجلة (الهلال) وأهدته الى قرائها حسب عادتها في اختيار الكتب المفيدة وإهدائها اليهم ٠ له

الاحلام

مجموعة قصائد اجتماعية وضعها الشاب الأديب : شفيق افندي معلوف وأفرغها في قالب خيالي رشيق وزينها برسوم ملائمة لتلك الأخيلة فجاءت نموذجاً رائعاً من الأدب الغض الذي يقوم على سواعد الشباب الناهض ٠

تصفحت هذا السفر اللطيف فألفيت فيه من رقة الديباجة وجزالة اللفظ ومتانة

الأُسلوب ما ينم عن بسطة في الأدب · وحذق في الصناعة · ورأيت في أضعاف سطوره مما يؤخذ به قوله في (ص ٧) :

دعوه يزحزح عن قلبه بقية حباته الذائبة

فان للقلب حبة واحدة لا غير · وقوله في (ص ٨) :

رأيت الثريا على خدها كوشم · فصمدت في الجوزفره

فان الوشم أخضر او أزرق لا يشبه بالثريا ولا تشبه به وقوله في الصفحة نفسها :

وعاهدتها الحب فهي أليفة ـ صدري وكم فرجت عني حسرة

فقد عدى عاهد الى مفعولين وهي لا تتعدى الا الى واحد وقوله في (ص ١٢) :

فقلت لزنجيتي ودعيني فسوف يصير الوجود هشيم

اذ لا يغتفر مثل هذه الضرورة لمثل هذا الأديب وقوله (ص ١٣) :

تهب العواصف فيها وتهمي الـ صواعق همياً كوكف المطر

والهمي بمعنى السيلان لا يكون الا في سائل وليست الصواعق منه وان أراد بمعنى السقوط فتهوي اولى من تهمي لسلامتها من ايهام ما لا يراد وقوله في (ص ٢٠) :

ونحن تضيق بنا الارض رغم ـ التمدد هذا على رحبها

والمعروف ان يقال على رغم · او الرغم من · وقوله في (ص ٢٧) :

ولكن تلك تلاشي القرون ـ وهذا يلاشيه مر الثواني

فان لفظ تلاشي ويلاشي غير عربي وكأنه مولد وقوله في (ص ٣٥) :

لأدفن بين زهور الرياض على ضفة النهر الزاخر

فقد جمع فيه الزهر على زهور في هذا البيت والذي بعده وهو لا يجمع هذا الجمع وقوله في (ص ٣٩) :

ورحت أسائل عن حلم ليلي ـ النيام ومن ذا مجيبي سؤلا

فلم أتبين عامل النصب في : سؤلا · وقوله في (ص ٤٩) :

لقد كنت قرب البحيرة غفلان اخبط في لجة من شجوني

فاني لم ار غفلان ·

ولو سلم الكتاب مما ذكرناه وأمثاله واختير له من الرسوم ما هو أليق بالأدب

من الرسوم التي فيه لكان طرفة للأدباء وعقيلة في جيد الأدب الظريف . وعسى ان يتدارك ذلك في الطبعة الثانية ان شاء الله تعالى .

عضو المجمع العلمي
سليم الجندي

مذكرات الغازي مصطفى كمال باشا

« تعريب السيد عبد العزيز امين الخانجي طبعت بمطبعة النهضة في »
« القاهرة سنة ١٣٤٤ — ١٩٢٦ ص ١٢٠ »

هذه مذكرات املاها مؤسس جمهورية تركيا الحاضرة ونابغة الترك في الحرب والتنظيم أملاها على الصحف التركية ومعها الوثائق التاريخية التي جرت في اواخر ايام الحرب الكبرى وتجلى بها صفحات من التاريخ الحديث في الشام وانهزام جيوش العثمانيين والالمانيين فيه وفيه صورة واملها صحيحة من صور السلطان وحيد الدين آخر ملوك بني عثمان والاشارة الى حالة قواد الالمان وامبراطورهم في الحرب العالمية وكله مكمل للتاريخ الحديث . فالشكر للمعرب ونرجو له دوام العمل على إخراج بقية اجزاء هذه المذكرات السياسية التاريخية .

م . ك

كتب ورسائل مختلفة

(١) تاريخ الحرية البشرية للدكتور سليمان غزالة طبع في دار الطباعة الحديثة في بغداد ١٩٢٦ — ١٣٤٤ (ص ٩٠) .

(٢) « الوحي » مجلة دينية أدبية اجتماعية تصدر مرة في الشهر في حماة لمنشئيها السيدين محمود العثمان وزاكي العثمان طبعت بمطبعة الاخلاص بحماة .

(٣) تفسير سورة الفاتحة بقلم الاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري تطلب من السيد محمود علي صبيح صاحب المكتبة المحمودية بمصر .

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) تشرين الثاني سنة ١٩٢٦ م الموافق ربيع الآخر وجمادى الاولى سنة ١٣٤٥ هـ ٧١

الكراس الشارد

اخترت هذا العنوان للكلام على كراس مخطوط ظفرتُ به منذ أزمان بين أضابير الرسائل التي تحتوي عليها مكتبة أسرتنا . وكنت كلما تصفحت هذا الكراس او قرأت نبذاً منه تجددت لي رغبة في وصفه . واعلان أمره . مؤملاً ان أجد بين القراء من يهديني الى اسم الذي كتبه . اواسم الكتاب الذي منه شرد . وعليه حرّد . ومما زادني رغبة في نشر خبر هذا الكراس ان مضامينه تتعلق بوصف بعض المدن الشامية الساحلية وذكر أعيان من اهلها عاشوا في القرن الثاني عشر للهجرة اي منذ مائتي سنة . وعدا ذلك فان في عبارة الكراس وبعض كلماته ما يستدعي الاهتمام به والتأمل فيه .

اما أسلوب إنشائه فهو الأسلوب المسجع الشائع بين كتاب ذلك العصر : عصر الخفاجي والمحبي والنابلسي والشيخ البربير مع ركاكة في تركيب بعض الجمل ناشئة عن خطإ الناسخ او أن مؤلف الكتاب كان يكتبه عفو ساعته من دون تأنق ولا ترويز .

والكراس كله اثنتا عشر صفحة حسنة الخط . قليلة الغلط . وكل صفحة منهـا سبعة وعشرون سطراً . مفصولة الجمل بنقط حبر احمر . واول جملة من الكراس هي هذه الجملة : (فوق بان . او صوت عود ونغمة قيـان) وآخر جملة منه (وقد قالوا من لم تطربه نغمات) . وقد اصابت الكراس رطوبة أبلت اطرافه . ومزقت حواشيه . لكنها لم تمسّ سطوره ولم تفسد شيئًا من معاني كلماته . ويظهر من شكل الكراس

انه ساقط من كتاب مخطوط . وليست صفحات الكراس ذات أرقام حتى يُعلم ان كان هو من اول الكتاب او من آخره ؟ وما هو مقدار حجم الكتاب بالجملة ؟ .

وخلاصة محتويات هذا الكراس ان كاتبه كان عند اخيه في مصر وقد حنّ الى وطنه طرابلس الشام وأحبّ العودة اليها فركب بحر النيل ثم البحر الملح ومرّ على حيفا وعكا وصيدا وبيروت وطرابلس . ووصف ما وقع له في كل منها . ومن اجتمع به من اهلها . هذا موضوع الكراس . اماموضوع الكتاب الاصلي بجملته فلا يدري إن كان كله وصف اسفار ورحلات للمؤلف . او هو تاريخ او أدب وقد جاءت الرحلة المذكورة بين أسطاره . وفي تضاعيف أخباره .

وقد اتفق لنا في تحقيق هذا الكراس مصادفة يمكن ان تكون غريبة لكنها لم تتم . ولم يُفسر بها حلم : ذلك ان المؤلف كاتب الكراس تعرّض لذكر الامير حسن بن الاعوج حاكم حماة المتوفى سنة (١٠١٩) للهجرة (١٦١٠ م) واتى على بعض خبره .

ولما راجعت ترجمة هذا الامير في (خلاصة الاثر) للمحبي وجدته يقول في آخر الترجمة ما نصه : (ومع شهرته « اي شهرة الامير » التامة . وأدبه الغض لم يذكره احد من المؤرخين ولم أظفر بشيء من خبره الا في وريقات بخط ابراهيم رامي وهذا من أعجب العجب اه .) فظننت اول وهلة ان المحبي انما عنى بالوريقات وريقات هذا الكراس الذي انا في صدد وصفه مذ الساعة ويكون ابراهيم رامي هو صاحب الكراس . ثم لم ألبث ان ثابت اليّ نفسي فقلت : ان ابراهيم رامي كان قبل زمن المحبي بالطبع . وحوادث كراسنا الشارد وقعت في القرن الثاني عشر اي بعد المحبي بنحو قرن كما يفهم من تراجم بعض الاعيان المذكورين فيه . على ان ما اقتبسه المحبي من (وريقات) ابراهيم رامي في ترجمة الامير حسن كلام مسهب مفصل . وماجاء في (وريقات) كراسنا نبذة من خبره . وقطعة من شعره . هما بعض ماجاء في ترجمة المحبي .

وها نحن نذكر الآن تلاخيص من كراسنا او (وريقاتنا) مع اقتباس جمل وعبارات منها تكون ذات مغزىً في أسلوبها الإنشائي او في فائدتها التاريخية :

وصف الكاتب قلَقه وحنينه الى وطنه . ثم بيّت الاستخارة عملاً بالسنة فدلت على البشارة بالسفر . قال واذذاك : « صممت العزم على التوجه والذهاب . وألويت نحو

طرابلس الفيحا الركاب » وكان يخفي سفره إشفاقاً من غُصص الدهر وعوائقه . قال : « واتفق وجود صديقنا الحميم . ومحبنا الذي على صدق الوداد مقيم . مَنْ اذا ذكرت الاماجد .... ذو الشيم التي .... والاخلاق .... والايادي .... والمكارم .... والكرم .... حضرت[1] الاخ نتيجة الزمان . مسيّر فُلك الامن في بحر الامان . مشتّت شمل اهل الكفر والطغيان . وقامع الفئة الباغية اهل الحرب والعدوان . وحامي صنجق الدعاليه (كذا) كل آن . جناب سليمان قوبطان . حماه الله .... وجمّل به الملك كما تجمّل الملك بآل عثمان » . فأخبره صاحبنا بعزمه على السفر الى بلاده وان يكون بصحبته في الغليون[2] . فقبل (وأقسم بالله ان هذا الامر غاية ما يتمناه) . و يظهر ان المؤلف كان ضيفاً على بعض اصدقائه في احدى مدن مصر فما كان يسمح له بالسفر ، لذلك قال : « أظهرت اني نازل الى العذبة لاجل توديع شقيقي لكونه قصد التوجه للبلاد .... فتوجهت الى العذبة وقد ركبت ظهر النيل . واخذت أتودع من رائق مائه العذب السلسبيل .... شعر :

(شاطئ مصر جنة ما مثلها في بلد)
(لاسيما مذ زخرفت بنيلها المطّرد) الخ الخ .

ثم ذكر قطعة من شعره في وصف النيل وهي قوله :

(أنظر الى النيل الذي ظهرت به آيات ربي)
(فكأنه في فيضه دمعي وفي الخفقان قلبي)

ثم قطعة من شعر القاضي الفاضل في وصف النيل وقطعة من قول احمد بن فضل الله العمري . وقطعة من قول ابراهيم بن عبدون . ثم قال : « فلما وصلتُ للعذبة وقد عزمت فيها على المبات .... اذا انا بقياسة[3] تنحدر مع التيار . ولم

---

(١) هكذا بالتاء المفتوحة وقد تركناها على ما كتبت كما تركنا غيرها من اغلاط الاملاء . (٢) ضرب من السفن ويكون كبيراً كما يأتي . (٣) القياسة اسم لضرب من السفن ايضاً وقد ذكرها الشيخ النابلسي في رحلته الطرابلسية مذ عدد اسماء السفن بمناسبة ما شاهده منها في ميناء طرابلس الشام .

نزل نحدر حتى جاءت ورست بجانب الدار . فاذا فيها صديقان : جناب اخينا في الله الحاج بكري فتح الله . وصديقنا الامجد . حضرة مولانا الشيخ احمد » ثم ذكر انهما جاءا ليمنعاه من السفر وان يرجع الى اهله وعياله . وهذا يدل انه كان نزيلاً مع اهل بيته في مصر وموطنه الاصلي طرابلس . ثم لما اصبح الصباح ودعهما وتوجه نحو الغليون (غليون سليمان قوبطان) قال : « فلما وصلتُ الى ما بين الموجتين . وملتقى البحرين العظيمين . وجدتهما كأنهما ملكان الخ . وقد عنى بالبحرين بحر النيل حيث يصب في البحر المتوسط » قال : « فاقتحمت ذلك العجّاج . وقد التقمت النقيرة [١] تلك الامواج » . ثم وصف هول ما لاقى في خروج النقيرة من مضيق فم النيل الى وسيع البحر حتى وصل الى الغليون ضحى النهار . فتلقاه صديقه سليمان قوبطان . واُطلق لقدومه المدافع وبهذه المناسبة عاد الى مدح القبطان والثناء على بعض أياديه . وقال انهم مكثوا على البغاذ (البوغاز) ثلاثة ايام ثم اقتحموا اللجج ضحى النهار . ولم تغرب الشمس حتى غابت أراضي مصر عنهم فأنشد :

(وخلفت مصراً من ورائي . وخاطري بمصرٍ . ولكن اين من ناظري مصرُ)
(بلادٌ بها ما يُشتهى متيسّر على جيدها يا حبذا اللفُّ والنشر)

ثم قال : « فلم نزل والغليون بنا يسير .... حتى رمينا بمينة (ميناء) حيفا بعد خمسة ايام . مضت كأنها اضغاث احلام » . وبات تلك الليلة منتظراً الصباح للنزول الى (عكا) فلما ألقتهم الفلوكة على الساحل وجد جمعاً غفيراً من الاهالي وبينهم صديقه (السيد احمد اليلداوي) فسأله عن سبب قدومه الى عكا فأخبره بخبره قال : « فشكى لي انه له نحو الشهر مقيم . ولا يجد في عكا صديقاً ولا نديم . الا الفكر والاسى . والوحشة في الصباح والمسا . وسبب هذا الفكر والكروب العظام . اختلاف حكام البلاد وانقطاع طريق الشـام » . ويفهم من هذا ان اليلداوي المذكور من اهل دمشق [٢] . ثم ان الكاتب سأل اليلداوي عما اذا كان في عكا زيارات (اي مزارات) تجلب الفرح والمسرات . فذكر له مقام نبي الله صالح فذهبا الى زيارته . ومكث

(١) النقيرة ايضاً من اسماء السفن وذكرها النابلسي في ماذكر (٢) نسبة الى قرية يلدا بالغوطة

في عكا بقية النهار وودع صديقه السيد محمد البلداوي وعاد الى الغليون . قال : « ومن جملة التيسير وجود رجل في الغليون من أبناء حلب . ممن له رقة ولطافة وأدب » فكانا يقطعان الوقت في المناشدة والمذاكرة فسأله الحلبي يوماً عن قول القائل :

(آه من لي بظبية فتانه   وهي تلهو ومهجتي ولهانه)
(ذات ثغر كأنه اللؤلؤ الرطـ ـب حكى كفها وحاكى بنانه)

ما المراد بمحاكاة ثغرها لكفها ومحاكاته ايضاً لبنان الكف ؟ فأجابه : بان ثغرها يشبه كفها بالتناسب والاستواء ويشبه بنانها بالحمرة قال : « فيكون الشاعر قصد تشبيهين : تشبيه أسنانها وتشبيه شفتيها على ما يظهر » . ثم ذكر ان هذين البيتين هما مطلع قصيدة مشهورة للامير حسن بن الاعوج حاكم حماه وسرد القصيدة بجملتها وأثنى على الامير المذكور وروى خبره الذي ذكره المحبي خاتماً به ترجمته منذ كان مريضاً مثقلاً وقد بشروه بورود توجيه إمارة حماة عليه من الباب العالي فقال ما قال وانشد الابيات الثلاثة لنفسه ومنها :

(العندليب الورد كان امامه[1]   لما قضى غنّى على النسرين)

(راجع ص ٥٠ جزء ٢ من خلاصة الاثر) . ثم عاد المؤلف الى ذكر الاديب الحلبي الذي صادفه في الغليون فقال : « وكثيراً ما كنت أتسلى بألفاظ هذا الظريف الاديب . واستملي منه كل خبر رائق . ومعنى غريب . وكان له يد في طب الابدان . ولا سيما في علم العين وفراسة الانسان . واما في الجراحة والشق والمشراط . فهو عذرتها لكنه لسوء الحظ أفرغ من حجّام ساباط . وفي اليوم الذي عزمنا فيه على السفر جاءت شختور من عكا تجدّ القدفة[2] نحونا . فتطاولت لها الاعناق . لكشف حقيقة الخبر . فلما دنوا الى الغليون خرج منهم رجل عليه سيما النجا . غير انه كالواله الذي به جنون فتقدم وسأل عن رجل له علم باستخراج الحصي من المثانة ويكون له معرفة

(١) ويروى كان سميره . (٢) كذا بالدال المهملة وصوابه بالمعجمة . والقذف والجدف والجذف كله أن يسيّر الملاّح سفينته بالمقذاف والمجداف والمجذاف .

وإحاطة وديانة . فتقدم له صديقنا (الحلبي) وقال له هذا امر خطير . فان كنت تنشد ضالة فقد وقعت على خبير . غير انه على قدر معرفة الانسان . تتفاوت الاثمان . فبيّن لي كم تدفع من النقود . وعجل الامر لأبذل المجهود . فوقع الاتفاق . لدى جمع الرفاق . على دفع مائة وخمسين قرشاً رومية . غير الذي بصحبها من الهدية . فتهلل وجهه بالفرح والاستبشار . وودعنا وسار » . ثم وصف المؤلف تلذذه بمسامرة هذا الاديب الطبيب الحلبي . وأسفه على مفارقته . ثم قال : « وفي ذلك النهار مع التغليس . حلّ الغليون وحلت المراكب والقواويس[1] . فلم نلبث الا قدر ساعة اوساعتين . حتى أظلم الجو وغابت الشمس عن العين » . ثم وصف العاصفة وهياج البحر وتعالي الامواج وانسكاب الامطار وضراعتهم الى الله . وأنشد في ذلك اشعاراً ثم قال : « ولما اشتد الحال . وزادت الأوجال اقبلت علينا القواويس والمراكب . وتزاحموا[2] علينا من كل جانب . وقالوا للقبطان ايه (ايّها) الامير . قد اشتد الحال والخطب كبير . فارجع بنا من حيث اتينا . وانظر بعين الرحمة الينا » . فرجع بهم وبعد قليل هدأت العاصفة فاستأنفوا السير حتى كشفوا قلاع حيفا . ثم وصلوا الى صيدا . قال : « فقال لنا القبطان : هل لك أرب بالدخول الى حماها . والتملي برؤية بقاعها ورباها ؟ فقلت : اما انا فلا حاجة لي بها . والامر اليك . فقال الأولى الدخول الى بيروت قبل هجوم الظلام . ثم بوّج[3] عن صيدا وقوّص لها مدفعاً تحية السلام . ولم نزل في شدة سير . نسابق الرياح والطير . حتى صرنا على رأس بيروت قبل غروب الشمس . وقلنا قد زال النصب واطمأنت النفس . فعند ذلك سكنت جميع الارياح . وقرّت

---

(١) الظاهر انه يعني بالقواويس ضرباً من السفن ولعل واحده (القياسة) التي مرت . (٢) يظهر من هذا ان الغليون هي السفينة الخاصة بركوب القبطان و يرافقها سفن أخرى للركاب او الجنود وقد سماها القواويس والمراكب ومجموع ذلك هو العمارة والاسطول و لدينا الارماذة وكلها كلمات أعجمية ماعدا العمارة . (٣) كلمة التبويج ما زالت تستعمل بين ملاحي بلادنا بمعنى العدول عن الرسوّ في مكان معين من الساحل .

حتى لا تجد شيئًا يطفئ المصباح · وصادفنا ثمة تيَّار · لكثرة جريه يقص المسمار · وهو لنا نحو البر جاذب · وقد دار علينا الراس من كل جانب · وليس لنا هواء لظهر البحر يجينا · الا التيَّار نحو البر يُلقينا · فلم نزل في عناء وكروب · حتى يسر الله لنا بريح طيبة بعد الغروب · ففدنا من الراس ودورناه · ووراء ظهرنا ألقيناه · فبدت لنا بيروت من خباها · وحصل لنا السرور لحسن مرآها · فتوجهنا لجزيرة ? بيروت وقصدناها · وبعد العشاءين أخذ القلوع والمرسه ثمة ألقاها · فنزلت من القامات نحو الستين ولم تحصل القرار بيقين · فأخذ القبطان لذلك القلق · وكاد من شدة الغيظ ان يتمزق · وامر بأخذها فدارت اللوالب · وتزاحمت على ذلك اللاوند[1] بالمناكب · وبتنا بليلة نابغية · وأحزان بعقوبية · نراعي الافلاك والنجوم · ونخشى ان يكون لنا على البر هجوم · نسمع لهيصى[2] وليصى أنغام · تجلب الفكر وتذهب المنام » · ثم ذكر ان الحالة هدأت في الصباح فركبوا الفلوكة الى بيروت فرأوا في ميناها أممًا لا تكاد تحصى · ثم قال : « فلما دنونا بفلوكة القبطان · وعلى رأسنا منشور بيرق العز والامان · ظن جميع من حضر ان بها القبطان » · ثم لما عرفوهم · بادروا اليهم وحيّوهم · وكاد يقع القتال بينهم على اخذ أثقالهم · قال : « فأصلحت بين كل فريق · ونحن نسير في قارعة الطريق » · وطريقة الصلح الذي قرره بينهم هو ان تكون أثقاله في بيت زوجة والده « لان الجبر مطلوب · وفعل الصواب ليس عنه مرغوب · وبعد ذلك نساوي بينكم بالسهام · ولا نفضّل احداً على احد ايه (ايها) الكرام » ثم استحسن قبل كل شيء ان يزور قبر والده في المصلى ? فتوجه اليه وبصحبته جمعٌ أخيار · فقرأ القرآن ودعا له بالرحمة والغفران · ثم وصل رحمه بزيارة زوجة والده · قال : « ثم في

---

(١) يظهر أن المراد بها النوتية والملاحون ولعل الكلمة طليانية الاصل كسائر كلمات البحر الشائعة في الساحل الشامي · (٢) هي ايضًا من الكلمات التي يقولها ملاحو الساحل حين مزاولة عملهم لكن يفهم من سياق كلام الكاتب انهم كانوا يقولونها عند تسيير السفينة في البحر وعهدنا بهم في طرابلس يقولونها حين إخراج السفينة الى البر لترميمها او جلفطتها او الخوف عليها من ان تحطمها الامواج ·

ثاني الايام · قدم لزيارتنا خلاصة الاحباب الكرام · جناب صديقنا الحاج محمد البشكار · بلغه الله من الخير الارطار · وكان هذا الخلص الصديق · من اعيان بيروت عن تحقيق · وخاله ذو الطبع السليم · جناب اعز احبابنا الحاج ابراهيم هو (اي البشكار) الذي بنى لاهل بيروت من المجد بيتاً رفيع العماد · ومن مكارم الاخلاق حصناً أسس دعائمه على الكرم وبالسماحة لها أشاد ··· فلما دنى وسلم ··· أنعشني ···· وذكرني الايام التي مضت بصحبة خاله ريحانة الفؤاد ···· ثم اعتذر عن التأخير ···· ودعانا للضيافة ···· فأجبناه ···· فعمل لنا يوماً كأيام الخلافة ···· وثاني يوم أضافنا الحاج قاسم درويش ···· وفي ثالث يوم أضافنا الشيخ ابراهيم الرشيدي ···· وفي اليوم الرابع تجهزنا للسفر وودعنا الاحباب · ودعونا الله ان يهيء لي في الصباح الدخول الى اوطاني · ومربعي الذي مطايا السعد أوطاني » ويعني به طرابلس الشام · ثم أبدي التشوق اليها وأنشد اشعاراً في معنى حب الوطن · قال : « ثم بعدان اغتنمنا الوقت وصلينا · سرنا على قدم التيسير وللقلوع فتحنا وماتوانينا » ثم وصف طول تلك الليلة التي ينتظر في صبيحتها الدخول الى بلده · ثم قال : « فلما أسفر الفاضح ···· لمعت بوارق الانوار · وتبدّت طرابلس الغرا من تحت الستار » · ثم وصفها ووصف رياضها وأبراجها السبعة وما قيل فيها من الاشعار · وأطال في وصف حب الوطن ولذة الاجتماع بالاهل والخلان · الى ان قال : « فلما تأهبنا للنزول · وآن لنا بحمد الله الوصول · أهّب لنا جناب أخينا سليمان قوبطان فلوكته المذهبة الأحزان · وامر بنشر الرايات والاعلام · وان يفتح فوق رأسنا بالفلوكة صنجق الاسلام · وقام بذاته المأنوسة · لا زالت بعين عناية الله محروسة · يهيء أثقالنا · و ينزل الى الفلوكة مع غلمانه رحالنا · فلما بها استقر بنا · وعناء السفر وراء ظهورنا ألقينا · قوّص لنا ثلاث مدافع · وقد زال كل كرب ومانع » · ثم وصف دنوّهم من الميناء حيث اجتمع الناس يتطالّون الى الفلوكة ويتجادلون فيمن هو القادم فيها ؟ · قال : « ولم يتخلف منهم انسان · ان الذي هو فيها هو القبطان · غير انه وقع بينهم خلاف · هل أنا بصحبة القبطان · أو في الفليون مقيم مع الاخوان؟ » · ثم وصف ما عراهم من الفرح مذ رأوه في الفلوكة وطوافهم حوله للسلام » · ثم قال :

« فتأملتُهم فلم أجد الا محبّاً أو حبيباً • او خليلاً او صديقاً او قريباً • ويقدم القوم جناب الاخ الشقيق • وبصحبته أعزخليل • وأصدق قريب • جناب مفخرالمدرسين الكرام • ابن الخالة السيد محمد افندي النقيب [١] • فتوجهنا الى باب الخان [٢] • وقد تزاحمت علينا بالسلام الأحباب والإخوان » • ثم وصف ضيق باب الخان بالجمع المزدحم الذي أحدق به كلمحة البصر • فأشار اخوه عليهم بالنهوض على ظهر الدواب والتوجه الى البلد • فركبوا اليها • ثم وصف الرياض والبساتين التي بين الميناء والبلد حتى وصلوا الى منزلهم • وكان اخوه قد هيأ لهم الغدا فتغدوا وقضى بقية النهار في استقبال الزائرين • ثم بعد ثلاثة ايام أخذ اهله واخوانه يتسابقون في إقامة المآدب له وجعل يصف مكارمهم ويثني عليهم وقد خصّ بالذكر كلاً من الشيخ عبد الله الخليلي مفتي السادة الشافعية والشيخ علي افندي الكرامي مفتي القادة الحنفية• ثم وصف احتفاءهما واحتفالها به وصفاً طويلاً • وقد توفى الشيخ علي الكرامي المومأ اليه سنة (١١٦٢) ﻫ (١٧٤٨) م فتكون زيارة كاتب الكراس لبلده طرابلس في أواسط القرن الثاني عشر للهجرة • اماز يارة الشيخ النابلسي لها فكانت في فاتحة القرن المذكور قال كاتب الكراس : « ولم أزل بغرر لفظها أشنف الاسماع • وأروح القلب المرتاع • الى ان ورد علينا صديقنا الامجد • جناب الشيخ مصطفى اللقيمي اسعد فأنزلناه منزلة العين من الانسان • وأحللناه محل الروح في الأبدان • ولم نزل نتملى بأحاديثه ... حتى وفد علينا زمن الربيع بانواره الخ » • وانتهى كلام الكراس في وصف ربيع

(١) أسرة النقيب هذه كانت معروفة في طرابلس الشام قديماً منها مفتي طرابلس السيد هبة الله افندي الذي اجتمع به واثنى عليه الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته الى طرابلس سنة (١١١٢ ﻫ — ١٧٠٠ م) وقد انقرضت هذه الأسرة في أواخر القرن الثاني عشر ولم يبق منها الا امرأة أرادت ان تحج فتزوجت بالشيخ منصور جد أسرة المقدم المعروفة اليوم في طرابلس لاجل أن يحج بها • (٢) هو خان قديم واقع على شاطيء البحر في ميناء طرابلس وكان منزلاً للمسافرين قديماً وهو اليوم مركز للتجار والتجارات لوقوعه أمام دائرة الكمرك الكبرى •

طرابلس الشام . والشيخ مصطفى اللقيمي الذي قال الكاتب انه زاره للسلام عليه . قد ترجم له المرادي وهو ليس من أهالي طرابلس وانما هو دمياطي الاصل نزل دمشق ومات فيها سنة (١١٧٨) هـ (١٧٦٤) م . وقد قال المرادي في صفته : « الشيخ العالم الفاضل الفرضي الحيسوب الكامل الأديب الناظم الجهبذ النقّاد العابد التقي الماجد الأوحد الزاهد العفيف الخ » . ولم يلقبه المرادي بأسعد كما لقبه كاتب الكراس حتى شككت في انه هو لو لم أجد في اشعار اللقيمي التي ذكرها المرادي قطعة قالها قبيل وفاته بساعات أودعها تاريخ وفاته ليُكْتَب على قبره فلم تبق شبهة في أن لقيمي المرادي هو لقيمي كراسنا والبيت الاخير هو قوله :

(ما ذا ثوى قبر اللقيمي أرخوا مستمنحٌ للعفو أسعد مصطفى)

سنة (١١٧٨) هـ

هذا ما استحسنت نشره من التعليق على ذلك الكراس والتعريف به . فلعل بعض القراء يرشدنا الى البيت الذي منه خرج . والعش الذي فيه درج . واذذاك ينتظم الشمل . ويجتمع الفرع بالأصل .

المغربي

الغريب الفصيح في العامي

— ٣ —

(٣٨) رشم مرشوم — يقولون رشم البيادر اذا ختمها بالرشم والرشم عندهم هو ما يختم العشارون به الحب على البيادر اذا تأخر كيله او وزنه والحب مرشوم مختوم بالرشم · وفي اللغة رشم الطعام ختمه كما في القاموس · وفي العين الرشم بالفتح خاتم الطعام وسماه في القاموس الرَّوْشَم وزان جعفر وفي غيره رشم كل شيء علامته وفسره في الصحاح باللوح الذي يختم به البيادر ·

(٣٩) رَفِل مُرَفِّل رفلاء — و يقولون فلان رفل بفتح فكسر وزان كتف وهو مرفِّل كمذكر وهي رفلاء وكل ذلك معناه قبيح اللبسة والعمل · وفي اللغة عين المعنى كما في المخصص ورَفل كنصر وفرح خرق باللباس وكل عمل فهو ارفل ورفل وهي رفلاء ورفلة كما في القاموس · الرفل الذيل عن المبرد واذا لم يحسن اللبسة صار ثوبه كالذيل ·

(٤٠) رم رمرم — و يقولون رم اللقمة لاكها بحركة شفتيه المضمومتين ورمرم الطعام مثله ونقال غالباً للشيوخ الذين سقطت اسنانهم · وفي اللغة رمت البهيمة تناولت العيدان بفمها كارتمت والشيء اكله · عن القاموس وفيه ايضاً وكان سا كناً فترمرم اي حرك فاه

(٤١) رهدن ، لهدن ، رهدنه ، لهدنه — و يقولون فلان تلهدن وعمل لهدنة في الشيء الفلاني اذا توانى و كسل عنه و كثير يقولون ترهدن · وفي اللغة عن المخصص قال الطوسي الرهدل والرهدن الضعيف · وفي القاموس الرهدنة الابطاء ·

(٤٢) على الريق — و يقولون فلان على الريق اذا لم يتناول طعام الصباح وما زال على الريق · وفي اللغة عن ابن السكيت اتيته على ريق نفسي واتيته رَيِّقاً اي لم أطعم ورجل رَيِّق على الريق ·

(٤٣) زعب مزعوب — و يقولون زعبت فلاناً اذا طردته وهو مزعوب مطرود · وفي اللغة الزعب الدفع قال ابو عبيد ومنه سيل زاعب وهو الذي يزعب بعضه بعضاً اي يدفع وقال ابو حنيفة زَعَب السيل تدافعه · والطرد والدفع متناسبا المعنى ·

(٤٤) زعط يزعوط — و يقولون زعط على فلان اذا صرخ به وصوّت عليه وهو يزعوط اي يُصوّت · وفي اللغة زعط الحمار صوّت قاله المجد ·

(٤٥) زعل زعلان — و يقولون زعل فلان فهو زعلان اذا اضطرب فكره ولم ينشرح صدره لامر وزعل عليه اذا كدر خاطره فأعرض ونأى عنه · وفي اللغة كما في الاساس اصاب المريض زعل شديد وعاز اي اضطراب وهو في الاصل النشاط والاشر وهو مشهور بين الائمة ومن ذلك سموا زعلاً وزعلاناً اما ما كان بمعنى الاضطراب فهو مقلوب علز المشهورة بهذا المعنى ·

(٤٦) زغزغ — و يقولون فلان زغزغ نيته في الامر الفلاني اذا تردد في نيته على غير الظاهر منها واذا لم تكن صريحة فلا يخفي منها غير ما يظهر · وفي اللغة عن الاساس زغزغ في كلامه لم يبين معناه يقال لا تزغزغ وبيّن الحق ·

(٤٧) زكرة — و يقولون للجلد الصغير الذي يدخر فيه اللبن زكرة والجمع زُكر كبركة و برك · وفي اللغة قال ابو حنيفة في كلامه على الذوارع · الزقاق الصغار وهي ايضاً الزُكر الواحدة زُكرة وقال صاحب العين تزكر الشراب اجتمع ولعلها منه ·

(٤٨) تزلع مزلّع ، تسلع ومسلع — و يقولون للثوب اذا تشقق لوهن في نسجه تزلّع وهو مزلّع وزلعت الثوب بيدي اذا شددته حتى وهي نسجه وتباعدت لحمته وكثيرون يبدلون الزاي سيناً فيقولون تسلع وهو مسلع · وفي اللغة تزلع تشقق كما في القاموس ومنه قولهم شقة زلعاء اذا كانت مشققة وفي الاساس تزلعت يده تشققت وفي الاصل الزلع شقاق في القدم والكف وعن الخليل الزلع الشق ·

(٤٩) زوّق مزوّق — ويقولون هذا الشيء مزوّق اي منقش ومزين · وفي اللغة حكى ابن سيده عن ابي عبيد بيت مزوّق اي مصور لان اهل المدينة يسمون الزئبق الزاووق فكأن البيت سمي بذلك لانه زين بتصاوير يخالطها الزاووق · وفي القاموس لانه يجعل مع الذهب فيطلي به فيدخل في النار فيطير الزاووق و يبقى الذهب ثم قيل لكل منقش ومزين مزوّق ·

(٥٠) زول — ويقولون فلان له كسم وزول وزان قول اي هيئة حسنة · وفي

اللغة عن ابي زيد في النوادر الزول واحد الازوال وهم الظرفاء والانثى زولة . وفي الاساس وفتى زول خفيف ظريف .

(٥١) سخام مسخم — ويقولون فلان مسخم مشحر اذا سوّد وجهه او جسمه بسخام القدر ويعنون بسخام القدر سواده وفلان به سخام ولطام اي مصيبة وذلك كما جرت العادة عندهم ان من فقد عزيزاً عليه او حلت به مصيبة يسود وجهه بسخام القدر ولذلك يقولون في مقام الدعاء على الشخص سخام يسخمه وشحار يشحره لان الشحار ايضاً سواد القدر او كل سواد يكون من الدخان والنار . وفي اللغة سخّم وجهه اي سوّده والاسم السخم محركة . وفي الصحاح السخمة السواد . وفي المصباح السخام كغراب سواد القدر وسخّم الرجل وجهه سوّده بالسخام ومثله عن الاساس .

(٥٢) ساخن (صاخن) به سخونة سخنة — ويقولون فلان ساخن وعليه سخونة وركبته سخنة يريدون بذلك كله الحمى وربما بدل بعضهم السين بالصاد فقالوا (صاخن) وفي اللغة كما في القاموس وتجد سخنة مثلثة وتحرك وسخنا بالفتح وسخونة بالضم حمى او حراً .

(٥٣) مسرولة — ويقولون للدجاجة مسرولة اذا نبت على ساقيها الريش . وفي اللغة كما في المخصص قال صاحب العين طائر مسرول قد ألبس ريشه ساقيه . وفي القاموس حمامة مسرولة في رجليها ريش .

(٥٤) سكّر ، سكّرة ، سكر — ويقولون سكر الباب اذا أوصده وسموا السكّرة بضم فتشديد للخشبتين المصلّبتين اللتين يقفل بها الباب ويقال وضعه تحت السكر بكسر فسكون وربما عمموا ذلك لغير الباب . ويقولون سكّر الباب اذا سدّ منفذه بالسكر وهو حديدة ذات لولب يرفع ويخفض . وفي اللغة عن صاحب العين السكر بالفتح سدّك بثق الماء ومنفجره والسكر بالكسر اسم ذلك السداد الذي تجعله سداً للبثق ونحوه وقال ابن السكيت سكرتُ النهر اسكره سكراً (من باب نصر) سددته وقال ابن دريد اصله من سكرت الريح اي سكن هبوبها .

(٥٥) سوسه — ويقولون صار لي في هذا الامر سوسه وهذا الشيء معه سوسة اذا دأب عليه حتى صار من طبعه وصار معي سوسة بهذا الشيء اي صار لي به ولع .

وفي اللغة الفصاحة من سوسه اي من طبعه والكرم من سوسه كذلك · وفي القاموس السوس بالضم الطبيعة ·

(٥٦) شخب شخباً — و يقولون شخب اللبن شخباً (من باب نصر) اذا خرج مندفعاً من الضرع متصلاً بالاناء · و يطلقون الشخبة على الدفعة منه · و يقولون شخب دم الذبيحة اذا خرج من الودج كما يخرج اللبن من الضرع · وفي اللغة الشخب بالضم ما خرج من الضرع من اللبن اذا احتلبته · والشخبة الدُفعةُ منه والجمع شِخاب وعن ابي عبيد شخب اللبن يشخب ويشخب من باب فتح ونصر · وفي العين الشخب ما امتد من اللبن حين يحلب متصلاً بين الاناء والطبي · وقال ابن دريد وصاحب العين الشخاب بالكسر اللبن (لغة حميرية) وكل شيء سال فقد شخب ·

(٥٧) شفان — و يقولون لما تذريه الريح من خيوط المطر فيضرب الابواب و يدخل في النوافذ شِفان بالكسر ثم فاء مشددة · وفي اللغة شفان ككتان بالفتح الريح · وشفيفها بردها قاله ابوحنيفة · وفي القاموس غداة ذات شفَّان بردٍ وريح · وفيه والشَف و يكسر الريح وفي الاساس وتقول عند هبوب الشفان تقلص الشفتان ·

(٥٨) شِمَالة ، شمايل ، شمّل — و يقولون شِمالة بالكسر لما يقبضه الكف من حزمة الحشيش ونحوه · ومنه شمالة الحصّاد لما يقبضه بكفه من الحصيد و يجمعونها على شمايل و يضيفون منها فعلاً فيقولون شمّل السنبل اذا جعله شمالات شمالات · وفي اللغة قال ابو حاتم وكل قبضة قبض عليها الحاصد تسمى شِمالاً (بالكسر) وفي القاموس · وككتاب كل قبضة من الزرع يقبض عليها الحاصد ·

(٥٩) شنغوب ، شنغب ، شناغيب — و يقولون للغصن يتفرع منه غصن صغير معترضاً شنغوب (بالفتح) · وشنغب الغصن صار له شنغوب وشناغيب وهو مشنغب · وفي اللغة عن ابن دريد الشنغوب (بالضم) أعلى أغصان الشجر · وفي القاموس الطويل الدقيق من الارشية والاغصان ·

(٦٠) شاط ، شائط — و يقولون شاط القدر اذا احترق فيه الطعام وشاط الطعام فهو شائط اذا كان فيه طعم من اثر الاحتراق وشيّط الطعام اذا صيره شائطاً ·

وفي اللغة عن صاحب العين شاط شيطاً وشياطةً وشيطوطةً احترق . وأشطته وشيّطته أحرقته ومثله عن القاموس . وفي المصباح شاط يشيط احترق .

(٦١) شوص ، شوَصًا ، شوصاء — و يقولون شوص يشوص (من باب ضرب) شوَصًا (محركة) وعينه شوصاء والشَوص ان يضرب انسان العين الى الاعلى . وفي اللغة كما في القاموس الشوصاء العين التي كأنها تنظر من فوق .

(٦٢) صبَّره ، صبُّور فهو مصبَّر — و يقولون صبَّروا الحنطة صبُّوراً واحداً وهذا الحب مصبَّر . وفي اللغة صبَّروا طعامهم جعلوه صُبْرَة . وفي الاساس وعنده صبرة من طعام وصبر والمال بين يديه مصبّر . وفي القاموس الصُبرة بالضم ما جمع من الطعام بلا كيل ووزن وقد صبَّروا طعامهم .

(٦٣) صُبّة — و يقولون صُبَّة بضم ثم باء مشددة وزان قبّة يريدون بها صبرة الحب من حنطة وغيرها . وفي اللغة الصُبَّة الكثبة من الطعام وغيره قاله ابن دريد (والكثبة بالضم) طائفة من طعام وتراب وغيره وكل مجتمع .

(٦٤) مصنع — و يقولون لمخزن الماء الكبير مصنع واذا أرادوا تعظيم عين محقونة قالوا هي كالمصنع . وفي اللغة المصنَعة والمصنُعَة والصنع بالكسر الموضع الذي يتخذ و يحتفر فيه بركة يحتبس فيها الماء . وقال صاحب العين وكما اتخذ من بئر او بناء مصنعة .

(٦٥) صول مصول — و يقولون صوّل الكاس بالمصول اذا صب عليه ماء ليستخرج منه الحصى وصوّل الحنطة غسلها بالماء من التراب . وفي اللغة التصويل اخراجك الشيء بالماء . وفي القاموس والتصويل اخراجك الشيء بالماء وحنطة مصوَّلة .

(٦٦) ضبّ — و يقولون ضبّ الشيء يضبه (من باب نصر) اذا جمعه اليه . وفي اللغة الضب في الحلب ان تضع إبهامك على الخلف ثم ترد اصابعك على الإبهام والخلف جميعًا . وفي القاموس وجمع الخلفين في الكف للحلب فاستعمال العامة له من المجاز .

(٦٧) الطّس — و يقولون طسّه اذا ضربه وكان به ظافراً . وفي اللغة كما في القاموس طسه خصمه وابكمه ولا تخفى المناسبة بين العامي والفصيح .

(٦٨) طلمه ، طلميّه ، طلامى — و يقولون للخبزة المكتنزة طلمه وزان ظلمه وطليمه بضم الطاء وتشديد الياء على النسبة و يجمعونها على طلامى . وفي اللغة الطلمة الخبزة وفي الحديث انه صلى الله عليه وآله وسلم مرّ برجل يعالج طلمة وقد عرق من حر النار وتأذى فقال لا تمسه النار ابداً . والتطليم ضربك الخبزة بيدك وطلم الخبزة سواها . ولما كانت الرقاق غير معروفة عند العرب كانت الخبزة المكتنزة اولى باسم الطلمة عند العامة .

(٦٩) طيْس طوّس مطوسه — و يقولون سقى الارض (طيس) وطوّس الارض اذا سقاها بالماء الكثير بان يغمرها كلها وفلان في نعمة طيس اي كثيرة والاسم التطويس . وفي اللغة الماء الطيس الكثير عن ابن دريد او هو العدد الكثير او كثرة كل شيء من الرمل والماء وغيره عن القاموس وطاس بطيس كثر عن الائمة .

(٧٠) عنته — يقولون عنته بالشيء عنفه لائماً و وبخه وقال له فعلت وفعلت . وفي اللغة عته بالكلام و بخه كما في القاموس فتزيد فيها العامة تاء ثالثة مع بقاء المعنى كما هو .

(٧١) عجي ، عجيه ، عجيان — و يقولون للولد الصغير عجي كصبي وعجيه كصبيه و يجمعون على عجيان كغلمان وعجان بالكسر . وفي اللغة عجوت الولد وعجيته عجواً فهو عجي والانثى عجيه عللته بالطعام واخرت رضاعه وقد عوجي اذا منع من اللبن وغذي بالطعام والاسم العجوة بالفتح و بالضم وعن الزجاجي العجي من الناس الذي تموت امه فيقام عليه فاذا مات ابوه فهو يتيم فاذا ماتا معاً فهو لطيم .

(٧٢) عرزال — و يقولون لما يبنى من غصون الشجر عالياً عن الارض عرزال وزان مروال ويسمونه السرير ايضاً ينام فيه ناطور الزرع والبيادر والبساتين وانما يرفعونه عن الارض حتي لا ترقى اليه الهوام ولا الوحوش . وفي اللغة العرزال مايبنيه الناظر فوق النخل والشجر فراراً من الاسد وهو ايضاً موضع الاسد ومايمهده لاشباله من القصب وانه البيت يكون فيه الملك اذا قاتل . وفي القاموس هو موضع يتخذه الناطور في اطراف النخل خوفاً من الاسد .

(٧٣) عرقب — و يقولون فلان عرقب من الخوف اي وهن عرقوبه فلم يقدر

على المشي ويقولون فلان عرقب خيله اذا قطع عراقيبها · وفي اللغة عرقبه أصاب عرقوبه · وفي القاموس عرقبه قطع عرقوبه ·

(٧٤) عرمه — ويسمون ما يجمعون من أكداس الزرع بعد ان تداس عرمة وزان قصبة ويجمعونها على عرم وعرام ويشتقون منهـا فعلاً فيقولون عرّم فلان بيدره · وفي اللغة عن المصباح اذا دقت أكداس الطعام ودرست فهي العُرمة وزان غرفة والعرمة وزان قصبة لغة فيها · وفي القاموس العرمة محركة رائحة البطيخ والكدس المكدوس لم يذرّ ·

(٧٥) العطبة ، العطب — ويقولون للثياب القطنية عطب وزان قفل وفي رائحة القطن المحروق عطبة وزان غرفة ويقولون فلان عطّب لفلان اي أحرق له قطنـه وأنشقه ريح حريقها · وفي اللغة عن المخصص العطب (كقفل) القطن واحده عطبة ومثله في القاموس وقال ايضاً والعطبة خرقة تأخذ بها النار · وفي الاساس اجد ريح عطبة اي قطنة محترقة وقال ابن هرمة :

وجئت بعطبتي أسعى اليهـا   وما خاب اعتطابي واقتداحي

(٧٦) عفك معفوك عفكة — ويقولون فلان عفك عمله عفكاً اذا لم يقم به على وجهه فكان غير منتظم وفلان انعفك وهو معفوك وعليه عفكة اذا اختلط الناس حوله وعفكه اذا جعله لا يحسن العمل · وفي اللغة عن القاموس عفك الكلام يعفكه لم يقمه والأعفك الأعسر ومن لا يحسن العمل والعفك الحمق والمناسبة ظاهرة بين العامي والفصيح ·

(٧٧) عقرب ،معقرب — ويقولون عقربت الخيط اذا فتلته حتى التوى بعضه على بعض وخيط معقرب بصيغة الفـاعل والمفعول هو كذلك او فعل به ذلك · وفي اللغة كما في المخصص في قول الشاعر :

(وجاؤا يجرون الحديد المعقربا)

قال زعم ابن دريد انه يريد الدروع لان حلقها ملوية يقال عقربت الشيء لويته وفي القاموس والمعقرب بفتح الراء المعوج والمعطوف ·

(٧٨) عقّب — ويقولون عقّب على الشيء اذا ثنى شده بخيط او نحوه بعد

شدته الاولى حتى لا يفلت . وفي اللغة عَقَبت السهم أعقبه عقباً وعقّبته شددته بالعقب وكذلك كل شيء تكسر فشد حكاه ابن سيده عن صاحب العين والعقب محركة عصب المتنين والساقين والوظيفين كانوا يتخذونه للشد . وزاد في القاموس وهو العصب تعمل منه الاوتار وعقب القوس لوى شيئاً منها عليها .

(٧٩) معمرط — و يقولون فلان معمرط بصيغة الفاعل اي طويل وعمرط اي امتد جسمه وطال . وفي اللغة عن القاموس في مادة (ع م ر ط) وكبرقع الطويل .

(٨٠) عنفص — و يقولون عنفص فلان اذا تكلف القوة وهو ظاهر العجز فهو معنفص والمصدر العنفصة . وفي اللغة النعنفص الصلف والخفة والخيلاء والزهو وربما كانت في اللغة العلفصة باللام بدلاً من النون وهي كما في القاموس ان تلوّي من يصارعك تلوية وانت عاجز عنه .

(٨١) العيش — و يسمون الخبز العيش وكثير من يجعله مرادفاً للفظ الخبز . وفي اللغة حكى ابن سيده عن ابن دريد العيش الطعام بلغة اهل اليمن وفي كتاب العين ان الطعام غلب على الخبز والبر .

(٨٢) عيط ، عيطة ، العياط — و يقولون عيط فلان لفلان بتشديد الياء اذا ناداه برفيع الصوت . وعيط فلان اذا رفع صوته بالكلام . و يقولون قامت العيطة اذا علا الصراخ والاسم العياط . وفي اللغة عيط اذا مد صوته بالصراخ وهو العياط عن الاساس فكأنه مأخوذ من العَيَط محركة وهو طول العنق لان الذي يمد صوته يمد عنقه على الغالب . وفي القاموس التعيُّط الصياح او صياح الأَشر (الاشر البَطِر كافر النعمة) .

(٨٣) غلث غلثة — و يقولون للحنطة وغيرها من الحبوب اذا كان فيها زوان وتراب ونحوهما هي غِلْثة وزان سِدرة وهذا الحب غلث وزان كتف وإبل . وفي اللغة المغلوث طعام فيه مدر وزوان . قال ابو عبيد الغليث من الطعام المخلوط بالشعير فاذا كان فيه المدر والزوان فهو المغلوث . وفي القاموس الغليث الطعام يُغَث بالشعير كالمغلوث .

(٨٤) فحم مفحم — و يقولون بكى الصبي حتى فحم اذا انقطع صوته من البكاء .

وفي اللغة عن القاموس وخَمَ الصبي كنصر وعلم وعني خماً وخاماً وخوماً بالضم بكى حتى انقطع نفسه · وفي المصباح خم الصبي يخم بفتحتين خوماً وخاماً بالضم بكى حتى انقطع صوته ومنه قيل أخمت الخصم إخاماً اذا أسكته بالحجة · وفي الاساس بكى الصبي حتى خم انقطع نفسه واربد وجهه وأخمه البكاء ·

(٨٥) فدغ مفدوغ — و يقولون فدغ فلان فلاناً يفدغه (من باب فتح) اذا جرحه في رأسه ورأسه مفدوغ مجروح · والبطيخة ونحوها مفدوغة اذا كانت مضروبة ضربة تنفذ في جوفها · وفي اللغة عن القاموس فدغه كمنعه شدخه او هو شدخ الشيء المجوف · وقال ابو زيد فدغت أفدغ وثلغت أثلغ وشدخت أشدخ معناهن واحد ولا يكنّ الا في كل رطب و يقال شدخت رأسه وثلغته ايضاً وكذلك البطيخة والكمء وما كان رطباً ·

(٨٦) فرشخ فرشخة — و يقولون فرشخ بالخاء المعجمة اذا باعد ما بين رجليه وهو يمشي فرشخة اذا كان يمشي مباعداً ما بين رجليه · وفي اللغة تفرشحت الناقة بالحاء المهملة تفحجت للحلب وفرشح فرشحة وفرشحى وثب او قعد مسترخياً فألصق فخذيه بالارض او فتح بين رجليه عن القاموس وظاهر من ذلك تحريف العامة باعجام الحاء وجعلها خاء وله نظائر وظاهر ايضاً المناسبة بين العامي والفصيح ·

(٨٧) فرعه — و يقولون فرعه بالعصا اذا ضربه على رأسه · وفي اللغة فرع رأسه بالعصا ضربه بها او علاه عن ابي عبيد ومثله عن القاموس وكأن فرعه مأخوذ من الفرع ومعناها فرعه على فرعه وفرع كل شيء أعلاه فهو من المجاز ·

(٨٨) الفرض مفروضة — و يقولون فرضت على العصا فرضاً او على العود اذا حززت فيه بالسكين وعصاً مفروضة · وفي اللغة عن ثعلب الفرض الثقب والحزّ جمعه فروض وفراض وعود مفروض وفريض قال ابن السكيت فرضت العود والمسواك أفرضه فرضاً (باب ضرب) حززت فيه · وفي القاموس (الفرض) الحزّ وفي غيره مثله وأنشد في الاساس :

(شخت الجزارة في ساقيه تفريض)

اي تحزيز ومنه فرضة القوس لموضع حزّها للوتر عن المصباح ·

(٨٩) الفزر ، فزرته ، مفزور ، انفزر — و يقولون فزرت البطن والظرف افزره (من باب ضرب) اذا خرقتـه وشققته ونفزر جسم فلان اذا امتلأ لحماً وشحماً حتى كاد ينشقق من الامتلاء . وفي اللغة عن صاحب العين انفزر الثوب تشقق . وعن ابن دريد فزرته أفزره فزراً . وفي المصباح هو من باب ضرب قال وفزر الثوب ونحوه فزوراً انشق . وفي القاموس فزر الثوب شقه فتفزر وانفزر ثم قال والفزراء الممتلئة لحماً وشحماً .

(٩٠) فزّ ، فَزْفَزَة — و يقولون فزّ الولد وغيره فزّاً اذا وثب و يقولون تعلّم فلان الفز اي الوثوب وهو شاطر بالفزفزة يريدون النز . وفي اللغة الفز ان يجمع الظبي قوائمه و يثب حكاه ابن سيده في المخصص . والفز الخفيف ومنه استفزه الخوف اي استخفه قاله الائمة . وفي القاموس فز عدل وانفرد والظبي فزع . وكلها ترجع في الحقيقة الى معانٍ متقاربة وربما كان الاصل متحداً .

(٩١) فشخ — و يقولون فشخه اذا جرحه برأسه ولايطلقونها الا على جرح الرأس وفي اللغة الفشخ ضرب الرأس باليد . قال في القاموس فشخه كمنعه ضرب رأسه بيده و يقولون فشخ فلان اذا وسع خطاه ووسع فلان فشخته اذا باعد ما بين مواقع أقدامه . وفي اللغة فشح بالمهملة كمنع فرج ما بين رجليه كفشّح .

(٩٢) فشة خلق — و يقولون دعني أفشُّ خلقي اي اظهر ما يحوك في نفسي ليذهب ما بها من ألم الغم ويسمون رئة الانعام في الذبائح فِشه بكسر الفاء لانها اذا عصرت خرجت الريح المخزونة في خروبها . وفي اللغة فششت الضرع اخرجت مافيه عن ابن حاتم وتوسع ابن دريد فقال فششت الوطب أفشه فشاً اخرجت ما فيه من الريح بعد ان كان منفوخاً وجعل الفارسي هذا من ذلك .

(للكلام تتمة) احمد رضا

عضو المجمع العلمي

تاريخ الطب عند العرب

— ٣ —

وقد نبغ الى جانب الرازي في الطب علي بن العباس المجوسي من الاهواز وقد كان طبيباً مجيداً متميزاً في صناعة الطب · ومن موجبات الاسف اننا لم نقف على كثير علم من ترجمته · وله الكتاب المشهور الذي يُعرف بالملكي صنفه للملك عضد الدولة الديلمي من آل بويه · وهو كتاب جليل مشتمل على أجزاء الصناعة الطبية علمها وعملها في عشرين مقالة · وقد نسق فيه سبل الأقدمين ما عدا المفردات الطبية فزاد عليها كثيراً · وفيه لابن العباس نظريات ومشاهدات خاصة في الحصاة وانقلاب الرحم وهو اول من ذكر فرقعة العظم في تشخيص الكسور وحصول الكسر من جراء التقلصات العضلية الشديدة · وقد انتقد المجوسي في مقدمة كتابه الملكي أعاظم الأطباء الاقدمين والمعاصرين له ، وأظهر نواقص كل منهم مما ينطق ببعد نظره وسعة علمه · والملكي هو الكتاب الوحيد في الطب الذي حمله الصليبيون معهم الى اوربا ونقله الى اللاتينية قسطنطين الافريقي الشهير وانتحله لنفسه تحت عنوان بانتيني ودرسه في مدرسة سالرنة فطار ذكره في جميع انحاء اوربا ولقب بالنابغة المجدد الى ان ترجم الملكي الى اللاتينية آتيان الانطاكي في القرن الثاني عشر للميلاد فانكشف اذ ذاك عن حقيقة قسطنطين الحجاب واتضح انه منتحل لخيرة الكتب العربية كما سيأتي بيانه ·

وبينا العرب في المشرق يستقطرون العقاقير ويحلون المعادن ويستخرجون الكحول ويصفون الحصبة والجدري ويعالجون الحميات بالماء البارد كان اخوانهم في المغرب في تلك الاندلس الجميلة يشرحون الاجساد ، ويخزعون الحصاة ، ويجبرون الكسور ، ويعملون الاعمال الجراحية الكبرى ، وفي رأسهم ابو القاسم الزهراوي محيي الجراحة ومجددها ·

ولد ابو القاسم في الزهراء قرب قرطبة ، وقد اختلف في تاريخ ولادته ويغلب ان تكون في أوائل القرن الحادي عشر · وكان طبيباً فاضلاً خبيراً بالادوية المفردة والمركبة وجراحاً كبيراً بلغ بالجراحة مبلغاً لم يصل اليه غيره من الاطباء في ذلك التاريخ ·

أهملت الجراحة زمناً عند العرب على نحو ما بقيت أعصاراً مهملةً عند الغربيين . وكان العرب يحتقرونها لانها صنعة يدوية . و بالنظر لامتناعهم من تشريح الموتى وقناعتهم من هذا الفن بما يدرسونه في كتب الأقدمين ظلت الجراحة عندهم متأخرة زمناً غير قليل . ومازال حال الجراحة والتشريح من الاهمال على ذلك حتى جاء ابوالقاسم الزهراوي فحطم بجديد جرأته تلك القيود ، وبدد بساطع حجته تلك الاوهام ، ونهض بالجراحة من سافل محطها الى اسمى مايليق بها من الكرامة والرقي . فحث على درس التشريح وحض على تشريح الموتى . وبذل كل ماأوتيه من قوة في سبيل ترقية الجراحة وتعليمها . وله في صناعة الطب تصانيف مشهورة أفضلها كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف وهو مؤلف من ثلاثين كتاباً . اول كتاب منها يبحث في العموميات الطبية ثم يأتي درس الامراض على اختلافها بالترتيب ويمتاز الكتاب الواحد والعشرون بفصل خطير يبحث فيه ابوالقاسم في تفتيت الحصاة داخل المثانة وكيفية صنع هذه العملية ذات الشأن التي لم يسبقه اليها احد . وفي الكتاب الثامن والعشرين يبحث في الادوية البسيطة ويقسمها الى ثلاثة أقسام الأدوية المعدنية والأدوية النباتية والأدوية الحيوانية . وهو كتاب فريد في بابه مبتكر في تصنيفه غني بشروحاته في الأدوية المفردة . اما الكتاب الثلاثون فهو أجل ما كتب وخيرة ما ابتدع في الجراحة الى ذلك العهد نقله جراردي كريمونا الى اللاتينية في القرن الثاني عشر في مدينة طليطلة ومنه نسخة في المكتبة الأهلية في باريز رقم ٧١٢٧ .

ويمتاز هذا الكتاب بالصور والرسوم فهو اول مؤلف شوهدت فيه رسوم الأعضاء والهيكل العظمي ورسوم جميع الآلات الجراحية المذكورة في متنه مع وصف كيفية استعمالها . وهو يقسم الى ثلاثة أقسام : فالجزء الاول يبحث في الكي وفوائده وفي الأمراض المختلفة التي ينفع فيها . ويبحث ابوالقاسم في الجزء الثاني في الجراحة بالآلات القاطعة وفيه يتكلم على كيفية استئصال السليلة الأنفية (البوليبوس) بواسطة آلة اخترعها لهذه الغاية على شكل صنارة ويصف كيفية استئصال العقد اللنفاوية الرقبية المزمنة ويبحث في كيفية اخراج السهام الداخلة في الجسم ويتكلم في الجروح النافذة في البطن والصدر وفي طريقة اخراج الاجسام الاجنبية من داخل المري بواسطة اسفنجة متصلة

بخارج الفم بخيط متين ، وفي قدح العين بواسطة آلة مجوفة يمتص منها . و يستدل من مشاهداته انه أجري تدر يز البطن (Gastrovrhaphie) وخزع القصبة (Bronchotomie) وانه اول من خزع الحصاة عند المرأة (Lithotomie) وقدعثرنا على وصفه هذه العملية الخطيرة في ذيل كتاب الحصى للرازي المنوه به سابقاً . وهو اول من أصلح طرز عمليات البتر وكان من قبْله يبترون القسم المعتل فقط ، اما هو فقد أوصى بالقطع في الأنسجة السالمة عن بعد من الأنسجة المريضة كما هي الطريقة المتبعة اليوم . وقد قال هلرو بورتال ان اباالقاسم وصف قبل (امبرواز باره) ربط الاوعية . و بحث ايضاً في هذا الجزء في الولادة فأشار بقلب الجنين في الاعتلان المستعرض وذكر طريقة تفتيت الجنين ووصف الآلات اللازمة لجذبه ولتوسيع عنق الرحم وفيه مشاهدة مهمة في الحبل خارج الرحم . و بحث ايضاً في الالتهابات المتقيحة فأوصى بخزع الخراجات القريبة من المفاصل في بادىء ظهورها و باستئصال جميع الاقسام المريضة في الالتهابات العظمية وذلك خير ماتوصي به الجراحة الحديثة . و ينتهي هذا الجزء بتعداد القواعد التي يجب مراعاتها في العضد .

اما الجزء الثالث من هذا الكتاب فهو يبحث في الكسر العظمي والتجبير وخلع المفاصل ومعالجته . و ينتقد على ابي القاسم في هذا الباب ترجيحه استعمال الآلات الميكانيكية في إرجاع الخلع وتجبير العظم على الأيدي . و يتكلم في هذا الجزء عن الخلع المزمن وطرق معالجته وهو اول من اشتغل بهذا الموضوع .

هذه هي خلاصة أبحاث كتاب التصريف ومنها تتجلى للابصار منزلة ابي القاسم الرفيعة في عالم الجراحة والانقلاب العظيم الذي أحدثه (التصريف) في انحاء العالم .

قال الاستاذ بوشوت في كتابه تاريخ الطب والمذاهب الطبية (ص ٣٥٢) ما تعريبه : ان جراحة ابي القاسم التي ترجمها حديثاً لوسين لكران هي وايم الحق مبتكرة وهي اهل للمديح الكثير الذي وصفها به فبريس دكابندانتي (القائل ان ابا القاسم يعد المثل الاعلى للعلم) فاننا نشاهد فيها كثيراً من الرسوم (الى ان قال) وقد حييت بهذا الطبيب الجراحة العملية الخطيرة المندرسة من عهد بعيد . فقد استأصل سليلة الانف وعالج بحجر جهنم . واستعمل الكاويات في أمراض لم يجسر احد قبله ان

يستعملها فيها . وكان يؤثر الحديد على غيره من المعادن فعالج بالكي بالحديد تقلصات الوجه الاختلاجية المؤلمة وكان يكوي فيها خلف الصدغ او عند ملتقى الشفتين وعالج بالكي الجذام الدرني والقروح السرطانية والنزف الخ » . وجاء في خطاب الاستاذ فورغ الجراح الحالي الشهير الذي ألقاه في تشرين الثاني ١٩٢١ في الاحتفال الذي عقد احتفاءً بمرور سبعمائة سنة على جامعة مونبلييه ما تعريبه : في القرن العاشر والحادي والثاني عشر وضع العرب واليهود (وكان اليهود الصلة بين العرب والفرنج) في مونبلييه أسس المعارف الطبية . وكانت مدارس الطب في الاندلس حافلة زاهرة كمدارس الطب في آسيا . وفي القرن التاسع (والصحيح الحادي عشر) ظهر في قرطبة ابو القاسم الذي أحدثت كتبه الجراحية في جامعتنا هذه أعظم تأثير يدلنا عليه استشهاد الاستاذ جي دي شولياك به اكثر من مائتي مرة » وقد ترجم القسم الجراحي من التصريف جراردي كريمونا الى اللاتينية وترجم كله الى العبرانية واللغة البروفانسالية وغيرها . وانتشر في اوربا انتشاراً هائلاً وأحدث فيها انقلاباً جديداً ودرس في اول عهده في سالرنة وغيرها من مدن ايطاليا زمناً طويلاً وحمله الى فرنسا في القرن الثالث عشر فريق من الاطباء الايطاليين الذين التجأوا اليها لاحكام سياسية ومنهم روجي دي بارمه الذي نالت مؤلفاته في الجراحة شهرة عظيمة ، وهي لم تكن في الحقيقة سوى انتحال افكار ابي القاسم في الجراحة وأعماله فيها . ولا أرى أجل برهان على ذلك من تصريح الفرد فرانكان في كتابه التنقيب عن اصول الجراحة ورقيها في فرنسا (ص ٣٢) ما تعريبه : « جدد ابو القاسم ذلك النابغة الرحب الجسور فن الجراحة عند العرب فطار ذكره في الأقطار ودخلت مؤلفاته ايطاليا فكان فيها ابو القاسم دليل الجراحين في أعمالهم وفي تصانيفهم . وما الجراحون الذين نبغوا في ايطالية بعد ابي القاسم الا نقلة ومقلدون لهذا الرجل العظيم . وقد نظر الى هؤلاء الجراحين بعين الإعجاب وعدوا مجددين للجراحة على انهم في الحقيقة لم يزيدوا على الجراحة أقل شيء جديد . بل أدخلوا فيها اختلافات كثيرة (الى ان قال) وقد أخذ من كتاب ابي القاسم روجي دي بارمه كل القواعد التي تتألف منها مصنفاته ولم يذكر مآخذها وانتحلها لنفسه فنال بذلك تلك الشهرة والمكانة العظيمة» .

هذا هو ابو القاسم وتلك أعماله وهذه شهادات أعاظم أساتذة الطب الحديث في اوربا بفضله وعلو مكانته ، ولا أرى ان أزيد عليها الا ما قاله الاستاذ فرند الانكليزي ابو القاسم هو محيي الجراحة ومجددها » .

* * *

وبينما كان بدر ابي القاسم يتلألأ في سماء الاندلس كانت تضيء في خراسان شمس ابن سينا ذلك الشيخ الرئيس فتنير باشعتها ظلمات الافكار وتمزق بانوارها غوامض العقول .

ولد الحسين ابو علي بن عبد الله بن سينا في بخارى عام ٣٧٥ للهجرة وكان آية في الذكاء ومعجزة بقوة الادراك أتقن اللغة والأدب وهو في العاشرة من عمره . ثم درس الفلسفة العقلية والالهية والفقه والرياضيات والطب وما وراء الطبيعة ، وفاق أهل زمانه في كل هذه العلوم وهو لم يتجاوز الثاني عشرة سنة من عمره . وقد قلده الامير شمس الدولة الوزارة في همذان فتقلدها ثم عزله وحبسه لاسباب ادارية ، وكان شمس الدولة مصاباً بالقولنج فاشتد عليه الألم فطلب الشيخ واعتذر اليه فاشتغل بمعالجته ، وأقام عنده مكرماً مبجلاً . وأعيدت الوزارة اليه ثانياً وبقي فيها الى ان توفي شمس الدولة وخانه تاج الملك فاتهم الشيخ بمكاتبة علاء الدين امير اصفهان فسجنه اربعة اشهر ثم خلى سبيله فذهب الى اصفهان وصادف فيها في مجلس العلاء ما يستحقه من الإكرام والاعزاز . وكان ابن سينا شديد القوى كلها وكان شديد الشبق كثير الوقاع والشرب فأثر ذلك في مزاجه فاعتراه مرض القولنج في اصفهان ولما اشتد به رجع الى همذان وتوفي فيها عن عمر يناهز الثالثة والخمسين سنة ٤٢٨ للهجرة . وله مؤلفات عظيمة في جميع العلوم وأشهر ماألفه في الطب كتابه القانون ومنه نسخة في دار الكتب العربية في دمشق . وهو أشهر من نار على علم جمع فيه زبدة ماوصل اليه علم الطب عند اليونان والكلدان والفرس والهنديين وانتقد كثيراً من أقوال سلفه وزاد عليهم أشياء كثيرة . وقد لقي القانون في الشرق وفي اوربا رواجاً لم يلقه كتاب غيره . وهو يقسم الى خمسة أجزاء فالجزء الاول يبحث في النظريات الطبية وفيه ينحو منحى جالينوس وينهج منهج ارسطاطاليس . والجزء الثاني يحتوي على ثمانمائة فصل في المفردات الطبية

ومنها مواد كثيرة كان يجهلها الأقدمون . وبحث الجزء الثالث في الامراض الموضعية من الرأس الى القدم . والرابع في الامراض التي من شأنها ان تعتري اعضاء مختلفة كالغرغرينا والخراجات مثلاً وابن سينا اول من فرق الحميرة اي الحمى القرمزية عن الحصبة والجدري . اما الجزء الخامس من القانون فهو مختص بالصيدلة ، ولا يخفى ما كانت عليه الصيدلة عند العرب في ذلك العهد من التكامل ، ففي هذا الجزء فصول ضافية عن المركبات التي أوجدها العرب كالمعوفات والأشربة والصباغ والكحولات والربوب وغيرها من التراكيب الصيدلية . وذكر في هذا الجزء المداواة بالذهب والاحجار الكريمة مما رجع اليه فن المداواة الحالي وانتقد استعمال المسهلات القوية واوصى بتعديلها او بالاستعاضة عنها بالملينات . وكان يستعمل الفصد ويوصي به في أمراض كثيرة ويداوي السويداء بالأرجوحة . وقد أدرك المتخصصون بالامراض العقلية والعصبية فائدة المداواة بالاهتزاز في هذا العهد الأخير . اماالقسم الجراحي من القانون فليس فيه ميزة خاصة يمتاز بها . وقد لقي القانون أعظم إقبال ورواج في عالم الطب في الأقطار والأمصار فترجم الى لغات متعددة وشرح شروحاً كثيرة وكان عليه معول التدريس في اوربا في المدارس الطبية مدة خمسمائة سنة . وكان في جانب جالينوس وأبقراط المرجع الاعلى في العالم الطبي . وقد طبع القانون لأول مرة بالعربية في روما سنة ١٥٩٣ ونقله في القرن الثاني عشر الى اللاتينية جراردي كريمونا وما جاء القرن الرابع عشر حتى أعيدت ترجمته اربع عشرة مرة . وما زال القانون حجة الأطباء وموضع الإعجاب الى أواخر القرن المنصرم فأضاع شيئاً من تلك العظمة وذلك لان الطب الحديث لم ينظر اليه من الوجهة التي نظر اليه منها السلف فهو في نظره قاموس في الطب والصيدلة جمع خلاصة أبحاث اليونان والكلدان والهنود والفرس والعرب في الامراض ومعالجتها والعقاقير وخصائصها فهو كتاب جليل من حيث الجمع والاستيعاب ولكنه دون الملكي والتصريف من حيث التجدد والابتكار . غير ان هذا الحكم لا يمس عظمة ابن سينا ومقدرته العلمية فهو لم يزل لدى المتأخرين كما كان عند المتقدمين ، نابغة في الذكاء ، بحراً في العلوم ، أشبه به بمعلمة (دائرة المعارف) حية تكاثفت فيهما علوم الأقدمين من الفلسفة

والالهيات واللغة والادب والفقه والكيمياء والحكمة والرياضيات والفلك والموسيقى والطب مما لم يشاهد في انسان غيره . وقد صنف في كل هذه العلوم وأجاد وكتبه تربو على المئة . قال الاستاذ بوشوت في تاريخ الطب والمذاهب الطبية (ص ٣٤٩) مهما كثرت الأقوال (في ابن سينا) فهنالك صوت عال تصمت أمامه انتقادات المؤرخين ألا وهو صوت عظمة ابن سينا وتأثير مؤلفاته . (الى ان قال) ومؤلفاته (الأصح مؤلفه) المدعوة بالقانون ظلت بحق القانون والدستورالطبي في آسيا واوربا مئات من السنين . وقد بلغ الاعجاب بهذا المؤلف فياوربا بحيث اقتصر معها اساتذة الطب في الجامعات على قراءة متنه وشرحه . فكان جرنر دي رولفنك يشرحه في جنوة في القرن الثامن عشر وكذلك في لوفن من مدن البلجيك وكان قد طبع شرحه فيها بالجبوس عام ١٦٥٨ . وظل التدريس على هذه الصورة في مونبيلية زمنًا طويلاً .

* * *

وبينا نشاهد الطب الحديث ينازع ابن سينا لقب المجدد ، نراه يجود بهذا اللقب على ابي مروان عبد الملك بن ابي العلاء بن زهر . أعظم طبيب عربي فاق من تقدمه من الوجهة العملية واكبر مجدد في فن الطب نزع عنه ما خلق من النظريات التي لم تؤيدها المشاهدات ولم تسندها التجارب . فكان يسير الى جنب ارسطاطاليس كلما جمع ما بينهما العلم والعمل و يفترق عنه كلما خالفت التجارب نظرياته ، ومما ساعده على النبوغ في الطب عدم اشتغاله بغيره من العلوم كمعاصريه من الاطباء . ولد عبدالملك ابن زهر في اشبيلية في الاندلس من أسرة جل أفرادها اطباء ، فقد كان جده مروان بن زهر ووالده ابو العلاء بن زهر من خيرة الاطباء المشهورين بالحذق والمعرفة . وكذلك ولده الحفيد وأحفاده فقد كان لهم منزلة رفيعة في الطب والمداواة كما ان ابنته وحفيدته كانتا عالمتين بصناعة الطب والقبالة ومداواة النساء وكانتا تدخلان الى نساء المنصور ولا يقبل للمنصور واهله ولداً الا هن . وكان ابو مروان جيد الاستقصاء في الادوية المفردة والمركبة حسن المعالجة . شاع ذكره في الاندلس واوربا واشتغل الأطباء بمصنفاته . ولم يكن في زمانه من يماثله بالجراحة فقد كان

يفصد مرضاه بيده ، ويجري جميع العمليات الجراحية ماعدا خزع الحصاة عند المرأة ، فقد كان يمنع منها المانع أدبي . واختص عبد المؤمن امير المؤمنين ابن زهر لنفسه وجعل اعتماده عليه في الطب وأناله من الأنعام والعطاء فوق أمنيته وكان مكيناً عنده عالي القدر وألف له الترياق السبعيني وتوفي سنة خمسمائة ونيف ودفن في اشبيلية وقد اشتغل عليه في الطب كثيرون . وكان من أجل تلاميذه في صناعة الطب والآخذين عنه ابو حسين ابن اسدون المشهور بالمصدوم وابو بكر بن الفقيه القاضي ابي الحسن قاضي اشبيلية وابو محمد الشذوني وابو عمران ابن ابي عمران (طبقات الاطباء ج ٢ : ٦٧) ولاصحة لما قاله بعضهم من ان ابن رشد كان من تلاميذه كما سنبينه فيما يأتي .

ومن أجلّ كتبه في الطب كتاب التيسير في المداواة والتدبير ألفه للقاضي ابي الوليد محمد بن احمد بن رشد وكان قد سأله ذلك ابن رشد ليكون متمماً لكتابه الكليات ولم يعثر على سواه من كتبه وهو كتاب عملي سهل المأخذ بصورة كناش بخلاف الملكي والقانون اللذين امتازا بصفتها العلمية المدرسية . وقد درس فيه ابو مروان الأمراض بالتتابع من الرأس الى القدم ، ووصف الأعراض الداخلة على كل عضو من الاعضاء بمفرده عرضاً عرضاً ، ومعالجة كل منها وطرق تركيب الادوية بصورة ممتازة من الأقاويل الجزئية ذات المكانة الكبرى في فن الطب . وحمل ابن زهر حملات عنيفة على الدجالين والمنجمين الذين شوّهوا وجه الطب بالخرافات والتدجيل . وكان لابن زهر وقوف تام على التشريح لا سيما الهيكل العظمي وكان يتردد الى المقابر يدرس فيها العظام . ومن المشاهدات الخاصة بابن زهر مشاهداته في الفلج والكنة وأمراض الجهاز الهضمي وخراجة غلاف القلب وذات غلاف القلب وغيرها . ومن مبتكراته استعماله أنبوبة مجوّفة من القصدير لتغذية المصابين بعسر البلع واستعماله الحقن المغذية في المستقيم وكان من قبله يجهلون ذلك ويستعملون مغاطس الحليب للمصابين بهذه العلة وقد انتقد هذه الطريقة بصورة حقة . وقد نبذ استعمال المسهلات الشديدة وكان يستعيض عنها بالملينات . وكانت له مهارة تامة في تشخيص الكسور وتجبيرها وقد أجرى كثيراً من العمليات الخطيرة كخزع

القصبة · وهو اول من لفت النظر الى إمكان ايجاد خواص في النبات غير موجودة فيه كاعطاء العنب خاصة الاسهال وذلك بسقي كرمته بماء مزيج بأدوية مسهلة مما أحدث في علم خواص النبات تجديداً محسوساً · وابلى ابو مروان ابن زهر بلاءً حسناً في تجديد فن المداواة ونشر التدبير البسيط في معالجة الأمراض بدل التدبير المشوش بالمفردات الكثيرة والتراكيب المتعددة ·

وأُصيب ابن زهر بخراجة في حيز المثلث الصدري ووصف هذا المرض في كتابه وهي اول مشاهدة عثر عليها الطب في ذلك · قال الاستاذ بوشوت في تاريخ الطب (ص ٣٥٥) اشتغل ابن زهر زمناً طويلاً بالجهاز العظمي حتى تمكن من معالجة الكسر والخلع معالجة دقيقة · وقد أجرى مراراً فتح الميت مما ساعده على وصف التشريح المرضي في خراجة حيز مثلث الصدر · وذات غلاف القلب واستسقاء غلاف القلب والالتصاقات الليفية القلبية التي يدعوها الزوائد القلبية · وعني بعسر البلع وأوصى باستعمال الحقن المغذية في المستقيم » ·

وقال فرند : « يوجد لابن زهر ملاحظات في حس العظم والاسنان مما هو مختلف فيه حتى اليوم · وله مشاهدات في السل الناتج عن القرحة المعدية وفي الاختناق الحاصل من فلج المري وأخيراً في الخبّاج اي المثقب المشاري والحمى البولية وغيرها » · ونزيد على ذلك ما قاله الاستاذ جيار في جامعة ليون في بحثه عن الجرب في كتابه الطفيليات (ص ٥٠١) ما تعريبه : والذي وصف الجرب هم الاطباء العرب فقد أثبتوا انه مرض سارٍ يظهر غالباً بين الأصابع ويظهر ان ابن زهر في القرن الثاني عشر هو الذي اكتشف طفيليته وسماها صؤابة الجرب » · واذا نظرنا الى هذا الاكتشاف المهم وأضفنا اليه ما عددناه من أعمال ابي مروان ابن زهر يتجلى لنا في شخصه الطبيب المجرب المجدد في أجل مظاهره وأكمل أوصافه ·

☆☆☆

وكان معاصراً لعبد الملك بن زهر القاضي ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد المشهور بابن رشد فيلسوف العرب واحد تلك الاسماء العظيمة التي تفتخر بها مملكة الاندلس · كان واحداً في علم الفقه والخلاف وامتاز بالفلسفة والطب وكان في

الاولى أنبغ منه في الطب وكان بينه وبين ابي مروان ابن زهر مودة · ولما ألف كتابه الكليات الذي سيأتي ذكره وهو في الامور الكلية قصد من ابن زهر ان يؤلف كتاباً في الامور الجزئية لتكون جملة كتابيهما ككتاب كامل في صناعة الطب ولهذا يقول ابن رشد في آخر كتابه ما هذا نصه : « فمن أحب ان ينظر بعد ذلك (اي بعد درس كتابه) في الكنانيش فأوفق الكنانيش له الكتاب الملقب بالتيسير الذي ألفه في زماننا هذا ابو مروان ابن زهر وهذا الكتاب سألته انا اياه وانتسخته فكان ذلك سبيلاً الى خروجه (الى ان يقول) ولا حاجة الى من يقرأ كتابنا هذا الى ذلك » · (طبقات الاطباء ج ٢ : ٧٥) ومن هذا يتضح ان ابن رشد لم يكن تلميذاً لابن زهر كما جاء في المعلمة الفرنسية الكبيرة التي أخطأت في تراجم كثير من أطباء العرب وفي الكتب التي أخذت عنها كمعلمة البستاني وغيرها بل كان بينهما مودة · وان ابن رشد ألف في الطب قبل ان يكتب فيه ابن زهر وانه كان ينظر الى تيسير ابن زهر نظره الى كناش متمم لكتابه الكليات قد يستغني عنه · ولد ابن رشد في قرطبة في أوائل القرن السادس للهجرة ونشأ فيها وولي القضاء في اشبيلية ثم في قرطبة وكان مكيناً عند المنصور وجيهاً في دولته ، ثم ان المنصور نقم عليه ونفاه الى اليسانة لاحقاد شخصية ثم رضي عنه فعاد الى قرطبة · وقد أخذ الطب عن ابن باجه وعن ابي جعفر بن هرون (طبقات الاطباء ج ٢ : ٧٣) وقطع فيه شوطاً بعيداً وله مؤلفات جليلة في الفلسفة والطب أشهرها في الطب الكليات وهو كتاب جامع كامل وينقسم الى سبعة أجزاء الاول منها في التشريح وكان ابن رشد يهتم به كثيراً و يرغب فيه ، ومن كلامه في ذلك من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايماناً بالله · والثاني في الصحة والثالث في الادواء والرابع في مداواة الأمراض والخامس في الادوية والاطعمة والسادس في حفظ الصحة والسابع في التداوي · ولابن رشد بحث خطير في مراكز القوى العقلية في الدماغ وقد ترجم الحاوي في القرن الثالث عشر ارمانجو احد أساتذة جامع مونبلية ودرس فيها وطبع لاول مرة في البندقية سنة ١٤٨٢ م وانتشر في مدارس الطب في اوربا جمعاء · وتوفي ابن رشد في مراكش سنة ٥٩٥ للهجرة ·

يضطرني البحث الى عقد جلسات متوالية فيما اذا أردت ان استقصي ذكر كل من اشتهر في الطب عند العرب وذلك لا يتسع له المجال ، ولا تساعد عليه الاحوال ، غير انه يعزّ عليّ ان أمرّ بهذا الجمع الغفير من اولئك الأساتذة العظام الذين رفعوا لواء العلم على عامة قلل العالم دون ان أحيي أعاظم قوادهم · وليت شعري من منهم غير قائد لجيش صحي عام · ولما كان الضيف أولى بالاكرام ، أرحب باديءً بدءٍ بالفارابي نزيل دمشق المتوفى عام ٣٣٩ للهجرة ومنزلته في الفلسفة والطب والرياضيات والموسيقى اسمى من ان توصف ، ونصافح معه البيروني صاحب التآليف في التاريخ الطبيعي التي منها كتاب الجماهر في الجواهر والآثار الباقيـة عن القرون الخالية وكتاب الصيدلة في الطب الذي استقصى فيه معرفة ماهيات الادوية ومعرفة اسمائها · ونحيي بعده سنان ابن ثابت الصابي طبيب المقتدر بالله والقـاهر ورئيس الدواوين والمستشفيات في بغداد وواضع المعاهد الصحية الواسعة فقد أفرد في زمانه للسجون أطباء يدخلون اليها في كل يوم يحملون الأدوية والاشربة ويطوفون السجون يعالجون فيها المرضى · وأنفذ الأطباء السيارين مصحوبين بخزائن الأدوية والأشربة يطوفون في السواد ويقيمون في كل ناحية منه بقدر ما تدعو الحاجة اليه ويعالجون من فيه من المرضى · وكان يشرف على المستشفيات ويراقب الأعمال والعمال فيها · وفي سنة ٣٠٦ فتح بيمارستان السيدة وجلس فيه ورتب الأطباء وقبل المرضى وكانت النفقة عليه ستمائة دينار في الشهر · وفي هذه السنة ايضاً تشبث لدى المقتدر بالله فأنشأ البيمارستان المقتدري وكان ينفق عليه من ماله كل شهر مائتي دينار · ودعا جميع المتطببين في بغداد الى الامتحان ولم يجز الا من ثبتت لديه مقدرته · وقد بلغ عددهم في جانبي بغداد ثمانمائة وستين طبيباً سوى من استغنى عن الفحص باشتهاره ومن كان في خدمة السلطان مما ينطق بانتظام الادارة الصحية في ذلك العهد ويدل على فرط اعتناء الامة بامر صحتها وحرمتها لهذا العلم الجليل من خصائص الحضارة الرفيعة ·

وممن يجب الاحتفاء بهم صاعد بن بشر ابو منصور البغدادي الذي قلب فن المداواة القديم وخالف مسطور الأقدمين فدبر اكثر الامراض التي كانت تعـالج بالأدوية الحارة بالتدبير المبرد · فهو اول من داوى السكتة الصدرية والدماغية

والاحتقانات وغيرها بالفصد والمبردات وكانوا قبله يداوونها بالوسائط والأدوية الحارة مما يسجل له بقلم الفخر ·

ومنهم ابو الفرج ابن الطيب وكانت له مقـدرة قوية على التصنيف ، وهو اول من صنف في الطب بصورة جداول عمومية · وامين الدولة بن التلميذ وكان رئيس الطب في بغداد وعهد اليه بامتحان الاطباء فيها · وله مؤلفات كثيرة في الطب منها اقر باذينه الذي عزل اقر باذين سابور بن سهل المنوه به سابقاً · ومنهم اسحق بن سليمان صاحب كتابي الحميات والبول نقلها قسطنطين الافريقي الى اللاتينية · ودرسا في سالرنة ثم في اوربا وكان لها رواج عظيم · ومنهم ابن ابي أصيبعة صاحب طبقات الاطباء ·

ومنهم اسحق بن عمران الذي أدخل الطب الى المغرب · وابن الجزار صاحب زاد المسافر وهو من أجلّ ما كتب في الطب نقله قسطنطين الافريقي الى اللاتينية وانتحله لنفسه باسم فياتيكوم ودرس في سالرنة ثم في جامعات اوربا · وابن جلجل الذي فسر اسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس · وأفصح عن مكنوناتها واوضح مستغلق مضمونها وهو صاحب كتاب ما فات ديسقوريدس من الادوية الحديثة التي كانت مجهولة عند الأقدمين ، وقد ترجم الى اللاتينية وكان له شأن في جامعات الطب في اوربا ·

وابن وافد صاحب المذهب الطبي الخاص القائل بعدم التداوي بالأدوية ما أمكن التداوي بالأغذية او ما كان قريباً منها ، فاذا دعت الضرورة الى الأدوية فلا يرى التداوي بمركبها ما وصل الى التداوي بمفردها ، فان اضطر الى المركب منها لم يكثر التركيب بل يقتصر على أقل ما يمكنه منه وذلك خير ما وصل اليه الطب الحديث في العهد الاخير · و بالنظر لوفرة أمراض العيون نجب في هذا الفرع من الطب كثير من الإخصائيين به لاسيما في مصر · منهم عيسى بن علي الكحال صاحب تذكرة الكحالين وهي ثلاث مقالات الاولى في وصف العين والثانية في أمراض العين المحسوسة والثالثة في أمراض العين غير المحسوسة كقصر البصر وغيره ·

* * *

اما علم النبات فهو يسجل في أعلى صفحاته باحرف ذهبية ثلاثة أسماء عظام خلد التاريخ ذكرهم · اولهم رشيد الدين الصوري النباتي الكبير ، ولد في صور سنة ٥٧٣ ونشأ فيها وتولى رئاسة الطب في دمشق ايام الملك الناصر داوود بن الملك المعظم وكان له مجلس للطب حافل بالطلبة وله من الكتب كتاب الادوية المفردة ذكر فيه أدوية كثيرة كانت مجهولة عند سلفه وكان يتوجه مستصحباً مصوراً ومعه الأصباغ والليق على اختلافها وتنوعها الى المواضع التي فيها النبات كلبنان وغيره ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه واصوله ويصور بحسبها · وكان يصور النبات الواحد إبان نباته وطراوته ويصوره ثانياً وقت كماله وظهور بذوره ثم يصوره وقت ذويه ويبسه مما لم يسبقه احد الى ذلك · وهذا الكتاب النفيس المفرد في بابه موجود اليوم في المكتبة الشاهية الخاصة في طهران · ثم جاء من بعده ابوالعباس ابن رومية الاشبيلي وقد فقدت كتبه الاصلية · ثم ظهر تلميذه ابن البيطار ضياء الدين ابن احمد المالقي النباتي · أوحد زمانه وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختباره ومواضع نباته ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها · ولد في القرن الثالث عشر للميلاد في اشبيلية وسافر الى بلاد الروم ويونان والمغرب في طلب علم النبات ثم توطن مصر وكان مقرباً من الملك الكامل وولاه رئاسة العشابين واصحاب البسطات ولم يزل فيها حتى توفي عام ٦٤٦ وأشهر كتبه الجامع في الادوية المفردة صنفه للملك الصالح نجم الدين ايوب وقد استقصى فيه ذكر الأدوية المفردة وأسمائها وتحريرها وقواها ومنافعها وبين الصحيح منها وما وقع الاشتباه فيه · وليس في الادوية المفردة كتاب أجل ولا أجود منه · وهو مرتب على الأحرف الهجائية يبحث في الأدوية النباتية والمعدنية والعضوية وفيه الف وثلاثمائة فصل منها ما يربو على ثلاثمائة فصل تبحث في مفردات طبية مجهولة عند الأقدمين ، ومنها الفوفل والكافور والزباد وحشيشة الملوك والقرنفل والعناب والمسك والمن والليمون البصري وجوز الهند وجوز القي والفلفل والراوند والصندل والسنا والسكر والتمرهندي الى آخر ما هنالك من الادوية المفردة التي أدخلتها العرب في الطب · وقد كان لهذا الكتاب في عواصم العالم منزلة عظمى ضؤلت أمامها مؤلفات ديقوريدس ·

وبالنظر لضيق الوقت استميح العفو من ذكر بقية اولئك الاساتذة الكثيرين مدم تعطير هذا المجلس بذكر اسمائهم ·

ومن وفرة عدد اولئك العلماء الاطباء تجلى لنا عظمة تلك المملكة الشاسعة ومدنيتها وليت شعري هل ينبت العلم الا حيث يحرس السيف ويرف العدل وتشرق الحرية؟ ويتجسم للعيون ما كان فيه الطب في ذلك العهد من الرقي وما كانت عليه دواوين الصحة من الانتظام · فما من بلد الا وكان فيه مستشفيات متعددة ومدارس طب حافلة · وكان للاطباء نظام ورئيس وللصيادلة قانون ورقيب · وكان من الاطباء فريق خاص بالجند وآخر بالمستشفيات وطائفة بالسجون · ومنهم الخاص بالخلفاء والامراء المنقطع لمداواة العامة · والكل في سعة وهناء من العيش وكان الاختصاص والاخصاء في الطب شائعين كما في هذا العهد · فكنت ترى الطبيب والجراح والفاصد والكحال والمختص بالأمراض العقلية والعصبية كل يعمل في دائرة اختصاصه وكانت المستشفيات مؤلفة من غرف منها ماهو خاص بالامراض الداخلية وماهوخاص بالجراحة او بالنساء او بالعيون الخ ، وكانوا يسجلون مشاهداتهم وقد وصلنا منها تجارب المارستان للرازي · قال الدكتور غستاف لبون في حضارة العرب : ان مستشفيات العرب كانت من الوجهة الصحية أفضل من مستشفيات الاوربيين اليوم بسعتها وجمال موقعها ونظافتها وكثرة مياهها وانطلاق الهواء في أطرافها · وقال ايضاً ان أطباء العرب في القرن العاشر للميلاد لم يفقدوا من مرضاهم اكثر مما يفقده اطباؤنا الحاليون ·

ولم تكتف العرب بهذه الأعمال الاولية بل جنحوا الى التكامل مدفوعين بعامل الارتقاء الطبيعي فبنوا دوراً لتجريد المجذومين · واول من فعل ذلك الوليد الأموي سنة ثمان وثمانين · وأنشأ المنصور العباسي داراً للعميان والأيتام والقواعد من النساء ، كما هو حال دور العجزة في الممالك المتمدنة اليوم ، ودوراً لمعالجة المجانين وغيرها من دور الصحة والاسعاف العام التي تبكي عليها دمشق بل جزيرة العرب باجمعها في القرن العشرين · وكانوا يدعون مستشفياتهم باسماء مؤسسيها والمحسنين اليها فيقولون المستشفى العضدي نسبة الى عضد الدولة والمستشفى النوري نسبة الى نورالدين كما ان الغربيين اليوم ينسبون معاهدهم الصحية وغرف مستشفياتهم الى مؤسسيها او النابغين

منهم فيقولون معمل باستور وقاعة ديولافوا وغرفة لاينك الى غير ذلك مما يخلد في نفوس الأمة ذكر أعاظم رجالها و يبعث فيها روح النهضة والاقتداء بهم . و يا حبذا لو أتيح لدمشق بل لعامة الأمصار العربية التي الفت بنيها يخلدون على ظهرها اسم الغريب والأعجمي ان تشاهد يوماً غرف مستشفياتها تنسب الى أعاظم من نبغ في الطب عند العرب فيقال غرفة الرازي بدلاً من قاعة الداخليـة وغرفة ابن سينا بدلاً من الغرفة الثانية وردهة ابن زهر بدلاً من ردهة الخارجيـة ودار ابي القاسم بدلاً من دار العمليات الجراحية الى غير ذلك من شعائر الأمم الحية المتمدنة .

ومن هذه الصورة المصغرة لذلك الهيكل العظيم يتضح لنا كل الوضوح ما أوردناه في صدر كلامنا من ان العرب لم يكونوا واسطة نقل صماء بين الأقدمين والمتأخرين، بل كانوا أمة عاملة حية ، عريقة في الأصل والعلم ذات تاريخ مجيد ومدنية رفيعة خاصة . يتجلى الإقدام الذاتي ، والإبداع الفكري ، والإعتماد على النفس ، في جميع علومهم وأعمالهم . أحيوا العلم اليوناني القديم باجهـاد النفس وعرق الجبين ، وجمعوه كما يجمع الصائغ ذرات الذهب المبعثرة في التراب تحت الأقدام فنخلوه وسبكوه ، وأضافوا اليه خبرة معارف الهنديين والكلدان والفرس ، ثم صاغوا منه عقداً حلوه بجواهر من مبتكرات عقولهم ، ولما لم يفسح الاجل في حياتهم القصيرة تركوه لاوربا الغـارقة اذ ذاك في ليل أليل من الجهل والهمجية . فتحلت به صدورها خمسمائة سنة دون ان تمد اليه يداً . الى ان قيض الله لها باستور وزملاءه في القرن الاخير فصاغوا من هذا العقد اكليلاً مرصعاً تُتوج به رأس الطب المكشوف في جميع أنحاء العالم .

واذ كان لا يصدق القول حتى يشهد شاهد من اهله ، وكثير أولئك الشهود ، فلنصغ الى الدكتور غستاف لبون في كتابه حضارة العرب فهو يقول : « وسنحاول الآن اثبات تأثير الحضارة العربية في الغرب وان اوربا مدينة بتمدنها اليهم .... فاذا رجعنا الى القرن التاسع والعاشر من تاريخنا حينما كانت الحضارة الاسلامية في الاندلس تتلألأ باجمل الانوار نشاهد المراكز المتعلمة الوحيدة في اوربا منحصرة في بروج يقطنهـا سادة متوحشون يتباهون بجهلهم القراءة والكتابة .... وكانت الهمجية في اوربا متكاثفة بحيث كان يتعذر عليها معها ان تشعر بهمجيتها . واستمر

ذلك حتى القرن الحادي عشر وبعبارة ثانية حتى الثـاني عشر اذ لاحت فيه بارقة علم ضئيلة · ثم لما شعرت بعض العقول المستنيرة بالاحتيـاج المبرم الى تمزيق كفن الجهل الملتفة به اتجهت نحو العرب أساتذة العلم في ذلك العصر ·

(الى ان يقول) ولا يتأتى لنـا حتى القرن الخامس عشر ان نذكر مؤلفاً لم يكن ناسخاً عن العرب فان روجي باكون وليونار دي بيز وارمان دي فيلنوف وريموندلول والقديس توما والبيرتو الكبير والفونس العاشر دي كاستيل وغيرهم كانوا تلاميذ العرب او مقلديهم · وقد بقيت الكتب المترجمة عن العربيـة ولاسيما الطبية أساس التعليم في كل جامعات اوربا مدة خمسمائة او ستمائة سنة ، ولا يمكننـا ان نقول ان التأثير العربي امتد حتى ايامنا الأخيرة فان كتب ابن سينا مازالت تدرس في جامعة مونبيلية الى خاتمة العصر الاخير » ·

***

أتى القرن الثالث عشر فانقض المغول على بغداد فقوضوا ذلك العمران ومحوا تلك الحضارة ، وأغرقوا في دجلة ثمار تلك العقول حتى اختنقت حزناً عليها ، فباتت تلك الرياض العلمية الزاهرة قاعاً صفصفاً خاوية على عروشها · ثم قامت الحروب الصليبية في الشام فاستحالت تلك الثورة العلمية المدنية الى نفير عام وحرب ضروس همجية ·

وانقدت الفتن والحروب في صقلية والاندلس فأحرقت بنيرانها تلك الحضارة الزاهرة والمكاتب العامرة والسلطنة العظيمة البـاهرة · فباتت تلك الممالك العظيمة الشاسعة مظلمة بعد النور ، خاوية بعد العمران ، مجدبة بعد الخصب ، ينعق في أرجائها غراب الجهل ، وينعب في أطلالها بوم النحس والهوان ·

الى ان جاءت السنة العشرون من القرن العشرين فلاح لعين التائه الظمآن في دمشق على أطلال البرامكة العظـام شبح كوخ حقير ، تقصف من حوله الرياح وتتساقط من فوقه الصواعق ، أشبه به ببيت شعر صغير ، رفع على أنقاض ذلك البرج الهائل ، يدعى : المعهد الطبي العربي · فانتعش التائه واستبشر · ثم وجف · ثم تلهف · · · · فليت شعري هل تسمح الايام وتغمض عين الدهر حينـاً من الزمن فتسكن تلك العواصف وتهدأ تلك الرياح فتنمو ذاك البناء ويصبح جامعة عربية كبرى

يحيي ذكري اولئك الرجال العظام فتنتعش في السماء أرواحهم ، وتنبعث من التراب أجسامهم ، عمل عظيم يحققه السعي والدؤوب ، والله المستعان ·

عضو المجمع العلمي

الدكتور اسعد الحكيم

مغارة ام السرج

لا أغادر في سياحاتي البحث عن الآثار القديمة والمشاهد الطبيعية · وذلك توصلاً لاكتناه غوامض التاريخ والجغرافيا اللذين لايزال كثير من أوابدهما في بلادنا محتاجاً للتحقيق · وبينما كنت أتجول في قضاء منبج « شمالي شرقي حلب » خلال شهر تموز ١٩٢٦ ذكر لي ان هنالك مغاور تخلب الالباب بعظمتها ودقة صنعها وغرابة منظرها · ولما كنت قد زرت في القسطنطينية مغارة (كوچك چكمجه) احدى محطات سكة حديد الروملي ورأيت ما حوته من الآثار الجيولوجية البديعة أملت ان أشاهد ما يشبهها في المغاور التي ذكرت لي فأسرعت الى زيارتها · وهي تبعد عن منبج نحو ١٤ كيلومتراً الى الجنوب وعن حلب ٨٨ كيلومتراً الى الشرق ·

استصحبت من القرية القريبة للمغاور واسمها « مقبلة حسن اغا » أدلاء ومصابيح · فسرنا نرتقي جبلاً مستطيل الشكل يمتد من الغرب الى الشرق · وبعد ان سرنا نصف ساعة وصلنا الى ذروته فأشرفنا على ما حوله من السهول الشاسعة · رأينا في شرقنا « الفرات » ينساب عن بعد حاملاً مياه بلاد الترك والكرد الى ثغور العراق والخليج الفارسي وفي شمالنا بلدة « منبج » تندب مجدها القديم وحولها هضبات متسلسلة حتى نهر « الساجور » احد فروع الفرات وماوراءه من تخوم تركيا الحديثة · وشاهدنا في الغرب قريتي تاتف و بزاعة الشهيرتين في تاريخ الاسرائيليين والصليبيين وقد علتهما أكمة قام فوقها مسجد ذو مأذنة عالية باسم احد الصلحاء المسمى « الشيخ عقيل » · ورمقنا في الجنوب براري وفيافي تضيع بعد حين في الأفق الغارب في بادية الشام ·

في ذروة هذا الجبل المطل على تلك المناظر الجميلة والمحفوفة بذكريات عريقة في قدم التاريخ استقبلنا شقاً كثير الطول والعرض ، قد نقر في الصخر كما تنقر أخاديد السكك الحديدية في ايامنا ، وجعل على ما يظهر منفذاً لما بعده تقف فيه الحراس ، وتحول دون تخطي الغرباء منه ، فبعد ان عبرنا الشق دون عائق انتهينا الى وسط ساحة فسيحة تحيط بها جدران عالية من الصخر الابيض ، أُقرت فيها كهوف منتظمة بعضها بجانب بعض ، وهي تشبه باصطفافها حوانيت الأسواق في المدن ، وربما كانت خاصة بشراء الحاجات وبيعها من سكان المغاور التي نحن بصددها . وبعد ان اجتزنا الساحة أشرفنا على أعظم المغارات وأجلها شأناً وهي المسماة « مغارة أُم السرج » . سميت بذلك لان شدة ظلامها تجعل استعمال السرج فيها لازمة . وفوهة هذه المغارة واسعة بقطر خمسة عشر متراً ملئت جلاميد الصخور المتكسرة والمتدحرجة من سقف الفوهة وقمة الجبل . وقد تشعث بذلك باب المغارة وردم درجها بأمره فأصبح النازل محتاجاً للزحف على أليتيه تارة والاستمساك بهذا وذاك من الاحجار تارة أُخرى .

انحدرنا من الفوهة على النحو الذي ذكرته مقدار خمسين متراً الى أن وصلنا الى مستوى المغارة حيث قل النور وأرخى الظلام سدوله . فأضاء الادلاء المصابيح وساروا أمامنا وتبعناهم نتوكأ على العصي التي حملناها ونلمس الجدران بايدينا وأخذنا نجتاز مضايق ومعاطف ونجتاز مخارم وفجاجاً ونصادف أقباء عظيمة وأبهاء وسيعة . وكل ذلك محفور في الصخر وآثار الحفر ونقر الامشاط والمطارق والأزاميل بارزة تكاد تظن ان الحجارين والنحاتين قد انتهوا من اعمالهم وخرجوا في تلك الساعة . وتجد في وسط الجدران كلها كوات صغيرة بعضها فوق بعض تمتد من الارض الى السقف ، وهي تشبه ما يعمل في جدران الآبار لوضع الارجل اثناء الصعود والنزول اليها وتجد في محلات عديدة ايضاً كوات اكبر منها لوضع السرج او المصابيح ولا تزال آثار الدخان ظاهرة فيها حتى الآن .

وقد وجدت سعة كل بهو لا تقل عن استيعاب مائتي شخص او اكثر ، كانوا يجتمعون فيها على ما يظهر لاستماع الخطب او العظات الدينية او المداولة في امور مهمة . ذلك لان بعض الابهاء يحوي في صدره مقاعد ومصاطب منقورة في الجدار جعلت

الجلوس علية القوم ، وفوق الجميع مقعد كالأريكة كان خاصاً بالقـائد او الكاهن لا كبر في الغالب .

وقد تذكرت وانا أجوز خلال تلك الدهاليز والغيران حالة السائحين اللذين وصفهما الروائي الافرنسي الشهير (جول فرن) في احدى رواياته العلمية المسماة « رحلة تحت الارض » . فقد دخل السائحان كهفاً في جبال الالب وظلا يسيران في احشاء الارض و يجتازان أجوافها وسراديبها المظلمة و يشاهدان عجائب تكوّن طبقات الارض وأدوارها الجيولوجية الاربعـة ، وما حوته أحافير النباتات والحيوانات ، وأجنـاس الصخور والمعادن الى ان قذفتهما المقادير — بخارقة لا تسعها الا مخيلة الروائيين — من فوهة بركان جزيرة اسلاندة في اقصى الشمال الغربي من قارة اوربا . وما كان قصد (جول فرن) من هذه الرواية الا حمل مطالعيها على تفهم دقائق علم الجيولوجية بهذا الاسلوب اللطيف . شأنه في سائر رواياته التي يبحث في كل منها في احد العلوم الطبيعية .

ولما بلغ منا التعب والظمأ مبلغه وتمنينا جرعة من الماء صادفنا في احد الاقبـاء بئرين ملآنين ماءً عذباً بارداً ، شربنا منهما وغسلنـا الأوجه والأيدي واسترحنا برهة . وقد حاولنا ان نسبر غورهما فلم نوفق لوفرة عمقهما . وهذان البئران من اعجب مايذكر عن هذه المغارة . ولولاهما لما استطاع حافروها وساكنوها العمل والمقام فيها .

هذا وقد بقينا نحو ساعتين في ذلك الظلام القاتم ندخل في بهو ونخرج من قبو ونصعد درجاً ونجتاز سرداباً ، ولا يستطيع احدنا ان يبتعد عن دليله او رفيقه خشية الضياع والهلاك . ونحن في أشد الحيرة من عمل اولئك الذين بذلوا الهمم الشماء في نقر هذه الصخور الصماء وتمهيدها وتقسيمها على هذا النحو في أحشاء هذا الجبل الشامخ وتحت عمق لا يقل عن ٧٠ — ٨٠ متراً وطول وعرض هائلين لا مجال لتقديرهما . فكم فرقة من فرق العمال عملت في الحفر وكم الوف من الدنانير أنفقوها في هذه السبيل ؟ ذلك ما كنت افتكر به ولا اصل الى حله .

ومن الغريب انني رغم التحقيق والتفتيش في الجدران والسقوف لم اعثر على اثر لكتابة او نقش او رسم لاستدل منه على سبب حفر هذه المغـارة الهائلة وتاريخهـا

واسم ساكنيها وحافريها الاقدمين • ولا على شيء من العلائم الجيولوجيه كأحافير النباتات والحيوانات واعمدة الستلاكتيت والستلاكميت التي توجد عادة في اشباه هذه الكهوف — اذا كانت طبيعية — ولم أجد معنىً لدفن هؤلاء الناس انفسهم في هذه الهوة السحيقة ومكوثهم في هذه الاقباء والغيران المدلهمة الرطبة • الا ان يكون ذلك لغرض ديني او سياسي ، فهم اما كانوا يستعملونها كمعبد خفي يقيمون فيه شعائر دياناتهم السرية بدليل وجود المصاطب والارائك التي ذكرتهـا • واما انهم كانوا يتخذونهـا حصناً يلجؤون اليه عند إحاطة الاعداء بمدينتهم التي يشاهد بعض طلولها خارج المغارة وعلى السفح الجنوبي للجبل • او انهم كانوا يسجنون فيها من غضبت عليه ملوكهم او كهانهم او وقع اثناء الحروب في قبضتهم فيعتقلون السجناء او الاسرى في هذه الظلمة والرطوبة اللتين تهدمان اشد الابدان قوة وصحة •

ولم تحرم هذه المغـارة العجيبة من سكنى الاحياء والاستئناس بهم • فقد كنا نصادف الوفاً من الخفافيش المعتادة حياة الظلمة والرطوبة جاثمة على الجدران والصخور ، وشاهدنا زرقها الذي ظل يتراكم منذ مئات من السنين فأصبح اكواماً كالبيادر • وقد افهمت القرويين الذين رافقوني منافع هذا الزرق وانه من انفع الاسمدة المؤدية لخصب الارض وان الاوربيين يستجلبون مثيله من جزر اميركا الجنوبية ويدعونه (غوانو) و يبيعونه حتى في بيروت بأغلى الاثمان ، ونصحتهم بان يخرجوا منه ما يكفيهم ويسمدوا حقولهم وكرومهم فوعدوني بالايجاب •

هذا وما زلنا في صعود وهبوط ودخول وخروج حتى أعيينا وخشينا ان نصل الى فوهة بركان قد لا يرحمنـا كما رحم سائحي رواية (جول فرن) فلا يقذفنا سالمين • لاسيما وقد اخذت منا قشعريرة الرطوبة في تلك الكهوف الظلماء كل مأخذ فاكتفينا بما رأيناه وعدنا أدراجنـا الى فوهة المغارة وشرعنـا بالصعود رويداً رويداً نستعين باليدين والرجلين الى ان منّ الله علينا بالوصول الى سطح الارض ورؤية النور والشمس فانتصبنا ننفض عنا آثار حياة الآخرة و يهنئ بعضنا بعضاً بالسلامة •

وقد ظهر ان الذي أعان القوم على الحفر والنقب هو لين الحجر الذي يتكوّن منه الجبل لانه من الصخور الطباشيرية البيضاء المنتسبة للدور الثلاثي من ادوار الجيولوجيا •

ولو كان من الصخور البركانية كالبازالت الاسود لما استطاعوا الى ذلك سبيلاً . على ان لين هذا الصخر جعله بحيث يتأثر على كر الاحقاب بفعل العوامل الطبيعية من حر وقر ، ولذا ترى السيول تصدعه وتجزئه رويداً رويداً . وهذا ماجعلني ارى في اكثر الاقباء جلاميد عظيمة ساقطة من اعلى السقوف او الجدران وقد سدت بعض الابهاء والدهاليز او شعثت الدروب .

ثم ان الادلاء قادوني الى مغارة ثانية اصغر من الاولى بكثير ، وفيها ماء عذب يرشح من نبع من سقفها و يسيل بلا انقطاع القطرة تلو القطرة ، وقد وضع الاقدمون في موضع سقوطه على الارض جرناً تجتمع القطرات فيه فيتكوَّن منها كمية من الماء تكفي لشرب عشرات من الرجال . وقادوني الى مغارة ثالثة فيها سرداب قليل العمق ينبع من جداره ماء عذب ، حفروا له حوضاً كانوا يستقون منه عند اللزوم . ولا يزال رعاة الغنم والإبل السائمة في هذه الجبال وبعض الاشرار الهاربين من يد القضاء يلجؤون احياناً الى هاتين المغارتين وتمتعون بمياههما .

وقد سألت الادلاء وصاحب القرية القريبة لهذه المغاور عما اذا كان دخلهما قبلي احد من مفكري البلاد او من السياح الاوربيين فأجابوني عن الأولين بالسلب وعن الثانين بانه لم يزرها الا سائحان المانيان قبيل الحرب العامة ذهبا على امل الرجوع للبحث والتنقيب فيها فحالت الحرب دون عزمهما . وذكروا خرافة عن سائح مغربي قالوا انه قرأ وهو في بلاده في احد الاسفار القديمة خبر مغارة ام السرج وعلم بانها تحوي كنزاً عظيماً فجاء اليها واستصحب ادلاء من القرية ولكنه لما وصل بعد البحث والتنقيب الطويلين الى باب الكنز وحاول فتحه هوت صخرة عظيمة من سقف القاعة فسدته . ولما عجز عن زحزحتها او تحطيمها رجع خائباً .

وبعد مغادرتي تلك الربوع راجعت كتب التاريخ والآثار التي تبحث عن الديار الحلبية فلم اجد ذكراً لضالتي سوى بيان موجز لما كانت عليه بلدة منبج او (Hiérapolis) من العمران والرقي في العصور القديمة والمتوسطة . قال « ايزامبر » و «شوقه» مؤلفا كتاب دليل الشرق (Itinéraire de l' Orient) ما ملخصه : ان السريانيين كانوا يسمون منبج « مابوج » ثم جاء اليونانيون فدعوها

هيرابوليس اي (البلدة المقدسة) لانها كانت العاصمة الدينية لكل بلاد الآراميين.
فقد ذكر المؤرخ (لوسيان) ان هيكلها كان من أفخم الهياكل وأغناها في تلك العصور ومن اكثرها حظوة باحتفال الأعياد والمواسم . وكان هذا الهيكل مخصصاً للات « ربة » سورية التي دعاها المؤرخ سترابون (آترا كاتيس) . وكان صنم هذه اللات يمثلها راكبةً على مركبة تجرها الاسود وفي يدها آلة موسيقية وعلى رأسها التاج . وكانت منبج قديماً بلدة حصينة ، لان كيخسرو لما هاجمها وجدها محاطة باسوار منيعة لم يستطع اقتحامهـا فاكتفى بمطالبة اهلهـا بجزية قدرها ثلاثة آلاف دينار فضي . وكان باب هذه الأسوار في الجهة الغربية ، وأمام الباب بحيرة وسيعة وجد فيها المؤرخ « لوسيان » سمكاً مقدساً لدى المنبجيين ورأى في وسط البحيرة هيكلاً من الرخام يمثل ربة السمك وذكر انهم كانوا في ايام الأعياد والمواسم ينقلون جميع اصنام اربابهم ويصفّونها حول هذه البحيرة ويقيمون حفلاتهم الدينية ويرقصون ويطربون انتهى .

واليك ما ذكره السائح الاندلسي ابن جبير عن مدينة منبج التي مرَّ بها في اوائل القرن السابع . قال : « منبج بلدة فسيحة الأرجاء صحيحة الهواء يحف بها سور عتيق ممتد الغاية والانتهاء ، جوها صقيل ومجتلاها جميل ، ونسيمها أرج النشر عليل ، نهارها يندي ظله ، وليلها كما قيل فيه سحر كله ، تحف بغربيها وبشرقيها بساتين ملتفة الاشجار مختلفة الثمار ، والماء يطرد فيها ويتخلل جميع نواحيها وخصص الله داخلها بآبار معينة ، شهدية العذوبة ، سلسبيلية المذاق ، تكون في كل دار منها البئر والبئران وارضها ارض كريمة تستنبط مياهاً كلها وأسواقها وسككها فسيحة متسعة ودكاكينها وحوانيتها كأنها الخانات والمخازن اتساعاً وكبراً ، واعالي سوقها مسقوفة ، وعلى هذا الترتيب أسواق اكثر مدن هذه الجهات . لكن هذه البلدة تعاقبت عليها الأحقاب حتى اخذ منها الخراب كانت من مدن الروم العتيقة ولهم فيها من البناء آثار تدل على عظم اعتنائهم بها ولها قلعة حصينة في جوفيها تنقطع عنها وتنحاز منها الخ .

فبلدة مقدسة هذه حالتها في تلك العصور من الرفه والعمران لا يبعد ان يقوم سكانها ويحفروا على مقربة منهم هذه المغاور التي وصفتها ويتخذونها امامعبداً اوحصناً او معقلاً . هذا اذا لم يكونوا جعلوها مدفنـاً لعظمائهم او مذخراً لكنوزهم ودفائنهم

التي لم يسعدني الحظ بالعثور عليها و يا للأسف . ولعله يقوم غيري من ارباب الولع او يأتي امثال اللورد كارنارفون فيبذل من المتاعب والنفقات ما عسى ان يوصله لما يشبه كنوز « توت عنخ آمون » وكل مفعول جائز . المهندس الزراعي

وصفي زكريا

مطبوعات حديثة

مذكرات تاريخية

« لأحد كتاب المكرمة الدمشقيين نشرها الخوري قسطنطين الباشا »

« مطبوعات مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ص ٢٥٥ »

تبدأ هذه المذكرات في سنة ١٨٣١ بمقتل سليم باشا والي دمشق وتنتهي بسنة ١٨٤١ (١٢٥٧ هـ) تناول راقمها فيها الكلام على حوادث دمشق قبل مجيء المصريين ثم فتح ابراهيم باشا الشام وما تخلله من الحروب والثورات حتى عاد الى مصر ورجعت تركيا الى القبض على زمام الامر في الشام . وفيه تفصيل مقتل البادري توما كما سمعها كاتب المفكرات من ألسن الجمهور . وجميع هذه المفكرات مشبعة بروح العامية ومكتوبة بلهجة عامية . وكان على الناشر ان يرجعها الى العربية الصحيحة كما عنى لها وعلق حواشيها . وبعض الحواشي لا علاقة له بالموضوع . وكنا نتمنى ان يصون الناشر قلمه عن تسطير ماسطره في مقدمته مما يثير الحفائظ ويلقي بذور البغضاء في زمن أشد ماتكون هذه الامة الى التعاطف والتآلف . والمنصف يجب ان يبحث عن القاتل كيف قَتل وعن المقتول كيف قُتل . وليست حزازات النفوس والاغراض الطائفية من التاريخ الحقيقي في شيء . م . ك

تاريخ الكويت

« تأليف السيد عبد العزيز الرشيد طبع في المطبعة العصرية في بغداد »
« ١٩٢٦ — ١٣٤٤ و٤٥ : جزآن الاول ٢٣٦ ص والثاني ٢٦٣ ص »
« مع الرسوم »

هو اول تاريخ من نوعه في هذه الامارة العربية جود فيه مؤلفه الفاضل موضوعاته فذكر الكويت وتاريخها وحالتها الطبيعية ومساجدها وقراها وآثارها ومواردها وصنائعها ومدارسها وحركتها العلمية وعاداتها وأخلاقها ورجالها وأدباءها وشعراءها وتاريخ امرائها آل صباح ونسبهم وسياستهم وسياسة الدول المجاورة لهم الى غير ذلك مما فيه فوائد جميلة ، كتبت بانسجام ورقة وفصاحة يشكر عليها . الا اننا أخذنا على المؤلف تعرضه في كتابه النافع الى مسائل لا شأن لها بتة مع تاريخ مثل هذا يكتب للجيل الحاضر والجيل القادم مثل مسألة حواشي مثلاً فانها من المسائل التي يحدث مثلها في كل بلد وليست جديرة بالتدوين وتدوينها هو غاية ما يرمي اليه هذا الرجل كما ان هناك اشعاراً ليست جديرة كلها بالتدوين وكان عليه ان يكتفي بابيات قليلة منها او يتركها دفعة واحدة تنزيهاً للتاريخ من ذلك .

وقد ذكر المؤلف ان الكويت لم تكن عامرة قبل ان ينزلها امراؤها من آل الصباح (واميرها الشيخ احمد بن جابر آل الصباح) وآل سعود وآل خليفة وهم من قبيلة عنزة ولا يقل عهدهم فيها عن مئتي سنة فعمروها بالحجر وكانت اكواخاً حقيرة فتديروها . والكويت تصغير كوت والكوت كلمة متعارفة في العراق ونجد وما جاورها من البلاد العربية وبعض بلاد العجم تطلق على البيت المربع المبني كالحصن والقلعة وغيرها مما يبنى لحاجة ويبنى حوله بيوت صغار ويكون ذلك البيت فرضة للسفن والبواخر ترسو عنده ولا يطلق الا على ما كان قريباً من الماء بحراً كان او نهراً او بحيرة او مستنقعاً ونفوس الكويت اليوم ٨٠ الفاً . م . ك

بلوغ الارب
« في معرفة أحوال العرب »

لم يشتهر في مصنفات عصرنا كهذا المصنف : وذلك لمكانة مؤلفه علامة العراق المرحوم السيد محمود شكري الالوسي من جهة . ولاحتياج الامة العربية اليه في نهضتها الحاضرة من جهة ثانية . ومما زاده اشتهاراً . ورفع له في عالم التصنيف منارا . أنه ألف بناء على اقتراح ملك أسوج . وبعد إتمامه وتقديمه اليه نال جائزةً من لجنة الألسنة الشرقية في استوكهلم . وكان هذا الكتاب طبع في بغداد حين صدوره سنة ١٣١٤ لكن طبعه لم يكن بالمتقن فانبرى له الاستاذ السيد محمد بهجت الأثري بناء على امر أستاذه مؤلف الكتاب فأعاد عليه نظره وصححه وضبطه وعلق عليه في ذيل الصفحات تعاليق وهوامش لغوية وتاريخية غاية في الفائدة والأمتاع . وقد قام بنشره وطبعه السيد محمد جمال صاحب المطبعة الأهلية بمصر فوقع في ثلاثة أجزاء أهداها الى مجمعنا العلمي . وقد بلغت صفحات الاجزاء الثلاثة زهاء ١٢٠٠ صفحة واجتهد الناشر المومأ اليه في خدمة الكتاب على الطريقة الحديثة فألحق في آخر كل جزء ثلاثة فهارس : فهرس لمواضيع الكتاب وفهرس لاسماء الرجال والنساء والفهرس الثالث لاسماء البلدان والقبائل وغيرها . اما محتويات الاجزاء فظاهرة من اسم الكتاب : فان مؤلفه العلامة جمع فيه أخبار العرب وأديانهم وعاداتهم وخرافاتهم وحروبهم وكل ما يهمّ الأديب والمؤرخ معرفته من امورهم فهو دائرة معارف لجاهلية العرب جمعت شتاتها واستوعبت ما تفرق منها فجزى الله مؤلف هذا الكتاب خيراً وأحسن كل الاحسان الى الفاضلين مصححه وناشره . «المغربي»

هدايا كتب للمجمع

أهدى السيد محمد جمال صاحب المكتبة الاهلية بمصر طائفة من الكتب الى مجمعنا العلمي وبعض هذه الكتب مما طبعه هو وبعضها مما طبع على نفقة غيره :

(١) كتاب « عظة الناشئين » في تربية الأحداث وطبع نفوسهم بطابع الأخلاق

الفاضلة • وهو للاستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني الغني بشهرته عن التعريف • وهذه الطبعة هي الطبعة الثانية للكتاب مضبوطة بالشكل • وفي ذيل صفحاتها هوامش وتعليقات ذات بال وهو في زهاء ٢٠٠ صفحة •

(٢) كتاب « بلاغة العرب في القرن العشرين » للأديب الفاضل السيد محيي الدين رضا ضمنه شذرات وأشعاراً مختارة من أقلام بلغاء العرب في اميركا (كجبران والريحاني وغيرهما) • وهو ايضاً الطبعة الثانية للكتاب منقحة ومزدانة ببعض الرسوم وتبلغ صفحاته الثلاثمائة صفحة •

(٣) كتاب « دروس التاريخ الاسلامي » من تصنيف المرحوم الشيخ محيي الدين الخياط وهو القسم الخامس من الكتاب يشتمل على مجمل تاريخ الدول الاسلامية في الاندلس وعلى إجمال تاريخي لبقية الدول الاسلامية الصغرى • وهذا الكتاب في نحو ٢٥٠ صفحة •

(٤) كتاب « الخليقة ونظامها » بقلم الفاضل السيد امين الغريب صاحب مجلة الحارس وهو مما أهدته مجلته الى قرائها في بعض أعوامها • وقد أبان في هذا التأليف علاقة كل أجزاء الوجود بعضها ببعض وهو في نحو (١٢٠) صفحة حسنة الطبع والتبويب •

(٥) « ميزان النفس » كتيب صغير أدبي أخلاقي ترجمه عن الانكليزية بتصرف قليل الاديب السيد توفيق زيبق • وهو طبعة ثانية منقحة تبلغ صفحاته (٧٤) صفحة •

(٦) « لباب الخيار في سيرة النبي المختار » كتاب مدرسي في السيرة النبوية من تصنيف الاستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني • وهي طبعة ثالثة مضبوطة بالشكل ومخدومة بالتعليق تبلغ صفحاتها (١٤٠) صفحة •

(٧) « الاسلام روح المدنية » او « الاسلام وكرومر » من تصنيف الاستاذ الغلاييني ايضاً • ضمنه الرد على اللورد كرومر فيما مسّ به الاسلام في كتابه (مصر الحديثة) وأهمّ مواضيع الكتاب البحث في (المدنية الاسلامية) و (التعصب في الاسلام) و (الرق في الاسلام) و (المرأة في الاسلام) و (خاتمة) حقق فيها

ان الدعوة حياة الأديان وهي الطبعة الثانية للكتاب مضبوطة ومصححة وتبلغ صفحاتها المائتين والاربعين صفحة ·

هـذه هي الكتب التي أهداها الى مكتبتنا السيد محمد جمال فاستحق بذلك الشكر والثناء ·

كتب ورسائل مختلفة

(١) فهرس عمومي للكتب القديمة والحديثة في مكتبة السيد يوسف اليان سركيس واولاده بمصر عن سنة ١٩٢٦ — ١٩٢٧ ·

(٢) المجموعة السنوية لغرفة تجارة حلب طبعت في المطبعة المارونية بحلب سنة ١٩٢٥ باللغتين العربية والفرنسية ·

(٣) كراسة للاستاذ (كامبفاير) فيه ترجمة بعض شعراء دمشق وشيء من شعرهم مع ترجمة بعضها الى الالمانية ·

(٤) قرارات حكومة اتحاد الدول السورية عن سنة ١٩٢٤ طبع في مطابع قوزما في دمشق وبيروت في جزئين ، باللغتين العربية والافرنسية الاول في ٢٩٩ صفحة والثاني في مثله من الصفحات ·

(٥) « درس مؤلم » مجموعة قصص · تأليف السيد شحاته عبيد طبعت في مطبعة السفور بمصر في ١٦٨ ص ·

(٦) « ثريا » مجموعة قصص تأليف السيد عيسى عبيد مؤلف (احسان هانم) طبعت بمطبعة رعمسيس بمصر في ١٦٢ ص ·

(٧) « النبي » للسيد جبران خليل جبران تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير عني بنشره السيد يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب وطبع في المطبعة الرحمانية سنة ١٩٢٦ في ١٢٠ ص وقد ألحق به ملحق في ٣٥ ص من تعريب المعرب الموما اليه وفي الموضوع نفسه وتحليل روح المؤلف ·

(٨) ثلاث رسائل (١) مقالة « كلاّ » وما جاء منها في كتاب الله لابن فارس

(٢) كتاب « ما تلحن فيه العوام » للكسائي . (٣) رسالة الشيخ ابن عربي الى الامام الفخر الرازي عني بنسخها وتصحيحها والتعليق عليها السيد عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري المقري بالجامعة الاسلامية في علي كره (الهند) طبعت على نفقة السيد شرف الدين الكتبي واولاده في بمباي (الهند) في المطبعة السلفية بمصر (١٣٤٤ هـ) (صفحة ٨٠) .

(٩) فهرس مكتبة صادر في بيروت لصاحبها السيد سليم ابراهيم صادر عن سنة ١٩٢٦ وهي السنة الثالثة والستون لتأسيسها طبع بمطبعة مكتبة صادر في بيروت .

(١٠) السنة الثامنة عشرة من قائمة المطبوعات والكتب الموجودة في مكتبة العرب لصاحبها السيد يوسف توما البستاني طبعت بمطبعة العرب للبستاني بمصر سنة ١٩٢٦ م .

(١١) ديوان المتنبي طبع في مطبعة (مكتبة صادر) المشهورة في بيروت وقد علق عليه حواشي وفسّر كلماته المغلقة السيد سليم ابراهيم صادر وساعده في ذلك احد العلماء الاعلام زيادة في التدقيق والتحقيق .

(١٢) كتاب « مجمع البحرين » وهو مقامات الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني الذي تحدى فيها مقامات الحريري المشهورة ،طبعته ايضاً مطبعة (مكتبة صادر) طبعاً حسناً وقد علق عليه شروح وهوامش ممتعة مفيدة بطبع مشرق نظيف .

(١٣) « على عهد الامير » هي سلسلة روايات بهذا الاسم لمؤلفها السيد فؤاد افرام البستاني وقد عني بالامير الامير بشير اللبناني وقد جمع في تلك السلسلة روايات تاريخية تصور الحياة اللبنانية القديمة في عهد إمارة الامير المشار اليه .

(١٤) بيان المدرسة الفاروقيـة التجهيزية لسنتها التاسعة (١٣٤٥ — ١٩٢٦ و ٢٧) طبع بالمطبعة العلمية بحلب .

(١٥) يوسف بن يعقوب اوالعفو عندالمقدرة وهي رسالة فلسفية للسيد رزق الله خوام طبعت في المطبعة المارونية بحلب سنة ١٩٢٦ .

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) كانون الاول سنة ١٩٢٦ م الموافق جمادى الاولى والآخرة سنة ١٣٤٥ هـ ٧٢

العربية أمُّ اللغات السامية

قسمت لغات الناس قاطبةً الى قسمين أصليين : السامية واليافثية · والذي حمل علماء اللسان على جعلها أصليين اختلاف صور المواد فيهما ، فان السامية موادها ثلاثية غالباً ، ومواد اليافثية ثنائية على الأغلب ، والبحث عن سبب هذه الخصوصية خارج عن موضوعي لكن ينبغي ان أذكر ههنا شيئاً من خصوصيات السامية وغرائبها قبل ان أرد على المقصود · فمنها ان فيها حروفاً يعسر التلفظ بها على غير الساميين مثل (ع ق ص) وغيرها ، فانها لا توجد في اليافثية ، ولا يقدر على التلفظ بها غير اهلها الا بكلفة ، ويقدر على تلفظها وتلفظ غيرها من حروف الحلق رضائع الساميين فضلاً عن غيرهم ·

ومنها ان صيغ الأفعال والضمائر للمذكر وغيرها للمؤنث في السامية ، ولا كذلك في اليافثية بل يستعمل الفعل الواحد والضمير الواحد للمذكر والمؤنث كليهما ·

ومنها ان الضمائر قد تتصل من الاسماء والافعال والحروف وقد تنفصل في السامية ، ولكل استعمال موضع يخص هو فيه فلا يجوز الانفصال في مقام الاتصال و بالعكس ، واما اليافثية ففيها الانفصال فقط ولا تتصل الضمائر بالأقسام الثلاثة في شيء من الأحوال ·

* * *

لا يخفى انه يندرج تحت اليافثية كثير من اللغات كالهندية والفارسية والألسنة الاوربية وانه يدخل تحت السامية ايضاً شيء كثير كالعربية والعبرانية والسريانية والكلدانية والسامرية والحبشية والنبطية وغيرها · ولا اختلاف بين احد من علماء اللسان في هذا الامر ، فهم جميعاً يقولون بان هذه هي اليافثية وتلك هي السامية نعم الاختلاف في أيتها اصل للاخرى ثم ان ايّة اللغات السامية أم للبواقي · فاما الاختلاف الاول فسأتكلم فيه ان شاء الله عن قريب ، واما الثاني فهو موضوعي الآن ·

* * *

هل نبعت السامية من لغة أخرى بادت ام هي واحدة منها أصل للآخر ؟ هذه هي المسألة وقد قيل بالشق الاول لكنه ضعيف ، فانه لا دليل يدل عليه سوى الاحتمال ، وقيل على تقدير الشق الثاني ان العبرانية أم البواقي وهو احد المسالك فيه وثانيها ان السريانية اصل وثالثها ان الام هي العربية وانا ممن سلك هذا المسلك الثالث ، وتمذهب بهذا المذهب الآخر ، فأذكر دلائله ولست أحتاج الى ذكر دلائل المذاهب الأُخَر فانها تبطل اذا ثبت مسلكي بمنع الجمع وقصاراي ان أدفع الشكوك الواردة على مذهبي ·

* * *

فالدليل الاول لهذا المسلك انه اتفق مهرة اللغات بانه قد ضاع اصول كثير من كلمات العبرانية والسريانية ولا يدري حقيقتها فيهما لكن توجد اصولها في العربية ، فوجود الفروع في العبرانية والسريانية ووجود الاصول في العربية يدل ظاهراً انهما اخذتا هذه الكلمات من العربية ولما لم توجد اصولها فيهما قال أهل الظاهر بانها مجهولة الحقيقة والا فلا جهل في الواقع بالنظر الى العربية ·

والدليل الثاني انه يوجد في العبرانية والسريانية كلمات سقط بعض أجزائها ، فهي ساقطة الاجزاء في تينك اللغتين ، وهذه الاجزاء الساقطة توجد في العربية وهي مثل انت وال التعريفي فالنون في انت واللام في ال لا توجدان في العبرانية والسريانية ، وهما موجودتان في العربية فلا تخلو اما انها نقلت من العربية الى تينك اللغتين باسقاط بعض الاجزاء ، واما انها نقلت منهما الى العربية بازدياد بعض الحروف

والقياس يرجح الاحتمال الاول فان القاعدة الاكثرية بل الكلية ان كلمة اذا نقلت من لسان الى لسان آخر فان هذا النقل دليل كثرة استعماله ، وتلك تقتضي الخفة وهي لا تكون الا باسقاط بعض الاجزاء ، فالكلمة المقولة تقبل السقوط وترى ناقصة في مقابلة المنقول عنها ، فوجود مثل هذه الكلمات ناقصة فيها وتامة في العربية دليل على كونها فرعاً والعربية اصلا ·

الدليل الثالث حرف الضاد لا يوجد الا في العربية ، واما الصاد والعين فتوجدان في العبرانية والسريانية ايضاً ، وثمرة هذا الاختلاف ان الكلمات العربية التي فيها (ض) توجد في العبرانية بالصاد وفي السريانية بالعين مثل أرض وقبض وهما في العبرانية ارص وقبص وفي السريانية أرع وقبع ·

فلا يسلم العقل السليم ان ارضا أخذت من أرص او أرع فانه يأبى كل الإباء ان يبدل الصاد اوالعين من الضاد مع وجودها في العربية ، لانا لا نعرف امراً أحوج اهل العرب الى تبديل الحرف ، فلا شك ان امثال هذه الكلمة عربية ونقلت منها الى العبرانية والسريانية واذ لم تكن الضاد عند العبرانيين والسريانيين لكونهم فقدوها للاسباب الفطرية من اختلاف الأزمنة والأمكنة وغيرها ، احتاجوا الى التبديل فبدلها احدهما من الصاد والآخر من العين — وليس هذا الامر مقصوراً على الضاد بل لا توجد الثاء والذال ايضاً في العبرانية والسريانية ، والكلمات العربية التي فيها احد هذين الحرفين توجد فيهما مبدلة من الحروف الأُخر ، فالكلمات التي فيها الثاء توجد في العبرانية بالشين وفي السريانية بالتاء ، كالثلج في العبرانية شلج وفي السريانية تلج ، والتي فيها الذال توجد في العبرانية بالدال وفي السريانية بالزاي ، كالذكر في العبرانية دكر وفي السريانية زكر ، وبالجملة فقد جاءت الوف من الكلمات في هاتين اللغتين من العربية بحيث لا يمكن ان يشك فيها انها أخذت في العربية منها ، فانه لم يكن لاهل العرب احتياج قط الى تبديل الحرف · هذا الدليل من أجلى البديهيات فلا يستطاع إباؤه ولو لم يكن معه شيء آخر لكفى ·

الدليل الرابع : اتفق المؤرخون ان سفر أيوب اول كتاب دُوّن في العبرانية وفيه من الكلمات العربية ما لا يعد ولا يحصى · وهذا يدل على ان العبرانية لم تكن

لغة مستقلة في سالف الزمان وانما اللغة المستقلة كانت هي العربية فجعلت تتغير في قبيلة العبرانيين للأسباب الفطرية حتى حصلت صورة مستقلة مسماة بالعبرانية ، وحين دُوّن سفر ايوب لم تكن العبرانية انفصلت عن العربية بالدرجة التي انفصلت عنها فيما بعد ٠

***

ولنتوجه الآن الى الاعتراضات التي ترد على هذا الرأي :

فالشبهة الاولى ان ابتداء اهل العرب من قحطان او يقطان وهو ابن عابر الذي هو ابو العبرانيين فكيف تكون العربية متقدمة عن العبرانية ومأخذاً لها ٠

ولا حقيقة لهذا الاعتراض في الواقع فان غاية ما في الباب ان ابتداء هذه التسمية من قحطان ولم يكن هذا الاسم قبله ، لكن لا نزاع في قدامة اسم العربية بل في ان اللغة التي تسمى الآن بالعربية هل هي أقدم من اللغات السامية الأخرى وأمٌّ لها ؟ وقد مضى قولنا في اثبات أميتها ، فلا ضير في حداثة هذا الاسم فنقول بناءً على البراهين المذكورة ان لغة عابر التي كان أجداده يتكلمون بها سارت بعينها الى قبيلة القحطانيين فسميت بالعربية ، اما القبائل الاخرى كالتي سميت فيما بعد بالعبرانيين والسريانيين فانها لما انفصلت جعلت تبعد عن لغة جدها ، فاختلفت لغاتها باقتضاء القوانين الفطرية من اختلاف الأزمنة والأمكنة والماء والهواء وغيرها ٠ واما لغة الذين سموا العرب فانهم لم يتركوا لغة جدهم ولم يزالوا يتكلمون بها على حالها ولا أقول ان لغتهم لم تقبل تغيراً اصلاً اذ لاشك ان التغير الذي هو مقتضى الاسباب الفطرية حصل فيها ايضاً لكنه لم يكن بحيث تتغير لغتهم رأساً بل انه كان كما يكون للغة واحدة في أعصار مختلفة ولا يطلق عليها لاجله اسم آخر فيتحقق ان اللغة الاصلية هي التي تسمى العربية وان لم يكن الاسم قديماً واصلياً ٠ واما امر تقدم جد العبرانيين على جد العربيين فهو ليس مما ينبغي ان يلتفت اليه ٠ فانه ان كان تقدم الجد سبباً لتقدم اللسان لزم ان تكون الكلدانية أقدم من العبرانية وأصلاً لها ، لان جد الكلدانيين أثور ابن ابن سام بلاواسطة وجد العبرانيين ابن ابن سام فلتكن العبرانية على هذا مأخوذة من الكلدانية ولم يقل به احد ٠

الشبهة الثانية : لم تكتب العربية ولم تقرأ قبل المئة السادسة من المسيح وسبقتها العبرانية والسريانية في هذين الوصفين من أقدم الزمان ·

لا يخفى ان هذه الشبهة واهية جداً فان كتابة لغة وقراءتها لا ترادف وجودها فيحكم بوجودها قبل الاتصاف بهما لنسلم ان العربية متأخرة عن العبرانية والسريانية فيهما بل هي متأخرة في التأثر عن جميع آثار التمدن لكن ليس معنى هذا التأخر انها حصلت في الوجود بعدهما · والحق ان العلة الخاصة التي سلمت بها العربية من التغيرات وبقيت على الحالة التي تركها عليها المورث هي ان حملتها قوم من اهل البدو الذين كانوا في غاية البعد عن التمدن وعلى خلافها العبرانية والسريانية فانهما اخذتا تتغيران يوماً فيوماً لان الأمم الحاملة لها كانت متمدنة ولم يكن لها بد من التغير فان كثرة استعمال الكلمات اللازمة للتمدن صارت سبباً لاسقاط اجزاء الكلمات وغيرت صورها فجعلتا تختلفان شيئاً فشيئاً عن اللغة الاصلية حتى صارتا مستقلتين مختلفتين كل الاختلاف ولم يمس اللغة الاصلية العربية شيء من هذه الامور فسلمت وبقيت على حالها ·

عليكرة (الهند) : السيد محمد بدر الدين العلوي

بعض اعلام اندلسية

«أرى في بعض المترجمات أحياناً في الموضوعات التي لها علاقة بالاندلس بعض أعلام محرفة من اسماء البلدان وغيرها . وقد جمعت طائفة صغيرة منها اثناء المطالعة وعرضتها على الاستاذ العلامة الاب آسين استاذ العربية في جامعة مجريط وعضو مجمعنا العلمي فتفضل ونظر فيها واني أشكره على عنايته هنا ، وارجو من سعة فضله ان يتكرم هو والاستاذ دافيد لو پس عضو مجمعنا العلمي ايضاً في اشبونة ومن اساتذة جامعة العاصمة البرتقالية فيكتبا لهذه المجلة بقية الأعلام الأندلسية بالعربية مع ما يقابلها بالافرنسية او البرتقالية او الاسبانية لتنشر في هذه الصحيفة تتمة لما فاتني من الأعلام وانا على ثقة بانها تعد بالعشرات ليتيسر للباحثين والدارسين الرجوع اليها عند مسيس الحاجة» .

محمد كرد علي

* * *

الجزيرة الخضراء	Algeciras	القنطرة	Alcantara
المدور	Almodovar	أرجدونه	Archidona
المنكّر	Almunécar	أرغون	Aragon
البشرات	Alpujarrat (Anda — loucie)	آبله	Avila
البنت	Alpuente (Valence)	ركش	Arcos
استرقة	Astorga(Léon)	جزيرة شقر	Alcira
ارملة	Armilla	الكدية	Alcudia
المَرية	Alméria	الحمراء	Alhambra
عذرا	Adra	الشرف	Aljarafe (Séville)
البسيط	Albacete	ابو عبد الله (آخر	Aboabdil
القُليعة	Alcolea	ملوك بني الاحمر)	
القصر	Alcazar	الغرب	Algarve

Alicante	القنت
Barcelone	برشلونة
Baena	بَيَّانة
Badajoz	بَطَلْيُوس
Berja	بَرْجة
Baza (Grenade)	بسطة
Les Baléares	جزائر شرق الاندلس (ميورقة ومنورقة)
Beja (Portugal)	باجة
Bobaxter	بُبشتر
Basques	البشكنت (البوشكند)
Castellon de la Plana	قَشْتَلْيون
Coimbre	قلمرية
Collosa (Alicante)	قلوجة
Cuenca	كونكة (كنكة)
Cordoue	قرطبة
Cacerès	حصن قاصرش
Chinchilla	جنجيلة
Coria	قورية
Cadix	قادس
Cintra	شَنْتَرة
Castille	قشتالة
Cazlona	قسطلونة
Calatayud	قلعة ايوب
Carcar «?»	قلقره (قلهره)
Calatrava	قلعة رباح
Duera	دويرة (نهر)
Dalia	دلاية
Denia	دانية
Estepona « Malaga »	اشطبونة
Ecija	إستجة
Guadalquivir	الوادي الكبير
Guadavira	وادي ابرة
Guadajoz	وادي شوش
Guadaljara	وادي الحجارة
Guadiana	نهر آنة
Grazaléma	مدينة ابن السلم
Guadix	وادي آش
Gerone	جرندة
Génil	نهر الشنيل
Galicia	جليقية
Gibraltar	جبل طارق
Grenade	غرناطة
Généralife	جنة العريف
Gibraléon	جبل العيون
Guadalete	وادي لكة
Huelva	ولبة
Huesca	وشقة
Huete	وبدة
Ibiza	يابسة

يافة	Jaca
جيان	Jaen
شريقة	Jerica «Castellàn»
شاطبة	Jatiba « Valencia»
شريش (شرش)	Jerez «Andalucia»
لورقة	Lorca
الاشانة	Lucena
لاردة	Lérida
لوشة	Loja « Grenade »
اشبونة (اشبونة)	Lisbonne
لك	Lugo
فحص البلوط	Llano de las bellotas « Cordoue »
مالقة	Malaga
مرسية	Murcie
مربلة	Marbella
مجريط	Madrid
مدينة سالم	Medinaceli
مرشانة	Marchena
منتشون(منت شون)	Monzon(Huesca)
مورلة	Morella « Castellon »
منورقة (جزيرة)	Minorque
ميورقة	Majorque
المستعرب	Mazàrabe
مولة	Mula«Murcia»
مورو	Morou
منتيشة	Montesa (Valencia)
لبلة	Niebla
ناجرة	Najera «Navarra»
اربونة	Narbonne «France»
أوريولة	Orihuela
حصن وخشمة	Osma
اشكونة او اكشونية او الخشونية او اقشونية	Ossonoba
بنبلونة (بمفلونة)	Pamplona
بطروش	Peotroche
بنشكلة (حصن)	Pêniscola
بجانة	Pechina
البرتقال	Porto
قيجادة	Quesada (Jaen)
ملوك الطوائف	Reyes de Taïfas
رية	Rayya
صلمنكة	Salamanque
اشبيلية	Séville
شلب	Silves
سرقسطة	Saragosse
شقوبية	Ségovie
شنت ياقب	Santiago
شنتالية (شنت أولالية)	Santa-Eulalia

جبل الشلير (جبل الثلج)	Sierra Nevada
شقورة	Segura «Jaen»
شنتبرية	Santover
شلطيش	Saltes
شنت مارية	Santa Maria
سلبانية	Salobrena «Grenade»
رُنْدَة	Serranie de Ronde
شَنْتَرين	Santarem
شَذونة	Sidonia
شنت اشتبين	San Estevan
تركونة (طركونة)	Tarragone
تاجُه (نهر)	Tage
جزيرة طريف	Tarifa
تدمير	Todmir

طُلَيْطلة	Tolède
تُرجيلة	Trujillo (Càceres)
تطيلة	Tudèle
طلبيرة	Talavera
طرطوشة	Tartosa
أقليش	Uclès
بُلْش	Vélez
بَلنسية	Valence
بلنتلة	Valentola
بازو	Viseu
حصن تلبيرة	Valtierra
حصن بقيرة	Viguera
شُقندة	Xecunda
سَمُّورة	Zamora

الغريب الفصيح في العامي

— ٣ —

(٩٣) فقس — و يقولون فقس الفخ اذا أفلت من صلبه ثم أطلقوها مجازاً على اطلاق حشوة البندقية فقالوا فقست البارودة او البندقية وتجوزوا ايضاً فقالوا فقس طبع فلان اذا انطلق صوت غضبه · وفي اللغة حكى في المخصص عن صاحب العين المفقاس عودان يشد طرفاها بخيط كالذي وسط الفخ ثم يلوى احدهما ثم يجعل بينهما شيء يشدهما ثم يوضع فوقهـا الشَرَكة فاذا اصابها شيء فقست اي وثبت ثم اعلقت الشركة في الصيد · وفي القاموس ينفقس على الطير ينقلب ·

(٩٤) مفاص فيصة — و يقولون ليس لفلان عن هذا الامر مفاص اي مهرب او محيد وليس له فيصة عنه · وفي اللغة عن القاموس فاص في الارض يفيص ذهب وما فِصت ما برحت وما عنه مفيص مهرب ·

(٩٥) فوطة فوط — و يقولون للمئزر او لما يشبهه فوطة بالضم وجمعها فُوَط كزفر ومنه فوط الحمّام · وفي اللغة الفوط كزفر ضرب من الثياب قصار غلاظ تكون مآزر واحدتها فوطة قاله ثعلب وقال الفيروزابادي الفوط كصرد ثياب تجلب من السند او مآزر مخططة الواحدة فوطة بالضم او هي لغة سندية ·

(٩٦) قحف — و يقولون قحف الشيء اذا ذهب به واخذه أخذاً شديداً وكذلك قحف الحب ونحوه · وفي اللغة قال ابن دريد اقتحف ما في الاناء شربه اجمع · وفي القاموس في معاني القحف وشرب جميع ما في الاناء كالاقتحاف واستخراج ما في الاناء او جذب الثريد وغيره منه والقحاف بالكسر شدة الشرب وكمكنسة المذراة يقحف بها الحب والقاحف المطر يجيء فجأة فيقتحف كل شيء اي يذهب به ·

(٩٧) المقارشة — و يقولون لا تقارشني ولا أقارشك يريدون لا اشترك معك في عمل ولا أندخل معك في شيء · وفي اللغة تقارشت الرماح صك بعضها بعضاً قاله ابن السكيت · وفي القاموس تقارشت الرماح تداخلت في الحرب · وفي الاساس

فلان يقرش لعياله ويقترش ويتقرش يكتسب ويجمع من هنا وهنا والقرش في الاصل الجمع من مختلفات الاشياء فتكون في محل واحد ٠

(٩٨) قرّط التقريط — و يقولون فلان يقرّط على اهله وعلى اولاده يعطيهم قليلاً ٠ وفي اللغة قرّط عليه أعطاه قليلاً قليلاً ومنه القرّاط الذي يسمى القيراط قاله ابن دريد ٠

(٩٩) قرنة — و يقولون لباطن الزاوية من البيت وغيره قرنة ٠ وفي اللغة عن ابن دريد قرنة البيت زاويته ٠

(١٠٠) قزّت التقزز — و يقولون قزت نفسي من الشيء اذا عافته وهذا الشيء تقز منه النفس اي تعافه وتأباه ٠ وفي اللغة حكى عن ثعلب قزت نفسي عن الشيء عافته ٠ وفي كتاب العين تقزز عن الشيء اذا لم يطعمه ولا يشرب به بارادة ٠

(١٠١) قطف النحل — و يقولون قطفت النحل بمعنى جنيت شهده وقطفت العسل وعسل مقطوف بمعنى مشتار ٠ وفي اللغة قطفت العسل جنيته وأنشد ثعلب :

(جنى النحل اوابكار عوذ يُقطف)

(١٠٢) قطم قطمة مقطومة قسمة — و يقولون قطمة خيط اي قطعة منه ومثله قسمة بفتح القاف ٠ و يقولون قطم الخيط فهو مقطوم اي قطعه فهو مقطوع ٠ وفي اللغة كما في القاموس قطم الشيء قطعه ٠ وفي الاساس مقطم البازي مخلبه وهذا الشيء مر المقطم مر المذاق لان المذوق يقطع بالاسنان غالباً وقال ابن هرمه :

(أنقذ الله به من فتنة مرة المقطم في في من قطم)

ومثل القطمة القصمة بقاف مكسورة بعدها صاد من القصم وهو القطع ٠

(١٠٣) قفة — ويقولون لمن لا يبرح من مكانه (قعد كأنه قفة) يريدون انه جامد لا يتحرك ولا يبرح مكانه ٠ ويسمون ما يصنع من الخوص قفة ٠ وفي اللغة القفة الشجرة البالية اليابسة عن القاموس ٠ وفي الاساس شيخ كأنه قفة ٠ وقفّت الشجرة يبست والقفاف والجفاف بمعنى واحد ٠ وفي المصباح القفة القرعة اليابسة ما يتخذ من خوص كهيئة القرعة تضع المرأة فيه القطن ونحوه ٠

(١٠٤) تقلعط مقلعط قلعاط — و يقولون فلان مقلعط وتقلعط عن العمل واصابه قلعاط · و يريدون من ذلك انه بطيء غير ماض في عمله ولا يحسن او لا يريد ان يحسن منه شيئًا · وبعضهم يقولها بالتاء بدلاً من الطاء · وفي اللغة تقلع في مشيه كأنه ينقلع من وحل ·

(١٠٥) قليّلة — ويقولون للجثة اذا وصفوها بالصغر والقصر قليلة تصغير قليلة وفي اللغة القليلة (بغير تصغير) القصيرة ونسوة قلائل قصار حكاه ابن السكيت ·

(١٠٦) التقويب — و يقولون قوّب الصخرة اذا حفر تحتها ووضع مخلاً او شبهه ليقتلعها · وفي اللغة القوب حفر الارض كالتقويب عن القاموس · وقوّبه تقويبًا قلعه فتقوّب عنه ايضًا ·

(١٠٧) كرت — و يقولون إكرتْ فلان (بصيغة الامر) اي اطرده وفلان مكروت اي مطرود · وفي اللغة بالدال عوضًا عن التاء وكثيراً ما تقلب الدال تاءً عندهم · قال في القاموس في معاني الكرد · والسوق وطرد العدو والقطع ·

(١٠٨) كرّاز كراريز — و يقولون للكبير من تيوس المعزى كُرّاز بضم الكاف وتشديد الراء و يجمعونه على كراريز · وفي اللغة عن ابن السكيت يقال للكبش الذي يحمل خرج الراعي كراز (بالفتح) قال الراجز :

(ياليت اني وسبعًا في غنم والخرج منها فوق كرّاز أجم)

فهو في الفصيح للغنم وفي العامي للمعزى وسمي كرازاً من الكرز وهو الخرج وزناً ومعنى ·

(١٠٩) الكزم اكزم كزماء — و يقولون فلان اكزم وهي كزماء اذا كانا قصيري الانف عريضيه · وفي اللغة الكزم محركة قصر الانف وانفتاح المنخرين وقيل هو قصر الانف والاذن والشفة واللحي واليد والقدم وتقلصها وقيل هو قصر الشفة وتقلصها ·

(١١٠) كعبورة — و يقولون للصبية اذا كانت مجتمعة الجسم كعبورة وربما أبدلوا الراء لامًا وله نظائر عندهم · وفي اللغة الكعبورة كل مجتمع مكتتل قاله في المخصص · وفي القاموس الكعبور بالضم كل مجتمع كالكعبورة ·

(١١١) كع — و يقولون كع فلان عن الشيء اذا عجز وكعيت عنه بالتخفيف اذا عجزت بعد ان طلبته فلم اجده فملت الطلب ورجعت عنه · وفي اللغة رجل كع ضعيف عاجز وكع يكع بالكسر والضم كعًا وكعوعًا وكعاعة هاب القوم وتركهم بعدما أرادهم · قال ابن قتيبة كع فلان عن الامر ولا يقال كاعًا وأثبته البطليوسي حاكيًا عن الخليل وجعل قول القتيبي هو المشهور ·

(١١٢) الكوائر كوارة — و يقولون الكوائر واحدتها كوارة بالضم لما يكون في بيوت الزارعين من الخلايا المصنوعة غالبـًا من الطين المتلاصقة والمنفردة المعدة لادخار الحبوب · وفي اللغة الكوائر واحدتها كُوارة وكوّارة وهي الخلايا الاهلية قال ابو حنيفة هي عربية وقال بعضهم الكوائر صغار الخلايا · وفي القاموس وكوارة النحل بالضم وتكسر وتشدد الاولى شيء يتخـذ للنحل من القضبان او الطين ··· او الكوّارات الخلايا الاهلية انتهى · وعلى هذا فكأن الخلايا الاهلية اخذ اسمهـا كوارة من خلايا النحل ·

(١١٣) لبج — و يقولون لبج فلان فلانًا اذا ضرب به برجله · وفي اللغة لبج به الارض صرعه وبالعصا ضرب به كما في القاموس · ومثله في الاساس ·

(١١٤) لبقـة — و يقولون للمرأة اذا كانت صناع اليدين رشيقة حسنة الصنعة والهندام لِبْقة وزان سدرة يريدون لَبِقَة وزانه كَلِمة · و يقولون لبق له هذا الشيء اذا صار به حسن الهندام و بابه فرح · وفي اللغة اللبق ككتف وامير الحاذق بالعمل وفي المخصص اللبقة الحسنة الدل واللبسة ايضًا ·

(١١٥) لت لتلتة لتلات — و يقولون لت فلان ثوبه اذا اصابه بشيء من ماء فيه تراب ونحوه و يسمون ذلك لتلتة وفلان ملتلت بصيغة المفعول من ذلك وتجوزوا فيها فقالوا فلان يلت في كلامه اذا كان يُشيّبه بكدر من القول الفارغ وهو لتلات و يقولون ايضًا لتّ العجين اذا ألقى عليه وهو يعركه بيده ماء وطحينًا · وفي اللغة لت السويق جدحه (بله بقليل من الماء) وعن بعض العرب كما في الاساس أصابنا مطر لتّ ثيابنا لتًا فأروضت منه الارض كلها اي بلّها · وفي القاموس اللُتَات بالضم مافت من قشور الشجر وما لت به ولت يلت (من باب ردّ يردّ) ·

(١١٦) لسّ — و يقولون لسّ فلان الاكل ورأيته يلسّ اي يأكل · وفي اللغة اللسّ الاكل وأنشد ابو عبيد :

(قد اخضر من لسّ الغمير جحافله)

(١١٧) لطا لاطي — و يقولون لطا فلان من المطر اذا لصق الى ظل شرفة او جانب بناء يقيه من المطر ولطا فلان في بيته اذا تطامن وسكن ولصق في البيت لايخرج منه · وفي اللغة عن القاموس لطأ كمنع وفرح (مهموزاً) لصق لطأً ولطوءاً ·

(١١٨) لطش تلاطش — و يقولون تلاطش القوم اذا تضاربوا ولطشه اذا ضربه بيده ووقع بينهم اللطش اي الحرب والضرب · وفي اللغة كما في المخصص عن ابي زيد تلاطث القوم تضاربوا بالسيوف · وفي القاموس تضاربوا بايديهم قال ولطثه ضربه بعرض اليد او بعود عريض وقد أبدلت العامة الثاء شيناً ·

(١١٩) لَعْنَة — و يقولون فلان لعنة من اللعنات اذا كان شريراً · وفي اللغة هو الإلَعْنَة بكسر الهمزة وفتح اللام وسكون العين قال ابو زيد الإلَعْنة الشرير فيكون استعمال العامة له بحذف الهمزة على معناه او هو من اللعنة بضم اللام وهو الذي يلعنه الناس · قال ابو زيد في نوادره ما انت الا لُعنة في الناس اذا لعنوه (واللُعَنَة بضم ففتح الكثير اللعن للناس عن الائمة) فيكون استعمال العامة له بفتح اللام في الشرير من باب إطلاق اللازم عن الملزوم لان لعنة الناس لازمة للشرير ·

(١٢٠) لقاط — ويسمون ما يقع من قبضة حاصد السنابل وما يسقط من منجله وما يبقى في الارض لقاط وزان كتاب · وفي اللغة حكى ابن سيده عن ابي حنيفة و يقال لما سقط في الارض من السنبل عند الحصاد مما تخطئه القبضة اللقط كصرد الواحدة لُقطة بالضم و يقال لالتقاطه اللقاط بالكسر و بالفتح قال واللقاط بالفتح مااخطأته المناجل · وفي الاساس والتقطوا لقطاً وألقاطاً ولَقاطاً وهو ما يلتقط من السنبل والتمر المنتثر ·

(١٢١) لاص لوصاناً لوصة لاوص ملاوصة — يقولون لاص فلان اذا مل العمل فهو لا يعمل وكأنه يعمل و ينظر يمنة و يسرة كمن يريد الانفلات ولاوص

ملاوصة وعمله ملاوصة من ذلك . وفي اللغة لاص حادَ ولاوص نظر كأنه يختل ليروم امراً عن القاموس . ولاوص في نظره يمنة ويسرة نظر الى هنا والى هنا . وفي الاساس هو يلاوص الشجرة ينظر يمنة ويسرة كيف يقطعها .

(١٢٢) ممروتة — و يقولون فلان مروت اذا تضاءل شخصه ووقف نمو جسمه . وفي اللغة ارض ممروتة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها والاسم المروتة . والاصل في المرت الملس يقال مرت جلده اذا ملسته وبابه ضرب .

(١٢٣) المسط ممسوط التمسيط — و يقولون مسط الظرف اذا خرطه بكفه وأصابعه ليخرج بقية مافيه والاسم التمسيط وظرف ممسوط ومصران ممسوط من ذلك . وفي اللغة مسط الثوب بله باصبعه ثم خرطه بيده ليخرج ماؤه والسقاء أخرج ما فيه من لبن خاثر باصبعه عن الخصص . وفي القاموس مسط المعى خرط مافيه باصبعه والثوب بله ثم خرطه بيده ليخرج ماؤه والسقاء أخرج مافيه من لبن خاثر باصبعه .

(١٢٤) المعس ممعوس — و يقولون معسه معساً اذا دلكه وضغط عليه حتى خلط بعض أجزائه ببعض . وفي اللغة عن القاموس معسه دلكه شديداً ومعسه اهانه .

(١٢٥) المعك — و يقولون معكه معكاً بمعناها والمعك عندهم أخف من المعس و يقولون معكته اذا ضربته حتى تركته ممرغاً بالتراب . واذا افتخر احدهم بضربه خصمه قال معكته معكة قوية فاذا بالغ قال معسته معساً .

(١٢٦) مغج — و يقولون مغج الرضيع الثدي مغجاً اذا التقمه بكل فمه ومصه مصاً شديداً . وفي اللغة قال ابن سيده عن ابن دريد مغج الفصيل أمه يمغجها مغجاً مثل لهزها وفسر لهزها بقوله مصها مصاً شديداً . وفي القاموس معج (بالعين المهملة) كمنع أسرع والفصيل ضرع أمه لهزه وفي مادة لهز قال و (لهز) الفصيل ضرب ضرع أمه برأسه عند الرضاع . ولم يزد على ذلك في هذا المعنى شيئاً .

(١٢٧) مق مقمقة — و يقولون مق الولد الكوز او الثدي اذا مصه بكل فمه بشراهة ويسمونها مقمقة . وفي اللغة مك (بالكاف) الصبي ثدي أمه مكاً ومكمكه استقصى مصه . قال ابن دريد مك الصبي ثدي امه يمكه مكاً ومكمكه استقصى مصه

ومن هذا اشتقاق مكة لقلة الماء بها لانهم كانوا يتكون الماء اي يستخرجونه . وقال مقمق الحوار خلف امه مصه مصاً شديداً .

(١٢٨) مقل — و يقولون مقلني فلان بعينه اذا نظر اليّ نظراً شديداً ومامقلت عيني مثلك ما نظرت . وفي اللغة المقل النظر عن الائمة . وفي الاساس مقلته بعيني وما مقلت عيناي مثله .

(١٢٩) نتف نتفة نتنيف — يقولون اعطني نتفة بفتح النون وربما كسرت و يشتقون منها فعلاً فيقولون نتّفه تنتيفاً اي جعله نتفاً صغاراً و يريدون من ذلك كله الشيء القليل . وفي اللغة عن ابي حنيفة التنتيف ان تأخذ من الثمر شيئاً قليلاً . وفي القاموس النُتفة بالضم ما تنتفه باصبعك من النبت وغيره جمعه نتف كصرد وهمزة . وفي المصباح النتفة من النبات القطعة وجمعه نتف كغرفة وغرف . وفي الاساس من المجاز اعطاه نتفة من الطعام وغيره شيئاً منه .

(١٣٠) نتل — و يقولون فلان نتل الحبل اذا جذبه اليه بقوةٍ ونتل نفسه من بين اصحابه ثم خرج اذا قذف بنفسه وتقدمهم في الخروج . وفي اللغة عن القاموس نتل من بينهم ينتل (من باب ضرب) نتلا ونتولا ونتلاناً واستنتل تقدم . والنتل ايضاً الجذب الى قدّام وفي المصباح نتلته نتلاً من باب ضرب وقتل جذبته الى قُبُل .

(١٣١) نحط النحيط التنحيط — و يقولون نحط ينحط و يُنَحِّط اذا زفر من اعماق صدره من الاعياء والاسم النحط والنحيط والتنحيط . وفي اللغة النحط والنحيط من أصوات الخيل وهو الصوت من الثقل والاعياء يكون بين الصدر الى الحلق نحط ينحط نحطاً من باب ضرب عن المخصص . وفي القاموس زفر زفيراً وفي الاساس نحوه .

(١٣٢) نس نسيس — و يقولون فلان نسّ وذهب اذا مشي مشياً خفيفاً متضائلاً حتى لا يُحَسّ . وفي اللغة النس السوق اللطيف كما في كتاب العين وورد في كلامهم « لا تجبزا خبزاً ونساً نساً » والخبز السوق الشديد والنس السوق اللطيف .

(١٣٣) نوعر نوعرة — و يقولون نوعر الحمار اذا ضرب برأسه الى الارض

بفرك شفتيه بها من ذباب يسمونه ناعورة ثم استعاروه لغير الحمار . وفي اللغة نعر الحمار اذا ركبته النُعَرة كهُمَزة وثمرة وهي ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها ولا يضر هذا النعر الا الحُمُر فانه يأتي الحمار ويدخل في منخره فيربض ويعلك بجحفلته الارض واذا سمعت الحمير طنينه ربضت ودسسن انوفهن في الارض حذره عن المخصص .

(١٣٤) نناقير نقار مناقرة — ويسمون الثمرات الاولى من الشجر وهي التي تسبق غيرها فتظهر احاداً منفردة « نناقير » ونقرت الثمار ظهر بعضها دون البعض الآخر . و يقولون للرجلين اذا تخاصما وتبادلا الكلام في الخصام تناقرا وبينهما نقار ومناقرة . وفي اللغة انتقر الرجل دعا بعضاً دون بعض ومنه النقرى . قال صاحب العين نقرت باسمه من بينهم . وقال ابن السكيت اذا خص بدعوته فهي الانتقار واصل ذلك النقر وهو التقاط الطائر الحبة من هنا ومن هنا عن القاموس . وبواكير الثمر اذا أدرك بعضها هنا وبعضها هنا فقد نقرت وهو من المجاز . وكذلك المناقرة للمراجعة في الكلام عند الخصام من المجاز ايضاً . وفي الاساس بينهما مناقرة ومراجعة في الكلام . وفي القاموس بينهما مناقرة ونقار وناقره ونقرة بالكسر اي مراجعة في الكلام والمتخاصمان في اول الخصام يتراجعان في الكلام .

(١٣٥) نميص النميص — و يقولون للعشب اول نبتته نميص ونمَّصت الارض تنميصاً أنبتت النميص ونمصت الدابة اكلت النميص . وفي اللغة قال ابن سيده في المخصص عن ابي حنيفة واذا ارتفع العشب قليلاً حتى يمكن ان ينتف بالاظفار فهو النميص . وقد أنمص البقل . وفي القاموس هو من النبت ما نمصته الماشية بافواهها . واصل النمص بالفتح النتف . وسمي نميصاً اما لانه يستطاع نتفه بالاظفار او لان الدابة تنتفه باسنانها .

(١٣٦) هبج — ويقولون هبجه على رأسه اذا ضربه وهذه هبجة من هبجاتك اي ضربة من ضرباتك و بابه ضرب . وفي اللغة هبجه بالعصا ضربه عن المخصص ومثله عن القاموس و بابه منع .

(٢٣٧) هبّر التهبير — و يقولون هبّر الكلب فلاناً بالتشديد اذا جرحه جرحاً

بالغًا و يريدون منها على المبالغة اخذ قطعة من لحمه ٠ و يقولون هبّرني تهبيراً اذا قطع من لحمي بجراحه البالغة ٠ وفي اللغة هَبَره مخففة قطعه قطعًا كباراً وهبر له من اللحم هَبرة بالفتح قطع له قطعة ٠ وفي الاساس قطع هبرة من اللحم بضعة ٠

(١٣٨) هج هجيج — و يقولون هجت النار هجيجًا اذا اشتد اشتعالها ٠ وفي اللغة عن ابن دريد هجت النار تهج هجًا وهجيجًا اشتد استعارها ٠ وفي القاموس الهجيج الاجيج ٠

(١٣٩) هدّة — و يقولون سمعنا هدّة اي صوت وقوع حائط ونحوه وهدا الحصان اذا صهل ٠ وفي اللغة عن صاحب العين الهدّة صوت شديد تسمعه من سقوط حائط او ناحية جبل وسمي صهيل الحصان هدّاً لان له صوتاً شديداً ٠

(١٤٠) هدوم هِدم — و يقولون لثياب البذلة هدوم واحدها هدم او هو عام لكل الثياب ٠ وفي اللغة قال ابن سيده الهدم بالكسر الكساء الخلق وجمعه اهدام وهدوم ٠ وقيل هو المرقع او الذي ضوعفت رقاعه ٠

(١٤١) هرس مهروس — و يقولون اذا جاء الهرس بطل الدرس و يريدون بالهرس الاكل ولم أسمعهم أرادوا من هذا الحرف معنى الاكل الا في هـذا المثل ولكنه مطرد الاستعمال عندهم بمعنى الدق الشديد ٠ وفي اللغة الهرس شدة الاكل عن الائمة ٠ ومنه إبل مهاريس اي شديدات الاكل تهرس ماتأكله هرسًا ٠ وحكى عن ابي زيد ان الهرس اخفاء الاكل واما الهرس بمعنى الدق فهو المعنى الشائع ولا مخالف فيه ٠

(١٤٢) هسّ — واذا أمروا احداً بالسكوت وإخفاء الصوت قالوا له (هسّ) ولا تستعمل عندهم فيما أعلم الا بصيغة الامر ٠ وفي اللغة كما في المخصص عن ابن السكيت هسّ الكلام أقصاه وهسّ يهسُّ هسًّا حدث نفسه ٠ وفي القاموس الهسيس الكلام الخفي ٠

(١٤٣) هلس هلاّس — و يقولون للمخادع هلس وزان إبل وهلاّس كشداد وهي في اللغة ألس الهمزة وزان كتف من الالس وهو الخداع ٠

(١٤٤) الهمش — و يقولون همشت الدابة علفها همشًا وفلان أكله وهما بمعنى سرعة الاكل ٠ وفي اللغة الهمش سرعة الاكل حكاه في المخصص عن ابن السكيت ٠

(١٤٥) هاش الهوش الهوشه — و يقولون هاش الرجل اذا ثار للخصام والقتال

وهاج الجمل او الثور . ويقولون ايضاً عملوا هوشة اذا تخاصموا وتقارعوا . وفي اللغة هاش القوم بعضهم الى بعض وهو ادنى القتال عن الخصص . وفي القاموس الهوشة الفتنة والاضطراب والاختلاط . وفي الاساس هاش القوم هوشاً هاجوا واضطربوا وهاش اهل الحرب بعضهم الى بعض خفوا ونهضوا . يقولون وقعت هوشة في السوق وجفلة وهو ان ينفر الناس لخوف يلحقهم وفي المصباح نحو ذلك .

(١٤٦) هيّت التهييت — و يقولون فلان هيّت على فلان اذا صاح به مهدداً ويسمونه التهييت . وفي اللغة التهييت الصوت بالناس وهو فيما قال ابو زيد ان يقول يا هياه و يقال هيّت بالقوم تهييتاً وهوّت بهم تهويتاً اذا أثارهم . وقالوا هيت الرجل صوّت وهوّت به صوت به وصاح ودعاه وقال له هيت هيت واستشهدوا له بقوله :

(يحدو بها كل فتى هيات)

النبطية (جبل عامل) : احمد رضا

عضو المجمع العلمي

جواب الاستاذ العقاد

للمجمع العلمي (1)

حضرة الرئيس الجليل ، حضرات السادة الفضلاء :

أحييكم على البعد تحية القريب الحميم ، وأشكر لكم هذه الزمالة الطيبة التي شرفتموني بها ، واستميحكم الاذن وانا أضع يدي في أيديكم ان اتحدث اليكم — انتم رجال المجمع العلمي العربي الفرد في العالم أجمع — عن أكبر ما يتحدث به المشتغلون بالعربية في هذه الآونة وأعني به المذاهب التي تتجاذب الآداب العصرية في لغة الضاد .

اصطلح بعض الكتاب على تقسيم المعاصرين من الادباء الى قسمين : قسم يسمونهم أنصار القديم او المحافظين ، والقسم الآخر يسمونهم المجددين او « المتفرنجين » . وفي اعتقادي انه تقسيم ناقص موزع لانه لا يحصر وجهة النظر من هؤلاء وهؤلاء ولا يعين على تبيين مواطن الصواب والخطإ من مذهب كل فريق .

والذي أوثره تسهيلاً للبحث وتقريباً لحدوده ان نقسم الدعوات الادبية في العالم العربي الى ثلاثة مذاهب : هي مذهب العصبية ، والمذهب الطبيعي ، ومذهب الاباحة او الانطلاق من جميع القيود .

فأما دعاة العصبية فهم الذين ينتصرون لأدب فترة واحدة من فترات الحياة العربية كأنهم ينتصرون لعصبية قومية على نمط البداوة في تعظيم كل لانسابه لانها انسابه وتنزيه كل للغته ومأثوراته لانها لغته ومأثوراته . فهم يسبغون الكمال المطلق على اللغة العربية في فترة واحدة هي فترة الجاهلية وما لحق بها من عهد الخضرمة وصدر الدولة الأموية ، ويحسبون ان العربية هي لغة هذه الجزيرة في جزيرة العرب دون ما اتى بعدها او سيأتي بعد الآن . فلا تبديل لها ولا زيادة عليها . وان كل كلمة من كلماتها وكل أسلوب من أساليبها انما خلق في قوالب مفرغة كقوالب الخشب والحديد تبلى ولا يطرأ عليها التهذيب والتغيير ، وهي على هذا لغة قائمة في عالم وحدها

(١) أرسله الى المجمع العلمي بمناسبة انتخابه عضواً فيه .

بمعزل عن عالم الارض وما فيه من دواعي التأثير في الانسان وسائر ما يتبع الانسان من أقوال وأعمال وأجناس ودول وأطوار · وقد يزعمون أحياناً انهم يحرصون بهذا على القرآن ويغارون على الدين وما كان القرآن خلواً من كلمات معربة وجموع على غير القياس وعطف وإضافة تلاحظ فيها المعاني لا القواعد اللفظية التي استنبطها النحاة بعد ذلك · وانما سمينا هذا الفريق فريق العصبية ولم نسمهم دعاة القديم لاننا لم نعلم قط قديماً في تاريخ ادبنا كان على الشرائط التي يشترطونها ولم نعرف يوماً واحداً ولا بعض يوم كانت العربية فيه بعيدة عن سنة التحول التي تقضي عليها بقبول الكلمات والتعبيرات من جاراتها ومطاوعة المؤثرات العامة التي لا تستعصي عليها لغة ولا ناطقون بلغة · فهم دعاة عصبية بدوية وليسوا بدعاة قديم ولا هم يعرفون ما ذلك القديم الذي يتشبثون به معرفة الحصر والتقييد · وان في شرح هذا المذهب بل في مجرد الإلمام بتعريفه لتفنيداً له يغني عن التفنيد ·

واما اصحاب المذهب الطبيعي فأقصد بهم الذين يفهمون ان العربية هي لغة المتكلمين بها منذ وجدوا الى اليوم والى ما بعد اليوم بما شاء الله من السنين والدهور · فهي لغة حية تنمو وتتجدد و يعرض لها ما يعرض لكل حي من الحاجة والغنى والضعف والقوة ، وللمتكلمين بها في هذا الزمان حق فيها كالحق الذي كان لاعراب الجاهلية واكبر أضعافاً مضاعفة ، لانهم أرحب دياراً واكثر عدداً وأعلم عقولاً وأوسع افتناناً في شجون القول ومطارح التفكير ، وليس عليهم من واجب لهذه اللغة غير القيام على حفظها وإنهاضها وان يدرأوا عنها اسباب الفوضى والدثور · فاذا جاز لاعرابي في قفار البادية ان يزيد كلمة او كلمات و يبدع أسلوباً او أساليب فذلك جائز الآن لمن يعرفون ان العربية وآدابها وفلسفة اللغات ومقابلاتها وعوامل الزيادة والنقص فيها ما ليس يعرفه ذلك الاعرابي ولا جميع معاصر به · واللغة التي يكون عليها خطر من هذا التصرف المعقول انما هي كالمريض الذي يكون عليه الخطر من تجديد الغذاء حسب اختلاف البيئات والاجواء · ونعوذ بلغتنا التي نودعها ثمرات عقولنا وأفئدتنا ان تبتلى بهذا السقام · فان كانت العربية قد فقدت القدرة على نظم المفردات الجديدة في سلكها وهضم الأساليب المبتكرة في بنيتها وإدماج الطوارئ المستحدثة في قوالب

قواعدها فهي إذن قد فقدت الحياة فعليها العفاء و « ما لجرح بميت ايلام » . وان كانت ما تزال لها هذه القدرة فلا خوف عليها ولا مسوغ للحذر من سلوكنا بها على المسلك الطبيعي الذي لا محيص عنه للانسان ولا لشيء يتعلق بالانسان .

واما الاباحيون او المنطلقون من جميع القيود فأولئك جماعة يريد كل منهم ان يخرق في اللغة خرقاً وان يتخذ لنفسه نحواً وصرفاً وان يكتب كأنما يكتب لنفسه ويتناول الريشة الافرنجية فلا يخرم حرفاً ولا يهفو هفوة في اصول اللغة التي يكتب بها مخافة ان يُعدّ من الجهلاء ، ثم يتناول القلم العربي فيبيح ان يتعثر و ينسى وان يلفق ويخترع كأنه ينشئ لساناً جديداً في جزيرة منقطعة عن العمران لا ضابط له غير هواه وعفو بديهته . ولا جناح عليه من الخطإ هنا لان الخطأ في العربية ربما كان علامة على المعرفة وقلة المبالاة ! .

وهؤلاء الاباحيون اما ان يكون خطؤهم جهلاً او عمداً ، فأما الجاهلون فعذرهم ظاهر واللوم على الجهل لا عليهم فيما يدعون وما يخلطون ، واما المتعمدون فلا ندري لما ذا يخطئون اذا كان الصواب في وسعهم وكانوا يكتبون بلغة يريدون لها الدوام والانتشار والمنعة على أساس القواعد الثابتة والاصول المعروفة ؟ انما القصد في هذا المذهب ان نخطئ متى كان الخطأ خيراً من الصواب او كان الصواب لا يغني عن الخطإ ، ثم متى كان خطؤنا قابلاً لان ينتظم في بنية القواعد العربية من غير إخلال بنسقها الذي يكفل لها الصون والبقاء . اما الخطأ حباً للخطإ ليس الا فهذا رأي لا يدعو اليه عاقل « يحترم » نفسه ويحترم كلاماً يبث فيه أفكاره وخواطره .

هذه أيها السادة مذاهب ثلاثة لا يخفى صوابها من مجرد التعريف المجمل بها . و يقيني انكم قد مشيتم خطوات مشكورات في أقوم هذه المذاهب وأقربها الى الغاية المرموقة ، فعملتم ما استطعتم لاغناء اللغة وحفظها من آفة الفوضى والدثور . فانا غابط نفسي على فرصة أتاحت لي صحبتكم في بقية الطريق الطويل الى تلك الغاية النبيلة التي نستقبلها أجمعين .

عباس محمود العقاد

لامية العرب الكبرى

قصيدة للاستاذ الكبير السيد رضا الشبيبي من أعضاء المجمع العلمي في دارالسلام دعاها « لامية العرب الكبرى » أرسلهـا الى المجمع العلمي العربي فتليت على جمهور من علية القوم وأعيانهم ٠

يسائلني من لو درى لم يسائل ... انا الآن في شغل عن الرد شاغل
ويطلب مني ان اقول ولم أشأ ... ولو شئت لم أترك مقالاً لقائل
من الحق حبس الشعر الا لغاية ... نفرق فيها بين حق و باطل
اذا انت كابرت الحقيقة عبرت ... فصاحة قس عن فهاهة باقل
كفى الشعر ذماً ان للشعر قائلاً ... وما هو الا قائل غير فاعل
ولا خير في شعر اذا لم يقم به ... خمول نبيه او نباهة خامل
اذا قلت ان الشعر بحر غبنته ... متى يستقيم البحر في غير ساحل
قرائحنا منها بحر خضارم ... ومنها اذا جربت رشح الجداول
وأجمع أقوال الرجال اسدها ... معان كبار في حروف قلائل
وقد يفضل البيت البليغ قصيدة ... مطولة لكن على غير طائل
وقد يبلغ اللفظ القصير رسالة ... اذا عدت الألفاظ روح الرسائل
بلاغة سحبان وراء لسانه ... وابلغ منه قلب سحبان وائل
وكم أفلت في مطلع الشمس أنجم ... وكم ذر منه شارق غير آفل
وكم راجل في حلة الشعر رامها ... فأصبح فيها فارساً غير راجل
يرى هجر ما لم ينسجم في كلامه ... كما هجرت عن علة راء واصل
وساجله قوم الى ان رماهم ... بما كف من غرب الفريق المساجل
وكم شعراء في القبائل غبروا ... بما أنشأوه — في وجوه القبائل
اذا نبغوا في قومهم حفلوا بهم ... ولم يعهدوا من قبل عقد المحافل
نشيدك في أبيات شعر نواقص ... دليل على أبيات شعر كوامل
عقود من الدر المنظم فصلت ... وهل زان عقد الدر غير الفواصل

عقـائل عقل الألمعي ارى لها ... من الصون عندي ما أرى للعقائل
اما رفع الطائي [١] في الذكر نعتنا ... وتشبيهنا أشعاره بالسلاسل
ومالت الى الشيخ الكناني [٢] أمة ... وقد بات ذا شق من الداء مائل
وما حال يا عمرو بن بحر ودادنا ... وان صرت ذا لون من السقم حائل
سلاف الكؤوس السائلات لطافة ... جري من لعاب بين شدقيك سائل

* * *

من الشعر هزل مستفاد وربما ... اتاك صريع الجد في هزل هازل
وتعجبنا منه حقائق جمة ... على انها منا تخاييل خائل
أحاول طوراً منه صعباً وطالما ... اتى طائعاً . حاولت او لم أحاول
ويلذعني منه شرار قدحته ... وقد أتلقى منه ريا الخمائل
ترى الذهن حيناً حائلاً غير لاقح ... بشيء وحيناً لاقحاً غير حائل
اهيم بسر الابتكار لانني ... وقد طال عهدي لا ارى غير ناقل
ويحزنني ان الاواخر قصروا ... ولم ينزعوا في الفضل نزع الاوائل
ولم يرثوا من ديدن القوم قبلهم ... سؤال مجيب او إجابة سائل
متى تنجلي هذي القلوب فانها ... رقاق صفاح في أكف صياقل

* * *

عفت بابل ام العراق وجددت ... معانيك اذ أوتيتها سحر بابل
معانيك أرواح هيا كلها اللغى ... وسرك في الارواح لا في الهياكل
تمر بك الاسراب في كل خاطر ... فتنقض فيهن انقضاض الاجادل
وتنصب للفظ الشرود حبائلاً ... فيصطاد من يصغي له بالحبائل
وتسجع ألحاناً تثير بلابلاً ... وتنسى حسان الطير سجع البلابل

---

(١) هو الطائي ابو تمام ويقال لشعره سلاسل الذهب . (٢) في هذه الابيات الثلاثة عقد للجملة البليغة التي فاه بها عمرو بن بحر الجاحظ في جواب من سأله عن حاله وهو مريض مفلوج فقال : شق مائل ، ولون حائل ، ولعاب سائل .

تسافر من معنى بعيد لآخر — وتطوي سهوب الفكر طي المراحل
اذا ارتفعت نفس وجلت تعشقت — جلال المعاني لا جلال المنازل
ارى غربة الانسان شتى صنوفها — وأعظمها لقيان من لم يشاكل
وما كل ربع غص بالناس آهلاً — وان كان في معروفهم غير آهل
وكم هيكل حال كأن لم تحله — وكم عاطل في حلية غير عاطل
يرومون في فرض المغارم سؤدداً — وقد سود السادات حمل الحمائل
شكا الناس فقد المجملين وليتهم — دروا ان ما نشكوه فقد المجامل
يقر لعيني ان تطالع صاحباً — اذا طال في الاقران لم يتطاول
يعالج أضداد الطباع بمثلها — و يلقى بمر الباس حلو الشمائل
اخو شدة في العيش زادته رقة — على رقة في الروح لا في الغلائل
يهون خروج المرء في كل مأزق — اذا اعتاد فيما اعتاد لطف المداخل

* * *

أضاع صوابي عامل غير عالم — سيسأل عنه عالم غير عامل
أحب الى الديان في علم عالم — — اذا هو لم ينفع به — جهل جاهل
اذا لم يزدك العلم تقوى وعفة — فمن قلة التحصيل حفظ المسائل
وطعنك في أحساب قوم ذريعة — الى الطعن في لباتهم والشواكل
ومن يدعي ان المراء فضيلة — فاني أرى الايمان رأس الفضائل
تزول ظلال الخلق عنا سريعة — ولله ظل فوقنا غير زائل
تداولت الايام والحقب بيننا — لتلهمنا اكبار شأن المداول
من الطبع والذوق السليم أدلة — كفت ناقد الاشياء وضع الدلائل
اذا قام حسن الشيء في حد ذاته — فاثبات ذاك الحسن تحصيل حاصل
من الجهل لا من صحة العقل اننا — نحكم في الاقدار اوهام عاقل
امور باسعاف المقادير نلتها — على حين اعيي نيلها بالوسائل

* * *

أتأمل ان ترقى الى الحق سلماً ... وتقعد عجزاً ، تلك آمال آمل
توسط تزد شأناً ففي الكف خمسة ... واطول ما في الكف وسطى الانامل
اذا لم تصب فيها بذات مكانة ... فما انت الا مانع غير باذل
ذووا الجود في ان يعزلوا لم يفرقوا ... أإغراء مغر ثم ام عذل عاذل
خذ الحذر او لا تأخذ الحذر انني ... اذا جاء أمر الله بادي المقاتل
وما هالني كالموت شيء فانني ... ارى كل شيء غيره غير هائل
لقد فشلت أوهامنا وتخاذلت ... من الموت لم يفشل ولم يتخاذل
سأقتل دهري خبرةً وتجارباً ... ولا رد للموت الذي هو قاتلي
كأن البرايا في الوجود قوافل ... تسير الى الاجداث أثر قوافل
فثمة ركب عاجل غير آجل ... وثمة ركب آجل غير عاجل
عبورك في دار التقلب رحلة ... الى دارك الاخرى فكن غير راحل

الجلستان الاخيرتان

— للمجمع العلمي —

« من آخر السنة الماضية اي سنة ١٩٢٥ الى آخر سنتنا هذه »

لم يعقد المجمع العلمي في السنة الفائتة له سوى جلستين احداهما في ١٢ تشرين الاول سنة ١٩٢٥ والثانية في ١ تشرين الاول سنة ١٩٢٦ فافتتحت الجلسة الاولى برئاسة رئيس المجمع وحضور معظم أعضائه فنعى الرئيس اليهم ثلاثة من إخوانهم وهم رفيق بك العظم نزيل القاهرة والدكتور صالح قنباز في حماة وحسن بك بيهم في بيروت ، فوقفت الجلسة بضع دقائق حداداً عليهم ولولا ما صادف وفاتهم اضطراب الأحوال لأقيمت لهم حفلة تأبينية اعترافاً بفضلهم وتنويهاً بسابق مساعيهم في خدمة العلم والوطن السوري . ثم تذاكر الأعضاء في امر ذي شأن ذلك انه ليس للمجمع أعضاء في اميركا مع انه يوجد من المستشرقين من الاميركيين ومن فضلاء المهاجرين السوريين المقيمين ثمة من فيه اللياقة لان يكون في جملة اعضاء المجمع ، وبعد إدارة الرأي في انتخاب اعضاء منهم تقرر ان يكتب الى الدكتور السيد (فيليب حتي) احد أعضاء المجمع المقيم في الولايات المتحدة يسأله رأيه في اختيار اعضاء للمجمع من مستشرقي اميركا ومن السوريين المهاجرين .

وكذلك لم يكن للمجمع أعضاء في بلاد الهند فتقرر انتخاب الحكيم أجمل خان أحد علماء الهند المشهورين كما انتخب ايضاً لعضوية المجمع الاستاذ بوفا السكرتير العام في الجمعية الآسيوية في باريز .

ثم تلي في ختام هذه الجلسة كتاب وارد من مجمع العلوم الروسي يدعو فيه مجمعنا الى إيفاد من يمثله في الحفلة التي سيقيمها على ذكرى مرور مائتي سنة على تأسيسه واذ كانت الأحوال الحاضرة تحول دون إجابة المجمع الروسي الى سؤاله تقرر ان يكتب اليه بالاعتذار عن ارسال عضو من قبله لشهود حفلته .

اما الجلسة الثانية فقد التأمت برئاسة رئيس المجمع وشهود معظم أعضائه وقد افتتحها الرئيس قائلاً :

لم تنعقد لمجمعنا جلسة منذ الجلسة الماضية الواقعة في ١٢ تشرين الاول سنة ١٩٢٥ وذلك بداعي اضطراب الأحوال في جزءٍ من ديار الشام وهذا ما جعلنا نقف المحاضرات ونكتفي باصدار المجلة التي هي لسان حالكم وثمرة قرائحكم .

وقد أُهديت الى المجمع كتب وآثار ذات شأن من ذلك كتب المرحوم السيد رفيق بك العظم احد أعضاء المجمع الذي فجعنا به كما فجعنا باخوان آخرين من الاعضاء كالاستاذ براون في جامعة كمبردج والاستاذ مالنجو في دمشق والاستاذ الياس بك القدسي من أعضاء دمشق فكان المصاب عظيماً .

ثم وقف الرئيس الجلسة حصةً من الزمن آية حداد وتكريماً لاولئك الراحلين .

ثم قال الرئيس ايضاً : تعلمون ان تدني قيمة الورق السوري عطل كثيراً من الاعمال في بلادنا ، وقد كاد المجمع يُضرب بذلك ضربةً قاسية لولا ان تداركه فخامة المفوض السامي السابق المسيو دي جوفنيل الذي منحه عشرة آلاف فرنك ، وفى منها بعض ديونه وابتاع بعض ما لا غنية له عنه من الكتب والاسفار . وممن تبرع له ايضاً القومندان بورجوا والسيد محمد حاجو قولي : الاول بخمسين ليرة سورية والثاني بخمس وعشرين .

وأهم ما قامت به رئاسة المجمع من الاعمال السعي لدى المفوض السامي السابق المشار اليه في فصل مجمعنا العلمي عن الجامعة السورية واستقلاله بادارته وبذلك أصبح المجمع مرتبطاً بوزارة المعارف في اول السنة المقبلة اي سنة ١٩٢٧ م كما هو الحال في معظم المجامع العلمية في العالم . وبهذا الانفصال يكون للمجمع استقلاله المالي وشخصيته المعنوية .

وبموجب هذا الانفصال اي انفصال المجمع عن الجامعة رأى ولاة الامور ان يضعوا نظاماً جديداً للمجمع يجري تطبيقه في السنة الآتية ايضاً أعني (١٩٢٧ م) . ولنا عظيم الرجاء بان يكون لهذا النظام تأثيره الحسن في المجمع وفي ترقية شؤونه وإعلاء كلمته . ونشر دعوته .

واذ قد فقد المجمع طائفة من اعضائه اقترح الرئيس اختيار اعضاء يخلفونهم ويحلون محلهم فرشح من دمشق كلاً من الشاعر الكاتب المشهور السيد شفيق جبري

والعالم الزراعي الامير مصطفى الشهابي ومن بيروت الاستاذ اللغوي الشيخ ابراهيم المنذر ومن مصر كلاً من الكاتب الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد والعالم الاديب الشيخ محمد بن الخضر التونسي من علماء الازهر . فوافق الاعضاء على انتخابهم وكتب اليهم بذلك . وقد تلي في ختام هذه الجلسة كتاب وارد من الحكيم أجمل خان في دهلي الهند الذي انتخب عضواً للمجمع في الجلسة الماضية ضمنه تأكيد وعده للمجمع باعانته وبذل الجهد في مساعدته عند اول فرصة تسنح له .

وقد ذكر الرئيس لحضرات الاعضاء ان المجمع بدأ على سبيل التجربة منذ هذه السنة يعير بعض الكتب المطبوعة الى المشتغلين بالمطالعة والبحث ، يرسلها الى بيوتهم مقابل سندات موقع عليها منهم ، وانه نجح في هذا النهج الجديد فيسر على الادباء والعلماء وغيرهم مهمتهم ، وان النية معقودة ان يتوسع المجمع في السنين المقبلة في سبيل الاعارة للمعروفين من عشاق المطالعة في دمشق عملاً بسنة معظم دور الكتب في العالم المتمدين .

تعليقة لطيفة (١)

هو اسم مجموع من أواخر القرن العاشر علقهـا الشيخ شرف الدين بن ايوب من اهل دمشق وقد ضمنها تراجم كثير من العلماء والادباء والحكماء قال في مقدمتها : « وبعد فهذه تعليقة ظريفة رشيقة الألفاظ لطيفة تشتمل على تواريخ وأشعار ولطائف وأسمار » . بدأ تعليقاته بترجمة القاضي ابن خلكان ناقلاً ترجمته عن ابن شاكر المعروف بالصلاح الكتبي في تاريخه وأورد حوادث له وقعت وأحداثاً سياسية وطرفاً صالحاً من نظمه وحكايات مشهورة متداولة ثم ثنى بترجمة الوزير المهلبي وبُسر بن ارطاة وابن منير الشاعر وابن خطيب داريا الدمشقي محمد بن احمد « وكان غاية في الذكاء بحيث أفرط فيه ويتصرف بلسانه في الكلام كيف شاء وكان كثير الاسراف والمواظبة على مطالعة الكتب لا يكاد يفوته علم من العلوم الا وله فيه مشاركة جيدة عقلياً او نقلياً وله فنون في الجد والهزل توفي في شهر ربيع الاول سنة عشر وثمانمائة ومن رشيق شعره قوله القصيدة التائية التي أولها :

يا برق لولا الثنـايا اللؤلؤيات ... ما شاقني في الدجى منك ابتسامات
ويا حمام الدجى لولا مشـابهتي ... في النوح ماهاج وجداً منك رنات
ويا نسيم الصبا لولا اكتسابك من ... رسائلي لم تبن فيك اللطافات
لاعيب فيَّ سوى اني امرؤٌ غزل ... اهوى الغزال ولي فيـه مقالات
أحبابنـا حدثوا عني النسيم فلي ... الى منازلكم فيـه رسالات
انا الذي شـاع في الدنيا تهتكه ... في الحب واشتهرت عنه خلاعات
لي في النحور وفي لثم الثغور وفي ... ضم الخصور اذا ماست لبـانات
وعشق الخصر والارداف تقعده ... وقد تجافت له عنهـا الغلالات
يا من له باحاديث الصدود هوى ... سلني فلي عن عواليها روايات

(١) أهداها للمجمع العلي معـالي عطا بك الايوبي من أحفاد أحفاد المؤلف فله الشكر على هديته .

واستحك مني حكايات الغرام فلي مع الحواجب والعينين وقعات
كم بين روحي وبين الموت معترك وكم لقلبي والاجفان كسرات
وغادة لذ لي في حبها تلفي وفي الصبابة للفساق لذات
حوراء أجفانها بالضعف كاسرة فهي الجفون الضعيفات القويات
كل المحاسن تبدو من شمائلها كأنما شخصها للعين مرآة
ان قلتم البدر حقاً قد أحف بها فالمحو في وجهه للحقد إثبات
بين الرقاد وعينيها مصادقة وبين نومي وأجفاني معاداة
يزيدني صدها في حبها كلفاً وطال ما أذهب الحب الاساءات

وهي طويلة رائقة مليحة في بابها ويكفي هذا القدر منها » .

وهكذا أثبت جامع هذه التعليقات تراجم كثير مثل ابي القاسم الطالقاني و ياقوت المستعصمي وابن رشيق القيرواني وملك النحاة ابي نزار الحسن وابن سينا وابي بكر بن قوام وابي يوسف يعقوب بن صابر الحراني الشاعر وابي وائل بكر بن النطاح الشاعر وابي العز مظفر بن ابراهيم الشاعر وابي دلف وابي جعفر محمد الملقب بالجواد وابي عبد الله نافع وابن المستوفي وابن الرومي والواقدي ومحمد بن الحنفية والعماد الكاتب وأبناء موسى بن شاكر والجواليقي والخبزارزي وأمثالهم ونقل قصائد لبعض المشاهير في القرون التي سلفت زمنه ، ومعظم ذلك نقله من تاريخ ابن شاكر المحفوظ نسخة مخطوطة منه في دار الكتب بدمشق او من وفيات الاعيان لابن خلكان او من غيره من الكتب المتداولة .

واستطرد جامعه الى الكلام على محاسن دمشق نقلاً عن كتاب البدري وغيره حتى اذا انتهى الى الكلام على الجامع الأموي قال : « وقد ابتليت بجباية وقف هذا الجامع المعمور غير مرة راجياً في ذلك جزيل الثواب من الملك الوهاب وقد انتظمت في سلك مؤذنيه حياهم الله تعالى وكان ابتداء امري بمباشرة جباية أوقافه في اواخر سنة ست وسبعين وتسعمائة ، وقد انتزعها مني رجل يدعى زين الدين بن ابي الصفا بغير استحقاق ولا طريق ، فلجأت الضرورة الى كتب وثيقة على صورة المحضر ورفعتها الى علماء البلدة وأئمة الجامع المذكور ومدرسيه وارباب شعائره وفقهم

الله تعالى » . ثم ذكر صورة المحضر وصورة ما كتبه عليه من الاعلام الشيخ اسماعيل النابلسي وشمس الدين محمد بن المنقار والشيخ عماد الدين بن عماد الدين والشيخ شهاب الدين احمد الفلوجي وزين الدين بن سلطان والشيخ عبد الحي بن نور الدين والشيخ شهاب الدين احمد بن الايدوني وشهاب الدين احمد بن الطيبي والشيخ عبدالباسط العلوي رئيس السادة وجميع عبارات هؤلاء العلماء مسجعة لا طلاوة عليها . الى ان قال : ولولا خوف الإطالة لذكرت جميع من وضع خطه الكريم بالمحضر المشار اليه واما مولانا شيخ الاسلام الشيخ بدرالدين محمد بن الغزي الشافعي ومولانا شيخ الاسلام الشيخ شمس الدين محمد البهنسي الحنفي تغمدهما الله تعالى برحمته فانهما لم يكتبا بالمحضر المشار اليه وكتب كل منهما وثيقة مستقلة بذاتها تشتمل على منظوم ومنثور وسجعات رائقة أرق من نسيم الصبا والجنوب والدبور . غير اني لما قدمت المحضر وخطيهما لمولانا أعلم العلماء العظام حسنة الليالي والايام مميز الحلال من الحرام مفتي المسلمين علامة المحققين القاضي محمد بن جوى زاده مفتي الممالك الاسلامية يومئذ دامت فضائله تأمل ذلك تأملاً شافياً وردع الخصم مع الاهانة والطرد ونصر جانب الحق فطلبت منه ان يرد لي الاوراق فرد المحضر المشار اليه وأبقى عنده خط الشيخين للتبرك ولم تمكن مراجعته وتكرار الطلب فلاجل هذا لم اذكر للشيخين ههنا كلاماً والله سبحانه الموفق لا رب غيره » .

وليس في الكتاب من جديد الا هذا المحضر وهو لا يخدم التاريخ في شيء بل هو صورة من أخلاق ذاك العصر .

محمد كرد علي

لغة العرب مرآتهم

من كتاب الاستاذ صاحب التوقيع :

تناهى اليّ كتاب الاستاذ العلامة ، فشكرت لرجال المجمع العلمي العربي حسن ظنهم وجميل اعتقادهم ، لقد فصّلوا لي برداً ضافي الحواشي سابغ الاذيال وتقدموا اليّ في لبسه فأدركني الحيرة في امري فاما ان ألبس هذا البرد فأعثر فيه ، واما ان أخلعه فأكفر نعمة المجمع عليّ ، ولكني سألبسه فان عثرت فيه فلست باول رجل زلت به قدمه ، وما هذا الرداء الذي سأرتديه الاّ مطرف اللغة الذي نسجته الايام و بالغت في تطريزه الدهور فازداد رونقه على تعاقب السنين وتضاعفت بهجته ، فانبسطت جوانبه فوسع أمماً ذهبت بين سمع الارض وبصرها ، لقد تضمنت اللغة عبقرية العرب واشتملت على خشونة بداوتهم ورقة حضارتهم وتمثلت فيها خواطر العرب وعلومهم ومنظومهم ومنثورهم في قديم الدهر وحديثه ، فهي المرآة التي اذا نظرت فيها أدركت فضل العرب وعلمت مبالغ عقولهم ومقادير أحلامهم ، الا انه لا بد لهذه المرآة من صقل من حين الى آخر فان عقول الناس قد امتدت آفاقها فامتدت الى ما لم يمتد اليه الاولون ، فاذا أحببنا ان يكون لمجمعنا فضل فلنجهد في صقل مرآة اللغة حتى نتراءى فيها موضوعات هذا العصر بمجامعها ، والسلام على رجال المجمع ورحمة الله وبركاته .

شفيق جبري

آراء المفكرين

« في المجمع العلمي العربي »

سألت مدام بوج ويكسل اثناء البحث في تقرير فرنسا عن سورية ولبنان أمام عصبة الامم في جنيف : هل في الامكان الحصول على معلومات متممة بشأن المجمع العربي في دمشق . فأوضح المسيو ده كه مندوب فرنسا أمام تلك العصبة « ان المجمع العربي ليس معهد تعليم ولكنه مجمع بالمعنى المعروفة فيه هذه الكلمة في فرنسا . ففيه يجتمع عدد من علماء اللغة العربية الذين يدرسون هذه اللغة وآثارها الأدبية » وجواباً على سؤال آخر قال المسيو ده كه : « ان معهد دمشق ليس معهد حكومة فهو مستقل استقلالاً واسعاً ويدير بنفسه اعماله وتقدم له الحكومة بعض المخصصات » .

وكتب العلامة المسيو دوسو في تقريره الى مجمع العلوم الأدبية والأثرية في باريز ان متحف دمشق اجمل المتاحف التي هي في البلاد المنتدب عليها وهو اثر من آثار المجمع فأثنى على هذا المعهد ورئيسه وعلى دار الآثار ومديرها .

وكتب العلامة ماسنيون في مجلة العالم الاسلامي البارزية انه اجتمع بفضل رئيس المجمع وحوله طائفة من العلماء الشاميين المسلمين والمسيحيين يعملون في درس المدنية العربية بعلم تشهد به مجلة المجمع العلمي العربي .

وقالت مجلة السيدات والرجال المصرية : ومن يطلع على مجموعة محاضرات المجمع العلمي وعلى المجلة الشهرية التي يصدرها هذا المجمع الزاهر يشعر ان هذا المجمع يضع أساساً للاستقلال الفكري في الشرق بما يبثه من روح البحث والتنقيب من غير اتكال على مساعدة اجنبية وناهيك بما يأتيه من الخدم العظيمة الشأن للغة العربية .

وقالت جريدة « لاسيري » الفرنسية التي تصدر في بيروت : وعبثاً يحاول المرء وصف ما بذله رئيس المجمع العلمي العربي واعضاؤه من الجهود لوضع أسس متينة تشمخ عليها دعائم هذا البناء القائم على مجد الذكاء السوري . ومن المحال ايضاً إسداؤهم ما يستحقونه من الشكر الجزيل . فعلى الحكومة السورية التي من واجبها ان تفهم هذه

الحقيقة ان تعمل عملاً مفيداً بتنشيط المشاريع النافعة بالمال كالمشروع الذي وقف نفسه على العمل فيه حضرة محمد كردعلي والتي عليها تتوقف حياة الاجيال القادمة في الآداب ٠

وقالت جريدة وادي النيل في الاسكندرية : ان السيد محمد كرد علي رئيس المجمع السوري ليقوم من مجهوده الفردي بعمل لم تقدم عليه الجماعات العلمية والأدبية عندنا ٠ وقد اغتبطنا بأعمال المجمع لما تنم عليه من النهضة الادبية في الشام وهي جزء مهم من الأسرة العربية العظيمة على اننا تراجعنا الى انفسنا نسألها واين مصر من هذا المجد الادبي الرفيع ٠

وقال الاستاذ الدكتور فيليب حتي في مجلة العالم الجديد في نيو يورك : ان المجمع العلمي العربي أعظم مشروع أدبي وطني يحق للسوريين المباهاة به ٠٠٠ مجمع يمضي على تأسيسه ست سنوات فقط يصبح متولياً تحرير مجلة علمية من أرقى المجلات وادارة متحف وطني نفيس ودار كتب كبرى وينشئ فروعاً ويضم الى عضويته زبدة العلماء من مشارقة ومستشرقين ٠٠٠ واذا سلمنا بان المتحف المصري العربي في القاهرة يفوق متحف دمشق الى درجة كبيرة فاننا لا نسلم بان مجلات المستشرقين من انكليزية وافرنسية والمانية تفوق مجلة مجمع دمشق ٠٠٠

وقالت جريدة « فتى العرب » في دمشق : واذا كانت مصر على ما فيها من علم وثروة ورجال لم توفق حتى الآن لتأسيس مجمع علمي فيها فحسب سورية الفقيرة ان يكون لها مجمع علمي هو نسخة طبق الاصل عن نهضتها العلمية والأدبية وصدى ناطق لصوتها الذي لم يكن يسمعه احد قبل سنين قليلة ٠ ان المجمع العلمي يسير الى الرقي والاصلاح الى جانب الامة فاذا استمرت الامة في نهضتها ورقيها كان للمجتمع نصيب وافر من هذه النهضة فهو جزء من روح هذه الامة وعنصر من عناصر آدابها وعلومها ٠٠

وقالت جريدة « الزمان » في دمشق : المجمع العلمي في دمشق هو مجموعة صالحة من اهل العلم والرأي والتفكير في بلادنا بل هو أصلح هيئة رسمية عندنا تمثل نهضتنا العلمية وجب عليها ان تمثلنا في جميع النهضات العلمية والحركات الفكرية التي ظهرت في سماء هذا الشرق بضعف قبل الحرب وأخذت تظهر بعدها بشيء من القوة يدل على شيئين : على متانتها اولاً وتطور الحالة الفكرية عندنا تطوراً كبيراً ٠

وقال العلامة ماكدونالد الاميركي بمناسبة إطراد صدور مجلة المجمع العلمي اثناء الثورة الاخيرة : لقد أحييتم سنة الجمعية الآسياوية الباريزية ايام كانت تثابر على إصدار مجلتها و باريز محصورة .

وقال العلامة الامير شكيب أرسلان : ان بناية المجمع المعنوية كالمادية متينة ركينة بحيث تثبت على كل هذه النوازل ولم تبال بكل هذه العواصف .

استدراك لغوي

ارجو ان تفرجوا لي لابداء بعض الملاحظات على ماجاء في جزئي المجلة الاخيرين (٧ و٨) فقد جاء للاستاذ العلامة المغربي (ص٣٧٣) قوله : ارتدى شارته او شياره الرسمي) فقد أمه حضرته ان العرب استعملوا لارتدى شارته او شياره كلمة واحدة هي (استشار) فقالوا استشار الرجل : لبس لباساً حسناً ، ولعل هذه الكلمة تفارع الكلمات الثلاث اذا ما تووطيء عليها .

وجاء في مباذل أناتول فرانس للامير شكيب أرسلان (ص٣٣٣) ان الشمقمق هو المفرط في الطول والصحيح انه الطويل — فقط — والعرب قالوا : السَّبَهْطرى الطويل جداً من الرجال . والشَّجَوْجي والشَّجَوْجاء : الطويل جداً وقيل مع ضخامة العظام وقيل الطويل الرجلين وقيل الطويل الظهر القصير الرجلين . والشمحاط والشُّمْحوط : المفرط الطول . والطُّوَال والعَرْطَلُ والعَرْطبل والعَشَنَّط والمُمَّعِط والمُمَّغِط . والمُتَمَاحل . والهَيْق . والأَمَقُّ الخ .

واما قرقرة البطن فقداستعملوالها : الحجيف . والنجيف . والرِّزّ . والكَرْكَرَة . وبيوت الزرابين استعملوا لها الخانة . والخُصّ . والكُلْبَة .

النبك : سالم رزق

فتاوي لغوية

اللغة العربية في ساحات المحاكم

جاء المجمع العلمي العربي من بعض رجال المحاماة هذا السؤال ضمن استدعاء رسمي :

« حيث انه وقع الاختلاف بيني وبين خصومي في دعوى مقامة في المحكمة الأجنبية بدمشق — في تفسير كلمة (ربح) : فادعى الخصم انها تأتي بمعنى (الفائدة) او (الفائض) وادعيت انا انها لا تفيد غير (الكسب) و (الغنم) وحيث ان في تفسير هذه الكلمة على احد الوجهين خسارة او ربح للدعوى جئت بهذا الاستدعاء الخ » .

فأجاب الاستاذ صاحب الامضاء بما يلي :

جواباً على سؤالكم نقول : انه يفهم من كلام علماء اللغة ان كلمة (ربح) انما تستعمل حقيقة فيما يكسبه الانسان في التجارة قال الراغب الاصفهاني في كتابه (المفردات) . (الربح هو الزيادة الحاصلة في المبايعة ثم يتجوز به في كل ما يعود من ثمرة عمل) . ثم قال : (وينسب الربح تارة الى صاحب السلعة فيقال ربح فلان في تجارته وتارة الى السلعة نفسها كما في الآية الكريمة فما ربحت تجارتهم) اه .

فيستنتج من هذا ان المال المكتسب من التجارة هو الذي يسمى (ربحًا) تسمية حقيقية . فاذا سمينا المال المكتسب من وراء الدَّين ربحًا لا تكون التسمية اذ ذاك حقيقية بل مجازية . كما صرح به الراغب في قوله : (يتجوز بالربح في كل ما يعود من ثمرة عمل) . و (ربا الدين) ثمرة كما لا يخفى فيقال له (ربح) مجازاً . اما الاسم الحقيقي الذي وضعه العرب للمال المكتسب من وراء الدين فهو كلمة (الربا) التي معناها الزيادة فيقولون (ربا المال) كما يقولون (ربح التجارة) . وربما أيد هذا ماجاء في كتاب (كشاف اصطلاحات الفنون) للتهانوي . فقد قال : (المرابحة عند الفقهاء هي ان يشترط البائع في بيع عروض التجارة ان يبيعها بما اشتراها به مع زيادة شيء معلوم من الربح) ثم قال : « وانما قلنا في بيع عروض التجارة احترازاً عن (الصرف) الذي هو بيع الدراهم والدنانير بجنسها فانها لا تسمى مرابحة » فانظر كيف جعل اسم (المرابحة) خاصاً بمبادلة السلع التجارية وقال انها لاتكون في مبادلة الدراهم والدنانير . ولما ان

نستنتج من كلامه ان كلمة (الربح) خاصة بكسب التجارة ولا يصح استعمالها في كسب نقود الصرافة · ولايخفى ان ربا الدين من قبيل كسب مال الصرافة فتكون النتيجة ان كسب الربا لايسمى ربحاً في اصطلاح الفقهاء ايضاً كما هو الحال في اصل اللغة العربية ·

والحاصل ان المال المستفاد من التجارة يسمى (ربحاً) والمال المستفاد من الدين يسمى (ربا) · ولكن هل يصح ان يسمى (الربا) ربحاً ؟ نعم يصح مجازاً كما يفهم من قول الراغب في مفرداته ·

هذا ولما كان (الربا) محرماً في الشرع الاسلامي أصبحت كلمة (الربا) مستبشعة ممقوتة حتى ان رجال القانون من الاتراك سموا (نظام المراباة) (نظام المرابحة) وصار متعاطو الربا القانوني الذي تجيزه المحاكم النظامية يعدلون عن كلمة (الربا) الى كلمة أبعد عن وصمة مخالفة الشرع الشريف فاصطلحوا على كلمات ثلاث وهي (فائدة) المال و (فائض) المال و (ربح) المال وأبقوا كلمة (ربا المال) لزيادة الدين الفاحشة المحظورة قانوناً ·

فأصبح إذن لكلمة (ربح) المستعملة في (ربا الدين) طريقان لتصحيح استعمالها : « الطريق الاول » ان يقال انها « مجاز لغوي » كما يفهم من قول الراغب و «الطريق الثاني » ان يقال انها « حقيقة عرفية او اصطلاحية » كاصطلاح الناس على تسمية حيوان الركوب بالدابة مع ان معناه اللغوي كل مايدب على وجه الارض ·

المغربي

كلمة كمرك

يظهر من معاجم اللغة التركية ان كلمة (كمرك) تركية الاصل ومعناها (مكس) · و(مكس) عربية الاصل بمعنى الدراهم التي كانت تؤخذ من بائعي السلع في الاسواق في الجاهلية · والذي يقبض المكس من الناس يسمى (مكاساً) وعمل المكاس مشروع لانه يكون بامر السلطة الحاكمة غير ان المكاسين يأخذون أحياناً فوق مايأمر به السلطان وكان جابي أموال الزكاة يأخذ درهماً زائداً فسموا هذا الدرهم الزائد (مكساً) وذلك حرام بالطبع فصار يفهم من كلمة مكس معنى حرمة المال المأخوذ وقد صرح بذلك المصباح فقال : (وقد غلب المكس فيما يأخذه أعوان السلطان ظلماً عند البيع

والشراء) وهذا كالعشر الذي يأخذه العشار هو في الاصل مشروع لكن العشارين أحياناً يظلمون الناس في اخذ العشور فكانوا مذمومين ممقوتين وقد ورد تقبيح عملهم في النصوص الدينية لاسيما الانجيل الكريم وكذلك شاع ذم المكس والمكاسين . ثم ان الأتراك العثمانيين وضعوا ضرائب على السلع التجارية التي تمر بالبحر والبر وسموها بلغتهم (كمرك) وكافها الاولى تلفظ كما تلفظ كاف (جمل) المصرية وهذا ما جعل بعض الناس يحسبون ان كاف (كمرك) مصرية محضة فرأوا ان يكتبوها (جمرك) بالجيم كما تكتب (جمل) وهذا وهم او خطأ كما لا يخفى . لان اللفظ تركي الاصل كما قلنا فالواجب كتابته كما يكتب في التركية . والحاصل ان الدراهم التي تؤخذ على مرور السلع لها ثلاثة اسماء (كمرك) وهي تركية . و (مكس) وهي عربية أصلية . و (رسم) وهي عربية مولّدة استعملها العرب او الأتراك أنفسهم واشتقاقها من فعل (رسم يرسم) بمعني كتب وخطّ . فالرسم مصدر بمعنى المال المرسوم اي المأمور به بموجب كتابة صادرة من السلطان . و يجمع (رسم) على رسوم كما جمعوا (مكس) على (مكوس) و (كمرك) على (كمارك) . ثم عادوا فجمعوا (رسوم) على (رسومات) ايضاً وقالوا (دائرة الرسومات) يعنون الدائرة التي تؤخذ فيها الرسوم الجمركية . له

مطبوعات حديثة

كتاب المواقف

تأليف عالم الامراء السيد عبدالقادر الجزائري الشهير رحمه الله تعالى ، في ثلاثة أجزاء تتضمن ثلاثمائة واثنين وسبعين موقفاً ، هي أبحاث في التصوف والتكلم على طريق القوم ، عن بعض آي القرآن والأحاديث النبوية وأقوال أئمة التصوف كابن عربي في فصوصه وفتوحاته والحلاج والشاذلي والشعراني ، وفيه ذكر أحوال كشفية والهامات ورؤى حصلت للمؤلف اثناء سلوكه هذا الطريق .

هذا الكتاب لم يطبعه المؤلف رحمه الله تعالى بل طبع في مصر بوصية من المرحوم محمود باشا الارنؤودي المصري كما ذكر في مقدمة طبعه بقصد تعميم نفعه ، لكن قد صرح المؤلف نفسه في غير محل من كتابه بان من هذه الأبحاث ما ينبغي ان يبقى سراً من الأسرار قاصراً على ارباب هذا الشأن لا يفشي الى غيرهم .

أمثال هذه المؤلفات لا يرى علماء الظاهر قراءتها و يحذرون منها ، لانها تحوي شيئاً كثيراً مما هو جار على مصطلحات خاصة لأهل الباطن ، صادر عن أذواق ومواجد لا يفهم كيفيتها الا من حصلت له ، فاذا اطلع عليها من ليس منهم ، وهي مكتوبة بالفاظ تخالف في وضعها الاصلي ما اصطلحوا عليه ، أوشك ان يقع في احدى اثنتين : اما ان يزيغ هو فلا يجد لنفسه مخرجاً من الحيرة ، او ان يعمد الى الوقيعة فيهم و يضللهم ، وكلتا الحالتين مفسدة يجب تجنبها ، هذا عدا تحريفات مطبعية زادت في تعمية بعض المعاني والمقاصد ، فيكون الأجدر بمن ليس له توغل في هذا الشأن ان يرغب عن قراءة هذا الكتاب ، لانه لا ينتفع بها ، اذا لم تنته به الى مضرة أقلها صرف الوقت في غير طائل .

مسعود الكواكبي
عضو المجمع العلمي

الكتاب الذهبي

« ليوبيل المقتطف الخمسيني ١٨٧٦ — ١٩٢٦ »

هو مجموعة ما قيل في الاحتفال بمرور خمسين سنة على مجلة المقتطف وعمل منشئيه العالمين الدكتورين يعقوب صروف وفارس نمر ووصف تلك الحفلة وما قيل فيها من الخطب والقصائد . ومن أهم ما قرأناه فيها مقالة للامير شكيب أرسلان وأخرى للدكتور فيليب حتي . وموضوع هذا ما كتبه الفرنجة من بني الشام لدن احتكاكهم بهم خلال الحروب الصليبية وهي من أبدع ما كتب تحقيقاً واحاطة باطراف الموضوع .

م . ك

تاريخ الجمعيات السرية

— والحركات الهدامة —

« تأليف السيد محمد عبدالله عنان المحامي عنيت بنشره ادارة الهلال بمصر »

« سنة ١٩٢٦ ونشرتها ملحقاً لسنتها الماضية ص ٢٢٤ »

موضوع طريف مفيد كسائر ما تخطه براعة مؤلفه الاستاذ وقد أثبت فيه ان المشرق مهد هذه الجمعيات والحركات ومنه اشتقت الجمعيات والحركات الاوربية معظم مبادئها وتعاليمها . أفاض المؤلف في الجمعيات السرية التي قامت في الاسلام معتمداً على أوثق المصادر محللاً لها تحليلاً دقيقاً ثم انقلب الى بيان الجمعيات التي أنشئت في القرون الاخيرة في الغرب مما دل على علو كعبه في الآداب وطرق التفكير وأسلوب التأليف الحديث .

م . ك

الفهرس العام

« لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتبًا على حروف المعجم »

فهرست الاعلام

« اي اسماء كتاب المقالات اومترجميها المنشورة في هذا المجلد مرتبة على حروف المعجم »

*

جدول الخطأ والصواب

ورد في أجزاء هذا المجلد بعض أغلاط مطبعية نبهنا اليها فيما يلي :

في ص٦ س١١ ستنيوبوس صوابها سنيوبوس وفي ص٢٧ س١٦ الحلبة صوابها المجلة وفي ص١٠٧ س١٦ مقامها صوابها مطالها وفي ص ١١٠ س ١٦ حرت صوابها صرت وفي ص ١١٠ س٢٥ أدنيتموني صوابها آذنتموني وفي ص ١١١ س ٣ تباشيرها اليك صوابها تباشيرها عليك وفي ص ١١١ س ١١ رأس صوابها رأساً وفي ص ١١١ س ٢٥ مفارقننا صوابها مفارقتنا وفي ص ١١٢ س ٦ محاثة صوابها محادثة وفي ص ١١٧ س ٤ الوئد صوابها الوأد وفي ص ١١٩ س ٢١ يكلج صوابها يكلح وفي ص ١٢٠ س ١٩ براء صوابها برآء وفي ص ١٢٠ س ٢٢ الفتح صوابها على الفتح وفي ص ١٢٦ س ٢٤ جعلت عنكم صوابها حصلت عندكم وفي ص ١٢٧ س ١٨ العبيس صوابها ابو العبيس وفي ص ١٢٨ س ١٨ بانها صوابها أنها وفي ص ١٢٨ س ١٩ بان صوابها ان وفي ص ١٤٣ س ١٦ الفضول صوابها الفصول وفي ص ١٤٦ س ١٦ الصباب صوابها الصناب وفي ص١٥٩ س ٧ أرجيْ صوابها أرجي وفي ص١٥٩ س٨ أرجيْ صوابها أرجي وفي ص ١٦٢ س ٩ فاض صوابها فاض منه وفي ص ١٦٢ س ١٧ يجمع صوابها لجميع وفي ص ١٦٢ س ٢٠ إذ صوابها اذا وفي ص ١٦٢ س ٢٢ سقيناك صوابها سقننا وفي ص ١٦٢ س ٢٣ وشقينا صوابها وسقينا وفي ص ١٦٣ س ٤ فنقدم صوابها فنقدما وفي ص ١٦٤ س ١ ٠٠٠ صوابها بعد الموت وفي ص ١٦٦ س ٢٤ سيدا بهذا ولذا رد صوابها وليس ما يهدى له رد وفي ص ١٦٨ س ٩ دينا صوابها زينا وفي ص ١٧٠ س ٢١ توبتي في حجتي صوابها حجتي في توبتي وفي ص ١٧٠ س ٢٢ حرمة صوابها جرمه وفي ص ١٧١ س ١٦ فصبروا صوابها فصبر وفي ص ١٧٣ س٥ فصار صوابها فصارت وفي ص١٨١ س ١٨ سنياوش صوابه سياوش وفي ص ١٨٣ س ٥ الواله صوابها والواله وفي ١٨٧ س ١٥ خلفاء البلغاء صوابها خلعاء البلغاء وفي ص ١٨٨ س ١٧ عبد الوهابي صوابها عبد الوهاب وفي ص ٢٠٢ س ٥ بطاء بعد الراء صوابها بقاف بعد الطاء وفي ص ٢٠٦ س ٢٠ فأشار الساقي صوابها

فأشار الى الباقي وفي ص ٢٣٨ س ١٠ وما نخالف صوابها وما نخال وفي ص ٢٣٩ س ١ بجليقية وخبليقية صوابها بجليقية وجليقية وفي ص ٢٩٢ س ٢٤ الأكن صوابها الاماكن وفي ص ٣٧٠ س ٥ المتسلسين صوابها المتسلسلون وفي ص ٣٨١ س ٧ وطريقته صوابها وطريقة وفي ص ٣٩١ س ١٨ بامكان صوابها بالامكان وفي ص ٣٩٢ س ٥ تلا لاء صوابها تلالوءاً وفي ص ٣٩٧ س ٢ خالداً صوابه خالد وفي ص ٤٠٢ س ١٩ الضرّار صوابها الفرّار وفي ص ٤٠٨ س ٨ بالمجمتين صوابها المجمتين وفي ص ٤٣١ س ١٣ وقفه صوابه واقفه وفي ص ٤٣٣ س ١٤ استعمال صوابها استعماله وفي ص ٤٦٩ س ١٧ من مضت صوابها مضت من وفي ص ٤٧٨ س ٢٣ لأدب صوابها الأدب وفي ص ٤٧٩ س ١٦ الثوني صوابها الثواني وفي ص ٥٠٤ س ٢٥ السهرة صوابها الشهرة وفي ص ٥١٩ س ١ الجلوس صوابها الجلوس وفي ص ٥١٩ س ٢ لاكبر صوابها الاكبر انتهى ·